
KÖPRÜLÜ KÜT.
71.

ابو السعود

١٧

عمومیه قسم ۲

٢٦

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق • وبين له من شعائر الشرائع كل جل ودق • أنزل عليه أظهر بينات وأبهر حجج
قرآنا عربيا غير ذي عوج • مصدقا لما بين يديه من الكتاب • ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب • ناطقا بكل أمر رشيد
هاديا إلى صراط العزيز الحميد • آمرا بعبادة الصمد المعبود • كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود • تكاد الرواسي لهيبته تمور • وتذوب
منه الحديد وينفلق صم الصخور • حقيقا بأن تسير به الجبال • وتيسر به كل صعب محال • منجزا أنجم كل مصقع من مهرة قحطان • وبكت كل مفلق
من سحرة البيان • بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته • لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته • نزله على فترة من الرسل
ليرشد الأمة إلى أقوم السبل • فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين • فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين • فمن اتبع هداه فقد فاز
بمناه • وأما من عاند وعصاه • واتخذ إلهه هواه • فقد هام في مهاوي الردى وتردى في مهاوي الزور • ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور • صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار الأخيار • ما تناوبت الأنوار • وتعاقبت الظلم والأضواء • وعلى من تبعهم بإحسان
مدى الدهور والأزمان • فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي • أبو السعود بن محمد العمادي • إن الغاية
القصوى من تحرير نسخة العالم • وما كان حرف منها مسطورا • والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم • ولم يكن شيئا مذكورا • ليست
إلا معرفة الصانع المجيد • وعبادة الباري المبدئ المعيد • ولا سبيل إلى ذاك المطلب الجليل • سوى الوقوف على مواقف
التنزيل • فإنه عز سلطانه • وبهر برهانه • وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان • ونصب رايات وحدته في صفائح
الأعراض والأعيان • وجعل كل ذرة من ذرات العالم • وكل قطرة من قطرات اليم • وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع • مرآة لمشاهدة جماله • ومطالعة صفات كماله • حجة نيرة واضحة المكنون • وآية بينة لقوم
يعقلون • برهانا جليا لا ريب فيه • ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه • بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع
ومجيبا صادقا فهل له من داع • يكلم الناس على قدر عقولهم • ويرد جوابهم بحسب مقولهم • يحاورهم تارة بأوضح عبارة • ويلوح
أخرى بألطف إشارة • لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل • والاستشهاد بتلك الأمارات والمخايل • والتنبه لتلك
الإشارات السرية • والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية • وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر • وكنوز
آثار التعاجيب والعبر • مما لا يطيقه عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر • فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد
إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية • والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية • والكاشف عن خفايا حظائر القدس • والمطلع
على خبايا أسرار الأنس • وبه تكتسب الملكات الفاخرة • وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة • خلا أنه أيضا مع علو الشأن
وسمو المكان • ونهاية الغموض والإعضال • وصعوبة المأخذ وعزة المنال • في غاية الغايات القاصية • ونهاية النهايات النائية
نعم من بيض الأنوق • وأبعد من مناط العيوق • لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة • ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة • كيف لا
وإنه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية • ومنطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية • حاويا لتفاصيل الأحكام الشرعية
ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية والفرعية • منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت • مخبرا بأطوار الملك والملكوت • عليه يدور فلك
الأوامر والنواهي • وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي • قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز • واحتجبت طلعته بسجال الإعجاز
طويت حقائقه الأبية عن العقول • وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول • ترد عيون العقول سبحاته • وتخطف أبصار البصائر
بارقة لمعانه • ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار • وتولى لتيسير عويصات معضلاته
سلاطين أئمة التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار • فغاصوا في لججه • وخاضوا ثبجه • فنظموا فرائده في سلك التحرير
وأبرزوا فوائده في معرض التقرير • وصنفوا كتبا جليلة الأقدار • وألفوا زبرا جميلة الآثار • أما المتقدمون المحققون فقصروا هممهم

على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام • وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام • عليه شرائف التحية والسلام
وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة • وإبداء خفاياه الفائقة • ليعاين الناس دلائل
إعجازه • ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه • عن سائر الكتب الكريمة الربانية • والزبر العظيمة السبحانية • فدونوا أسفارا
بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائقة • تضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان • وعوائد لطيفة تتشنف بها
آذان الأذهان • لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل • المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل • فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق
أي إحراز • كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز • صحائفهما مرايا المزايا الحسان • وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان
ولقد كان في سوابق الأيام • وسوالف الدهور والأعوام • أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما • وزمان تصدي
لمفاوضتهما ومدارستهما • يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار • أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق
وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق • وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة • من جواهر الحقائق • وصادفته
في أصداف العيالم الزاخرة • من زواهر الدقائق • وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع
حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل • ويستدعيه جلالة نظمه الجليل • ما سنح للفكر العليل • بالعناية الربانية • وسمح به
النظر الكليل • بالهداية السبحانية • من عوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب • وغرائب رغائب
ترنو إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب • وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام في مداحض الأقدام • وتدقيقات
متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام • في معارك أفكار يشتبه فيها الشؤون • ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون
وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون • في خزائن الكتاب المكنون • ما تطمئن إليه النفوس وتقر به
العيون • من خفايا الرموز • وخبايا الكنوز • وأهديها إلى الخزانة العامرة • الغامرة للبحار الزاخرة • لجناب
من خصه الله تعالى بخلافة الأرض • واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض • ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم
والخاقان الأمجد الأفخم • مالك الإمامة العظمى • والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى • كابرا عن كابر رافع رايات
الدين الأزهر • موضح آيات الشرع الأنور • مرغم أنوف الفراعنة والجبابرة • معفر جباه الأكاسرة والقياصرة
فاتح بلاد المشارق والمغارب • بنصر الله العزيز وجنده الغالب • الهمام الذي شرق عزمه المتين • فانتهى
إلى المشرق الأسنى • وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو أدنى • بخميس عرمرم متراحم الأفواج • وعسكر كخضم متلاطم
الأمواج • فأصبح ما بين أفقي الطلوع والغروب • وما بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعة
ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة • فأصبحت سائر الربع المسكون • مشرقة باسمه الميمون • فيا له من ملك استوعب
ملكه البر البسيط • واستغرق فلكه البحر المحيط • فكأنه فضاء ضربت فيه خيامه • أو نصبت عليه ألويته وأعلامه • مالك
ممالك العالم • ظل الله الظليل على كافة الأمم • قاصم القياصرة وقاهر القروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين
وخاقان الخافقين • الإمام المقتدر بالقوة الربانية • والخليفة المعتز بالعون السبحانية • المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين
وحماية المقامين الجميلين المفخمين • ناشر القوانين السلطانية • عاشر الخواقين العثمانية • السلطان ابن السلطان سليمان
خان ابن السلطان المظفر المنصور • والخاقان الموقر المشهور • صاحب المغازي المشهورة في أقطار الأمصار
والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار • السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة الزمان • وأرواح أسلافه العظام مترنحة في روضة الرضوان
وكنت أتردد فيه بين إقدام وإحجام • لقصور شأني وعزة المرام • أين الحضيض من الذرى • شتان بين الثريا والثرى
وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك • واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك • فمضت عليه الدهور والسنون • وتغيرت
الأطوار وتبدلت الشؤون • فابتليت بتدبير مصالح العباد • برهة في قضاء البلاد • وأخرى في قضاء العسكر والأجناد
فحال بيني وبين ما كنت آمل • تراكم المهمات وتزاحم الاشتغال • وجموم العوارض والعلائق • وهجوم الصوارف والعوائق
والتردد إلى المغازي والأسفار • والتنقل من دار إلى دار • وكنت في تضاعيف هاتيك الأمور • أقدر في نفسي أن أنتهز

نبذة من الدهور وسنى الى القرار وتطمئن بى الدار واظفر حينئذ بوقت حال اتبتل فيه الى جناب ذى العظمة والجلال واوجه اليه وجهى واسلم له سرى وعلانيتى وانظر الى كل شى بعين الشهود واتعرف سر الحق فى كل موجود واتلافى ما قد فات واستعد لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى تكميل ما توجهت اليه برفاهية واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا فى هذا الخيال ادبر ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت فى امر اشق من الاول ارتبطت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وتسربت كالماء من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرنى اى غمر غوارب ما جرى بين زيد وعمرو فاضحت فى ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممن تضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهى صحائح الى ان تغشتنى وقيت حوادث تحقق ان السالفات منائح فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وسهم الاسباب فى شرف الشتات وقد مسنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنى الاجل من الحلول واشرفت شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما طالما ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه **ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم** فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشاغل بين يدى متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت فى ان يعصمنى عن الزيغ والزلل ويقينى مصارع السوء فى القول والعمل ويوفقنى لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد اتمتع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدى الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا فى لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى حيث كان جباهنا على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فيضك قارعين انت الملاذ فى كل امر مهم وانت المعاذ فى كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

الفاتحة فى الاصل اول ما من شانه ان يفتتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شى فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجى حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هى مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالكل بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة فى تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى فى الخاتمة لما ان ختم الشى عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام فى الخاتمة فان بلوغ آخر الشى يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذى تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافى فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة تمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير فى اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم فى اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفى فيها تحققه باعتبار تحققه فى علمه عز وجل او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما فى جزء الشى لا بمعنى من كما فى خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئى له ومدار التسمية كونها مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة فى الصلوة ولا فى التعليم ولا فى النزول كما قيل اما الاول فتبين انه ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا فى الصلوة حتى يعتبر فى التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعى مراعاة الترتيب فى بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب فى ان الترتيب التعليمى والترتيب النزولى ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء

والمراد

والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر فى ام القرآن لا ما اورده الامام البخارى فى صحيحه من انه يبدا بقراءتها فى الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر فى ام القرآن كما انه الوجه فى تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات تثنى فى الصلوة او لتكرر نزولها على ما روى انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف الائمة فى شان التسمية فى اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هى آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضى الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزى فى زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهرى وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعى رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعى لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا فى سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا ولا لكونها آية تامة او لا وهو احد قولى الشافعى على ما ذكره القرطبى ونقل عن الخطابى انه قول ابن عباس وابى هريرة وقيل انها آية تامة فى الفاتحة وبعض فى البواقى وقيل بعض آية فى الفاتحة وآية تامة فى البواقى وقيل انها بعض آية فى الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزى فى الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة فى الفاتحة وليست بقرآن فى سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة فى الفاتحة لكان ذلك احد محملى تردد الشافعى رحمه الله فانه قد نقل عنه انها بعض آية فى الفاتحة واما فى غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان تكون قرآنا او لا وقيل بين ان تكون آية تامة او لا قال الامام الغزالى والصحيح من الشافعى هو التردد الثانى وعن احمد بن حنبل فى كونها آية كاملة وفى كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزى ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هى الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها فى المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضى بنفى القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعى كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعى كونها آية منفردة منه واما ما روى عن ابن عباس من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى عن ام سلمة من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل كل واحد منها على نفى القول الثانى فليس منها نص فى اثبات القول الثالث اما الاول فلا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجى الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثانى فساكت عن التعرض لحالها فى بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثانى فى السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك فى تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اى بسم الله اقرا او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما فى اياك نعبد وتقدير ابدا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداءة مخل بما هو المقصود اعنى شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفى تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشى فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل فى الحديث الكريم كل امر ذى بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف

المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة الداخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء
والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون فاذا دخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم
البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت
الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم
وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة
على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاكثرين من اصحابنا بما يمكن العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة
وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى
يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله
عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك
لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى
ويتعين حمل الباء على الاستعانة التامة او التبرك وانما لم تكتب الالف لكثرة الاستعمال فلو طولت الباء عوضا عنها والله اصله
الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك
قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة
فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله
في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه
ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة
والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه
صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما
ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية
اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال
ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك
المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه تحار في شانه
العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر
من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله
اذا فزع من امر نزل به وآلهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر
من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله
الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص
بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا كالعلم في امتناع
الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن
تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال
والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل الرحيم ليس بصفة مشبهة
بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
والمراد بهما ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى

تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره
تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود
فعلانة فاعتبارهما يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب
فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع
من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس
تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به
عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم
مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة ۞ الحمد لله ۞ الحمد هو النعت بالجميل
على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك
الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق
عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ
في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة
هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله
وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي
ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة
مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين
الآخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الآخرين
من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه
وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالآخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال
فالتحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية
الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المعاني المذكورة بما يختص به
منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان المذكورة لا تتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف
ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما
في المعنى قطعا نعم قد يستعمل المدح مطلقا عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده وايا ما كان فليس بينهما ترادف
بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور
من معنى الحمد اللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل عن استحقاق
الارادة ههنا استقلالا او استتباعا فاجمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة
النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال ۞ كما قال من قال ۞ افادتكم النعماء مني ثلاثة ۞ يدي
ولساني والضمير المحجبا ۞ فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة
النعمة والاعتداد بشأنها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكه
لامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شأن المصادر
المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كأنه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كأنه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة

اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب
في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ما قدر من السؤال عن مطابق الجواب
فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفيتهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد
تعكيس للامر وتحمل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع
عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا
لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة
فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه
استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء آخر
كما سيحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك
دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به
المستدعي لتخصيص جميع افرادها به تعالى على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة
بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ووجودها في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل
للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها
باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل
رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا
على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم
الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة
كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نم ينم بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك
وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل
ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون
خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها
وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك
يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم
بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون
والاول هو الاحق الاظهر واشار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها
اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف
الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما
ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد
الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كأنها آحاد مفردة التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول
كل واحد من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى
ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته
على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار

الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه
بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس
لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل
لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما حوته
نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث
لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار
لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر ويقضي من فنون الفيوض المتعلقة
بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته
الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه
جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام
من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة
في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها
فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة
على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم شانه وسلطانه لا تلاحظه العيون
بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم
شكره قاصرون نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله
الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين
او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها
حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه
تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى
بهما في التسمية لما انه الانسب لحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة
له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة
الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب
على المدح او على الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة
عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت
والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم سببه كما سميت
ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء
المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل
منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين
واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه
من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته
واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع تقرر المعنى على حاله

كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما تشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبد امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مملوكا مربوبا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على امتناع ثبوتهما لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنته للتبتل اليه بالكلية واياه ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي وايا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو المعونة في العبادة

والتوفيق

والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله المستغنية تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولعل ذلك تخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بالاعانة من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل اياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المساعي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقد قرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا يكاد يحصرها عد منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد يشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعمت عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها

ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل
وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهداية نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب
هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب
عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك
ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف كلمة غير اليه من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب
عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعه صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون ووصفوا بذلك تكملة لما قبله
وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال
وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه
وهو المسمى المعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فبقي لفظ غير على ابهامه
نكرة مثل موصوفها وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث انتسابه الى كلهم
لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه
مزيد تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة
للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح
او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به
غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس
الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك
اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه
تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى والذي هو يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما افاده
غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
مثل انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ غير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل مبني
على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن وفاقا
ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي وعن
شيئه وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب
الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم

ويشهد

ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية
وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف
والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما هو
عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف
كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والحكم
بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي للمسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك
السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا لاسمائها المؤلفة كما اذ ليست الالف
مؤلفا من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة
قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفاظ الموافقة في العدد والحكم
بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر في ان
استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بالتلفظ
بحروفها بانفسها كذلك الفواتح الكريمة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك التلفظ بالمسميات
كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف
عبر عن طرفي ذلك بتسميتهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه
من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها
الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكونها لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد
وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء
وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا والقصر تارة فيكون
حرفا وتمد اخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم يسمع له
لاء هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
روي عن الصديق رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل
حرف منها اشارة الى اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام
لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما السلام وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه
الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء
كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن التعويل اما على كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب
الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي
من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء
فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار
فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه
حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج

التهجي دون المركب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان يكون خط المصحف مما لا يقاس عليه
القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها
لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قواهم
ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة
بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب
من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف
الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما من لم يحم حول ذلك
قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري
مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه اصحاب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع
وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما فصح عنه الفحول
والسفرة حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها
ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها
على السور دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة
بوجهه وعد بعضها آية دون بعض فبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت من السور المفتتحة بها وكذا المص آية والمر
لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها
آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم يعد واحد منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها
بلا فرق بينها واما عند غيرهم فلم يعد واحد منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب
ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقران كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب
بفعل مضمر كما ذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا
فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها
الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وق ون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا
ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز فيها سيبويه مثل ذلك قال في باب اسماء السور
من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقران وقاف والقران فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا
عن بعضهم قراءة ياسين وجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها
من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا
الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف هنا للمخالفة بين الاول والثاني
في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك
لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان يفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد كما ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك
من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة
الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقران فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة
الى القران بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان
واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب
واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها واما ما شهرتها بها فبعد الورود ان المسمى هي السورة او كل القران ذلك
ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد
بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف

اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا
لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى
بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور
بعضها من بعض فذاك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدا على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان وقوله عز وعلا الكتاب
اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول استئنافية مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها
من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر
سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها
الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخفية
عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القران الكريم وان لم يتم
تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى سماء الدنيا
حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كأنه في احراز الفضل
كل الكتاب المعهود والغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون
المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص اسم الكتاب
لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأن ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل
اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح
كما ترى من جهة كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب
على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القران المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب
باعتبار كونه جزءا لذلك الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور
وان لم يكن الحصر لبيان ما بين المعنيين من التفاوت بل لتحقيق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك
الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير
كونه مبتدا اما خبر له او مبتدا ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى
كلا من السورة او القران ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ
اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ومعنى البعد حينئذ ظاهر فانه ان كان المسمى هي السورة فينبغي ان
يراد بالموعود ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير
كون الم اسما للسورة او للقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدا والكتاب اما خبره او صفته
والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى
لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير
كون الكتاب خبره او للمبتدا المقدر لهذا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة
لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسماء لزومها واسمها
مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف
فمما لا معول عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى لا الاستغراقية لا انه مركب معها تركب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب
موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب
المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا
لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له

والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع
تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان
وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا
الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا الخ
فما زال الى العجز الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه
بل مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت
الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى
وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان
عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى
المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثر والتاثير ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه
الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم
اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل
بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل
بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور
عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما واما انه
هل ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما
ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى
اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه
المذكور فينتهي قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان
التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا
مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه ذلك
الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه
لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير قصور
ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار
وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا
وهو الامر الثاني فبناؤه مبني على ما مهده اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه
في نفسه من تعلقه بمفعوله اعني ذلك مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله
وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض لها بالقياس
الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة متمازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت
تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى فاعله حدثت من مسماته واعتبرت الاضافات العارضة له
بحسبها داخلة في مدلوله كالاعماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافات العارضة له من انكساره ذلك الجسم الذي هو
اثر خاص لذلك الاعماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من تقطعه الذي هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك
من الاضافات العارضة له بالقياس الى الآثار اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي لها مدخل في وجودها
في الجملة من غير ايجاب لها عليها تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية

ع

الصادرة عن موثراتها بواسطة كونه داعيا اليها بحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له
لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافات العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافات العارضة
للامر بحسب امتثال المامور به والاضافات العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر
والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما من حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين
للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافات العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول الاسم الامر والدعوة بل جعلا
عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة
والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار
الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل
مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه له لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة
فلما لم تعدا من متممات الامر والدعوة ولم تعتبر الاضافات العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من متممات
الهداية ولم تعتبر الاضافات العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة
بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورة
اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينها وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي
يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله حمل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم
لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حسبما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور
والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة
عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بمدلوله التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله
لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاشد آنا عينا لا حاجة فكيف نوجد في مدلولها
واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية
كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما حققه فيما سلف ان قيل التعليم
من قبيل الافعال الاختيارية مع ان معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا
على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس مستقلا في ذلك فلا اسناده اليه ضرب تجوز
بل لان كلا منهما معتبر في تحققه وتحصله الى الاخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا
على رتب تقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو
عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري مستقل فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها
ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الاهداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية
قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستعداد المتعلم لسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه
وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم ولتحمل تسميتها لا تستتبع الهدى
بها على التجوز قلنا الهداية ايضا كذلك شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الآثار
عن الضرب الضعيف كذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي
بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال
الى البغية بعد عرف معالمه وتبين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة
عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز والكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبيانات
التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي

هدى انا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لانهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية المبنية على الحكم الآبية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوات والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شأنهم وان اريد به ارشادهم الى تحصيل احد المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخريين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية مترقبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهداية الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهوما داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله نفي الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه كما تحققته **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة

لان فسر التقوى بترك المعاصي مرتبة فقط عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل اما على الوجه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي التفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ المحذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى في انه جملة مسوقة لبيان اتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا منهما اتصافهم بالايمان وفروعه والجزائهم بالهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان كانا عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد تقول امنته وبالنقل تعدى الى اثنين تقول امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن هنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر واحواله

من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق
وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين
يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى
الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه
الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي
يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة
عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن
المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل
عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام
كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى
حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني
دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون
الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به
الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام
الا يرى ان الله تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا
الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم الله واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني
ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه صلى الله عليه وسلم قال لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت
اي عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن
الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان
خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا
ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم
المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق
من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه
واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا
او من حيث المعنى فقط اندراج خاص تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير
عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين
على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة
والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين بما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي

لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسط
العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمانين مما اشير اليه من الامور الغائبة
والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك
الامور الموقنين بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا
بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا
من الاخلاص الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي
يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها
على تغاير القبيلين وتباين السبيلين ولعله وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا
اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم
واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة
لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقفا
روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن
بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع
لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك
نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام
لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا
بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل وقد قرئ على البناء للفاعل وبالآخرة
هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى تيقنا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم اهل الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء
يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة
اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان
الى مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها
وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه
كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال
من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه
باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه
وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى
كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتفخيم الموصوف

والمضاف اليهم تشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستأنفة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة
تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا استجماع ما لاحظه
ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمتقين بما ذكر من النعوت
اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بتلك مما يكون لزمام اهل الهدى
الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير
الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير
كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استيناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين
فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هؤلاء شؤونهم احقاء بما هو
اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك
سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد
حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول
لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها
وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر آنفا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين
حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك خبره ويحمل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا
يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح • واولئك هم المفلحون • تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار
اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم
ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم
بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم لتكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب
فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون عطف عليه وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان
اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله غيرهم من المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة
من الترغيب في اقتفاء آثارهم والارشاد الى الاقتداء بسيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق • ان الذين كفروا •
كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم
في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي
في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين
به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال ناشئ من الكلام
المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث
لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون
في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب
هاد للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف
التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرها واعطاء
معاني الفعل المتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل

وخلافه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد
عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها
القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما
اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الى آخره والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع ولليل
كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي
غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار
بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ
لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي
سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم
لا يستدعي حدوث العلم • سواء • هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى الى كلمة سواء
بيننا وبينكم وقوله تعالى • عليهم • متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى • أانذرتهم ام لم تنذرهم • مرتفع
به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما
في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر قدم عليه
اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه نظرا الى حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم
والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرر معنى الاستواء وتاكيده كما اشير
اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي
الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد هاهنا التخويف
من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب
واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وقرئ
بتوسيط الف بين همزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن • لا يؤمنون • جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبنية لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق
فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين
بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا
من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي
القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا
الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما
لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة وتحصيل الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل سواء عليك
كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص

باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان
وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما
من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث
حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق
اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان شبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول
بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي
واما على طريقة التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت
هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة
وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل
من طرفي التشبيه مركبا من امور عديدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه مدار الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها
وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ تحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان ظاهرها دخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر
عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس شيء منها على الانفراد تجوزا باعتباره المجاز بل هي
باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها
التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها لولا وضعا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة
المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما
وضع له ذهب جمهور المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تطبيق الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها
من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما شبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخرى من قبيل
الاستعارة او سماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق
اليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها
سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك
واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها
ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد
لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية
لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك
في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل
وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتأكيد
والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية
لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله
يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة او القوة وقد يطلق عليها وعلى
الآلة الحاملة لها وهو المراد هنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان
جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على

على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع
شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها ولو حين
للناس عن اللبس واعتبار الاصل او لتعدد المصادر اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل وعلى ابصارهم
غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من غشاه اي غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
واللفافة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام
مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك
واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في اسناد الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب
الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة
وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة
والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا
فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني
عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة
كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتأكيد
ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة
التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين
ومن الناس شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا مقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد
بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتحديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالهم عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد
انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان
اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيس ثم قلبت الفا
سموا بذلك لنسيانهم وروي عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين
حسبما ذكر في الموصول كأنه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه
مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير موصوف هو المبتدأ كما في قوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم اي وما احد منا ومن في قوله تعالى من يقول
موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
الى آخره او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة
المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا ما اجيب عنه
بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيتخير ويتعجب منه او انه خبر
بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واما ما كان فالفائدة ظاهرة بل لان خبرية الظرف تستدعي
ان يكون اتصافهم بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط
الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على جزالة المعاني وكمالها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار
لفظ من وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله وباليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى
او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء للادعاء انهم قد حازوا الايمان
من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن

ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم تكن ذلك لما كان ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه
واجازوه فان جواز دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة
للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية اي لا تتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية
تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع
الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار
كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل
والاطلاق لان ما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من حس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك
ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان
من نطق بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون
او استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون
وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة
فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به
ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارس يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه ثم يخرج من باب
الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا
عن انفسهم ما يصيبهم من الكفرة واما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي
يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان نسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانة عليه السلام عنده
كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة
كمال الشناعة واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اتباعا صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم
الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخادعون الله والله يخدعهم او على حملها استعارة تبعية او تمثيلا فان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه
منهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام
والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان
المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم مقابلة خدعهم لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة
وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم
فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم
حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون
تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويملؤها
غرورا وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به
وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف
المفعول اما للظهور او للعموم اي ما يشعرون بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس
مختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت

استعير هنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك
الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار
عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر
فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه يتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة
بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازدادوا التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز
ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم
من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين
فقوله تعالى في قلوبهم مرض حينئذ استيناف تعليلي لقوله يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم يجاهرون بما في قلوبهم
من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف يضاعف هذه ما لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو
وجيع ووصف العذاب به للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما
ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون
الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب
كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان
فيما مضى لا انشاء الايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان
والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على ظاهرها على راي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر
ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب
عليه من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركهم للمجاهرين فيما ذكر
من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة
سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة
علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه
ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب
ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون
والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة اي بالذي
يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت
الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رايه ولذلك
قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق
واذا ظرف زمان مستقبل لزمها معنى الشرط غالبا ولا تدخل الا في الامر المتحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء
والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة
اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاد
والمعاش والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل
له من الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسيط بالاجنبي وان جعلت موصوفة
فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا اراءة للناصحين ان ذلك
غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون
اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد وتشير من كلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب

فهو اما كلام مستانف سيق لتقرير شناعتهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد
انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم
آمنا بالله وباليوم الآخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن
كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية
الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم
عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن
تعديد قبائحهم على اسلوب حكاية جناياتهم مفيدة لاتصافهم بكل واحد منهم من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا لا كيف لا وقوله عز وجل
الا انهم هم المفسدون ينادي على ذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث
سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة
الجملة
الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من
الا مصدرا بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح
وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى
ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين
وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خبائثهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما صح هذا التاكيد
والله اعلم بالصواب ● واذا قيل لهم ● من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد
آمنوا ● حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان ● كما آمن الناس ● الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف
اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني
الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان
وقد جمعهما من قال ● اذ الناس ناس والزمان زمان ● او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم ● قالوا ● مقابلين
للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان ● انؤمن كما آمن السفهاء ● مشيرين باللام
الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة
رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك
انفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة
ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم
على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام واشياعه واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل
ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام
والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك
فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام
والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به
في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه
ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فانه كلام ذو وجهين منهم محتمل للشر

على

على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى
الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا
الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما
آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا ● الا انهم هم السفهاء ● ولكن لا يعلمون
ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغ في تحقيقها حيث لا يدرون
انهم سفهاء وعن هذا النحو تلك تسترها في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو رأي الجمهور مناف لحالهم ضرورة
ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كونهم ناهين عنه من الافساد واصلاحا كما ظهر منهم للشقاق وبروز بمخاصمتهم من نفي النفاق والاعتذار
بان المراد ما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى
قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى التوسط
من يتصدى للاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين حالا لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه
يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها
كاذبون لا يعاشرونهم الا لمضارة الدين وخيانة المؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون يحتمل على الكذب
والانكار صدور الافساد عنهم بسوء اليهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم
وارادة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اودعه
في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون
لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق
والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي
يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة التي بلا يشعرون ● واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ● بيان لتباين احوالهم وتناقض
اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما سيق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا
لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال
ابن ابي انظروا كيف اردهم هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله
تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني
فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ واذا لاقوا ● واذا خلوا ● الى من خلوت بفلان
اي انفردت معه ويستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به
اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى ● الى شياطينهم ● لتضمينه معنى الانهاء اي واذا انهوا السخرية الى شياطينهم وانت خبير بان تضمينه
قولهم المحكي هنا ذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشياطين في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم
للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا
بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن معانيه بطل وقيل
هاج واحترق ● قالوا انا معكم ● اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم

مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم إحداث الإيمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه أو الثبات عليه إنما نحن في إظهار
الإيمان مستهزئون بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم
إنا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الإتيان بكلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا
جوابهم أنهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ بالشيء مصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الإسلام
فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات
على مكانه وتهزأ به ناقته أي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم أي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما للمشاكلة
في اللفظ أو للمقارنة في الوجود أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان وأما في الآخرة فبما روي أنه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيذان بأنهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين إلى غاية ظهرت شناعتها عند السامعين
وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم إلى أن يقولوا ما مصير أمرهم وما عاقبة حالهم وفيه أنه تعالى هو الذي يتولى أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة
بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل
والهوان مما لا يوصف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا أولا يرون أنهم يفتنون في كل عم
مرة أو مرتين وما كانوا خالين في أكثر الأوقات من هتك أستار وكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله
عز وجل يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدهم أي يزيدهم ويقويهم
من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالحبر والزيت وإسناده إليه تعالى على زيدهم مع أن ذلك
منوط بسوء اختيارهم لما أنه إنما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الآثام إليه تعالى كما في الأمثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الإمداد
وهو صريح في أن القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على أنه يستعمل باللام كالإملاء فالأصل يمد لهم ونعدله من العمر وحذف الجار وإيصال
الفعل إلى الضمير خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل أمر والمراد إفراطهم في العتو
وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي إضافته إليهم إيذان باختصاصه بهم وتأييد لما أشير إليه من ترتب
المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب أو المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى
في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وإسناد هذا المد إلى الله تعالى مع إسناده في قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي محقق
لقاعدة أهل الحق من أن جميع الأشياء مستندة من حيث الخلق إليه تعالى وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم
والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء النظم الكريم على مسلكهم ذهبوا إلى شعاب التأويل فأجابوا أولا بأنهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى
ومنعهم ألطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فأسند إلى الله تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الإسناد
عقلي لأنه إسناد الفعل إلى المسبب وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بأنه أريد بالمد في الطغيان ترك القسر والإلجاء إلى الإيمان كما في قوله تعالى
ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند وثالثا بأن المراد معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه أسند إليه تعالى مجازا لأنه بتمكينه تعالى
وإقداره أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا
كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره
قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جنايتهم بما حكي عنهم من الأقوال والأفعال
بإظهار سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه إليه وقد استعير
الأول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها به لا بذله لتحصيلها
كما قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لأخذ شيء بإعطاء ما في
يديه عينا كان كل منهما أو معنى للإعراض عما في يديه محصلا غيره كما قيل وإن استلزامه له من تتمته ومنه قوله أخذت بالجمة رأسا أزعرا
المسلم إذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لأخذها بدلا منه أخذا منوطا بالرغبة فيها والإعراض عنه كما يقتضي ذلك كون

ما يجري مجرى الثمن حاصلا لهم قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم إذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في أنهم بمعزل عن الهدى
مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بتعلق الاشتراء بها جنس الضلالة
الشاملة لجميع أصناف الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على أن اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان
المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك إنما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى
بل هو التمكن التام منه بتعاضد الأسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع
الجدوى ولا مرية في أن هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح وقد نبذوها وراء
ظهورهم وأخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد يأباه أن إضاعتها
غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع ما يؤيدها
من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يفضي إلى كون ذكر ما فصل من أول السورة الكريمة إلى هنا ضائعا وأبعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى
على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على أنه يستعمل اتساعا في إيثار أحد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر
فإنه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو
الأنسب بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا شاهدوه في التوراة من نعوته وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وإرم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سلف ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فإنها ضلالة مضاعفة فما ربحت
تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل
الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أي استشف فيها وأصاب الربح وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها
وهو لأربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم
وإيرادهما إثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة التي يتحاشى عنه
كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه
معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من ضرورات الترشيح أن يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها كما في قولك
رأيت أسدا وافي البراثن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا
من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لأصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه
جاش له صدري فإن لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية أو للفودين
أعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الأصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الأسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه
مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف إليهم
وما كانوا مهتدين أي إلى طريق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة
أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا
كلتا الطلبتين فبقوا خاسرين خائبين نائين عن طريق التجارة بألف منزل فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب
على الاشتراء المذكور والأولى عطفها على اشتروا وإلى تحريره مثلهم إلى آخره زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي
إلى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي إلى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وإبانة لفظاعتها فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله
من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الآبي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازها
في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الأصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل
ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم أطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك إلا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا

بالسير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ
بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
اي قصتها العجيبة الشأن كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا
نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة
لوصل المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع كاخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا
على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب الوقود اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة
فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد
اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما اضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها
فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي
هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى
فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال
مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به
للايجاز والامن من الالتباس كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلق الله واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به
تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل
له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي
لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما
اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى
من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضي الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي
ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى
مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد
والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبع لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق
او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها
الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة
مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع
لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه
ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لانهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا
ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات
التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية

وهذا غاية مغلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء لا ان المقدر في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن
هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون
الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير
تعرض لشعوري السمع والنطق والاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية
تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا
واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف
يرجعون الى ما ابتدؤوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة
الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية
لتركهم فالضمائر للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل
فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شأنه الامثال ويرخى في حلبة اطنابه اعنة المقال
ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في التمثيل الاول
تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او
للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الوعد صيب ولعل
الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لانه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد به من المبالغات
من جهة مادته الاصلية التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الدالة على الصوت المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة
وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان
بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا
وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل
المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال
ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع
ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات
هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الى آخره افاد ان للصيب ظلمة خاصة فضلا عن كونها غالبة
على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها
عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل
مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل
للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل
بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول
على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف
لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وعلا وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه
من القرية قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه

الى الالم المفضي الى الردى والالات حماة واثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامل فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايما الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على الوجه المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الى آخره وقوله عز وجل ‌**من الصواعق**‌ متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته ‌**حذر الموت**‌ منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدر ‌**والله محيط بالكافرين**‌ اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم حاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبهت الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة واما وسط بين احوال المشبه مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه ‌**يكاد البرق**‌ استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك ‌**يخطف ابصارهم**‌ اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آيبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في قوله قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم ‌**كلما اضاء لهم**‌ كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا بآذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء ‌**مشوا فيه**‌ اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما ‌**واذا اظلم عليهم**‌ اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويؤيده ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا

‌**قاموا**‌ اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى تتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي فرحون لما يصحح كلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ‌**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم**‌ كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط ودلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابرة واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما واما انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فساد السموات والارض لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في ان انتفاء اللازم من قبيل انتفاء الملزوم من حقيقة في الاول او ادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم انتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة يتعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا لوجود الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له كانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء لسبب آخر كالقمر مثلا ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة يتعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حق ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها بنت اخيه عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا وما في الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما تقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الآية وافراد في المشهور لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما اضاء الى آخره وقوله عز وجل ان الله

على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه
اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة
من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن
من الايجاد والاعدام الحسن وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير
هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان
شاء ابقاه على الوجود وابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه
ومعنى قدرته تعالى على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته
او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور الله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل
ان يكون من التمثيل المفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول
بالمستوقدين ونور ايمانهم الفطري بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءة
ما حولهم وازالته باذهاب النور وترديهم في الضلالة بمقابلته بانطماسهم في الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها وشبهوا في التمثيل الثاني
باصحاب الصيب والقران وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم
والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله
الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي
لا يتعرض فيه لتشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع
فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه به هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه بان ينتزع من المنافقين
واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية فيه هيئة تحاكيها
كل واحدة من الاوليين بانتزاعهما من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول
اجمالا مع امر زائد عليه وهو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة
يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه الى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه
من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة
منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها لقلوبهم
نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى
به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها
من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشأنه واي اسم مبهم
جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موضعه محلا
اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وكما ترى من استقلاله بهذه
الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع
وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية وتتلقاها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى
الحال المبالغة والتأكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام
للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين بعمومها شائعا وذائعا واما من سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر
من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح

في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله
تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضيته اختصاصهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين
قبل ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر
اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها مستلزم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها
فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل
والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القران من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا
ولا ينافي كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم
بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص في ذلك لكونهم في سوء
اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص به فلا جبر اصلا وانما لم يخصص الخطاب بالمشركين لوجه لطيف يقف عليه من قوله
وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم
صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب
على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل
اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتتميم لما قصد
من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم
وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان
شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول
الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم اللام بين المضافين في لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين
هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب
فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع
في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية
مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لاستحالة
التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها
برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل
استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين
للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا
سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل كما هو رأي من
على قاعدة الاعتزال لعدم جواز تخلف المراد عن ارادته فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه
بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال
في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير
من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة
جليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المأمور به

وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها
الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين
للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما
يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه واثباته عليه
ليحبه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل
توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب
العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف
عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين للتقوى
جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا
واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته تعالى على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة
الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم
وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو في محل النصب
على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك التزم
حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا
خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه
اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه
على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار
بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاذب اطراف النظم
الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم
فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا
والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماءة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم
بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب
ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه عليه الصلوة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاول
لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف
على الوجه الاول مع ان حقه التاخر عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام
بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة
قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها
متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة
ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول
بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا
من اخرج لانه بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت

ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى
ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق
اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق
بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شركاء
وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه
بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات
واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي
او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار
لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا
للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم
لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل بليت في بعض المرجوات كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي جعل لكم هذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له
شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت
ما فيه مع لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة المضمر كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المساوي
من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله
اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم
حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح
المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة
بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا مماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء
عما نهوا عنه هذا وهو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه
كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي
على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين
بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت في تخصيصه
بالكفرة في الامر والنهي خلاص من اشكال امر المكلفين وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا يجيء في امر التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة
لا محالة مع ما فيه من رفع محل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما في صدر
السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد
منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح ما ذكر
في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه
من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كان في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو
الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك
الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا لما

لما أشير إليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار
بأن ذلك إن وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك
هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية يأباه يوهم كونه محلا للريب
في الجملة وحاشاه من ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين أبعاضه وليس معنى
كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج
على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه إرخاء للعنان وتوسيعا للميدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة إلى إنكاره
فجعل ذلك من مبادي الاعتراف كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه
أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وإزاحة العلل وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة
إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام
وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيذان بأن الارتياب فيه ارتياب فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والأمر في قوله تعالى
فأتوا بها من التعجيز والفاء للجواب وسببية الارتياب للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن جزمهم بالقدرة فإنه
سبب للأول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه
سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيطة بطائفة من القرآن
مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط
حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول
والقصر فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب يرتقي إليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء
والقطعة منه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة
والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل
فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار التعجيز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم
حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهكم بهم بإباء ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتبعية التعجيز
وقيل هي زائدة على ما هو رأي الأخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما أن رجوعه إلى المنزل
يوهم أن له مثلا محققا قد ورد إلى المنزل عليه فإن مثله عليه السلام في البشرية والعربية والأمية يكون في الجملة خلا أن تخصيص التحدي بفرد
شاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة
فرادى أو مجتمعين مع أنه يستدعي عزل المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فإن مدار التحدي إنما هو ذلك وأن يحشدوا في حلبة
المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى ● وادعوا شهداءكم من دون الله ● ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل له في صفات
الكمال لا إلى مثله عليه السلام من أبناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من الشيء
يقال هو دون ذاك إذا كان أحط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل
في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم من غير ملاحظة انحطاط أحدهما عن الآخر فجرى مجرى أداة الاستثناء وكلمة من متعلقة بادعوا
لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله للاستظهار من حضركم كائنا من كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم
من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفزعون إليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم
المتولين لاستخلاص الحقوق وتنفيذ القول عند الولاة أو القائمين بنصركم حقيقة أو زعما من الإنس والجن ليعينوكم وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم
الدعاء في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى
لأجابهم إليه وأما في سائر الوجوه فللتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه
والالتفات لإدخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة
ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله إيذانا بأنهم يأبون أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة ما هو من الفساد وجلي الاستحالة وخفائه يؤذن بعدم تمحل

التحدي لا لأولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فيصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله شهيد أن ما ندعيه
حق فإن ذلك ديدن المحجوج وفيه إيذان بأنه أريد بما يدعون صحته ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وإن أريد مثلية
ما أتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء يدعون مماثلته وهذا محال مع ترددهم بين المثلية وعدمها وأنهم
ادعوا مستشهدين في ذلك بالله سبحانه إذ عند ذلك تمس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك
وما نبض لهم عرق ولا نبسوا [illegible] وأما متعلقة شهداءكم والمراد بهم الأصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالا
من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أي ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من
ابتدائية فإن الاتخاذ مبتدأ من التجاوز والتعبير عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من أنها [illegible]
وأنها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق فإن ما هو شأنه يجب أن يكون ملاذا لهم في كل أمر مهم وملجأ يأوون إليه في كل خطب ملم كأنه قيل
أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال عبادة ما لا أحقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنى مكان من الشيء لمعنى قدامه كما في قول الأعشى تريك القذى
من دونها وهي دونه أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا متعلقا بشهداءكم لتضمنه رائحة الفعل من غير حاجة
إلى اعتماد ولا إلى تقدير يشهدون أي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان
لما مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فإن ما تقوم بهذا الأمر في ذلك المقام الخطير حقه أن يعان
في كل مرام وفي أمرهم على الوجهين بما لا يستطيعون في معارضة القرآن الذي أخرس كل منطيق مجادل من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ليست بتبعيضية
لما أنهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض هاتين الجهتين كما تقول
جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف ويكون منصوبا على الظرفية
أبدا إلا إذا جر بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن تبعيضية أي ادعوا الذين
يشهدون لكم أن ما أتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومختصين بشهداء مغايرين لهم إيذانا بأن لهم أيضا لا يشهدون بذلك وأما
المضاف إلى الله تعالى رعاية للمقابلة فإن أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام كما أن ذكر الله تعالى يقابل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر
إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء لا ميل لهم إلى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم
المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور
إلى حيث لم يبق إلى إنكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لأولئك الشهداء وإيهام أنهم تعرضوا
للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا إلى استشهاد للمتحدى به إلى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ● إن كنتم صادقين ● أي في زعمكم أنه
من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله واستلزام المقدم للتالي
من حيث إن صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول
الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند المطاعنة والتعارض
ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به ● فإن لم تفعلوا ● أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم
في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة
إليه بناء على كمال ظهوره وتأكيدها على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل
والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجواب في الشرطية أعني الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول الفعل
نفس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصد به إيقاع نفس
ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص
ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون فلان يعطي ويمنع أي يفعل
الإعطاء والمنع ويرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان

مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومن عرضة التكليف استحضار منها من لم يكف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي
في تحصيل المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه معلقا بمفعوله تحقيقا لمطابقته
واعرابا عن مقصده بهذا وقيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها
حذرا من التكرار واما على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال المموه قرائن الحال وقد ترك ايثار كلمة ان
المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكما بهم ● ولن تفعلوا ● كلمة لن لنفي المستقبل
كلا الا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي
الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر
كيف لا ولو عارضوه بشيء مدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف ● فاتقوا النار ● جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية
عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا
من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتقاء منه عين الاتقاء منها
بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز
البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان سببا لاستحقاقكم
العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي ● وقودها الناس والحجارة ● صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك
والوقود ما يوقد به النار ويرتفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها
من الشدة بحيث لا تتشبث الا بالناس والحجارة لا كنار الدنيا تتقد بالحطب وما اشبهه من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف
صلة للموصول مقتضية لكون اتصافها بها امرا معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله
عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم
لا يستلزم كون جميع اياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فتبين لما ان المخاطب بذلك المؤمنون والظاهر انهم سمعوا ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم
حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية ● اعدت للكافرين ● اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه
وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واياهم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم
لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها
من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار
لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف ● وبشر الذين آمنوا ● اي بانه
منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على
عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد
بالوعيد وكان تغيير السبك لتحصيل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة
فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث
المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله
عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك
وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي تظهر به اثر السرور في البشرة
وتباشير الصبح اوائل ضوئه ● وعملوا الصالحات ● الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل
النقل والعقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة
منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق

انه

البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به ● ان لهم جنات ●
منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها
والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستره وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه من النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر
حينئذ ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط
نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها ● تجري من تحتها
الانهار ● في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها
فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق
اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار
من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها الجاري
مجازا عقليا كما في سال الميزاب ● كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ● صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى
لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة
كانه حين وصف الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة
على ان الرزق مقيد بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدا من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية
ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقع على فرد
معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تشير الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر
فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس
اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير المعروف ولتتبين لهم مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه
لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها
ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما
فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت
العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب
ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة
والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة
بان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه
في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب ● واتوا به
متشابها ● اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ● ولهم فيها ازواج مطهرة ● اي مما في نساء الدنيا
من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور
فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار

بان مطهرات طهرن وما سوا الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اعتناء الزوج يطلق على الذكر
والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج
اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارة لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يحمل ذلك باطلاقه
على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث
لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة
من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارة قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون
والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاؤها متعادلة في الكيفيات
متعادلة في القوى بحيث لا يعود شيء منها عند التفاعل على حالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى على الهيئة
منحطة فيما بينها اذ الا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض
الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمرضاتك وسهل علينا
النهاية من القصد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة
ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والعام الحجر والحامكانه البلغاء
من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل
واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي شيء الذباب والعنكبوت حتى يضرب الله
بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له مسكة ان ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير
بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود
في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته
للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال
في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط
التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد شاع الانجيل على الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء
اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب
او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحياة اشتقاق نسي وحشي من النسا والحشا يقال نسي الفرس وحشي
اذا اعتلت منه تلك الاعضاء وكان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وينتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته
واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله الا تستحيي منا الملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم
وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وكما انه اذا اسند اليه سبحانه يطلق لا بالنفي في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد
الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل تركه تعالى تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك ذلك حياء كذلك اذا نفي
عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب وصف الحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد
يوهم كون الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تقاضيه الدواعي
وتأخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا
يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل
وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في موارد ما خبر بها دون استعمالها

بعد ذلك في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو ما هو
اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق كما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب
قوالب يضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان
انشاؤها حينئذ كعامة الامثال التنزيلية فان مضاربها مواردها او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل
الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها وجعلها ضريبة لازبة لا تنفك عنها انما يتحقق بعد تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير
تعديه يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه
قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة
بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه
معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله
تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا
او على انها مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانها لما رد
استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي شيء فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه
المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة
واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما توهم والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او شيء فوقها حتى لا يضرب
بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل
دون التعيين والتخصيص فلا يحمل ما شرع له من التقرير ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني
الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ في الحجامة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما التي
خاصة استعمالها النكارة والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فان له تعالى
ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا مشى حرا على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكرها ذلك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز
الشوكة في الالم كالخرور وما يحتمل ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالخرور
ما حكي من الخرور فاما الذين امنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما دل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يخفى شأن
السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن
من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد يذكر جميعا وقد يقتصر على واحد
منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا الاما حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط
لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاخلال المعنى
اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق من ربهم كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا يسع للعقل انكاره
لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع
حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون

عند الجمهور وسد مفعوليه الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المدلول عن حكاية
اعترافهم موجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهور المغني
عن الذكر • واما الذين كفروا • ثم حكيت اقوالهم واحوالهم • فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا • اوثر يقولون على لا يعلمون
حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس مما يوجب الانكار والاستهزاء به
صريحا ومهد السداد لما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور
على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل
للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت
مبتدا وخبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجي جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء
فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه او القوة التي هي مبدؤه الاول مع الفعل والثاني
معه وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره
امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة
عن ترجيح احد طرفي المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير
للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة
في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم النسبة ادعاء انه من الدناءة والحقارة
بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز
من قائل • يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا • جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي
كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة
في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتحاشيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامها استواءهما
في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار
وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال
الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر
وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله
تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعلم كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد
في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث
الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه ياباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكريره
مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير التسجيل وتاكيده • وما يضل به • اي بالمثل او بضربه • الا الفاسقين • عطف على ما قبله وتكملة
للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتداء بل هو
تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج قال فسقت
الرطبة عن قشرها والفارة عن جحرها اي خرجت قال رؤبة يهوين في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج
عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا لها والثانية
الانهماك في تعاطيها والثالثة المشايعة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه

بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده ولم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما جعلوه قسما
بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين العاتون المارون في الكفر الخارجون
عن حدوده ممن حكى عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم
من القبايح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت
وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا
• الذين ينقضون عهد الله • صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل
والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالاخر فان شفع
بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له
كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس منبها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا
اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق
رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعني ظاهره او الماخوذ من جهة الرسل على الامم
بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه
قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظايره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذه
على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على جميع ذرية ادم عليه السلام على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه • من بعد ميثاقه • الميثاق اما اسم لما تقع به الوثاقة
والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام
وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني
ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال
الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب
وانذار الرسل • ويقطعون ما امر الله به ان يوصل • يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء
عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد
من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر يشان وكذا يقال له
شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر المشية ومحل ان يوصل النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى
• ويفسدون في الارض • بالمنع من الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه • اولئك •
اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك
الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد • هم الخاسرون • الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب • كيف تكفرون بالله • التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايراد ما عدد
من قبايحهم السابقة لزيادة السخط الموجب للمبالغة في التوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله كيف تكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس فيما توجه الانكار الى نفس الكفر
بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله عز وجل • وكنتم امواتا • الى اخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشئون
العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعما عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وقيل موضوعة

على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما
لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام
باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة • فاحياكم • بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب
فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحال اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا • ثم يميتكم •
اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة
العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه • ثم يحييكم • بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور واياما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر • ثم اليه ترجعون •
بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب فهذه الافعال وان كان
بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يصلح شيء منها لا ما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون
بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجب من وقوعه مع تحقق ما يصرفه عنه ... ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرابع سلك
ما يعرفون من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم به لكن بالفعل في ازاحة العلل والاعذار
والحيوة حقيقة في القوة الحساسة [illegible] كونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها
والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام • هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • تقرير للانكار وتأكيد له من جهة [illegible] المذكور من غير [illegible] عن سبكه مافيه مع اتحاد حكمهما المقصود
اياه لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق
بمعاشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح
لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها
في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها
على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم
يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل
من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام
مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فما اليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل
على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل • ثم استوى الى السماء • اي قصد
اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك
مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق
الارض ودحوها عن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية
بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات
لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وما روي
عن الحسن والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو • فسواهن •
اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاتمام
من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا عمر فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع
سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى • سبع سموات • كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول حال من الضمير

وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع
المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا
ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى • وهو بكل شيء عليم • اعتراض مقرر لما قبله من خلق السموات
والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها
وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد • واذ قال ربك •
بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية
من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام
ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل
وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما
وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه
على المفعولية بل على الظرفية [illegible] الحادث فيه بخلاف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام
كانه قيل له عليه السلام عقيب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم
هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المعطوف عليه هو اشكروا النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فمحذور
ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بما يوجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه لا امره عليه السلام بذلك [illegible] صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا اتجعل
ويأباه ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه
مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال ولا ريب في انه لا فائدة في التقييد بذلك الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا
وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز وجل • للملائكة • للتبليغ وتقديم الجار والمجرور
في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي
هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه
مقلوب من مألك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس
فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما جارية منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة
الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والمقربون وقسم يدبر الامر من السماء
الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس
الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كبير انه عليه السلام قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك
ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين
وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي
نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت
به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل
بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل

عشر الجن وهم

والملائكة الذين هم جبريل عليهم السلام لا يحصي اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك
الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم
منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحان من اله ما اعظم
قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين هم قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس انهم المختارون
مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم
من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء
الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة
والتابعين انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص قوله تعالى • اني جاعل في الارض خليفة • في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل
بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير
المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما
الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه يعد البتة والى ان
فاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك
ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى
خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة
واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول
الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه كما في قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول
الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي
فهي الصحة لو وقعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما سيفصله كأنه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعله في الارض خليفة واما ان حمل على انه
لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة قال العلامة الزمخشري
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه
ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك
التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول
واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقدم كما مر خلا انه لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه
روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد
اما آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من
او خلف يخلف فهو عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس
وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه
واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع • قالوا • استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا قالت الملائكة
حينئذ فقيل قالوا • اتجعل فيها من يفسد فيها • وهو اما من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني
محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرنا مثل ما في • لا تخلنا على غرائك انا • طال ما قد وشى بنا
الاعداء • بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر
مرارا والثاني بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره بماذا وقد جوز
كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة

الخالقة

الخالقة انما طعنه بدعوى احقيتهم منه لعصمتهم ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل بداره ان يخلف
لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شأن بني نوعه
الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه
غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يرشدهم
ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على
الله سبحانه ولا تشكيكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان
يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى
حسبما نقل من قبل او تلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر
ويسفك الدماء • السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما
الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق وانما عبر عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء
ويسفك من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها
غيره استخدم العصاة وانا المجتهد فيها كأنه قيل اتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا
والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم
من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراط سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير تحصل بذلك من علو
الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا
عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى
من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة
فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله
واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقه محذوفا اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما
لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث
النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع • قال • استئناف كما سبق • اني اعلم
ما لا تعلمون • ليس المراد بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه
عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد
فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام
بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه للمبالغة في ايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة
وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة
وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا
الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا اهل هو امر راجع الى محض حكم
الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز
لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية • وعلم آدم الاسماء كلها • شروع في تفصيل ما جرى
بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا للابهام وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرى
بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل

كما أشير إليه وإيراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا أفعل والتصدي لاشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت ألوان ذريته أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان أو مركبا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا إما الأول أو الثاني وهو مستلزم للأول إذ العلم بالألفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى فهو أكبر إشارة على الإعلام ولا بأس فإنهما إنما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لأن جبلتهم غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبر المعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إدراكا بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها أو يلقي في روعه تفصيلا أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى مختلفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن بينه جملة مطوية عطف عليها المذكور أي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه إلخ ● ثم عرضهم على الملائكة ● الضمير للمسميات المدلول عليها بالأسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها أي عرض مسمياتهن أو مسمياتها قيل إنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجا يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها ● فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ● تبكيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعداد ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه والإشارة على الإخبار للإيذان برفعة شأن الأسماء وعظم خطرها فإن النبأ إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم ● إن كنتم صادقين ● أي في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه من الإخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء ما في الأرض وأما ما قيل من أن المعنى في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وإن أول بأن يقال في زعمكم أني أستخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له مزية من جهة أخرى إذ لا تعلق له بأمرهم بالإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ● قالوا ● استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه أو لا فقيل قالوا ● سبحانك ● قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والألف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر وأما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل صرفه للضرورة وقيل إنه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الأول أسبحك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلو أفعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والإيقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني ننزهك عن ذلك تنزيها ناشئا عن ذلك وأرادوا به إظهار ما قالوه عن إذعانهم لما علموا إجمالا بأنه عليه السلام يكلف ما كلفوه وأنه يقدر على ما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا ● لا علم لنا إلا ما علمتنا ● اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه أي معناه لا علم لنا إلا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا لما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها أو مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بأن قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه وأشعروا بأن كونه من تلك الجملة غني عن البيان ● إنك أنت العليم ● الذي لا يخفى عليه خافية وهذا إشارة إلى تحقيقهم لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون ● الحكيم ● أي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما

يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة للأول وأنت ضمير الفصل لا محل له من الإعراب أو له محل مما يشاركه لما قبله كما قاله الفراء أو لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم على ما علمهم الله تعالى وما فهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكأنهم قالوا أنت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة على ما في الأرض وبناء أمر الخلافة عليها ● قال ● استئنافا كما سلف ● يا آدم أنبئهم ● أي أعلمهم وأوثر على أنبئني كما وقع في أمر الملائكة مع حصول المراد معه أيضا وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم السلام إبانة لما بين الأمرين من التفاوت الجلي وإيذانا بأن علمه عليه السلام بها واضح غير محتاج إلى ما يجري مجرى الامتحان وأنه عليه السلام حقيق بأن يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها أيضا والهاء مكسورة فيهما ● بأسمائهم ● التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها ● فلما أنبأهم بأسمائهم ● الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام للإيذان بتقرره وغناه عن الذكر وللإشعار بتحققه في أسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الأسماء في موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها والإيذان بأنه عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وأنه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل الذي ذكرها مع مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما أنبأهم بذلك ● قال ● عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الإجمالي واستحضارا له ● ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ● لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه وإيراد ما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافا إلى السموات والأرض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الأمور المتعلقة بأهل السموات وأهل الأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير إليه هناك كأنه قيل ألم أقل لكم إني أعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى ● وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ● عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها أي أعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم أتجعل إلخ وبما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم روي أنه تعالى لما خلق آدم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسره إبليس في نفسه من الكبر وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لزم التكرار وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لأنه أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها ● وإذ قلنا للملائكة ● عطف على الظرف الأول منصوب بما نصبه من المضمر أو بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا إلخ وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إيراده على منهاج ما قبله من الأقوال المحكية المتصلة به للإيذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار الملائكة في موقع الإضمار واللام للتبليغ وتقديمها مع مجرورها على المفعول لما مر مرارا وقرئ بضم تاء الملائكة إتباعا لضم الجيم في قوله تعالى ● اسجدوا لآدم ● كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله إتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة فقيل أمروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله وأداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل أمروا بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبلة لسجودهم

تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل ﴿فسجدوا﴾ عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله عز وجل ﴿الا ابليس﴾ استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود وقت الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخير ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه تعالى وبينهم عليهم السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تأويل نفخ الروح بحمله على ما تم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسفا عن ضيق المحال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فقالوا عند ذلك فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان في قوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما يحكى فيه من الامر التعليقي اثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام ليتدبروا في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستعظموا ما عسى يستبهم عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابية واسرار محجوبة طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال حين ورود الامر التنجيزي وحتم الامتثال وقد قالوا لو لم يجب ذلك ما قالوا ولما عاينوا او عدم ذكر الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل بوجه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة بكونه وحسن حاله مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه ما ذكروا فافاده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة

الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الى آخره بدل من قوله اذ يختصمون فما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الملائكة وآدم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال اذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء حينئذ فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر ﴿ابى واستكبر﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين ﴿وكان من الكافرين﴾ اي في علم الله تعالى او كان صار من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها واستدل بها على ان مخض الاباء والاستكبار كفر لا انهما مسببان له كما يفيده الفاء ﴿وقلنا﴾ شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا امر بتذكير نعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى ﴿يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾ للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع ﴿وكلا منها﴾ اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ﴿رغدا﴾ صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها ﴿حيث شئتما﴾ اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ﴿ولا تقربا﴾ بفتح الراء من قرب الشيء

بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه
هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما
النهي عن القربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها
احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ بكسر الشين وهذي الشجرة بالياء وتكسر شين الشجرة وما تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء
فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب
لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله
فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى
فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام
لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قدر من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في انه كيف توصل اليهما
بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معه وقيل ارسل
بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان
بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كله وقيل لهما وللحية وابليس على انه
اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو
حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو
اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق
به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين
هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي
مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة
قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام
للتشريف والايذان بعلية لتلقي الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة
على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر
شان آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع
على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به
الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان
مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع
بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته
عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رافة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا
والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة

والنجاة واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين
قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما
فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير
الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط
في زمان واحد كما في قولك جاءوا جميعا بخلاف قولك جاءوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم
من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التوكيد وقيل معرب
مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب كما هو معلوم وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة
والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية والتمكين من النظر
والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم
في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس
الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة للتعظيم وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدى الاول الشرعي
وبما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد
الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون
العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا
باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها
فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن
المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم
اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا باياتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى
اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرملة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا
للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها
وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له
وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وعدم جواز
كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على راي
من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام
يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم
الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال
ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشار اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة عم

وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب
وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء
واسرال بحذفهما واسرائل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيصهم
بالذكر والتذكير لما انعم او فوق الناس بنعمه واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب
تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى
والشكر قيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي سبق تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا
بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد
لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء
والاموال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم
واما ما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا
باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر
الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات ٥ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتأكيد
واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير
المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية
متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت افرد
الايمان بالقرآن بالامر به لانه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان
بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المواجهة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه
للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش واما ما يرى من المخالفة لها في جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة حقيقية
بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة
على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة
بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا
ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق التلقي
مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب
عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به وافراده مع ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر
خبرا من ضمير الجمع كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق
انطاق كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر
بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي
او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ

الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى
الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس
فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا واياي
فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية
الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم فيها بالرهبة المتناولة للفريقين
واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم فيها بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو
للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار
باستقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالآخر ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي
كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس
في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال
لتقييد النهي كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
اي صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا
مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة
وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي
لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه
الى الكل والهمزة فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر
كالمنسيات عن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا
في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يأمرون الناس
بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة
المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة
الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد وترك البر ومخالفة القول والعمل
افلا تعقلون اي اتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة
من حيث الكيف او الا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك
ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه ليحبسه عن الحركة سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
لانه يحبسه عن تعاطي القبيح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل
بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق
عن الوعظ روي انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة
تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الوعظ فحضره يوما
على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت تهدي الانام ولا تهتدي الا ان ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه

واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر
الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع باللين وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم
بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة
وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاءه ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بتقضيات احسانه اليهم او يتيقنون
انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون
العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية
للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع
قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وجعل خبر ان في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما
عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم
عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فما انتصاب
شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف
قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد
ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع
كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سميت الفدية لانها تساوي المفدي
وتجري مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع
الضرر كانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي
عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة
والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم
من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اي واذكروا وقت
تنجيتنا اباكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار
كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك
ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد

وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر
اي في ظاهره وحملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى
حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحدة بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه
ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض
لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر
مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك
هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك هذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك
فانبهك على اختلال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا
كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل
والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة
سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه واقبحه
بالنسبة الى سائره والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود او سبعين الفا
وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت
معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى
قوله تعالى بلاء محنة وبلية كون استحيائهم اي استبقائهم على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان
للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار
لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم
من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم
وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ
فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى
هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعضه
حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل
كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد به
فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر
الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق
بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم
ما غشيهم واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها
بالاذعان فلا تأثر اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون

وما هم يزدون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها
بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان
لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ ووعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي
من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال
من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي انتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما
قال عفت المنزل الخالي عفى من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو
متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون كي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل في الدعوى وقيل اريد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون كي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع
العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى باريكم اي الى من خلقكم بريا
من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ
المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية
منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة
وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر
على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون
عليهما السلام فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة
الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند باريكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع
على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير باريكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول
التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم باريكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان
ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام
قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك
النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل دعوتك
او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية او تكليمه اياه او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة
اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان
الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء
على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل
روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يجمع سبعين رجلا ويحضر
بهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره وينهاه وكان
كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب

المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز
ولا ريب في استحالته انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء
الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا
بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك
بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى موتا بل غشية لقوله تعالى
فلما افاق وانتم تنظرون اي اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث لما انه قد يكون
من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى
وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود
من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن
والسلوى مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة
القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم
على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة
وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي
السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير
لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية
منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا
اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول
الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا
في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في زمن موسى
سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة
من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء
على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار
بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة
حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم
وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول
موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق
وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم لجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء

والرجز في الاصل ما تعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة
واحدة اربعة وعشرون الفا ۞ واذ استسقى موسى لقومه ۞ تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم
العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير
والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه ۞ فقلنا
اضرب بعصاك الحجر ۞ روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب
عليه السلام فاعطاه موسى مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبريل عليه السلام ان احمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا
كيف لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا
عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ۞ فانفجرت ۞ عطف على مقدر يستدعيه الكلام
قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت ۞ منه اثنتا عشرة عينا ۞
واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها وهما ايضا لغتان ۞ قد علم كل اناس ۞ كل سبط ۞ مشربهم ۞ عينهم الخاصة بهم ۞ كلوا واشربوا ۞ على ارادة القول
من رزق الله ۞ هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت منه من الزرع والثمار ويأباه ان المأمور به
اكل النعم العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي
وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام
ولا تعثوا في الارض ۞ العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم ۞ مفسدين ۞ وقيل انما قيده لان العثي
في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح
راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا ۞ واذ قلتم ۞ تذكير لجناية اخرى
لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد ۞ يا موسى لن نصبر على طعام واحد ۞ لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة
ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا
فلاحين فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها المستمرة اطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء ۞ فادع لنا ربك ۞
اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة ۞ يخرج لنا ۞
اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر ۞ مما تنبت الارض ۞ اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي
في قوله تعالى ۞ من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ۞ بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة
الجار والبقل ما ينبت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم
وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه ۞ قال ۞ اي الله تعالى او موسى عليه السلام انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر
كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال ۞ اتستبدلون ۞ اي اتأخذون لانفسكم وتختارون ۞ الذي هو ادنى ۞ اي اقرب منزلة وادون
قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة ۞ بالذي هو
خير ۞ اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان
وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانها
لتحقق الاستبدال فيما هو من صورة المناوبة ۞ اهبطوا مصرا ۞ امروا به بيانا لدناءة مطلبهم واسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه

يقال هبط الوادي وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله
بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب ۞ فان لكم ما سألتم ۞
تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل
يناله كل احد بغير مشقة ۞ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ۞ اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم
وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر
اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم ۞ وباؤا ۞ اي رجعوا ۞ بغضب ۞ عظيم وقوله تعالى ۞ من الله ۞
متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا
احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة
ذلك ۞ اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم ۞ بانهم ۞ بسبب انهم ۞ كانوا يكفرون ۞ على الاستمرار
بآيات الله ۞ الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ۞ ويقتلون النبيين بغير الحق ۞
كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق
اذ لم يكن احد معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح
عنه قوله تعالى ۞ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۞ اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام
فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها وقيل كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت
الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم
كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات
والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ۞ ان الذين آمنوا ۞ اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون
بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم
نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا ۞ والذين هادوا ۞ اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا
تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
عليه السلام ۞ والنصارى ۞ جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او باسم من اسسها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقيل الجليل
واحد النصارى نصري كمهري ومهارى ۞ والصابئين ۞ هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال
لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل ۞ من آمن بالله واليوم الآخر ۞ اي من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق ۞ وعمل ۞ عملا ۞ صالحا ۞ حسبما يقتضيه الايمان ۞ فلهم ۞ بمقابلة ذلك ۞ ما ذكر
اجرهم ۞ الموعود لهم ۞ عند ربهم ۞ اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد
ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم الخ واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف
عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن
الثبوت مأمون عن الفوات ۞ ولا خوف عليهم ۞ عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ۞ ولا هم يحزنون ۞
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما
من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام
المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك
بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة

التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان وبيان ان تأخيرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين
في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر
قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين
والصابئين لا يتسنى فيهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فلا امر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم
قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم
او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه
ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا
الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود
والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم ان
ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت
اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا
او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم فأبوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا
المعاصي او تنجوا من الهلاك في الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد
صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي
الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة
من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه
مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت
فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا
لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة
فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم
بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت
لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد
ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكون وانهم صاروا
كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة
تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر
الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حولها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ
آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة

ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق
اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاي وقلب الهمزة واوا وقرئ
بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال
استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام
ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا
عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا
ادع لنا اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال
وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم كان حقه ان يستفهم بأي لكنهم
لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله مغايرة قال اي موسى عليه السلام بعدما دعا
ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والبا كورة
عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا
امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استئناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا
بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها
قال اي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قان وفي اسناده
الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده
وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته
واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استئناف كنظائره ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف
المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة
يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت
المعدودة ليست مخصصة للمأمور بها بل صادقة على افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر وتشابه
بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه
بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف
الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور
بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي
لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة
اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها

بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه [illegible]

اى لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر
قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق
لنا فى شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاولين فان ما جئت فيهما لم يكن فى التعيين لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة
فى المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد فى المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرى
الآن بالمد على الاستفهام و الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما فى فانفجرت اى فحصلوا البقرة
فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم
كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلى ومآله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد
ينتهى خيط اسهابهم فيها وقيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها روى انه كان
فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفى الشيخ وشب
العجل فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموا اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت حينئذ بالصفات المذكورة
وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف فى ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال فى اول الامر
انما يتم بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا اى بقرة كانت لخرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف فى ان المراد المامور به اولا هل هو المعينة او غير
البيان عن وقت الخطاب او المبهم ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم فى الامتثال وتماديهم فى التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم
الى الاول مستدلا بان الضمائر فى الاجوبة اعنى انها بقرة للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون فى السؤال ايضا كذلك ولا ريب فى ان السؤال
انما هو عن البقرة المامور بذبحها فيكون هى المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوا انها معينة خارجة
عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة بزعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم
تكن المراد من اول الامر هى المعينة والحق انها كانت فى اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال لانه ظاهر النظم الكريم
وذكر الامر بها من بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الى آخره وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله
عن سيد المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه
ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت
مراجعاتهم من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم
من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واسناد القتل والتدارء اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد دون تمام
من الفعل مع اسناده الى الغير اذكر واوقت فيكلم نفسا محترمة فادارءتم فيها اى اختصمتم فى شانها اذ كل واحد
منكم يدفع عن نفسه او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارءتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله
مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال
ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارءتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها
عبارة عن الرجل وتاويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغرها وقيل بلسانها وقيل
بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وهو اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه
قيل واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع
فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال
جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ
ولما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام
والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيى وقلنا
كذلك الى آخره فحذفت الفاء الفصيحة فى فحيى مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك حينئذ

يكن

للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول
بل ينتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله الموتى يوم القيامة
ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادة لعلكم تعقلون
اى لكى يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط
فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم
والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى
وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح
بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما ينكشف به الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة
عن الغلظ والجفاء والصلابة كما فى الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور
وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة
حادثة واما لان الاستمرار على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد
مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد
من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد
حرف الخطاب مع تعدد المخاطب اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهى كالحجارة
فى القساوة او اشد منها قسوة اى هى فى القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو
اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون
ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشبهها على ما ذكر من القساوة وتفريع التشبيه عليها
وجه الشبه فى قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما فى التصريح
بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين فى الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة وترك ضمير
المفضل عليه لامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة فى القساوة وعدم
التأثر واستحالة صدور الخير منها يعنى ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق
اى يتشقق فيخرج منه الماء اى العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اى يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية
ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعى الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو
منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون اشد منها قسوة لا محالة واللام فى لما
لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب
وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود
اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده
كما فى قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام
لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما فى افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اى الا تنظرون فلا تبصرون

فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى تسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم
فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة
لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على
المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ان يؤمنوا مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان
فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله يسمعون
كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله
تعالى وهم لكم عدو بعد قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين
المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه
لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه
اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون
كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
فلا بأس وثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء
اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في
وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على
على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التوراة
وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما
رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون
في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في اشارتكم على الله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل
وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه
او على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا
جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق
بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما سيق على سنه لا لمنافقيهم خاصة كما قيل
تحرزا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون
لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا والعاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد
القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت
النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم
اي البعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم
وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه اذ الخلو انما يكون
بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان
فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون
المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بما بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه
بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في

في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم متعلقة بالتحديث دون الفتح
والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد
يصدر عن عاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا
له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله
كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا
والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخص فجوز
ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده
الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تفعلون ذلك
فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه
للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى او لا يعلمون فانه الى آخره
تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب
بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ
كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون
اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق ومن جملته ذلك فيظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم
فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور
عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا بالتحديث به حتى تندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط
اولهم وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما
في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه
الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل تعلق
المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم
اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها
في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن الكتابة والعلم وقيل
الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي الى العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم
نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس
والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائعهم السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة
الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل
بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في
قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة
فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية

افعوله من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمنى في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعل اعلال سيد وميت ومعناها على الاول
ما تقدره الانسان في نفسه ويمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس
علم الكتاب اى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستنده الى الكتاب على زعم روساءهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقون ما يتلى
عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الامانى على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ما يلائمه الكتاب
فلا يساعده النظم الكريم • وان هم الا يظنون • ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم
فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الامانى واتباع الظن عقب ببيان حال
الذين اوقعوهم في تلك الورطة وكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم • فويل
هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البته فان اضيف
نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر كما قاله الاصمعي وقال الخليل الويل التفجع والويح
الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك
المعنى او بينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري
انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح
ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا خبره قوله عز وعلا • للذين يكتبون
الكتاب • اى المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزائغة • بايديهم • تاكيد لدفع توهم المجاز كقوله كتبته بيميني • ثم يقولون هذا
اى جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني • من عند الله • روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم
عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل الزائغ
الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف والتاويل • ليشتروا به • اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته • ثمنا • هو ما
اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو
وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات • قليلا • لا يعبا به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب
فويل لهم • تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه
في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل • مما كتبت ايديهم • تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما
موصولة اسمية والعائد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف • وويل
لهم مما يكسبون • الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض
لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل • وقالوا • بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله
عما قبله لكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب • لن تمسنا النار • في الاخرة • الا اياما معدودة •
قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم
العجل سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا
وروى الضحاك عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التوراة ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة
الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها • قل • تبكيتا لهم وتوبيخا • اتخذتم • باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج
وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء • عند الله عهدا • خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعونه لا يكون الا بناء على وعد قوي
ولذلك عبر عنه بالعهد • فلن يخلف الله عهده • الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا

الخالد

ثم القفول فقد جئنا خراسانا اى ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم
فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة
فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا
اعني اتخاذ العهد • ام تقولون • مفترين • على الله ما لا تعلمون • وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه
ما لا يعلمون وقوعه واما على التوبيخ باسنادهم مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير
فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له
لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير
كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال
من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا آلله اذن لكم ام على الله
تفترون • بلى • الجواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر
الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه
من الاشعار بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا او استفهاما • من كسب سيئة •
فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكبائر كداب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب
اليم • واحاطت به • من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه
خطيئته • التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف
بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطا
والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد
بالعرض لانها من الخطا وقرئ خطيئاته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون
كفرهم • فاولئك • اصحاب النار • خبره والجملة خبر للمبتدا والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه
بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبة النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك
الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبة النار في حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون
بما ذكر من كسب السيئة واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها في الاخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما هو موجبها
من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم
بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل
هم فيها خالدون • دائما ابدا فاني لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة
لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل • والذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة
لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى • واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل • شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا
لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم • لا تعبدون الا الله • على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون
وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح
النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف
قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الى اخره فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد

ح

للذات مثل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا
مبالغة وقرئ كذلك حسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة مما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا
التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكركلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة
لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانه استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف
منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف
من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية
اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض
واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ
منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الامر فان
المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية
وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير انه سبك اليه لما ذكر من نكتة
المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم
واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل
على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ
بحمله يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين
من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة
ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين مفاد الاول كون
المسفوك دماء او دماء المخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة
فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا
عده
سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم
تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان
ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة
اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله تعالى
تقتلون انفسكم الى آخره بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون
انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين
والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والافراد للحق بالكافين والتقليل المقصود
والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد المنافي حسبما نص عليه لا لتظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه
من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز
عن

عن توهم كون المراد اخراجهم عن ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول
والجملة في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتها وبالادغام وتظهرون
بطرح احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية
الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق
بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن اليه
القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر
اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم
من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا
ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة خلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم
عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان
وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال
السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للتساهل في امره بسبب قلة
خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج
لم ينقل عنهم مدارك القتلى بشيء من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر فيما سبق واما تأخيره عن الشرطية المعترضة
مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها
افتؤمنون ببعض الكتاب اي التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع
ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض حسبما يفيده
ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما وادخل ذلك ههنا باعتبار
الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب
وتؤمنون ببعض ولا الجمع بين كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال اتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس
فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه
صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم
حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والنكير المقيم وهو قتل بني قريظة
واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن
في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات
ايمانهم ببعض الكتاب والاظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالياء واوثر صيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوثر
الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل ما اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم
في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي
النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح
التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد اولئك الموصوفون بالقبائح وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين اشتروا

اي اثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكره من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيه والدنيويه • فلا يخفف عنهم العذاب • دنيويا كان او اخرويا • ولا هم ينصرون • بدفعه عنهم بشفاعة او جبر والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون تفسير لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها • ولقد اتينا موسى الكتاب • شروع في بيان بعض اخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس ان التوراة لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله لموسى عليه السلام فحملها • وقفينا من بعده بالرسل • يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام • واتينا عيسى بن مريم البينات • المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل • وايدناه • اي قويناه وقرئ ايدناه • بروح القدس • بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصف بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل عليه السلام وقيل الانجيل كما قيل في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وخصصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعضهم كانت تستفيد احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام • افكلما جاءكم رسول • من اولئك الرسل • بما لا تهوى انفسكم • من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شيء اخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم • استكبرتم • عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى • ففريقا • منهم • كذبتم • من غير ان تتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب • وفريقا • اخر منهم • تقتلون • غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وللتشويق الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من قتله عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري • وقالوا • بيان لفن اخر من قبائحهم على طريق بث مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام • قلوبنا غلف • جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا لا تصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا • بل لعنهم الله بكفرهم • رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته وخذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض لابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل اثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها • فقليلا ما يؤمنون • ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء سببية اللعن لعدم الايمان • ولما جاءهم كتاب • هو القران وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل • من عند الله • اي كائن من عنده تعالى للتشريف • مصدق لما معهم • من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف • وكانوا من قبل • اي من قبل مجيئه • يستفتحون به على المشركين ويقولون

اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسالون من انفسهم الفتح عليهم او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا • فلما جاءهم • تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى • ما عرفوا • عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى • كفروا به • جواب لما الاولى كما هو راي المبرد او جوابهما معا كما هو قول ابي البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الى اخره جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به • فلعنة الله على الكافرين • اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم • بئسما اشتروا به انفسهم • ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وياباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى • ان يكفروا بما انزل الله • اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به • بغيا • حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا للفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سياتي من ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل • ان ينزل الله من فضله • الذي هو الوحي • على من يشاء • اي يشاؤه ويصطفيه • من عباده • المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بالحسد للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره • فباءوا بغضب على غضب • اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم • وللكافرين • اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم • عذاب مهين • يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه السلام • واذا قيل • من جانب المؤمنين • لهم • اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ • امنوا بما انزل الله • من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقران لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله • قالوا نؤمن • اي نستمر على الايمان • بما انزل علينا • يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول الاول ان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القران لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل • ويكفرون بما وراءه • عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم على عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول

عند الإضمار رعاية لضوابطه تعسف لا يخفى والوراء في الأصل مصدر جعل ظرفا ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أي قالوا ذلك وهم يكفرون بما وراءه
وليس المراد به مجرد بيان أن إفرادهم الإيمان بما أنزل عليهم بالذكر لنفي إيمانهم بما وراءه بل بيان أن ما يدعون من الإيمان ليس بإيمان
بما أنزل عليهم بالذكر حقيقة فإن قوله عز وجل وهو الحق أي المعروف بالحقيقة الحقيق بأن يخص اسم الحق على الإطلاق
حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها إما ضمير الحق وعاملها فعل مضمر أي أحقه مصدقا
لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما أنزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال أنه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر
بما آمنوا به ومآله أنهم ادعوا الإيمان بالتوراة والحال أنهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله
من قبل بيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم بعد بيان التناقض في أقوالهم فلم أصله لما حذف عنه الألف فرقا بين الاستفهامية
والخبرية تقتلون أنبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين
في العقد والعمل كان الاعتراض على أسلافهم اعتراضا على أخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط
محذوف أي قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلأي شيء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ
أنبئاء الله مهموزا وقوله تعالى إن كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد أي إن كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم
وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما أثبت في الأخرى وقيل لا حذف فيه بل تقدم الجواب على الشرط وذلك
لا يتأتى إلا على رأي الكوفيين وأبي زيد وقيل إن نافية أي ما كنتم مؤمنين وإلا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات
من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم أي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان
والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فإن المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل أي إلها
من بعده أي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه إلى الطور فيكون التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة
على نهاية قبح ما صنعوا وأنتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته ووضعتم لها في غير موضعها
أو بالإخلال بحقوق آيات الله تعالى أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتكم الظلم وإذ أخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم
في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم أي واذكروا حين أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي خذوا ما أمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف
مبني على سؤال سائل كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد
مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من أخلافهم
الإيمان بما فيها وأشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة أي تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الإشراب كما في قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق
الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود إثر ما بين
أحوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به إيمانكم بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون
والمخصوص بالذم محذوف أي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم كما في قوله تعالى
إن كنتم مؤمنين فإنه قدح في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم من التوراة وإبطال لها وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين
فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا
وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر بتبكيتهم وإظهار كذبهم
في فن آخر من أباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفى بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث قيل إن كانت لكم الدار

الآخرة أي الجنة أو نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة أي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان
هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر أعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة
يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس أي سائر الناس أو للعهد أي المسلمين فتمنوا الموت فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق
إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له كما قال علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألقى الأحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة اليماني حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل ذلك جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني وقوله
إن كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط بل على اعتقادهم
أيضا وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا
كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته تعالى لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم
بما قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت
اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة والله
عليم بالظالمين أي بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس
لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الأرض ولتجدنهم
أحرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص
والتنكير في قوله تعالى على حياة للإيذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين
أشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس
للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص
المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بإنباء المعطوف عليه عنه
أي أحرص من الذين أشركوا فقوله تعالى يود أحدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون في حيز
الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المقدم على أن يكون المراد بالذين أشركوا اليهود لقولهم عزير ابن الله أي ومنهم
طائفة يود أحدهم أي كل واحد منهم لو يعمر ألف سنة حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر
إلا أنه أجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما في قولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود إجراء له
مجرى القول لأنه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد إلى أحدهم اسمها وبمزحزحه
خبرها والباء زائدة أن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه أي يبعده وينحيه من العذاب تعميره وقيل الضمير
لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر
على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه
قولهم فلان بصير بالفقه أي عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل
من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل
عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات هو رسولنا ميكائيل
فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله
فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه
وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس
اليهود وكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لشك في ديني

وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر
ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وجبرائيل كسلسبيل وجبريل كقمطرير وجبرائل وجبريل
وجبرعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله **فانه نزله** تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز
الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن واضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شأنه واستغناء عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر
من صفاته **على قلبك** زيادة تقرير للتنزيل وبيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية
كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة **باذن
الله** بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل
نزله وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** اي من الكتب الالهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى **وهدى وبشرى
للمؤمنين** والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا
مصدقا لكتابهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له
لان الاعتراف بها يوجب الايمان وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد
كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له **من كان عدوا لله** اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج
عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا
كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل **وملائكته ورسله وجبريل وميكال** وانما افردا بالذكر
مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف
منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان
وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله تعالى وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع
وقوله تعالى **فان الله عدو للكافرين** اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية
للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك مما لا يحتاج الى الاخبار
وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكل كميكل **ولقد انزلنا اليك آيات بينات** واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل
وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر
بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس انه
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية نعرفه فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون
المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **اوكلما عاهدوا عهدا**
الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه
في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله
عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه فريق منهم** اي رموا بالزمام ورفضوه
وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه **بل اكثرهم لا يؤمنون** اي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان
النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون بها سرا **ولما جاءهم رسول** هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم
من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية

مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم جاء على وفق نعته فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب**
اي التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مما كانوا يستفتحون قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان
عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم له عليه والمراد
باتيانها اما ايتاء علمها بالمدارسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة
عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ **كتاب الله**
اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة
واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخره وانما عبر
عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم
تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كما قيل كتاب
الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به
وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه **كانهم لا يعلمون** جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد
احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايماء الى ان علمهم به رصين لكنهم
يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم
عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم
بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جل اليهود
اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على جواب
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد
بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينافي عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف
على الجملة وقيل على نبذوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون
هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن
كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء
من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه عمل سليمان
وانه ما بلغ ما بلغ الا بسبب هذه الاشياء **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان
يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين** وقرئ
بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو
وكون ما بعدها مفردا **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحال
من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر
الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه
الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما مستأنفة وحسبما علمت ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون
الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة
تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون

يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد
منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اعتقدوا ان الافلاك والكواكب فاعلة مختارة لكنهم
قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية
فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر
اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله
سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي
ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن
فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة
فظاهر ان من يستعين به الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك
في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية
وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة
عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف على الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء
ويونس • وما انزل على الملكين • عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او هو نوع اقوى منه او على ما يتلو وما بينهما اعتراض اي اتبعوا ما انزل الى آخره وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله
للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر الناس لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت
ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة
اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم
وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك
ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا
الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا
عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء
فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت
مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها
ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا
فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجئا اليه ليشفع لهما ففعل
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما
وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل
والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا
ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر • ببابل • الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير
في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية
او للتانيث والعلمية • هاروت وماروت • عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن

هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت • وما يعلمان من احد • من مزيدة في المفعول به لافادة
تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام • حتى
يقولا انما نحن فتنة • الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما
نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر
احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى
عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان • فلا تكفر • باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية التعليم
ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بالنصح
والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل
على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله
تعالى وما انزل الى آخره نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة
السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا
لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائم
وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن المنكر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان البدل في حكم تنحية المبدل منه • فيتعلمون
منهما • عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الى آخره والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى
وما منكم من احد عنه حاجزين • ما يفرقون به • اي بسببه وباستعماله • بين المرء • وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد
الراء بلا همزة • وزوجه • بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة
الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعلمون فيزاد الناس
ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم • وما هم بضارين به • اي بما تعلموه واستعملوه من السحر • من احد • اي احدا ومن مزيدة
لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حمل الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل
وما يضرون من احد • الا باذن الله • لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم
السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان
نكرة لاعتمادها على النفي والضمير المجرور في به اي ما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا
من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم • لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا • ولا ينفعهم •
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بما كاد
من مدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن
ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه • ولقد علموا • اي اليهود
الذين حكيت جناياتهم • لمن اشتراه • اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف
والثانية لام ابتداء علقت علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى • ما له في الاخرة من خلاق •
اي من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له
خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الواحد ان جعل متعديا الى واحد وجملة ولقد علموا الى آخره مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الى آخره هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه
وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق جواب
القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما
• ولبئس ما شروا به انفسهم • اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئس ما باعوا به انفسهم السحر
او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا ويجوز ان يكون

المشرى بمعنى الاشتراء مما لا يستبدل به لان المشترى متعين وهو ما سلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ
كما اشير اليه فى تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله ● لو كانوا يعلمون ● اى يعلمون بعلمهم جعلوا غير عالمين لمين
لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا
على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا
ولو انهم امنوا اى بالرسول المومى اليه بقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخره او بما انزل اليه من الآيات المذكورة فى قوله تعالى
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول كفر بها ● واتقوا المعاصى المحكية عنهم ● لمثوبة من عند الله خير ● جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتشريف المثوبة
اى لشئ ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية
جوابا للو غير معهود فى كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وذوى
لمثوبة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه ● لو كانوا يعلمون ● ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم
العمل بموجب العلم ● يا ايها الذين امنوا ● خطاب للمومنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود
لا تقولوا راعنا ● المراعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المومنين ذلك
افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم يعنون تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام
الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى
بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا او لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المومنون
عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل ● وقولوا انظرنا ● اى انظر الينا بالحذف والايصال
او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل
اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعنا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به ● واسمعوا ● واحسنوا سماع ما يكلمكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا ما كلفتموه من النهى والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع
اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا ● وللكافرين ● اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا ● عذاب اليم ● لما اجترءوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد
لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ● ما يود الذين كفروا ● الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما وفيه كناية عن الكراهة
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان
يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه فى هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكى عنهم لوقوعه فى اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل
الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمومنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم فى ذلك ومن فى قوله تعالى
من اهل الكتاب ولا المشركين ● للبيان كما فى قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفى ● ان
ينزل عليكم ● فى حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل وللتصريح به فى قوله تعالى ● من خير ● هو القائم
مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والتنكير وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة
كما قيل يأباه وصفه فيما سياتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لان المدار لعدم ودهم
فى قوله تعالى ● من ربكم ● ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم و

وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية
من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبى صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم
ليس معنى خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب
وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة
الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وما كان
اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما فى شأن ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفى وداد المشركين له فردت كلمة لا لتاكيد النفى
والله يختص برحمته ● جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما فى قوله
سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال على كرم الله وجهه نبوته خص بها
محمدا صلى الله عليه وسلم والفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء واشارة على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى
ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور
اى يؤتى رحمته ● من يشاء ● من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا
لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى ● والله ذو الفضل العظيم
تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم
ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون
كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار فيهما منبئ عن توقفها على الاولى ● ما ننسخ من آية او ننسها ● كلام مستانف مسوق لبيان
سر النسخ الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقية الوحى ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت
حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة
والنقل يقال نسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النساء
اى نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ غير مول
وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى
غير بدل ● نأت بخير منها ● اى نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا ● او مثلها
اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب
والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التى عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح
وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه المصلحة فى حال تقتضى فى حال
اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام ● الم تعلم ● الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده
وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبى عليه السلام وقوله تعالى ● ان الله على كل شئ قدير ● ساد مسد مفعولى العلم
عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثانى محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته
تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول
قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم
فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال فى قوله عز سلطانه ● الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان واسناد
على انه تعالى له ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر كر
وانما لم يعطف ان مع ما فى حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفاية

في الوقوف على ما هو المقصود واما التقرير فمستعمل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض
لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين للامة ايضا
وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية
المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان
بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا
لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال علم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره
اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور فما مهملة لا عمل لها ولكم خبر مقدم
ومن ولي مبتدا مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقدمه واسمها من ولي ومن في قوله
لما ذكر من دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم
بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل
عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد
للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر
عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم
واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر
عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسألوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة
من علو الشان ان تقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا
يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل ساله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين
وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال
كما سألوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام
حتى يشبه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى
بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز
ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل
بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره وياخذه لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ
ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة
المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث
لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح
من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما
للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف
كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخره فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على الاولين باعتبار انهم من امة الدعوة
ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان تركهم صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب
هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما

بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال
حذيفة واما انا فقد رضيت بالله تعالى ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة
كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير
ود كثير ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم لسروا بذلك من بعد ايمانكم
متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل
سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل
من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة
تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة
قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما للممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا
علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود
اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او على علمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل
نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا انكم متمسكون
وهم متمسكون بالباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب حتى ياتي الله بامره
الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ
باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا
الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وان اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
او صدقة او غير ذلك اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير
لاهل الكتاب جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وليس مرادهم بذلك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه
لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد وبزل جمع بازل وافراد الاسم في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ
الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا
وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة
اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
فانه ليس مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله ائتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي
على طلب البرهان على اصل الدخول الذي تضمنه دعوى الاختصاص فان قوله تعالى بلى الى اخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه
مستلزم لنفي ما اثبتوه ولو ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ليتوهم لتكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول
على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا
اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ايذانا بحرمانهم
مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات دعاويهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان

حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحسب ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاحصاء حق
ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز من ابطله وهو كسبحانه من اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها
بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذى هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوى عزيمته الى شىء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا
واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل
فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف
وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان لتحقيق بطلان الامانى فان
بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع فى الضمائر الثلاثة
باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شىء
بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شىء اى امر يعتد به من الدين او على شىء ما
منه اصلا مبالغة فى ذلك كما قالوا اقل من لا شىء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شىء على الوجه المذكور
وكفروا بموسى والتوراة لا انهم قالوا ذلك بناء على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ما
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله
متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت والكاف فى محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة
القصر اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا
لاهل كل دين ليسوا على شىء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل
القول الذى سمعت مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود
والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان
مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم
وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الاى لا لكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار
واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها تشهد به العرف الفاشى
والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام
لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس ان طيطوس الرومى ملك النصارى
واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل
خرابا حتى بناه المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وانما وقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة
وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما قبلها من حيث ان المشركين من جملة الجهلة

القائلين لكل من عداهم ليسوا على شىء ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى
وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان او ان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة
ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون فى خرابها
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان
الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها
او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه بالاخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد
ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد
واختلف الائمة فى ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك
المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الاخرة عذاب
عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما ذكر
بعده من الخزى والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التى هى عبارة عن جهتى
المشرق والمغرب اى لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد
الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولوا اى ففى اى مكان فعلتم التولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد
خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط اى هناك جهته
التى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون اخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم
على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اى فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ
لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة
المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت اليهود لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن
شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير
بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه
اى اسبح سبحانه اى انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة
اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقيا به فبالغة من حيث اسناد البراءة
الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق لا اثباته له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السموات والارض رد
لما زعموه وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته تعالى لشىء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة
الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان اجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية
بدوامها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح
والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون اى منقادون لا يستعصى
شىء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشىء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
والاتيان بما المختصة بغير اولى العلم لتحقير شانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعضهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب
او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته كما قال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة

بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع
نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن
ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته
من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الى اخره وقرئ بالنصب على المدح
وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي من جوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد شيئا
كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر
ومنه قوله تعالى وقضى ربك الى اخره فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال
وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي
المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح لحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي زمانها
مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد
قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم
بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة
واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تعالى فلياتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا
الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة دالة على صدقك بلغوا
من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا
ما اتاهم من الايات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر
عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر
على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد
والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد
لطلبهم الاية وفي تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا
اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث
لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقران كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى
احق هو وقوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال
الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقران حال كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك
بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعقاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا فلا اجبار لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا
ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسال وما تسال وقرئ لا تسال على صيغة النهي ايذانا بكمال
شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر
والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت ولا الثانية
بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى
اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه
من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم والاجابة وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون

بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته وهذه حالهم في انفسهم
ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في انه
ما وقع جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما
كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي
يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت
اهواءهم اي ارائهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله
لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط
حرف النفي للتاكيد وهو من باب التهييج والالهاب والا فاني يتوهم امكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطاه اللام
واكتفي به عن جواب الشرط الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته
بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة
الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم
دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة واذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان
بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورته الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على العالمين
افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي
في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية
والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى
الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتاب اهواء زائغة
وان ما يدعونه من انهم على ملته فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الامجاد عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة
بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب النبي عليه السلام بطريق التلوين
اي واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا ما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا
ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء
تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيحكي
من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن
ينتمون الى ملته عن ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي
تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم
الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مبادي العادة كمن يختبر عبده ليتعرف حاله
من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي
الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة
على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم
لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة

المتحرز حيث كلفه اوامر ونواهي فظهر تحسن قيامه بحقوقها وقدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه
المعاملة وهذا كرما للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة ولا لاذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليست
مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة كيف وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم
عليه السلام كما سياتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال
طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق
وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر
ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل احد الله بهذا الدين
فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الى اخره وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات الى اخره وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه
بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجة قومه والصلوة والزكوة
والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام
الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب
بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن
اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه
الله تعالى ما ساله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل
قال على تقدير انتصابه باذ مضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة
المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكاية تمام السعي الى ما وقع بعدها كان مظنة ان يقال فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك
للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك
وعلى تقدير انتصابه باذ قال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الخ
والجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين اولهما الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واكده تنبيه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام
اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته
قال استئناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة
بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول ساكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك
لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل المصدر ربما يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذرأت والاصل
ذرووة او ذرؤوة فاجتمع في الاول واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثاني فاجتمعت واو وياء وسبقت احدهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية منهما والاصل في الاول ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق
احدهما بالسكون فصارت ذريية كالثاني فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذر بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة
بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذررة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي
الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ
بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق
لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام
بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان
الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل اشارة الى
الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين في سلك الظالمين المقتدرين بالائمة من الامة في سلك المحرومين

المحرومين في تفصيل كل فريق من الاطناب لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم
الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى
وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل
بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام ينال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل
اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعلى عدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى
واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل
معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او موضع
ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة
لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اي امنا كما في قوله تعالى
حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا
من حجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حسبما يخرج على ما هو راي ابي حنيفة
ويجوز ان يعم الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان وقد دخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم
بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو
عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على الاول
والاخير له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر فيه كما كان مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام
اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو
موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج كعرفة
والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما
امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله
عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي محققة فيهما ووجوب كونها فعلا
انما هو لدلالته على المصدر صريحا في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت
خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
او اي طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير اليهما عليهما السلام
لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده
اثر حكاية جعله مثابة للناس والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله
والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود
جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلين ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا
ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلصاه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان اللائق به غيرهم وان كانت مع مقارنتهم اقرب من
تلوثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا البلد امنا ذا امن كعبة
او امنا اهله كلما له ثم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم

انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع
وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا
اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال فلما انه
عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة
ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد
وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار
على سؤال الامن مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل
على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية
سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل
وارزق اهله من الثمرات ● من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل
كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الطائف كانت من ارض
فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى
نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام ● من آمن منهم بالله واليوم الآخر ● بدل من اهله بدل
البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه
في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب ● قال ● استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال ● ومن كفر ● عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى ● فامتعه
معطوف على ذلك الفعل او في محل الرفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا
للتمتيع المطلق لكن يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق
من كفر فانه ايضا مجاب كأنه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على ان رحمته الدنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة
الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ● قليلا ● تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ● ثم اضطره الى عذاب النار ● اي الزه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما
من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم
الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره
بادغام الضاد في الطاء وهي لغة من يكسر حرف المضارعة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس ● وبئس
المصير ● المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها ● واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ● عطف على ما قبله
من قوله عز وجل واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان
هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكأنها هي التي ارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساق
قاعدة لما يبنى عليها ورفعها بناؤها بعضها على بعض وقيل المراد رفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها
اولا ثم تبيينها ... ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطأة
مرتفعة عالية بالبناء روي انه عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم عليه السلام
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه

فتبعها ابراهيم حتى اتى مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة
فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان
والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان
ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي
تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات
والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروي عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا بيتا فخط جبريل فجعل آدم
يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا
اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه
السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق
في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين
الخاص والعام ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن
بكار في كتاب النسب ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل الجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها
في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم ● واسمعيل ● عطف على ابراهيم وفي
تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه
من طرفين ● ربنا تقبل منا ● على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ
والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب
على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ● ربنا تقبل منا ● والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل
دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية
● انك انت السميع ● لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا ● العليم ● بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل
لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما
واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لعرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم
عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء
وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب
الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الى آخره فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه
لذلك ● ربنا واجعلنا مسلمين لك ● مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب
الجمع ● ومن ذريتنا امة مسلمة لك ● اي اجعل بعض ذريتنا وانما خصهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا
بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين
وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا ● وارنا ● من الرؤية بمعنى
الابصار او المعرفة اي بصرنا او عرفنا ● مناسكنا ● اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة

وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس • وتب علينا • استتابة لذريتهما او حكاية عنهما لترغيب الكفرة في التوبة
والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما • انك انت التواب الرحيم
وهو تعليل للدعاء وللاجابة مثل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته • ربنا وابعث فيهم
اي في الامة المسلمة • رسولا منهم • اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي
صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي تخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام
يتلو عليهم اياتك • يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات • ويعلمهم • بحسب قوتهم النظرية • الكتاب • اي القران • والحكمة
وما تكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة • ويزكيهم • بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي
انك انت العزيز • الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة
المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود
المانع بالمرة • ومن يرغب عن ملة ابراهيم • انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح
والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء • الا من سفه نفسه • اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق
او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل
معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه
احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعى ابني
اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت • ولقد اصطفيناه في الدنيا • اي اخترناه
بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراض
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي والله لقد اصطفيناه وقوله تعالى • وانه في الاخرة لمن الصالحين • اي من المشهود لهم بالثبات
على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا او حالا
مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او سفه
او اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايراد الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين
لا انه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور
التي تشاهد اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر
في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اي وانه صالح
في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظها اعني في الاخرة نحو ذلك يعد صالحا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين • اذ قال له • ظرف لاصطفيناه ولما ان المتوسط
ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر
ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد
واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له • ربه اسلم • اي لربك • قال اسلمت لرب العالمين • وليس الامر على حقيقته
بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن
واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه

عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة
لا لنفسه وحده كما هو المامور به • ووصى بها ابراهيم بنيه • شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله
في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول
واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه
وقرئ واوصى والاول ابلغ • ويعقوب • عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه
يا بني • على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين مقدر بالقول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو
ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر
روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوانا ونفتونا ودونا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام
ان الله اصطفى لكم الدين • دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى • فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه
ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه
ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت • ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت • ام منقطعة مقدرة
ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام والشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء
والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين
ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام
باليهودية حسبما حكى عنهم واما تعميم الافتراء لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب بالذكر وما سيأتي
من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم الى اخره ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى
اذ قال لبنيه • بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه • ما تعبدون من بعدي • اي اي شيء
تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين
ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات
عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه
وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى • قالوا • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب
عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا • نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق • حسبما كان مراده
عليه السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية ابائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا
بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك • الها
واحدا • بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون
اعتراضا محققا لمضمون ما سبق • تلك امة • مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة
التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها • قد خلت • صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله
صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها • لها ما كسبت • جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال
من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة لا تتخطاها الى غيرها فان تقدم

المسند لوجوب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور • ولكم ما كسبتم • عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة
على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتم لا ما
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى
على هذا القصر على ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكسبوا كامل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج
الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس
لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس
باعمالهم وتاتوني بانسابكم • ولا تسالون عما كانوا يعملون • ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين
تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم
الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية واما جعل السؤال عبارة
عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل
كيف وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه • وقالوا • شروع في بيان فن
اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتاب على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب
حالهم للابعاد بهم من مقام المخاطبة عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين • كونوا هودا او نصارى • ليس مقول القول
مقولا لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت
اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فقض ما في النظم الكريم فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اعتمادا على ظهور المرام • تهتدوا • جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا • قل • خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل
لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه • بل ملة ابراهيم • اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام
وقيل بل نتبع ملته وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن
ملته اي اهل ملته • حنيفا • اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا اي اخوة • وما كان من المشركين • تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير
والمسيح ابن الله • قولوا • خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام مع اشراكهم برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم
الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا بمقابلة ما قالوا الحقا وارشادا لهم اليه • امنا بالله وما انزل
الينا • يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها • وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط • الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا
متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق • وما اوتي موسى وعيسى •
من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم
وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما
اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن
يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله
صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع واما بدل من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي
وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر
الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال
لا نفرق بين احد منهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل • ونحن له مسلمون • اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا
فان امنوا • الفاء للترتيب بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر نظمه لايمان اهل الكتاب بمثل ما اشتمل على

وما اوتي النبيون من ربهم ... لا نفرق بين احد منهم ... كما فعلته اليهود والنصارى

على ما هو مقبول عندهم • بمثل ما امنتم به • على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي بالذي امنتم به ويجوز ان تكون الباء للاستعانة على ان المؤمن
محذوف لظهوره بموردة انفا او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان امنوا ايمانا مفصلا اتيان فعلوا الايمان بشهادة مثل
شهادتكم وان تكون الاولى زائدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكون للملابسة
اي فان امنوا متلبسين بمثل ما امنتم متلبسين به او فان امنوا ايمانا متلبسا بمثل ما امنتم ايمانا متلبسا به من الاذعان والاخلاص
وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه
بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد • فقد اهتدوا • الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل
من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق فيأباه ان مقام
تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه • وان تولوا • اي اعرضوا عن الايمان على الوجه
المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم • فانما هم في شقاق • المشاقة
والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر
صورة او معنى ويوليه خلفه وياخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق
وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة جواب الشرط كما هي على ان المراد شقاقهم الحادث
بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك اما باول فاعلموا
انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الى اخره من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولا امكان له فلا امكان لاهتدائهم
ولا ريب في انه مما لا يليق يحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك
بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة
فقيل • فسيكفيكهم الله • اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل
بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك
وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاسات الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى
في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل • وهو السميع العليم • تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به
ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم
مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين • صبغة الله • الصبغة من الصبغ كالجلسة
من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهير المؤمنين من اوضار الكفر وحليته لهم
باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يتحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه في حيز قولوا انتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه
لكونه بمنزلة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله واما وسطها الشيطان وما بعدها عنها
الايمان الحق به الاسترداد ومسارعة الى تلقيه عليه السلام • ومن احسن من الله • مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله
تعالى • صبغة • نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما
اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الى اخره وحيث كان مدار التفضيل على الحسن
التحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى الابتهاج
• ونحن له • اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة • عابدون • شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف
على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون

فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون
والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء
عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية
وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة
ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية
ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا
داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء
على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون
والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ
على الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته
تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب
دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كأنه الزمهم على كل
مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم ومع عدم ملاءمته
لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه
من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان مدار الصلاح والسوء على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك
الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر لتجديد
تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق من
الكلام قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز وجل قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي
فان تكرير قال في الموضعين بتوسيط ما بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر
في محله اي كذبتم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف
تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده من الله وهي
شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار
وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول
مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر
من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها
فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر
من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون
السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك
اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخره مسوق من جهته
تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر

عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء
عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر
والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء
هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد قالوا ذلك انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة
وقيل هم المنافقون وهو الانسب لقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة
الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون انما قالوه كراهة للتحويل الى الكعبة طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون
رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس
اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض
في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر
لا لاقتضاء سلم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل لعدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم
والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة
للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها
بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها
واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود
فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه
واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى الكعبة وتعليق الانكار بتوليهم
عنها لا بتوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول واكثر سببا لا للايذان بان المنكر
هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحول عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى
او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك
كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة وفائدة الاخبار به قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حسبما وقع كما اخبر توطين النفوس
واعداد ما يبكتهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا
فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون غيرها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء ان يهديه هدايته بايعة للحكم الخفية
التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة
اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكمته ومصالح جمة وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بعد الخطاب المختص
بالرسول صلى الله عليه وسلم لما ان ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق
كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك
الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع
جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة
البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت
هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين الشهادة
التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعدل الذي طرفاه الجور
والجود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعفة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحمودة

باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب
سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق
الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة
واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة
كون الامة المهدية اليه وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل
لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وهي من مكرر من غاية للجعل المذكور
مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة الحاصلة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة
القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رئيسها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان
المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم رضوان الله عليهم اجمعين حاويا لشرائط
الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلم فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة
لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص
شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار
الحقيقة بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى
فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام
صناعي ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادة ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده
ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الموجودة الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلم كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة
الى الصخرة تأليفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس من ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الا الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها اولا وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم
استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ
من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار
بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك اليها الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه
والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلم والمؤمنين واسناده
اليه تعالى لما انهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة
من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها
نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام واصله وان هي لكبيرة
كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون
الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلم وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له

ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عليه السلم
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر
المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الى آخره ففي توجيه النفي
الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك
زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له
فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه
ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم
صافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد تكون مع الالم كقطع العضو المتأكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب
وجهك في السماء اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه
ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة
داخلة على قسم محذوف دل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها
وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية
بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية وقيل
او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه
وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعريض لاختلاف اماكنهم تأكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد
وحثا لامته على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وكون هي منصوبة على الظرفية كما في نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم
من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وتعاميهم لما في كتبهم من انه عليه السلم
يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول باتياء الكتاب وان مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد
على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد
لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغبهم
منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة يزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلم وقوله تعالى وما انت بتابع
قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا
ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد
قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان فيها ما هو بصدد ان يتبعه وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة

وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية
الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اى ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف
للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى واستفظاع له فان من ليس من شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرضه ما رتب من الانتظام
فى سلك الراسخين فى الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حقها
ان تتقدم او تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التى بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل
ولو بولغ فى التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء
عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اى علماؤهم اذ هم العمدة فى اتيانه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار
بعلية ما فى حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب فى قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد
ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا فى الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التى من جملتها انه عليه السلام
يصلى الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار
بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير اعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم او لما سبق الذى هو الوحى او القرآن او التحويل ويؤيد الاول
قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اى يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا تشتبه عليهم كما لا تشتبه ابناؤهم وتخصيصهم
بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضى الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى فقال ولم قال لانى لست اشك فيه انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه
واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم واما كفرهم على وجه التقليد الحق
بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبى صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذى يكتمونه
او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق
وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فى كتمانهم الحق عالمين به وقيل فى انه من ربك
وليس المراد به نهى الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اى لكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه وجهة اى قبلة
وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اى موليها وجهه والله موليها
اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ هو مولاها اى موليها فاستبقوا الخيرات اى
فاستبقوا الخيرات اى سابقوا اليها بنزع الجار كما فى قوله تعالى ... من سواكم فانى مهتد غير مال ... والمسارعة
لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى
الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر
على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر فى حالتى
السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اى ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك عند صلوتك
شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اى مكان خرجت اليه فول الخ وانه اى هذا الامر للحق من ربك اى الثابت الموافق
للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين
ومن حيث خرجت اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا
وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه اثباته على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين فى الآفاق

من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين فى الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم
من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحرى ان يؤكد امرها مرة غب اخرى مع انه
قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بالمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك
لئلا والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه
يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون
ما حول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء
حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما فى قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كالذى فى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا
بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشونى فلا تخالفوا امرى ولاتم نعمتى عليكم
ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اى وامرتكم بما امرتكم لاتمامى النعمة عليكم لانه نعمة جليلة وارادتى اهتدائكم لما انه صراط
مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه فى قوله عز وجل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وفى التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجى
على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اى واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم الخ
او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما لمسارعة الى الدلالة على التثبيت وفى الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن على
رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله
الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف الثانى متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة
اتماما كائنا كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا كنعمة قط وقيل متصل بما بعده
اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم
آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى
مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره فى قصة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن
تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث الشريفة
من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح فى ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف
تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم فى مقام يقتضيه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق فى الوحى
فاذكرونى الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر
مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لى ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين
آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا فى كل
ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التى من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية الى معالمهم والصلوة
التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر
لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة لم
الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم
المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمأمور به وان كان
الى ما يؤدى اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون

بجموتهم وفيه رمز الى ان الف عما يشعر بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الالم والوجع قلت رأيت في المنام سنة تسع وثلاثين وستمائة اني ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الآية
وما في سورة آل عمران واردد هما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فنبهني انا على ذلك اذ رأيت بانيهم قاعدا
في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدى منه ما فوق السرة وانا في القبر جلا اني
اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرأيته ينظر الى متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ما الى
فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها
مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن
وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما اقتضاه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا
ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك
فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب معانديهم وانما اخبر قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد
يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى
منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
ذلك على نفسه ويستسلم له والمبشر محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم
الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوة والرحمة المترتب
على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر
من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لتأخيره عما هو نتيجة لهما من اثر يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب لذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء
والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال افادة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا
والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر
الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وجب الظهر
السنة وجب تجرده عن التعلق فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء
في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعند مالك
والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر
نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع
ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه

من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين
معنى فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اي مجازي عن الطاعة عبر عن ذلك بالشكر
مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة
لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود
الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع
والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول
فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون
بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات
الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي الآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر
مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الى آخره وقيل المراد بالهدى
الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير
متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبييننا لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه
شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى الكتاب
والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلوة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله تعالى فويل للذين يكتبون
الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم
في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروع
والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه مدار
الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه
ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد
الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت التوبة
المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر منبئة عنها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى
وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه
من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن
فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض
لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك الامور مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر
المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنهم احياء
وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
ضرب عمرو كما قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الى آخره وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف
اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف
على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر

اليهم

نظر جهة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا يصح ان يسمى غيره الها اصلا
لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض ايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق العبادة
الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو مقرر للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها
ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحقق وحدانيته بالربوبية وانحصر استحقاق العبادة فيه
قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها
صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها
عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما وكون كل منهما
خلفا للاخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك
التي تجري في البحر عطف على ما قبله والمراد بها جنس السفن بان جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر
والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله
من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر
ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو
فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها
كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل
داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا به متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث
فيها الى آخره او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق شرائط المعهودة كما في قوله وان الذي سهم يسقي بها
ولكن على من صبه الله علقم اي علقم عليه وقوله تعالى لعل الذي اصعدني ان يردني الى الارض لم يقدر الحجر قادر على بغي فاحيى ما
الارض وبث به فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب
الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه
في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه
في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس
الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون
المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان ادخلت عليه اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة
على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون
العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن
تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد
من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا
عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد لها حتما من موجد قادر حكيم يوجدها حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة
الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ
من دون الله بيان لحال ما كان اراد المشركين اثر تعداد وحدته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة
ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى آخره ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة والاشارة
الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر
والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على

على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها والفعل منهما على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة
العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا
او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل باق
من صفته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون بالله تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا
كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار
المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم
وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير حينئذ ما سلف في
قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين
آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم المفضل عليه محذوف اي من
اشد حبا لله تعالى منهم لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود
بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما هو في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومبادي موهومة يزول بزوالها ولذلك كانوا
يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان
من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال
ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب
المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه وايثار صيغة الاستقبال لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان
القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص
القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة
عنه واما للايجاز في ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ رأوا العذاب حل بهم ولم يتقدمهم منه احد من اندادهم ان القوة
لله تعالى جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله
شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع
بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت
بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وضمير الجمع عائد
على تبرأ والضمير للمتبرئين والمتبرأ منهم جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز
عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرأ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة
اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء
آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف
مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة
فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى
ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار
كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام النفي وتأكيده والضمير للدلالة على قوة امرهم
فيما اسند اليهم كما في قولهم هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها

من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف
وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال
من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاول
قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وتزهدوا
قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة لان تحريم الحلال
على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي يلائمهم ما في سورة المائدة من قوله
عز وعلا يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي
وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي
اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر
ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا حزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم هذا
وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم
وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه
واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع
المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة
تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساويهم على نهج المباثة
اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اي وجدناهم عليه
اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا الى التقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد
وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا الضمير لما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام
وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان
آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان
انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات
او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته
او انتفاؤه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك
احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه فيتنوع نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد
الا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان المقصود بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به
وان ما في خبر لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه
على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار
مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في خبر لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل القصد
بيان انه امر محقق لانه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة

جبلة الحمق فركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا
بعيدا فلأن يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الى الصواب
ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كأنه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم
عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها
هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كونهم جاهلين ضالين
فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة
النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه
فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو
الذي تعلق به يتبعون لم تخلف الحال فيهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي
عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو يقتضيه الكلام السابق
اعني قولهم بل نتبع الكلام السابق الى آخره واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه
كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع وتقييده مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سلف تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين
وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير
ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم
بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر
من دعوتهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي
الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي
وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عما يشعر به مع ما في حيز الصلة
صلتها هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه
الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا يغني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام
بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما شبه به افراد الطرفين صم بكم بالرفع على الذم اي هم صم بكم عمي فهم لا يعقلون شيئا
لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمعاني ومنه
مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى
لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال
من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له
وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت وان كان لغيره
فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا
لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله تعالى فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار
كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي
من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به
اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر التعبير عن ذلك بالشرى الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة

الصلة

الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تميز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه
وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة
مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الى آخره ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل يوم القيامة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم
متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض
بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص او متعلق بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه على حرف الاستثناء والا فتعلقه بيأكلون يؤدي الى قصر
ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم
مما يكون للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى المسند اليه
بعنوان الاعتبار المذكور خاصة لا مع ما تلاه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة
بصورة قبيحة تنفر منها الطبائع ولا يستعظمها عاقل اصلا مساسا مع الحكمة ما نبذوه وراء ظهورهم لكنه مما اخذوه فلا بد من قطعه ببيانه وهو مبتدأ خبره الموصول
اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة
التي ليس مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلته شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة
العذاب الذي لا يسومهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي تتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التي
هي ملابستهم بما يوجب النار الجاء بطيبة كأنه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة بمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب
خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية ما بعدها خبرها اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة
وقيل موصوفة ما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله
نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالكذب او الكتمان قد ركب متن الجهل والغواية ويبتلي بمثل هذا
من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية
بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق
او الاختلاف فيما بينهم او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكى عن المفترين لفي شقاق بعيد عن الحق
والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتاب
فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب
مع تأخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا
بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التولي الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها
كما في قوله سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول
وانما اخر ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية لان في الاسم
طولا فلو روعي الترتيب المعهود لتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب
ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما تفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله
وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق
ان يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله
وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون
لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتاب حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق
والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن
بهم بانهم عباد مكرمون متوسطون بينه وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده القرآن العظيم
الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة

بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين ورعاية ترتيب الوجود ويتسلى في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين
سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفخر وفيه
نوع تعريض لباذل الرشى وآخذيها بالتغيير والتحريف وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله
الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لتجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا
وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل
ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها واياما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين
او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما في للظرفية المنبئة عن تحليتهم بما اوتوا وأقام الصلوة
اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد
بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال
ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية بين الناس
وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير معطوف على ما قبله اظهارا لفضل
الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله فان القطع اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك
قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما في صدر البيت وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين
في البأساء اي الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة
الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم
الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه بشأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم
والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بالايمان بما فصل والى الثاني بايتاء المال والى الثالث باقامة الصلوة الى آخره ولذلك وصف
الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين
وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب
انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأمرهم ان يتباوءوا
وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي رحمه الله ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق
وقد رأيت الوجه ههنا وانما تمسك في ذلك هو ومالك بما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قص علينا
من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انه شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما مستويان فيهما وقرئ

على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفى لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو
بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهي شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا بمعنى تركه بل اعفاه وجعل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه
كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المعهود الى ما ليس
فيهما ولا في استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا كما ذكر من قبل وعفي يعدى بعن الى الجاني والذنب قال تعالى عفى الله عنك وقال
عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما من
كونهما من بني آدم عليه السلام ليحرك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي
ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها بان من غير مماطلة وبخس
ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو
والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا
الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار
ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل الضد وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل
على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون
غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل
المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال
من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة
عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة
في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة
اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنى نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده
عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد
آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب آخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم
تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما مر عند ابتداء المفعول اذ كلمة الايجاب والالزام لا يصلح للعمل فيما تقدم عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة
بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحية النسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان كتب
عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالآن قد رفع
ذلك الحكم عنكم وتولى بنفسه بيان استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة
ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا حسبما تعرب عنه الجملة المعقبة لما في آية المواريث وتصديرها بكلمة الا اذ بذلك ظهر ان ذلك انما يحصل من آية المواريث
لا انه تعارض بل تخصيص ويؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوحى الله تعالى عليهم وعن الحسن وكذا ابو مسلم
ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها تنبيه النبي صلى الله
عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ

لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسليم الخروج
عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا اشتباه فيه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه اي بعدما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه
اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا او خالفوا حكم الشرع ووضع الموصول موضع الضمير الراجع
الى من للتأكيد والايذان بعلية ما في حيز الصلة للاثم وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم
لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء
وقرئ من موص جنفا اي ميلا بالخطأ في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة
فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة
لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء
لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم
وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل
غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجاما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس
كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام
الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة
او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم وفيه تأكيد
للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت
والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون
وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل
واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان
فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداءه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم
او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اي صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا
وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للكتب بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان
منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح برمز الى ان من سافر في اثناء اليوم
لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف معه بالظهور وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين
يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه واصلهما يتطيقونه ويتطوقونه
من فيعل وتفعل من الطوق فادغمت التاء في الياء والواو بعد قلبهما ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه
او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية

تكم

او من يطوع الخير او منهما او من التأخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ● ان كنتم تعلمون ● اي ما في
مع تحمل المشقة الافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم
والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك ● شهر رمضان ● مبتدأ خبره ما بعده او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او بدل
من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس واشتقاقه
بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القد
الذي انزل فيه القرآن ● خبر المبتدأ على الوجه الاول وصفته على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ انزاله فيه
وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل في شأنه القرآن
وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه
والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ● هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ● حالان من القرآن اي انزل حال
كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ● فمن شهد
منكم الشهر ● اي حضر فيه ولم يكن مسافرا فوضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ
معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام
في ذلك الشهر فمن حضر فيه ● فليصمه ● اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ● ومن كان مريضا ● وان كان حاضرا فيه مقيما ● او على سفر
وان كان صحيحا ● فعدة من ايام اخر ● فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه
كما نسخ قرينه ● يريد الله ● بهذا الترخيص ● بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ● لغاية رأفته وسعة رحمته ● ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هديكم ولعلكم تشكرون ● علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هديكم ويجوز ان يكون معطوفا على علة مقدرة مثل
ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الى آخره ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيمه
تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والموصول اي على هدايته اياكم او على الذي هديكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد
واذا سألك عبادي عني ● في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله ● فاني قريب
اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت ● اجيب دعوة الداع اذا دعان ● تقرير للقرب وتحقيق له ووعد
للداعي بالاجابة ● فليستجيبوا لي ● اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم ● وليؤمنوا بي ● امر بالثبات على ما هم عليه
لعلهم يرشدون ● راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام
بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه
ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال ● احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ● روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال
فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث
وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر بقي النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن
هن لباس لكم وانتم لباس لهن ● استيناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن

وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت
فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور ● علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ● الاختيان ابلغ
من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
فتاب عليكم ● عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه ● وعفا عنكم ● اي محى اثره ● فالآن ● لما نسخ عنكم التحريم
باشروهن ● المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة
وابتغوا ما كتب الله لكم ● اي اطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة
في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم ● وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ● شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل
بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود فلم يزالوا
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ● ثم اتموا الصيام الى الليل
بيان لآخر وقته ● ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ● اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي فيه حرام ومفسد له
لان النهي في العبادات يوجب الفساد ● تلك حدود الله ● اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى للعباد ● فلا تقربوها ● فضلا
عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع
حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله محارمه ومناهيه ● كذلك ● اي مثل ذلك التبيين ● يبين الله آياته
الدالة على الاحكام التي شرعها ● للناس لعلهم يتقون ● مخالفة اوامره ونواهيه ● ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ● نهي لأكل بعضهم
اموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرف او الحال من اموالكم ● وتدلوا بها الى الحكام ● عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا
حكومتها الى الحكام ● لتأكلوا ● بالتحاكم اليهم ● فريقا من اموال الناس بالاثم ● بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين
بالاثم ● وانتم تعلمون ● انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض
ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية
فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال
اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه ● يسألونك عن الاهلة ● سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال
يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ● قل هي مواقيت للناس والحج ● كانوا سألوه عليه السلام
عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة لام
والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ● كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب
او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر ● ولكن البر من اتقى ● اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم
سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا
تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال كونه من قبيل دخول البيت

من ورائه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ إذ ليس
في العدول بر او باشروا الأمور من وجوهها ﴿واتقوا الله﴾ في تغيير أحكامه أو في جميع أموركم أمر بذلك صريحا بعد بيان أن البر من التقى إظهارا
للزيادة اعتنائه بشأن التقوى وتمهيدا لقوله تعالى ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لكي تظفروا بالبر والهدى ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي جاهدوا
لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لإبراز كمال العناية بشأن المقدم ﴿الذين يقاتلونكم﴾ قيل كان ذلك
قبل ما أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة جميعا فإن الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء
فخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وبعضده إيراده في أثناء بيان أحكام الحج ﴿ولا تعتدوا﴾
بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم
﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ أي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم
وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما أو عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود
﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ أي المحنة التي
يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم
لكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ أي لا تفاتحوهم بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام
﴿حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم﴾ ثمة ﴿فاقتلوهم﴾ فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لأنهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا أشد العذاب وفي العدول
عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا
بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد ﴿كذلك جزاء الكافرين﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم ﴿فإن انتهوا﴾ عن القتال والكفر بعد ما
رأوا قتالكم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم ما قد سلف ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك ﴿ويكون الدين لله﴾ خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب ﴿فإن انتهوا﴾ بعد مقاتلتكم عن الشرك ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أي فلا تعتدوا عليهم إذ لا
تظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم
إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة أيضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر
الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ﴿والحرمات قصاص﴾ أي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة
شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم إن قاتلوكم كما قال تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم﴾ وهو فذلكة مقررة لما قبلها ﴿واتقوا الله﴾ في شأن الاقتصاص واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم ﴿واعلموا أن الله
مع المتقين﴾ فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ أي لا تمسكوا كل الإمساك ﴿ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة﴾ بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإن ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم
ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء
وتعديته بإلى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلاك والهلك
واحد أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول ﴿وأحسنوا﴾
أي أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على الفقراء ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ أي يريد بهم الخير وقوله تعالى ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ بيان
لوجوب إتمام أفعالهما عند التصدي لأدائهما وإرشاد للناس إلى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الإحصار ونحوه
من غير تعرض لحالهما في أنفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل فإنه بيان لوجوب مد الصيام
إلى الليل من غير تعرض لوجوب أصله وإنما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما أن وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس

حج البيت الآية فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمرا بأصله ولا مستلزما له أصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا
وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بشهادة قراءة وأقيموا الحج والعمرة وأن الأمر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل
مما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصورا على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق أن تلك القراءة أيضا محمولة على المشهور
ناطقة بوجوب إقامة أفعالهما كما هي من غير تعرض لحالهما في أنفسهما فالمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى
من غير إخلال منكم بشيء منها وقد قيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم
وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما
بشيء من الأغراض الدنيوية وأيا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة أصلا وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
إن العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه لمن قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما هديت لسنة نبيك وفي رواية أهللت بهما
جميعا فبمعزل عن إفادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن
أن تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر ﴿فإن أحصرتم﴾ أي منعتم من الحج يقال حصره العدو وأحصره
إذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده وأصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فإذا أمنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض عند أبي حنيفة رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل ﴿فما استيسر من الهدي﴾ أي فعليكم أو فالواجب ما استيسر أو فأهدوا ما استيسر والمعنى أن المحرم
إذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر وعندنا يبعث إلى الحرم ويجعل للمبعوث
بيده يوم أمار فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ أي لا تحلقوا حتى تعلموا
أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه
حلا كان أو حرما ومرجعهم في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف
الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي جمع جدية وقرئ من الهدي
جمع هدية كمطي ومطية ﴿فمن كان منكم مريضا﴾ مرضا محوجا إلى الحلق ﴿أو به أذى من رأسه﴾ كجراحة أو قمل ﴿ففدية﴾ أي فعليه
فدية إن حلق ﴿من صيام أو صدقة أو نسك﴾ بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة
لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع
﴿فإذا أمنتم﴾ أي الإحصار أو كنتم في حال أمن وسعة ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ أي فمن انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في أشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج ﴿فما استيسر من الهدي﴾
أي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو دم نسك كالأضحية
﴿فمن لم يجد﴾ أي الهدي ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي في أشهره بين الإحرامين وقال الشافعي رحمه الله في أيام الاشتغال بأعماله بعد الإحرام
وقبل التحلل والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ أي نفرتم وفرغتم
من أعماله وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله أو إذا رجعتم إلى أهليكم وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام ﴿تلك عشرة﴾ فذلكة
الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فإن
أكثر العرب لا يعرف الحساب وأن المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك أيضا ﴿كاملة﴾ صفة مؤكدة لعشرة
تفيد المبالغة في المحافظة على العدد أو مبينة لكمال العشرة فإنها أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدي ﴿ذلك﴾ إشارة إلى التمتع عندنا وإلى الحكم المذكور عند الشافعي رحمه الله ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك
﴿واتقوا الله﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه لا سيما في الحج ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان
وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة ﴿الحج أشهر معلومات﴾ معروفات بين الناس هي

عمرة

أي وقته

شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
من شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر
في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء • فمن فرض فيهن الحج • اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي • فلا رفث
ولا فسوق • اي لا جماع او لا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل السباب والتنابز بالالقاب
ولا جدال • اي لا مراء مع الخدم والرفقة • في الحج • اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار
بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة
القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا
بان يقفوا ايضا بعرفات • وما تفعلوا من خير يعلمه الله • فيجازيكم خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر • وتزودوا
فان خير الزاد التقوى • اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس • واتقون يا اولي
فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤوا من كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب • ليس عليكم جناح ان تبتغوا • اي
في ان تبتغوا اي تطلبوا • فضلا من ربكم • عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت • فاذا افضتم من عرفات • اي دفعتم منها
بكثرة من افاض الماء اذا صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه علمية وتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة مع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي عليه السلام الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج
او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق • فاذكروا الله • بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين
عند المشعر الحرام • هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي عن جابر انه عليه السلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر • واذكروه كما هداكم •
اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة • وان كنتم من قبله • من قبل ما ذكر
من هدايته اياكم • لمن الضالين • غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كما في
قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين • ثم افيضوا من حيث افاض الناس • اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به ادم
عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه • واستغفروا الله • من جاهليتكم في تغيير المناسك
ان الله غفور رحيم • يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه وهو تعليل للاستغفار او للامر به • فاذا قضيتم مناسككم • عباداتكم المتعلقة

بالحج وفرغتم منها • فاذكروا الله كذكركم اباءكم • اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخرهم
وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم • او اشد
واما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية
من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم • فمن الناس • تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين • من يقول
اي في ذكره • ربنا اتنا في الدنيا • اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة • وما له في الاخرة من خلاق • اي من حظ ونصيب لاقتصار
همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية • ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة • هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير • وفي الاخرة حسنة • هي الثواب والرحمة • وقنا
عذاب النار • بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار
المراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار • اولئك • اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة
الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى • لهم نصيب مما كسبوا • على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع
اي لكل منهم نوع نصيب من جنس • ما كسبوا • او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء
كسبا لما انه من الاعمال • والله سريع الحساب • يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة
من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات • واذكروا الله • اي كبروه
في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها • في ايام معدودات • هي ايام التشريق • فمن تعجل • اي استعجل النفر
او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل • في يومين • اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس واليوم
بعده فنفر اذا فرغ من رمي الجمار • فلا اثم عليه • بتعجيله • ومن تاخر • في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند
بعده فقط • فلا اثم عليه • بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا
بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر • لمن اتقى • خبر لمبتدا محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم
عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما • واتقوا الله
في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات لتعبؤا بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص واحذروا الاخلال
بما ذكر من الاحكام وهو الانسب لقوله عز وجل • واعلموا انكم اليه تحشرون • اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر
الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة
التقوى • ومن الناس من يعجبك قوله • تجديد للخطاب وتوجيه له اليه عليه السلام وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان
التقوى الى حزبين وتعيين مال كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما فيه من ملاءة المعنى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب
عدم الشعور بسبب المتعجب منه • في الحيوة الدنيا • متعلق بقوله اي ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بما يدعيه
من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا اخر ليس من الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا
بحلاوته وفصاحته لا في الاخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرتقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله
فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الاخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه الا القول الحسن
ويشهد الله على ما في قلبه • اي يحلف ويقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله
فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود مضرا له فالحكمة

اعتراضه وقرئ ويشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام مصدر واضافة
الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حالية من الضمير
لا المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المذكورتين واذا تولى اي ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل
على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد
اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييل واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك
ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه
لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل
ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي للاعتماد على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للظهور والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب والجملة اعتراض
ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات ويعرضها للمهالك في الحروب
او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهو كمال التقوى والمراد
فيما قيل الاول من حيث انه لا يانف من الامر بالتقوى وهو يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فسمي حسنة بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك
يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل
الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا
كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرنا اذيال مرط مرحل وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها استعملت في معنى جميعا والتاء
ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة
ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون
بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم
طب بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين واتما
اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم الا به ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق او مخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء
فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج القاطعة الدالة
على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة
من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد
والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره او باسه او ياتيهم الله امره وباسه فحذف المأتي به
لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها
في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما ياتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف

باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ياتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى
بل هم الاتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتي اولا من جنس ملابس الغمام وترتب عليه
عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اي تم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه وكانه قد كان
او جملة مستانفة جيء بها ايذانا بان مضمونها واقع وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالبناء
من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم
وتقرير الحجة البينة كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام واية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول
فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن يبدل
نعمة الله التي هي اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها
وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته اي وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم
قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وحذف
للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد
عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والمزين من حيث الخلق والايجاد هو الله
سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية
منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية
كانهم جعلوا السخرية مبتداة منهم والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا
للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج
الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة
على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك
بين ادم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله وهي قراءة ابن مسعود
وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب رضي الله عنه الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام
مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة
متفقة على الكفر والضلالة في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل
معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب
وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا
بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس
حالية اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او في الكتاب المنزل متلبسا به وما اختلف فيه
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق وانما عبر عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم
من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازاحة الاختلاف
سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام اي فاختلفوا
وما اختلف فيه الى اخره وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق به
اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف

من الحق بيان لما في ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء
عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومعاناة الهموم وان عاقبة امرهم النصر
وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء
ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم شبههم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع
ومنتظر مستهم استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة
من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى
واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة
الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل
مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان
الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية
على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقريره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم
الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز
الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة
حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع الانواع من الاموال وبيان لما في السؤال الا انه
جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف
المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هرم له مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه
شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي
كتب عليكم القتال بنيا الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ
عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول
مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه لغة في المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كأنهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها
القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهي معطوفة على ما قبلها لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم
لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا بامره
يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل

توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل
يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل
فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف
ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان
المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم و
لا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد
عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله سبحانه وكفر به عطف على صد عامل
فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله
والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام
واخراج اهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله
خبر للاشياء المعدودة اي كبائر انهن اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء
اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين
حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل وايثار الذين اليهم لتذكير ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا
اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي ومن يفعل
ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي
كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية
واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون
كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء
دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها
والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا افتنا
يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان

والتقى جماعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي بها من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها
العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته
إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح
هي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم
من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل بثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل
ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له
من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم وهاتين
الكعبتين المشئومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما إثم كبير أي في تعاطيهما ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين
والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية
الطبيعة وقرئ إثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان إثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الأول
ما لا يخفى على الناطق بقوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما أي المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ أقرب من نفعهما
ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة أي أي شيء ينفقون قيل سائله عمرو بن الجموح أيضا
سأل أولا عن أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانيا عن أي أصنافها ينفق أمن
خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه قل العفو بالنصب أي ينفقون العفو أو أنفقوا العفو وقرئ بالرفع على أن ما
استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر
مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر
ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به
ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة
المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة
من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما هو محله النصب على أنه
نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة الماضية يبين الله لكم الآيات
الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة لا بيانا أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله عز وعلا وكذلك جعلناكم أمة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة
الفحوى واضحة المدلول لا أنه يبينها بعد أن كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون كي
تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما تضمنته وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق بيبين أي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا
والآخرة الآيات وأما بالمحذوف وقع حالا من الآيات أي يبينها لكم كائنة فيهما أي مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وإنما قدم عليه التعليل
لمزيد الاعتناء بشأن التفكر وأما بقوله تتفكرون أي تتفكرون في الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الأحكام الواردة في أجوبة الأسئلة
المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب للمقام لتعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأحكام
المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة إلى ما مر من البيانات كلا أو بعضا لا إلى مصدر ما بعده فإنه حينئذ فعل مستقل ليس بعبارة
عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الأجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم
تتفكرون في أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة
ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة

اليتامى وتعهد أموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل إصلاح لهم خير أي التعرض لأحوالهم وأموالهم
على طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وإن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فإخوانكم أي فهم إخوانكم أي في الدين الذي
هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ومواجبها المخالطة بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد
من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدي إلى واحد ومن لتضمنه معنى التمييز أي يعلم من يفسد في أموالهم عند المخالطة ومن يقصد بمخالطته التي
والإتلاف ومنزلته لمن يصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد
وتأكيد للوعيد ولو شاء الله لأعنتكم أي ولو شاء إعناتكم أي تكليفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم
مداخلتهم إن الله عزيز غالب على أمره لا يعز عليه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم
أي فاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا
المشركات أي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الإنكاح أي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات
أيضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه
عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي أن رسول الله صلعم
بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته فقالت ألا نخلو
فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأستأمره فاستأمره فنزلت
ولأمة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد
مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذفت لامها على غير القياس وعوض منها تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع
قال الكلابي أما الإماء فلا يدعونني ولدا إذا تداعى بنو الأموان بالعار وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت
بالأموة وقد وصفت وسوغ الابتداء بها ما فيها من لام الابتداء أو الوصف أي ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير
من مشركة أي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن ولو أعجبتكم قد مر أن كلمة لو في أمثال هذه
المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من نصاب المعنى
على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها
على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي
القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة
لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبتكم
والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة إذ المآل والأمة المؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها إياكم بجمالها ومالها
ونسبها وغير ذلك من مبادئ الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيها على أنها
حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق أنها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار
اللطيف نعم يجوز أن يكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها حالا مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الإنكاح
والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر
ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو أعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة
إلى ذاته وصفاته أولئك استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين أي أولئك المذكورون من المشركات والمشركين
يدعون من يقارنهم ويعاشرهم إلى النار أي إلى ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم إلى الجنة والمغفرة أي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين إليهما
وتقديم الجنة على المغفرة مع أن حق التخلية أن تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء بإذنه متعلق بيدعو أي يدعو
بتوفيقه الذي من جملته إرشاد المؤمنين لمقارنيهم إلى الخير ونصيحتهم إياهم فهم أحقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الأحكام
الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون أي لكي يتذكروا أو يعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران

فنزلت

هذا وقد حمل معنى والله يدعو اولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وتفخيما
بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ومن بيده تعالى فيلزم التفكك وهل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة
فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا
للمبتدا اكمل نعوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا والمراد
التذكر ههنا الاشعار بانه واضح لا يحتاج الى الفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم
من مثله ولعل حكاية الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك
في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن
كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت قل
هو اذى اي شيء مستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض
فتمسك المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان
آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون
في الاعتزال فامر المسلمين بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد عدم قربانهن
لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع وان كان في اقل فلا بد
من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد ويفصح عنه قوله عز وجل
فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم
اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه
فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتعرضوا لتحصيل ما تنتفعون به حينئذ
واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال
بما تقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وتنويع ما في تلوين الخطاب
وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله
ابن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح
لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة يطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا كما يقال فلان عرضة للخير وعلى
المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان
لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام
في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا
بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض للامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوز ان يكون
اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى اخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وهو حسن لانه يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي
وعلى الوجه الثاني لا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام

المعرض

له

وجعل الحلاف مقدمها وان تبروا حينئذ علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم
فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم
يعلم نياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به
في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب
وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول
لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم باللغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب
في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين
ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشيا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم
حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الى اخره وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب
الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن
لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك
وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح
وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث
والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله
غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المراة وان عزموا الطلاق
واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا يخلو عنها الحال عادة
عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن
لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران
يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن
بالامر بالتربص فيخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها
على ما لا تشتهيه بل تشق عليها من التربص وفيه حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الانقياد لما تسكن منه من كون نفوسهن
طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك
وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين
مكان الاخر شايع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد
استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله لا انه داخل فيه اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع
فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعول جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة
او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد
المطلقات احق بردهن الى النكاح بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة

كذا

شهران

والمراة تابى ما وجب ايثار قوله على قولها لان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم
وبين احسانا اليهن ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي تجب مراعاتها بحكم الحق
عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية
في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية
والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم ينطوي شرايعه على الحكم والمصالح الطلاق هو
بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق لا قرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا
مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان تقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا
حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين
مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع بين التطليقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الى آخره حكم مبتدا وتخيير مطلق والفاء للترتيب
على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فالامر لكم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي
من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم ساير اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا ما اعطوهن
بالبضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا ما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا
عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع
وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان
وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اي الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ
ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره
الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد
حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه
ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد
فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره
اي حتى تتزوج غيره فان النكاح يسند الى كل منهما ويتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع
عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط
مصرحا به وفاسد عند الاكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله اي ما حد

بمقابله

مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي
للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه
المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها
يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود
والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان
بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان
الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هاهنا
لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن من غير ضرار
او خلوهن حتى ينقضي اجلهن من غير تطويل وهذا كالتكرير لما سبق اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه
ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بالمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا رغبة فيها بل ليطول عليها العدة فهي عنه بعد امر المعتدة
لما ذكر وضرارا نصب على العلة او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة
اي جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها
من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي فخذوها
بالجد والعمل بما فيها ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة لا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء
وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر
والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي الكائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كالنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء الوحدة
لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عطف على نعمة الله وما موصولة
حذف عايدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين والعطف على ان
لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل
في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر فيه من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل
او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى
عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيواخذكم بانواع العذاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا
يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب
بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها
الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل وتعليق العضل
ببلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج
نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن
عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للكل
فان اسناد ما فعله واحد الى الجميع شايع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او
الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل

لى استتباع اللائمة وسراية القالة ان ينكحن اى من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف
المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون
فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب
الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضى
مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بما يحسن عند الشرع ويستحسن عند الناس من الآداب اما متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا
او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج
بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه
والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال
باوامره ونواهيه اجلالا لله وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما
بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اى كائنا منكم ذلكم اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اى انمى وانفع
واطهر من ادناس الآثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك
او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التى من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وامتثلوا امره تعالى
ونهيه فى كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع فى بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا
واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى الحمل على تحققه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبى
ثدى الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات
وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقى لا تقريبى مبنى على المسامحة
المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاع وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام
متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له
اى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه
رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استئجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة جائز عند الشافعى رحمه الله
بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف
وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافى امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل
لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله
على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضر به
او يتضار بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير
معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعى رحمه الله هو وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة
من ماله عند موت الاب لا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث
منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اى الوالدان فصالا اى فطاما عن الرضاع
قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف هو صفة لفصالا اى صادرا عن تراض منهما
اى من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور
فى شأن الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من شرت العسل اذا

اذا استخرجه وتكريرها للتفخيم فلا جناح عليهما فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد
فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا
ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال استرضعت المرأة الصبى اى
استرضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر يقال اى استرضعت المرأة للصبى اى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر
ايضا كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم فلا جناح عليكم فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام
من الارضاع اذا سلمتم اى الى المراضع ما آتيتم اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم
بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز
بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى استصلاح شؤون الاطفال
واتقوا الله فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك وفى اظهار الاسم الجليل موقع
الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم
اى يقبض ارواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب لكافة
الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدأ فى الخبر اى يتربصن
بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى
لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير فى مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين فى ذلك
قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة فى هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك
غالبا لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة
والكتابية والحرة والامة فى هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف فى الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن عباس
رضى الله عنهم انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام والمسلمون
جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره
الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم ولا جناح عليكم خطاب للكل
فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام
عن نهجه الى عرض منه اى جانب والكناية الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالعقدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هى مأخوذة من الخطب
اى الشأن الذى له خطر لما انها شأن من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب
المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك
مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم فى انفسكم اى اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا تصريحا
ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم
من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطء مما يسر به واشارة على اسمه للايذان بانه مما ينبغى ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء
ربما يوهم الرخصة فى المحظور الذى هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اى لا تواعدوهن فى السر على ان المراد بذلك المواعدة
بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى اى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة
غير منكرة شرعا وهى ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشئ من الاشياء الا بان تقولوا
قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح
من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى

لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله
اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا
عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه
بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب
اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن
غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف
اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
ولا يخفى ان المسيس بعد الطلاق فلو جاء ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن
او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية
ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال
تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم التسمية عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة
التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس
ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا
او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه
اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص
من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف
وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك
فريضة اي ان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فريضة فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن
ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة التطليق
لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها
فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة
السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ فنصف اي فادوا النصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر
في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهار ان لا شيء له متعها بقلنسوتك الا ان يعفون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه
وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني
لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ونظيره ما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو
الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد

تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه
فرجع الاستثناء حينئذ الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان اي فلهن هذا القدر بلا نقصان
ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتقص ذلك او يحط او في حال عفو الزوج
فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا
لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رحمه الله ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح
الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الى آخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء
من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء
ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء
جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات
اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف
بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها
بشأنهم بل بشأن انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية
المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود
عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هي صلوة
الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة
من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل صلوة العشاء لانها بين الجهريتين
الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون حينئذ احدى
الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله
اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء منها وقيل
خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم
او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا
راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله اداءها حال المسايفة ايضا
فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف
وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة المؤداة موافقة لما علمكم
الله تعالى وايراده بذكر العنوان لتذكير النعمة او واشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها
كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية
الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبني على تنزيل مقام وقوع المأمور به
فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنشيطا للمأمور على الاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما بجري مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاشارة
ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان
احكام وسطت بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية
ويؤيده قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية
متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما
في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم

بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وان كان متقدما في التلاوة
متاخرا في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي رحمه الله هي باقية فان خرجن
عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين
والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد
من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره
يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن او لا متاع اى مطلق المتعة
الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد
غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اى حق حقا كذلك اى مثل ذلك البيان
الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر
تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية والنظر ويجوز
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم
وان لم يكن ممن اسمع او يسمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لانه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال
الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا
الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار
باعتبار معنى الرأي وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول او الانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اى
الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له
ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله
عن سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى
مما رآهم فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم
من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله
موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه وتسرع نفاذ
واوجاه بامر آمر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر
يستدعيه المقام اى فماتوا ثم احياهم واما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال
لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه
الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا
بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اى لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد
التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا
في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر وعز
وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا
وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء
وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هنا اما الجهاد الذي
هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا
اى اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا
على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اى يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظا

ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير
المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة
لا يعلم قدرها الا الله سبحانه وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اى يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع
اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر
للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال
خيرا وشرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق وقطع عنه للايذان باستقلاله بالتعجب مع ان مدار ارتباط ما توسط بينهما من الامر
بالقتال الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم
سموا بذلك لانهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون بما يحتج منهم ومن تبعيضية كما في قوله تعالى من بعد موسى
ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملا اى كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا
عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اى الم تر الى قصة الملا او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع
ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن
بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اى انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اى ابعثه لنا
مقدرين القتال او استئناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اى هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض
الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الى الغزو مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم
عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراد ما ذكروه
ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئنافا كما سبق
وما لنا ان لا نقاتل اى اى سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى والحال انه قد عرض
لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر
لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك
وبعث الملك تولوا اى اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر
ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه
وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي
اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال
اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اى قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري
كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استبعادا كما انى يكون له الملك علينا اى من اين يكون او كيف يكون
ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اى كيف يملك علينا
والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة
بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين وقيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم

لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء
ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات
ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده
فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء
من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وقال لهم نبيهم توسيط قال بين قوله المحكي عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وحمل كل كلام من جهة المخاطبين
متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام ما يدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية
ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع
ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها هاء
والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب
القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف
والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه
تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان
توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى
عليه السلام فكان يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته
ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فكلمهم وحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون
على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء
حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلك من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما طلبوا منه
البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم
اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية
وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والآل ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله
الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة
عن سوقهم الثورين الى طالوت ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل
القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
على التقديرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية
والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصل الفصل القطع وكان متعديا
فاعله ومفعوله شاع استعماله بحذف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا ممتازا من المتعدي
بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا

من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج
بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة
فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعدما طلبوا تعلقت مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته
قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة
فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه
اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة
باليد دون الكروع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة
بيده ويروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش
فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف والاستثناء
من الموالي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن مراعاة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال
فلم يطيعوه نحو ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع
في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف
متعلق بمحذوف وقع خبرا عن الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة
الى من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي
بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح
قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال مخاطبوهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل الخلص منهم الذين يتيقنون
لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في اليقين والتوقع
متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا
للمتخلفين عنهم كأنهم قالوا اعتذارا عن التخلف في النهر منها كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته
او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة ومثلها قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية
مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء وخبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره
فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده
وعدده روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقة لنا بغلبته كثرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في ردّ مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا
كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوقعه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد
فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة لا توقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد
على الموصول لا امرا من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده تعبيرا عنه بذلك مبالغة كما عبر عن معارضة
نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته لنصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة
كما قيل يأباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة
ولا تعلق لما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهته تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى
قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
فتحقق ايضا نصره على جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر
طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد
والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا غير معتدين بقول الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة الصعبة

وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى • وثبت اقدامنا • في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد • وانصرنا على القوم الكافرين • بقهرهم وهزمهم ووضع الكا فرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم والعدر اعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى • فهزموهم • اي كسروهم بلا مكث • باذن الله • بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايراده الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الى آخره للمحافظة على مضمون قولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله • وقتل داود جالوت • كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملني فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته فلما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وقد حمي القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان طلب مبارزا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء الى ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود عليه السلام ما يصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه شطر ملكي فرماه داود ورماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصاب صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كانت الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله لاحد بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء • اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد ولانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم • الذين يباشرون الشر والفساد • ببعض • آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المبالغة للمبالغة • لفسدت الارض • وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لولا ان يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة • ولكن الله ذو فضل • عظيم لا يقادر قدره • على العالمين • كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم • تلك • اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه • آيات الله • المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى • نتلوها عليك • اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب • بالحق • في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق • وانك لمن المرسلين • اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان نبأك بهذه المعاينة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام حال الجاحدين بها • تلك الرسل • استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم • فضلنا بعضهم

على بعض • في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره • منهم من كلم الله • تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت • ورفع بعضهم درجات • اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لمراعاة ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بالخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عليهم السلام • وآتينا عيسى ابن مريم البينات • الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل • وايدناه • اي قويناه • بروح القدس • بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قال وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شانه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بنص قاطع • ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم • اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الى آخره وليس بذاك • من بعد ما جاءتهم • من جهة اولئك الرسل • البينات • المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل • ولكن اختلفوا • استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض تاليها منتج لنقيض مقدمها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا • فمنهم من آمن • اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به • ومنهم من كفر • بذلك كفرا لا ارعواء عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم • ولو شاء الله • عدم اقتتالهم • ما اقتتلوا • بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو تعالى مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل • ولكن الله يفعل ما يريد • اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم ادرك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا • يا ايها الذين آمنوا انفقوا • في سبيل الله • مما رزقناكم • اي شيئا مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب لاقتران ما بعده من الوعيد • من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة • كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا تضمن فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل • والكافرون • اي التاركون للزكاة واثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة • هم الظالمون • اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه • الله لا اله الا هو • مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف • الحي • الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء

كوه

وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه
بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه
سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر
الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة
الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر
على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط
كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض
بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة
تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما
وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج على تفرده في الالوهية
والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة
او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم
او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه
وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض
الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود
وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من الكرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك
فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية
والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات والارض السبع مع الكرسي لا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يشق عليه
حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه
والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة
بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان
القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له الرحمن
فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه ان يملك ويقدر عليه
لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما يناله الاوهام عظيم لا تحيط به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة
خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية من القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب

وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفيها عما عداهم لما
ان الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستأنفة
جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف
والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله
عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تميز بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد
الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت فعلوت من الطغيان
كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتأنيث
لارادة الآلهة وهو رأي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتأنيث اي فمن يكفر بما يؤثره الحق
من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادة
تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية
به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به عز وجل لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة على التحلية فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كأنه وهو متلبس بطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم
الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على نفي الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال
من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستكن في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة
من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه
فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي
اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك به مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيح للاستعارة الاولى والله سميع
بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد
الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية
او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض
مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرف
الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها
من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة
خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة
بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق
الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق
الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملا
زموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر

من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى ألم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين
وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله
عز وجل وما اتى به في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه
الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما حكي عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام
لانكار النفي وتقرير المنفي اي ألم تنظر او ألم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات
اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاج ان آتاه الله الملك اي لان آتاه
اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لان
احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال
من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استئناف مبني على السؤال كأنه
قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك
قال ابراهيم استئناف كما سلف كأنه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من المحاجة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله يأتي
بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب اي ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام
الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي
في تحصيل الحاصل والى مثال لا مجال للعين فيه لمجال التمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان
الموصول مفعول له اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا
والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم
عن قبول الهدى الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر
من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه
من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جريا بها على سنن تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي
مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او ألم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة
الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رأيت مثل ذلك وشاهدته فان لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الى آخره واما جعل
الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول ألم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارأيت مثل الذي مر الخ
ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامته الجليل قيل
والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسلمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا
من سبط هارون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد
والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال السدي هي سلم آباد
والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله سبحانه
عليهم بختنصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم
بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة اغلمة وكان عزير
من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي
خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض
اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار
اليأس منها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد

ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي
واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من جهة اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن عمرهم وانما عبر عنها بالاحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها
وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل ابعد الامرين في نفسه
ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم رفاتا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها
على انه لم تتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت مائة عام
روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب
وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب واما حماره وبقي تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه
عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس
ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل
وردهم الى بيت المقدس ورجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة
من موت عزير احياه الله وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على الاحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري تعالى
كأنه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة
ربما يتوهم انه ليس في الحقيقة بعد مدة طويلة وتحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته
وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم
وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت
يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فرأى منها بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام
اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استئناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر
اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير
في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جناهما وعصيره كما عصره والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم
سوء اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة
من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحمأ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها
اي هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وتفتتت وتقطعت
اوصاله ومزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل
مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد
دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان شاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب
من علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر
من اللبث المديد ولذلك قرن به دون الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار
ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحيوة
ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالراء المهملة
اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره نحييها

اراد بالاحياء وهو المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اى احياها لا معناه الحقيقى لقوله تعالى ثم نكسوها لحما
اى نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطى كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها
والجملة اما حال من العظام اى وانظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اى وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل
عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضى الحكمة بيانه روى انه نودى ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعى فاجتمع كل جزء
من اجزائها التى ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق
الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعه ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه
الروح فاذا هو قائم ينطق فلما تبين له اى ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما فى قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده
بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشرها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك
اى اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شئ من الاشياء التى من جملتها ما شاهده فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الافاعيل
قدير لا يستعصى عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل
بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادى واستعظاما للامر وقيل فاعل
تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير فيه بعد وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم ان الله على كل
وقيل اعلم على صيغة الامر روى انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله
فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ
كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا كان
رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها
فقال لها قومى باذن الله تعالى فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل
وهم فى انديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو ابنه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف
فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة
فقرأها عليهم عن ظهر قلب من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى
ابى عن جدى انه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده
ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
واذ قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما سلك به مسلك الاستشهاد كما قبله
بان يقال او كالذى قال رب ارنى لعدم جريان ذكره عليه السلام فى اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من جملة عام
من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله فى نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اى واذكر وقت قوله
عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر فى امثال هذه المواقع
الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالذكر لما ذكر غير مرة من المبالغة وايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شئ مما ذكر
عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدى الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة ارنى
من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما تعلق النظر البصرى اى اجعلنى مطلعا
كيف تحيى الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف فى محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه او بالحال عند الاخفش والعامل فيها
تحيى اى فى اى حال او على اى حال تحيى قال القرطبى الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شئ متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام
هيهنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اى بصرنى كيفية احيائك للموتى وانما سأله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه

اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيى واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح
الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل
السؤال بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء
كيف اشاء حتى تسألنى اراءته قال عز وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب فيكون ذلك
لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اى كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن
قلبى بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف
اى ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم جمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمى به
الجنس وقيل هو مصدر سمى الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين فى هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اى اربعة
كائنة من الطير قيل هى طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والسهولة تأتى ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اى اماله وقرئ بكسر الصاد
من صاره يصيره اى املهن واضممهن وقرئ بكسر فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ
فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اى اجمعهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها
لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها
ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى جزئهن وفرق اجزاءهن على ما
بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالشدة
بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك فى حيز الجزم على انه جواب الامر
ولكنه بنى لاتصاله بنون الجمع المؤنث سعيا اى ساعيات مسرعات او ذوات سعى طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية
اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام لذلك ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روى انه عليه السلام نادى فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة
منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة
الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله فى الحال
على ايسر ما يكون من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شئ
عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى افعاله ليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن الايجاد بطريق آخر خارق للعادات
بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة
لا بد من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا
تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الاراضى
المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازى كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدى الناظر
والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق
ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله جملة مبتدأة جئ بها لبيان كيفية الانفاق الذى بين
فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول
النفى لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت فى عثمان رضى الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حين اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما من ولا اذى
لهم اجرهم اى حسبما وعد لهم فى ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفى تكرير الاسناد وتقييد الاجر
بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب

علی ما ذکر من ان الانفاق مع ترک اتباع المن والاذی امر بین لا یحتاج الی التصریح بالسببیة واما ایهام انهم اهل لذلک وان لم یفعلوا
فکیف بهم اذا فعلوا وفیه ما فیه من تاکید الترغیب فی الفعل والحث علیه ولا خوف علیهم فی الدارین من لحوق مکروه من المکاره ولا هم یحزنون
لفوات مطلوب من المطالب قل او جل ای لا یعتریهم ما یوجبه لا انه یعتریهم ذلک لکنهم لا یخافون ولا یحزنون ولا انه لا یعتریهم خوف
وحزن اصلا بل یستمرون علی النشاط والسرور کیف لا واستشعار الخوف والخشیة استعظاما لجلال الله تعالی واستقصارا للجد
والسعی فی اقامة حقوق العبودیة من خواص الخواص والمقربین والمراد بیان دوام انتفائهما لا بیان انتفاء دوامهما کما یوهمه کون الخبر
فی الجملة الثانیة مضارعا لما ان النفی وان دخل علی نفس المضارع یفید الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف ای کلام
جمیل تقبله القلوب ولا تنکره ترد به السائل من غیر اعطاء شیء ومغفرة ای ستر لما وقع من السائل من الالحاف فی المسئلة
وغیره مما یثقل علی المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنکرة فی الاول لاختصاصها بالوصف وفی الثانی بالعطف او بالصفة
المقدرة ای ومغفرة کائنة من المسئول خیر ای للسائل من صدقة یتبعها اذی لکونها مشوبة بضرر ما یتبعها وخلوص الاولین
من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترک اتباع المن والاذی وتفسیر المغفرة بنیل مغفرة من الله تعالی بسبب الرد الجمیل او بعفو
بناء علی اعتبار الخیریة بالنسبة الی المسئول یؤدی الی ان یکون فی الصدقة الموصوفة بالنسبة الیه خیر فی الجملة مع بطلانها بالمرة
والله غنی لا یحوج الفقراء الی تحمل مؤنة المن والاذی ویرزقهم من جهة اخری حلیم لا یعاجل اصحاب المن والاذی بالعقوبة
لا انهم لا یستحقونها بسببهما والجملة تذییل لما قبلها مشتمل علی الوعد والوعید مقرر لاعتبار الخیریة بالنسبة الی السائل قطعا یا ایها
الذین آمنوا اقبل علیهم بالخطاب اثر بیان ما بین بطریق الغیبة مبالغة فی ایجاب العمل بموجب النهی لا تبطلوا صدقاتکم بالمن والاذی
ای لا تحبطوا اجرها بواحد منهما کالذی فی محل النصب اما علی انه نعت لمصدر محذوف ای لا تبطلوها ابطالا کابطال الذی
ینفق ماله رئاء الناس واما علی انه حال من فاعل لا تبطلوا ای لا تبطلوها مشابهین الذی ینفق ای یبطل انفاقه بالریاء وقیل من ضمیر المصدر
المقدر علی ما هو رأی سیبویه وانتصاب رئاء اما علی انه علة لینفق ای لاجل رئائهم او علی انه حال من فاعله ای ینفق مرائیا والمراد به المنافق
لقوله تعالی ولا یؤمن بالله والیوم الآخر حتی یرجو ثوابا او یخشی عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها ای فمثل المرائی
فی الانفاق وحالته العجیبة کمثل صفوان ای حجر املس علیه تراب ای شیء یسیر منه فاصابه وابل ای مطر عظیم القطر
فترکه صلدا املس لیس علیه شیء من الغبار اصلا لا یقدرون علی شیء مما کسبوا لا ینتفعون بما فعلوا رئاء ولا یجدون له ثوابا
قطعا کقوله تعالی فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبنی علی السؤال کأنه قیل فماذا یکون حالهم حینئذ فقیل لا یقدرون الی آخره ومن ضرورة
کون مثلهم کما ذکر کون مثل من یشبههم وهم اصحاب المن والاذی کذلک والضمیران الاخیران للموصول باعتبار المعنی کما فی قوله عز وجل
وخضتم کالذی خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع والفریق کما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا یهدی القوم الکافرین
الی الخیر والرشاد والجملة تذییل مقرر لمضمون ما سبق وفیه تعریض بان کلا من الریاء والمن والاذی من خصائص الکفار ولا بد للمؤمنین ان یجتنبوها
ومثل الذین ینفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله ای لطلب رضاه وتثبیتا من انفسهم ای ولتثبیت بعض انفسهم علی الایمان
فمن تبعیضیة کما فی قولهم هز من عطفه وحرک من نشاطه فان المال شقیق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالی فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه فقد ثبتها کلها او تصدیقا للاسلام وتحقیقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائیة کما فی قوله تعالی حسدا من عند انفسهم
ویحتمل ان یکون المعنی وتثبیتا من انفسهم عند المؤمنین انها صادقة الایمان مخلصة فیه ویعضده قراءة من قرأ وتبیینا من انفسهم وفیه تنبیه
علی ان حکمة الانفاق للمنفق تزکیة النفس عن البخل وحب المال الذی هو رأس کل خطیئة کمثل جنة بربوة الربوة بالحرکات الثلاث
وقد قرئ بها المکان المرتفع ای مثل نفقتهم فی الزکاء کمثل بستان کائن بمکان مرتفع مأمون من ان یصطلمه البرد للطافة هوائه
بهبوب الریاح الملطفة له فان اشجار الربا تکون احسن منظرا وازکی ثمرا واما الاراضی المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لکثافة
هوائها برکود الریاح وقرئ کمثل حبة اصابها وابل مطر عظیم القطر فآتت اکلها ثمرتها وقرئ بسکون الکاف تخفیفا
ضعفین ای مثلی ما کانت تثمر فی سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقیل اربعة امثال ونصبه
علی الحال من اکلها ای مضاعفا فان لم یصبها وابل فطل ای فیصیبها او فالذی یصیبها طل او فطل یکفیها لجودتها وکرم منبتها ولطافة هوائها والطل
المطر الصغیر القطرة وقیل فالذی یصیبها طل والمعنی ان نفقات هؤلاء زاکیة عند الله تعالی لا تضیع بحال وان کانت تتفاوت

باعتبار ما یقارنها من الاحوال ویجوز ان یعتبر التمثیل بین حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الکثیرة والقلیلة وبین الجنة المعهودة
باعتبار ما اصابها من المطر الکثیر والیسیر فکما ان کلا واحدا من المطرین یضعف اکلها فکذلک نفقتهم جلت او قلت بعد ان یطلب
بها وجه الله تعالی زاکیة زائدة فی زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالی والله بما تعملون بصیر لا یخفی علیه شیء منه وهو ترغیب
فی الاخلاص مع تحذیر من الریاء ونحوه ایود احدکم الود حب الشیء مع تمنیه ولذلک یستعمل استعمالهما والهمزة لانکار الوقوع
کما فی قوله اتضرب ابی لا لانکار الواقع کما فی قولک اتضرب اباک علی ان مناط الانکار لیس جمیع ما تعلق به الود وانما هو اصابة
الاعصار وما یتبعها من الاحتراق ان تکون له جنة وقرئ جنات من نخیل واعناب ای کائنة منهما علی ان یکون الاصل
والرکن فیها هذین الجنسین الشریفین الجامعین لفنون المنافع والباقی من المستتبعات علی ان لا یکون فیها غیرهما کما ستعرفه
والجنة تطلق علی الاشجار الملتفة المتکاثفة قال زهیر کأن عینی فی غربی مقتلة من النواضح تسقی جنة سحقا وعلی الارض المشتملة
علیها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجری من تحتها الانهار اذ علی الثانی لا بد من تقدیر مضاف ای من تحت اشجارها
وکذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق الیها فیما سیأتی مجازیا والجملة فی محل الرفع علی انها صفة جنة کما ان قوله تعالی من نخیل
واعناب کذلک او فی محل النصب علی انها حال منها لانها موصوفة له فیها من کل الثمرات الظرف الاول خبر
والثانی حال والثالث مبتدأ ای صفة للمبتدأ اقیمت مقامه ای له رزق من کل الثمرات کما فی قوله تعالی وما منا الا له مقام معلوم ای وما منا
احد الا له الخ ولیس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التکثیر کما فی قوله تعالی واوتیت من کل شیء واصابه الکبر ای کبر السن الذی
هو مظنة شدة الحاجة الی منافعها ومئنة کمال العجز عن تدارک اسباب المعاش والواو حالیة ای وقد اصابه الکبر وله ذریة ضعفاء حال
من الضمیر فی اصابه ای اصابه الکبر والحال ان له ذریة صغارا لا یقدرون علی الکسب وترتیب مبادی المعاش وقرئ ضعاف فاصابها
ای الجنة اعصار ای ریح عاصفة تستدیر فی الارض ثم تنعکس منها ساطعة الی السماء علی هیئة العمود فیه نار شدیدة فاحترقت عطف
علی فاصابها وهذا کما تری تمثیل لحال من یعمل اعمال البر والحسنات ویضم الیها ما یحبطها من القوادح ثم یجدها یوم القیامة عند کمال حاجته
الی ثوابها هباء منثورا فی التحسر والتأسف علیها کذلک توحید الکاف مع کون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا ای مثل ذلک
البیان الواضح الجاری فی الظهور مجری الامور المحسوسة یبین الله لکم الآیات لعلکم تتفکرون کی تتفکروا فیها وتعتبروا بما فیها
من العبر وتعملوا بموجبها یا ایها الذین آمنوا انفقوا من طیبات ما کسبتم بیان لحال ما ینفق منه اثر بیان اصل الانفاق وکیفیته
ای انفقوا من حلال ما کسبتم وجیاده لقوله تعالی لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لکم من الارض ای ومن طیبات
ما اخرجنا لکم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله علیه ولا تیمموا من تیمم الشیء ای قصده اصله ولا تتیمموا وقرئ بضمها
وقرئ ولا تاموا والکل بمعنی القصد ای لا تقصدوا الخبیث ای الرديء الخسیس وهو کالطیب من الصفات الغالبة لا تکاد تذکر
موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمیر للخبیث والتقدیم للتخصیص والجملة حال من فاعل تیمموا ای لا تقصدوا
الخبیث قاصرین الانفاق علیه او من الخبیث ای مختصا به الانفاق وایا ما کان فالتخصیص لتوبیخهم بما کانوا یتعاطونه من انفاق الخبیث
خاصة لا لتسویغ انفاقه مع الطیب عن ابن عباس رضی الله عنهما انهم کانوا یتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقیل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الخبیث والضمیر للمال المدلول علیه بحسب المقام او للموصولین علی طریقة قوله کأنه فی الجلد تولیع البهق والکلام تخصیص
لذلک لما ان التفاوت فیه اکثر وتنفقون حال من الفاعل المذکور ای لا تقصدوا الخبیث کائنا من المال او مما اخرجنا لکم منفقین
ایاه وقوله تعالی ولستم بآخذیه حال علی کل حال من واو تنفقون ای والحال انکم لا تأخذونه فی معاملاتکم فی وقت
من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فیه ای الا وقت اغماضکم فیه او الا باغماضکم فیه وهو عبارة عن المسامحة بطریق
الکنایة او الاستعارة یقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ علی البناء للمفعول علی معنی ان لا تحملوا علی الاغماض او توجدوا مغمضین
او توجدوا مغمضین وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم المیم وکسرها وقیل تم الکلام عند قوله تعالی ولا تیمموا الخبیث ثم استؤنف
فقیل علی طریقة التوبیخ والتقریع منه تنفقون والحال انکم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فیه ومآله الاستفهام الانکاری فکأنه
قیل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غنی عن انفاقکم وانما یأمرکم به لمنفعتکم وفی الامر بان یعلموا ذلک مع ظهور علمهم به
توبیخ لهم علی ما یصنعون من اعطاء الخبیث وایذان بان ذلک من آثار الجهل بشأنه تعالی فان اعطاء مثله انما یکون عادة

عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى عطيته بل مضطر حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه
الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره ويستعمل في الشر استعماله في الخير
قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد
مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بمجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة
بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء وبسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء
اي بالخصلة الفحشاء اي يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق
مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة اي مغفرة كائنة
منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي فضلا كائنا
منه عز وجل اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به
من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والخلف فلا احتمال للخلف
في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة
في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة
الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى
بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم
والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك
منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه للعناية بالمفعول الثاني والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن
يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي من يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها وللاشعار
بعلية الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي ما يتعظ بما اوتي من الحكمة او ما يتفكر فيها الا
اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن
الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم
ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه ومن نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل
في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد القلب على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي نذر كان في طاعة
او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني
مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما
ولذا احتيج الى التأويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم كما في قوله عز وعلا واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل الضمير
على تأويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف للاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على
كونهما موصولتين والقصد بالجملة الى التأكيد بمضمونها افادة تحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر ففيه ترغيب وترهيب
ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذر او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى
وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم
من بأس الله وعقابه لا بشفاعة ولا بمدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف
مقرر لما قبله من الوعيد متضمن لتفظيع حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات
فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان

لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء
حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي المرادة بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها
وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه
فان الغني ربما يدعي الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا
في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله
يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على رأي الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل
للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل
وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب
في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه
من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات
والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع
الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريقة تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة
فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم
مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق
على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام
فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول
التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين لزيادة ترغيبهم في الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء
تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث
او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به غيركم من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست
في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل نفي في معنى النهي
وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن
الوجوه واجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم بالخلفة وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم
كانوا يتقون ان يرضخوا قراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون
عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا
وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف ومن الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام
كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله
عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة
تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين فيهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل

المسؤول حتى يعطيه من قوله‌م لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألون شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم
اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا
اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة
الف بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل
منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط
الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه
من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم
في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط
العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو
متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او يقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة
المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح
فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع
مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة اليه السلعة او بتوقع رواجها
واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم
الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ
جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير من بلغته الموعظة
للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع
بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله
يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا
فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا
اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت
منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين
امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما
في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة
من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا
ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين

فاتقوه وذروا الى آخره روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم وهو
من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم
تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه
الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ويفهم منه ومن قوله وان تبتم الحكم بعدم
ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة
رحمه الله وكذا سائر اموالهم عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف فان كان
لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف رؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربوا
يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرف اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء
من اموالهم بل انما يسلم لموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا
على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة اي تنظير وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره
اي منتظره او فصاحب نظرة على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار
وقرئ بضم السين وهما لغتان كمقبرة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر
ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم
المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره
للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ
على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله
لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر
وهم لا يظلمون حال من كل نفس بعنوان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم
وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاملات
الجارية فيما بينهم من بيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامل وتوهم كون التداين بمعنى المجازاة ونبه على تنوعه الى الحال والمؤجل
وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى
بالايام والاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين بحليته لانه اوثق
وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل
اي ليفعل الكتابة وفي قوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى
بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي ليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالتسوية غير مائل الى احد الجانبين
لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرائع ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا

تفعلوا

عسرة

بنين

وعلانية

بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله
على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن اباءها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي
عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه
فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل مبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله
ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة
كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي
عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي
عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض
فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به
من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوا ان يتحملا الشهادة على ما جرى بينكم
من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف
وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع
لا تنظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر
فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او بسبب آخر من الاسباب
فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا في غير الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة
عند الشافعي رحمه الله تعالى ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف
المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما
بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين
وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم
كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته
كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها
ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص
الضلال باحداهما بعينها والتذكر بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر
من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة المنافق
كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال
من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي
مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل
عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي
عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب
الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء

منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعدها عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم
كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط
والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
نهي عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف
في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ
بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج
عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة
لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروع
وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة
تعظيم لشأنه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتابا
فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما تعرض لحال السفر لما انه
في حكم الكاتب لو نقدا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان
وقرئ فان اومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض او على اتباع بعضه
فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام ولحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي
امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم
لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المدينون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
مما يقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن
الاثم في نفسه وملك اشرف مكانه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله
عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم
فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة
فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم
من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه عنهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه
ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله
يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء
على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم هنا هو المحاسبة والاصل فيها
الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصور بل وجود
كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء
متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر

بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انه بدل من الجواب
بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام
في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر
من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى
الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله
من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر
في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع
والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك مما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها
على طريقة الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب
لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم
من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه
في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين
لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ
واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع
الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته
بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام
عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدا وقوله عز وجل كل مبتدا ثان وقوله تعالى آمن
خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان
المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله
لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف
الجلي كانهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي
من نوع خفاء محوج الى التقوية والتاكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته
اي من حيث انهم عباد له مكرمون من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم
ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث
مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك
الكتب المنزل منه تعالى الى الرسول صلى الله عليه وسلم معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط
الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم
ومستند اليه لما نطق به الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان كلا منها معتبر بالاضافة الى اهله على
احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث
انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيامة وانما لم يذكر هنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بالكتب وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه
ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وفي هذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه واقتصر عليه ايذانا بكفاية الايمان
الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة
في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام
بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور
الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب
واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خلا انه لم يتعرض لبيان الحق
بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع
الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربهم ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله
الى آخره خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه
الاول من كمال اجلال شانه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لان ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه صلى الله
عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا
على ما يليق بشان آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العالية عليه السلام واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا
وتعلقا بان حملا بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العيني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان
المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم الاجمالي او التفصيلي فبمعزل عما ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه
خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق منهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا
للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا
على ان مقصدهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين
آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالته وتصديقه
في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل
في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى
كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة حينئذ حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية
بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى
لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال
لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة
وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا
ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا
اي اغفر لنا غفرانك او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة
على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم قد مر للمبالغة
في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع
للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا
لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب

فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فقيد لهم
الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد
بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يهجم من الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع
الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه
ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه
وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان التكليف
كل نفس مع مقارنة التخفيف والتيسير يتضمن اعباء منفعة راجعة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها
لا بغيرها فان احتمال منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب
ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا كما ضرورة كلمة ما لكل جزئي لحق ألمه بها وعليها لا على غيرها باحد
الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال ما من اعتناء
النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة وكونهما مما دخل تحت التكليف ذاتهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ يؤدي
الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك
من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت
لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه
مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة
لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في كل يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من الشدائد فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان
حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال
ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب
بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها من التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد
من كلفها يخلو من التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات
بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة
البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
اي امح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو
والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا
على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء او المراد عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء
كلمة الله والجهاد في سبيل الله تعالى حسبما امر بتضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما

بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره
ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة تمت السورة الشريفة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة
لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق
التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين
لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواه عن عاصم واما ما فيها من الفتح
على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها او ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي تعاد
حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون التحريك كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام
وقيل هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها واجيب بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج
وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لبقاء الهمزة على حالها كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون
فان حقها الاتصال بما بعدها وصفا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة
على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب
على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكروا او اقرأوا ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها
لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير
وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول
او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى ان عيسى
عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام
وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين
راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم
وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان
ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلة وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان
هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك قالوا فاتوا المدينة
ثم دخلوا المسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي عليه السلام
ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ
فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال

فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا قالوا أسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم منعكم من الإسلام دعاؤكم
لله تعالى ولدا قالوا إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه فقالوا بلى قال ألستم تعلمون
أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت قيوم على كل شيء يحفظه
ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء
في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال عليه السلام ألستم تعلمون أن ربنا
صور عيسى في الرحم كيف شاء وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة
ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام
فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا إلا الجحود فأنزل الله عز وجل من أول السورة إلى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام
عليهم وإجابة عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون • نزل عليك الكتاب • أي القرآن عبر عنه باسم الجنس إيذانا بكمال
تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة
والإنجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والجملة إما مستأنفة
أو خبر آخر من الاسم الجليل أو هي الخبر وقوله تعالى لا إله إلا هو اعتراض أو حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة أو بدل كما مر وقرئ نزل
عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ أن تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد أي نزل الكتاب من عنده
بالحق • حال من الفاعل أو المفعول أي نزله محقا في تنزيله وملتبسا بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره التي من جملتها خبر الوعد
والوعيد أو بما يحقق أنه من عند الله تعالى من الحجج البينة • مصدقا • حال من الكتاب لا اتفاق على تقدير كون
قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل وأما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال
وأما عند من منعه فقيل إنه حال من محل الحال الأولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لأنه حينئذ يتحمل ضميرا لقيامه مقام
عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث أهل الكتابين على الإيمان بالمنزل وتنبيههم
على وجوبه فإن الإيمان بالمصدق موجب للإيمان بما يصدقه حتما • لما بين يديه • مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل
أي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه إيماء إلى حضورها وكمال ظهور أمرها بين الناس وتصديقه إياها في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد
وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والأمر بالعدل والإحسان وكذا في أنباء الأنبياء والأمم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار ظاهر لا ريب فيه وأما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث إن أحكام
كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التي تعتبر بالنسبة إلى خصوصيات الأمم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم • وأنزل
التوراة والإنجيل • تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده إذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة
ويزداد في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام أي أنزلهما
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وإنما لم يذكر لأن الكلام في الكتابين لا فيمن أنزلا عليه وهما اسمان أعجميان الأول عبري والثاني سرياني
وتعسف القراء بفتح همزة الإنجيل فإن أفعيل ليس من أبنية العرب والقصد إلى اشتقاقهما من الوري والنجل تعسف • من قبل • متعلق
بأنزل أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة في البيان • هدى للناس • في حيز النصب على أنه علة للإنزال
أي أنزلهما لهدايتهم أو على أنه حال منهما أي أنزلهما حال كونهما هداية لهم وإنما لم يجمع للإفراد لما أنه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة أو حذف منه
المضاف أي ذوي هدى ثم إن أريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الأمم الماضية من حين نزولهما إلى زمان نسخهما
وإن أريد هدايتهما على الإطلاق وهو الأنسب بالمقام فالناس على عمومه لأن هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقها
القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة • وأنزل الفرقان • الفرقان في الأصل
الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فأنبتنا
فيها حبا وعنبا إلى قوله تعالى وفاكهة وأبا أو نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ
الإنزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب

غليظ وأما الزبور فإنما يشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية إلى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر والفساد وعدم
الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر وأما القرآن
نفسه فذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله وقد بين أولا تنزيله التدريجي إلى الأرض وثانيا إنزاله الدفعي إلى السماء
الدنيا أو أريد بالإنزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج والدفعة وأما المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل
إن الذين كفروا بآيات الله • وضع موضع الضمير العائد إلى ما فصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات الآتية تفصيلا إلى الاسم
الجليل تعظيما لشأنها وتهويلا لأمر من اجترأ وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وإيذانا بأن ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل
بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول إما أهل الكتابين وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أوليا
أي إن الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلا أو بعضا مع تبيانها
الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعا لما أن تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما أو أصالة أيضا
بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه أو بآياتها المبشرة بنزول القرآن وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها • لهم • بسبب
كفرهم بها • عذاب • مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر إن والتنوين للتفخيم أي عذاب عذاب
شديد • لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به إثر تقرير أمر التوحيد الذاتي والوصفي والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب
الإلهية حملا على القبول والإذعان وزجرا عن الكفر والعصيان • ذو انتقام • عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة
والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له • إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
السماء • كلام مستأنف لبيان سعة علمه تعالى وإحاطته بجميع ما في العالم من الأشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا
وجهرا إثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل
من بلوغ رتبة الصفات الإلهية وإنما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
إيذانا بأن علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يعتريه شائبة خفاء بوجه من الوجوه
كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لأن وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء
مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي أي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الأرض ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار
فيهما أو الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وإنما عبر بهما عن كل العالم لأنهما قطراه وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال
أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا
وقوله عز وجل • هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء • جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى وجريان أحوال الخلق
في أطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه عليه مع زيادة بيان لتعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت الوجود
ضرورة علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم أو بمحذوف وقع حالا
من ضمير المفعول أي يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ وكيف معمول لشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل يصوركم أي
يصوركم كائنا على مشيئته تعالى أي مريدا أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الأحكام المتغايرة من كونكم
نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات
وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة أبناء النوع المتقلبين في هذه الأطوار على مشيئة
البارئ عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل أي صوركم لنفسه ولعبادته • لا إله إلا هو
إذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالألوهية أحد ليتوهم ألوهيته • العزيز الحكيم • المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم
على ما ذكر من النمط البديع • هو الذي أنزل عليك الكتاب • شروع في إبطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى
عليه السلام بطريق الاستئناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته
تابعا لمشيئته قيل إن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم يا محمد أن عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى
قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين أن الكتاب مؤسس على أصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه

من الضلال والمراد بالانزال المعنى المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه
لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشأن ما رجع اليه التشريف بالانزال عليه ومن التشويق الى المنزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم
لا سيما بعد الاشعار بقوة شأنه او منفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه • منه آيات
الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني
ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتدبر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحال
من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية
محكمات صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه • هن ام الكتاب • اي اصل فيه
وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة
عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان
ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى
فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها • واخر • نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي
جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر او من آخر • متشابهات • صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان
متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة
وصف لتلك المعاني وصفت به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول او قيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يعجز العقل
من التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله
ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد
في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها
اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب
احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل
الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية
المدلول • فاما الذين في قلوبهم زيغ • اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل
قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد • فيتبعون ما تشابه منه • معرضين عن المحكمات
اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب وتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل • ابتغاء الفتنة • اي طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد • وابتغاء تأويله • اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه
من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل • وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم • حال
من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال ان التأويل مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي
الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف
بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء وان ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله
فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة
ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به • يقولون آمنا به • اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف
موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى • كل من عند ربنا • من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له
اي كل واحد منه ومنه المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او امنا به بحقيقته على مراده تعالى • وما يذكر • حق التذكر
الا اولوا الالباب • اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب
عما تشبثت به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله

كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون • ربنا لا تزغ قلوبنا • من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق
وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا • بعد اذ هديتنا • اي الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين
وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان • وهب لنا
من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن
لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون
فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهري من لدن الظهر الى العصر
ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا
قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة
الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح • وقلما تخلو عن من كما في التنزيل • رحمة
واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع بالدلالة
فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن • انك انت الوهاب • تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم
ان والاطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب
عليه شيء • ربنا انك جامع الناس ليوم • اي لحساب يوم او جزاء يوم فحذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا
لما يقع فيه • لا ريب فيه • اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة
وانها المقصد الاسنى عندهم والتأكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين باحوال الآخرة • ان الله لا يخلف الميعاد •
تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية
منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا • ان الذين كفروا • اثر ما بين
الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال الكفرة
والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركو العرب • لن تغني عنهم •
اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين • اموالهم • التي يبذلونها في جلب المنافع
ودفع المضار • ولا اولادهم • الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال
مع توسيع حرف النفي منها اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب
• من الله • من عذاب الله تعالى • شيئا • اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله
تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما
في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى
او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب بما بعده من قوله تعالى
• واولئك هم وقود النار • ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فانه
بيان حالهم عند التسعير فاشار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والالفة للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم
الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء
وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين
ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها • كدأب آل فرعون

الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدأ
محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور
في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي الجمهور ولا لايقاد
النار فحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى
واولئك هم وقود النار لان المعنى لن تغني عنهم شيئا فلا يعطوا فاعلى جبران فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة
من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر
عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كانه قيل كيف
كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا
من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا الى آخره حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار
اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يأباه رونق النظم الكريم والالتفات
الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم
بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة
جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخرى اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب
في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله
من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم
لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه
وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع
فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة
عن مشركي مكة وان ذلك قاله لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فمؤد الى انقطاع
الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي
لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل
جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف
وهو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة والتوسط بينها
وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التأنيث ههنا غير حقيقي
او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي قد كان لكم ايها المغترون
بعددكم وعددكم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المعلوم منهما كان
مدركا لهما يتجهونها وقد لقيتها ما لقيها فسيصيبكم ما اصابكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان
والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة
بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس صنفان شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع
اي احدهما شامت واخر مثن وقوله اذا ما استقد الحبر في فلس وعود البقل ملوي ومحصود والجملة ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في
من الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة وانما ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق

بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بان المدار في تحقق الآية هو رؤية القليل كثيرا وقرئ تقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق
واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كرسمها لو عطف
ان التعريف لتعيين الشيء المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم يوصف هذه
الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة
وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف
البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اي فئة
منهما تقاتل الى آخره وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الى آخره وقرئ فئة بالجر على البدلية
من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد في مثله من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة وكنت كذي
رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل
التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا
يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى واثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع
على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين او مثلي عدد المرئيين اذ كانوا تسعمائة
كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان رضي الله عنه وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل
مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين
فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كانوا يضعفون علينا او مثلي عدد المسلمين اي ثلثمائة ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله تعالى عنه وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر
لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله سبحانه كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه عز وجل كما امدهم بالملائكة
عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند رايهم ليجترئوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين يخيفهم الرعب
وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا
فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا
رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأيناهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت
لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم
في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان آثار قدرة الله
وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف
المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين
السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستأنفا اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا يبعد جعل الخطاب
للمشركين على ما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرح به فظاهر لاستراحة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي
شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون الاسناد
الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم
بتاء الخطاب فظاهر ان قصد توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس نصا في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول
باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع منهم بواسطة

كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاستدرت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا للعوض من تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو ايضا من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما واردة من جهته تعالى تصديقا لمقالته عليه السلام زين للناس كلام مستأنف سيق لتحقير شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات وايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول الجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الفا دينار وقيل مائتين ومائة رطل ومائة مثقال دراهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعدودة متاع الحياة الدنيا اي ما يتمتع به في الحياة الدنيا اياما قلائل فيفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدده عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد وجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله تعالى من حسن المآب النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على شيء وفيه فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدل من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والانباء بما هو خير لطائفة مما يوهم ان هناك خيرا لآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق

بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الى آخره او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد وكذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله تعالى ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين عند الله على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالرفع على المدح اي هم شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولو العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما واجيب بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولو العلم شهداء بذلك واما ان يحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فحينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى قائما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله عز وعلا وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله والايذان في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة كما في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او حقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما الى آخره والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهور به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم

بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها انه
عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت
هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام
فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له
انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك
قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة
او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى
حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة لزيادة
تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء
مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي
لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج الباهرة النيرة والآيات وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة
ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله
هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله
سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب
اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى
من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم
فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام اي جادلوك فيه بعد ما اقيمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي
وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة
وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام
ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه
وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين
اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة
فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه
فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة
وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال
وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا
اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا
اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد
عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة
بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام

وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله عز وجل
ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق و
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما
في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر
بمعروف او نهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين
فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا وكذا الحال في النسخ
بأن المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن ما يقضى
فسوف يكون وانما لم تغير معنى الابتداء اي النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر
عندهما في قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك زيد فافهم رجل صدق مبين وعلى الاول
هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول مع ما في حيزه
صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة والمبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر
في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى
الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلة لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم
في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة على ان اللام للعهد
وحمله على جنس الكتب الالهية يطول لقيامه اذ تمام التقريب حينئذ بكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجب انما هو اعراضهم
عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت
النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها
وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه
وهو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة
استئناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى
وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم
التوراة فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ
ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف فيما بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال
من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار
على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب باقتراف الذنوب وركوب المعاصي
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب
عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال
لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه
اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه
للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية

جزاء امانه وعمله لا يكون في النار ولا يمل دخولها فان ذلك بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس يدل عليه كل نفس لا يظلمون
بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا
خصائص الاسم الجليل لدخوله عليها مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به
فحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا تتصرف
كيف ما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم
تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره
بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه
وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقة والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية
وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء
اي تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير
بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه
مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول
الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فانه روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق
صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور
صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت
انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني
وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج
المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء
بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب
وبمعنى العدد قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال تلك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام
فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت
انه لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له
سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو
ب معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب
المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع
الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن

عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس
من الله من ولاية تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب
بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال
من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول
فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير
كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم
الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه تعالى بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح
بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا
هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء
قدم سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات
وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب
وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يوصف بشيء منها من العلم
الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي
علت من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما
والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية
تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم
امدا بعيدا لغاية بعده وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال
فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود حالا
من كل نفس او استئنافا مبنيا على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كأن
سائلا قال حين امر بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الى آخره او تجد مقصورا على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت
من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة
المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد
من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة
الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير
الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب
اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع
وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام
انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا قولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف

على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى
فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله
فانا رسوله اليكم وحجته عليكم · قل اطيعوا الله والرسول · اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام
دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه
السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها · فان تولوا · اما
من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة
الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم · فان الله لا يحب الكافرين · نفي المحبة
كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه
تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين · ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين · لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتاب فيه انما هو للبغي
والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة
القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس
الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام
وادعائهم الانتساب الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله
عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان
بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل
وختم المقالة احسانا بعصيانه وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم
الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة
كونه من زمرتهم مع ما فيه من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم
في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الأب الاقرب
ادخل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء
مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل
عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه
واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام لكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين
من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى
عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يوزن
بن يابل بن ساليان بن يوحيا بن اوشيا بن اموز بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا
بن راجيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياداب بن رام بن حصروم بن
فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام او ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة
فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام حينئذ بالاندراج في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون
عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه
ذرية · نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى · بعضها من بعض

في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية
وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستئناف على الوجه الاول تقريرية وعلى الثاني برهانية · والله سميع · لاقوال العباد · عليم · باعمالهم
البادية والخافية فيصطفي من يشاء منهم لخدمته من نظر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها · اذ قالت امرأت عمران · في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته
اي اذكر لهم وقت قولها الى آخره وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل
هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور
كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الى آخره فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء
الكل في ذلك الوقت وامرأت عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس كذلك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه
عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة
فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما يطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم
من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع
اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق على بيت المقدس فيكون من سدنته
وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل فحينئذ قولها · رب اني نذرت لك ما في بطني · لابد
من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب
مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته العلا
وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به والتعبير عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء
محررا · اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا اشغله بشأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره
في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى
لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها · فتقبل مني · اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء
للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى · انك انت السميع · لجميع المسموعات التي من جملتها
تضرعي ودعائي · العليم · بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا
وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه
مبالغة في الضراعة والابتهال · فلما وضعتها · اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره
في حيز الشرط اذ عليه يترتب جوابها اعني قوله تعالى · قالت رب اني وضعتها انثى · لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا
قالت الى آخره وقيل لانه لما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبارها بما ذكر
في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه [illegible]
رجاه وعلى ما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل · والله اعلم بما وضعت · تعظيم من جهته تعالى لموضوعها
وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة
عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان
وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى
حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه

حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد
اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد
تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على القراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضل بل ادنى
منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبد فانهن بمعزل
عن ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها وما بينهما اعتراض وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى
واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته
انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني افرغ
وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر
مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر
مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي بقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية
الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب
عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية
فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم
زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل
بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل للفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا
وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل
فان غلبته عليه السلام في كفالتها بطفو قلمه ورسوب اقلامهم ونحو ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ وكفلها
زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب
ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد
اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار
كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف
والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك
من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام
عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة
دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى عليه السلام او جعله معجزة لزكريا عليه السلام
فاباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم
قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله

فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى
وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله
تعالى عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في
من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء دليل فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام
للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث
للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم ومنزلتها على الله تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله
تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل
على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط كان جزء
لغيره من الحالات التي لها مدخل في ذلك من كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء
وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء
الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية
اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول
من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد واحد معين اما اذا قصد المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة
وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة
كالمنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له الا فرس
وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذي هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس
لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء
مقررة لما افادته الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون
الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى
في المحراب اي المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد
فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء
مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي واياما كان فينبغي ان يكون هذا الكلام الى آخره محكيا بعبارة من الله
عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه
تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء
امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية
منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي
كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف فيعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة
من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى
فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا
بكلمة الى آخره وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقتل قبل رفع عيسى عليهما السلام

بدو بسيره وعلى كل تقدير كون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت
عشر سنين ومصدقا بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي يسود قومه
ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يهم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله
اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله
مرتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين
بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة
البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال
كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له بملابسة انه المباشر للخطاب وان كان
ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى
يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف في عامة الاحوال وان لم يوقف عليه في بعضها
انى يكون لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين
يحدث لي غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة
بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الجار
وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن من حيث وارى كقولهم ادركته السن واخذته
السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه وقيل كان له تسع وتسعون
وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون
ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من ياء اي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي
يكون لي ذلك والحال اني وامرأتي على حالة مضافة لكل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله
تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك
لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك
استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء
ان يفعله من عجائب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف
اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على الفعل لافادة
القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة للتاكيد لما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة
مبتدأ اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك
وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له وقال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفي
لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا
السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر او ثلاث سنين
لان ظهور العلامة كان عقيب تعينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا
ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لا مسوغ
لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس
اي لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت
آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها

واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اي اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه
قيل البحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب
في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس
معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اي في ايام الحبسة
شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اي نزهه
او افعل التسبيح بالعشي اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع
الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الكلام
الثاني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع
في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاشتداد ما بينهما العام
ايا حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر
السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأت عمران منصوب بناصبه وقيل بزيادة اذ واذكر
ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير الذكر للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء
والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية الروحانية
بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام
ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفتك اليهود بانطاق
الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية
للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر من التنبيه على ان كلا منهما مستحق
للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين
من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى
عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت به مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى
منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من ذكر
النعم كان بتمهيد التذكرة وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي ديمي على الصلاة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
لها للاشعار بعلية وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة على
رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة
واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق الترقي من الادنى الى الاعلى وانما لم يقل اركعي مع الراكعين
للاشعار بان من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين
الاخيرين عما قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود
الصلاة لما من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا
ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى من انباء الغيب اي من الاخبار المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة
مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة
انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم
وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فان
طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والوقائع اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال العيان المستحيلة ضرورة فنفي بتهكم بهم

إذ يلقون أقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم وأقلامهم أقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التوراة تبركا أيهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها وما كنت لديهم إذ يختصمون
في شأنها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله عز
وجل نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند إلقاء الأقلام
وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما إذا أريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب
في الذكر مؤكد له إذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام وبدل من إذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به
تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بأن يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب وإيذانا
بتقارن الخطابين أو تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على اصطفاك وقيل بدل من إذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضرا في ذلك
الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب إشعارا بإحاطته عليه السلام بتفاصيل أحوال مريم من أولها إلى آخرها
والقائل جبريل عليه السلام وإيراد صيغة الجمع لما مر يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع
صفة لكلمة أي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه وذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى
عيسى بدل منه أو عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب بإضمار أعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم
صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عليه السلام عن جميع ما عداه والمسيح لقبه
عليه السلام وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من أيشوع والتصدي لاشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بأنه عليه السلام مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسحه جبريل عليهما السلام أو مسح الأرض ولم يقم في موضع
أو كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ وبأنه كان في لونه عيس أي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها
تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه
ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فإنها وإن كانت نكرة لكنها صالحة لأن ينتصب بها الحال وفي الآخرة
وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين
أي من الله عز وجل وقيل هو إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة وهو عطف على الحال الأولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس
في المهد وكهلا أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي أي يسوى من مضجعه
وقيل إنه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر أحواله المختلفة المتنافية إشارة إلى أنه بمعزل من الألوهية ومن الصالحين
حال أخرى من كلمة معطوفة على الأحوال السالفة أو من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت مريم
حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة إلى ربها رب أنى يكون أي كيف يكون أو من أين يكون لي ولد
على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه بالتزوج أو بغيره
ويكون إما تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ويجوز أن يتعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من ولد إذ لو تأخر لكان صفة له وإما ناقصة واسمها ولد وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر وإما لي
ونصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد أي والحال أني على حالة منافية للولادة قال أي الله
كما سلف والقائل هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في إعرابه كما في قصة زكريا بعينه خلا أن إيراد
يخلق هاهنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق
المنبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل إذا قضى أمرا من الأمور أي إذا أراد شيئا كما في
قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل
الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فإنما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات
حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء
مدرجا بأسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة واحدة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد ويعلمه الكتاب أي الكتابة

أو جنس الكتب الإلهية والحكمة أي العلوم وتهذيب الأخلاق والتوراة والإنجيل إفرادهما بالذكر على تقدير كون المراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وإنافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق
تطييبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة لما علمت أنها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا إلى بني إسرائيل
منصوب بمضمر يعود إليه المعنى معطوف على يعلمه أي ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل أي كلهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثا إلى قوم
مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهم وقيل أولهم موسى
وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى أني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق أي ورسولا ناطقا بأني إلخ وقيل منصوب بمضمر
معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه أي ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم إلخ وقيل معطوف على الأحوال المتقدمة ولا يقدح فيه كونها في حكم
الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا بأني إلخ وقرئ ورسول بالجر
عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة
لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات أو بجئتكم على أنها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لآية أي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم أو بجئتكم أي جئتكم من جهته تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأكيد إيجاب الامتثال بما سيأتي من الأوامر وقوله تعالى أني أخلق لكم من الطين كهيئة بدل من قوله تعالى أني
قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي أو بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر أي أعني
أني إلخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أني أخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف أي أقدر لكم أي لأجل
تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة
الطير وقرئ فأنفخ فيها على أن الضمير للهيئة المقدرة أي أخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فأنفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا
كسائر الطيور بإذن الله بأمره تعالى وأشار عليه السلام بذلك إلى أن إحياءه من الله عز وجل لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي أنه
عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طينا وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض
قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل إنما طلبوا خلق الخفاش
لأنه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الإنسان وتطير
بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق أنواعا من الطير
وأبرئ الأكمه أي الذي ولد أعمى أو الممسوح العين والأبرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح
أيضا وتخصيصهما بالذكر لأنهما مما أعيى الأطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فأراهم الله تعالى المعجزة من ذلك
الجنس روي أنه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وما يداويه إلا بالدعاء
وأحيي الموتى بإذن الله كرره لنفي توهم من توهم فيه الألوهية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم أحيا عازر
وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع إلى أهله وعاش وولد له وبنت العاشر
أحياها وولدت بعد ذلك فقالوا إنك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح
فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن
في زمانكم شيب قال يا روح الله إنك لما دعوتني سمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فمن هول
ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله إن مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم
صدقوه فإنه نبي فآمن بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك
قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف
إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأمور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة
إن كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى إليه ودلالة المذكور عليه أي انتفعتم بها أو إن كنتم ممن يتأتى منهم الإيمان
دلتكم على صحة رسالتي والإيمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى بآية أي قد جئتكم

ملتبساً باية الى آخره ومصدقا لما بين يدي او على رسولا على الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي وجعله مصدقا ناطقا
باني اصدق ح او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ح ومصدقا ح او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق ح او منصوب باضمار فعل دل
عليه قد جئتكم اي جئتكم مصدقا الى آخره وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستكن في الظرف الواقع
صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل • ولاحل لكم • معمول المضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الى آخره
وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ح ولاحل ح وقيل عطف على باية اي جئتكم باية
من ربكم ولاحل لكم • بعض الذي حرم عليكم • اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وقيل
احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ
حرم بوزن كرم وهذا دليل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان
تخصيص في الازمان وتأخير المفعول من الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر • وجئتكم باية
من ربكم • شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بايات • فاتقوا الله • في عدم قبولها ومخالفة مدلولها • واطيعون • فيما امركم
وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قوله • ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • فانه الحق الصريح الذي اجمع
عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او وقد جئتكم باية على ان الله ربي وربكم
وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي وقد جئتكم باية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء
الاكمه والابرص والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش ح ثم شرع في الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه
اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم • فلما احس عيسى منهم الكفر • شروع
في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملئكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملئكة
عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما حكي كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت واتاهم بكذا وكذا بحكاية الملئكة وادى ما يعدم الحاجة الى
ما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بعض احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها للمقام
لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر
اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه
امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي
ابتدأ الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر • قال • اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة
من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم • من انصاري • الانصار جمع
نصير كالاشراف جمع شريف • الى الله • متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري
مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصر وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى
اللام وقيل بمعنى مع • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال • الحواريون •
جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
ونقائهن سمي اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص

قد ذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون
وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصطادون
السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه
المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة
من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا
آمنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا
قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل
من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته
فقال له عليه السلام هنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها
في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل
يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام
وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته • نحن انصار الله •
اي انصار دينه ورسوله • آمنا بالله • استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه
والمحاربة مع اعدائه • واشهد بانا مسلمون • مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام
الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية • ربنا آمنا بما
انزلت • تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم • واتبعنا الرسول • اي
في كل ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا • فاكتبنا مع الشاهدين • اي مع الذين يشهدون
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال
من مفعول اكتبنا • ومكروا • اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود وكلوا به من يقتله غيلة • ومكر الله • بان رفع عيسى
عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده
اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل
بيتا فيه روزنة ورفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله
عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم
على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع الى السماء فاخذوا المنافق وهو
يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع فيهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون عند
عيسى عليه السلام وجعلتا يبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله
رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك
ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام
فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية
في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلث عشرة سنة

وولدته ببيت لحم من أرض أوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وأوحى الله تعالى إليه على رأس
ثلاثين سنة ورفعه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين
والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب وإظهار الجلالة في موضع الإضمار لتربية
المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله إذ قال الله ظرف لمكر الله أو لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى إني متوفيك أي مستوفي
أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصما لك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالي أو متوفيك نائما إذ روي أنه رفع
وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن أو مميتك من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وقيل أماته
الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن
وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصل القصة أن اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون
وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبرهم إبليس جمع اليهود وركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة
فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم أنا يا نبي الله فألقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله
عكازه وألقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما عيسى عليه السلام فكساه الله تعالى الريش والنور وقطع عنه شهوة المطعم
والمشرب وذلك قوله تعالى إني متوفيك فطار مع الملائكة ثم إن أصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا
ما شاء ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة أخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم المسلمون
فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الإسلام منطمسا إلى أن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك
إلي أي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا أي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين
اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود
فإن أهل الإسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي أن يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الإسلام
والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة وإلا فأولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام
إلى يوم القيامة غاية للجعل أو للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى أن الجعل والفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذل بل على أن المسلمين يعلونهم
إلى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم إلي مرجعكم أي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد
لتأكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فإنه أبلغ
في التبشير والإنذار فأحكم بينكم يومئذ إثر رجوعكم إلي فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته
والبداية ببيان حال الكفرة لما أن مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة
متعلق بأعذبهم لا بمعنى إيقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحدا منهما يوم القيامة بل بمعنى إتمام مجموعهما يومئذ
وقيل إن المرجع أعم من الدنيوي والأخروي وقوله تعالى إلى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وغير محدود ولا عن الفوقية
المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم أخلع عليك بخلعة لزوم تأخر الخلع عن الإعارة لا عن الشهر وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أي ليس لواحد منهم ناصر واحد وأما الذين آمنوا
بما أرسلت وعملوا الصالحات كما هو دين المؤمنين فيوفيهم أجورهم أي يعطيهم إياها كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان
بما بين مصدري التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله
لا يحب الظالمين أي يبغضهم فإن هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وإيراد الظلم للإشعار بأنهم بكفرهم متعدون
متجاوزون عن الحدود واضعون الكفر مكان الشكر والإيمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك إشارة إلى ما سلف
من نبإ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمر ونباهة
الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من

إلي

من الآيات حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمر أي
الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال إما لاستحضار الصورة أو على معناها إذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم أي المشتمل
على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية أو بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية
إن مثل عيسى أي شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال عند الله أي في تقديره وحكمه كمثل آدم أي كحاله العجيبة
التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتمثيل
ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عليه السلام بلا أب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير أب
وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه
من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم للتراخي في الإخبار كالتراخي في المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء
البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنسانا من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه السلام إن آدم
ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي
الحق أي ما قصصنا عليك من نبإ عيسى عليه السلام وأمه والظرف إما حال أي كائنا من ربك أو خبر ثان أي كائن منه تعالى وقيل هو مبتدأ
وخبره أي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والإيذان بأن تنزيل هذه
الآيات الحقة الناطقة بكنه الأمر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب إما للنبي صلى الله
عليه وسلم ولطف به على طريقة الإلهاب والتهييج لزيادة التثبيت والإشعار بأن الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يكاد
يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء وإما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك أي من النصارى إذ هم المتصدون
للمحاجة فيه أي في شأن عيسى وأمه زعما منهم أنه ليس على الشأن المحكي من بعد ما جاءك من العلم أي ما يوجبه إيجابا قطعيا
من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا أي هلموا بالرأي والعزيمة
ندع أبناءنا وأبناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم أعز منهن وأما النساء فتعلقهن من جهة أخرى ونساءكم
ونساءنا
وأنفسنا وأنفسكم أي ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس
في أثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيذان بكمال أمنه
صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بأمره وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام
على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل في الصيغة فإن غير المتكلم تبع له في الإسناد ثم نبتهل أي نتباهل
بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها الترك من قولهم بهلت الناقة أي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف على نبتهل مبين لمعناه روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم
كم
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم أجمعين
وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه
لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك
ونثبت على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا
ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف
في صفر وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهلكوا إن هذا أي ما قص من نبإ عيسى وأمه لهو القصص الحق دون ما عداه من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل

وحلیه اللام لکونه اقرب الی المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقری لهو بسکون الهاء والقصص خبران والحق صفته وهو مبتدا
والقصص خبره والجمله خبر ان وما من اله الا الله صرح فیه بمن الاستغراقیه تاکیدا للرد علی النصاری فی تثلیثهم وان
الله لهو العزیز القادر علی جمیع المقدورات الحکیم المحیط بالمعلومات لا احد یشارکه فی القدره والحکمه لیشارکه فی الالوهیه
فان تولوا عن التوحید وقبول الحق الذی یقص علیک بعد ما عاینوا تلک الحجج النیره والبراهین الساطعه فان الله علیم
بالمفسدین ای بهم وانما وضع موضعه ما وضع للایذان بان الاعراض عن التوحید والحق الذی لا محید عنه بعد ما قامت الحجج افساد للعالم
وفیه من شده الوعید ما لا یخفی قل یا اهل الکتاب امر بخطاب اهل الکتابین وقیل بخطاب وفد نجران وقیل لخطاب یهود
المدینه تعالوا الی کلمه سواء بیننا وبینکم لا یختلف فیها الرسل والکتب وهی ان لا نعبد الا الله ولا یتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله بان نقول عزیر ابن الله والمسیح ابن الله ولا نطیع الاحبار فیما احدثوا من التحریم والتحلیل لان کلا منهم بعضنا
مثلنا روی انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدی بن حاتم ما کنا نعبدهم یا رسول الله قال علیه السلام
الیس کانوا یحلون لکم ویحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال علیه السلام هو ذاک فان تولوا عما دعوتهم الیه من التوحید
وترک الاشراک فقولوا ای قل لهم انت والمومنون اشهدوا بانا مسلمون ای لزمتکم الحجه فاعترفوا بانا مسلمون دونکم
او اعترفوا بانکم کافرون لما نطقت به الکتب وتطابقت علیه الرسل علیهم السلام انظر الی ما روعی فی هذه القصه من المبالغه
فی الارشاد وحسن التدرج فی الحجاج حیث بین اولا احوال عیسی علیه السلام وما توارد علیه من الاطوار المنافیه للالهیه ثم ذکر
کیفیه دعوته للناس الی التوحید والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الی المباهله بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقیاد دعوا الی ما اتفق علیه عیسی والانجیل وسائر الانبیاء والکتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ایضا امر بان یقال لهم اشهدوا
بانا مسلمون یا اهل الکتاب من الیهود والنصاری لم تحاجون فی ابراهیم ای فی ملته وشریعته تنازعت الیهود والنصاری
فی ابراهیم علیه السلام وزعم کل منهم انه علیه السلام منهم وترافعوا الی رسول الله صلی الله علیه وسلم فنزلت والمعنی لم تدعون انه علیه السلام
کان منکم وما انزلت التوراه علی موسی علیه السلام والانجیل علی عیسی علیه السلام الا من بعده حیث کان
بینه وبین موسی علیهما السلام الف سنه وبین موسی وعیسی علیهما السلام الفا سنه فکیف یکون ان یکون علیه افلا تعقلون
ای الا تتفکرون فلا تعقلون بطلان مذهبکم او تقولون ذلک فلا تعقلون بطلانه ها انتم هولاء جمله من مبتدا
وخبر صدرت بحرف التنبیه ثم بینت بجمله مستانفه اشعارا بکمال غفلتهم ای انتم هولاء الاشخاص الحمقی حیث حاججتم فیما لکم
به علم فی الجمله حیث وجدتموه فی التوراه والانجیل فلم تحاجون فیما لیس لکم به علم اصلا اذ لا ذکر لدین ابراهیم فی احد
الکتابین قطعا وقیل هولاء وحاججتم صلته وقیل ها انتم اصله انتم علی الاستفهام للتعجب فقلبت الهمزه هاء والله یعلم ما حاججتم
فیه او کل شیء فیدخل فیه ذلک دخولا اولیا والله یعلم ما حاججتم فیه او کل شیء فیدخل فیه وانتم لا تعلمون ای تجهل
النزاع او شیئا من الاشیاء التی من جملتها ذلک ما کان ابراهیم یهودیا ولا نصرانیا تصریح بما نطق به البرهان المقرر
ولکن کان حنیفا ای مائلا عن العقاید الزائغه کلها مسلما ای منقادا لله تعالی ولیس المراد انه کان علی مله الاسلام
او الاشراک لا الزام وما کان من المشرکین تعریض بانهم مشرکون بقولهم عزیر ابن الله والمسیح ابن الله ورد لادعاء المشرکین
انهم علی ملته علیه السلام ان اولی الناس بابراهیم ای اقربهم الیه واخصهم به للذین اتبعوه ای فی زمانه وهذا النبی
والذین امنوا لموافقتهم له فی اکثر ما شرع لهم علی الاصاله وقری والنبی بالنصب عطفا علی الضمیر فی اتبعوه وبالجر عطفا علی ابراهیم
والله ولی المومنین ینصرهم ویجازیهم الحسنی بایمانهم وتخصیص المومنین بالذکر لیثبت الحکم فی النبی علیه السلام بدلاله النص
ودت طایفه من اهل الکتاب لو یضلونکم نزلت فی الیهود حین دعوا حذیفه وعمارا ومعاذا الی الیهودیه ولو بمعنی ان وما
یضلون الا انفسهم جمله حالیه جی بها للدلاله علی کمال رسوخ المخاطبین وثباتهم علی ما هم علیه من الدین القویم ای وما یتخطاهم الاضلال
ولا یعود وباله الا الیهم لما انه یضاعف به عذابهم وقیل وما یضلون الا امثالهم ویاباه قوله تعالی وما یشعرون ای
باختصاص وباله وضرره بهم یا اهل الکتاب لم تکفرون بایات الله ای بما نطقت به التوراه والانجیل ودلت علی نبوه محمد
صلی الله علیه وسلم وانتم تشهدون ای والحال انکم تشهدون انها ایات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فی الکتابین

او تعلمون بالمعجزات انه حق یا اهل الکتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحریفهم وابراز الباطل فی صورته او بالتقصیر فی التمییز
بینهما وقری تلبسون بالتشدید وتلبسون الحق مع الباطل کما فی قوله علیه السلام کلابس ثوبی زور وتکتمون الحق ای نبوه محمد علیه
الصلوه والسلام ونعته وانتم تعلمون ای حقیته وقالت طایفه من اهل الکتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم
آمنوا بالذی انزل علی الذین آمنوا ای اظهروا الایمان بالقرآن المنزل علیهم وجه النهار ای اوله واکفروا ای اظهروا
ما انتم علیه من الکفر به آخره مرائین لهم انکم آمنتم به بادی الرأی من غیر تأمل ثم تأملتم فیه فوقفتم علی خلل رأیکم الاول فرجعتم عنه
لعلهم ای المومنین یرجعون عما هم علیه من الایمان به کما رجعتم والمراد بالطائفه کعب بن الاشرف ومالک بن الصیف قالا لاصحابهما
لما حولت القبله آمنوا بما انزل علیهم من الصلوه الی الکعبه وصلوا الیها اول النهار ثم صلوا الی الصخره آخره لعلهم یقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فیرجعون وقیل هم اثنا عشر رجلا من احبار خیبر تقاولوا بان یدخلوا فی الاسلام اول النهار ویقولوا آخره نظرنا فی کتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلی الله علیه وسلم بالنعت الذی ورد فی التوراه لعل اصحابه یشکون فیه ولا تؤمنوا ای لا تقروا عن تصدیق
قلبی الا لمن تبع دینکم ای لاهل دینکم او لا تظهروا ایمانکم وجه النهار الا لمن کان علی دینکم من قبل فان رجوعهم ارجی واهم قل
ان الهدی هدی الله یهدی من یشاء الی الایمان ویثبته علیه ان یؤتی احد مثل ما اوتیتم متعلق بمحذوف ای دبرتم ذلک
وقلتم لان یؤتی احد مثل ما اوتیتم الا لاشیاعکم ولا تفشوه الی المسلمین لئلا یزید ثباتهم ولا الی المشرکین لئلا یدعوهم الی الاسلام
وقوله تعالی قل ان الهدی هدی الله اعتراض مفید لکون کیدهم غیر مجد لطائل او خبر ان علی ان هدی الله بدل من الهدی وقری ان یؤتی
علی الاستفهام التقریعی وهو مؤید للتوجیه الاول ای الان یؤتی احد دبرتم وقری ان علی انها نافیه فیکون من کلام الطائفه ای ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دینکم وقولوا لهم ما یؤتی احد مثل ما اوتیتم او یحاجوکم عند ربکم عطف علی ان یؤتی علی الوجهین الاولین وعلی الثالث
معناه حتی یحاجوکم عند ربکم فیدحضوا حجتکم والواو ضمیر احد لانه فی معنی الجمع اذ المراد به غیر اتباعهم قل ان الفضل بید الله یؤتیه
من یشاء والله واسع علیم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجه الباهره یختص برحمته من یشاء ای یجعل رحمته مقصوره علی من
یشاء والله ذو الفضل العظیم کلاهما تذییل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الکتاب شروع فی بیان خیانتهم فی المال
بعد بیان خیانتهم فی الدین والجار والمجرور فی محل الرفع علی الابتداء حسبما تحقیقه فی تفسیر قوله تعالی ومن الناس من یقول الخ وقوله
من ان تأمنه بقنطار یؤده الیک علی ان المقصود بیان اتصافهم بمضمون الجمله الشرطیه لا کونهم ذوات المذکورین کانه قیل بعض
اهل الکتاب بحیث ان تأمنه بقنطار ای بمال کثیر یؤده الیک کعبد الله بن سلام استودعه قرشی الفا ومائتی اوقیه ذهبا فاداه الیه
ومنهم من ان تأمنه بدینار لا یؤده الیک کفنحاص بن عازوراء استودعه قرشی آخر دینارا فجحده وقیل المأمونون علی الکثیر النصاری اذ الغالب
فیهم الامانه والخائنون فی القلیل الیهود اذ الغالب فیهم الخیانه الا ما دمت علیه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال ای الاوقات
ای لا یؤده الیک فی حال من الاحوال ای فی وقت من الاوقات الا فی حال دوام قیامک علی رأسه مبالغا فی مطالبته بالتقاضی
واقامه البینه ذلک اشاره الی ترک الاداء المدلول علیه بقوله تعالی لا یؤده وما فیه من معنی البعد للایذان بکمال غلوهم
فی الشر والفساد بانهم ای بسبب انهم قالوا لیس علینا فی الامیین ای فی شأن من لیس من اهل الکتاب سبیل
ای عتاب ومؤاخذه ویقولون علی الله الکذب بادعائهم ذلک وهم یعلمون انهم کاذبون مفترون علی الله تعالی
وذلک لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم یجعل فی التوراه فی حقهم حرمه وقیل عامل الیهود رجالا من قریش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقکم حیث ترکتم دینکم وزعموا انه کذلک فی کتابهم وعن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال عند نزولها کذب اعداء الله ما من شیء
فی الجاهلیه الا وهو تحت قدمی الا الامانه فانها مؤداه الی البر والفاجر بلی اثبات لما نفوه ای بلی علیهم فیهم سبیل وقوله تعالی
من اوفی بعهده واتقی فان الله یحب المتقین استئناف مقرر للجمله التی سدت بلی مسدها والضمیر المجرور لمن او لله تعالی وعموم المتقین ناب
مناب الراجع من الجزاء الی من وشعر بان التقوی ملاک الامر عام للوفاء وغیره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهی ان الذین یشترون
ای یستبدلون ویاخذون بعهد الله ای بما عاهدوا علیه من الایمان بالرسول صلی الله علیه وسلم والوفاء بالامانات وایمانهم
وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قلیلا هو حطام الدنیا اولئک الموصوفون بتلک الصفات القبیحه لا خلاق
لهم فی الآخره من نعیمها ولا یکلمهم الله ای بما یسرهم او بشیء اصلا وانما یقع ما یقع من السؤال والتوبیخ والتقریع اثناء الحساب

لا خلاق

من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك ن
لقوله تعالى ﴿ولا ينظر اليهم يوم القيامة﴾ فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان
التفت اليه واعار له نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ﴿ولا يزكيهم﴾ اي لا يثني عليهم
او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ﴿ولهم عذاب اليم﴾ على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق
وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث
ابن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن
يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعته
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به ﴿وان منهم﴾ اي من اليهود المحرفين ﴿لفريقا﴾ ككعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف واضرابهما ﴿يلوون السنتهم بالكتاب﴾ اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
﴿لتحسبوه﴾ اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين ﴿من الكتاب﴾ اي من جملته
وقوله تعالى ﴿وما هو من الكتاب﴾ حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ﴿ويقولون﴾ ن
مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض ﴿هو﴾ اي المحرف ﴿من عند الله﴾ اي منزل من عنده
﴿وما هو من عند الله﴾ حال من ضمير المبتدا في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم
وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ﴿ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون﴾ انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وما كيد لتسجيل عليهم الكذب على الله والتعمد فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ﴿ما كان لبشر﴾ بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى
نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اي ما صح
وما استقام لاحد وايثار لبشر اشعار بعلية الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ﴿ان يؤتيه الله الكتاب﴾
الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك ﴿والحكم﴾ الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة ﴿والنبوة ثم يقول﴾ ذلك البشر
بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من النعم تعالى وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية ﴿للناس كونوا عبادا لي﴾ الجار متعلق بمحذوف وقع
صفة عبادا اي عبادا كائنين لي ﴿من دون الله﴾ متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او وصفه ثانية له ويحتمل الحالية لتخصيص
النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله ان نعبد غير الله سبحانه
وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال عليه الصلاة والسلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
﴿ولكن﴾ اي ولكن يقول ﴿كونوا ربانيين﴾ الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب
ودراسته اي قراءته فان حمل جر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار
التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني
لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان يكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق
بشأنه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا

ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي نفي ما ذكر من توسيط الاستدراك بين المتعاطفين
ضرورة انهما حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء
الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجويز الحالية بتقدير المبتدا اي وهو يامركم لا يساعده السياق وفيه انتفاء تعالى
﴿ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا﴾ بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي
ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحال ﴿ايامركم بالكفر﴾ انكار
لما نفي عن البشر والضمير له وقيل لله تعالى ﴿بعد اذ انتم مسلمون﴾ يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له عليه السلام
﴿واذ اخذ الله ميثاق النبيين﴾ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم ﴿لما
اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان
الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين
اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام
في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر
على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين ايتيكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا
﴿قال﴾ اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ﴿ااقررتم﴾ بما ذكر ﴿واخذتم على ذلكم اصري﴾ اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم
الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به وقرئ بضم الهمزة ﴿قالوا﴾ استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا ﴿اقررنا﴾ وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك ﴿قال﴾ تعالى ﴿فاشهدوا﴾ اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة ﴿وانا معكم من الشاهدين﴾ اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم
المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ﴿فمن تولى﴾ اي اعرض عما ذكر ﴿بعد ذلك﴾ الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق ﴿فاولئك﴾ اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة ﴿هم الفاسقون﴾ المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد
﴿افغير دين الله يبغون﴾ عطف على مقدر اي يتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بالخطاب على تقدير وقل لهم ﴿وله اسلم من في السموات والارض﴾ جملة حالية مفيدة
لوكادة الانكار ﴿طوعا وكرها﴾ اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم ﴿واليه
يرجعون﴾ اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد
والوعيد ﴿قل امنا بالله﴾ امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله
تعالى ﴿وما انزل علينا﴾ وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل
او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك
ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء ﴿وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط﴾ من الصحف والانزال كما يعدى بالى لانتهائه
الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين
فقد تعسف الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين امنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم

على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام • وما اوتي موسى وعيسى
من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان
الكلام مع اليهود والنصارى • والنبيون • عطف على موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما
اي وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم • من ربهم • من الكتب والمعجزات • لا نفرق بين احد منهم • كدأب اليهود والنصارى
آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق من الكتب لاستلزام
المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب
يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو
واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان
بين الخير اذا جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني • ونحن له مسلمون • اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل
له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك • ومن يبتغ غير الاسلام • اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله سبحانه
كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين • دينا • ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام
حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام • فلن
يقبل ذلك • منه • ابدا بل يرده اشد رد واقبحه وقوله تعالى • وهو في الآخرة من الخاسرين • اما حال من الضمير المجرور او استئناف
لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال
الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن
بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره
كيف يهدي الله • الى الحق • قوما كفروا بعد ايمانهم • قيل هم عشرة رهط ارتدوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير
ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه • وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي
ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله تعالى الى آخره فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان • والله لا يهدي القوم الظالمين • اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر
من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى • جزاؤهم • مبتدأ ثان وقوله تعالى • ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم
ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه • خالدين فيها • في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يذكرا لدلالة الكلام عليهما • لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون • اي يمهلون • الا الذين تابوا من بعد
ذلك • اي من بعد الارتداد • واصلحوا • اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح • فان الله غفور رحيم • فيقبل توبتهم ويتفضل
عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب • ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا • كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان • لن تقبل توبتهم • لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك

فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا
لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء • واولئك هم الضالون • الثابتون على الضلال • ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به • لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا لو تصدق في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات الشنيعة المذكورة • لهم عذاب اليم • مؤلم اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع
عذاب اليم على الفاعلية • وما لهم من ناصرين • في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة
الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد • لن تنالوا البر • من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مسوق لبيان
ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا
شأوه ولن تحوزوا زمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته • حتى تنفقوا • اي في سبيل الله عز وجل
رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى • مما تحبون • تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة
اي مما تهوونه وتحبونه من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمحبة
على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا
شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها
يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا
وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان
موسى الاشعري رضي الله عنهما ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها
وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك
قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي
اخذت من تركته ففتش عن حاله واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت
حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى • وما تنفقوا
من شيء • ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا
من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث
تكرهونه • فان الله به عليم • تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما
كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي
ما لا يخفى • كل الطعام • اي كل افراد المطعوم او كل انواعه • كان حلا لبني اسرائيل • اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم • الا ما حرم اسرائيل على نفسه • استثناء متصل
من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لهم الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهي لحوم الابل والبانها قيل
كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد
وللمانع ان يقول كان ذلك باذن الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء • من قبل ان تنزل التوراة • متعلق بقوله كان حلا ولا ضير
في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزل التوراة مشعر على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم

وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لإبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها • قل فأتوا بالتوراة فاتلوها • أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم إخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى • إن كنتم صادقين • أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم مما يدعوكم إلى ذلك ألبتة وروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى • إن كنتم صادقين • أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف للدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم مما يدعوكم إلى ذلك فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها • فمن افترى على الله الكذب • أي اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والإلزام والتقييد للدلالة على كمال القبح فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان أي فأولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال • هم الظالمون • المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتوراة • قل صدق الله • أي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا الخ أو صدق في كل شأن من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا أوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح • فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا • أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه • حنيفا • أي مائلا عن الأديان الزائغة كلها • وما كان من المشركين • أي في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس منهم ومن علائق دينهم قطعا والغرض بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم عليه السلام في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها • إن أول بيت وضع للناس • شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شرائع ملة إبراهيم عليه السلام إثر بيان كفرهم بكون كل المطعوم حلالا له عليه السلام روي أنهم قالوا بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت أي إن أول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى • للذي ببكة • خبر لإن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بما بين الإضافة والوصف بالجملة بعدها أي للبيت الذي ببكة أي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم أمر راتب وراتم وسبد رأسه وسمده وأغبطت الحمى وأغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد ومكة اسم للبلد كله ويؤيده أن التباك وهو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل في سورة البقرة وقيل أول بيت بالشرف لا بالزمان • مباركا • كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار • وهدى للعالمين • لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة

دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال • فيه آيات بينات • واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى • مقام إبراهيم • أي أثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روي أنه عليه السلام جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليهما السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ حذف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عليه السلام كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها إلى الكعبين وإلانة بعض الصخور دون بعض وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما بما بعده من قوله عز وجل • ومن دخله كان آمنا • فإنه وإن كان جملة مستأنفة ابتدائية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام إبراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيكتفي بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات اثنان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام • ولله على الناس حج البيت • جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك إذا كانت هي ظرفا أو حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما تقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها • من استطاع إليه سبيلا • في محل الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم من استطاع إلى آخره وقيل في حيز النصب بتقدير أعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع إلى البيت أو إلى الحج والجار متعلق بسبيلا قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل إلى خروج من سبيل ومن للبيان من سبيل لما فيه من معنى الإفضاء والإيصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال أو غيره فإنه قد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي أنه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه أكثر العلماء خلا أن الشافعي رحمه الله أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه والظاهر أن عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع إلى البيت

وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنده ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ● ومن كفر ● وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا ● فان الله غني عن العالمين ● وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تاركه بالكفر الذي لا اقبح منه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب ● وقال ابن عباس والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا ● قل يا اهل الكتاب ● هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل ● لم تكفرون بآيات الله ● توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ● والله شهيد على ما تعملون ● حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد لتشديد الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية ● قل يا اهل الكتاب ● امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى ● لم تصدون ● عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع الذم والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القبح وكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده ● عن سبيل الله ● اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام ● من آمن ● مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتى اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه ● تبغونها ● على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل ● عوجا ● اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله ● وانتم شهداء ● حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حول حماها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او انتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور ● وما الله بغافل عما تعملون

اعراض ثم يبالي فيه تهديد ووعيد شديد ولما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية ● يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ● تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا منهم كما ان تعميم التوبيخ فيما قبل للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة فأمر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله ● رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا ● فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا ● او حال من مفعوله الاول والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى ● وكيف تكفرون ● استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الى آخره لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل ● وانتم تتلى عليكم آيات الله ● جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى ● وفيكم رسوله ● معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله سبحانه عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ● ومن يعتصم بالله ● اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله ● فقد هدي ● جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى ● الى صراط مستقيم ● موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف للايضاح والتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون في معرض البحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ● يا ايها الذين آمنوا ● كرر الخطاب بعنوان الايمان تشريفا اثر تشريف ● اتقوا الله ● الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة ● حق تقاته ● اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد واصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ● ولا تموتن

إلا وأنتم مسلمون • أي مخلصون نفوسكم لله سبحانه لا تجعلون فيها شركة لما سواه أصلا كما في قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم
وجهه لله وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية
ولو قيل إلا مسلمين لم تفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وإن كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون
على حال غير حال الإسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للأمر بضده الذي هو الكون على حال الإسلام حينئذ
وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد إيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهي إلى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فإن
النهي عن المقيد في أمثاله نهي عن القيد ورفع له من أصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فإن قولك لا تصل إلا وأنت خاشع يفيد من المبالغة
في إيجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة
وأن الصلاة بدونه حقها أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت • واعتصموا بحبل الله • أي بدين الإسلام أو بكتابه
لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي
إلى صراط مستقيم إما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون
الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين أو الكتاب والاعتصام ترشيح لها أو مستعار للوثوق
والاعتماد عليه • جميعا • حال من فاعل اعتصموا أي مجتمعين في الاعتصام • ولا تفرقوا • أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة التي أنتم عليها • واذكروا
نعمة الله • مصدر مضاف إلى الفاعل وقوله تعالى • عليكم • متعلق به أو بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى • إذ كنتم • ظرف له
أو للاستقرار في عليكم أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا إنعامه مستقرا عليكم وقت كونكم • أعداء • في الجاهلية بينكم الإحن والعداوات والحروب
المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بين أولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين
سنة • فألف بين قلوبكم • بتوفيقكم للإسلام • فأصبحتم • أي فصرتم • بنعمته • التي هي ذلك التأليف • إخوانا • خبر أصبحتم أي
متحابين مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فأصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا إخوانا أي فأصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم إخوانا • وكنتم على شفا حفرة من النار • شفا الحفرة وشفتها
حرفها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها • فأنقذكم • بأن هداكم للإسلام
منها • الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا والتأنيث للمضاف إليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأنه بمعنى الشفة
فإن شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة وأصله شفو قلبت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث • كذلك • إشارة
إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه
بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها النصب على أنها صفة لمصدر محذوف
أي مثل ذلك التبيين الواضح • يبين الله لكم آياته • أي دلائله • لعلكم تهتدون • طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه • ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير • أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الأحكام وأمر الثواني ليكونوا
ثبتا للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن الإخلال
بها والجمهور على إسكان لام الأمر وقرئ بكسرها على الأصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أي لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون
بها أو بيانية وأمة اسمها ويدعون خبرها أي لتكن منكم أمة داعين إلى الخير وأيا ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة
إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين ولو أخل بها الكل
أثموا جميعا لا بحيث يحتم على الكل إقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها
التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام
اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادي والإصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم الآية والأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة يدعون الآية كقوله تعالى خير أمة أخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة

فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني
أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى • ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • مع اندراجهما فيه
من باب عطف الخاص على العام لإظهار فضلهما وإنافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف
المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيذان بظهوره أي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم وإما للقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في
فلان يعطي ويمنع أي يفعلون الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • وأولئك • إشارة إلى الأمة المذكورة
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والإفراد في كاف الخطاب إما لأن المخاطب كل من يصلح للخطاب وإما لأن
التعيين غير مقصود أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة • هم المفلحون • أي هم الأخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل
بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو للإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والأمر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به
وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه إذ يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط
بترك أحدهما وجوب الآخر منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم إنما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر
وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا • ولا تكونوا كالذين تفرقوا • هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى
فرقا • واختلفوا • باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما أخلدوا إليه من حطام الدنيا الدنية
من بعد ما جاءهم البينات • أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه إلى المتصدين
للدعوة أصالة وإلى أعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الأمم السالفة المشار إليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه إلا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الأمة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه إنما هو الاختلاف
في الأصول دون الفروع إلا أن يكون مخالفا للنصوص البينة أو الإجماع لقوله عليه السلام اختلاف أمتي رحمة وقوله عليه السلام
من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد • وأولئك • إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
وهو مبتدأ وقوله تعالى • لهم • خبره وقوله تعالى • عذاب عظيم • مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ
أو مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين
بهم ما لا يخفى • يوم تبيض وجوه • أي وجوه كثيرة وقرئ تبياض • وتسود وجوه • كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض
وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على أنه ظرف للاستقرار في لهم أي لثابت
العذاب العظيم أو على أنه مفعول لمضمر خوطب المؤمنون تحذيرا لهم من عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على
الدين أي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك • فأما الذين اسودت وجوههم
تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه
من الجمع بين الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الإجمال • أكفرتم بعد إيمانكم
على إرادة القول أي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد إيمان أسلافهم أو إيمان أنفسهم به قبل مبعثه عليه السلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعدما أقروا بالتوحيد يوم الميثاق
أو بعدما تمكنوا من الإيمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل أهل البدع والأهواء والقائل هو الله
عز وعلا • فذوقوا العذاب • أي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على أن الأمر بذوق العذاب على طريقة الإهانة مترتب

على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى • بما كنتم تكفرون • صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا • واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله • اي الجنة والنعيم المخلد عبر عنهما
بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت
هم فيها خالدون • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي • تلك • اشارة الى الآيات المشتملة على نعيم الابرار وتعذيب الكفار
ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى • آيات الله • خبره وقوله تعالى • نتلوها • جملة
حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع
كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى
وقوله تعالى • عليك • متعلق بنتلوها وقوله تعالى • بالحق • حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم
حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى • وما الله يريد ظلما للعالمين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ
وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات
الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد
العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة
الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة
نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون • ولله ما في السموات وما في الارض • اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفانية
بتحت ملكه وخلقه احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا
لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى • والى الله • اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا • ترجع الامور • اي امورهم
فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها
مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم • كنتم خير امة • كلام مستأنف سيق
لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين
الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة • اخرجت للناس • صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم
خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة
رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس • تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
والخطاب وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين هاجروا مع محمد صلى الله
عليه وسلم قال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله سبحانه فظاهره
ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي
ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير امة الذين
هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة

الذين امر الله المسلمين بطاعتهم • وتؤمنون بالله • اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء
وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه هو الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك
كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس
اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى • ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم • اي لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه
من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل
مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان
لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به هنا ايضا لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك
منهم المؤمنون • جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر
فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه • واكثرهم الفاسقون • المتمردون في الكفر
الخارجون عن الحدود • لن يضروكم الا اذى • استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالى به
من طعن وتهديد لا اثر له • وان يقاتلوكم يولوكم الادبار • اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر • ثم لا ينصرون
عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم
بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف
عليه لكان مقيدا بقتالهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر
والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان ذلك حسبما قال كما لبني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
بالقوا • ضربت عليهم الذلة • اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل • اينما ثقفوا • اي وجدوا • الا بحبل من الله وحبل
من الناس • استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين • وباؤا بغضب من الله • اي رجعوا به مستوجبين
له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل
وضربت عليهم المسكنة • فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى • ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم • بانهم كانوا يكفرون بآيات الله • اي ذلك الذي ذكر كائن
بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية • ويقتلون الانبياء
بغير حق • اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم
ينسب الى كل من يسير بسيرتهم • ذلك • اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل • بما عصوا وكانوا يعتدون • اي كائن بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة • ليسوا سواء • جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب
وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل
مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق
المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها
من العقوبات وقوله تعالى • من اهل الكتاب امة قائمة • استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله
تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الى آخره ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك
بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقائمة العادلة من قامت العود فقام

لمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلا من أهل نجران
واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله
في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل في محل النصب على أنه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه
الجار أو من ضمير أمة في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لأمة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون
أي ساعاته جمع إني بزنة عصا أو إني بزنة معا أو إني بزنة ظبي أو إنو بزنة جرو وهم يسجدون أي يصلون
إذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم ألا إني نهيت أن أقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين أركان
الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة
وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد بصلاتهم
التهجد إذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفة الإمام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح
وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة والتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلاة العشاء لأن أهل
الكتاب لا يصلونها لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها ليلة ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل
الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وإيثار
صيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى يبتغون
الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو
الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والأرض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود
من جهة أخرى أي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والإطلاق للإيذان بالغنى عن التقييد لظهور أن الذي يطلق عليه
الإيمان بهما لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر
بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنتفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق
الإيمان على إيمانهم بالأصل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان أخريان لأمة أجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود
في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر
الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن
المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي
أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشرور وإيثار
كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإيذان بأنهم مستقرون في أصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات
الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها وأولئك إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه
من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وإيثاره على الضمير للإشعار بعلة الحكم والمدح أي أولئك المنعوتون بتلك الصفات
الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا
من خير كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر فلن يكفروه أي لن يحرموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر
إظهارا لكمال التنزه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين لتضمينه معنى
الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل
مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين إما الأمة المعهودة وضع موضع الضمير العائد
إليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم وإشعارا بمناط إثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة وإما جنس المتقين
عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا أوليا إن الذين كفروا أي بما يجب أن يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو

قريظة والنضير فإن معاندتهم كانت لأجل المال وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل أبو سفيان وأصحابه فإنه
أنفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأحد وقيل هم الكفار كافة فإنهم فاخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم أي لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله أي من عذابه
شيئا أي شيئا يسيرا منه أو شيئا من الإغناء وأولئك أصحاب النار أي مصاحبوها على الدوام وملازموها هم
فيها خالدون أبدا مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع
ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو
رياء أو خوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر أي برد شديد فإنه في الأصل مصدر وإن شاع
إطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أصابت حرث قوم ظلموا
أنفسهم بالكفر والمعاصي فباءوا بالغضب من الله تعالى وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع فأهلكته عقوبة
لهم ولم تدع منه أثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال
بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال ولكن أنفسهم يظلمون لما أنهم أضاعوها بإنفاقها
لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا
أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم
ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحا وإشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها
ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة أي ولكن أنفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله
ولكن من يبصر جفونك يعشق يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم
من القرابة والصداقة والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
ويؤيده قوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي صفة المنافقين وأيا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة
من دونكم أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم
خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة لبطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم
أي تمنوا عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء
من أفواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط
أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك
جمعه على أفواه وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا
لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين إن كنتم تعقلون أي إن كنتم
من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها أنتم أولاء جملة من مبتدأ وخبر
صدرت بحرف التنبيه إظهارا لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولئك الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم
في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال
أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا آمنا
نفاقا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أي من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا

بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله
عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم
بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم
من غير ان يكون ثم قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايذان
بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي
دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة
المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد
محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت
كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مما يستتبع لما وعد من النجاة عن
كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده للمؤمنين
لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا
انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند
اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل
غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل على ان المقصود تذكر الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة
وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه
اذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكر الوقت تذكر مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتزلزلهم عن مراكزهم
المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز اداء الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال
اما متعلقة بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد
والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني رأيت
في منامي بقرا تذبح حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فقال النعمان
ابن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال لقوله اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر
من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب
من احد يوم السبت للنصف من شوال السنة الثالثة من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان

رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم
انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم
والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت
مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه
لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا
طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوف اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين
وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس قلما تخلو النفس عنه
عند الشدائد والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضمير
في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما وهمهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم
فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان
دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لايجاب
الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر
اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع والوادي
وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع
جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وسبعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف
وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما يلحق
للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان
بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين
ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه
الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف والايذان بان وقوع النصر كان ببركته
عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي
ذكره معولا على شهادة الحال مما يتعلق بوجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك
للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل
حينئذ كما حكي ههنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا
بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون والامداد في الخير كما في قوله تعالى
وامددناكم باموال وبنين وفي التعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة
الامداد ومعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه بكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لالاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف وقيل

حال من الملئكة وقرى منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم خمسة الاف وقرى مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلكم ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة زيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فلان يتحقق فيما دونه اولى واحرى كما اذا اريد وصف درع بغاية الحصانة يقال ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقرئ مسومين من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملئكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه حينئذ قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على شهادة الدلائل ومأخذ الامارات والمخائل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان العلة البسيطة مقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين بمعزل من ذلك من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف قوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وصل باللام اشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملئكة عليهم السلام لم يباشروا القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه كما هو راي بعض السلف وقيل تجعل متعديا الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم الاحوال اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا البشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملئكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه واقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملئكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان هو الامداد بالملئكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او ما تعلق بالخبر في قوله تعالى وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود والمراد ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر وانما تعلقه بنفس النصر المعنوي كما قيل

مع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص من المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يوم بدر او وما النصر الظاهر عند امداد الملئكة الا ثابت من عند الله ليقطع اي ليهلك او ينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة من الذين كفروا بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالباء حينئذ غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الامال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصورين اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم شيء انما انت عبد مامور على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتب عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم العذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل عن الفراء وابن الانباري او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بهم او يعذبهم فتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستأنف مسوق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يحصل الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلثة الاف مع انه لم يقع الامداد حينئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى حمل القصر في قوله تعالى وما جعله الله الا الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم واطمئنانا لقلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس في ذلك الا من عنده تعالى وجعله مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا نصر لمن خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجرة ولحائها فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد انتفائه مما لا يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه وتعالى تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر

وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من فى الموضعين لاختصاص
المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات
سيئات العصاة وهذا تصريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى
يغفر لمن يشاء مع زيادة وفى تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربوا كلام مبتدا مشتمل على ما هو ملاك الامر فى كل باب لا سيما فى باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب
والترهيب جىء به فى تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور
المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز فى الدارين على الاطلاق عمدة فى امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا
على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهى عن الربوا فى اثنائها لما ان الترغيب فى الانفاق فى السراء
والضراء الذى عمدته الانفاق فى سبيل الجهاد متضمن للترغيب فى تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا
فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه فى الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله تعالى
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهى بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربى الى اجل فاذا حل قال
زدنى فى المال حتى اريدك فى الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشىء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا
وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التى من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التى
اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هى اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
النار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه واطيعوا الله فى كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذى يبلغكم اوامره
ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة وايراد لعل فى الموضعين للاشعار
بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد
وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اى بادروا واقبلوا وقرئ سابقوا الى مغفرة من ربكم
وجنة اى الى ما يؤدى اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء
جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيهما ما مر من الامور المأمور بها والمنهى عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية
مقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اى كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اى كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة فى وصفها بالسعة
والبسط على طريقة التمثيل فان العرض فى العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
اعدت للمتقين فى حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او فى محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اى هيئت لهم وفيه دليل على ان
الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون فى محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان
او فى حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق وهو ترك بالكلية كما فى قولك يعطى ويمنع
فى السراء والضراء فى حالتى الرخاء والشدة واليسر والعسر او فى الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال ما ق
بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اى حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه
يقال كظمت السقاء اذا ملاته وشددت عليه اى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا
وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اى التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته روى ينادى مناد
يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وقد كانوا اكثر اى الامم التى فيها هذين الوصفين اشعار بكمال
حسن موقع عفوه عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضى الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن
بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة

من باب الاحسان الذى هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين
مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما
من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت
اكثر واظهر واذا فعلوا فاحشة اى فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اى ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت
بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة داره افعل كذا فانزل الله هذه الآية
وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فقبلها
فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصارى
وامرأة رجل ثقفى كان بينهما مؤاخاة فندم الانصارى وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا
ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ منتظم لما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه
العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة
على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك
فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله
بدل من الضمير المستكن فى يغفر اى لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه
بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة
والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف
على فاستغفروا او تأخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستحالة مباعدته
اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اى لم يقيموا او غير متمين على ما فعلوا اى ما فعلوه من الذنوب فاحشة كان او ظلما او على فعلهم
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه والنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم
ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة
خبر له او جزاؤهم مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى آخره على الوجه الاول وهو
الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب فى سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة
مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اصحاب الاول ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر فى مقابلة الجزاء
الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين مع اشتراكهما فى اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة
لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجرى من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد
رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير فى جزاؤهم لانه مفعول به فى المعنى لانه فى قوة يجزيهم الله جنات خالدين
فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات فى اللفظ وهى لاصحابها فى المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين
المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل
وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين
وما بينهما من الفرق ما بين الفريقين من التفاوت والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين
الحائزين لاجرهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادى الرشد والصلاح وترتيب مقدماته

الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم
او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الى آخره والفاء في قوله تعالى
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ
وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله
قد خلت الخ بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له والتعريف في الناس
للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه
غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم
محقق
وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلية الحكم فان مدار
كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الكافرين
وسوء عاقبتهم وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب او ان يراد بهم وبغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا
ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق
لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس
مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد
الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص
من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان
الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان
باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما
اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله
عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم
الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به
فيما سبق او انتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف
لدلالة ما تعلق عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة باعدائه
او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق المعلق
بناء على تحقق المعلق عليه كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري لذلك وقيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ
بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة
الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها
اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام صفته ونداولها خبره
او عطف بيان له ونداولها خبر او خبر ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد
والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله

الذين آمنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز
عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا يطلق
على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل
من افعاله تعالى باعتبار منشا معين من صفاته تعالى مغاير لمنشا الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله
تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد
بالوقوع بين الفريقين المذكورين او نفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين
محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الى آخره فان ظهور اعمالهم وخروجها
من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتامل واما على العموم
والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان
بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان
تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة
ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الى آخره فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الافراد والثانية
باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد
اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ
منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية
لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم
ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض
بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة منهم
واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة
الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل
بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة
باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين
في الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والازالة
قال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا اي يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين
والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستانف
سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين
انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى
والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير
تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم
المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها
اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين
جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا

للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في التأكيد
الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لالتقاء بتفخيم اسم الله تعالى ومنكم
حال من الذين • ويعلم الصابرين • منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن
منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل
على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر للمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله وقد حرك لالتقا
الساكنين
بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها
الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون • ولقد كنتم تمنون الموت • اي تتمنون
الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك
من قبل ان تلقوه • متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه
اي ما تمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى • وانتم تنظرون • حال من ضمير المخاطبين في ايثار الرؤية على اللقاء
وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل
بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم
لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك
فلا يستحق العتاب من تلك الجهة • وما محمد الا رسول • مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالانتقاض نفيها بالا وقوله تعالى • قد خلت
من قبله الرسل • صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة
كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر
الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا
ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم
يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد
حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الى آخره كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل
عليهم السلام واياما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر • افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم • انكار لارتدادهم وانقلابهم
عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل سببا
لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه
ع
لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كتاب الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع
بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان
الموت في شرف الوقوع قد جر الناس عن الانقلاب عنه وحملهم على التثبت هناك اتم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو
الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا
على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين
وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء
وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن
عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل ابليس الا ان محمدا
قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول
هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل ولعل تجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل
ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة
عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله
ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال
وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه
ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال
عمر والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات • ومن ينقلب
على عقبيه • بادباره عما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ
احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين • فلن يضر الله • بما فعل من الانقلاب • شيئا • اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها
للسخط والعذاب • وسيجزي الله الشاكرين • اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمه واعز معروف سموا بذلك لان الثبات
عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار
وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم • وما كان لنفس ان تموت • كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا
من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها وان خيضت
موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل امر مخوف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا
حينئذ لا لالتجائهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى
الا باذن الله • استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى
على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس
بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال
منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان
يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى • كتابا • مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا • مؤجلا •
موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت
والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض
الدنية الى المطالب السنية فقيل • ومن يرد • اي بعمله • ثواب الدنيا نؤته • بنون العظمة على طريق الالتفات • منها
اي من ثوابها ما نشاء لمن نريد ايتاءه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم
يومئذ وقد مر تفصيله • ومن يرد • اي بعمله • ثواب الآخرة نؤته منها • اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد
الكريم • وسنجزي الشاكرين • نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة
الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة
شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلاثة بالياء • وكأين • كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم

في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه
وأي حدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا او كذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احداهن وثانيتها
كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيأين بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن
مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى • من نبي • تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا
كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكأين آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى • قاتل معه ربيون كثير • خبرها على ان الفعل مسند
الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني
وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء
قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا
من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا
بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهو اوضح على القراءة المشهورة على قاتلا اي كم من نبي قاتل كائنا
معه في القتال ربيون كثير واما على القراءتين الاخيرتين فمع ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ
انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الى آخره • فما وهنوا
عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء
بعد وروده ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له
على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم • لما اصابهم • في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي وهم تشعر بعليته قوله تعالى •
بيين
في سبيل الله • فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين
توبيخ القرائن
فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو اللائق بمقام التوبيخ
بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على
الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو اللائق بمقام التوبيخ
على الانخذال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهو للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين معه في القتل وللجميع ان اعتبر
كونهم معه في القتال • وما ضعفوا • عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين • وما استكانوا • اي ما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب
ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم
وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان
• والله يحب الصابرين • اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما
قبلها • وما كان قولهم • كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها
ان وما بعدها في قوله تعالى • الا ان قالوا • والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام
مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا • ربنا اغفر لنا ذنوبنا
التفريط
اي صغائرنا • واسرافنا في امرنا • اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براءة من التفريط
في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال
من الدعاء بقولهم • وثبت اقدامنا • اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق • وانصرنا على القوم
الكافرين • تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض

ما لهم

بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم حسبما على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي كان قولهم
حسبما شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام
لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون
خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة
على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك هنا في ان مع ما في حيزها
جمع
اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت سبيله الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان يلاحظ ملاحظة
اجمالية ويجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا
اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر
من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم • فآتاهم الله • بسبب دعائهم ذلك • ثواب
الدنيا • اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل • وحسن ثواب الآخرة • اي ثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد
وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى • والله يحب المحسنين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع المضمر
للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا ابلغ في مقام
ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة • يا ايها الذين آمنوا • شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها
لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير
الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم
كم
كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى • ان تطيعوا الذين كفروا • لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فهو قوله تعالى • يردوكم
على اعقابكم • جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم عبارة
لونه تمهيدا لقوله تعالى • فتنقلبوا خاسرين • اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد
على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين
ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل ابو سفيان
واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم
الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان • بل الله مولاكم • اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية
كأنه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل اطيعوا الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن الاتهم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله
بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له • وهو خير الناصرين • فخصوه بالطاعة والاستعانة • سنلقي • بنون العظمة
على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء • في قلوب الذين كفروا الرعب •
بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة
سم
والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه وقيل هو
الذي القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب • بما اشركوا بالله • متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى
فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب • ما لم ينزل به • اي باشراكه • سلطانا • اي حجة
سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى
الضب بها ينجحر • اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة • ومأواهم
في الآخرة • بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الآخرة • النار • لا ملجأ لهم غيرها • وبئس

مثوى الظالمين • اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز الى خلودهم
فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما الماوى فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان • ولقد صدقكم الله وعده
نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة
من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله سبحانه بالنصر وهو ما وعدهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم
فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان
المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك
قوله تعالى • اذ تحسونهم • اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى • باذنه • اي
بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد تحقق ان ذلك كان
يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام ومقيد بالصبر والتقوى وقوله تعالى باذنه تعالى صريح في ان الموعود
هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وهل هو الا وعده تعالى بقوله سنلقي وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال
ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى • حتى اذا
فشلتم • اي جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل • وتنازعتم في الامر • فقال بعض الرماة حين انهزم
المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا تخالفوا
امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى • وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون • اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه
من اصحابه كما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ورده
جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى • منكم من يريد الدنيا • وهم الذين
تركوا المركز واقبلوا على النهب • ومنكم من يريد الآخرة • وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية
وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه
لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الى آخره وعلى هذا فقوله تعالى • ثم صرفكم عنهم • عطف على ذلك وعلى الاول عطف
على الجواب المحذوف كما اشير اليه والحاصل انه ظرفيا ان اعراض من المسلطين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف
بالمسلمين ما لا يخفى • ليبتليكم • اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها • ولقد عفا عنكم • تفضلا لما
علم من ندمكم على المخالفة • والله ذو فضل على المؤمنين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان
لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير
للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
اذ تصعدون • متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقيل يصعدون
من الصعود اي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعيل بطرح احدى التاءين وقرئ يصعدون بالياء التحتانية • ولا تلوون على احد
اي لا يلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف احد منكم لواحد وقرئ تلوون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون • والرسول يدعوكم • كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة ايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته عز وجل اشباعا في توبيخ المنهزمين • في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى • فاثابكم • عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم • غما • موصولا • بغم • من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما مقابلا بغم اذقتموه رسول الله عليه السلام
بعصيانكم له • لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم • اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة
والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي

اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك • والله خبير بما تعملون • اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها • ثم انزل عليكم • عطف على قوله
تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا • من بعد الغم • اي الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه
لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية • امنة • اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى
نعاسا • بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف
اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة
من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين
لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم
النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يامن والخائف لا ينام وقال الزبير
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني
ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد
تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه
دلالة على ان المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل • يغشى طائفة منكم • قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة
الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة
حقها ان تقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه
وطائفة قد اهمتهم انفسهم • اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همي
وقصدي والقصر مستفاد من معونة المقام وطائفة مبتدأ او ما بعدها خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله
سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا • محياك اخفى ضوؤه كل شارق • او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وشق عندنا لم يحول • واما صفتها والخبر محذوف اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين
في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل • يظنون بالله • حال من ضمير اهمتهم
او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى • غير الحق • في حكم المصدر اي يظنون به
عز وعلا غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى • ظن الجاهلية • بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم
ورجل صدق وقوله تعالى • يقولون • بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على صورة الاسترشاد • هل لنا من الامر • اي من امر الله سبحانه ووعده من النصر والظفر • من شيء • اي من نصيب قط
او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى • قل ان الامر كله لله • اي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او ان التدبير كله لله تعالى فانه عز وجل قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى
يخفون في انفسهم • اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية • ما لا يبدون لك • استئناف او حال من ضمير يقولون
وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب وقوله تعالى • يقولون • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول
بعضهم لبعض فيما بينهم خفية • لو كان لنا من الامر شيء • كما وعد محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله
او لو كان لنا من التدبير والراي شيء • ما قتلنا ههنا • اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس
القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما راه ابن ابي وغيره ويتعين مكان القتل وكذا قوله تعالى • قل لو كنتم في بيوتكم
اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون • لبرز الذين كتب عليهم القتل • اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية
الى البروز • الى مضاجعهم • اي مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان

فإن قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على نفس القتل كما في قوله عز وجل أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه أيضاً ولا ريب في تعين زمانه أيضاً لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي أن ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال أرسلني مع الريح إلى عالم آخر فإني رأيت منه مرأى هائلاً فأمر عليه السلام الريح فألقته في قطر سحيق من أقطار العالم فما لبث أن عاد ملك الموت إلى سليمان عليهما السلام فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في أرض كذا فلما وجدته هناك قبضته أمر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير إخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول • وليبتلي الله ما في صدوركم • أي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإيذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي إلى آخره وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض أو لفعل مقدر بعدها أي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدماً خال عن هذه المزية • وليمحص ما في قلوبكم • من مخفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس • والله عليم بذات الصدور • أي بالسرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة إما اعتراض للتنبيه على أن الله غني عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين أو حال من متعلق الفعلين أي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال أنه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الأمور وفيه وعد ووعيد • إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان • وهم الذين انهزموا يوم أحد حسبما حكى عنهم • إنما استزلهم الشيطان • أي إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل • ببعض ما كسبوا • من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سبقت لهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة • ولقد عفا الله عنهم • لتوبتهم واعتذارهم • إن الله غفور • للذنوب • حليم • لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي إظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل • يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا • وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وإنما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحاً بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيراً عن مماثلتهم أي لا تكونوا مثلهم وقوله تعالى • وقالوا لإخوانهم • تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها أي قالوا لأجلهم وفي حقهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم نسباً ومذهباً • إذا ضربوا في الأرض • أي سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وإيثار إذا المفيدة لمعنى الاستقبال على إذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية إذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور استحضار الصورة قال الزجاج إذا هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني أنها لمجرد الوقت أو يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم إنما هي باعتبار ما وقع فيها لا التحقيق إذ ليس التقول له لا لقولهم كأنه قيل قالوا لأجل ما أصاب إخوانهم حين ضربوا الخ • أو كانوا • أي إخوانهم • غزى • جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبر الآفاق خاشعة الصوى لها قب عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وإفراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الأرض لأنه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الأرض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على أنه قد يوجد دون الضرب في الأرض توطئة له إذ المراد به السفر البعيد وإنما لم يقل أو غزوا للإيذان بأن الاستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة أو بانقضاء ذلك أي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى • لو كانوا عندنا • أي مقيمين • ما ماتوا وما قتلوا • مفعول لقالوا ودليل على أن هناك مضمراً قد حذف ثقة به أي إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما أنه المنكر على قائليه ألا يرى إلى قوله عز وجل • ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم • فإنه الذي جعل حسرة فيها قطعاً والإشارة إلى ذلك كما نقل عن الزجاج أنه إشارة إلى ظنهم أنهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلاً وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز أن يكون إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مضادتكم لهم

في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم • والله يحيي ويميت • رد لقولهم الباطل إثر بيان غائلته أي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير أن يكون للإقامة أو السفر مدخل في ذلك فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لأسباب السلامة • والله بما تعملون بصير • تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرئ بالياء على أنه وعيد للذين كفروا وتعلق علمه عام متناول لقولهم المذكور ولمنشئه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الأعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإلقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد • ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم • شروع في تحقيق أن ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي أن يحذر بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون إثر إبطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى • لمغفرة من الله ورحمة • لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذف صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب القسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل أصلاً ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من رحمة ومغفرة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك • خير مما يجمعون • أي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء أي مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للإخبار بخيريتهما في أنفسهما للإيذان بعدم الحاجة إليه بناء على استحالة المخيب منه تعالى بعد الإطماع وقيل لا بد من حذف أي لمغفرة لكم من الله تعالى ويحسنه أيضاً كون إخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الإخبار وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا مبني على كثرة الوقوع وتقديمه للمبالغة في الترغيب في الجهاد وبيان مزية القتل في سبيل الله وإنافته في استجلاب المغفرة والرحمة والإله وتحقيقه على ما مر من أن المقصود بالنهي إنما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والحكم بموجبه لا في النطق وإضلال الناس • ولئن متم أو قتلتم • أي على أي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الإرادة الإلهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات • لإلى الله • أي إلى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الإحسان • تحشرون • لا إلى غيره فيوفي أجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لامي الجملة كما في أختها • فبما رحمة من الله لنت لهم • تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية أو من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت وما مزيدة للتأكيد أو نكرة ورحمة بدل منها مبين لإبهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة أي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو • ولو • لم يكن كذلك بل • كنت فظاً • جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيئ الخلق • غليظ القلب • قاسيه وقال الكلبي فظاً في القول غليظ القلب في الفعل • لانفضوا من حولك • لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك وتردوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل • فاعف عنهم • لترتيب العفو والأمر به على ما قبله أي إذا كان الأمر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم • واستغفر لهم • الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكمالاً للبر بهم • وشاورهم في الأمر • أي في أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهاراً بآرائهم وتطييباً لقلوبهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة وشاورهم في بعض الأمر • فإذا عزمت • أي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك • فتوكل على الله • في إمضاء أمرك على ما هو أرشد لك وأصلح فإن علمه مختص به سبحانه وقرئ فإذا عزمت على صيغة التكلم أي عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحداً والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والأمر به فإن عنوان الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والأمر به • إن الله يحب المتوكلين • عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى • إن ينصركم الله فلا غالب لكم • جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفاً للمؤمنين لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء إليه وتحذيرهم عما يفضي إلى خذلانه أي إن ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم أحد على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد الغالب ذاتاً وصفة ولو قيل فلا يغلبكم أحد لدل على نفي الصفة فقط والمفهوم من ظاهر النظم الكريم وإن كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضاً وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فيما بين الناس قطعاً هو نفي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين فإذا قلت لا أكرم

من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له
بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في سورة هود حيث
قال بعده في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم • وان يخذلكم
كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا • فمن ذا الذي ينصركم • استفهام
انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة • من بعده • اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على
اذا جاوزته • وعلى الله فليتوكل المؤمنون • تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيب
الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي
قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واياهم خاصة بطريق الالتفات
وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشراكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا
وما كان لنبي • اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له • ان يغل • اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه
منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم
امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت
والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول
تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول
ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة • ياتي بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن
احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بما
احتمل من اثمه ووباله • ثم توفى كل نفس ما كسبت • اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب
موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد واسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب
مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال
ما لا يخفى فانه حين يوفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه
من اعظم الجرائم اظهر واجلى • وهم • اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس • لا يظلمون • بزيادة عقاب او نقص ثواب • افمن اتبع
رضوان الله • اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيث ما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته • كمن باء • اي رجع
بسخط • عظيم لا يقادر قدره كائن • من الله • تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام
وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء وتوسيط
بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله تكون من ترقى الى اعلى
عليين كمن تردى الى اسفل سافلين والاظهار في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة • وماواه جهنم • اما كلام مستانف
مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب
وبئس المصير • اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف
الحالة الاولى بخلاف الثاني • هم • راجع الى الموصول الثاني باعتبار المعنى • درجات عند الله • اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت
الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات • والله بصير بما يعملون • من الاعمال
ودرجاتها فيجازيهم بحسبها • لقد من الله • جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم • على المؤمنين • اي من قومه
عليه السلام • اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم • اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله

في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه
عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث
او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود
والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو
عليهم آياته • صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي • ويزكيهم • عطف على يتلو
اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار • ويعلمهم الكتاب والحكمة • اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا
مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة العلمية وتهذيبها النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة • وان كانوا من قبل
اي من قبل بعثه عليه السلام وتزكيته وتعليمه • لفي ضلال مبين • اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من المثقلة
وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة
التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال
من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها • اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا • كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر
والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة
لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا
مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بين الهمزة ومدخولها مع ان المقصود انكار المعطوف بالواو وحقه لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان
فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين
اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم
مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم
ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا
مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو
من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية • وقوله عز وجل • قل هو من عند انفسكم • امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد بتحقيق الحق وبالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم
بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله
وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان
ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر
الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت عليه السلام اليه فان ارجاع
الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا • ان الله على كل شيء قدير • ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة
وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر • وما اصابكم • رجوع
الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لتسر بتصفية ارشادهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح
ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير
وبيان وقته بقوله تعالى • يوم التقى الجمعان • اي جمعكم وجمع المشركين • فباذن الله • اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك

اذ ما لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التميز والاظهار فيما بين
وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان
باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد
الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم فهو كائن
ليتميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله
ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا
العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهاليكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا
وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا
استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين لو نعلم قتالا لاتبعناكم
اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال
الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس
الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا يرضون بجعله
تالي المقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدا واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا
يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من حيث ان له دلالة على اصل
الفعل وزيادته فجرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا
ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين
وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد
المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه
والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا
وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم
انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا
حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون
زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان
بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته
مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدا محذوف وقيل مبتدا خبره قل فادرءوا بحذف العائد
تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله
على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج
فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما امرناهم
ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما تصوره
ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان
والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر بهم فيستحيل ان يحمل
على ما خوطب النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط
قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما

عنه من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت
معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم
من امرهم والمعنى ان عدم قتلهم كان بسبب انهم لم يكن مكتوبا عليهم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليهم فان ذلك مما لا سبيل اليه
بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل المراد ان كنتم صادقين
في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ
استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر
بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ لا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء
احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم
من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء
على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف
عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه
السامعين على انهم احقاء بان يسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عقيب
القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى
والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدا
المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب بالزلفى
وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد
لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم
في اجواف طير خضر وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه والمه والتذاذه ومن قال
بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل
والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا
بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم
متخلفين عنهم باقين في الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل الاشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم
لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين
تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه
عين الحيوة التي يحق ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه
من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله
فرحين بما اتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة
وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطفا على فضل

منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطاً لما نالوه
من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم
الأخوة في الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر
وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى ﴿الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون
ومتقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا
إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح
فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني الركب
الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل
ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾
روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله تعالى فلما
كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد
قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له
عشراً من الإبل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد
أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً
كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ﴿فزادهم إيماناً﴾ الضمير المستكن
للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا
حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة
تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك ﴿ونعم الوكيل﴾ أي نعم الموكول إليه المخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل ﴿فانقلبوا﴾ عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد روي أنه عليه السلام وافى بجيشه بدراً وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً والباء في قوله تعالى ﴿بنعمة﴾ متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم
ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير
بالفخامة الإضافية أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم ﴿وفضل﴾ أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً
للتفخيم ﴿لم يمسسهم سوء﴾ حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال
إذا كان مضارعاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وعدمه كما في هذه الآية
الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴿واتبعوا﴾ في كل ما أتوا من قول وفعل ﴿رضوان الله﴾ الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين
وإظهار الجرأة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير للمتخلفين عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فازوا به
وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم ﴿إنما ذلكم﴾ إشارة إلى المثبط أو إلى من حمله على التثبيط
والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿الشيطان﴾ إما خبره وقوله تعالى ﴿يخوف أولياءه﴾ جملة مستأنفة مبينة لشيطنته
أو حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وإما صفة له والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان

أي

أي إبليس والمستكن في يخوف إما للمقدر وإما للشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان
وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ويؤيده قوله تعالى ﴿فلا تخافوهم﴾
أي أولياءه ﴿وخافون﴾ في مخالفة أمري وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير البارز في لا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به
والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها فإن كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه
﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه
﴿ولا يحزنك﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التسلية وتخصيصه بالتسلية والإيذان بأصالته في أمور الدين
والاهتمام بشؤونه ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ أي يقعون فيه سريعاً لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله
تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى أولئك
يسارعون في الخيرات فإن ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها وأما إيثار كلمة إلى في قوله تعالى
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة إلى آخره فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة
من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشارة بما في حيز الصلة إلى مظنة وقوع المنهي عنه والمراد نهيه صلى الله عليه
وسلم أي لا تحزن لمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى تشييد أحكامه ومظاهرتهم لأهله وتوجيه النهي إلى جنسهم مع أن المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر
منهم للمبالغة في ذلك لما أن النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي إلى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قوله
لا أرينك هاهنا وقرئ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل المعنى حزنه جعل فيه حزناً كما دهنه أي جعل فيه دهناً
ومعنى أحزنه جعله حزيناً وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن ﴿إنهم لن يضروا الله﴾ تعليل للنهي وتكميل للتسلية
بتحقيق نفي ضررهم أبداً أي لن يضروا بذلك أولياء الله ألبتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والإيذان بأن مضارتهم بمنزلة
مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى ﴿شيئاً﴾ في حيز النصب على المصدرية أي شيئاً من الضرر وتنكيره لتأكيد
ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار أي بشيء ما أصلاً وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئاً كما روي عن أبي ذر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً
ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والأول هو الأنسب بمقام التسلية
والتعليل ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الإرادة
من الإيذان بكمال خلوص الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما إرادة أرحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة
على دوام الإرادة واستمرارها أي يريد الله بذلك ألا يجعل لهم بذلك حظاً ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون
إلى أن يهلكوا على الكفر ﴿ولهم﴾ مع ذلك الحرمان الكلي ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم
شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيهاً على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إما مبتدأة
مبينة لحظهم من العقاب إثر بيان أن لا شيء لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أي يريد الله حرمانهم من الثواب معداً لهم عذاب عظيم
﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾ أي أخذوه بدلاً منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه وقد مر تحقيق القول في نظم الاستعارة
في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ تفسيره كما مر خلا أن فيه تعريضاً ظاهراً
باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرون أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يراد باشتراء الكفر بالإيمان
إيثاره عليه إما بأخذه بدلاً من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو حال
اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح
في لحوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديه إلى غيرهم أصلاً كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الأبدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم
فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهي أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب

في الآخرة م

الجو

وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاحة الكونه لا محازل منزلة
نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلايل المنصوبة في الافاق والانفس كان دأب
جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول
عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما ان صدور ما ذكر
في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافها بها واما من
حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري
بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الاية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة
مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر وهو مسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش
وما مصدرية او موصولة حذف عايدها وحقها في الخط الانفصال لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم
او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة وماله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبانهم
لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة
بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي
الحكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الذاتية بين الصلة وبين الاملاء
الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن لهم دايما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور
فانهما من الاحوال المتجددة المقتضية لتضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو للانباء بمقام
التسلية والكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان التعويل على البدل
وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او انما
بتقدير مضاف اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استيناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه
وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءهم
لازدياد الاثم بل انما هو لتلافيهم ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الاخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء
التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة
مبينة لحالهم في الاخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان
عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات
في ضمن التلوين والمراد بما انتم عليه اختلاط بعضكم ببعض واستواؤكم في اجراء الاحكام الاسلام عليكم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين فخص الخطاب بهم فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار
والاختلاط شركة بين المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما هو من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته
الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني
ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لا يمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه امر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير
لكونه مما يحقق كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك
كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وليس فهم ذلك فيما نحن فيه من حيث
الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز فاللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصريين

وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين وفي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة
ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح في ذلك
زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك
الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق
به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعددهما لان المراد بكل منهما وكثرته لا سيما بعد ذكرهما اريد بأحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع
للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفيهما لا خصوصية ذواتهما وتعدد احادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى
الا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء
او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تخليصهم وافرازهم
عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المؤمنين
على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه
من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه
مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حاله غير لائق كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز
وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى ما كان
الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم
من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف
فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من سوء مجاورتهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية
لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام
للدلالة على ان شأنه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية وتعميم الامر في قوله تعالى
فامنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه السلام لايجاب الايمان بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك
مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام
فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يتركهم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح
في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبي
عن وقوف مرتبتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق
الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان يكون مسوقا لبيان الحكمة في املائه
تعالى للكفرة وارسال شرته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل لحكمة يخرج عنهم المنافقين
ولذلك فعله يوم احد حيث خلا الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد
وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اي حق الايمان وتتقوا
اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا
بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بخلهم بما اتاهم
الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير

والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي لا يحسبن بخل الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة وذلك والسين
للتأكيد وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفيه على انه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل
الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله
وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى
عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ
بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى
الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث
لا يرضى قائله ان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب
ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد
اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم
ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم
فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء
للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك
اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد مرتبته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي
لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد
من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما وسببيته للعذاب من حيث
ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض
نفي الظلم سببا للعذاب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن
ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم
حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا
نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله

عهد الينا اي امرنا في التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل
حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا
لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان
الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى
وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاءوكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع
في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحي اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى
فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فلا تحزن فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل
اي كائنة من قبلك جاءوا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اي التوراة
والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ
وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكرا الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية
اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم
قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ
ونجي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلعم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة
فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه
ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب
واصل الابتلاء الاختبار اي طلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة
ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور
قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم
من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث
على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا
فلا ينتظم في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف
المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه مستند
على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد
تمسكهم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن
وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي تتبتلوا الى الله
تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد

لا بد ان يعلوا درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه
من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين ﴿من عزم الامور﴾ من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه
كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا
والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الى آخره
ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرط من اظهار
كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى ﴿واذ اخذ الله﴾ كلام مستأنف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله
عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين الخطاب لا الخطاب الشامل له عليه السلام
وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ﴿ميثاق الذين
اوتوا الكتاب﴾ وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم ﴿لتبيننه﴾ حكاية
لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه ﴿للناس﴾ ولتظهرن جميع ما فيه
من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ﴿ولا تكتمونه﴾ عطف
على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير
المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه
غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته
عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله ﴿فنبذوه﴾ النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا
ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوه ﴿وراء ظهورهم﴾ ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل
في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما
علموه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم
كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال
وعن علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ﴿واشتروا به﴾ اي بالكتاب الذي امروا ببيانه
ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه لان نبوته صلى الله عليه وسلم
وبما امر ان تكتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلاة رفض لكلها او بما لزمه كتم الكل من حيث انهما سيان في استتباع
استجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا
واخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء
المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم
وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وعكسهم بجعلهم المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه
﴿فبئس ما يشترون﴾ ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن
﴿لا تحسبن﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له ﴿الذين يفرحون بما اتوا﴾ اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه
كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي
هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود
عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة
بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون لملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن شاكلتهم من اهل الكتاب

الآخرة اثر بيان قبائحها وهو توبيخ فيها ببيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم
لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب اذ انما
لشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو اللائق
بما سيأتي من قوله تعالى ﴿ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين كورين
بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من الملل
وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب
ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى ﴿فلا تحسبنهم﴾
تاكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى ﴿بمفازة من العذاب﴾ اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها
لانها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد ولا يحسن جعلها
اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى
اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا
وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل واحد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني
فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله
باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الثاني عليه والفعل الثاني مسند
الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانه عليه السلام على عدم حسبانهم ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة
وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون
بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور
لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق انهم
في عذاب لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ﴿ولله﴾ اي خاصة ﴿ملك السموات والارض﴾
اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون
لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء قدير﴾ تقرير لاختصاص ملك العالم
الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا
ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض
وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اي تقرير واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط
الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ﴿ان في خلق السموات﴾
جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي ان في انشائهما
على ما هما عليه ذواتهما وصفاتهما من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول ﴿والارض﴾ على ما هي عليه ذاتا وصفة ﴿واختلاف الليل والنهار﴾
اي تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما
بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه
ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا
وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا
جمع له والليالي جمع ليلاة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب

السمع قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه
في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فنخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها
والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب صنعه تعالى التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة
التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده
تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان
اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته
ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق البدنية المتخلصين عن العوائق
الظلمانية المتأملين في احوال الخلائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك
الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود
مشاهدين على ارادته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر
الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد طوبى لمن تأمل قدرته فهل من سامع
واع ومجيب لداعيه واتباع عليه وحكمه فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويدرجهم بحسب معقولهم يحاورهم تارة بواضح عبارة وبلوح
اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار ايمانهم ويصرح لهم ان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فما في هذه الشؤون
والاسرار في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا عائشة ائذني لي
الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ثم
صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت
دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه لصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك
ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف
له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر
القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته الى ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى
في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا
من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا في الآفاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك
شأنا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر
اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله قياما وقعودا
فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها
على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب
الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا تعضده
سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي
يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر
وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون
في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب ومن جعله في محل النصب على انه معطوف على الاحوال
السابقة فليس كذلك وهو بيان لتفكرهم في افعاله تعالى اثر بيان تذكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي تؤدي الى الهامهم معرفة
احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب فكانها آيات شريعة هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات

آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية وداعية الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد
في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تأمل في تضاعيف خلق العالم
على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر
والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه
فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم
التابعة لانظارهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول لعمل
القلب بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله كذلك لا والاول
دون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وما طريقها الا النظر والتفكر فيما ذكر
من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان
ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرف انه مستتبع لتحقق ما جاءت به الشريعة الحقة والامام
النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوط بالكتاب والسنة
فتصادق الآيات التكوينية وتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة
في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون
تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الليل والنهار في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه
لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات
من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في خلقهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق
الحلول فيهما او على انهما ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثا عاريا عن الحكمة خاليا
عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش
العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما حققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب
بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص
الآيات المبثوثة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كأنه
قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق
الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هنا واما جعله حالا من المستكن في يتفكرون كما اطبق عليه الجمهور
فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له
كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب
ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل نعم هو حال منهم لكن على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه
في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير ان يتلعثموا
ويترددوا في ذلك قوله تعالى سبحانك اي تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه
من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من جهتين احدهما الوقوف على تحقق العذاب

فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتب المدعو اعني الوقاية على ذلك كاملا واذ عرفت
واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها
والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية
فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك
بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى
الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار تذييل لاظهار نهاية
فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين
لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم
من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة
العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال
النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته باللام لتضمنه معنى الانتهاء وبالباء لاشتماله على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم
وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع
الصوت وينادي صفة لمنادي عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت
سمعت زيدا يقول الى آخره ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقق السماع
والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية
زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام
والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية
او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا
اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء
في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء
بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا
مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله
معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة
على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل
المقدر منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو
الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل
فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا
يوم القيمة وقصدوا بذلك تذكير وعده تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه راجين الانتظام في سلكهم يومئذ
وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال
ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء الخاتمة او الحال فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت
او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر

فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة
وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف
على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما في قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل
الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به بعد ما وقع الآية وكما في قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد
الى آخره كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب
لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين المعطوف عليه
من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى آخره
واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة
على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة
في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حقها في حيز الصلة
ان تكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم ليست كذلك فان الاستجابة المتأخرة عنها في الوجود والتعبير
بعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم
اي باني وهكذا قرئ رحمه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته مستمرة على ذلك والالتفات
الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار
بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات
المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر
الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فالالتفات حينئذ في الحكاية وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل
كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام
النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين
والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى
يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا شروع في تفصيل ما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده
على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول
عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله
وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ
بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول
المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول باحد من الاوصاف
المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد
الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف
اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول وفيه تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له
ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة
مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او ثوابا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده
حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية
لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته

وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء كون بعجزه احد لا يدل على عجز غيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبراً مقدماً لحسن الثواب او لا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى • لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد • بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة • متاع قليل • خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من الثواب قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا تحدي وجوده لواجده ولا يضر فقدانه لفاقده • ثم مأواهم • اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه • جهنم • التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى • وبئس المهاد • ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته ايديهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم • لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وبكرير له اثر تكرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد بحجهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار • نزلاً من عند الله • وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقاً او عطاء من عند الله • وما عند الله خير • مبتدأ وخبر وقوله تعالى • للابرار • متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها • وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله • جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن • وما انزل اليكم • من القرآن • وما انزل اليهم • من الكتابين واخر ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة • خاشعين لله • حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى • لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً • تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمنه ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم • اولئك • اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • لهم • وقوله تعالى • اجرهم • اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى • عند ربهم • نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة • ان الله سريع الحساب • لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر

جنا

بين

الموعود اليهم • يا ايها الذين آمنوا • اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل • اصبروا • اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد • وصابروا • اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق • ورابطوا • اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة • واتقوا الله • في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجاً اولياً • لعلكم تفلحون • كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن الكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها اماناً على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس • خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عدا ايما بما دخل في التأكيد للتكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل • اتقوا ربكم • فوارده على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى • الذي خلقكم من نفس واحدة • فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاص ما في حيزه من الامر بالمأمورين بناء على ان في تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمناً للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل • وخلق منها زوجها • فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الى آخره وهو استئناف سيق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء

هم

خلقكم

مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل
وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد
لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة
وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة
لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي هو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير
لبعض آخر من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف
يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة
وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا
وقرئ بادغامها في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية
وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة
الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام
فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله
والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطعها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج
وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر
تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى
ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا
على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال
واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء مطلقا
بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام
اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى
اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق
يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين
لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها
وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط
بالبلوغ وايناس الرشد على منطوق قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم
بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء
وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك
عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب
الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الامر وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق
الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى
الاعطاء بالفعل واما ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الآية فانه امر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته
او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى التوجيه واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا والايتاء مآلا
وتعميم الخطاب للاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا مع ما فيه من تكلف لا يخفى فلا يناسب ما تقدم
من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار

او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب ماله فمنعه
فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء
بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما
والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الى آخره وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل
فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الى آخره واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها
خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب
ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم
الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق والمقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واما ما كان فانما عبر
عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا للمعاملة بصورة ما لا يصدر عن العاقل واما ان كان هو الرديء والجيد فمورد النهي
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الرديء من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه
المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله او تبدل الطيب
بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاملة عاطفين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المحبوب اليه بشرى
كان او ثمنا لا لسلب المطلوب عنه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما
في ان هذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا
عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل
المذكور كأنه قيل من كبائر الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط
اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى
فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف
لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهو شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى
اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد
وذلك انهم كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن
ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان
ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها
فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمع عنده عشر منهن الى آخره فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عدد المنكوحات
اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة
ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب وقوله عز وجل من النساء بيانية
وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي
عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء
بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر
في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع
والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب
الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم

بجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة
قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل قوله تعالى حرمت عليكم الخ والا على التفصيل بناء على انه ما تقدم في التنزيل فليحمل ذا الا على التعميم
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل
والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال
من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودا
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة
لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض اخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افرد
لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية
الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط
مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون عن الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعده جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى
وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم
الا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه
الاعداد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه
بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين
بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك
اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب
القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصورهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار
الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحكم في حكمه اي جار والمراد ههنا الميل المحظور
المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء
محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان
الاهم عدم العول لا تحقق العدل بالفعل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة
على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري
انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن
صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة
اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا
فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية
منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة
مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء
كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون

مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم
عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما قال لكني اردت كأن ذاك او للصداق الواقع موقعه
صدقاتهن كأنه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه
قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق
وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه
نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم ولكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه
النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن
وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان
سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما يسوغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم
المعدة سمي بذلك لمرور الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب
اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ
مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط
ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات
من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما
اضيف اليهم وهي لليتامى لا بالنظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة
اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك
حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون
به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو صيغته للضمير لبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم
وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام
به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تخص اليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء
على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال
الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف
وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا
حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له
من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا تطيب به
نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه
النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت
تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم
بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا
من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة
عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح

فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه
شوس منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر او للاعتداد بمسد مسده والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما في المعنى كما اشير اليه
فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها
جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا
وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا
او لم يؤنس ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يفرطون في انفاقها
ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقرير لها ومهد لما بعدها من قوله
ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه عن اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق
اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة
سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افأكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم
قال له افأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل
ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر
ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل
اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت
قضيت واستعفف ابلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لان ذلك ابعد من التهمة وانفى
للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك
والشافعي رحمهما الله وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم
ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء نصيب للاعتناء
بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري
خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال
اوس شيئا حتى ينزل الله تعالى فيهن فنزل يوصيكم الله الى آخره فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب
وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليه يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل
على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل
ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم

نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا
لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب لبعدت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر
ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا
لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن
حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف
المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وقوله تعالى
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي انما
يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم
تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا واي نار مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي
النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم
يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت
هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله
شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد كل واحد منكم اي في شأن ميراثهم بدأ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت
واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى
يفرض عليكم ويشرع لكم وهذا الحكم وهو اقرب مما رآه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة
بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم وقيل صفة لمحذوف محذوف
اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر
والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ
والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتأنيث
باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها
اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين

اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبر اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد الابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول الحكمة ايضا لما ان حظها اخص واستحقاقها اتم واوفر او لان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان ظاهر الحجب عنه لا يحق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين ومفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز وهو منقول من الفاعل كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية بقرب النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشا خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض وروي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى

وقد يدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجمع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل فقط تاكيدا للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسالة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم عليه المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسالة وانما المعتبر فيما بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابة التي لا بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد

ذلك

بالكلالة منهما او لاولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة
في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان
الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما ترى باقية على اطلاقها
ليس فيها ما يدل على اختصاصها باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم
هذا وقد ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وهذا حيث ان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث
لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المحور في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما
مر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت
حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع والنصف عند الانفراد وآثار الفاظ التخصيص
احد الورثة بالتوريث وجعل غيره متعلقا به مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها
او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين هنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف
بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كأنه قيل او
يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من الموصول اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور المحذوف اكتفاء به على قراءة
البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار
بهم دون القربة ويقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية
من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك
وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع
وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانتا كلتاهما واجبتي المراعاة او منصوب بغير مضار
على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصيته
وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة هنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت
قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية
لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار
للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون
غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على انه مع صحته
لا تحسم مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال
وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى
والمواريث وغير ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل هنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية
عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة
الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة
بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم
اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي
قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني من يكفر بقسمة
المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار لما ذكر من المبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه
المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا

لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد هنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى
للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة
وله عذاب مهين اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه
والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام
المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان
الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور
ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين
يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء
للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا
عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن
الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن
سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس
كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون
عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور
الحاقه بهن بطريق الدلالة لعدم العلم بالشركة في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا والظاهر ان اجراء هذا الحكم
انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من اجزية الاذية وقوارع
التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم
والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض
عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما فصل من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى
نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد
لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض
للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة
النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب
على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول
التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى
ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى
للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا ريب
في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقدم الحال على عاملها المعنوي عند
كونها ظرفا او حرف جر كما في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت واياما كان فمعناه كون التوبة عليه سبحانه بقبولها بمقتضى وعده الحسن
وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند
يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وجوز ابو البقاء ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة
على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله
وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس بذاك لما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل
المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة به تعالى

بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الى آخره فانه ناطق بما قلنا كامل انما التوبة لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب
الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال
الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت
كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه
في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم
النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال
تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه
من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة
لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس
الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية
منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب
وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها
جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية
بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت الان لم يذكر بعين التوبة
وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على
الذين قبله اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون وانما ذكروا مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول
توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع
الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا
للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز ان يراد
بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم
في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه لتفخيمه الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته او على خبائها وقال ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك
احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه
شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن
حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك ومن غير اصابة مالكم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ
كرها بضم الكاف وهي لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن له حاجة فيها حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها
لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق

بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر
عن ذلك بالذهاب لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب
لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول
وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده
قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن
في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا
لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين
يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو
ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن
بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة
استلزامها اياه كأنه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما
هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر
الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا
بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل
على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه
بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وتقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل
والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امرأة ترغبون فيها مكان زوج
ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط
اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تأخذوا منه اي من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا
عن الكثير اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي
اتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل
ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف تأخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه
الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال
فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد
النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر
وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا
وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها
من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين
على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا
فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستدل على اثبات هذه الحرمة بنفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها
من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه
المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي رحمه الله اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية

على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل اباءكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لانه مقرر وابا ما قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الائمة كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار وقيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له اساسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد ولا يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ويزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاع التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرءوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة وبهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم

اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا لاطلاق ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتعيين ما قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الى آخره ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت اليه خاصة وهو بين لاستلزامه ولا مع ما ذكر اولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساءين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه يفضي الى اسكات ما نطق النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعفه الرواة وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه ابين في الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظائرها فانه احرم من الجمع بين الاختين لافضائه الى قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك منصوص في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لان فعله عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وياباه احتمال التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن من غير ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيره ملقح ومسهب من القح واسهب وقد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم

طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي الملكية واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم ومن المراد به هنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما لملاكهن فبحكم ملك اليمين فمفهوم دلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما ما مر من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين مبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى مناديه يا رسول الله الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها اياه بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي للتحريم المحقق والتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلان تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او نفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم على البناء للمفعول عطف على حرمت عليكم وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمسارعة الى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل على حرمت فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما كرر الاول بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي يدور عليه حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة

وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل بحسب ان يتعلق هنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل هنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله تعالى الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة او استمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازها عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة واعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول يستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حرف الجر النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من النقص والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على ان من في مما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنا بعض ما ملكت ايمانكم

والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف
وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلا كما هو رأي أهل الحجاز وقد جوزها أبو حنيفة رحمه الله تمسكا بالعموم وحمل الشرط
والوصف هو الأفضلية ولا نزاع فيها لأحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة اليهودية
والنصرانية وإن كان موسرا وقوله تعالى والله أعلم بإيمانكم جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الإماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف كم
منه ببيان أن مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الإيمان دون الأحساب والأنساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والمعنى أنه تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الإيمان الذي به تنتظم أحوال
العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب أمة يفوق إيمانها إيمان الحرائر وقوله تعالى
بعضكم من بعض إن أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية إثر بيان تفاوتهم في ذلك وإن أريد
الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة أخرى والخطاب في الموضعين إما لمن كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي
فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس وإما لغيرهم من المسلمين كالخطاب الذي في حصول الترغيب
بخطابهم أيضا وأيا ما كان فإعادة الأمر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهام الترخيص من قوله تعالى فمما ملكت أيمانكم
لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى بإذن أهلهن وتصديره بالفاء للإيذان بترتبه على ما قبله أي وإذ قد وقفتم على جلية
الأمر فانكحوهن بإذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط إذن الموالي دون مباشرتهم للعقد إشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن أجورهن
أي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن أي أدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإلجاء إلى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة
ومن ضرورته أن يكون الأداء إليهن بإذن الموالي فيكون ذكر إيتائهن لبيان جواز الأداء إليهن لا لكون المهور لهن وقيل أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف
وأوصل الفعل إلى المضاف إليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن أي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة
أي غير مجاهرات به ولا متخذات أخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال أبو زيد الأخدان
الأصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون
لها أخدان أي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما إلى هذين القسمين فإذا أحصن أي بالتزويج وقرئ على البناء
للفاعل أي أحصن فروجهن أو أزواجهن فإن أتين بفاحشة أي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف
ما على المحصنات أي الحرائر الأبكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الإحصان فالمراد بيان
عدم تفاوت حدهن بالإحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فإن أتين جواب إذا والثانية جواب إن فالشرط الثاني مع جوابه
مترتب على وجود الأول كما في قولك إذا أتيتني فإن لم أكرمك فعبدي حر ذلك أي نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم
أي لمن خاف وقوعه في الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الإنسان
بعد صلاح حاله ولا ضرر أعظم من مواقعة المأثم بارتكاب أفحش القبائح وقيل أريد به الحد لأنه إذا هواها يخشى أن يواقعها فيحد والأول
هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لإيهامه أن المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وأن تصبروا أي عن نكاحهن متعففين كافين أنفسكم
عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه أيما حر
تزوج بأمة فقد أرق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الأمة من الزنا إلا قريب ولأن حق المولى فيها أقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر
ولأن حق المولى فيها أقوى والمولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج
وأولاده ما لا مزيد عليه ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين
ولأن مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم أمر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك
البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الأمور المنافية لحال المؤمنين رحيم
مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها
جارية على مناهج المهتدين من الأنبياء والصالحين قيل أصل النظم الكريم يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال
اللازم للإرادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق أي يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم و

وأفاضل أعمالكم أو ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل
لأجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى إلى سيبويه وقيل إن اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير إضمار أن وهي وما بعدها
مفعول للفعل المقدم فإن اللام قد تقام مقام أن في فعل الإرادة والأمر فيقال أردت لأذهب وأن أذهب وأمرتك لتقوم
وأن تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون أن يطفئوا وقال تعالى وأمرنا لنسلم وفي موضع وأمرت أن أسلم
وفي أخرى وأمرت لأعدل بينكم أي أن أعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا إن وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا
بإضمار أن أي أمرنا بما أمرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء واللام وما بعدها
خبر له كما في تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع به ويعزى هذا الرأي إلى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم
من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم إذا تبتم إليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه
من الشرائع فإن المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة
أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن إرادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت
لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالأشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الأحكام حكيم مراع في جميع أفعاله الحكمة
والمصلحة والله يريد أن يتوب عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان
إرادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية دلالة على دوام الإرادة ولم يفعل
ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للإشارة إلى الحدوث وللإيماء إلى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله
الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فإن اتباعها الائتمار لها وأما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره
فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن
الله تعالى قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع أن العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت أن تميلوا
عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات
ميلا عظيما بالنسبة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله أن يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدته
من شاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وخلق الإنسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة
دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله أن المراد ضعف الخلقة ولا يعضده
المقام فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وإنما الذي
يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان
من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي
فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الإنسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه ثماني آيات في سورة النساء
هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها
ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان
بعض المحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس إثر بيان المحرمات المتعلقة بالأبضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار كمال العناية
بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع أي لا يأكل بعضكم
أموال بعض بغير طريق شرعي إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أي إلا
أن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أي إذا كان اليوم يوما [illegible] أو إلا أن تكون
الأموال أموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على أن كان تامة أي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين
سائر أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها وقوعا وأوفقها لذوي المروءات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه
في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا أنفسكم أي من

كان

من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم وتصويره
بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده
عقب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي
الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وايد بما روي عن عمرو بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم
وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها
وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق
الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي للذين هم في معرض
التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة
لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية
اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد
من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي
نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم
الصارف واظهار الاسم تهويل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتوكيد الاستقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر هنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم بنون العظمة وفي
الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم صغائركم
ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وروي عنه الى السبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الكفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر
الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وتختلف قلتها ايضا بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر
حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عرض له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا
مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر
مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت
او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الى آخره ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه
للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي
اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم
الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
ودونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل
من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكمة البالغة لا لان عدم
خيرة له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق

بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين
قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت
وهذا هو الانسب تعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني
بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهم بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار
مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه
تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى
واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل
لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول للتعميم اي ما
تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء
في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي والاكتساب
على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا
من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال
كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن
من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان
بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشيئة المبنية على الحكم الآبية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة
جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك
بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل
فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلناهم موالي صفة لكل من خلقه والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا
من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان
الى آخره ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما
في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين
عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة
رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد
العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه
ثم حذف وقرئ عقّدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما تحتمه وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني
قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان
والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الى آخره جملة مبينة لجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء
التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان
سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة
المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة

على الرعية وعلل ذلك بأمرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف
وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم
عليهن أو ملتبسين بتفضيله تعالى إلى آخره ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة إلى التصريح
بالمفضل والمفضل عليه أصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير
ورزانة الرأي ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة
في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما أنفقوا من أموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الأولى وما مصدرية
أو موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية أو ابتدائية متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف
أي وبسبب إنفاقهم من أموالهم أو بسبب ما أنفقوه من أموالهم أو كائنا من أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة وروي
أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها
أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا
والذي أراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل أحوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن أي
فالصالحات منهن قانتات أي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج حافظات للغيب أي لمواجب الغيب أي لما يجب
عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن
أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم وإضافة المال إليها للإشعار بأن ماله
في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية بما حفظ الله ما مصدرية أي بحفظه تعالى إياهن
بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة أي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بالأمر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند
حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع
من الأرض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع
أي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أي لا تبايتوهن وقرئ
في المضجع وفي المضطجع واضربوهن إن لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فإن أطعنكم بذلك كما هو
الظاهر لأنه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والأذية أي فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن
فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له إن الله كان عليا كبيرا فاحذروه فإنه تعالى أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو أنه
تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم عند إطاعتهن لكم أو أنه تعالى
يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه وعدم التعرض لعدم إطاعتهن لهم للإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يتحقق أو يفرض تحققه
وأن الذي يتوقع منهن ويليق بهن لا سيما بعد ما كان من الأزواج ما كان هو الإطاعة ولذلك صدرت الشرطية الثانية بالفاء المنبئة
عن سببية ما قبلها لما بعدها وإن خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الحكام وارد على بناء الأمر على التقدير المسكوت
أعني عدم الإطاعة المؤدي إلى المخاصمة والمرافعة إليهم والشقاق المخالفة إما لأن كلا منهما يريد ما يشق على الآخر وإما لأن كلا منهما
في شق أي جانب غير شق الآخر والخوف هاهنا بمعنى العلم قال ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث
الحكمين لأنه لرجاء إزالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وإن لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما
وإضافة الشقاق إلى الظرف إما على إجرائه مجرى المفعول كما في قوله يا سارق الليلة أو مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم
أي إن علمتم أو ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على إزالتها فابعثوا أي إلى الزوجين لإصلاح ذات البين
حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والإصلاح من أهله من أهل الزوج وحكما آخر على صفة الأول من أهلها
فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الأجانب جاز وقيل في

في أنهما هل يليان الجمع والتفريق أن أياد ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن
يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما أن يتخالعا إن كان الصلاح فيه إن يريدا أي الحكمان إصلاحا أي إن قصدا
إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والألفة
وألقى في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم إرادتهما الإصلاح لما ذكر من الإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغي
أن يفرض صدوره عنهما وأن الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو إرادة الإصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الإصلاح
وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الأمر إلى عدم إرادتهما فإن الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الإرادة
منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين أي إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
كلاهما للزوجين أي إن أرادا إصلاح ما بينهما من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته
فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه إن الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والأقارب ونحوهم إثر بيان
الأحكام المتعلقة بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها في سلكها في
سایر
المواقع وشيئا نصب على أنه مفعول أي لا تشركوا به شيئا من الأشياء صنما أو غيره أو على أنه مصدر أي لا تشركوا به شيئا
من الإشراك جليا أو خفيا وبالوالدين إحسانا أي أحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى أي بصاحب القرابة من أخ
أو عم أو خال أو نحو ذلك واليتامى والمساكين من الأجانب والجار ذي القربى أي الذي قرب جواره وقيل الذي
له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى والجار الجنب أي البعيد
أو الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان
حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب
أي الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلس أو غير ذلك
من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر أو المنقطع به أو الضيف وما ملكت أيمانكم من العبيد
والإماء إن الله لا يحب من كان مختالا أي متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخورا يتفاخر
عليهم والجملة تعليل للأمر السابق الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الأول وبضمهما
وبفتحهما والموصول بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي من المال والغنى أو من نعوته صلى الله عليه وسلم
التي بينها لهم في التوراة وهو أنسب بأمرهم للناس بالبخل فإن أحبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون أعقابهم بكتمها وأعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب
يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لا تنفقوا
أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها والذين
ون
ينفقون أموالهم رئاء الناس أي للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون أو على الكافرين
وإنما شاركوا في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح
واستتباع اللائمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله إلى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا كأنه قيل والذين
ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالإنفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون
أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا أي فقرينهم
الشيطان وإنما حذف للإيذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد إبليس وأعوانه حيث حملهم على تلك القبائح
وزينها لهم كما في قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وإنما لم يصرح
به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يقتضي أن يكون الإنفاق لابتغاء وجه الله تعالى
وطلب ثوابه ألبتة أي وما الذي عليهم أو أي تبعة ووبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤديهم إلى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى
وتقديم الإيمان بهما لأهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالإنفاق بدونه وأما تقديم إنفاقهم رئاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع
كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس به وكان الله بهم
وبأحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب أو بأعمالهم المفروضة فهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو كانوا قد آمنوا وأنفقوا كما
عنه قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت للمفعول قائم مقامه
سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بمعنى وضع الشيء في غير موضعه أي لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة أو على أنه
نعت للمصدر المحذوف نائب منابه أي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة أو كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة وسوقه
لمقام المبالغة فإن حبة في الثقل أظهر من ثقل النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحد
من هؤلاء ذرة وإن تك حسنة أي وإن يك مثقال ذرة حسنة أنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافته إلى الذرة وحذف النون
من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة يضاعفها أي يضاعف
ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها
بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال أبو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه ألفي ألف حسنة
ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعد
في مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لكونه تابعا للأجر مزيدا عليه فكيف محلها إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ
محذوف وإما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه أو على التشبيه بالظرف كما هو رأي الأخفش أي فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة من الأمم بشهيد يشهد عليهم
بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون الجملة
المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء إشارة إلى الشهداء
المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم
عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي أشير إلى شدتها وفظاعتها
بقوله تعالى فكيف فإن أريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء
لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والأمر الهائل وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تقبيح حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى وإن أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون
في زمرتهم دخولا أوليا والمراد بالرسول جنسه وإن حسن انتظامه للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما أوليا وأيا ما كان ففيه من تهويل الأمر
وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه
دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر أي يود في ذلك
اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول أو الذين كفروا والذين عصوا الرسول أو قد عصوا الرسول والذين عصوا الرسول لو
لو تسوى بهم الأرض إن جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود أي يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى وقيل يودون أنهم
لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وإن جعلت حرفية على بابها فالمفعول محذوف

لدلالة الجملة عليه أي يودون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضا محذوف إيذانا بغاية ظهوره أي لسروا بذلك وقوله تعالى
ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود أي ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون
أن يدفنوا في الأرض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا
ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ تسوى على أن أصله
تتسوى فأدغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الإشراك به تعالى نهوا هاهنا عما يؤدي إليه من حيث لا يحتسبون فإنه روي
أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحا فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة
في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي
عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تعملوا
في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في
الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة
تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن ما تقولون على ما يقرؤون حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد
بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأيا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد
على حاله لأن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا في أوقات الصلاة وقد روي أنهم كانوا بعد ما نزلت
الآية لا يشربون الخمر في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من أصابته الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر إلا عابري سبيل استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب
على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه فعل النهي أي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الأحوال
إلا حال كونكم مسافرين على معنى أن حالة السفر منهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة
على انتفاء خصوصية البعض المستثنى ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كلا ولا جزءا فإن الاستثناء لا يدل على ذلك
عبارة بل يشير إلى مخالفة حكمه لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن مدار ذلك
في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على أن إلا بمعنى غير أي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة
على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء
أو الطريق فيه وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم ذلك
حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيذان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة
ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويقا إلى البيان وروما لزيادة تقرره في الأذهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه
أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها وإن كنتم مرضى شروع
في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له
في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنبا إلا مضطرين والمرجع
ما قيل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك لتعذر الوصول إليه
أو لتعذر استعماله أو على سفر عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإيراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء
لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فإن الاستثناء كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض
عليه للإيذان بأصالته واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه أو جاء أحد منكم من الغائط هو المكان
الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس وإسناد المجيء منه إلى واحد

بينهم من المخاطبين ونبههم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك اشار الكناية فيما عطف عليه
من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع
سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب الحقيقة
وانما ذكر تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او
بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورتي المرض
والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر
بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الى آخره
واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر وغالب العجز عن استعمال الماء قائم مقام عدمه في حق المريض مغن
عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهير المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل
مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا
او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي
رحمه الله لا بد من ان تعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح
الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة
ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عن الترخيص فان الترخيص والمسامحة من روادف
العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء
حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليهم ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل
للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر
اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمين معنى الانتهاء كما فعله بأباه مقام
تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه ايضا
انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد
بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا بطول الكلام فيه وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام
والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا
من حقوقهم التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوين التفخيم للتشنيع عليهم
والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة
المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية
ارشادا لمجانسته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا
ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال انهم
وانت خبير بانه حال عن افادة ان مادة التشنيع ومدار التعجيب المفهومين هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه الذي تقتضيه جزالة
النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على
سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك
لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي
اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها
كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى
حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحمل

الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا ريب في ان هذه الرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل
سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة
على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم
بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق
والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم
او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى
بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى
يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء زائدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير
الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لاستقلالهما التام لقوة استقلالهما المناسب للاعتراض وكفايته عز وجل
في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان
لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم
والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما
في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء الا ان ما في حيز الصلة
ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا قوم
او فريق يحرفون الى آخره وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي
يقتضيه شأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء بيان
محل التشنيع والتعجب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته
ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة
التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار
افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة بتخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد
ههنا اما ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يحمل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الى آخره على ما قبله
عطف تفسير لما سيقف على سره والمعنى على الاول يميلون كلم التوراة عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه
في التوراة بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات
الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع
ما في التوراة او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره واياما كان فقولهم سمعنا وعصينا حقه ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان
او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل ان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت
به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتقوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والاقتصار على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة
ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم
او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا
داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى
اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون
نصبا على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة

المعنى الاخر وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له
صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يريدون به كلاما من العظائم التي هي مواقعها وهو ايضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا
او انتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب باجرائه اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها
وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القول
الاخير مع تصريحهم بالعصيان في القول الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
وقيل كانوا يقولون القول الاول فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ايضا ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا
وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
انظرنا او فتلا بها وضما لما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء
والسخرية وانتصابهما على العلة ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب
والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا
بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة
الى وضع اطعنا مكان عصينا لان الكلمة على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم تحقق اعلام ان
عصيانهم لا بعد تحققه والوقوف عليه فلابد من ازالته واعادة سماع القبول مقامه واسمع اي قالوا عند مخاطبة النبي صلعم
بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا
هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على
واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله
في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب
والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لكن
الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان وفي المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل بمعزل مما يقتضيه مقام الامر بالايمان
الناطق بهذا الافصاح الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم
بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه
ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى
وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى
لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها
الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بالامر بعد حكاية احوالهم وافعالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب
اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالتها وتوه
بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائها بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما هاهنا فالمقصود تاكيد ايجاب
الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر
بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا
لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما التهم الى تحريمهم قاطبة
الاظهر واياما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر
بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول
تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عند الله عز وجل مصدقا لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على

على حقيقة الحال فان المعنى المستدعي لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم
بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة
الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور
فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الاجتناب عن مخالفته
بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على
ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها
لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى
فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء
للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه
الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم الى حيث
جاؤوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه
ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان
عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي
ان عمر رضي الله عنه قرا هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد
ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات
حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق خطاب
المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدما مات من السنين من اعقابهم الضالين بضلالهم العاملين بعملهم مما لا يليق بعدله من حكمه
الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم
سببا لما كد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم الكفر والعناد بعد ازدياد الحجج وضوحها وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول اهل
من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع
الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المبادر
من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه مغاير
لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع
عليهم اللعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما داوله السنة من اللعن المستمر الذي لم يعقوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون محلا لهذا الوعيد او مزجرة
للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع وانما روي
عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول
لانه ادخل في الزجر وعليه يبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يقع علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم وانما كان ظهور اثره في بعضهم بعد العفو
من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي امره
كائنا ما كان او مأموره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله
لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه

فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب
قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه
بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف
به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور
الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه
من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة
تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط اي بما فوقه فان مغفرتهما
لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان
من تتمات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل
سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها
فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على
الايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما
اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب
من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر
شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه
قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين
اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل
او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك
الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة
وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف
نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال يفترون
عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب
وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم
الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضائه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه
من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا
للتشنيع واكد التعجيب والتقريع بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث
هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده
في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء
فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر
عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل
ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فقلبت
السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وهو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف

اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي
كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ
الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال
وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم
بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح او
اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته
فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن
وتوجيه الخطاب الى كل احد يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب
العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة
وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم
البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا
الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه
فاذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه
حالهم واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا تكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار اللياقة
والتوبيخ عليه اي لعده منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى المجموع المعطوف على معنى الهم نصيب وافر من الملك
حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه ألك هذا
القدر من المال فلا تعق على ابيك شيئا وفائدة اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا
للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس
منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه
واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس اذ هم لحيازتهم الكمالات البشرية
قاطبة فكأنهم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك ليس كبير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق
الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل
يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل
للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما
اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية
بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله
عليه وسلم وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون
نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد
الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام
لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد
ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان

فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاعتنائهم باثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه
وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح
جمهور المفسرين لكن الظاهر حينئذ ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب
وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم
ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فمستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم
بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله
وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده النظم المرتب لما بعدها
على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم
عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون وذلك ديدنهم المستمر
فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد به الجنس المتناول
لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا
قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت
جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه
للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى
ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها
قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها
وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن
تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي
الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر
مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس
الذائق المذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة
الذائقة اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق
او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة
عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق
حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط
لجميع صفات كماله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين وتبشيرا
للآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم
بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها
ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية
من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم
وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا

والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام
بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء
بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد
سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت
وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد
والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به ههنا مختصا بوقت المرافعة
قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا والفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي
وان تحكموا اذا حكمتم الى آخره وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي متلبسين بالعدل والانصاف ان الله
نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او المخصوص بالمدح محذوف اي نعم ما يعظكم به ذلك
وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين
وحسن استدعائهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد
ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تأكيدا للكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق
الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومة امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين
واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر
عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور
الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه
الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان
الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل
النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فردوه الى آخره فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد
المأمور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تأويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم
والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل كما ينبئ عنه التجريد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعجيبه من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون
الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة
بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان
محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى آخره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم

يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقضى لليهودي فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه
فقال عمر للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وتراجمهم
وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين
الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجب
والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فضلا عن الوقوع
بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه يقتضي كونهم من منافقي اليهود ويقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم الى كعب
بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور والبعيد فانه يدرس به تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان
واوليائه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد
هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فاخذها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا اي اضلالا
واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك
في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا
ان اصل آية ايية فحذف اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول
فراس الحمداني اياجارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي رايت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق
وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول
هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا اي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي
هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى
فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية وحاقة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم
بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك
ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر
عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا
الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على فعلهم
وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا
اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدا خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفسادات المنافية
لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم
لمصلحة استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد
وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع
قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجيز

تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف
استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى
وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق
وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
كلام مبتدا جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا
من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته
طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق وترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين
بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفر لهم الرسول وانما قيل واستغفر
لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته من جلائل العفو
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا
حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للتائبين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم
لاولئك المنافقين على ما صنعوا ببيان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارها لمانعة زائدة عليهما موجبة
لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى
لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك
ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا
بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به
او من قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل
بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له
خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من
الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع
الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان
مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا
الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله
ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة
العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين
الا قليل منهم الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله
الذي لم يفعل بنا ذلك وفيه حث على ان اقتلوا انفسكم لو عرضوا بها القتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا او باطنا وسميت اوامر الله

وتوا اسمه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا وآجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان لبعده
من الاضطراب فيه واشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم
بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم فاذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم
ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستأنف فيه فضل ترغيب
في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع واعلى ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا
وارفع منارا مفصل لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع
الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار
بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام في بيان
حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم
التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة
فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله
الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وموتك فعرفت انك ترفع
مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ثوبان كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم
اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني
ان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون
احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان
رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والصديقين المتقدمين في تصديقهم المبالغين
في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق رضي الله عنه
والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد
بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما
من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك
اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين
او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل
اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الاول
والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون
السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى
لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال
المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاع او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر
والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته
التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم
ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها هاء التأنيث وهل هي واو او ياء فيه قولان
قيل انها مشتقة من ثاب يثوب كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف

من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة
ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى
للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم
لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علي اي بالقعود اذ لم اكن
معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب
عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع
صفة للفضل اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه
واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسره وتهالكه
على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط
بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يفهم من يطلع على كلامه من المؤمنين انه يتمنى نصرتهم ومظاهرتهم
حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم
وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه
من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتأكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن
بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف
على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء
للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد ينبغي ان يوطن نفسه على احدى الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه
مع ما نال من اجر او غنيمة وما لكم خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله تعالى
لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك
المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف
المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين
او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لآبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة
في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد
الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من
هو له كان كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور

على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه
كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة إلى إبراز كون
المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز أن يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى
واجعل لنا من لدنك وليا قال ابن عباس رضي الله عنهما أي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا
ديننا وشرعنا وينصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأعز
ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم أي تولى ونصرهم أي نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم أي نصر
ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة أي كن أنت ولينا
وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين
في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم
إلى الله عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت أي فيما يوصلهم إلى الشيطان
فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة
على أن ذلك منشأ مقاتلتهم سبيل الشيطان والإشعار بأن المؤمنين أولياء الله لما أن قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين
في القتال وتقوية عزائمهم عليه فإن ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما أن ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كأنه قيل إذا كان الأمر
كذلك فقاتلوا يا أولياء الله أولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل إن كيد الشيطان كان ضعيفا أي في حد ذاته فكيف بالقياس
إلى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى إيذانا بظهورها وفائدة إدخال كان في أمثال هذه المواقع التأكيد ببيان
أنه منذ كان كذلك فالمعنى أن كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم تعجيب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من إحجامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الأمر بكف
الأيدي فإن ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها إلى العدو وبحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي إن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا
يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذى شديدا فيشكون ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم
النبي صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فإني لم أومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع أن القائل هو النبي
صلى الله عليه وسلم للإيذان بكون ذلك بأمر الله سبحانه ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب إنما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث
احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حيز القول الأمر بكف الأيدي لتحققه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الآمر غرض
وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم
وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور
أمر التعجيب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما
على أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعتهم إلى الخشية عقيب الأمر بالقتال
أثر ذي أثير من غير تلعثم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم
للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالهم الأولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال
من فاعل يخشون أي يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله تعالى وقوله تعالى أو أشد خشية عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية
الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده أي يخشونهم خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأيا ما كان
فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها وإما للإبهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف
أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون وقالوا عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية
الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإنكار لإيجابه بل على طريق تمني التخفيف

لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت
به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا قل أي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال
من النعيم الباقي متاع الدنيا أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل
والآخرة أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات
وإنما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والإخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون
فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب
به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من أينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق
تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المخاطبين اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه الصلاة
والسلام فلا محل له من الإعراب أو في محل النصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال
زعما منكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع
على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها أو على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل
بلا تظلمون أي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة أو قصور
محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا
كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه أي ولو كنتم في بروج
مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم إلخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها
دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وإن الوصلية من التأكيد والمبالغة
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ حكي به
ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على إسناد ما يكرهونه إلى غير جهته فإن ما حكي عنهم من قولهم لولا أخرتنا إلخ مستلزم لما ذكر
كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ودعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص
في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي وإن تصبهم نعمة ورخاء نسبوها
إلى الله عز وجل وإن تصبهم بلية من جدب وغلاء أضافوها إليك كما حكي عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم إلى الحق ويلقمهم الحجر ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذ لا يجترئون على معارضة أمر الله
عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله أي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وإيجادا من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منها
بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه
فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على أسلافهم من قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله أي إنما سبب خيرهم وشرهم أو سبب إصابة السيئة التي هي
عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم إلخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى
لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار أي وحيث كان الأمر كذلك فأي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثا
أو استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا
من الأحاديث أصلا فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة
بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه تعالى بطريق التفضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد
عليهم في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ولم يسندوا إصابة السيئة إلى غيرهم وقوله تعالى ما أصابك من حسنة
إلخ بيان للجواب المجمل المأمور بإجرائه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه
إلى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والإشعار بأن مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بأن يتولى
بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال

بسبب معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أي ما أصابك من نعمة من النعم فمن الله أي فهي منه تعالى بالذات تفضلا وإحسانا من غير
استيجاب لها من قبلك كيف لا وإن كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة إلى إصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته
المقارنة لأدائها ولا نعمة إقداره تعالى إياه على أدائها فضلا عن استيجابها نعمة أخرى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما أحد يدخل الجنة
إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا وما أصابك من سيئة أي بلية من البلايا فمن نفسك أي فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو
عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله
أكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير
ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة
وأرسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام
بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار إما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر إلى قيد العموم أي مرسلا لكل
الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس وإما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز أن يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول أي بإرسال رسالة وكفى بالله شهيدا أي على رسالتك بنصب المعجزات
التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول
فقد أطاع الله بيان لأحكام رسالته صلى الله عليه وسلم إثر بيان تحققها وثبوتها وإنما كان كذلك لأن الآمر والناهي في الحقيقة هو الله
عز وجل وإنما هو عليه السلام مبلغ لأمره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي أنه عليه السلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني
فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للإيذان بأن مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته
عليه السلام بل حيثية رسالته وإظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الألوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام
انتظاما أوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أي
ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه إنما أرسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا
حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع
في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته أي يقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة أي أمرنا وشأننا طاعة أو منا طاعة
والأصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فإذا برزوا من عندك أي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم
أي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول أي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
لأنهم مصرون على الرد والعصيان وإنما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق أو خلاف ما قلت لها والتبييت إما من البيتوتة لأن إمضاء الأمور
وتدبيرها بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بإدغام
التاء في الطاء لقرب المخرج وإسناده إلى طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات والباقون أتباع لهم في ذلك لا لأن الباقين
ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون أي يثبته في جملة ما يوحي إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليك فيجدون
بذلك إلى الإضرار بكم سبيلا أو يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه وأيا ما كان فالجملة اعتراضية فأعرض عنهم أي لا تبال بهم وبما صنعوا أو تجاف
عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم وإظهار الجلالة في مقام
الإضمار للإشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والإظهار ههنا أيضا لما ذكر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه أفلا يتدبرون القرآن إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات
الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر أي أيعرضون
عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم
المحكي على ما هو عليه ولو كان أي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بأن يكون بعض أخباره غير مطابق

للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عند الله
قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الإخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل
لأن الغيب لا يعلمه إلا الله وقال أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى
يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فحصل لهم أن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه
الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في
البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح إليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد أبعد عن الحق بمراحل وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به يقال
أذاع السر وأذاع به أي أشاعه وأفشاه وقيل معنى أذاعوا به فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم
في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك أن ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة
يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمور
تفوت بالإذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك فقيل ولو ردوه أي ذلك الأمر الذي جاءهم
إلى الرسول أي عرضوه على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات
الرد والمراجعة إلى رأيه صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الأمور رضي الله عنهم لعلمه أي لعلم الرادون معناه
وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استكشاف معناه واستيضاحه
أي لعلمه أولئك الرادون الذين يستنبطونه أي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم أي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر من صحابته
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره
بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل إنهم كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر
لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه أي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة
ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا
يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول
عليه السلام وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون
وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فمساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة
وسوء تدبيرهم إثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات
أي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرشادكم إلى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر لاتبعتم
الشيطان وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا إلى سنن الصواب إلا قليلا وهم أولو الأمر الواقفون على أسرار
الكتاب الراسخون في معرفة أحكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
وبقيتم على الكفر والضلالة إلا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به إلى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة
الإيادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وأضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصر والظفر
بالأعداء أي لولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا قليلا منكم وهم أولو البصائر النافذة والنيات
القوية والعزائم المتمكنة من أفاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين إلى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته
من الفتح والظفر وقيل إلا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات

وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين
في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك
استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرة القتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا
من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي
وقيل على جواب الامر وقيل بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف
على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء
الحث عليه والترغيب قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض نحو ما لا خير فيه ولا يعتد اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر
المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة
ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان
يوم حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم والى الجيش بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله
اشد بأسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا
موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع
كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن
غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة
اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيه الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عليه السلام
قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة
سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله
على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه وشهيدا وحفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه
والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق
وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى
والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها التاء وادغمت الاولى
في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا
يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس الدعاء
بطول الحياة كذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا
باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم
وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب السلام واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة
وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد

لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر
بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام
عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل
التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما وردها بمثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم
التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة
جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب
او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا
لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب
محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى
في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما دل
عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين في المنافقين
لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون فئتين منصوب عند البصريين
على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرا اي ما لكم
في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب القطع بكفرهم واجرائهم مجرى
المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة
الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي
عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية
المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يقع في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين
مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود الصارف بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو
اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا اي بسبب ما كسبوه
من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى
اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسوا ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد
للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك
لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار
وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه
مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق
فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله
فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار
بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق
ومؤكد لاستحالة الهداية وحينئذ يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف
مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب اي مع ما بعدها
نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر

كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال
وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء
الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمع المخاطبين فان المراد نفي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان
حالهم ما ذكر من وداد الكفر فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام
لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية لا تقبلوا
منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال ومن هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة
او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك
المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الى آخره فانه صريح في ان كفهم عن القتال
احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال
باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤكم اي جاؤكم
قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الى آخره ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية
مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا وبمن
عاهدنا كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك
ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم
فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله عز وجل والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان قاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم
لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا
ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة
اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف
عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع
بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم
وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول
الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على
انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد
الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا
كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة

كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدم به على امه
فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم
اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير
رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب
على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن
ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى
القاتل الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد موقت او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديمها هنا مع تأخيرها
فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده
بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه
فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما
فمن لم يجد اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام اي فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين
ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد بفعل محذوف
اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام
التي من جملتها ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه
لما بين في سورة البقرة اقتصر هنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم
بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا
ولكنا نؤدي ديته فاتوه مائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء
صنعت تقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل
واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى
خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول
جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته صيغة الماضي اي بقدر بالحال والمعطوف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء
ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما سيعطف عليه حتى يقدر بجازاه وجازاه بطريق الاخبار
عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فمعطوف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا
لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر
بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له في جهنم
عذابا عظيما لا يقادر قدره وفيما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تأيد بما روي
من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا

قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وقوله عليه السلام من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس
من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها على خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها لا لما قيل إنها
في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه ولا لما قيل إنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما حكي فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله
في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا
وقد روي عن ابن عباس أن رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة قال نعم فقيل له قلت لذاك كذا ولهذا كذا
قال كان الأول لم يقتل بعد فقلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضا
حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هو جزاؤه
إن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب
ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي الأصل في ذلك أن الله عز وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد
بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس أنه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجز له ومن وعده
على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق أنه لا ضرورة إلى تفريع ما نحن فيه على الأصل المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه بذلك
كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخبارا بأنه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير
يا أيها الذين آمنوا إثر ما بين حكم القتل بقسميه وأن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة
المبالاة في الأمور إذا ضربتم في سبيل الله أي سافرتم للغزو ولما في إذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء أي فاطلبوا
بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا أي اطلبوا إثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام
أي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وإنما أظهرت ما أظهرت
متعوذا بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبذولا لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين الأخيرتين والاقتصار
على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور
خطائهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المقام وعن الازجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض
الحياة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعا إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب
العلم تبتغي به الجاه بل إليهما جميعا أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم
كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم
مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم
إلى آخره وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء
للعطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضا في مبادي إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام
ونحوها فمن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة أي إذا كان
الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير توقف على تواطؤ
الظاهر والباطن هذا هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب أن المعنى أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم
كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان
والتقدم فيه وأن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إلخ فقد بعد
عن الحق لأن المراد كما عرفت بيان أن يحصل له ما والأول الحكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة وإظهار

١٤

عليه في حقهم بعض ما يترتب عليه في حقه أيضا إزالة لهم وإظهارا لخطائهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتغيير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم
بتحصين دمائهم وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك
بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول فحصنت دماءكم وأموالكم حتى يبان
البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن إياه بناء على الأساس وإذ قد عرفت لا وإن ما ذكره بصدد التفسير إن كان أمرا مترتبا
على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته في حقه بناء على كونه في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأمر له دخل
في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه من قوله فعليكم أن تفعلوا إلخ وحمل الكلام على معنى أكنتم أول
كنتم سلكه فقصوى الرتبة في الإسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية فلا تستقصروا حاله نظرا إلى حالكم هذه بل اعتدوا بها نظرا إلى حالكم
السابقة يرده أن قتله لم يكن لاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل
فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ
غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها خوفا
من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله
إلا الله فقال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال
يا رسول الله كما نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما أحس بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت مسلما فقال إنما
كان متعوذا فقال عليه السلام أفلا شققت عن قلبه إن الله كان بما تعملون من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها
إن خيرا فخير وإن شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح أن على أنها معمول لتبينوا
أو على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجاتهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر
وتحريض المؤمنين عليه لينفر القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد
اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل
من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين
متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدون أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار
بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير أولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ
بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه
العجز عن الأهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن
لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في
إيرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم لمدحهم بذلك وللإشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر
للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة
ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي
الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول
وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم
من ذكر عدم استوائهما إجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله إلخ وأما تقديم
حالهم لا يستوون فإنما هو لجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا للإثبات وفيه تعكيس ظاهر فإن الذي يحق أن يكون مقصودا
بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة وأما عدم استوائهما فقصاراه أن يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين

للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني درجة نصب على المصدرية لوقوعها
موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة
وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة
اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين
عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين معينة لهما عن ذكر الصفة التي مركت عليها التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر
موكد لفضل على انه بمعنى اجر واشارة على انه مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء
اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا
بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى
قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز
ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل
البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا
حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة
ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه
حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف
الذاتي تمهيدا لسلوك طريق الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة
منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا
البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل
الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة
من الدرجات العالية التي لا تحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة
وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله
اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائل بمفهوم الصفة وبان الاستثناء
من النفي اثبات واما عند من لا يقول بهما فلا لدلالة العبارة والنص عليه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما منعهم
من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان بالمدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم
بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه تفكيك النظم الكريم مع انه لا يخفى
ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل
مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد
وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم على حكاية
الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى
على الانفصال وان كان متصلا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه

اي ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه
من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين
في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها اي الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار
العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج
بسبب الفقر او لعدم تمكن الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى تتم التبكيت
وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا
فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وبانتظامهم
في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل
من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم القطيعة ماواهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماواهم
في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط
وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه
مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل
من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان
ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين
لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام للتعريف
او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير للمستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف والمنع الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يحتاج اليه
والاهتداء للسبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات
العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها
عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول
بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
ومن يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل
الشرط وقرئ بالرفع عطف على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم
وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله

صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج
رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر
ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي سفر
كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد
يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر
وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون
تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى
الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح
في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق
القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي مسيرة يومين وظاهر الاية
الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اتمت
تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه
عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر
وجابر رضوان الله عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا
الى المدينة وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم
سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين
وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان
وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن تمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما
فرض الصلوة فرضت ركعتين ركعتين في الحضر والسفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها
ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين
فحيث حللت فهي داري واما وروده بنفي الجناح فلانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى الجناح
عنهم لتطيب نفوسهم وليطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا و
ركن عند الشافعي رحمه الله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال
وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له
لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت
منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق
بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كالعفو في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم
عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا بقي على حاله العدمي لعلة لا لتحقق دليل عدمه
وما نحن فيه كذلك بما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج
الشرط هاهنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ثم نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق
ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل
عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من

من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الى آخره اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح
وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الى آخره فان
استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك
باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى
واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان
بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن هاهنا
ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم
حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان
صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان
ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة
الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة
الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها
ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون
معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي
الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الثانية ولم يبين في الاية الكريمة حال
الركعة الثانية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى
وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى
صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف
الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين
بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات
اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب
لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب
مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له
وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث
المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه
من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت
ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله
لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن
الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر

بأخذ الحذر اي عدلهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه
بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبتهم واعتزازهم نفي ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم
لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها
فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة
الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي وفيه من البعد ما لا يخفى
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه
المشروح وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء
القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون
وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون
على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر
ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى
وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب جميلة انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها
علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة
يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليك فتركوه واخرجوه
من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة
فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ فالقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب
عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على ما يترتب عليه
النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصيتهم
خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له
في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وتعالى وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء
منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب
وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا
انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا

ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به
كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله
غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب
لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كأنه ومن يكسب اثما من الاثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله
الى غيره فليتحرز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر
وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف
وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع
لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم
للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا
وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا
وهو صفة لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف
البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي
بريئا فان رمي البريء بجناية خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من
فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسب اليه البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان
فهو في نفسه بهتان واثم في نفسه لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي عفوا نصا ذلك شده ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جناية المكسوب الى رمي البريء والا
لكان الرمي بغير جناية مع بهته نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال
على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام ذنبه الى رمي
البريء يزداد الجاني قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك
على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير
راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر وارادوا
صلى الله عليه وسلم ان يضلوك بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي تأثيره فقط
ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة
اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وباله عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من
شيء من الضرر لما انه تعالى عاصمك وما خطر ببالك كان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة
على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من
الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي كثير من تناجي الناس الا من امر اي الا في نجوى
من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء
متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس
عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم
او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك
على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد
هذه الاقسام الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله تعالى الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس

ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها للدلالة على خيريته
بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيريتها اثبت وفيه تحريض
للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع
الامر به للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال
بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما
يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة
وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين
اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه
وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية
الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد
والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي
جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك
جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه ان يدعون
اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن حي من احياء العرب الا كان
لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي
ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل لان المراد الملائكة تسميتها اناثا لان اسماءها
او لانها في الاصل جمادة والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة
عبدتها وتناهي جهلهم وقرئ الا انثا جمع انثى كرباب جمع ربى وقرئ على التوحيد والا انثا على انه جمع انيث كغدر وقلب او جمع اناث
كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان
يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم له عبادة
والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع
الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك
في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستتبع مطاوعته سوى
اللعن والضلال والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي
نصيبا قدر وفرض لي من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم
فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري يشقونها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولامرنهم
فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات
كلها للقسم والمامور في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به
ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار بعدم

اي ما لا يكاد يجوزه يعدهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير لمن والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء
الخاطر الفاسد او بلسان اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ
الصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى ماواهم مبتدا ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول
ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلصا ونجاء وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق
بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل
فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن
وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى
نعدهم ادخال جنات الكفرة وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد
الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال
لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله
تعالى من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ونظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين
مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا
لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا باماني
اهل الكتاب وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت
قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله
قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
اي بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات فمن للابتداء اي كائنا من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه
لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون
مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص
ثواب المطيع فلان يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل
وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا
لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا
والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية
وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة

لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الأديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم واتخذ الله
إبراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله وإظهاره عليه السلام في موقع الإضمار لتفخيم شأنه عليه السلام
والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن
كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان
في الخصال وفائدة الاعتراض تأكيد وجوب اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته
خليلا حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم ما يمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم قيل إنه عليه السلام بعث إلى خليل له
بمصر في أزمة أصابت الناس ليمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب
الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها منزل إبراهيم عليه السلام
وألقوها فيه وتفرقوا وجاء أحدهم فأخبر إبراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام
فغلبته عيناه وعمدت سارة إلى الغرائر فإذا فيها أجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية فأطعمت الناس واستيقظ إبراهيم
عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا
ولله ما في السموات وما في الأرض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله عز وجل على أهل السموات والأرض ببيان أن جميع ما فيهما
من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب أعماله خيرا وشرا وقيل لبيان أن اتخاذه عز وجل
لإبراهيم عليه السلام خليلا ليس لاحتياجه تعالى إلى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فإن مدار خلتهم افتقار بعضهم إلى بعض
في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان أن الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاءه عليه السلام للخلة
بمحض مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علما وقدرة بجميع الأشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أكمل تقرير
ويستفتونك في النساء أي في حقهن على الإطلاق كما ينبئ عنه الأحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فإنه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن أحوال
كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب بإسناد الإفتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلي من الكتاب فيما سبق
باعتبارين على طريقة قولك أغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وإيثار
صيغة المضارع للإيذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب إما متعلق بيتلى أو بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه أي يتلى كائنا فيه
ويجوز أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في حقوق
اليتامى من عظائم الأمور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول للمتلو وما سيتلى ويجوز أن يكون مجرورا على القسم المنبئ
عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه في الماضي والمستقبل ولا مساغ للعطف
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الأول وهو الأظهر متعلق بيتلى أي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الأخيرين
بدل من فيهن وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة أيامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
أي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وأنتم
ترغبون ولا يخفى أنه لا يظهر لتقييد عدم الإيتاء بذلك فائدة إلا إذا أريد بما كتب لهن صداقهن أن تنكحوهن أي في أن تنكحوهن
لكن لا لأجل التمتع بهن بل لأكل ما لهن أو في أن تنكحوهن بغير كمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق أو عن أن
تنكحوهن إلا أن يقسطوا لهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها أنها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية
عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في المال حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها
رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الأول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى
أموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وإن

خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم
الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال القوام بالأمور روي أن عيينة بن حصن الفزاري
جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال صلى الله عليه وسلم كذلك أمرت وأن تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون يتامى النساء متعلقا بيتلى وأما على تقدير كونه بدلا من فيهن
فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن أي يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه بإضمار فعل أي ويأمركم وهو خطاب للولاة أو للأولياء والأوصياء وما تفعلوا
في حقوق المذكورين من خير حسبما أمرتم به أو ما تفعلوه من خير على الإطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا أوليا فإن الله كان به عليما
فيجازيكم بحسبه وإن امرأة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الأحكام أي إن توقعت امرأة من بعلها نشوزا أي تجافيا عنها
وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها أو إعراضا بأن يقل مجالستها ومحادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والأسباب فلا جناح
عليهما حينئذ أن يصلحا بينهما صلحا أي في أن يصلحا بينهما بأن تحط له المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة أو بأن تهب له شيئا تستميله به وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا
من افتعل وصلحا إما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على أنه مصدر بحذف الزوائد أو تعبير عنه باسم المصدر كما في أصلحا أو
اصطلاحا حسبما قرئ الفعل أو بفعل مترتب على المذكور أي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل أو حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح
عنهما مع أنه ليس من جانبهما الأخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير
أي من الفرقة أو من سوء العشرة أو من الخصومة فاللام للعهد أو هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى وأحضرت
الأنفس الشح أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فإن فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر إلى حال
صاحبه فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالته وكذا شح نفسها
بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وإن تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز
والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن فإن الله كان
بما تعملون أي من الإحسان والتقوى أو بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة
أن يضيع أجر المحسنين وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والإعراض
مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي أنها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها
سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه ذلك وقيل
نزلت في أبي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على أولادي فاقسم لي
من كل شهرين إن شئت وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشؤون
البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك وفي رواية
أنت أعلم بما لا أملك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم أي على إقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل أي فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب التي تدخل تحت استطاعتكم
فتذروها أي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة
وأحد شقيه مائل وإن تصلحوا ما كنتم تفسدون من أموركم وتتقوا الميل فيما يستقبل فإن الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل
رحيما يتفضل عليكم برحمته وإن يتفرقا وقرئ يتفارقا أي إن يفارق كل واحد منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره
يغن الله كلا منهما أي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان
الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض أي من الموجودات كائنا ما كان

من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم
في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول
ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول
فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ
وعلى تقدير كونها مصدرية بني الكلام على ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها
هذه الامة وانما كان الجزاء المترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات
وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى
ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا اي عن الخلائق وعن عباداتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر
بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ مسوق
للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ
يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين
مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان
انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله
على ذلك اي على افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه
من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين
يوالونه فمعناه هو معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة اي فعند الله تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء اي فعند
الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما
بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة
المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة
رضاه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى
فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما
بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق
فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق
وان تلووا اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي وان تتولوا
اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال
التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد
يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل
من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم

اجمالا والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان بكل كتاب من تلك الكتب
منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد
من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها
بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم
ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة
البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما
وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المساوي للتوراة مع انهم مؤمنون
بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الاكمال بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل
ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه
حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين
فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان في ضمن الامر بالايمان لجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى
آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما ان الكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع
الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب
على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم
تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا
عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضريت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد
بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم
الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين
وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم
لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم
الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة
عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان
جميع افراد العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كأنه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا
وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة
لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه وتعالى ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي
الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء
والحال انه تعالى قد نزل عليكم من قبل هذا في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة

القبيحة فكيف بالاثم والاعراض بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها
حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل
امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك يعبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع
وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى
يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي
لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم
وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب
والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم
داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون
تلوين للخطاب وتوجيه له للمؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين بكم
فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق
في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله ترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص
يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين
نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم
نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وللكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين
وقرئ ومنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه
بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك
في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل
الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الاخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر تحقيقه في صدر
سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا
نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان
يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الى آخره او حال من ضمير قاموا
ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب
قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا
عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما
بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال
اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل وتصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين
بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي في طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين
ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان
وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان يهديه

اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة
الكفرة صريحا وان كان في بيان احوال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته
فضلا عن صدور نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر
جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتهديد
والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر
والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء
من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق
اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا
وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء
يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني
المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان
لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته
عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته
تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول
الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه ويتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام
المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا
اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه
بطريق التشبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة
اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى
وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفى قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون
بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك
وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء
الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون
بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد

الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه وسموه ايمانا اصلا
حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا
اى ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او للجميع الكافرين وهم
داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله اى على الوجه الذى
بين فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين
كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه فى سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا
محررا بخط سماوى على اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم
بهذه العظمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكى يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى فلا تبال بسؤالهم فقد
سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم
والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اى ارناه نره جهرة اى عيانا او مجاهرين
معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اى النار التى جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم
تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
اى المعجزات التى اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك
ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا
حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه
على ما روى انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب لما سيأتى من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس
وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام
سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تظلموا باصطياد الحيتان فى السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا
بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء فى الدال لتقاربهما فى المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال
بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذى اخذه الله عليهم فى التوراة قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى
يعذبهم باى انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اى فبسبب نقضهم
ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم وعلى عقابهم روى انهم اعتدوا فى السبت فى عهد داود عليه السلام
فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا ان قولهم انا قتلنا
المسيح وقولهم على مريم عليها السلام بهتانا متأخر عن التحريم ولا ساغ تعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره وكفرهم بآيات الله اى القرآن او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق
كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
او هو تخفيف غلف جمع غلاف اى هى اوعية للعلوم ونحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء وقال الكلبى يعنون ان قلوبنا
بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه
الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم

او ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا
قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اى بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه
على كفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم
حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هى عنه بالف منزل
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم التى نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه
لابتهاجهم بقتل النبى والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به عليه السلام كما فى قوله تعالى يا ايها
الذى نزل عليه الذكر الى آخره ولانبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان
ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم فى تصديهم لقتله ونهاية
وقاحتهم فى افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام
وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عز وجل عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فرفع
عيسى عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودى دخل
بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقيل
ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه
وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار
والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس
او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اى فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد
اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا
كما فى قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشىء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه
تهكم بهم لاشعاره بعلمهم فى الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده
حكيما فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اى من اليهود والنصارى وقوله تعالى
الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم
بضم النون لما ان احدا فى معنى الجمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج
آية ما قرأتها الا تخالج فى نفسى شىء منها يعنى هذه الآية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى
اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبى وتقول للنصرانى
اتاك عيسى عليه السلام نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الى
وقال ممن قلت حدثنى محمد بن على بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم
وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند
نزول عيسى عليه السلام احد الا ليؤمنن به قبل موته روى انه عليه السلام ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون

الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول
يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون اي عيسى عليه السلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم
بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع
النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع
من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول
من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التوراة لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا
فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه
في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف
حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله
بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين
المعطوفين تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون
مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على
ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقيل الملائكة قال مكي
اي يؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون
بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع
على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين فان قوله تعالى
والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مؤمنوا
اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر
لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي منها
بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم
الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله
مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار
اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى سنؤتيهم
اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بطرفي الكلام
حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم
سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك خبرا للمبتدا ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض
لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لنظم قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل

وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه
اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر الثاني واول نبي شرع
الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا
الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي كما اوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين
تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء
وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي
كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاي وهو
جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره
على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء اشير الى تحقيقها في امر لازم لها لزوما
كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قيل اي وكما ارسلنا
رسلا لا بمجرد قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي قصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه
الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى
من قبل متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب
بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه
تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب
ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك وآتيناك وارسلناك كما اوحينا
الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان كما آتينا داود زبورا وارسلناك رسولا مثل ما ارسلنا رسلا
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة
يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن هاهنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون
معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء
والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على تقديره في سلك الاول
يقتضي تقدير نقيضه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى
تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد
لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد
كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة
سائر الانبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور
ان نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك
لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد
منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا
موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس
على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور
القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له

ان يقولوا يعني ما يقولون على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك
قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله جل وعلا لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل
الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله
متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق
الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع
الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف توصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم
الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما في جميع افعاله
التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام
انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها تدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة
حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع
والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم
فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ حينئذ تتعاقب التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم
الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد
النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك
قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وانما اصل الشهادة
اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه
واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل
وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة
عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك
حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب
الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه
بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا
وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش
والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق
والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم
عند صرف قدرهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص
بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل
يدخلهم جهنم خالدين فيها وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم
على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود
بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شأنه عليه السلام في امر الوحي والارسال
كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريق الخطاب
بالايمان بذلك اثر ما شفعوه بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل

قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول
اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بالمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر
والفاء في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه
مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي
الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر لكان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم
وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما
بعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل
خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن ايمانكم
لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال
الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب
تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام
وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا
على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح
قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه
او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله
خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم
اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه كلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة
معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح تخرج
من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي
المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح
الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى
وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن
لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم
اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح
وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل
للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة
ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد

اي منفرد في الالهية سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور
فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته
من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني
عن العالمين فاني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف
مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله
اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم
استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله وتفصح عنه اقواله الا يرى ان اول مقالة قالها
للناس قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا
بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبد الله تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة
هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبد الله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف
عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف
موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح
اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله تعالى وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالآية من زعم
فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام
عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء
عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون
بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات
وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى
فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم
ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام
على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهل النزاع الا فيه ومن يستنكف
عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى واما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعلق الوعيد
بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف
عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله تعالى
ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه
بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان له محض الطلب من غير حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك
بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا ليطلبوا ثبوت العوج للسبيل مع اعتقادهم لاستقامتها
بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك لكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب
والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم
المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور
اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم حشر الخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين امنوا الآية

مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الحشر للكل وقيل الضمير للمستنكفين ومقابلهم مقدر
معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل
في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا
معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه
من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم
واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم
من باسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر
والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بآياته الواضحة وسد عليهم باب الحجة فلم يبق لعدد
علة لمتعلل ولا عذر لمتعذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب
والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه من الآيات الكريمة
من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل
هي المعجزات التي ظهرت وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة لبرهان مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن
من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا
اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه
مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق
واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية
وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد يجيء على
الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه
بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين الحق فالامر
بين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام
وانما عبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح
بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة
على فواصل الآي الكريمة فاما الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان
وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة لرحمة
ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب الوجودي بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي
قيل انتصابه على انه مفعول له لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغني عن ذكره
بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما روي
انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه انه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض
لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت قوله تعالى ان امرؤ هلك

مبين لها وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى «ليس له ولد» صفة له او حال من الضمير في هلك ورد بانه
للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا
معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى «وله اخت» عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد
بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة «فلها نصف ما ترك» اي بالفرض
والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة «وهو» اي المرء المفروض «يرثها» اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه
«ان لم يكن لها ولد» ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة
فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب
السنة الشريفة «فان كانتا اثنتين» عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا «فلهما الثلثان مما ترك» الضمير لمن يرث بالاخوة
وتانيثه وتثنيته باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية عليه الاثنينية التي على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد
دون الصغر والكبر وغيرهما «وان كانوا» اي من يرث بطريق الاخوة «اخوة» اي مختلطة «رجالا ونساء» بدل من اخوة والاصل
وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث «فللذكر» اي فللذكر منهم «مثل حظ الانثيين» يقتسمون التركة على طريقة التعصيب
وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الآية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء
في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات
لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام «يبين الله لكم» اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها
حكمها «ان تضلوا» اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير
اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد
رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر
من الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق اي حذر
وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان البيان على طريقة تعليم مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك
«والله بكل شيء» من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم «عليم» مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم «يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود» الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق
المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم
من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه
الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل «احلت لكم بهيمة الانعام» البهيمة كل ذات
اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة
الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة هنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة
في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما
المماثلة لها مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عند وروده فضل تمكن «الا ما يتلى عليكم» استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم
ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه «غير محلي الصيد» اي الاصطياد او اكل صيده وهو نصب على الحالية

من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى «وانتم حرم» اي
محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد
بها الظباء ونظائرها ظاهر لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول
ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال
غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها
وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية
للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم
عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم «ان الله يحكم ما يريد» من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة
فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الانفاق بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات
وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها «يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله» لما بين حرمة احلال الحرام الذي
من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وجمع شعيرة
وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج ما يصد
الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها
الاخلال بها والاول انسب بالمقام «ولا الشهر الحرام» اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد
به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس «ولا الهدي» بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي
الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية «ولا القلائد» جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به
انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية
بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة
في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن
لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء مواقعها «ولا آمين البيت الحرام» اي لا تحلوا قوما قاصدين
زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم آمين وقرئ ولا آمي البيت
الحرام بالاضافة وقوله عز وجل «يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا» حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف
بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل
او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حينئذ حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد
بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل
المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك
من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة ليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون
الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثابتة بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري
وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ووعده ان ياتي باصحابه فلما خرج من عنده عليه السلام
فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فسال المسلمون
النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية والمراد
بالفضل طلب الرزق بالتجارة وبابتغاء الرضوان انهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله

وصفهم الله بطلبه وذلك لظن لقا وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدار الحصول بعض مقاصدهم
الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن اداء حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا
ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا
فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ولا يتناول الآمين المشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فيتعين النسخ
كلا او بعضا والاولى الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة
وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويخص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم
فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم
نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه
وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم
يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته
اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله
كما هو رأي بعض وهو غاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام
عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
وابراز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون ووقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا
اي عليهم بالانتقام فحذف تعويلا على ظهوره واما الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر
لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم
منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في تحقيقه نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده
فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال السببية قد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله
لا اريناك ههنا يراد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة
الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض
لسائر الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا
على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا
عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون
على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وتأخير النهي عن الامر مع تقدم التخلية
على التحلية لمسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر
والتقوى ثم امر بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت الاتقاء
فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما
مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى
عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون
لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة اي
التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي وقذوها اي ضربوها بالخشب ونحوه حتى ماتت من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو الى سفل فماتت
والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ

واكيل

واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب
اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها
ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر
مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام
وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد
منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد
بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام
للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس
الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده
حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشوني اي واخلصوا الي الخشية اليوم
اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى
واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر آنفا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او باكمال الهداية والتوفيق
وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو
الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود
نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم
والمكان الذي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة اشار رضي الله عنه الى ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت
الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء
الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل
بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي
اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم قيل غير مائل
ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او غير عاص بان يكون باغيا على مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك
يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها
ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد
ليفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم لافعلن والمسؤول ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله
عز وجل ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف
اي وصيد ما علمتم او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها
للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح
الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومغريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب اكثر ما يقع
فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظه النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ

يب

مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساكه الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف فيه بمعنى الاحلال حقيقة مشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لان تأديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما في علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شأن محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سبحانه وتعالى بكل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد ولا حاجة الى الحمل عليه فيه حسن بكرمه والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي رحمهما الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرف عامله حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي لا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان اللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا الا ان الامر للوجوب مطلقا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال

رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية يقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا تخافون الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فامّوا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال ولكن يريد بما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته الى الله تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذ الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتذييل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم

وتقوية استقلال الجملة يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم
كونوا قوامين لله مقيمين لأوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط أي بالعدل ولا يجرمنكم أي
لا يحملنكم شنآن قوم أي شدة بغضكم لهم على أن لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل أو فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا أي العدل هو أقرب للتقوى الذي أمرتم به صرح لهم بالأمر بالعدل
وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك
في حق المسلمين واتقوا الله أمر بالتقوى إثر ما بين أن العدل أقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على أنه ملاك الأمر إن الله خبير بما تعملون
من الأعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في إطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها وإظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ
على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة
وأجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فإنه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من القول
فكأنه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالأمر بالعدل والتقوى أولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات أصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب
والترهيب إيفاء لحق الدعوة بالتبشير والإنذار يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم تذكير لنعمة الإنجاء من الشر إثر تذكير نعمة الإسلام وما تبعها
من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله أو بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى إذ هم قوم على الأول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل
إلى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما أي اذكروا إنعامه تعالى عليكم أو اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم أن يبسطوا إليكم أيديهم أي بأن يبطشوا
بكم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة إلى بيان
رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حالا لهم من أول الأمر على الاعتداد بنعمة دفعه كما أن تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الأرض للمبادرة
إلى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف أيديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي أريد تذكيرها وذكر الهم للإيذان بوقوعها عند مزيد
الحاجة إليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها وإظهار أيديهم في موقع الإضمار لزيادة التقرير أي منع أيديهم أن تمد إليكم عقيب همهم
بذلك لا أنه كفها عنكم بعدما مدوها إليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث إنها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه
الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أنمار وهي غزوة ذات
الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا إلى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة
هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف وقيل هو ما روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه
فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل فأخبره فخرج عليهما السلام وقيل هو ما روي أنه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه في العضاه يستظلون
بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابي فأخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فأسقطه جبريل عليه السلام
من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واتقوا الله
عطف على اذكروا أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها أو في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا وعلى
الله أي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا أو اشتراكا فليتوكل المؤمنون فإنه يكفيهم في إيصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله
وإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين لإيجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللإيذان بأن ما وصفوا به عند الخطاب
من وصف الإيمان داع إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى وازع عن الإخلال بهما وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتعليل الحكم وتقوية
استقلال الجملة التذييلية ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق
وما أدى إليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه أو لتقرير
ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر في الرواية ببيان أن الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها

من أسلافهم وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي
للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء أو لأن البعث كان بواسطة موسى
عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى
فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن أحوال القوم وأسرارهم قال الزجاج وأصله
من النقب وهو الثقب الواسع روي أن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون أمرهم الله عز وجل بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ
من كل سبط نقيبا أمينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم النقباء
وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم
موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط إفرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام وقيل لما توجه
النقباء إلى أرضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثا وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على رأسه
حزمة حطب فأخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته وقال انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها
وقال ألا أطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم إلا خمسة رجال أو أربعة
فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه إلا عن موسى وهارون عليهما السلام فيكونان
هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم
ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم رجع إلى الجبل فقور منه
صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانتقبت فوقعت في عنق
عوج وطوقته فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة أذرع فما أصاب العصا
إلا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه وقال الله أي لبني إسرائيل فقط إذ هم المحتاجون إلى ما ذكر
من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد إني معكم أي بالعلم والقدرة والنصرة
لا بالنصرة فقط فإن تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما أمروا به والانتهاء
عما نهوا عنه كأنه قيل إني معكم أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائركم فأجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالإيمان
والتوحيد وبالنقباء ملوك بني إسرائيل الذين ينقبون أحوالهم ويلون أمورهم بالأمر والنهي وإقامة العدل وهو الأنسب بقوله تعالى لئن
أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي أي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الإيمان عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع كونهما
من الفروع المترتبة عليه لما أنهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى
وعزرتموهم أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف وأقرضتم الله بالإنفاق في سبيل الخير
أو بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا إما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول
حسن وأنبتها نباتا حسنا أو مفعول ثان لأقرضتم على أنه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه
باللام ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول
أيضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر أي برسلي أو بشيء مما عد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية
للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للإيمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل
تغيير السبك حيث لم يقل وإن كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لإخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال وإسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد
إحداث الكفر بعد الإيمان بل ما يعم الاستمرار عليه أيضا كأنه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا أنه قصد بإيراد ما يدل على الحدوث
بيان ترقيهم في مراتب الكفر فإن الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فقد ضل سواء السبيل أي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا وأخطأه خطأ فاحشا لا عذر معه أصلا بخلاف من كفر
قبل ذلك إذ ربما يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس أي بسبب

نقضهم ميثاقهم المؤكد لا لشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير
او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم
فلعناهم ضرورة تقدم هيئة الشيء البسيطة على المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية
والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا فيه يبس وخشونة
وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح
الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا
اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كاللاغية والكاذبة
او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من
على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة
عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور
في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه
الاول فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق
من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم تقديم الجار والمجرور للاهتمام ببيان لقبائح النصارى وجناياتهم
اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى اي النصارى
اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم
وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء مثل ميثاق
اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم من ان قال
ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا
لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه
فنسوا اي عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر
آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا
نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه
الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل
الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون
الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود
اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن توعده سأخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد
والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجا
زاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة
حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان
احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب

لانطواء الكلام المتصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه
من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى
يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه
المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التورية والانجيل كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام
في الانجيل وتأخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر
لا سيما عند الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب
متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا
من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي لا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه
داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا
والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة
مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا
من نور واياما كان ففيه تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء
من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى
للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس
من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة
من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله
تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى
الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ
من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو
اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث
اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم والقاما لهم
الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة
على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا ومن يستطيع ان يمسك شيئا منها ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق ولا شيء من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره
بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد
بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد
مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه
واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية لما ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على الابلغ الوجه

واكده فنظهر استحالة الوهية قطعا وتعميم ارادة للهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بتقصيرها عليه اي قل فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا تقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع
ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية
وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل
لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى • ولله ملك السموات والارض وما بينهما
اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات
تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواء
سواه وقوله تعالى • يخلق ما يشاء • جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته
من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية
لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق شاءه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق
سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلوة
والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده • والله على كل شيء قدير • قدير
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة • وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه •
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع
ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك
عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى
فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا
ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى
على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قل • اي الزاما لهم وتبكيتا • فلم يعذبكم بذنوبكم • اي ان صح ما زعمتم
فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان
كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى • بل انتم بشر • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم
بشر • ممن خلق • اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم • يغفر لمن يشاء • ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به
تعالى وبرسله مثلكم • ولله ملك السموات والارض وما بينهما • من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية
تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا • واليه المصير • في الآخرة خاصة
لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه • يا اهل الكتاب •
تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة • قد جاءكم رسولنا يبين لكم • حال من رسولنا وايثاره على نبينا لما مر فيما سبق اي
يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنيعة وما سيأتي
من انباء الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانها او يبذل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان
من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فيأباه كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل • على فترة
من الرسل • فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية
كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان
الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها

احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى
• ان تقولوا • تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين
ما جاءنا من بشير ولا نذير • وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء
وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر
من الوعد والوعيد وقوله تعالى • فقد جاءكم بشير ونذير • متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين
بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير • والله على كل شيء قدير • فيقدر على الارسال تترى
كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد
عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روي الكلبي
ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلم وهو الانسب بما
في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي
ليعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم • واذ قال
موسى لقومه • جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث
ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه
مفعول لفعل مقدر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات
اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه • يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم • وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب الذكر ايجاب لذكر ما
وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد
عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة
عليكم وكذا اذ في قوله تعالى • اذ جعل فيكم انبياء • اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله
فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء
• وجعلكم ملوكا • عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف
تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك
ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة مع عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس مما يليق ان ينسب الى غير من اصطفاه الله
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم
وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق • وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين • من فلق البحر واغراق العدو
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم
وقيل من عالمي زمانهم • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة • كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال
به والارض هي ارض المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين و
بعض الاردن وقيل هي الشام • التي كتب الله لكم • اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا
فانها محرمة عليهم وقوله تعالى • ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين • فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط
الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرنا الى مصر او لا ترتدوا
عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران
خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا
بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين له • يا موسى ان فيها قوما جبارين • متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا

مما صنعتم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها • من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها • فان يخرجوا منها • بسبب من الاسباب
التي لا تعلق لنا بها • فانا داخلون • حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق
دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر • قال رجلان • استئناف
كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان • من الذين يخافون • اي يخافون الله تعالى دون العدو
ويتقون في مخالفة امره ونهيه ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا
الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل
ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى
بالتذكير او يخوفهم الوعيد • انعم الله عليهما • اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة
ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين • ادخلوا عليهم الباب
اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا • فاذا دخلتموه • اي باب بلدهم وهم فيه • فانكم غالبون • من غير حاجة
الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون
فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول • وعلى الله • تعالى خاصة • فتوكلوا
بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير • ان كنتم مؤمنين • اي مؤمنين
به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما • قالوا • استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما
مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام • يا موسى انا لن ندخلها • اي ارض
الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم • ابدا • اي دهرا طويلا • ما داموا فيها • اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل
البعض او عطف بيان • فاذهب • الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب • انت وربك فقاتلا • اي فقاتلاهم انما قالوا
ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا
ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل المعنى فاذهب وربك يعينك لا يلائمه
قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم • وقوله تعالى • انا هاهنا قاعدون
يؤيد الوجه الاول ارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر • قال • عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث
والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة • رب اني لا املك الا نفسي واخي • عطف
على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل • فافرق بيننا
يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله • وبين القوم الفاسقين • الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك
بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم • قال فانها • اي الارض المقدسة والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من الدعاء • محرمة عليهم • تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة
بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى • اربعين سنة • ان جعل ظرفا
لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم
في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل
الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال

لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالوقت بالاربعين في الحقيقة لتحريمها على ذرياتهم وانما جعل
تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى • يتيهون في الارض • اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان
كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان
طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وروي انهم
كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم
وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون
لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة
العذاب عليهم السلام وروي ان هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يخفى انه يأباه
ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان يخص بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما
في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة وقيل
انهما كانا معهم فيه بعد ما فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق • فلا تأس • فلا تحزن • على القوم الفاسقين • روي
انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم • واتل عليهم • عطف على مقدر تعلق به
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل
بالبينات • نبأ ابني آدم • هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك
اوحى الله عز وجل الى آدم عليه السلام ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط
وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان
هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل • بالحق • متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف
اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين
اذ قربا قربانا • منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك
الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى
اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا • فتقبل من احدهما • هو هابيل قيل كان هو صاحب
ضرع وجاء بجمل سمين فنزلت نار فاكلته • ولم يتقبل من الآخر • هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم
تعرض له النار واضمر • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف
سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل • لاقتلنك • اي والله لاقتلنك بنون التأكيد المشددة وقرئ بالمخففة • قال
استئنافا كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه • انما يتقبل الله • اي القربان
من المتقين • لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فيك من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه
لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل
لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد • لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك • حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا
من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية
المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين
وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل على دوام الانتفاء لا على
انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما
اوعدتني وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله • اني اخاف الله رب العالمين • وفيه من ارشاد
قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع

عداوتك عني فما طمعك بحالك وانت الباغي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه
ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال عليه السلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع
الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى • اني اريد ان تبوء باثمي واثمك • تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول
باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع
باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك
وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد
بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وعلا • فتكون من اصحاب النار
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى
وذلك جزاء الظالمين • فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه
عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد
فطوعت له نفسه قتل اخيه • اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها
ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي لغيره وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة
امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما
كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه
فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله • فقتله
قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين
وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل نود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة
حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله • فاصبح من الخاسرين • دينا ودنيا • فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه • روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة
فالقاه فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال
من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه
قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال • يا ويلتى • هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة • اعجزت ان اكون • اي عن ان اكون • مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي • تعجب من عدم
اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري • فاصبح من النادمين
اي على حمله لما كابده من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن
فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول
من عبد النار • من اجل ذلك • شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك
اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهوم مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته
وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته
من جملة الخاسرين دينا ودنيا ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته واحدثته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه

وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى • كتبنا على بني اسرائيل • وتقديمها
عليه للقصر اي من ذلك ابتدئ الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا • انه من قتل نفسا • واحدة من النفوس
بغير نفس • اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص • او فساد في الارض • اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه
غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى من غير وضوء او تيمم بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او
تيمم بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبي عن التخيير والاباحة واعتبار
العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا
ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما
حتما وليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عليه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحققه احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا
وكل حكم شرط تحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب
الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول
بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلاته مشروطا بتحقق احدهما
مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور الذي هو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي
المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فاقتضى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا
انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله
فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب طاهر صحت صلاته فحيث كان الحكم مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء
او ثوب طاهر بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان حل
القتل مشروط باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كأنه
قيل من قتل نفسا بغير احدهما • فكأنما قتل الناس جميعا • ومن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه
وما في كأنما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء
على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم • ومن احياها • اي تسبب لبقاء نفس واحدة
موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه
فكأنما احيا الناس جميعا • وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة في ايجاب الرهبة
والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة
تقرر ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن
كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا • ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات • جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق
لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو
والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته
وتأييدا لتحتم المحافظة عليه • ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك • اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة
بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد • في الارض • متعلق بقوله تعالى • لمسرفون
وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخلت على الخبر لمكان ان
فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان
اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره في مقام التشنيع
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله • كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال
ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق واندرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل

اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له
عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب
المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم
والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون
في الارض عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له
اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من فسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية
في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج
فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين
وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض
ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة
بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل
ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة او لا او يصلبوا اي مع القتل ان جمعوا
بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم
وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها
قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي
للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن
وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد
في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما فصل من الاحكام والاجزية وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خزي
جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها
خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا
اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم
جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق العباد كالقصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط
بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر
المؤمنين بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات
التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه
اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا
اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله
كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضر فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها
دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات
المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون
بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في

في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بما هو من ابواب الوسائل الى النجاة من العذاب
فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض وذلك من
من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها
ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند البعض رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين
سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت ان لهم ما في الارض وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون
ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية الفعل يقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى
جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع
الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما
شيئا واحدا وبه يتضح الافراد في الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر
في لهم او بالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء
بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده لما مر
وانما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذاك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد
الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله واني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون مثله منصوبا
على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو نظرا الى مذهب المبرد ومن رأى رأيه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه
لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان
سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعضهم
في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم
من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء
بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب على مباشرته لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى العرض بعد ربهم
على ما ذكروا وللمسارعة بتحقيق الرد والحسم له وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
حيث لم يقل فأتى به فرآه فلما الى آخره وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له
والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمقدرة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو
كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته ومحله النصب
على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف
مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ
وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج
ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها
اما حال من فاعل يريدون او اعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي
لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي
لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى وما انا بباسط وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه من
عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقدم
اقتضاه الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة
ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره
وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط

اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل
ان العزم عليه وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما
ايمانهما كما ينفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه
عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا
اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب
الذي كسباه من السرقة التي باشراها بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء
والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له
احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله
على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان البغي معلل بالتنزيل
والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف
يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم
والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اي امره بالتفصي عن تبعاتها بالشروع والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة
واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه وتسقطه عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض
مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي
من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته تعالى يعذب من يشاء اي يعذبه ويغفر
لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما
تكون ملك السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار
في موضع الاضمار لما مر آنفا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى
الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه
واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
فانهم مستقرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن [illegible]
نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي
عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك
هاهنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع
فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن
قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الى آخره وبه يتم
بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود وقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين

عيس

واما راجع الى الذين هادوا والمحل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ آخره خبرا على ان قوله
سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لا يؤديه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما ترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية
بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون
في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم
بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس وما فيهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين
وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر لهم واياما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه
المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع
بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الاقاويل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب
بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين
واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل
بمعنى سماعون منك عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد
يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء
قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين
تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال
ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي
يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل
الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة
في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا
وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون
اليه عليه السلام لمن لا يحضر حوله عليه السلام قطعا وادعاء ان القول للسماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر يخل بجزالة النظم الكريم
والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة
مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المحرف فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان
لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف
من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا
منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا
الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون
شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة
قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم آانت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق
آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم
الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني لولا خشيت ان يحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي يا محمد في كتابك
قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة
على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به
المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان

فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره والاستغناء عن ذكره فلن تملك له فلن
تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستقلة مقررة لما قبلها ومبنية لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك
اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل
الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم
منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم
بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا ولهم خبره
وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم
هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد وكلا الجملتين
استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب
خبر آخر للمبتدا المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم
او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الآكلين السحت بضم السين وسكون الحاء اي الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام
مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة
وهو المشهور او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل وايا ما كان فالمراد اطلاق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ
للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به
فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافعالهم حسبما امر عليه السلام
خوطب عليه السلام ببعض ما يتبنى عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي اذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك
فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم
بين الامرين هل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين
وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل
منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء ام هو عام في جميع المحاكمات ثم اختلفوا
فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم ومن قائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بيان لحال الامرين اثر تخييره
عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام
الا لطلب الايسر الاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله
عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى
وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدا فمن
من ضميرها المستكن في الخبر وقيل جملة مستانفة مسوقة لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظير المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك
تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى

وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما
وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك
الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستانف سيق لبيان علو شان
التوراة ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمحا[كمين]
محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور
حال من التوراة فان فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها
وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل
وهم موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة فتكون حالا مقدرة
اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما تعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة
فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ايرادها
في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك
قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود بانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم
السلام مع ملاحظة ما وصفوا به وقوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم
اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم
وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل المعنى للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه
وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا
والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو
راي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط
المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير
والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا
ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها
بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى
بها لاستلزام تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم
انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ
المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة
اي يحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان
تحوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد
وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه
ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين
فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معنيا بشانها فيما بين الانبياء

ومن يقتدي بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين علماً وحفظاً فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة
عليها بأي وجه كان فضلاً عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذي سلطان أو رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما
صريحاً أي إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائناً من كان واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياعهم
واخشون في الإخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن
أي أخذها بدلاً مما كان له عيناً كان أو معنى أخذاً منوطاً بالرغبة فيما أخذ والإعراض عما أعطى ونبذه كما فصل في تفسير قوله تعالى أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلاً منها ثمناً قليلا
من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر
عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الأصلي بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة لتحصيله وأبرز الآيات التي حقها أن يتنافس فيها
المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل إيذاناً بمبالغتهم في التعكيس بجعلهم المقصد الأقصى وسيلة والوسيلة
الأدنى مقصداً ومن لم يحكم بما أنزل الله كائناً من كان دون المخاطبين خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً أي من لم يحكم
بذلك مستهيناً به منكراً له كما تقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بيناً فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار
معناها كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم إما ضمير الفصل أو مبتدأ ما بعده خبره والجملة
خبر لأولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم
بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه
من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً وكتبنا عطف على أنزلنا التوراة عليهم أي على الذين هادوا وقرئ أنزل الله على
بني إسرائيل فيها أي في التوراة أن النفس بالنفس أي تقاد بها إذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين إذا فقئت
بغير حق والأنف يجدع بالأنف المقطوع بغير حق والأذن تصلم بالأذن المقطوعة ظلماً والسن
تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص أي ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ أن الجروح قصاص وقرئ والعين وما عطف عليها بالرفع عطفاً على محل أن النفس
لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس إجراء لكتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة
تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها فمن تصدق أي من المستحقين به أي بالقصاص أي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق
للمبالغة في الترغيب فهو أي التصدق كفارة له أي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق
سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى
فأجره على الله ومن لم يحكم كائناً من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولاً أولياً بما أنزل الله من الأحكام
والشرائع كائناً ما كان فيدخل فيها الأحكام المحكية دخولاً أولياً فأولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده
الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالأحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان أحكام الإنجيل
إثر بيان أحكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه فحذف المفعول لدلالة
الجار والمجرور عليه أي قفيناهم بعيسى ابن مريم أي أرسلناه عقيبهم مصدقاً لما بين يديه من التوراة حال من عيسى عليه السلام
وآتيناه الإنجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التوراة وهو في محل النصب على أنه حال من الإنجيل
أي كائناً فيه ذلك كأنه قيل مشتملاً على هدى ونور وتنوينهما للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
ومصدقاً لما بين يديه من التوراة عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير وهدى وموعظة
للمتقين عطف على مصدقاً منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعدما جعل مشتملاً عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين
لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور
التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من أحكامه وأما الأحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكماً بما
أنزل الله بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبأن أحكامه

ما قررته الشريعة التي من شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل الآية وقيل هو حكاية
للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كما في قولك أمرته
بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل إلخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه آتيناه إياه وقد عطف على هدى وموعظة على أنهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه إياه وليحكم بما أنزل
ومن لم يحكم بما أنزل الله منكراً له مستهيناً به فأولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الإيمان والجملة تذييل مقرر
لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالأمر وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلاً بالشرع
مأموراً بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة
خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب أي الفرد الكامل الحقيق بأن يسمى كتاباً على الإطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب
السماوي وتفوقه على بقية أفراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف
وقع حالاً مؤكدة من الكتاب أي ملتبساً بالحق والصدق وقيل من فاعل أنزلنا وقيل من الكاف في إليك وقوله تعالى مصدقاً لما بين يديه
حال من الكتاب أي حال كونه مصدقاً لما تقدمه إما من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث إنه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة
إلى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث إن كلاً من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وإنما يدل على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها
بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو
الكتاب السماوي وهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعاً مخصوصاً من مطلق الكتاب غير أنهم قالوا اللام للعهد لأن ذلك لا ينتهي
إلى خصوصية الفردية بل إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر من الكتاب السماوي حيث حمل على ما عدا القرآن ومهيمناً عليه
أي رقيباً على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء
مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيته
وخرج عنها من أحكام كونه مهيمناً عليها وقرئ مهيمناً عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جهته تعالى كما في قوله تعالى وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والأمصار
والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كون القرآن العظيم حقاً مصدقاً لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهيمناً عليه
من موجبات الحكم المأمور به أي إذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتابين عند تحاكمهم إليك بما أنزل الله إليك أي بما أنزله
فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز
الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ولا تتبع أهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه
وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالاً من فاعله أي لا تتبع
أهواءهم عادلاً عما جاءك وفيه أن ما وقع حالاً لا بد أن يكون فعلاً عاماً ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول للإيماء بما في حيز الصلة
من مجيء الحق إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً كلام مستأنف جيء به لحمل أهل
الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره
من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين
خاصة بل للماضين أيضاً بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم
متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات
والمعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجاً خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت
لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليهما الصلاة والسلام
شرعتهم الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين

لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر
اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها
احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف
بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية لا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي ولو شاء
ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه • ولكن ليبلوكم • متعلق بمحذوف يستدعيه
النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم • فيما
اتاكم • من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية
على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون
الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم
معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا • فاستبقوا الخيرات • اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين
من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب
في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى • الى الله مرجعكم • استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد
والوعيد وقوله تعالى • جميعا • حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول
واما الاستقرار المقدر في الجار • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما
كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار • وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم • عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله لتعليل ايجابه او تأكيد وجوب الامتثال به
او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعدما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما بعده من قوله تعالى • واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك • اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد
تهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير
بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • فان تولوا • اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله وارادوا غيره • فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم • اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع كمال عظمه واحد من جملتها
وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها • يريد به نفسا اي نفسا كبيرة نفسه • وان كثيرا
من الناس لفاسقون • اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • افحكم
الجاهلية يبغون • انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم
المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب
والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون
حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان
بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل
الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع
محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير
القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحاكما كحكام الجاهلية يبغون • ومن احسن من الله حكما • انكار لان يكون احد حكمه
احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله • لقوم يوقنون • اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون

يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها • يا ايها الذين آمنوا • خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم
وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء • فان تذكر اتصافهم بضد صفة العنوان من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم
احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق
به النهي • بعضهم اولياء بعض • اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال
في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب
عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم
بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى • ومن يتولهم منكم فانه منهم • حكم مستنتج فان
انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بينهم
وبين من يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة حقيقية وقوله تعالى
ان الله لا يهدي القوم الظالمين • تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تنبيها على انهم ظلموا بموالاتهم لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ووضع الشيء في غير موضعه وقوله تعالى • فترى الذين في قلوبهم
مرض • بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته
الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى • يسارعون • حال من الموصول والرؤية
بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل • فيهم • مبالغة في بيان رغبتهم
فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في
اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقرئ فيرى بالياء على ان
الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم
الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • والمراد
بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان
تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى • يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة • وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات
الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار
وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله
بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه
المعنى الاول وقوله عز وجل • فعسى الله ان يأتي بالفتح • رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين
بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه
خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد
بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام
على من خالفه واعزاز الدين • او امر من عنده • يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء • فيصبحوا • اي اولئك المنافقون
المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل
الجملتين كجملة واحدة • على ما اسروا في انفسهم نادمين • وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق
الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها
ويقول الذين آمنوا • كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا

يقول المؤمنون حينئذ وقرئ يقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين
آمنوا والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عنه عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين
آمنوا والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عنه مخاطبين لليهود ومشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون
دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد
ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أي
بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم فاسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى إنكار ما فعلوه واستبعاده
وتخطئتهم في ذلك ويقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين إلى المنافقين أيضا أهؤلاء الذين أقسموا للكفرة إنهم لمعكم فالخطاب
في معكم لليهود على التقديرين إلا أنه على الأول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها
تفسير وحكاية لمعنى أقسموا لكن لا بألفاظهم وإلا لقيل إنا معكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا
بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لأنه مؤول بنكرة أي مجتهدين في أيمانهم أو على المصدر
أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل
ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية في المنشط والمكره إثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام الإنكاري وإما خبر ثان
للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى أو هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الإشارة فالاستفهام حينئذ
للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم والمعنى بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا
حيث لم تكن لهم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى
وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على أنفسهم من التوفيق للإخلاص أهؤلاء
الذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وأنت
بأن ذلك الكلام من المؤمنين إنما يليق بما لو أظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم
على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الأشهاد وبطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين المؤمنين ولا ريب في أنهم
أشد ادعاء وأكثر إقساما منهم قبل ذلك فضلا عن أن يظهروا خلاف ذلك إنما الذي ظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة
الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فإنهم يدعون أن ليست ندامتهم إلا على ما أظهروه من موالاة الكفرة خشية إصابة الدائرة يا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والإدغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى
وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصائر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق
وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب عليه السلام إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض عليه السلام من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ
وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود
المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي إسلامي شر الناس وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال إلى الشام فأسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها مسيلمة
كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يدي أبي بكر
رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل

فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد إلى اسم الشرط محذوف أي فسوف يأتي الله مكانهم بعد إهلاكهم بقوم يحبهم أي
يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على أنها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه أي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه
معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم أهل اليمن لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم
الأنصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روي أنه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال
لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا
يوم القادسية أذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل أي أرقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى إما لتضمين
معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو لرعاية المقابلة بين ما في قوله تعالى
أعزة على الكافرين أي أشداء متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه كما في قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان أخريان
لقوم ترك بينهما العطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف
كما في قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لم يجوزه من أن قوله تعالى يحبهم
ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف
لا يخفى وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها
مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة
في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون
شيئا يلحقهم لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بأنهم نصوا على أن
المضارع المنفي بلا أو ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك
إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله أي لطفه وإحسانه لا أنهم
مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء إيتاءه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل
والألطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها وإظهار
الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة
الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين هنا من هو وليهم بطريق قصر
الولاية كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة
ولا تتخطوهم إلى الغير وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية
لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين آمنوا جارية مجرى الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح
أو رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون
لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه وروي أنها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة
ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
أوثر الإظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان أصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فإن حزب الله هم الغالبون
حيث أضيف إليه تعالى الحزب خاصة وهو أيضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى من أي فإنهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى
تعظيما لهم وإثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فإنهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين
يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وإيذانا بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إيتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار أي المشركين خصوا به

لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول ففيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب
في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله
ومن الذين اشركوا فانهم ايضا من جملة المستهزئين • اولياء • وجانبوهم كل المجانبة • واتقوا الله • في ذلك بترك موالاتهم
او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا • ان كنتم مؤمنين • اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء
لا محالة • واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها • اي الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان • هزوا ولعبا • بيان
لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا • ذلك • اي الاستهزاء المذكور • بانهم • بسبب انهم • قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة • قل • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء
ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة • يا اهل الكتاب • وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم صح
بكفرهم بكتابهم • هل تنقمون منا • من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ونقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي
لغة اي هل تعيبون وتنكرون منا • الا ان آمنا بالله وما انزل الينا • من القرآن المجيد • وما انزل من قبل • اي من قبل انزاله
من التوراة والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية • وان اكثركم فاسقون • اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر
بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله
وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه والانكار الا ان ما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض
علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه الا ان اعم العلل
ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين واحدا ذكر في كونكم
مؤمنين كما بكم انطق بصحته كتابكم لا منتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول
تنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه
وقيل على حذف المضاف اي اعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل
الواو بمعنى مع اي تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون اكثركم
فاسقين متمردين • قل هل انبئكم بشر من ذلك • لما امر صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان نقمهم للدين انما هو على ما هو اسماله جب
ارتضاه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف ونعى عليهم
في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد
وخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبيه المشعر بكونه
امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر حيث كان مناط النقمة المنقوم حقيقة واعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشرية
قيل بشر من ذلك ولم يقل مما تنقمون من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى
نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام او من بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى
عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد
على لسانهم ودينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان خيرا في نفسه محضا • مثوبة عند الله • اي جزاء
ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل • من لعنه الله وغضب عليه • خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الى آخره او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين استيناف

وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه
قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الى آخره او قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم
الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما يتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته
وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات • وجعل منهم القردة والخنازير • وهم اصحاب السبت وبعضهم
خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وضمير منهم الراجع
الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع الضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد
الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم • وعبد
غوت الطاغوت • عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت
بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقدم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شريتهم عليهم
هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على شريتهم بالذات لان عبادة الطاغوت عين مفهوم البطلان ودلالتها
عليها بطريق الاستدلال بسوء الآثار على شرية موجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود ولا الى
وفظاعته لا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل
من عبد الطاغوت لعنه الله وغضب عليه الى آخره لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة
على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على انه اصله عبدة فحذفت التاء
للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقيل
ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلال النظم الكريم عن المزايا
المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية كما مر بل قد سبق انما المقصود تبكيت
المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام
والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول من حيز صلته تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما ينشأ منها من السؤال ليحصل به الالزام
والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحيتها للجواب كيف لا ولابد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال
الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تمة المخبر عنه لا الخبر كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد ايضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت
العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدم
عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت انما هو شر مما نقموه منهم او ان دين من هذا شأنه شر مما نقموه
بحسبهم بما قدر من المضافين كانت الشرية على كلا الوجهين من حيث الموضوع غير مقصودة الاثبات لهم او لا لعلمهم ذلك باشتباههم
على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستقلة هو من جهة تستدعي شهادة عليهم بكمال الشر والضلال او داخلة تحت الامر
تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل • اولئك شر مكانا • فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم القبيحة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرهم
وقيل شر مكانا اي منصرفا • واضل عن سواء السبيل • عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون
دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في
في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشر والضلال • واذا جاؤكم قالوا آمنا • نزلت في ناس
من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم
او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام • وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اي يخرجون من عندك
ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى لذلك قيل • والله اعلم بما كانوا يكتمون • اي من الكفر وفيه وعيد شديد

نقيض

لهم • وترى • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية • كثيرا منهم • من اليهود والمنافقين
وقوله تعالى • يسارعون في الاثم • حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة
المبادرة والمباشرة للشي بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى لواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم
يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام • والعدوان
اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي • واكلهم السحت • اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح
لبئسما كانوا يعملون • اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار • لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار • قال الحسن رحمه الله الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون
قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه • عن قولهم الاثم واكلهم السحت • مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم
لهما • لبئسما كانوا يصنعون • وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة
تامة ولذلك ذم به خواصهم لان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا
بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
آية اخوف عندي منها • وقالت اليهود • قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اخصب الناس مالا
واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء
يد الله مغلولة • وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل احد منهم
وارادوا بذلك لعنهم الله انه تعالى ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات
يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد
سلك لبيد هذا المسلك الشديد حيث قال • وغداة ريح قد شهدت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • قال ابن تمام اراد بذلك ايات
القدرة ان للشمال على المتصرف في القرة فنماث على طريقة المجاز من غير ان يتخطر بباله ان يثبت لها يدا او للقرة زماما واصله كناية فيمن تجوز عليه ارادة
المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء • غلت ايديهم • دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار
باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره • ولعنوا • عطف على الدعاء
الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى • بما قالوا • اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر • بل يداه مبسوطتان • عطف على مقدر
يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا ايديهم
وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا • ينفق كيف يشاء • جملة مستانفة
واردة لتاكيد كمال جوده والتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى
ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي
ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتي من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق
اي ينفق كائنا على اي حال اراد اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم • وليزيدن كثيرا منهم • وهم علماؤهم ورؤساؤهم
ما انزل اليك • من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك • من ربك
متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يعدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول
اليه عليه السلام • طغيانا وكفرا • مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديم اما من حيث الشدة والغلو
واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فازداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا
والقينا بينهم • اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة • العداوة والبغضاء • فلا يكاد يتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين وقيل العداوة اخص من البغضاء
لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي • الى يوم القيامة • متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء • كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله • تصريح بما اشير اليه

من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك
متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا احكام التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف
وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب • ويسعون في الارض فسادا • اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير
ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد • والله لا يحب المفسدين • ولذلك
اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد
ولو ان اهل الكتاب • اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايثار ذكرهم بذلك العنوان لتاكيد التشنيع
فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول
قوله تعالى • آمنوا • محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان
اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة الخ اي لو انهم مع ما عدد من سيئاتهم آمنوا الايمان فيندرج فيه الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام ذكر
مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم كما يعرب عنه اطراف النظم الكريم • واتقوا
ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم • لكفرنا عنهم سيئاتهم • التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم
بها • ولادخلناهم • مع ذلك • جنات النعيم • وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان
الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود • ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل • بمراعاة ما فيهما من الاحكام
التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ
بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل اقامة لهما في شيء • وما انزل اليهم من ربهم • من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان
للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي
الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبيائهم اي سائر كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال
فانها مملوءة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم • لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطون
ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف
لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هذين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان
والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق
انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى • منهم امة مقتصدة • جملة مستانفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين
بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان
فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة الخ واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكثير منهم • مبتدأ تخصص بالصفة خبره • ساء ما يعملون • اي مقول في حقهم هذا القول
اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون
ككعب الاشرف واشباهه والروم • يا ايها الرسول • نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان
بالامر من تبليغ ما اوحي اليه • بلغ ما انزل اليك • اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى • من ربك
اي مالك امورك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك
مكروه ابدا • وان لم تفعل • اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى • فما بلغت رسالته • فان ما لا يتعلق به
الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته والتعبير عما تعلق به من عنوان الرسالة بالمرة

لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد لا يتصور ان يوصف ذلك الواحد بكونه مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن ولان
كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى
فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى • والله يعصمك من الناس • فانك كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم
بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه كان عليه السلام يحرس
حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الكافرين
تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب
لما ان الكل حوادث تسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم
كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل • قل يا اهل الكتاب • مخاطبا للفريقين • لستم على شيء • اي دين يعتد به ويليق بان يسمى
شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه • حتى تقيموا التوراة والانجيل • اي تراعوهما
وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما
مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت
العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وجزء جاعل كونها من احكامهما ما قرره النبي الذي بشرا ببعثه وذكرا علامات
نبوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى • وما انزل اليكم من ربكم • اي القران
المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصود بالذات رعاية لحق الشهادة
واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما قيل الكتب
الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها
فنزلت قوله تعالى • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد
وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الازدياد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته مجازا اليهم لما انشا عن انزالهم عن تلك النسبة • فلا تاس على القوم الكافرين • اي لا تتاسف ولا تحزن
عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلة ذلك اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر • ان الذين امنوا • كلام مستانف مسوق للترغيب من عدى المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين
امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا • والذين هادوا • اي دخلوا في اليهودية • والصابئون والنصارى
جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله • فاني وقيار بها لغريب • وقوله • والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق • خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها
حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله • نحن
بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف • وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء لقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو
مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراطه ذلك بالفراغ من الخبر والا لارتفع الخبران
في حيز ان والابتداء معا واعتذر بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه لا على الخمر اذا
لعدم التاكيد الفصل والاستلزام كون الصابئين مؤدا وقرئ والصابيان بياء صريحة تخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو

لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا • اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن
منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الاية ومعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما زعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه
الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد
بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين
او بطريق الاحداث والانشاء كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان
ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما جعل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة • لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل • كلام مبتدأ مسوق لبيان
بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي بالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة
وارسلنا اليهم رسلا • ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم
ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى • كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم • جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ
الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد
من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى • فريقا كذبوا وفريقا يقتلون • جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من اثار
المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا
اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على ان
ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤوس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر وايا ما كان فالجملة الشرطية
صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة تصير ما فيها من الحكم وتجعل عنوانا للموصوف
وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله صفة له ومن ههنا قالوا ان الصفات
قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان مساق النظم الكريم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب
حسبما جعلها اساسا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة • وحسبوا
ان لا تكون فتنة • اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وتوانس الداعية الدنيا والحظ الشنيع بلاء وعذاب وقرئ لا تكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعلق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم
لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه • فعموا • عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى
فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة • وصموا • عن استماع
الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افسادهم حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم
وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر
موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاءوهم بعده عليه السلام باعصار • ثم تاب الله عليهم • حين تابوا ورجعوا عما كانوا
عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس
الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا
وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم

وانبيائه عليهم السلام فسلطوا عليهم من كان فيهم من اتباع بخت نصر فعاث فيهم الامنا رجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك
قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم
كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبة الله تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها
بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام
لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم هنا في المرتين وترتبه
على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال زكمه اذا ضربه بالزكام وركبه اذا ضربه بركبته قوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ
محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية
للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اثر اجمال اكتفي بها تعويلا على ما فصل
نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة الموجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها
فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب
على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ
التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكي عنهم من حسن الحال
ثم عادوا الى المرة الاخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خردوس وقيل خردوس فقتل منهم ما قيل
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم
الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ان
الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم
للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد
حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر
وماواه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار
اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار
لفظها واللام في للظالمين للعهد ووضعه موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل
مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل
على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا
معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول
وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدة
على ذلك وبنفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تكلف اللغوي بصورة الضعيف وتهوين لخطب مقالهم بل ايهام لذلك بحسب الظاهر لا يليق بشأن التنزيل
يوهم احتياجهم الى النصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من كلامه عليه السلام فان حمله
اما هو على قولهم الفاسد بما ذكر من عدم النصرة والمساعدة بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة وان حمل
منه الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة
ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه
اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد

من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة وهو
من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات
الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد
الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى
ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير
الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث
تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه التقليد من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم
اي نوع شديد من الالم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله تعالى ويستغفرونه لانكار الواقع
واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة
والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول بعد ما تقرر الانكار والتعجيب عدم الانتهاء
وعدم التوبة معا او يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك تقريرا لما علم انكار عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبهما من
تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم
الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق
لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اصل صفاتهما اللتين بهما صارا من زمرة
اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار
على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية
من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى وجعلها حية تسعى وهو
اعجب منه وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى عليهما السلام
مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف بهما فما رتبتهما
الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين
لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات
تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول نبين
والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر
انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها او التأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب ولاظهار ما بين
العجبين من التفاوت اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه
بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله
اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول
عبارة عن عيسى عليه السلام وايثار كلمة ما لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي
لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى
والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى
ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل

قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة
في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامام المبين لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى
عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة
الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى
غير الحق نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق
او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا
اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح
محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني
اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اي
لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم
آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين
والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور
على القصر للسببية تمام ظهوره واشارة عن نظائره وانتظامه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته
في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل
بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما ينبئ عنه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عنه قوله تعالى
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استئناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمرار الاعتداء بتعاطي المنكرات
وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة
من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء تفاعل من نهى عن الامر وانتهى اذا امتنع
منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول يفيده كاستمرار انتفاء النهي عن المنكر لكن لما
فيما بينهم من تولاه في وقت من الاوقات من ضرورة استمرار فعل المنكر حسبما ينبئ على كل تقدير فيما يفيده تنكير المنكر من الوحدة النوعية لا الشخصية
فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به فان متعلق الفعل انما هو فرد من افراده ومتعلق النهي والانتهاء مطلق المنكر باعتبار تحققه
في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المعنى المعتبر للصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة
الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر
من الوجهين او الى تقدير المثل او جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم
وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير لبئس شيئا فعلوه ذلك لا لانه على خروجهم عن السببية مع الاشارة الى
ما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعليته في خبر الصلة له لما ان ما ذكر في حيز الصلة مشتمل على كفرهم ايضا
ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية
بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
وقيل منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم
انفسهم لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
تنبيها على ان كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره
والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف هي عبارة المقدر كانه قيل ما هو او اي شيء هو
فقيل ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم صفته في محل

الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء المحذوف وهو مذهب سيبويه وفي العذاب
اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون
بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله وبنبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي
المشركين او اليهود اولياء فان الايمان يادر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين
والايمان بالله وبنبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها مولاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي
اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس اوجد
متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ
ولا ضير في التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وهنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة
للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة
الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير والمعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال
الطوائف طرا واحطت بالكل خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة
لتجدن الاشد منهم الطائفتين لا غير فاللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية
عليها كما في قوله رهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم
وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما انهم متقدمون عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص
الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته
روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله
واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا متفاوتا
فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اقرب ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال ولتجدن ابعد الناس مودة الى آخره للايذان
بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقصى مراتب النقيض الآخر ذلك
اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس
صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي
عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيع النصارى الانجيل وما بقي
منهم الا رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان
وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشدوا قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب
التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا
اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم
مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى آخر الآية لكنهم لما لم يكونوا
في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق
اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة المؤمنين واضحة وفيه دليل
على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب

عن امتلائها مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية للتبيين
الموصول اي ابتدا الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية لانهم عرفوا بعض الحق وحيث ابكاهم
ذلك فكيف بهم لو عرفوا كله وقروا القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استئناف على سؤال
نشأ من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما حال
من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين
اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امة الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة انما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله
لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجه الانكار والنفي الى السبب
جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله
فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا
من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى
فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة
الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن
على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده
وقرئ فآتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين
اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه
ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن
وقيل نزلت في اثنين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه
كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك
اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اؤمر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما
فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين
تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت
عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن للابتداء او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا
وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به
فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله وهو قول عائشة
لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على انه قربة فلما

فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة
رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان او بوصفها
عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم
فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز
ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة
مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء
على لغة من سكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من طعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف
وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وتخيير المكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة
فصيام اي فكفارته صيام ثلاثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشرع لا تترك السواقط حجة ذلك اي
الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما اشعر قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان
تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة
الى مصدر الفعل الآتي لا الى مبين اخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة للتاكيد لما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه صفة للمصدر
المحذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس
المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه
لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول الصريح مرارا لعلكم تشكرون نعمة فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شأن الخمر والميسر الى اخره من عمل الشيطان
في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي
راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون
التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان
حالهما وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة
بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه
واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال
بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل
وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف

واطيعوا الله

الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعد المقام ذلك لايتوهم منهم ادعاء انهم
تولّيهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم • ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح • اي اثم وحرج • فيما طعموا • اي تناولوه اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه
قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما نزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب
فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها
من المحرمات لقوله تعالى • اذا ما اتقوا • واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد
الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات
والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء
بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول • وآمنوا وعملوا الصالحات • اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة • ثم اتقوا •
عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق • وآمنوا • اي بتحريمه وتقديم الاتقاء
عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان • ثم اتقوا • اي ما حرم عليهم بعد ذلك
مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه
• واحسنوا • اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها
بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله
ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب
اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت
في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء
في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي
بقضية كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص
بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا
بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل
التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى
ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول
اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التأمل • والله
يحب المحسنين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير • يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله • جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم
معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم • بشيء من الصيد • اي من صيد البر مأكولا او غير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى • تناله ايديكم ورماحكم • فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر عمرو
فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية والتأكيد القسمي في ليبلونكم
انما هو ليتحققوا ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير
المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي

اهل الايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت عنده مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد
وجعلها تبعيضية باعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا يأباه الكلام عن التنبيه المذكور • ليعلم
الله من يخافه بالغيب • اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف
ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق
علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخاف وان كان متعلقا بخوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو مناط الثواب والعقاب بحذف المضاف
ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الى آخره والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة • فمن اعتدى بعد ذلك • اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة
لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء
لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة
وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة
الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصي • فله عذاب اليم • لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه
ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما
يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه • يا ايها الذين آمنوا • شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب
بالتصريح بالنهي في قوله تعالى • لا تقتلوا الصيد وانتم حرم • لتأكيد الحرمة مع كونه معلوما لا استثناء من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم ولترتيب
الجزاء ورتب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا
كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون • ومن قتله • اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون
الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة • منكم • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم • متعمدا • حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه
عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر
ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا
باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه
وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة • فجزاء مثل ما قتل • برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني
على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبر وقرئ بنصبهما اي فليخرج جزاء او فعليه ان يخرج
جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته
ثمن هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين يتصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لا يتجزأ الصوم فان لم تبلغ قيمته ثمن هدي يتخير بين الطعام والصوم ويكون قوله تعالى
من النعم • بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى يرى
انما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم
انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة
اذا اصابه المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة
بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يكن ارادة الاول اجماعا تعين ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى
ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة
الاوصاف بل ضمنه بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر
معرفتها فلأن لا تعتبر المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها اولى ولان القيمة قد اريدت
فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواضع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الا
بعد تحرّي المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعمد الجاني الى المقتول فيصرف قيمته الى المصارف استبدالا باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى

الخصال الثلث منعتها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في حال
بناء على وصفه الاول الذي هو المماثلة وما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم
فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك بمعزل من العقلة عما اراد وابانه المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد
وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه الا من اساطين ائمة الاجتهاد
وصناديد اهل الهداية والارشاد الائمة المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في الحمامة شاة بناء على ما اثبت
بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه
الدقائق المعوصة الى عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما عين بمقابلة كل نوع من انواع
الصيد نوع من انواع النعم تم الحكم ولا يحتاج عند وقوع خصوصيات الحوادث الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون
الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء
لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ
الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه
وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى
او عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون
المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر بها الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها
بدلا من الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام الا التجاء الى
ما لا يخفى من التعسف هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم
وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل
بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول
وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره
متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الى آخره وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره
اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرأ للثقل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عما سلف في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم
فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
اي فهو لا يخاف وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد
ابن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب
ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان
او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اي ما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض
لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم
صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص
بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم
يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم
فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ

وان كان يعيش فيه احيانا في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة
ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل
ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي
التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة
لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
دون التوضيح كما في الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول
كما سيجيء بل هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم
في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع
اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول
الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر
لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله
النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع
الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم
خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتأكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان
الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانهماك
بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ
بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به
الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله الى الحرم وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال
ان عملت فيه بطاعة الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب
وقيل الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى
هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها
المقدرة وقيل للحال والمعنى اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موضع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال
كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى
حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة
والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير
بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع عند
الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت
الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيء كهين مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت

همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشياء فاجتمعت الفان
اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشيآء ووزنها افلاء ومنع الصرف لالف التأنيث وقيل انما حذفت من اشيياء الياء المنقلبة
من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى • ان تبد لكم تسؤكم • صفة للاشياء داخلة معها
عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقب بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال
لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل • وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم • اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه
تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك
مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا
مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور
مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله
تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد
مسألته ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه
في المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام
رجل من بني قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك
حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين ابي قال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثوا عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم
• عفا الله عنها • استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض
عليكم الحج في كل عام جزاء مسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها
بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو
وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء
قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء
التي تسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج
لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة لمساءة السائل بمحض الابداء كمسألة ابي المسؤول عنه ايضا لان ايجابها للمساءة ان كان من حيث
وجودها فنسبة كل منهما موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل انما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها
بحيث ايجابها المساءة فلم يعبر عنها بحيثية ايجابها المساءة الا لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة
للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها المسرة ولا حيثية تردده بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة
للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم يتخلف الابداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر
في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد والتخلف فيه ان قيل ما ذكر انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور
المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتمشى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي
وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو
الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال ابن ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين
حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب
ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فيبدي عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة النهي من
التكاليف الشاقة واما بان يكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فيبدي حينئذ بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ
توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتيازها ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك
عند المكلفين ولما حظهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذرا من ابداء المكروه
• والله غفور حليم • اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم
بعقوبة ما فرط منكم • قد سألها قوم • اي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح
بالمثل للمبالغة في التحذير • من قبلكم • متعلق بسألها • ثم اصبحوا بها • اي بسببها او بمرجوعها • كافرين • فان بني اسرائيل كانوا
يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام • رد وابطال لما
ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء
ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان
الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت
ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع
من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل التكويني
كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية الكريمة • ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب • حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل
الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبارهم • واكثرهم • وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله عليه السلام كما يشهد به سياق
النظم الكريم • لا يعقلون • انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم
عن الاستبداد بانفسهم قوله عز وجل • واذا قيل لهم • اي الذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد • تعالوا الى ما انزل الله
من الكتاب المبين للحلال والحرام • والى الرسول • الذي انزل عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال • قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا • بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال • اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها
وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا
لا يعلمون الى آخره وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا
مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان تحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان
وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة
والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو
من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار
والتعجيب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال
فكذا ما عطف عليها واجيب بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى
اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر • يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم • اي الزموا امر انفسكم واصلاحها
وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل • لا يضركم من ضل اذا اهتديتم • اما مجزوم على انه جواب للامر
او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة

لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره وانما رفع على انه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ
لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا انتم مهتدين ولا يتوهم ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا
ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون
هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله
بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الآية فيقول احدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم
منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون
على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت
آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه
مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهدى
والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة
بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم
بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى اذا حضر
احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل
في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية
من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين
او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ
شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم
اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع
له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي
كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهو رأي جمهور البصريين
وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم في الارض اي
سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت
عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى
امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران كذا قيل والانسب ان يقدر
عين ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة وقوله تعالى تحبسونهما
استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما للتحليف
من بعد الصلوة وقيل صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام
واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بان تخصيص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا على تقدير اعتبار الصفة فيهما
بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآل فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان لم يكن الامر التهمة باعتبار قيد الارتياب بهما كما يقتضيه الاعتراض والمراد
بالصلوة صلوة العصر لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل
الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية
الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم

شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيق من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس
والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا
جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك فيما يكون عند
جواب سابقهما جوابا للاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك لا ريب في استحالة ذلك هاهنا لان القسم وجوابه كلاهما من تمام
الشرط من جهته عز وجل والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء
وجهته هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل
كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا
اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير
مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين
كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد بالقسم القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يقتضي حينئذ ان المعتبر في الاشتراء كون الزائل
مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه ان امكن
ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له حتى يصح النهي عنه واما توهم
ان المحذور استعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا فتصور جعل المأخوذ باستعماله مأخوذا بترك
استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له قطعا وقوله تعالى
ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ
لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخبيث وقوله تعالى ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة
التي امرنا الله باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما
انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما اوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع
في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر
بين المبتدأ وبين صفته التي هي الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها
ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين
استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي
الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي اليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام
بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء
للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل
الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة وقرئ
الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من
من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه
لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم
اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا

لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكر يم
ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما
اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة
وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض
بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه آناء من فضة وزنه
ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا
بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الآية فاستحلفهما
بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء
وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من
بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما
وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ
ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا
بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب
الاخروي هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين
على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة
او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل الذي
[illegible] بالشهادة على وجهها والى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها
[illegible] المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق
والامتناع عن [illegible] فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع
عن الشهادة [illegible] الاتيان بالصادقة قطعا ليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى توسط بينهما كلمة او وانما
[illegible] الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان
[illegible] الحكم بحث فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون كائنا
ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم
[illegible] يوم يجمع الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس الا
[illegible] تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الا
[illegible] في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي شيء
[illegible] الاشتمال اي اتقوا عقاب الله [illegible] بطريق الظرفية وقيل [illegible]
[illegible] اذكروا يوم فان تذكر ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله [illegible]
[illegible] لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب [illegible]
[illegible] بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه [illegible]
[illegible] الله الرسل فيقول الى آخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال [illegible]
[illegible] الهول وتخصيص الرسل بالذكر لا لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا [illegible]
[illegible] ما يهم [illegible] لانه شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح [illegible]

بدل

اتباعالهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال
واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال
بجواب الامم اعرابا واضحا والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله تعالى ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل
فهو نصب على المصدر اي اي اجابة اجبتم من جهة الامم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه
اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول
عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة
على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى
واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت
علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى
بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد
ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم واما ما قيل من ان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة
وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه
التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام
قد تم عند قوله انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى
بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال لكون ذلك كالانموذج لتفصيل احوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين
شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين
من اهل الكتاب الذين نعت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم
عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار
من المبالغة في التهويل والكلام على قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما
او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام
شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد
تلك النعم حسبما بينه الله تعالى اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما نطق به النظم الكريم توبيخا ومزجرة
للكفرة وليكون حكاية ذلك المختلفين في شأنه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقول الفريقين جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي
عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى اي قويتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى والنفوس
حياة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان
روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف مبين لتأييده
عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تلك الحالتين كان على نسق واحد
بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه عليه السلام رفع قبل
التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك
الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بناصبه اي واذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتوراة
والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير اي بصورة منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق
صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرته الاسباب كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى

فتنفخ فيها اى فى الهيئة المصورة فتكون اى تلك الهيئة طيرا باذنى فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى
للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا امرا من جنس المعجزة وتكرير قوله باذنى فى الطير مع كونه شيئا
واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم مع انه لا يترتب عليه شئ الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى
عطف على تخلق وتخرج الموتى باذنى عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت
عظاما نخرة آية باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذنى فى المواضع
الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له وتخصيصها به
وما ذكره فى سورة آل عمران قرينا لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بنى اسرائيل عنك عطف
على اذ تخرج اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار
بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجئ بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اى كففتهم
عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما فى حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى
ما جاء به واسنادهم الى ما رواه من بعض المتميز من جنسه او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر
فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظرفا للنعمة التى امر بذكرها
وهى وان كانت فى الحقيقة عين ما يفيده الجمل التى اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة فى تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية
فى تحقق مدلول كلمة اذ فانها ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع للمخاطب
دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا بايضاحها الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى وجعل ظرفا معمولا للثانية ثم قد تكون النسبتان متغايرتين
بالذات كما فى قولك اذكر احسانى اليك اذ احسنت الى حيث علم المخاطب وقوع احسانه اليك وقوع احسانك اليه ثم تكون النسبتان
متغايرتين بالذات وقد تكون بالاعتبار كما فى قولك اذكر احسانى اليك اذ منعتك من المعصية حيث تنبهه على كون منعه منها احسانا اليه
لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع فى التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى الايحاء
اليهم امرهم فى الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما فى قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان فى قوله تعالى ان
آمنوا بى وبرسولى مفسرة لما فى الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان
به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتى فى الالوهية والربوبية وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا
استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اى بما ذكر من وحدانيته
تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اى مخلصون فى ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى
وحيه اليهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روى انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر
بذلك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى
بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع
الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب
وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين
من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل ظرف لقالوا اريد التنبيه على ان
ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
اختلف فيهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين فى قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفى صدق عيسى عليه السلام كاذبين فى دعوى
الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه

بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهى قراءة
على وعائشة وابن عباس ومعاذ رضى الله عنهم وسعيد بن جبير فى آخرين والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده
كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هى فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبنى على سؤال
نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اى من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
اى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتى او ان صدقتم فى ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات
وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
اى لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا فى قدرته سبحانه على تنزيلها او فى صحة نبوتك حتى يقدح ذلك فى الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها
اى اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم
الاستدلالى مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اى علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هى المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اى ونعلم انه قد صدقتنا فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا
وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل ليزداد المؤمنون
منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام
للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعل موصولا كانه قيل على اى شئ تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا
فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روى انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح
وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة
بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة فى الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اى كائنة
من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا فى محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا
حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها فى الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير فى لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير
تكون عند من يرى ذلك اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما فى قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا يرثنى خلا ان قراءة الجزم
هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت
يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا
بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتى وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اى خير من يرزق
لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفى افتتاحه عليه السلام الدعاء بالنداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم
يقل السائلون من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما فى قول ابراهيم
عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله
استئناف كما سلف انى منزلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء عليه السلام بصيغة
الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما فى قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب اثر قوله تعالى لئن انجانا من هذه الآية
مع ما فيه من مراعاة ما وقع فى عبارة السائلين وفى تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة
من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اى انى منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد

فمن يكفر بعد أي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فإني أعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية
الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز أن يكون
مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا أعذبه في محل النصب على أنه صفة لعذابا والضمير له أي أعذبه تعذيبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب
أحدا من العالمين أي من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها
فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها نزلت روي أنه عليه السلام لما دعا بما دعا أجيب بما أجيب
إذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على
واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا
أو من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح
الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء
طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام
أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه
السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا
ثلاثة أيام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم ... عمله لأطعمنا وسألوا الله تعالى
المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال كعب
نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء
سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث
ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم إنما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة أيام
ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على إذ قال الحواريون منصوب
بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام أو بمضمر مستقل معطوف على ذلك أي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا
للكفرة لهم بإقراره عليه السلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين الاتخاذ إما متعد إلى مفعولين فإلهين ثانيهما وإما إلى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار أصل
الكلام أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من إيلاء الهمزة المسند إليه على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت
فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنه بأمره عليه السلام أم من تلقاء أنفسهم كما في قوله تعالى
أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على أنه حال من فاعله
أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة لإلهين أي كائنين من دونه تعالى وأيا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون إذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم أن ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بأن النصارى
يعتقدون أن المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام ومريم رضي الله عنهما لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما في حق بعض الأشياء
إلهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى إلها في حق ذلك البعض فقد أبعد عن الحق بمراحل وأما من تعلل بأن عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده
تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجدي واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فإن توبيخهم إنما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به
لا بما يلزمه بضرب من التأويل وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه السلام قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر

الكلام

كأنه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وإيثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح
وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد
في الأرض ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن
ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن أقول ذلك ومن أن يقال في حقك ذلك وأما تنزيهه
من أن يكون لك شريك في الألوهية فلا يساعده النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق
استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أي ما يستقيم وما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله
وإيثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وإفادة التأكيد بما في خبرها من الباء فإن اسمه ضمير العائد إلى ما وخبره بحق
والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى إن كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور
عنه بالطريق البرهاني فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة أن عدم
اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لأنك تعلم ما أخفيه في نفسي فكيف بما أعلنه
وقوله تعالى ولا أعلم ما في نفسك بيان للواقع وإظهار لقصوره أي ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل
المراد بالنفس هو الذات أو نسبة المعلومات إليها لما أنها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها أو لم تكن نسبتها إلى التحقيق وقوله تعالى
إنك أنت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه
قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه
انتفاء صدور القول المذكور دخولا أوليا أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام
وقوله تعالى أن اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل
منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا أراعي أحوالهم وأحملهم على العمل
بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بتقدير مضاف إليه زمان ودمت
صلتها أي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع إلى السماء كما في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي فإن التوفي
أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت أنت الرقيب عليهم لا غيرك فإنك كنت
ضمير الفصل أو تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر كان وعليهم متعلق به أي كنت الحافظ لأعمالهم والمراقب فمنعت
من أردت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا
ما قالوا وأنت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم
وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة إن تعذبهم فإنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك
أنت العزيز أي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة
فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أي من كفر منهم وإن تغفر لهم أي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف
ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام وأشير إلى نتيجته ومآله أي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا إلى صدقه
في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر نظائره مرارا وقوله تعالى هذا إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ
خبره ما بعده أي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه إجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والإضافة والمراد بالصادقين
كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الأمور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل
الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك ويدخل فيهم دخولا أوليا عيسى عليه السلام ومن الأمم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا
وبهذا يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في أي شيء كان ضرورة أن الكافر المعترف
في الدنيا بكفره لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم أي صدقهم فيما ذكر من أمور الدين في الدنيا إذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار
استمراره في الدارين أن لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء أصلا وهذه القراءة هي التي أطبق عليها الجمهور وهي

ليس بسبب النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الى آخره
واما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الى آخره او الى السؤال
والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي الآية • لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا • استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع
فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى • رضي الله عنهم • استئناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات
ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى • ورضوا عنه • اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اليه اعناق
ذلك • اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل • هو الفوز العظيم • لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب
الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراءه اصلا وقوله تعالى • لله ملك السموات والارض وما فيهن • تحقيق للحق وتنبيه
على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي لله تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف
فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من
المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل اشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية اهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم • وهو على كل شيء من الاشياء
قدير • مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله • تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا بالاسم الجليل الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات
الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار
جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال
من قوله عز وجل • الذي خلق السموات والارض • للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والآلاء
الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية
في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي
انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق • منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع • على ما تحار فيه العقول
والافكار • من تعاجيب العبر والآثار • تبصرة وذكرى لاولي الابصار • وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها
وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها على وجود الارض كما هي • وجعل الظلمات والنور • عطف على خلق
مترتب عليه لكون جعلهما مسببا عن خلق منشأيهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما
لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما عز وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه
بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له
كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر
بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون
عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا
فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدم عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد
في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما
يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فقيل ان الظرف مفعول ثان له
وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني
هو خليفة والاول محذوف عليه ما تفصله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور

لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى • ثم الذين كفروا بربهم يعدلون •
معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة
مسوق لانكار ما عليه الكفرة وبطلانه ببديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل
من شؤونه العظيمة الخاصة الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة
التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح
ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد تبيانها بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان
يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون
ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل
وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية
المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم
اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام مقصودا بالافادة واخراج
اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد به في الكلام الشريف فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى
خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي
عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر به
بان ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل ضرورة ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه
وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كما قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس
يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية لتشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم
لا لبيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف
عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتامل
وكن على الحق المبين • هو الذي خلقكم من طين • استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان
بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات
والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة
بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة
الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي
خلق اباكم الى آخره مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة
الالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين
خلقا لكل احد من ذريته منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه
كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها
فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل على هذا السر قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الى آخره وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سياتي
وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وايا ما كان ففيه من وضوح الدلالة
على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة • ثم قضى •
اي كتب لموت كل واحد منكم • اجلا • خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم
وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة • واجل مسمى • اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن خير

في موضع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك
اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التاخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي
اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور امارة
او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدا لمدة القيامة كما ان مدار
التسمية في الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل
الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق
لما روي عن ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا
للرحم زيد له من اجل البعث الى اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير
الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول هو الاظهر لان تحتم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والاتيان به المبني على مقارنته للطامة الكبرى
فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الكلي مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل
ونقصه فيما روي تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة
الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة
وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها
على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاجل الاول اجل الماضين
والثاني اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم
الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة ففي اي شيء يمترون ووصفهم
بالامر الذي هو الشك توجيه للاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما انا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة
من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها سيقت لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء
اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي
الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهر
به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به
الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد
بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف ونحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد
المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قولك اسد علي ما اشتهر من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى
جريء علي وبهذا اتضح ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية
او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفا
لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة في في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده الكلام من التوحد
والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشركه
شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد او القول في نحوي الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى
المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه تعالى فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء
على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى
بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فقوله عز وجل يعلم سركم
وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيان وتقرير للمعنى
وتحقيق للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال

المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة
لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه
لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم
فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبود بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما لا يتصوران فيمن ليس له كمال العلم بل لان ما
من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبود بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدقا وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه
الثالث ايضا لما ان المتوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيان
وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المقدم
ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة
والتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون
اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وعلانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق
على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تاتيهم من آية من آيات ربهم
كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات
التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب
صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع
لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما نزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك
الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته تعالى على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم
الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية
الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل
شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثار صيغة الماضي للدلالة على انهم اعرضوا
عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة
بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما
او بما كان فيهما ولدلالته على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان
تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان
الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لحقوق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له
مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم
الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا
لبيان ان تكذيبهم به ادى بهم الى عواقب جليلة ستبدو لهم والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بالحق لما
كذبوه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم
تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا
للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان
النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته ياباه الآية الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة
وتقريره اي فسياتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه واما قيل يستهزؤن

ابداً بأن تكذيبهم كان مقروناً بالاستهزاء كما أشير إليه هذا على أن يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الظاهر وأما إن أريد بها الآيات
التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والإعراض على حقيقته كأنه قيل إن كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا عجب فقد فعلوا
بما هو أعظم منها ما هو من الإعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو أعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآية على هذا الوجه على كلها أصلاً وأما ما قيل
من أن المعنى أنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله • ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم
استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالأنباء التي سيأتيهم وتقرير إتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الإنكار لتقرير الرؤية وهي
عرفانية متعدية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت أو خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة بأهلكنا
على المفعولية على أنها عبارة عن الأشخاص ومن قرن مميز لها على أنه عبارة عن أهل عصر من الأعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر
كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف أي من أهل
قرن وأما انتصابها على المصدرية أو على الظرفية على أنها عبارة عن المصدر أو عن الزمان فتعسف ظاهر ومن لابتداء الغاية متعلقة بأهلكنا أي
ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة أي من قبل خلقهم أو من قبل زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه كعاد وثمود وأضرابهم وقوله تعالى • مكناهم في الأرض • استئناف لبيان كيفية الإهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ
من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم إلى آخره وقيل هو صفة لقرن لما أن النكرة مفتقرة إلى التخصيص فإذا وليها ما يصلح
لما هي صفة لها أحسن أن يكون صفة لها عن استبعاد الصفة على أن ذلك مع اقتضائه أن يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه
من الجمل الأربع أمراً معهوداً عند المخاطبين معلوماً بسياق النظم يؤدي إلى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن
موصوفين بكذا وكذا أو بإهلاكنا إياهم بذنوبهم وأنه بين الفساد وتمكين الشيء في الأرض جعله قادراً فيها والملازمة جعلها مقراً له ودلالة
بكل منهما فصل تارة مثله في الأرض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وأخرى تمكين له في الأرض ومنه قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض
حتى أجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى • ما لم نمكن لكم • بعد قوله تعالى مكناهم في الأرض كأنه قيل في الأول مكنا لهم وفي الثاني
ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والالتفات
لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضميرين • وأرسلنا السماء
أي المطر أو السحاب أو المظلة لأنها مبدأ المطر • عليهم • متعلق بأرسلنا • مدراراً • أي مغزاراً حال من السماء • وجعلنا الأنهار
أي صيرناها فقوله تعالى • تجري من تحتهم • مفعول ثان لجعلنا أو أنشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة
على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في أن يقال وأجرينا الأنهار من تحتهم وليس المراد تعداد
النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم لبيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع
أسباب نيل المآرب ومبادي الأمن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم إغناء ذلك عنهم شيئاً والمعنى أعطيناهم من البسطة في الأجسام
والامتداد في الأعمار والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط أهل مكة
ففعلوا ما فعلوا • فأهلكناهم بذنوبهم • أي أهلك كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد
والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله سبحانه • وأنشأنا من بعدهم
أي أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن • قرناً آخرين • بدلاً من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك
الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى • ولو نزلنا عليك • جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين
الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة إثر بيان إعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم بالحق
واستحقاقهم بذلك لنزول العقاب وتنبيه للرسول عليه السلام مع تنبيه أن إتيان الآيات لا يجدي فيما يتعنتون به للإشعار
بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحاً قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل
ابن خويلد حيث قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون
أنه من عند الله تعالى وأنك رسوله • كتاباً • إن جعل اسماً كالإمام فقوله تعالى • في قرطاس • متعلق بمحذوف وقع صفة له
أي كتاباً كائناً في صحيفة وإن جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه • فلمسوه • أي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى

قرن

بأيديهم • مع ظهور أن اللمس لا يكون عادة إلا بالأيدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وأنا لمسنا
السماء أي تفحصنا أي فمسوه بأيديهم بعدما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الأبصار
• لقال الذين كفروا • أي لقالوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى
حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي أيضاً • إن هذا • أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب • إلا سحر مبين • أي بين كونه
سحراً تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج • وقالوا لولا أنزل عليه ملك • شروع في قدحهم
في نبوته عليه السلام صريحاً بعدما أشير إلى قدحهم فيها ضمناً وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما أن تلك المقالة ليست
مما يقدر صدورها عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل أي هلا أنزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل
ونظيره قولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين إنزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام
أجيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود أصلاً لاشتماله على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما أن إنزال الملك على صورته
يقتضي انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً يستدعي عدم إنزاله على صورته لا محالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى • ولو أنزلنا ملكاً لقضي
الأمر أي لو أنزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء
صلوات الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام
وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي أمر إهلاكهم
بالكلية واستحال جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لإخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من إرسال الرسل
وتبيين الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وفيه كما ترى إيذان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه
بظلفه وأن عدم الإجابة إليه للإبقاء عليهم وبناء الفعل الأول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول
لتهويل الأمر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى • ثم لا ينظرون • أي لا يمهلون بعد نزوله
طرفة عين فضلاً عن أن ينذروا به كما هو المقصود بالإنزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار فإن مفاجأة العذاب
أشد من نفس العذاب وأشق وقيل سبب إهلاكهم أنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية
لا شيء أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم وإلى الثاني بقوله تعالى • ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً • على أن الضمير الأول
للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وأما لم يجعل للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال لو جعلناه نذيراً لجعلناه
رجلاً مع أن المراد منه أيضاً للتحقيق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني إنما هو ملكية النذير لا نذيرية
الملك وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتدأ والثاني خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في أن
مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت الشرطية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه
المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب أن يجعل مدار الاستلزام في الأول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك إبانة
لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكاً لمثلنا ذلك الملك
رجلاً لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي إيثار رجلاً على بشراً إيذان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة
وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى • وللبسنا عليهم • عطف على جواب لو مبني على الجواب الأول وقرئ بحذف اللام اكتفاء
بما في المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة
أي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً • ما يلبسون • على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن
المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول
والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس إما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سبباً للبسهم أو هو على صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير
ملكاً كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم
الساعة في كفرهم بآيات الله البينة • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه

الا

وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرسل اي والله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط وانزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد
يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزؤا بهم من اولئك
الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم
وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم
وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما حل بهم خوطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق
بهم مثل ما حاق باولئك وقد انجز ذلك يوم بدر اي نجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما للدلالة على ان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما للايذان
بتباعد ما بين الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين
الواجب والمباح وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب
الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم
هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء
والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله
تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول
ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤوف بعباده لا يعجل عليهم العقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام
الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات
الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا
واعرضوا عن الآيات وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهم مسلك
مطلب
ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا
وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر
رضي الله عنه ان اول شيء ابتدأ الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت
اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات
الذات وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات
الا بطريق المشاكلة كما ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف والجملة استئناف
مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر
معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه وقيل بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع فقوله تعالى الذين خسروا انفسهم
بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم
واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين او هم الذين الى آخره او هو مبتدأ
والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق

من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان
منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم
المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما علمتهم ما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ
وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلط الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله
وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى افغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد فاطر السموات والارض
اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي
عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم
ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه ولانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة
النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير
لغير الله تعالى والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى
يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت
من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول
المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن من المشركين اي في امر
من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على امرت قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة
امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر من اتخاذ غيره وليا دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام عن المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب
يوم عظيم اي عذاب يوم القيامة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة
وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله
سبحانه وقد قرئ باظهاره والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول
على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستقلة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك
اشارة الى الصرف والرحمة لانهما مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا
خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر
اي بلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير
من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه
او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجواب يأباه الفاء ذكره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله
فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله
فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا
عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان
مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله
ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك
انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه

اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد منهم في انه اكبر من كل شيء بل لقلقهم شهيدا
في هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو
الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بيني وبينكم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي
اي من جهته تعالى هذا القران الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام
مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر من الثقلين او لانذركم
ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعده الى يوم القيمة خلا ان ذلك
بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر
للتاكيد انما هو اله واحد اي بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو واني بريء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين
آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى الخ وفيه تحقيق الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب
عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الى اخره والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء
الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتاب بحليته ونعوته المذكورة
فيها كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه
لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة
بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين بان ضيعوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع
على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الى اخره وقيل على انه نعت
للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الى آخره ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب
غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان فالمراد به حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان
لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا بالقران الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات
وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده
بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه اي الشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان
الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية
القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى
ان ... لسماعهم لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وبعد صيغة الماضي للدلالة على التحقق ويحتمل ان يقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الى آخره عليه وقيل منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما
للذين اشركوا اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالى عن
ذلك علوا كبيرا واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما يحكى عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء

فحذف المفعولان معا والمراد من السؤال المبني عن غيبتها مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه
قوله تعالى فزيلنا بينهم الى آخره ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما لعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها
بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف
بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة
من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ لتفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا
مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك بانصرام
عرى اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين
القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انها اسمه والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم
على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها والفتنة اما بمعنى
الجواب والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكن فتنتهم كفرهم مرادا بها عاقبته اي لم تكن
عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ منه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما
جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبري من الاشراك وقرئ ربنا على النداء لاظهار الضراعة والابتهال في
قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهشة وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
في الدنيا انا على خطا في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك محال بل
محال يوم القيمة قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم
في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في العادة واما حمله على كذبهم في الدنيا فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه
وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا
باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى
صدوره عنهم بالكلية وتبرءوا منه بالمرة وقيل عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة
ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدا مسوق
لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل
الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع منا دون ذلك ومن موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبر
والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى آخره روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول
اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل
بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى
في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك والاكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء ويغطيه والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته من الحكم او حال من فاعل يستمع
باضمار قد عند من يعتبره اما بالمحتمل الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس
ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القران المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام اي منعناهم
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وفي الكلام تمثيل كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي
صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي عليه السلام جهلا وكفرا من انهما
باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا او شعرا او اساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار

فحذف

بان يشاكل امرا واذ ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات
القرآنية اى يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اى كفروا بكل واحد منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي
من حالهم حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال
من فاعل جاؤوا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اى بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم
اذا جاؤوك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين
فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز
ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير
جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للكفرة
والمجرور للقرآن اى لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به
وينأون عنه اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتأكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي
ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه السلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه
فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا
الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت وان يهلكون اى ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب واقطعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون
اى يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها فاين عن ان يضروا بذلك شيئا
من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر اذعانا بان ما فعلوا من القدح
في القرآن الكريم الممانعة في شأن حكم وقطع امر الدين للانذار بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق
المضارة بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي
فقصره على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار
شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والمعاينة قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث
لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من سوء حالها وفظاعتها وجواب لو محذوف
ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
من قولهم وقفته على كذا اى افهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اى الى الدنيا
تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اى بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة
باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون
من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من زمرة المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين
بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اسحق
فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية مع الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر
متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني
ولا اعود اى وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق
التكذيب بالآية لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فاكافيك على صنيعك فانه متمن في معنى

المواعيد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه لكان كاذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة
عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من النار الداهية الدهياء وظنوا انهم
مواقعوها فلجؤوا فيها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجب من فظاعة
حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة واشارة على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه ابلغ بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لما في
من البعد وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا
يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور
للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان
سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة
ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية في نفسها
ادهى الدواهي او ازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي لا دخل لها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة ولو ردوا
اى من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب
المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اى لقوم ديدنهم الكذب
في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض
مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد كذبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما نهوا عنه وقالوا ان هي اى ما الحياة الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقناها كانهم لم يروا ما رأوا من الاحوال
التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ
والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث
وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا
استئناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق اعترفوا بحقيته الآن
كما ينطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اى بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل
هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله
تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اى فجأه
وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اى باغتة او من مفعوله اى مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر
فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف في موقع الحال من فاعل جاءتهم اى جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا
جواب اذا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة
سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا
اى على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت

في حسابه وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع
وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي الذي يسبق فمعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ● حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات
وزال بل تقاسون مع ذلك تحمل الاوزار والاثقال الآماء اي ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون
العقوبات والحسرة ذلك لان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب
لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب
بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات ● الا ساء ما يزرون ● تذييل مقرر لما قبله
وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم ● وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ● لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما اما الاولى فبان عمل شغل النفس بغير ما تنتفع به واللهو صرفها
عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار
اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل لكسب تلك الاعمال الا لعب تشغل الناس
وتلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح
وللدار الآخرة ● التي هي محل الحيوة الاخرى ● خير للذين يتقون ● الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة
بالآلام مستمرة على الدوام ● افلا تعقلون ● ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون او لا تتفكرون
فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة ● قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ● استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكان من الله عز وجل وان ما يفعلون
في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم
الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما تخرج اليه ربما في قوله ● فان تمس مهجور الفناء فربما ● اقام به بعد الوفود وفود
جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او عنده مقانب
جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله
عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة
كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله لكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه
كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسد مفعوليه واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف
اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى
فانهم لا يكذبونك ● تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا اي لا تعتد بذلك ولا تحزن عنه وعده هينا والالتفات الاول
على ما يتوهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما يلي فانه مع كونه بمعزل من التسلية لكنه مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم
لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله تعالى الى حيث لا غاية وراءه حيث
لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عليه السلام
واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شأن الله
عز وجل بعوفه استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه لا يعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ● اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي
جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب
للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم
كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب اثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة
بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم

لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه
لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله
كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك انك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان مدار المخبر
عند الخبيث مطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة البلاغية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب قيل كلاهما بمعنى واحد
كالكثر واكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه
واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ● ولقد كذبت رسل من قبلك ● افتتاح تسلية عليه السلام فان عموم البلية ربما
يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذى
وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت او بمحذوف
وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا
على ما كذبوا ● ما مصدرية وقوله تعالى ● واوذوا ● عطف على كذبوا داخل في حكمه فانه سبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام
التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تأكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى ● حتى اتاهم نصرنا ●
غاية للصبر وفيه ايذان بان نصر الله تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء
بشأن النصر وقوله تعالى ● ولا مبدل لكلمات الله ● اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد
السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم
تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز
ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال
وقوله تعالى ● ولقد جاءك من نبأ المرسلين ● جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض
انباء المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية واياما كان فالمراد
بنبئهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وفي محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة
السابقة ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين ● وان كان كبر عليك اعراضهم ● كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد
من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه
ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين ونأيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في محضر من قريش فقال يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان يأتيهم بما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم
فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان
مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل
رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل ● فان استطعت ● الى آخره شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول
والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا

فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء
تعرج به فيها فتاتيهم منهما باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ابتغاءهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا وسلما
والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت
في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على بالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت
الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع
ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا
معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه في مشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم
الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم
تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذ عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل
الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه
واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي عليه السلام
من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب
الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى
لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون
الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان
باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة
بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه
وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور ادخل في تحقيق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا
لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث
ابن عامر بن نوفل واصحابه وقصدهم التعنت وبلغ بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من الآيات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء
انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية
انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق
المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة بالعذاب ونحوه على
ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته
تعالى على تنزيلها مع انها ليست بمحل النزاع للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه
الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه
بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية اي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها
قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استئصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب
وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض
كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم
البالغة وزيادة من لتاكيد الاستغراق وفي الارض متعلق بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر
من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور

يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر
الا امم اي طوائف متخالفة وجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم
في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية
ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه
ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء
مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح
جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط
بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة
الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون
بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها
بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء
من القرناء وقيل حشرها موتها واياه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر
وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك
لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر وظلمات الجهل والعناد والتقليد خبر ثالث للمبتدا على انه عبارة
عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي او متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم
اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه
بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه
باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشإ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم
الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء
وانتفاء الغرابة في تعلقها اي من يشإ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له
دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه
ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف
حرف جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومعنى ارأيت اخبرني لكن لا على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها
اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة
اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين
فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الى آخره فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب
ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم
غيره تعالى عند اتيان ما ذكر لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء
جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر
دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استاثر الله تعالى
بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي
الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركونه به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط

الكشف منهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى
ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام
بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم
كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر
والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع
والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن
قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست
قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان
انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح
على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام
دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا
ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا
فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم
فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال
فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يستحق بها الحمد
لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم
وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان ان امرهم لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر
استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم
معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده
من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده
لما انه في الاصل مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك
على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى
مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم
بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدودهم اي اعراضهم
عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص
العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجأة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان
وحيث تضمن ما الملجئ تخويف قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا
لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها
اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم

عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم
الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين
الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام
بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك
الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قصد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقق الحصر باخراج غير الظالمين
لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد سمعت بجديه ان اصل ما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وروي
هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل
عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه
العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم
فقيمنا معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار
دينيا كان او دنيويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والازم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف
الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دينيا كان او دنيويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل
او الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين
السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام والسر فيه ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء
الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد
في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت يفيد اختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن
داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما نطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وبلغوه الى الامم آياته تعالى وان من آمن
فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان والتحذير عن تكذيبها ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا لاجل
اخبار اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا لايقاعها استقلالا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى لا يقترحوا عليهم
ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا
او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما أسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب
لاظهار تبرئه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن
مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال
ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي
خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيقه البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي
بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة
حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر
قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب كما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على
تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد

على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال التي يتصف بها العاقل عند التحقيق معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي دخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا • قل هل يستوي الاعمى والبصير • مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها والتنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى • افلا تتفكرون • تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه • وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم • بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد انغلقت مشاعرهم بالكلية وانهمكوا بالاهواء وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي الغمام فابوا الا الاباء والتكبر وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التاثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقائلون به القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى • ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع • في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا او من متعلقه المحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم تقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين الجازمين بنصرة غيره تعالى من المنكرين له عدم الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقصد بها عن حيز الانتفاء لاستلزامه ثبوت ولاية تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هنا اتضح ان لا سبيل الى المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى • لعلهم يتقون • تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى • ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا

هؤلاء وارواح جبابهم فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ثم دعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة • يريدون وجهه • حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد علية للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى • ما عليك من حسابهم من شيء • اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى • وما من حسابك عليهم من شيء • مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك تنزيل للجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى • فتطردهم • جواب النفي وقوله تعالى • فتكون من الظالمين • جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك • وكذلك فتنا بعضهم ببعض • استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم فيه من امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى • ليقولوا • للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة • اهؤلاء من الله عليهم من بيننا • بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عند الله تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى • اليس الله باعلم بالشاكرين • رد لقولهم وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام للتقرير على البالغ غاية اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى • واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا • هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان مناط النهي عن الطرد هو المداومة على العبادة وقوله تعالى • فقل سلام عليكم • امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى • كتب ربكم على نفسه الرحمة • اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد

عليهم شيئا فانهم فوائد فزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق
الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن
لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي ما افسده
تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف
وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر انفا ما فيه من الكلام
اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث
الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد
تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر وهو عبارة عن المذكور كما مر انفا اي ولتستبين
سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم
بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار
والتبشير بما يليق بهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا
اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه
من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا باختلاف القولين من حيث ان الاول
حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم
وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما يطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى
قد ضللت اذا استئناف مؤكد للانتهاء عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام
والاستمرار كما مر مرارا اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل الحجج العقلية وما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى
وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه
من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار
التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها
وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم
اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه او ليس امره بمفوض الي
ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا او تأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره
دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المذكور او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم
الا بما هو حق فيحسن التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم
قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه
وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى
غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه
في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد
بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره

وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فالمعنى لقضي الامر
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل عما فيه المقام وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افادته
الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين
وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله تعالى اعلم
وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يتعلق علمها وبفتحها واما جمع مفتح بكسر الميم
وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى علمها لا يوقف بها على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة
خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم
لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لي لا خبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى
قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف
اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها
فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة
دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف
على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض
الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع
عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه
السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين
الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس
المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا ببعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه
قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار
مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى
ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم
بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما تجترحون فيها
ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام
بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث معللا بقضاء
الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا
واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى
الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة والمحفوظ
محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله
تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه
وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه المطلعين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع

تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم
كائنا من كان وجاءه أسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض إليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى
هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا أو مضارعا بطرح إحدى التائين وهم أي الرسل لا يفرطون أي بالتواني والتأخير
وقرئ بالتخفيف من الإفراط أي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما أمروا
وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه بأحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والإفراد أولا والجمع
آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع أي ثم ردوا بعد البعث بالحشر إلى الله أي إلى حكمه وجزائه في موقف الحساب
مولاهم أي مالكهم الذي يلي أمورهم على الإطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي إلا بالعدل لعدل
وقرئ بالنصب على المدح ألا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لأحد غيره بوجه من الوجوه وهو أسرع الحاسبين يحاسب
جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس
وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر
والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن أي من ينجيكم
منهما حال كونكم داعين له أو من فاعله أي من ينجيكم منهما حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية إما حال من فاعل تدعونه
أو مصدر مؤكد له أي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين أو تدعونه دعاء إعلان وإخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن أنجيتنا
حال من الفاعل أيضا على تقدير القول أي قائلين لئن أنجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين
أي الراسخين في الشكر المداومين عليه لأجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن أنجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله
ينجيكم منها ومن كل كرب أمر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للإيذان بأنه متعين عندهم وبناء قوله تعالى ثم أنتم
تشركون عليه أي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم أنتم بعد ما تشاهدون
هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا استئناف
مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في المهالك إثر بيان أنه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لإشراكهم المذكور
على طريقة قوله عز وجل أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر إلى قوله تعالى أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه
على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة إلى بيان كون المبعوث مما يضرهم وللتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به أيضا
أو بمحذوف وقع صفة لعذابا أي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط وأصحاب الفيل وأضرابهم أو من تحت أرجلكم
أي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم أكابركم ورؤساؤكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع
فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح أو يلبسكم شيعا أي يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام فينشب
بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض
عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد
ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض هذا أهون وهذا أيسر وعنه عليه السلام أنه قال سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته
أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال إلى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا
عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به أي بالعذاب الموعود أو القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك أي المعاندون منهم ولعل
إيرادهم بهذا العنوان للإيذان بكمال سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار
والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من إظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور أي كذبوا به
والحال أنه الواقع لا محالة أو أنه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وأيا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل
لهم مبينا على ما يؤول إليه أمرهم وعلى ما كلفت به من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلى أمركم لأمنعكم من التكذيب

وأخبركم على التصديق إنما أنا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه لكل نبإ أي لكل شيء ينبأ به من الأنباء
التي من جملتها عذابكم أو لكل خبر من الأخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر أي وقت استقرار ووقوع البتة أو وقت استقرار
بوقوع مدلوله وسوف تعلمون أي حاله في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فأعرض عنهم بترك
مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للإعراض أي استمر على الإعراض إلى أن يخوضوا في غير آياتنا
والتذكير باعتبار كونها حديثا فإن وصف الحديث بمغايرتها مشير إلى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها قرآنا وإما ينسينك
الشيطان بأن يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء أو بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد تذكر النهي
مع القوم الظالمين أي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بأنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع
التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم
عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت أي ما على الذين
يتقون قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم من حسابهم أي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء أي شيء ما على أنه في محل الرفع
مبتدأ وما تميمية أو اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ
أو لما الحجازية على رأي من لا يجيز إعمالها في الخبر المقدم مطلقا أو في محل النصب على رأي من يجوز إعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا أو حرف جر
ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق أي ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا
لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى إما النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المحذوف أي عليهم أن يذكروهم تذكيرا أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف
الخبر أي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون أي يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول أي يذكرونهم رجاء أن يثبتوا
على تقواهم أو يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وأمروا بإقامة مراسمه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا
أو بنوا أمر دينهم على التقليد وتعاطي الباطل بطريق الجد وإنما يصدر عنه أو يصدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب
ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحياة الدنيا
واطمأنوا بها حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبدا وذكر به أي بالقرآن من يصلح للتذكير أن تبسل نفس بما كسبت أي لئلا
تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت أي ترهن وتسلم للهلاك بسوء عملها
وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام
ممنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجرور في به راجعا إلى الإبسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له
كما في الإبهام أولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على أنه بدل من ضمير جوده فالمعنى
وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل
في محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس فإنها في معنى نفس كافرة أو نفوس
كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما في تفسير قوله تعالى وأنذر به الآية وقيل هو خبر
ليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان وإن تعدل أي إن تفد تلك النفس كل عدل أي كل فداء على أنه مصدر مؤكد
لا يؤخذ منها على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور لا إلى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به لا المصدر كما نحن فيه
أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى الذين أبسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت إثر تحذيرهم من الإبسال المذكور لبيان أنهم المبتلون بذلك أي
أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا الذين أسلموا إلى العذاب بسبب ما اكتسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم
استئناف آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب
من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم وعذاب أليم بنار تشتعل بأبدانهم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم المستمر
في الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب إلخ حالا من ضمير أبسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون

بسابرجاصیم ایضا حسبانا یطلق قوله تعالی بأسبوا لانه الخروج فی ایجاب العذاب والاهم فی باب التحذیر او ارید بکفرهم عاملوا
ومن مستعار المعانی السابقة هذا وقد جوزان تکون اولئک اشارة الی النفوس المدلول علیها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول
صفة او بدل منه ولهم شراب الی آخره خبره والجملة مسوقة لبیان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ینفعنا ولا یضرنا قیل
نزلت فی ابی بکر رضی الله عنه حین دعاه ابنه عبد الرحمن الی عبادة الاصنام فتوجیه الامر الی رسول الله صلی الله علیه وسلم
بما بینهما من الاتصال والاتحاد تنویها بشأن الصدیق رضی الله عنه ای انعبد متجاوزین عبادة الله الجامع لجمیع صفات الالوهیة التی
القدرة علی النفع والضر ما لا یقدر علی نفعنا اذا عبدناه ولا علی ضرنا اذا ترکناه وادنی مراتب المعبودیة القدرة علی ذلک
ونرد علی اعقابنا عطف علی ندعوا داخل فی حکم الانکار والنفی ای ونرد الی الشرک والتعبیر عنه بالرد علی الاعقاب لزیادة تقبیح
الاشارة الی کون الشرک حالة قد ترکت ونبذت وراء الظهر وایثار نرد علی نرتد لتوجیه الانکار الی
قطعا لاطماعهم الفارغة وایذانا بان الارتداد من غیر راد لیس فی حیز الاحتمال لیحتاج الی نفیه وانکاره
بعد اذ هدانا الله ای الی الاسلام وانقذنا من الشرک متعلق بنرد مسوق لتاکید النکیر لا لتحقیق معنی الرد وتصویره فقط
بعد اذ اهتدینا کما یعلم من الشرک باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذی لا هادی سواه وقوله تعالی کالذی استهوته الشیاطین
فی محل النصب علی انه حال من مرفوع نرد ای نرد علی اعقابنا مشبهین بالذی استهوته مردة الجن واستغوته الی المهامه والمهالک
نعت لمصدر محذوف ای ردا مثل رد الذی استهوته الی آخره والاستهواء استفعال من هوی فی الارض اذا ذهب فیها
فی الارض متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله
حیران حال منه علی انها بدل من الاولی ای تائها ضالا عن الطریق لا یدری
ما یصنع وقوله تعالی له اصحاب جملة فی محل النصب علی انها صفة لحیران او حال من الضمیر فیه او مستانفة
یدعونه الی الهدی صفة لاصحاب ای الی الطریق المستقیم سمی بالمصدر مبالغة کانه نفس الهدی ائتنا
علی ارادة القول علی انه بدل من یدعونه او حال من فاعله ای یقولون ائتنا وقد اعتسف من قال انهم یهتدون الی الطریق المستقیم
یدعونه الی الطریق المستقیم ولا یلتفت الیهم قل ان هدی الله الذی هو
الیه هو الاسلام هو الهدی وحده وما عداه ضلال محض
لاصحابه ولا منوریه ولا یستبعد
ما یجب الامتثال والامر الوارد بعده وامرنا عطف علی ان هدی الله هو الهدی داخل تحت القول الامر فی لنسلم لرب العالمین
لتقیید الامر المحکی ای امرنا بان نسلم
ان اسلموا لاجل ان نسلم علی ان امرنا بان نسلم
وان اقیموا الصلوة واتقوه
ای الله تعالی فی مخالفة امره عطف علی نسلم علی ان المصدر فیه ایضا
الصلوة والتقوی
موجبا للامتثال امرهم وهو الذی الیه تحشرون
وهو الذی خلق السموات والارض ای خلقهما
بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله
ویوم یقول کن فیکون قوله الحق
لیس فی حین من احوالهم
ویوم یقول جملة

فلما جن عليه الليل على الاول هو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره وما بينهما اعتراض
مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه
في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي
ان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض
وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما
فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس
والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف
مبني على سؤال نشأ من الشرطية المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف
ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض
هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال
ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول
فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام
على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتها وعطف قوله تعالى
ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الى آخره تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان
كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب
المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا
اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي
الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام
في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده
بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى
فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه
والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة
الرب عن شبهة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى
ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين
اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من كلم
وترتب هذا الحكم ونظيره على الافول دون البزوغ والظهور من ضرورة سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه
انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب
عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور
منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرا عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات اي لعبادة الذي ابدعها التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها والارض التي تعيشون فيها حنيفا
اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الاقوال والافعال وحاجه قومه اي
شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه
فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام
نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهته
عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم

بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء
المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل
عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات
اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك
انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده
لحكمه سبحانه وتعالى واستسلامه لامره واعترافه بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كالتعليل للاستثناء
اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار
تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما
من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز
في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كالتعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما وكيف اخاف
ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد ما نفاه عنه بحسب الواقع ونفس الامر
والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما
في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى آخره وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أاخاف لما ان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق
البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير
العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عليه
السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم
بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا
على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة
ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل
اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم
وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين
احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق
لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه اتى بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف
فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح
بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون
من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني
الذين امنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه
بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تمامات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل
التقرب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة
اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي
هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز
ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبر الموصول اي اولئك

الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين وروي انه
لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا
التصديق الاشراك وليس من مقتضيه الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول
لوروده موزد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى
أتحاجوني الى قوله مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ
وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه
اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان
او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا
لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات
وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدر او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات
او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول
المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية
فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب
وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الى آخره ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض
عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون
العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق
ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه
على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط
ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما
هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره
هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عدّ هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والابناء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك
لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليهم السلام فلو كان
الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس ان هؤلاء
الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما
اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب عليه السلام داود وسليمان
منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل
من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط
عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او محذوف وقع حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف اصل التقدير نجزي المحسنين
جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان
بالاحسان والمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير تجنيس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص
بابراهيم عليه السلام والاقرب ان اللام في المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون
الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر

محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة
للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها
وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل اي كل واحد من اولئك
المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به
للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
ولا اشتقاق له وقيل انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد
مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليهم السلام وكلا
اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض
كاختها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا
من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم الى آخره واجتبيناهم
عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما
من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف
يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء
المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم
واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد
والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث
بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة
اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات
بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام
كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم
وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها
الباقية في شرعنا دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد
تحقق به تحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد
تحقق في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها
كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واما ما كان فتنكير قوما
للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي بعدمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف
وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بكافرين بها بل
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف

المذكور اذ بايمانهم بالقرآن والعمل الصالح يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام
فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه · اولئك · اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى · الذين هدى الله · اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة
الهداية · فبهداهم اقتده · اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده
واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن
اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف اقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر · قل لا اسألكم عليه · اي على القرآن
او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما · اجرا · من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة
ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم · ان هو · اي القرآن · الا ذكرى للعالمين · اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم
دون آخرين · وما قدروا الله · لما بين شأن القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ما ارتكبه الكفرة بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر
يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى
حق قدره · نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه
اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا · اذ قالوا
منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما · ما انزل الله على بشر من شيء · فنفي معرفتهم لقدره سبحانه عبارة عن حطهم
لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط ولا ينافي
معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من ناجى مستقصرا المعرفة وعبادته سبحانك
ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به
القرآن حين اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل · قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فعزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف
الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا التقييد بقوله تعالى · نورا وهدى · فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام
اي تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى · للناس · اما متعلق بهدى او بمحذوف
هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف
بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعي عليهم ما فعلوا
بها من التحريف والتغيير حيث قيل · تجعلونه قراطيس · اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه
القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب وجعلوه من جنس
القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى · تبدونها · صفة للقراطيس وقوله تعالى · وتخفون كثيرا · معطوف عليه والعائد
الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام
التوراة وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى · وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم · قيل حال من فاعل تجعلونه
باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال
مفيدا لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شنيع عظيم في نفسه
ومع ملاحظة كونه مأخذ العلوم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا

لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كما قالوا الان فمعنى لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له
بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه
الحال حتى يتقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تأكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ
ان تكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى حمل
ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان
مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن
من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى · قل الله · امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا
بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا · ثم ذرهم في خوضهم · في باطلهم الذي يخوضون فيه
فلا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر · يلعبون · حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال
من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول · وهذا كتاب انزلناه · تحقيق لنزول القرآن
الكريم بعد تقرير انزال ما بشر من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب · مبارك · اي كثير الفوائد جم المنافع · مصدق
الذي بين يديه · من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر بنفي الشرك
والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ · ولتنذر ام القرى · عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر اهل مكة
وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة
وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب · ومن حولها · من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب · والذين يؤمنون بالآخرة
وبما فيها من افانين العذاب · يؤمنون به · اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به
وهم على صلاتهم يحافظون · تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان
بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان · ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا · فزعم انه تعالى
بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه والكلام من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من
افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه · او قال اوحي الي · من جهته تعالى
ولم يوح اليه شيء · اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام
اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال · ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله · كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا · ولو ترى اذ الظالمون · حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى
الظالمين اذ هم · في غمرات الموت · اي شدائده من غمره اذا غشيه · والملائكة باسطوا ايديهم · بقبض ارواحهم كالمتقاضي
المتغيظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين · اخرجوا انفسكم
اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب · اليوم · اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعدها الى ما لا نهاية له
تجزون عذاب الهون · اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته فيه · بما كنتم تقولون على الله
غير الحق · كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا · وكنتم عن آياته تستكبرون · فلا تتأملون فيها
ولا تؤمنون بها · ولقد جئتمونا · للحساب · فرادى · منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى · كما خلقناكم اول مرة · بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعدده او حال
من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة · وتركتم

ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم
كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على
اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا
بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته
اثر تقرير دلائل التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما
كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت
اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت
كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من جنس
فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشأن هو الله المستحق للعبادة وحده فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته
الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة
على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب
على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد بجعل مستمر في الازمنة المتجددة
حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه اشبه
بالاضافة الى الاول فتعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل معطوفان
على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا
اي على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع
تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع
المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم
شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة
العامل بدل الاشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والمعنى جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها ذلك
فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة
لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر
واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة
قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعم من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة
لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه
للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظم قدرته ولطف صنعه وحكمته
اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي
كما ان التعبير عن كونهم في الارحام وتحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب
وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات
المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان

صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم
وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السماء او من سمت
السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال العناية
بشأن ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شأنها النمو من اصناف
النجم والشجر وانواعها المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ
بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما
تكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاحضار الصورة
لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج
منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها
بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان
مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة
من طلع النخل قنوان ومن رأى يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لانه
ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول وملتفة بها
والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه
قيل وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر
لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال
ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها
وغير متشابه في الهيئة المقدرة والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه
متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها
انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره
وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود
القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط
بديع تحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره
ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وتسميتهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى
شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للمذكور
وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى

وجعلوا لله شركاء قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن وهذه قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن
بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم
حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على احتمال الرأيين موكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القبح والبطلان باعتبار
علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له
وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلافهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا له
اي زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله
بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه
من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر موكد له اي خرقوا
ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي
هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس
سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبّح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به
حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع
له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل
من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اي تنزه بذاته
تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله تعالى وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة وكما في السبحان والتعالي من معنى التباعد
قيل عما يصفون اي تباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع
وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه
من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق والى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول
هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد
عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح والجر على انه بدل من الاسم الجليل
او من الضمير المجرور في سبحانه على راي من يجوزه وارتفاعه على القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى واظهاره
في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام به او مبتدا خبره قوله تعالى انّى يكون له ولد وهو
على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة
حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد
بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له
ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير الله تعالى
والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا موخر والجملة خبر للكون على هذا ويجوز
ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة للضمير لا على الوجه الاول لما تقرر في موضعه ان ضمير الشان
لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة
لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف
يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه
ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون

من الذات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فردا من افرادها والجملة استئناف
مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترءوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل
النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو
مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق
للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر عنوان الموضوع انما هو الخالقية
لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل بتقدير
لكل من الاخبار الثلاثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع
هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المقدمة اي وهو مع ما فصل من الصفات
الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه
الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي
لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه للمنكري الرؤية
على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وهو يدرك الابصار اي
يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة
اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي
به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة هاهنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء
الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف
بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة
من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي
اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه انما عبر عنه بالعمي تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها
او فعماه عليها او وباله عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف
الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وهو ايضا
وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام
للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا
وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد
بقولهم وهو امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بانه يابى عنه ياباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ
دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا
صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس
اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات
باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه
بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بتناهي الآخرين
وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام
بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي

عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا
هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا
في الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وبآرائهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه
بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى
وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم
بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عُدُوّا يقال عدا يعدو
عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى
وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم
وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير
بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك
بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة أبية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة
مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به
هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصور مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر
في النشأة الآخرة بصورها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها
لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر وقوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال اي
اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم اي من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم
في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى
غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات التي تقطع
بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها في حكمه
وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا
ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على المنهج
الحسن ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح وما قيل من ان المعنى انما الآيات
عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيئكم بها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مرامهم
بمجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر
مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من الهم بالدعاء

وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع
الانكار هو الوقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون
بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم
نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها طمعا
في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده
انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى
والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم
تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف
حسبما ذكر مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت
لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك
الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية
ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار
كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار لانه من
متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب
الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها
بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم بعدما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم
حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب
في نذرهم اي نذرهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم
بالياء على اسناده الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات
اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ
وجه وآكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم
فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا مقابلة وقرئ بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي
صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة
قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق
المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا
وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه
مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موضع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاحسن
ان يكون بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق فانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان
وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم
يعمهون وقوله عز وجل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى

الصفحة اليمنى

لانهم او من اعم العلل اى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء
بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته وقوعه بناء على استحالة وقوعها
كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الآية وقوله
عز وجل **ولكن اكثرهم يجهلون** استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه
هو ما اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المضمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئته تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى
الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته تعالى ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم
ايمانهم فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها
طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم
عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة الاخيرة بيان
لمنشأ خطأ المقسمين ونشاط اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
لا يؤمنون **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كلام مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش
له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء
عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك
عدوا والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك
ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكائد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك
لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء **شياطين الانس والجن** اي مردة
الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن وقيل هي بمعنى اللام اي
الشياطين التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان
العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستأنف مسوق
لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء
كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس
شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر **زخرف القول** اي المموه منه المزين ظاهره الباطل
باطنه من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو
حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا **ولو شاء ربك** رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية
ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال
اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى **ما فعلوه** اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات
الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى **فذرهم وما يفترون**
صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته
تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتنائه على الحكم
البالغة **ولتصغى اليه** اي الى زخرف القول وهو علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض
وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم
ولتميل اليه **افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان
بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره
والآلام مرتبة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما

٢

الصفحة اليسرى

وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات
الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات
لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا
والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم
وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق ذكرها **افغير الله ابتغي حكما** كلام
مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين
فابتغي حكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك
حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه
السلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا
وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما
اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما ابلغ من حاكم كقولهم ان لنا غيره الا
قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي
انزل اليكم الكتاب** جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي
نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي
انزل اليكم الكتاب وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص باسم الكتاب
مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام
فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون
لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق** كلام مستأنف غير داخل
تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين
وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة والانجيل
باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد
الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول
وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء
هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر من التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه
عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق **فلا تكونن من الممترين**
اي في انهم يعلمون ذلك لما لا يظهر منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه
منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان
له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه
الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن **وتمت كلمة ربك** شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله
من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق
والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك **صدقا وعدلا** مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة
لا مبدل لكلماته اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر
مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا
من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى **وهو السميع** لكل ما يتعلق به السمع **العليم** بكل ما يمكن

ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدل احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس واكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك دون مناط اليقين وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل عليه هو او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يلائم السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى عليه من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله او واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا منه من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخره فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخره لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبون الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة حال

وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل سوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف لجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاحييناه بالحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي في الناس اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الالفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي الممثل به هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وهذا في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا تصل الى مرجعه من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في المثلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند اتيانه الشيطان او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من المجادلة فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقدم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى انه اي معنى يراد من هذا المعنى لا بد ان يكون شيئا يحق عند الناس ويعهدوا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سنن النظم الكريم ويوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما فهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان حاصل المعنى حينئذ كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الى آخره فان الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي مثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين من تزيين اعمالهم لهم مصرين على الباطل مجادلين بها الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا

كذلك وإن عاقبة مكر الكل ما ذكر فإن العظيمة المنقولة إنما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين أي إذا جاءتهم آية بواسطة الرسول
صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل
فيخبرنا أن محمدا صادق كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في أنهم علقوا إيمانهم بإيتاء مثل ما أوتي
الرسل عليهم السلام من إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه إيمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الإطلاق خلا أنه يستدعي
أن يحمل ما أوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وأن يصرف الرسالة في قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل
رسالته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها إلى المرسل إليه لا وضعها في موضعها
الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بأن يكون معنى الاقتراح لن نؤمن حتى يكون تلك الآية نازلة من عند الله
تعالى إلى الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله أعلم من يليق بإرسال جبريل عليه السلام إليه لأمر الله
إيذانا بأنهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد
من القوم أن يخص بالرسالة والوحي كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى أن حمل هذين
وإن كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي أن يراد بالإيمان المعلق بإيتاء ما أوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم
في الجملة من غير شمول لكافة الناس وأن يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع
فإنه مقرر على تقدير إتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته أصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما أوتيه رسل الله [أو إتيانا]
مثل إيتاء رسل الله وأما ما قيل من أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك
لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود إلا أن يراد بالإيمان المعلق بما ذكر مجرد الإيمان بكون الآية
النازلة وحيا صادقا لا الإيمان بكونها نازلة إليه عليه السلام فيكون المعنى وإذا جاءتهم آية نازلة إلى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها
حتى يكون نزولها إلينا لا إليه لأنا نحن المستحقون دونه فإن ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا إلى آخره لو كان ما تدعيه من النبوة حقا
لكنت أنا النبي لا أنت وإذ لم يكن الأمر كذلك فليست بحق وماله تعليق الإيمان بحقية النبوة بكونه نبيا وحل ما أوتي نصب على أنه نعت لمصدر
محذوف وما مصدرية أي حتى نؤتى إيتاء مثل إيتاء رسل الله وإضافة الإيتاء إليهم لأنهم منكرون لإيتائه عليه السلام وحيث نص على المفعول
توسعا لا نصب أعلم لما عرفت من أنه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه أي هو أعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى أن منصب الرسالة
ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الأسباب والعدد وإنما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده
رسالاته سيصيب الذين أجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعدما نعى عليهم ما هم ملابسوه من فنون
وتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بأن إصابة ما يصيبهم لإجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح أي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه
وعلقوا به أطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار أي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل
من عند الله وعذاب شديد في الآخرة أو في الدنيا بما كانوا يمكرون أي بسبب مكرهم المستمر أو بمقابلته وحيث كان
هذا أس معظم مواد إجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله أن يهديه أي يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام
فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار صلى الله عليه وسلم حين سئل
فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والإعراض
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء أي شديد الضيق والأول مصدر
وصف به مبالغة كأنما يصعد هذه مبينة لذلك كأن على جعل الفعلية في السماء شبه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يكاد يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع عنه كما يمتنع منه الصعود وقيل [معناه]
كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد وأصله يتصاعد كذلك أي مثل ذلك
الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس أي العذاب أو الخذلان وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج

الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون أي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للإشعار بأن جعله
تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر وهذا أي البيان الذي جاء به القرآن أو الإسلام أو ما سبق
من التوفيق والخذلان صراط ربك أي طريقه الذي ارتضاه أو عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية
إيذان بأن تقويم ذلك الصراط للتربية وإفاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق
مصدقا والعامل فيها معنى الإشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها
فيعلمون أن كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا فإنما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم
عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لأنهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام أي للمتذكرين دار السلامة
من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم أي في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم أي مولاهم ناصرهم
بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم الصالحة أو متوليهم بجزائها يتولى إيصاله إليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر إما على المفعولية
أو الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الأمر والضمير لمن يحشر من الثقلين أي واذكر يوم نحشر الثقلين قائلين يا معشر
الجن أي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن أو ويوم نحشرهم ونقول يا معشر الجن يكون من الأحوال والأهوال ما لا يساعده الوصف
لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم
أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال أولياؤهم أي الذين أطاعوهم
ومن في قوله تعالى من الإنس إما لبيان الجنس أي أولياؤهم الذين هم من الإنس أو متعلقة بمحذوف هو حال من أوليائهم
أي كائنين من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها وقيل بما ألقوا
إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بهم
أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم قادرون على إجارتهم وبلغنا أجلنا
الذي أجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وإظهارا للندامة
عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للإيذان بأن المضلين قد أفحموا بالمرة فلم يقدروا
على التكلم أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم
أي منزلكم أو ذات ثوائكم كما أن دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم إن جعل مصدرا ومعنى الإضافة
إن جعل مكانا إلا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على أن الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير
فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم
في النار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه حتى إذا صاروا إليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل إلا ما شاء الله
قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم ولا يخفى بعده إن ربك حكيم في أفاعيله عليم بأحوال الثقلين وأعمالهم
وبما يليق بها من الجزاء وكذلك أي مثل ما سبق من تمكين الجن من إغواء الإنس وإضلالهم نولي بعض الظالمين من الإنس
بعضا آخر منهم أي نجعلهم بحيث يتولونهم بالإغواء والإضلال أو نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف
ما يؤدي إليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس شروع
في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان
مآل أمرهم ألم يأتكم أي في الدنيا رسل أي من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتي كل رسول كل واحد من الأمم بل على أن يأتي
كل أمة رسول خاص بها أي ألم يأت كل فرقة منكم رسول معين منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل أي كائنة من جملتكم لكن لا على
أنهم من جنس الفريقين معا بل من الإنس خاصة وإنما جعلوا منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس
واحد ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد استمعوا القرآن وأنذروا به قومهم حيث
نطق به قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن إلى قوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى

رسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها
من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان
الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار
حيث قالوا قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في حكاية جوابهم
قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم
في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجاهم في الاخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذمهم بذلك اي اغتروا
في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واصروا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب
المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الاخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى
بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر
من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن
ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم
متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي متلبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية بواسطتهم
واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان علة اهلاكها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده
بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم
فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى بديهة العقول بنبذه واعاقبه جنايتهم اي
اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان
المقرب في تعليله انتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان
كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب
الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع
بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لا انتصب بحسب المقام الى ما فيه الكلام
من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان
ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب
الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك
اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وجعله خبر المبتدأ المحذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم
ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم
درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم
او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي هو المعروف
بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين
لا سيما مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم
شمول الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر ثان او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم وبمهلهم
على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم اي

اي به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي
من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما
مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم او على انه
نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الى آخره والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي
لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع واشارة عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته
هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كان ايثار صيغة الفاعل
على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل
على الاتفاق على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق
بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم
عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات
على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه
فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التفصي عنه سبيلا فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون
باسمها وخبرها خبر لها وهي مع خبرها في محل النصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون ايّنا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى
هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه اي ان الشان لا يفلح الظالمون وضع
الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا
شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء
منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى الذي جعلوه للآلهة تركوه معتلين بان الله
تعالى غني وما ذلك الا لحب الآلهة وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى
من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له
اي عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين واخره من المجرورين لما مر ان الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا
والثاني لله لا يساعده المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا للشركاء ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات
التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك
لم يقيد الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه تعالى
بقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى
الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى
التي يصرف اليها ما عينوه للآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار
آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه
وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير

من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد
المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء
للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم
ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به
واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه
اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء او اللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى
حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة
الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله
المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل قالوا اي قالوه متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام اي قالوا
مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه
انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا
للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام
فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت
لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا
افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا
المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق
سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في
هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتأنيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله
تعالى ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي
هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له
في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي وان ولدت ميتة فهم اي الذكور والاناث
فيه اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة
بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل
المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء
وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم
بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد
وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم
متعلق بقتلوا على انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرازق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايا
او ما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات

متهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات
من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه
وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون
الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل
ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشأهما وقوله تعالى متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وفائدة التقييد رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا
حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب
بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة
نخلة ففرق ثمارها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
ما يفعلون ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل
وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اي بعض ما رزقكم ذكره
من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ولمصلحتهم ولا تتبعوا في
التحليل والتحريم مقلدين اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان في ذلك
منهم اتباعا للشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه
ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم
كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطونها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بناصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية
معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش
ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر
والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد
بتوجيه الانكار اليها مفصلة اثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من
اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر
وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله مشارك له في حكمه اي وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين
وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل
مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر
في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آالذكرين
من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز
ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين
اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني
بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني ملتبسين بعلم صادر عنه
ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ
من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل الزاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آالذكرين منهما حرم

حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع
الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد
افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه
وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب
تفصيل الانواع الاربعة بان يقال الذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة
في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للالزام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل
الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما تعتقدونه الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم وتهكم
بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو
المؤسس لهذا الشر والكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فريق اظلم ممن افتروا الى آخره ولا يقدح في اظلمية الكل كون
بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان
المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
افترى اي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا
بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم
فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه وبجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ليضلهم ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله
لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك
بمن هو في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له
قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم في قوله تعالى لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذانا بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع
جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت
ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم ومحرم على ازواجنا
وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع
على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا حينئذ عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
الذي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا
لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن
اضطر اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس المقصود بالجملة الاولى بيان انه لم يوجد القيد
لتحقيق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر يؤاخذ به وهو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست
باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر
الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه
والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غير ما ذكر الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين
والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب
عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال
ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر

ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا
وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطها
بالعظم العصعص وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب
على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق
واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا
كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم واكده بقوله تعالى
وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرونه اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر
المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء
قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية
عن القوم المجرمين فلا تغتروا بما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل
من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة
للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الى آخره لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق
بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار بوقوعه قبل وقوعه حسبما اخبر
كما تحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا
اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى
لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا ترى الى قوله تعالى كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح في ان ما
عطف على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق
شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي
قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء هدايتكم جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك
طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو
اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء واصله عند البصريين
ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام حذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام
وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا اي قدوتهم
الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء
بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعدما حضروا ان الله
حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله تعالى وعدل عنها
فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول

الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الماجد القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
فان من يكذب باياته لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور
بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه
بامر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوه امر التحريم بعدما الكلموه مرة بعد اخرى
عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما تقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب
عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الآية وتعال امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من كان في مكان
عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة الاصل فيها الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتفاقا
ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف
اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي الآيات المشتملة على تحريمه او بحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل
لان التلاوة من باب القول كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم وعليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء
بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم
على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق
بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات
منطوقة كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها
التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت هي به فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الاوامر ذكر
وقصد لوازمها فان عطف الامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دليل
واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه
قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة اي مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف
في قضاء حقوقهما ولذلك عقب النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواضع وقيل ان ناصبة ومحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع
بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لما ان في اخراج المفسر
على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء
وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب التكليف المتعلق
بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل اي الفقر الناجز وذا
في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه
وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا
الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك
ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان
كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها
وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها
جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في العزل ذاك الوأد الخفي ومن ههنا تبين
ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما في قوله ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان

وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي
لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى
البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة
استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا للايجاب والمحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية
الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم
توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى
حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى
فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر
بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم ما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما
فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع
مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم عليه من الايمان
والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا
لعلكم تذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن
دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله ع
الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة
فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام
من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختص بالمتلو عليهم بل متعلق به عليه السلام
ايضا مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي
اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل على اشاعة كونه صراطه عليه السلام لا لكونه صراط الله تعالى
مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه ادعى الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة
على الاستئناف وقرئ ان هذا بالتخفيف من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ صراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء
للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب
ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع
الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك
اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا
للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى
ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الى آخره واما عطفه على ذلكم وصاكم به
معه في سلك الكلام المتلقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم
ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فان ايتاءها
مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي تماما لها على انه مصدر من تم بحذف الزوائد

على الذي أحسن أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا تماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على ما عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلة أو على المصدر كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب أي لعلهم بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى أنزلناه مبارك أي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي إيجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه أن تقولوا علة لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفا كان أو خبرا أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لو لم تنزله إنما أنزل الكتاب الناطق بتلك الأحكام القاطع لكل الأمم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة وإن كنا إن هي المخففة من أن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم تعملوا بأحكامه العامة أي إنه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط أو تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالتاء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن أميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم إلى آخره وإما شرط أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة وأي بينة أي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما أيضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن أظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للأمر وتنبيها على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية فكيف بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن لم يكن سبكه متعرضا لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها أي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب أي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما

حسن

في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلا مبالغة في التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي أو يأتي بعض آيات ربك أي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على أن المراد به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور مما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعلق أمانيهم بإتيانها انتظام منهم له ظاهر احتمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد إلى أن يأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم سباقا المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقا الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن يكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كإتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ما ذكر من ملائكة الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا عهد له بالمقام على أن بعض أشراط الساعة ليس مما يندرج تحت الإتيان والطائع نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا يوم يأتي بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا أوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه نفسا من النفوس إيمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عيانا ومدار قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لكون الإيمان من ملابسة المضاف إليه وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمراد بالنفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا لم تقدم إيمانها أو قدمته لم تكسب فيه خيرا من ضرورة اشتراط النفع بتحقق الأمرين أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان المؤخر لغو لتحصيل الحاصل لا أنه هو النافع بتحققهما شرطا في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والتصدق من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الإيمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار إيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعموم النفي المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين الإيمان المجرد والخير المكسوب فيتحقق النفع بأيهما كان حسبما نطقت به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على أن الموجب للخلود في النار هو العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم أن المقصود وصف النفس بالعدمين المذكورين مجردين بيانا لما يوجب الخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إنجائها عنه وليس كذلك وإلا لكفى ما ذكر من إتيان الآيات لا ينفع نفسا إيمانها الحادث بل المقصود الأصلي من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع أحد تلكيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كان عدم الأول مستقلا في إيجاب الخلود في النار

فيلغو ذكر عدم النفع كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فلو لم يذكر الثاني لغوا انه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها
امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص منها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا
وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن بما يوجب النفع الزائد
ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة
الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو لا تحت
لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان
الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود وصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة
في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا
بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعيف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الآية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم
وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها الا انها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان
اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما
في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه
قوله تعالى فاما الذين آمنوا الآية ولا ريب في ان ما قدر هنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام
ليس مما عدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الآيات كما حتى يرد عليهم بيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم
ما اصابهم تقاعلى السلام وزمانا ياتي منهم كسب العمل فيه وفيه من الاخلال بالمقام بهول الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال
بوجه اخر قصارى امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل
في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني لا يعارض القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا
ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك وفيه تهديد لكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد
بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق
بالكفرة من العقاب ولعل ذلك الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال اهل
الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان
بعض اخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين
انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء
لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن تعارك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين
الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا بآية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم
واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرك بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء
الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بان معنى لست منهم في شيء انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم براء
منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان
للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه
في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين
وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتب له
عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من

من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني
هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير
الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك
المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى
دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر
نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة
والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى
وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينهم من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم
اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى
المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي
عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه
في حياتي واموت عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء
اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين
لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من اسلم
قل اغير الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف
يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا
ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها
ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني
اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد
اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض حيث جعلكم خلائف الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب
ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة
من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره
عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره
لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل
خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى
غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل العقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية
من سورة الانعام يوما وليلة والله الموفق

عام

سورة الاعراف مكية غير ثماني آيات واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا وهي مائتان وخمس او ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب
واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث المسمى لما ان الاشارة اليه
من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار
في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف وهو مبني عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس الحروف

مراد به السورة كتاب الى آخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا الكتاب
وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر اي به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابة في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد
الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا
للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها أنزل إليك اي من جهته
تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في
جل ذكره تنزيل ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشأن
انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه
بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن الشك
ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤه اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي على طريقة التهييج والالهاب
والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشر بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين
للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك
شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى والفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء
الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين قطعا واما على الثاني فهو لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر ووجه النهي الى الحرج مع ان المراد
نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك مما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة
في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة
كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل
نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام
بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة
فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة
الاول قوله تعالى لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم
ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف
منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك او خبر باني لا سيما على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير
مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان
بان ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتأتى التعليل بالانذار لا بالتذكير للمؤمنين اذ ليس في شأنه خوف
حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا
على محل ان تنذر اي للانذار وللتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص
الانذار بالكفرة اي لتنذر المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستأنف خوطب به
كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم
بواسطة انزاله عليه السلام اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من
لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد
لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل هنا عاما للعقلية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق
العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون
ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس
منهم ما يلقون اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة
اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة من دونه تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء

كأنه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى
قليلا ما تذكرون بحذف احدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ
يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او زمان كذلك محذوف وما مزيدة
لتأكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى
وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات
على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد
فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين
وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين
اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك كم رجل ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير الراجع الى كم
ثم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باضمار فعل يفسره اهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي جاء اهلها بأسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال
اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال
المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو
فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع
عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل عنهما لا سيما القيلولة لان
المراد بيان كمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم بهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم
بأسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي
خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها
عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل
اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بعلمه شأنهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء
من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديئها ورفعه على الابتداء
وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل
ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له
لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد
وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد
لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب في اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه

نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل المكلف يوم القيمة
اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على البعض خصوصا
راجعا الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ
وتظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت
في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم «فمن ثقلت موازينه» تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون
على ان المراد ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله
التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف «فاولئك» اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف «هم المفلحون» الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين سمعت انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرف
كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم «ومن خفت موازينه» اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة
«فاولئك» اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر انفا في نظيره وهو مبتدأ خبره «الذين خسروا انفسهم»
اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى «بما كانوا بآياتنا يظلمون» متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا
متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا
اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين «ولقد مكناكم في الارض» لما امر
الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم
ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم
على التصرف فيها «وجعلنا لكم فيها معايش» المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك
والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومداين والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشأنا وابدعنا
لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما
على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند
كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لوروده فيتمكن فيها عند الوروده فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة
ما الاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر
اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف او واقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة
في الارض وقوله تعالى «قليلا ما تشكرون» اي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وتعيين الكلام عين ما مر في تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكرون «ولقد خلقناكم ثم صورناكم» تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة
وتاخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة
مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق
لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا
لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام
بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمط مصنوع على شاكلته فكانهم الذي تعلق خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم ساريا اليكم جميعا «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام
وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وانما المراد بما حكي بقوله تعالى

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لبيان
ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه
السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك الاخبار من قبيل ما نيط
به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية
الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله
قد القي الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر
الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله
تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فنجز عند ذلك ورود الامر المنجز اعتناء بشان المامور به واعلاما بوقته وقد حكي بعض الامور
المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر
السليمة انه في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين والمراد باختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر
عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال
والاقوال وان ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما ان ليس قبل الخلق
ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم «فسجدوا» اي الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم
«الا ابليس» استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى «لم يكن من الساجدين» اي ممن سجد لآدم كلام
مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون
كونه متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين «قال» استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من حكاية عدم سجوده كانه
قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق
المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير «ما منعك ان لا تسجد» اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي
دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان
لا تسجد «اذ امرتك» قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص
مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ
على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية
في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه «قال»
استئناف كما سبق مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال «انا خير منه» متجانفا عن تطبيق جوابه
على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا مستلزما للمنع من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه ذلك
لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما حكي عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فهو اول
من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى «خلقتني من نار وخلقته من طين» تعليل لما ادعاه من فضله
عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك
امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون

والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال
استيناف كما سلف والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل
واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه في سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا
وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء
فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق
النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر
فيها اي الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين
ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى
فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي
من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك عن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش
نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال استيناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين
بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة
الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استيناف كما سلف
انك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للاخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح
في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق
كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء عمر ما استثناه الله
من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر
النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة
يقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي
على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى الطباق
الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه
في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار
الضراعة وترتيب الانظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وعليه
الكلام في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حقه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار
سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام
على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما
افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد يراعى وقد لا يراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل
قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن
الكريم انما يجلي بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من يتكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فمما ذكر من المحكي
كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال اصلا او النقل عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي
فان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية في كل احد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا
لبسط الكلام وتفصيله حكي الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي
جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها

المقام ومخاطبة بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا ليفهمه سامع آخر بليغ هو بمنزلة من يعد عن الخواص رتبة
اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب
مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا
الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما مر فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى
اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر
والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته
ترصدا لهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية
وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال
من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما
لا تسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف
المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استيناف كما سلف مرارا اخرج
منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذؤوما اي مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول
او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملان جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه
على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته بتلقي الوحي وتعاطي المامور به اسكن انت وزوجك الجنة
هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح
العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك
كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم
الايذان بساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما صريحا
في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما مجزوم
او منصوب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم بها كلاما خفيا متداركا مكررا والوسوسة في الاصل
الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة
قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب
الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوآتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا
ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما ان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل
من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اي اقسم لهما وصيغة المغالبة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما

النقسم بانه لكما لمن الناصحين وقاسمهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وابرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اى قال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة بالاشارة من معنى البعد لانه اشارة الى الشجرة التى نهى عن قربها واقل لكما عطف على انهكما اى الم ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهى قيل فيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هنا وقد حكى في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روى انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا ولم يذكر هنا قبول توبتهما اكتفاء بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم في الارض مستقر اى استقرار او موضع استقرار ومتاع اى تمتع وانتفاع الى حين وهو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف للايذان بعدم اتصال الثانى بالاول كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ارايتك هذا الذى كرمت على بعد قوله تعالى قال ااسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون بعض من ذلك فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اى خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بنى آدم خطاب للناس كافة قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يوارى سواتكم التى قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وقيل نزلت في العراة الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا لباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا

الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى جعلناهم بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته سبحانه جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلى اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم تعودون فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بنى آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم ولا تسرفوا بتحريم الحلال انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

اجالهم بان يحى لكل واحد من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا
قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له
ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على لا يستاخرون لكن لا لبيان انتفا التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة
في انتفا التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت
ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجي الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجي اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة
فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفا الاستيجار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخيرهم مع استحقاقهم لما سيأتي عنه قوله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفا السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس
اهتماما بشان ما في حيزه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله تعالى
يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد الاتقا في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد
عدم التكذيب بل هو الاتقا والاجتناب عنه وادخال الفا في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول على الله تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة
الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الافترا والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي ما اثبت لهم
وانما كان من لابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة
العيون وعن ابن عباس كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى
حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم وهو على الاول غاية لنيلهم وحتى ان كانت هي التي
يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان ياتيهم
الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة
باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا
عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم
انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجي الرسل
وحال التوفي زمان ممتد من ابتدا المجي والتوفي الى انتها يوم الجزا بنا على تحقق المجي والتوفي في كل ذلك الزمان بقا وان كان حدوثهما في اوله
فقط او قصدا لبيان غاية سرعة وقوع البعث والجزا كانهما حاصلان عند ابتدا التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا
فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله
عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن
والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت
اختها اي التي ضلت بالاقتدا بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلا اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما

فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي مخاطبين لاخراهم
حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا
مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السما اي لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم
وارواحهم والتا في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف واليا وقرئ على البنا للفاعل ونصب الابواب
على ان الفعل للآيات وبالياء على انه له تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل
في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر
والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغا المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزا الشديد نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان
عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الاجرام والجرائر والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه
الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم
المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول او اسم الاشارة
بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون
حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبرا لاولئك على راي من جوز
وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد وصيغة
الماضي للايذان بتحققه وتقرره عن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم
وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل ما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي
مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى
او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله وتقتضيه اللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه
ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها
مبينة ومقررة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بان ما جاءتهم الرسل عليهم السلام
والبا في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق او لقد
جاؤا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة عليهم السلام ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في الندا من معنى القول او مخففة من ان والضمير
الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد مرتبتها واما للاشعار بانها الجنة
التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة
والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا
بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ
بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة
وقرئ بان المشددة ونصب اللعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجرا اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة

مقترح للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او الاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء او التحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او مفعوله قوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل بخلاف الثاني قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم استفهام للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمران عن قبول الحق وعلى الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما هو في حكم الحلف كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اي قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعدما حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر الاول لكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هؤلاء من لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة اهؤلاء الآية وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منعا كليا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي كما كانوا منكرين انها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والعبر للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب جنس الكتب او القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظرون الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة

يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وهي معطوفة على الجملة قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم اولان المعنى على الاول المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم احد الامرين اما الشفاعة او الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمالهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة ايام كقوله تعالى ومن في وقت مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار وقرئ بالتشديد فيه للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرئ نشرا بالتخفيف حيث وقع ونشرا بالفتح على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وبشرا جمع بشير بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب

يلين

السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اى لاجله ومنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
اى بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء
وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات اى من كل
انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية ونطرها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس والبلد
الطيب اى الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه او
فى مقابلة قوله والذى خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير
والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اى
لا يخرج البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكان للتخفيف كذلك اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الآيات اى نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم
السلام بالشرائع التى هى حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك
بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه هو جواب قسم محذوف اى والله لقد
ارسلنا الى آخره واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد الجملة
المقسم عليها ونوح هو ابن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبى عليهما السلام قال ابن عباس بعث عليه السلام على رأس
اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
مائتين وخمسين فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان
بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شىء ما لكم من اله غيره اى من مستحق للعبادة استئناف مسوق
لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه
وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا اى ما لكم
وغير زيد ومن اله ان جعل مبتدأ فلكم خبره او خبر محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غير الله انى اخاف
عليكم اى ان لم تعبدوه حسبما امرت عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استئناف
مبنى على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام فى مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف
الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك فى ضلال اى ذهاب عن طريق
الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم خاطبهم
باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بى ضلالة اى شىء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق فى نفى الضلال عن نفسه
ردا على الكفرة حيث بالغوا فى اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكنى رسول
من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة لا محالة
كأنه قيل ليس بى شىء من الضلالة ولكنى فى الغاية القاصية من الهدى ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى استئناف مسوق
لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذى سمتنى امى حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحى اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته
تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذى هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات
امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه للدلالة

على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى انى
دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اى اعلم من جهة
الله تعالى بالوحى ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد
عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحى
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله
لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أاستبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اى وحى او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك فانهم لاجل ذلك ما تعلمون من انه
تعالى لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجىء اى ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها اى ولتتعلقوا
الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلوب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى
ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما انزل عليه من الوحى الذى بلغه اليهم وانذرهم
به فى تضاعيف ذلك واستمروا على ذلك من المدة المتطاولة بعدما كرر عليه السلام عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به
قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات ثم لما لم يبق الا الانجاء والاغراق للمجرمين المكذبين فانجيناه والذين معه من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن وقوله تعالى فى الفلك متعلق بالاستقرار فى الظرف
اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اى انجيناهم فى السفينة من الطوفان ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الظرف
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن
وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره
بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد
وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والتقرر والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح عليه السلام وهو الناصب
لقوله تعالى اخاهم اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق
واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر كما فى قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه وقوله تعالى ولوطا الى آخره فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم فى قصة عاد وثمود
خولف فى النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح
ابن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم
لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال يا قوم اعبدوا الله اى وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها
او للامر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه
افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أتغفلون
او اتعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفى سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه
السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما فى موطن عن حكايته فى موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون
وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصص بل حال نظائره من سائر القصص لا سيما فى المحاورات الجارية فى الاوقات المتعددة والله اعلم
قال الملأ الذين كفروا من قومه استئناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن
كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك فى سفاهة اى متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك
الا انهم جعلوا السفاهة ظرفا وليس لهم علم بحقيقة الحال وانا لنظنك من الكاذبين اى فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح
قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بى سفاهة اى شىء منها
ولا شائبة من شوائبها ولكنى رسول من رب العالمين استدراك لما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه فى الغاية القصوى من الرشد

والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في خبر الاستدراك من لا تبدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وصفة
اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات الذي مر في قصة نوح عليه السلام
وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك فما حقي ان اتهم وفي الجملة الاسمية دلالة على
الاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي
في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبوا الى السفاهة
والكذب في اجابة الانبياء صلوات الله عليهم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكى عنهم من المقالات المعربة عن نهاية
الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدر المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم
خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر
ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على تقدير
كانه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم
ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شجر عمان وزادكم في الخلق اي الابداع والتصوير او في الناس
بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي الذي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون
كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة
ونذر ما كان يعبد اباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان
انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومنزله او من السماء على التهكم واما القصد
والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون
ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم
اي وجب وحق او نزل على ان المتوقع كالواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف
الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس
مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى
سميتموها اي سميتم بها انتم واباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة
الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها الهة ليس فيها من الالهية شيء الا الاسم من غير ان يكون فيها مصداقها لان المستحق للعبادة بالذات
ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان
وليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا
اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه
اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية
المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين
عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك للمسارعة
وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى والتصديق باياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن
بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم
هودا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس

اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي
ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك
قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء
الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا
هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
والكلام في تقديم المجرور على المعطوف وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم
من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوهم صالح عليه السلام من حيث النسب
كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارسالة عليه السلام اليهم مظنة
لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره
قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها
حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او للمثوبة والحالة من الرخاء والشدة ولذلك
اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام عليه السلام
اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله
تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي ان عادا لما هلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر
الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروا
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف

مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك
كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف
بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية • فذروها • تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها • تأكل
في ارض الله • جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها
وقرئ تأكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله • علفتها
تبنا وماء باردا • وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء • نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل
لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى • فيأخذكم
عذاب اليم • جواب للنهي يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها
ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك • واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم • وبوأكم في الارض • اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام • تتخذون من سهولها
قصورا • استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وتنحتون الجبال • اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت النجر في الصلب
فانتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية قد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا
يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء • فاذكروا آلاء الله • التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها • ولا تعثوا
في الارض مفسدين • فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد • قال الملأ الذين استكبروا
من قومه • اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الى آخره واللام في قوله تعالى
للذين استضعفوا • للتبليغ وقوله تعالى • لمن آمن منهم • بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض
ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين
مع ان المحاورة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم • اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه • وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم • قالوا انا بما ارسل به مؤمنون • عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا
نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهارا لما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور
بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به • قال الذين استكبروا • اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قالوا
ما قالوه بطريق العتو والاستكبار • انا بالذي آمنتم به كافرون • وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم
فعقروا الناقة • اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكأن فعله كلهم وفيه من تهويل
وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى • وعتوا عن امر ربهم • اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي
وقالوا • مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم • يا صالح ائتنا بما تعدنا • اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا
ان كنت من المرسلين • فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد • فاخذتهم الرجفة • اي الزلزلة لكن لا اثر ما
ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله • فاصبحوا في دارهم • اي صاروا في ارضهم وبلدهم
او في مساكنهم • جاثمين • هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة
قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون
عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا
والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له
غير مقصود بالذات وحيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة
فقرن كل منهما بما يليق • فتولى عنهم • اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم • وقال يا قوم لقد ابلغتكم

رسالة ربي ونصحت لكم • بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى • ولكن
لا تحبون الناصحين • حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم
عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب
يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم • ولوطا • منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب
حسبما وقع فيما سبق وفيما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض
بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
وهي بلد بحمص وقوله تعالى • اذ قال لقومه • ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم ولعل تقييد ارساله عليه السلام
بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام
لقومه • أتأتون الفاحشة • بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء
ما سبقكم بها • ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومنه قوله
من احد • مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق • من العالمين • للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ
والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فانسبك
النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه
مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل سبيلا للعلة واظهارا
للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق
كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا
فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا واستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي
اول من عمل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل • انكم لتأتون الرجال • خبر مستأنف
لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان
واللام مزيد تقبيح وتقرير كأن ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فتؤكده تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما
مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى • شهوة • مفعول له او مصدر في موقع الحال اي مشتهين لها وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون
الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة
المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى • من دون النساء • اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم • بل انتم
قوم مسرفون • اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف • وما كان جواب قومه • اي المستكبرين منهم
المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى • الا ان قالوا • استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء
من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام • اخرجوهم • اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين
من قريتكم • اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا خبرها
وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واما ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم في مقابلة كلام لوط عليه السلام
ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام
الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة
بطريق القصر وقوله تعالى • انهم اناس يتطهرون • تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث
والافتخار بما هم فيه من القذارة كما يقوله الشطار والدعار • فانجيناه واهله • اي المؤمنين منهم • الا امرأته • استثناء من اهله

كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اى الباقين فى ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون
للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين
وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر فى الرحمة وامطر فى العذاب
وقال الراغب مطر فى الخير وامطر فى العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا
اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروى
ان امراة لوط التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا
من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعى ههنا ما فى
من تقديم المجرور على المفعول اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب المعلوم
ابن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس
للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبنى على سؤال ناشئ عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اى معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة
لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر
معجزته عليه السلام فى القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فمنها ما روى من محاربة عصاه عليه السلام التنين
حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده فى المرات
السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما فى قوله تعالى يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة
من ربى اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اى المكيال كما وقع فى سورة هود ويؤيده
قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر
على مجئ البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا
يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوهم بها معتدين على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افى كل اسواق العراق اتاوة وفى كل ما باع
امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا فى الارض اى بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم
باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالتى فى قوله بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا فى معاملتهم
ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اى مصدقين لى فى قولى هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اى بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع فى شئ منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن وقيل يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله اى السبيل الذى قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا اى تطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهى ابعد شئ من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
بالبركة فى النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اى به ولم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه

المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال الاشراف من قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
من الطاعة بل بالغوا فى العتو والاستكبار الى ان قصدوا الاستيلاء عليه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترءوا على اكراههم عليه
بوعيد النفى وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمى لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا نسبة الاخراج اليه عليه السلام
اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام فى الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق
بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمى بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اى والله
لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن فى ملتنا عطف
على جواب القسم اى والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلى هو العود وانما ذكر النفى والاجلاء لمحض القسر والالجاء
كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نقركم فى قريتنا حتى تدخلوا فى ملتنا وانما قالوا له عليه السلام خطاب
العود مع استحالة كونه عليه السلام فى ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق التغليب للجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله
لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطاعة حذر الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال
استئناف كما سبق اى قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم فى ايمانهم الفاجرة او لو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتى فى قوله تعالى او لو جئتك بشئ مبين ويجوز ان تكون للاستفهام فيا بقيا على حاله وقد مر مرارا
ان كلمة لو فى مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ فى الزمن الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر
بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة
لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر والنهى كما فى قولك لكن
فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء على حاله سالما
عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لعروض ورود الانكار عليه لكن الاصل فى الكل واحد ألا ان كلمة لو فى الصورة المذكورة متعلقة
بالفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما فى حيز لو مستبعد علمه
من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور
وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما ستعرف وان المقصود الاصلى انكاره لوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته
لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما فى حيز لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر متقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد
مبالغة فى الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف عند كونها امرا محققا معاملة مع المخاطبين على معتقدهم الذى
من تبرير العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود فى ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم
بل انما هى كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذى جعل قرينا للقتل فى قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها ويظنون انهم يختارون
العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه والمعنى والتقدير انعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا
كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما لا نعود فيها حال عدم الكراهة انكار الما
كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اى حال كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة التى هى اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على
ما هو الواقع فى نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر البواقى اغناء واضحا لان العود الذى تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم
فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفى المستفاد من الاستفهام الانكارى فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفى والاولى فى ان الاولوية
هناك معتبرة بالنسبة الى النفى الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكذلك
ينبغى ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه وهو الذى دل عليه قولنا انعود لانه فى معنى لا نعود ثم اختلف الحال بينهما
قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذى اريد بيان تحققه على كل حال وذلك فى مثال النفى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور واما نحن فيه

فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد
عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من مادة كما هو في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا تختلف احكامهما التي من جملتها
ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على وجه الكلية
الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها الى آخره لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود
المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو
منفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بالوضع كلا انه حرف النفي
حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام لما ان الكفر
ما يذكر بعد الفعل من مواد العود واعني انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود
نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت
حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها
بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالين مع الاقتصار
على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوف
معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما صح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المعطوف
في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الآخر ومتلازمان متفقان في جميع الاحكام
كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالين ومدلول الثاني ان العود في الحالين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالين
مع ذكرهما معا الا ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار
على حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس
كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق اي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف
حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا على الله وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال
او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى
ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته
تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد
بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء
التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به
خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له
عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين
اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين
ودونهم في الرتبة وشانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان
مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا
ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي الذين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس التطفيف

والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام
ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة
هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم
بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم يغنوا
فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا
لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام
عوقبوا بمقابلتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه السلام
كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الى آخره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا
على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى
لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بالامالة وما
ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد
النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب
من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما في هذه الآية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام
والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا قد اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا وينيبوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم الكفر
كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة
التي اصابتهم لما ذكر الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين
ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا وذلك من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير
ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة
فجأة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية
وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك ايام كما في ثمود ولو
ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر ههنا
انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا
على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء
وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه
للثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الى آخره وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم
بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افأمن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا بغيرهم
الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

والفاء للعطف على فاخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ
امن اهل القرى • ان يأتيهم بأسنا بياتا • اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم • وهم نائمون • حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا • او امن اهل القرى • انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ
والتشديد ولذلك لم يقل افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد
ان يأتيهم بأسنا ضحى • اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت • وهم يلعبون • اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم كانهم يلعبون • افامنوا مكر الله • تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث
لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن
على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول • فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون • اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله
التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات • اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم
كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم
يبين لهم مآل امرهم • ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم • اي ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد
بنون العظمة فالجملة مفعوله • ونطبع على قلوبهم • عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية ونطبع
او على انه منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو
فهم لا يسمعون • اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات • تلك القرى جملة
مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات
الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى • نقص عليك من انبائها • خبره وصيغة المضارع
للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر
بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وفي تصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء
اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات • لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث
يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها
للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة
فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء
كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله
فما كانوا ليؤمنوا • بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء مع ان
الاستمرار على الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليها بحسب الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته
فلم يزدجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك
ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا
اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى • بما كذبوا من قبل • تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد
وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات
الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق الايمان والتكذيب به عبارة
عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم
المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها
الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا
في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم

بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص
فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان عليه
يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يؤذن به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر
ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم
والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم
الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما رآه الاخفش وابن السراج
ليرجع اليه الضمير • كذلك • اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم • يطبع الله على قلوب الكافرين • اي من المذكورين وغيرهم فلا تكاد
تؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة • وما وجدنا
لاكثرهم • اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا او لا لقيته او بمحذوف
وقع حالا من قوله تعالى • من عهد • لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم
ومن مزيدة للاستغراق اي ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون
ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عليه عند خطاب الست بربكم
فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون العهود باي معنى كان • وان وجدنا اكثرهم • اي اكثر الامم اي
علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدنا اكثرهم
لفاسقين • خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين • ثم بعثنا
من بعدهم موسى • اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع
دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر • بآياتنا • متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره
اي بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون
ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل • الى فرعون • وهو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة
كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان • وملائه • اي اشراف قومه
وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام للقوم كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور • فظلموا بها • اي كفروا بها
اجري الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم
عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى • فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبعة للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة
والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد
وقال موسى • كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين • يا فرعون اني رسول • اي اليك
من رب العالمين • على الوجه الذي مر بيانه • حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق • جواب لما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات
من تكذيبهم اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الى آخره كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الالتباس كما في قول
من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب علي القول الحق ان اكون انا
قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده

وقرى على بالبآء وقرى حقيق ان لا اقول بدون على • قد جئتكم ببينة من ربكم • استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورات المحكية
بقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى الآيات وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية
مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين
بعد اضافته فيما قبل الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها • فارسل معي بني اسرائيل • اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن
آبائهم وقد كان استعبدهم بعد انقراض الاسباط وكلفهم الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته ومجيئه بالبينة
قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال • ان كنت
جئت بآية • اي من عند من ارسلك كما تدعيه • فأت بها • اي فاحضرها حتى تثبت بها رسالتك جملة المعروف بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب
وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا • ونزع يده • اي من جيبه او من تحت
ابطه • فاذا هي بيضاء للناظرين • اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه
ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس
وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لانها كانت بيضاء في جبلتها • قال الملأ من قوم فرعون • اي الاشراف
منهم وهم اصحاب مشورته • ان هذا لساحر عليم • اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول
معزي الى فرعون في سورة الشعراء • يريد ان يخرجكم من ارضكم • اي من ارض مصر • فماذا تأمرون • بفتح النون وما في ماذا في محل
النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف التقدير باي شيء تأمرونني وهو من كلام فرعون كما في قوله تعالى
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب واذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى
قالوا ارجه واخاه على الاول هو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه
ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى
اخر امرهما وعدهما حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجئه من ارجأه وارجاه • وارسل في المدائن
حاشرين • قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا
قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء
بعد موسى عليه السلام • يأتوك بكل ساحر عليم • اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر • وجاء السحرة فرعون بعد ما
ارسل اليهم الحاشرين ولم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل الى المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة
الحاشرين والسحرة الى الامتثال • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا
مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم • ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين • بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر
عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن الغالبين لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم
في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى • قال نعم • وقوله تعالى • وانكم لمن المقربين • عطف على محذوف
سد مسده حرف الايجاب كأنه قيل ان لكم اجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل علي
وآخر من يخرج عنه • قالوا • استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام
يا موسى اما ان تلقي • ما تلقيه اولا • واما ان نكون نحن الملقين • اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام مراعاة
للادب اظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقدم والتأخر ولكن كانت رغبتهم في التقدم كما ينبئ عنه تغييرهم

للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل • قال القوا • غير مبال بهم اي القوا ما تلقون • فلما القوا سحروا
اعين الناس • بان خيلوا اليها ما الحقيقة له • واسترهبوهم • اي بالغوا في ارهابهم • وجاؤا بسحر عظيم • في بابه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا • واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب
كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف وقلب الشيء عن
المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انه لما تلقفت ملء الوادي
من الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت
السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا • فوقع الحق • اي فثبت لظهور امره • وبطل ما كانوا يعملون • اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين
على عمله • فغلبوا • اي فرعون وقومه • هنالك • اي في مجلسهم • وانقلبوا صاغرين • اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة
اذلاء مقهورين والاول هو الانظر لقوله تعالى • والقي السحرة ساجدين • فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك • قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون • ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف • قال فرعون
منكرا على السحرة وموبخا لهم على ما فعلوا • آمنتم • بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة
وقرئ باثباتها وقرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى • قبل ان آذن لكم • اي بغير ان آذن لكم كما في
قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك • ان هذا لمكر مكرتموه • يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره
عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى • في المدينة • يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام
والتقى مع امير السحرة فقال له موسى عليه السلام أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك
وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول • لتخرجوا منها اهلها • اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل واما شبهتان القاهما اللعين
عند ارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها تحاشيا عن الايمان
بنبوته عليه السلام وايهام ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم
ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعم المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم
لموسى عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال • فسوف تعلمون • اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق
الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال • لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف • اي من كل شق طرفا • ثم لاصلبنكم اجمعين • تفضيحا
لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله • قالوا
استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه
فقيل قالوا ثابتين على ما اخذوا فيه من الايمان • انا الى ربنا منقلبون • اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا
فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون
فيحكم بيننا وبينك • وما تنقم منا • اي وما تنكر وتعيب منا • الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا • وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا • اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون • وتوفنا مسلمين • ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون • وقال الملأ من قوم فرعون • مخاطبين له بعد ما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض • اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك • ويذرك • عطف على يفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه
اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن

ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك
اى عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا
لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا
استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اى ارض مصر او جنس الارض وهى داخلة فيها دخولا
اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا اى من جهة فرعون من قبل ان تاتينا اى بالرسالة
يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء
وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وانما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن كما قيل فليس مما لحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير طائل بالمقام قال اى موسى عليه السلام لما راى شدة
جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الى اخره عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم
باعادته ويستخلفكم فى الارض اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر فينظر كيف تعملون احسانا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال
وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روى
ان مصرا انما فتحت فى زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جئ بفعل الطمع للجرى على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين شروع فى تفصيل مبادى الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا فى خفض ودعة بل رتبت
اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون
جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونها
بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هى فى هذه اللغة مصروفة عند بنى عامر
وغير مصروفة عند بنى تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعانى من نجد
فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء فى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف بالنعتين ونقص من الثمرات
باصابة العاهات عن ابن عباس اتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضى الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم
واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم لعلهم يذكرون كى يتذكروا او يتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم
وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفى الرجوع اليه تعالى
الا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وعدم تحقق الترجى لعل فى محلها لما عرفت فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون فى اوائل سورة البقرة
وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم فى الغى اى فاذا جاءتهم السعة والخصب وغير ذلك من الخيرات قالوا لنا هذه
اى لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اى جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اى يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا
الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة
الايات وهم كانوا بحيث لم تؤثر فيهم شئ منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق
الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما
طائرهم عند الله استئناف مسوق من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق فى ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه
اى ليس سبب طيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح اى ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اى مكتوبة
لديه فانها التى ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون
ما يقولون مما حكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون
ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع فى بيان بعض

مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التى هى فى انفسها ايات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اى قالوا
بعدما راوا ما راوا من شان العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تاتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها
ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين وان فى اينما تكونوا واما نرينك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرار المتجانسين هو المشهور
السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اى اى شئ تظهر لدينا
وقوله تعالى من اية بيان لمهما وتسميتهم اياها اية لمجاراتهم على راى موسى عليه السلام واستهزائهم بها لا للاشعار بان عنوان كونها اية
لا تؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتكثير للابصار والضميران المجروران
راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثانى للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما فى قوله تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم
عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اى الماء الذى طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدرى وقيل الموتان
وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا
ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه قطرة
وهى خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم
وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الى النواحى التى جاء منها فلم يؤمنوا فسلط
الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان
انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى والى افواههم
عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع
القبطى والاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله الرعاف عليهم
ايات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض
لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا اى عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم
الرجز اى العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة اى كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا
فى كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اى بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك
فى اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذى وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى
اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اى الى حد من الزمان هم واصلون اليه فمعذبون فيه
او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اى فاردنا ان ننتقم منهم
لما اسلفوا من المعاصى والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام
والفاء تفسيرية كما فى قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب الخ فى اليم فى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل فى لجته بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا
كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار ذلك تكذيب
ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اى بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار
الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم فى رفعهم من حضيض المذلة
الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اى جانبيها الشرقى والغربى حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا

في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب
وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمت ربك الحسنى
وهي عدته تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ
كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون
وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان
فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الى آخره وقيل
كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الى آخره اي صنعه والعدول وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف
تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على الوجوه لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون
ومن عليهم من النعم العظام الموجبة لشكرها واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله عليه السلام وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعداه بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم
موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم
وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها
وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا
الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا
الها كائنا كالذي استقر لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم على اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى
فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر
ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبره الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جعل الجملة الاسمية
للدلالة على التحقق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر
محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها
في نفسها حسنة لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاوثان والاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم
ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه
اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال
الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لا انه لا اختصاص الانكار بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم
اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها والمفعول ابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدم
صفة النكرة انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا
تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تعالى الله عما يعبدون
واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجاكم من النجاة وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى اي اذكروا
وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى
يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون
او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم
الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون

وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي
من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين
في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بتنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد
وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين وقال موسى لاخيه هرون
حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح
من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
وكلمه ربه من غير واسطة كما تكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس
من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو
دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني
دون لن ارى ولن تريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع
سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه
لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان تدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل
قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب
قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك تبت اليك من الجراءة والاقدام
على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال
بغير اذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كأنه قيل ان منعتك الرؤية
فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك
صفوة وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي اي باسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف
ح النبوة والحكمة وكن من الشاكرين اي ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح
من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ
وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت
من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده
وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون
وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم
لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار القول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة
بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتوراة وامر قومك
يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار كالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل

كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى خذوا بها واحسن صلة وقطع
اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل سوا ان يحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها للصواب العبر
ساريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به
اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية
على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار
الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبارين والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز
وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فالمعنى الاراءة والادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء
المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم والعله من اوريت الزند
اي سابينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم
التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد
اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر
والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان
في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا
فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم فتكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض
الجبابرة والعمالقة المشهورين بالعتو والتكبر في الارض بارائتها للمخاطبين او خالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما ينطق به قوله تعالى
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الى آخره جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام
على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم
على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته
ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف
ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق
بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة
والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع
والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي
وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه كما قبله
الى الحق لا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ الرشد بفتحتين والرشاد وثلاثتها لغات
كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم
الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم
التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى
اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف
الاشعار بعليته في حيز الصلة كيف لا وقد قرن ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية ويجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة
العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محله النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا
وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول
الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك
او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملون من الكفر

ن

ل

والقا

والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما
فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم
مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق
فذلك مشروط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام
جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير
والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى
له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل
عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاول
بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ
اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه
من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه
فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا
اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه للتشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا
غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض
فيها فالكلام حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ
العجل اي تبينوا ضلالهم تبينا كأنهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار
بتعاقبه كأنه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطايانا
وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم
وهو مبدأ الانزال المكفرة لذنوبهم واللام من لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي
عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه
عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام
اوان المسكن في غضبان اسفا والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم
من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك
وكفكم عما لا يحويه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري
واشياعه او قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله
قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين المذكورين
وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم
اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة
اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها الا ما كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام
واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في نهيهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام
بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء
وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد
وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقرئ بالفتح لزيادة التخفيف ولتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني

وكادوا يقتلونني ازاحوا عنهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي
الاعداء اي فلا تفعل بي ما يشمتون بي لسببه لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير
وعزاه ونكون كالخطاب لفعل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
اعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله
ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه فلا تتم
شماتتهم ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران
ما سلف وانت ارحم الراحمين فلا عزو في انتظامنا في سلك رحمتك لواسعة الدنيا والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ان الذين اتخذوا العجل اي استمروا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون
الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الاخرة غضب
اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جرمهم اعظم الجرائم وافجع الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم
او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة
الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء
بلا مساس ... يقولون ذلك اذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق
تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون والغضب امر الله تعالى بقتل انفسهم اعتذر عن السين بانه حكاية
عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب
واسنجيزانه سياق النظم الكريم وسياقه سان عن ذلك ... وكذلك نجزي المفترين ينادي على جلالة
شأنهم بعد ذلك بالاخرة وايضا ليس يجزي الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهره باطنه لطف ورحمة
وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا
الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي بالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد
ما نالهم خلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل
بين الشجرة ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها وامنوا
اي ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة موجبه من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها
اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما
بين تحزب القوم الى مقصود انب اللاشاع الى حال كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي
عنهم من الندم وما تفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل
والقول منزلة الامر به والمغري عليه بطريق التمثيل والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه من الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة
بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون
او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار موسى من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله اختارك
الرجال ... وفيه ان ... من كان يرجى عنده السؤال اي اختار من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار اخر عن الثاني
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا للمقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك
قال السدي امره الله تعالى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا وقال الكلبي

محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوا ويسالوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم فلما اخذتهم الرجفة قالوا لموسى عليه السلام سل لنا ربك
فقال اسالك ... ان ... فقال موسى هذا ... قال اللهم ... اخرج حتى يسمعوا كلامه فذهب ... ما بين ... الى ...
ان ... جبرئيل عليه السلام ... فلما ... سمعوا ... الغمام ... الطور ... حتى ... ثم ... يسمعون
يكلم موسى يامره وينهاه ... فلما اخذتهم الرجفة ... اي الصاعقة ... فماتوا ...
القوم اجترؤوا الى موسى عليه السلام ... وقالوا ... ارنا الله جهرة ... فاخذتهم الرجفة ...
العقلاء وادوا ... قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي ... الامر بعبادة العجل ... على
كلامه ... قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل ... وما ...
عنه ... واياي ... اي ... الذين ... الكلمة ... جرأة ... عليه
السلام ... العفو ... الاستعطاف ... الذنب ... على ...
لا اهلاك ... من ... الاعدام ... بل ... عن هذه الجرأة ...
وحمل الكلام على التمني ... اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون ...
الا ... وقوع الاهلاك ... قال ... ان هي الا فتنتك
اي ... ان هي الا فتنتك ... وقالوا ...
الافتتان ... كلامك ... فافتتنوا ...
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ... اي ... تضل ...
من تشاء ... فلا ... تهدي من تشاء ... انت ولينا
اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ... وارحمنا ...
من ... الولاية ... المغفرة والرحمة ... الافتتان ...
... اغفر لنا ... وارحمنا ... وانت خير الغافرين ...
تذييل ... المغفرة ... ولذلك ... واكتب لنا ...
في هذه الدنيا حسنة اي ... حسنة ... وفي الاخرة
اي ... حسنة ... انا هدنا اليك ... اي تبنا ... اليك ...
... التوبة ... هاد ...
على ...
... العذاب ...
الرحمة ... الغضب ...
عليه السلام ... قال عذابي اصيب به من اشاء ...
موسى ... قال عذابي اصيب به من اشاء ...
والتنبيه ... حسنة ... ورحمتي وسعت كل شيء ...
بان ... اصيب به من اشاء ...
ورحمتي وسعت كل شيء ... في الدنيا المؤمن والكافر ...
نصيب ... العذاب ... الرحمة ...
الدال ... فساكتبها اي اثبتها ...
فساكتبها اي اثبتها واوجبها ...

فسأكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك اكتب لنا في هذه الدنيا اي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون
اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فكيف بهم قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة
للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم لعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات
اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين
هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام
وبما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول
الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور
اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي يوحى اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة
وقيل عنوان الرسالة بالنسبة الى الله تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها
من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة
وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين
او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يامرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون
انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب
عنهم اصلا في التوراة والانجيل اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل
قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف
لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة
من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من ان التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا
المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم
واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم
مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات
وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور
المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل
مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث
اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف
اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم
قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حسبما ينحو اليه تقريبهم من الشفقة البالغة ويتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه
السلام وبين الجواب لا كما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم
بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين
آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما اتى به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين

امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص
رسالة سائر الرسل باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك
العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل
جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة
وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو
الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد
وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره
ووصف الرسول بقوله تعالى النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى
الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح
بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان الكل
هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان
من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما
اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي الرسول
صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون
الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع
في الفعلين لحكاية الحال الماضية قيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا
في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك
الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
القبلة وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا
قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى عليهما
السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد
وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف قوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث
للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى
امما على الاول بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم
العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا مجرد استسقائهم اياه عليه السلام بل استسقائهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى
ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس
والانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فضرب فانبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم
كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بالكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناه
بحيث يلقي عليهم ظله يسير بسيرهم ويسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى
اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل

منه ما يكفيه كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار
بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى لا يتخطاهم
ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة
على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول
مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به
لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد فى التوبيخ اى اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة
على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس وقيل اريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية
عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المأمور به فى سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة
ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى وكلوا منها اى من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية
حيث شئتم اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا
على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اى مسألتنا او امرك
حطة لذنوبنا وهى فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اى باب القرية سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا
على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور فى سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المأمور به هو الجمع بين الفعلين
من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل
او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حياة موسى
عليه السلام قيل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم
خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل
بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال ناشئ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم
فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوه
زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استهزاء بما امره الله عز وجل واستهزاء
بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذى قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا من غير تأخير وفى سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال
من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون
الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر
به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما فى سورة البقرة واما التعليل بالفسق
بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر فى اذ قيل اى واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع
وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التى لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط
به النبى صلى الله عليه وسلم خبرا وليس ذلك بالتلقى من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحى الصريح عن القرية اى
عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هى مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية
التى كانت حاضرة البحر اى قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون فى السبت اى يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ
ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس كذلك اذ لا فائدة فى تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تأتيهم
حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل الاول سوالا لان السؤال عن هذا انهم ادخل فى التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء
لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد فى سائر افراد الجنس من الخواص

بيان

الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة فى تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم عدم التعرض
يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتأتيهم اى تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام
فيه ويؤيده الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اى تأتيهم
يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اى لا يراعون امر السبت لكن لا بالتجرد وعدم المراعاة مع تحقق يوم
السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت
ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تأتيهم
كما كانت تأتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم
مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع
نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة بما كانوا
يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لكن لا فى تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون
سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر فى كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم سبتهم فالجملة بعده
حينئذ استئناف مبنى على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ
بعد العظات والانذارات امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظتهم كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول
لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة فى الاعذار وطمعا فى فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم
بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا او معذبهم فى الآخرة
لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة
وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وانما قالوه
مبالغة فى ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ
فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقى فى قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم
وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو
الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا
معذرة الى الله تعالى حتى لا تنسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم
يتقون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الى آخره ليسوا من الفرقة
الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ واعرضوا عنه اعراضا كليا
بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج
الجواب الذى حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعذبين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما فى حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل
فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعذبون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من المسارعة الى بيان
نجاتهم من اول الامر مع ما فى المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد
وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين
ونقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب وبيس كريس على قلب الهمزة فى بيئس ياء وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون
متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة
وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما فى حيز الصلة لكنه صرح بالعلة المذكورة ايذانا بان العلة هو الاستمرار
على الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه
بل ازدادوا فى الغى فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا التكليفى وترتيب المسخ على العتو على الانهماك

عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصه بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب
البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني
بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها
المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم
الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى
الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا لم تعظون قوما
وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح
الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم
فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا
عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها
خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة ادهى وامر
واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان
العازم على الامر يحدث نفسه به واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي
واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب
وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر
من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعناهم او حال من مفعوله
منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة او من يسير سيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف
اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر
والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يقرؤونها
ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء
الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا
ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتّهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا
تعقلون فيعلموا ذلك فلا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون
بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا
بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك
وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقة لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة

بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها ومحل الموصول اما الجر عطفا
على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط
اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى
فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه
وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الى آخره اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط
عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة
لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا سوق
للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي اذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا
من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان
بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد
للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل عقيب الاجمال وتنبيه
على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول
بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولاد آدم
على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم
اي اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما يتبعها من المعبودية
على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق
من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال
نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث
الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد
والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة
ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا
وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون
هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا
بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب
لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للمذكور وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله
من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا
عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة
من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا
انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا

ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل أفتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين
بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او اتؤاخذنا فتهلكنا الى آخره فان ما ذكر من استعدادهم الكامل
يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدليل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا وقد حملت هذه الكلمة
على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل
الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام
بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام
وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة
فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم
اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق حديث عمر
رضي الله عنه ليس لبيان العقد والاستنزال واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما نطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود ولكن لا بد قبل من ان الله عز وجل
قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط
الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا
حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة
ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة
الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا
يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه
تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا عليكم بذلك لئلا تقولوا يوم القيمة الى آخره لانا نردكم ونكذبكم حينئذ وكذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده
اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة
نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل ذلك التفصيل
المذكور قالوا وان تبدأ بيان وجوز ان يكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على
ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى الحق واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمط المنع عن الجور بعد الكور
والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل
بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله
تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب
بمقام التوبيخ لليهود بهتانهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية
بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة عن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان
بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى
على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين
الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ورد بان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به الذين وقد كان ذلك حالا عليهم
عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية

وضوا

ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه
اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا
فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله
كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك الآيات بان يعمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما
بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان سند ما يؤدي الى نقيض
التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا
رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر
في الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص
كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات تفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها نعم
نعمه ومفضلاته وان نقيضه انما اجاب بسوء اختياره على حسب ما هو عليه لا بالارادة الذاتية سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع
في الآية المذكورة وهو سر جريان السنة القرآنية على اسناد الخير اليه تعالى واختصاص الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية
او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك
اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل السوء في الخسة في ارذل احواله وهي حال دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكان قيل ضرعي الى غاية
الدناءة والخسة واثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الى آخره للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة
وكمال استقراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان
بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء
المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها
الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له
من الاعراب على منهاج قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وكونها
الى معنى التسوية حسبما يحتمل الاستفهام المتناقضين الحكم من قوله تعالى أأنذرتهم ام لم تنذرهم كأنه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان فالاظهر
انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال
بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك
اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه
فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص
القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين
فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته
من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا
لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس
وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل
والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما في جانبه اي ساء مثلا مثل القوم الى آخره او الى التمييز اي ساء اصحاب مثلا القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم
واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة لربط قوله تعالى وانفسهم
كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها والظلم لها

الفر

وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واما ما كان فيه يظلمون للمح الى ان
تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر
النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هولاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد
الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط
العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى
اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة
بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شأنه الايصال اليها كما حقق في تفسير قوله تعالى
هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر ليحتاج الى التزام ما التزم
للاستدلال وحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء
على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يخلق الله فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان
ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور
هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان بان طريق
الهدى واحد وتعدد طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها
والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما او تأخيره عنها
الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق
في الاتصاف بما ذكر من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق
الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة
وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب صفة
اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة
لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاعراق في القساوة
فانها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من
شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه
حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات
فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية
تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء
حالهم في كل منها على استقلالها ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون
بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام
اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها
ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع
والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون
ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من بني آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها
هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شئون الله عز وجل

ولا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه ما ليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته
ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور
وما لا يليق اثر بيان غفلتهم التامة وضلالهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها
عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق
الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد
بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار
بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك
الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره
تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه
تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا توهم
صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما ينبئ عنه
قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة
كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين
فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان
اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار
مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اي بعض من خلقنا او بعض ممن خلقنا امة اي طائفة
كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون
فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام
ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون
وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به
والذين كذبوا بآياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه
الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام
على تكذيبها اي الذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك
شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط
او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ
اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمستنزل الموافقة لهواه بحيث يزعم انه
ترقى في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردى في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا
انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق
عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور
اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقرب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم
واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج
الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه
من الافتنان المبني على مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد المؤذن بمزيد الاعتناء واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي وان الاستدراج
بتوسيط المدبرات فيبقى دلالة نون العظمة على الشركة في ذلك والاحتراز عن ارادتها في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير

لانفسهم اما علي لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه المواد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد
وتأكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا
لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر
فيه اظهار خلاف ما ابطنه فلا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات
التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما اما استفهامية
انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة
والجلسة والتنكير للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها
ولم يتفكروا في اي شيء من جنون كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الهداة الهادية الى الحق على ما انزلت عليه الآيات او في انه ليس بصاحبهم
شيء من جنون حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله
تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت وقيل
ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام
من شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم
بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تأييد الهي
يخبر عن الامور الغيبية اذ ليس عليه السلام من الاول بعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا
ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون
حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى
ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله
عز وجل ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم
ينظروا
في ملكوت السموات والارض استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف
على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر استدلال فيما يدل عليه السموات
والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله فيهما اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما
او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدة الله تعالى وبسائر شؤونه
التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل
واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها
عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان
قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط
الانكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات
القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فبأي حديث
بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون
وضمير بعده للقرآن على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى
اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد

القوية

القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار
وتعجيب لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون
وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل
الله فلا هادي له استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف
اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول
يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل
يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان
مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى
حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض آو الى الكل متساند اليه ومحله
الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره
ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق انها في محل
النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعلق السؤال
بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار
كونها محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه عز وجل حيث قيل
قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف
المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية
والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها
الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية
اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني
عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احدا من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل باظهارها بالذات
عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله
كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها
في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها
من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل
ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا
استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك
حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه
او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطئهم في اصل السؤال باعلام حال المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال
من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطئهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها
اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن

السوال عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اى استيصاله والاحفاء فى المسئلة الالحاف
فيها وقيل عنها متعلق بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفى معترض وصلة حفى محذوفة اى حفى بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة
فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة
وتزوى امرها عن غيرهم وفيه حظ لهم من جهتين وقيل هو من حفى بالشئ بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسوال عنها تحبه مع انك كاره له
لما انه تعرض لحرم الغيب الذى استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم
وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبى عن استتباعها لصفات الكمال التى من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض
بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا فلا يعلمون شيئا
مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يزعمون ان العلم بها
من مواجب الرسالة فيتخذون السوال عنه ذريعة الى القدح فى رسالتك والمستثنى من هولاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين
واما انما سألوا عنها من المؤمنين بطريق الامتحان فهم منتظمون فى سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم قوله تعالى قل لا املك لنفسى نفعا
ولا ضرا شروع فى الجواب عن السوال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذى بنوا عليه سوالهم من كونه عالما بها
مما يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع
والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهانى واللام متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اى لا اقدر لاجل نفسى على جلب نفع
ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان يملكنى من ذلك بان يلهمنى فيمكننى منه ويقدرنى عليه ولكن ما شاء الله من ذلك كائن والاستثناء منقطع
وهذا ابلغ فى اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اى جنس الغيب الذى من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية
ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اى لحصلت كثيرا من الخير الذى نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب
اسبابه ودفع موانعه وما مسنى السوء اى السوء الذى يمكن التفصى عنه بالتوقى عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فانه مما لا مدفع
منه ان انا الا نذير وبشير اى ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأنى حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف
على الغيوب التى لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امرها ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها
فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصى وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام
الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق
بالنذير محذوف اى نذير للكافرين اى الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اى فى اى وقت كان ففيه ترغيب للكفرة فى احداث
الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذى خلقكم استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة فى جراءتهم على الاشراك بتذكير
مبادى احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اى هو ذلك العظيم الشأن الذى خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره
مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه فى مطلع السورة الكريمة اشارة
اجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا ضير فى تقدمه عليه
وجودا لما ان الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود منها اى من جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما
يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى
زوجها مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى
اى ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويعضده قوله تعالى فلما تغشاها اى جامعها حملت
حملا خفيفا فى مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة
الى نعمته تعالى عليهم فى انشائه تعالى اياهم متدرجا فى اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اى فاستمرت
كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف فمارت من المور وهو
المجى والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفيفا عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب

والاذية ولم يستثقلها كما يستثقلونه فمرت به اى فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت
اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما يقابلها الكرب
الذى يعترى بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى آدم وحواء
عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاستهماه وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اى مالك امرهما الحقيق بان يخص الدعاء به
اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية اى
دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالا والله لئن آتيتنا صالحا اى ولدا من جنسنا سويا
لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط
المذكور لما انهما قد علما ان علقة ذلك الحمل المتولد منه سائر افراد الجنس ومعاد لهما ذاتا وصفة وجودا يستتبع لوجوده وصلاحه يستلزم
لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما وللكل
من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل فى سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة فى الاعتناء بشأن ما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل
فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له وانه ما كان لمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما
ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اى جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال فى قوله تعالى فيما آتاهما اى فيما آتى اولادهما من الاولاد
حيث سموهم بعبد مناة وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر فى مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم
وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر فى مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم فى حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا
اى شركة او ذوى شرك اى شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه
ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما فى مثل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء
منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا فى قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله
الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب فى انهما عليهما السلام بريئان
من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما
فى سلك انفسهما والتزما شكرهم فى ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذى عداه ووعداه وتأكيد اليمين
بمنزلة اخلالهما به بالذات فى استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما فى ورطة
الحنث والخلف وجعلوهما كأنهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه
معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين
الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما فى عما اما مصدرية اى عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اى عما يشركونه به سبحانه والمراد به
اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصى من قريش
والمراد بالنفس الواحدة نفس قصى فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية طلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة
بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء
اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمهما
ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملائكة
فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما فى علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه
اياه فى مثل هذا الشأن الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم
على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه فى حقه اى ايشركون به تعالى
ما لا يخلق شيئا اى لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون
عطف على لا يخلق وايراد الضمير بجمع العقلاء مع رجوعه الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء

وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بعدم الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه
في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بالخالق لجميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في
وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم
نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعترتهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم
وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال
منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وهنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها
وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان
تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم
في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالهم في الحالين كما لا يتغير حالكم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون
جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لان باقي او ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم
المستمر وقيل ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الى آخره مما لا يساعده سياق
النظم الكريم وسباقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعي فانه فائز بفضل الدعوة ان الذين
تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة
عباد امثالكم اي مماثلة لكم لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها
بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم
في جلب نفع الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي
فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى
الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية
فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل
من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة
من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة
على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف
بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده
من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في قوله ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام
وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون
بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش
حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم
بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين
فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل
ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات
القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت والزام الحجة اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدوني جميعا انتم وشركاؤكم

وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني
لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل
الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل
الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه
تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم علي حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم
ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود
لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان
لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية
حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر
المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه
الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة
لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله والجملة للمشركين على ان التعليل
قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى
وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يسمعوا اليكم ثم خوطب
عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة
ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم
بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو
ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها
قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله جبريل عليهما السلام فقال لا ادري
حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم
الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي
واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع
استعاذتك قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر
بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه
صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به
عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها دين الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم
طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف
به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوي او اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره فيما سلف تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد
الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم
في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء
وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون

عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له ﴿وإذا لم تأتهم﴾
من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا يريدون أن كلك أن سائر الآيات كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء ﴿قل﴾ ردا عليهم ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي﴾
من غير أن يكون لي دخل ما في ذلك أصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما
إلى الفعل بالنسبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول
آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والتنبيه على تأييده ما لا يخفى ﴿هذا﴾ إشارة
إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلي ﴿بصائر من ربكم﴾ بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب
الإيمان بها وقوله تعالى ﴿وهدى ورحمة﴾ عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى ﴿لقوم يؤمنون﴾ للإيذان بأن كون
القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم المقتبسون من أنواره
والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع
الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول ﴿وأنصتوا﴾ أي واسكتوا
في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم
الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله
فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام
والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت وأما خارج الصلاة
فعامة العلماء على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ على الأول
عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب
من الإجابة ﴿تضرعا وخيفة﴾ أي متضرعا وخائفا ﴿ودون الجهر من القول﴾ أي ومتكلما كلاما دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر
﴿بالغدو والآصال﴾ متعلق باذكر أي اذكره في أوقات الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل أي دخل في الأصيل
موافق للغدو ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن ذكر الله تعالى ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم
عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ بل يؤدونها حسبما أمروا به ﴿ويسبحونه﴾
أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه ﴿وله يسجدون﴾ أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر
المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله
أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا
وكان آدم شفيعا له يوم القيامة صدق رسول الله ع

سورة الأنفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل
الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة
وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها ألمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا
سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون إليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة

في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال
الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعلى الأول هو الظاهر لما أن السؤال
استعلام لحكم الأنفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لبعضها كما ينطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال
عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال
غير منتهض فإن مبناها كما قالوا على الحذف والإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ أي حكمها
مختص بالله تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا
فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها إياهم بل يحققه لأنهم إنما سألوها بموجب شرط
الرسول عليه السلام الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال
بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل إليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق
بالتنفيل وادعاء أن ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إلى ما ذهب إليه مجاهد وعكرمة والسدي
من أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء فنسخت بهذه الآية بقوله تعالى فأن لله خمسه وللرسول
لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ حينئذ أيضا كما قاله
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالا أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية
قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام
للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الأنفال المشروطة يأباه بيان مقام الأحكام كما ينبئ عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار
على أن الجواب عن السؤال الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأن الكريم أصلا وقد روي عن سعد بن أبي وقاص
أنه قال قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله تعالى قد شفى صدري
من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت
إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا
كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه صلى الله عليه وسلم ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة
وحمل ذلك من سعد على مراعاة الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي
لاستحالة أن يعد عليه السلام بما لا يقدر على إنجازه وإعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة أن مناط
صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الأنفال لله تعالى والرسول والغرض أنه المانع من إعطاء المسؤول وكما هو نص في أن قوله عز وجل
﴿فاتقوا الله﴾ أي إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه
أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا أوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه
وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي ما بينكم من الحال التي لملابستها البين تسمى صاحبة له
كما سميت الأمور المضمرة في الصدور ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل
عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا فجعله لرسول الله
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم
وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ بتسليم أمره
وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام وليندرج
الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالأوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أو هو
على الخلاف المشهور وإيثاره لإبراز المقصود وتعليق المعلق تنبيها على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال
والمراد بالإيمان كماله أي إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي وإصلاح

ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة
لما ذكر من الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما
لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ
فرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته اي اية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة
وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما
باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان
الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق الذي بين
يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا
وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون
امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت
للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المبني عن المدح ذكرا لاعمالهم الحسنة من اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث
انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال
القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك
هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهي اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشا من تعداد
مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع
صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار
وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما راوا من كونه
حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك بالمدينة او من المدينة اخراجا متلبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت
عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها
العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونعم القيان والمعازف ببدر فيتسامع جميع
العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد
ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل
صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير
قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر

وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى
عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة مستانفة او حال ثانية
اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما
مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وتتاهب وكان
ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين
يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة
وقصور الراي والخوف من الجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين
مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر
مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع
من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد
اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون
عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم
ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان
للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا
شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا
وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته
ويعليه بكلماته اي باياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر
وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي اخرهم ويستاصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد
معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة
سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه
الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء اخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى
احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق

وابطال الباطل • اذ تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى
حين ضاق عليهم الحال وعيت بهم العلل وامداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من انه تعالى ليحق
مستقبل لانه منصوب بان فلا يعمل في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو علة له من الفعل المقدر
لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لابد من القتال جعلوا
يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك منا
شدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فاستجاب لكم • عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة • اني ممدكم • اي بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول • بالف من الملائكة مردفين • اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم
رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم
ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها • وما جعله الله • كلام مستأنف سيق
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه
والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل
امدادكم بهم • الا بشرى لكم • وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى
لكم بانكم تنصرون • ولتطمئن به • اي بالامداد • قلوبكم • وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد
انتصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم
ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي ما جعله الله شيئا من الاشياء الا
البشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر • وما النصر • اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله • اي الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان
السنة الالهية • ان الله عزيز • لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته • حكيم • يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل
لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة • اذ يغشيكم النعاس • اي يجعله غاشيا لكم
ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون
او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية
والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى • امنة منه • على القراءتين الاوليين
منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر
لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة
بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلة بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة
كرحمة • وينزل عليكم من السماء ماء • تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم

اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن وروده عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه
من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال • ليطهركم به • اي من الحدث الاصغر والاكبر • ويذهب عنكم رجس الشيطان •
الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجس الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال
انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء
وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا
شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك
قوله تعالى • وليربط على قلوبكم • اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه • ويثبت به الاقدام •
ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم
في معارك الحروب وقوله تعالى • اذ يوحي ربك الى الملائكة • منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه
عليه السلام ليس من النعم التي تعرف عليها عامة الامة كسائر النعم التي امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب
بقوله تعالى ويثبت الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الاقدام بتقوية
قلوبكم وقت الايحاء الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس
فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المأمور به
ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى
والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة • اني معكم • اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة
القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة
في تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى • فثبتوا الذين آمنوا • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقيل استماعهم اياهم وتبشيرهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى
قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وقيل بكد حدهم في القتال وسؤالات معنى التثبيت حقيقة التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد
في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله
لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وحملوا قوله تعالى
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب • تفسيرا لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى • فاضربوا • الى آخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا اي ثبتوهم
بحقيقة التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه
فوقعت رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك
فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بانهم قتلتهم للكفرة مع علمهم بملامحهم معنى بعث المؤمنين مما لا يشتمل على الاعداد
بالقاء الرعب فلما يحيه ترتب الامر عليه لقاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سألقي الى آخره ليس بنص على كون ذلك
وذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا المعطى للملائكة ما سيهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا الى آخره فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيأباه
توهم وروده قبل القتال وان تلك السورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى • فوق الاعناق • اي اعاليها التي
هي المذابح او الرؤس • واضربوا منهم كل بنان • قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين
والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم
في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الايدي وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة

الاثر

بالضرب المرتد الشديد والاعتناء بأمره وهو متعلق إما بمحذوف وقع حالاً مما بعده. ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء وقوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلاً واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلاً من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلاً من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه. ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه والإشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد من عنده من يلزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلاً سواء جعل ذلكم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلاً مع أن لكم عذاب النار آجلاً فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلاً وثبوت عذاب النار آجلاً وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلاً والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف. يا أيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهاراً للاعتناء به ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه. إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً الزحف الدبيب يقال زحف الصبي إذا دب على إليتيه قليلاً قليلاً سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج. وانتصابه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفاً وإما كونه حالاً من فاعله أو منه ومن مفعوله معاً كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي عن الأدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الأدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفاً بعيد المعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلاً عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم. ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلاً عن الفرار وقرئ بسكون الباء. إلا متحرفاً لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها. أو متحيزاً إلى فئة أي منحازاً إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سرية فروا وأنا منهم فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون وأنا فئتكم. وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزاً لأنه من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم دبره إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً. فقد باء أي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى

من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن منه تعالى. ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من القتل. وبئس المصير في إيقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقروناً بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب. فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير لما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم. ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم ويجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم أي فاعلموا أو فأخبركم أنكم لم تقتلوهم وقيل التقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على إحدى التأويلين لما روي أنهم لما انصرفوا من المعركة غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت. فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى حيث لم يكن للرامي الظاهر صلى الله عليه وسلم شيء من أفعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول لما أن المقصود الأصلي بيان حال الرمي نفياً وإثباتاً إذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي وكثرته أي حتى أصاب عيني كل واحد منهم ولكن الأثر الجسيم شيء من ذلك أي ما فعلت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لتلك الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها أي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق أفعال العباد على وجه غير معتاد ولذلك أثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فما أثبته الله تعالى وعبر عنه عليه السلام كون أثرها من أفعاله سبحانه لا من أفعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه أي ليعطيهم من عنده تعالى. بلاء حسناً أي عطاءً جميلاً غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره إما متعلق بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية أي وللإحسان إليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعاً وإما برمي فالواو للعطف على علة محذوفة أي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى إن الله سميع أي لدعائهم واستغاثتهم. عليم أي بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة تعليل للحكم. ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن الله موهن كيد الكافرين بالإضافة معطوف عليه أي المقصد إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقيل المشار إليه القتل والرمي والمبتدأ الأمر أي الأمر ذلكم أي القتل فيكون قوله تعالى وأن الله الخ من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففاً ومشدداً ونصب كيد الكافرين. إن تستفتحوا خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين أي إن تستنصروا لأعلى الجندين. فقد جاءكم الفتح حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهكم في المجيء أو فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله. وإن تنتهوا عما كنتم عليه من الحرب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم. فهو أي الانتهاء. خير لكم أي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم. وإن تعودوا أي إلى حرابه عليه السلام. نعد لما شاهدتموه من الفتح. ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لأن تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل أي لن تدفع أبداً. عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم. شيئاً أي من الإغناء أو من المضار. وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه. وأن الله مع المؤمنين أي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك أي والأمر أن الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما أنه مناط لنيل سعادة الدارين وإن تعودوا إليه نعد إليكم بالإنكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر والأمر أن الله مع الكاملين في الإيمان. يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح إحدى التاءين وقرئ بإدغامها. عنه أي لا تتولوا عن الرسول فإن المراد هو الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى في طاعته عليه السلام من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل

الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا
كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا
عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير
للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر
والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون
حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حق لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان
شر الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض
او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم
لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به حيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا
وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه
ثم وصفوا بعدم التعقل بقوله الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور
ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشر وسوء الحال وبذلك
يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس
ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر
ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة
وخروجه عن الحكمة واليه اشار بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه
من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا
اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الى آخره
وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه
قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا
تكرير للنداء مع وصفهم بعنوان الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك
استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية
التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي حيوة القلب كما ان الجهل موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء
قال عليه السلام ما منعك من اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واختلف فيه
فقيل هذا من خصايص دعائه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير فللمصلي
ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم
فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها
بمن باشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل
في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الى آخره وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق النون المؤكدة

لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل
المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء
الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب العذاب من لم يباشر سببه واذكروا
اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف
والخوف مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب
للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم
الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس
على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت
قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة
يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي
لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
من سواري المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما
بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم في ذلك فلا يحملنكم
حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه
فقط يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة
عليه كما في الخطاب السابق ان تتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية
في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم افعل كذا حتى يسطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى
لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الى آخره مسوق لتذكير النعمة الخاصة به
عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم
او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال

ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي
يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار
ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين اذ لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا الى الله سبحانه مما يحسن
للمشاكلة ولا يسوغ ابتداء لما فيه من ايهام ما يجب ان ينزه عنه واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاصهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه
وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا
من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم وقرعهم على العجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف
فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون
من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا
من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى
فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه
التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك حاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه
الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع
غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى
غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي
فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى
زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيد لكمال قبح ما فعلوا من الصد فان مباشرتهم
للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته امر في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم
عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ
بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب
على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون
عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان
استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر

قيل

قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثأرنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها تمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو
انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع (بعد)
ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون
لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون
او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز من التمييز وهو ابلغ
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به
عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى
البعد للدلالة على بعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم على انه خطاب لهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وفيه
الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما تضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد
منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان
انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بالخطاب اي بما تعملون من الجهاد
المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا
ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام
للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم
من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول
وقصد الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط الا السلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام
وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الارض المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله خمسه ومن جعله
خبرا لما الى الخبر وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى الايجاب لما فيه من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس له ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله
وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه
بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة
لدفع توهم اشراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس ونوفل
لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية القسمة عند الشافعي انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم لذوي قرابته
من ذوي قرابته وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء
ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج
ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه
البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم للامام بعده واما عند مالك رحمه الله فهو على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف
الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم للذكر

مثل حظ الانثيين والباقي للغزاة الثلث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بينهم وان راى اعطاه
بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة
لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول
عليه السلام هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلاثة اسهم عندنا قال
القرظي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه المذكور اي ان كنتم
آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بل العلم
المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عُبُدنا وهو
اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل عليهم اذ الكل كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي
لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او
بالفرقان والمراد بما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فيتناول الكل انتظاما
حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان
الملئكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير
يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالضم
شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو
ياء كالدنيا والعليا فرقا بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير
او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم والاستعداد على تشبثهم عادة
وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم
ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وعلا خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن
جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة
للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام
حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك
وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر
اي امر الاقدام وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب الكل بطريق التلوين
والضمير معطوف على المضمر الاول والثاني مفعولا لارى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه
لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل
ان اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا
ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك
بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد
بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد

لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يصفها لان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب
في القتال فاثبتوا اي للقائهم في موطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال استمدوا منه مستعينين به مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء
عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله في كل ما تاتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على العطف
فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على الحرب
ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هو من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية
ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال ونهوا
عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك
انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اول السورة
الكريمة فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون
عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين
الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعُددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى
الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى
الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اي [illegible]
اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله تعالى المسلمين بالملئكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة
فلما راى الملئكة تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع صدر الحارث
فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا
يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخاف ان يصيبني بمكروه من الملئكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن
واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين
او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم
المنافقون والمعتمد العطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم
فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول
وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رايت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين
كفروا الملئكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملئكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل
ضمير عائد الى الله عز وجل والملئكة مبتدا وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول وقد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منه او من الملئكة او منهما لاشتماله على ضميرهما وادبارهم اي استاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب

على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى ويقولون اى الملئكة ذوقوا بشارة بعد الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حد البيان اى لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة
الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم
اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ومحل ان فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا
على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها
معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده حينئذ
بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينين بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته
تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل فرعون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان
ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشىء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم
وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شأنهم الذى استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين
بقبائح الاعمال وفظائع العذاب والنكال والذين من قبلهم اى من قبل آل فرعون من الامم التى فعلوا من المعاصى ما فعلوا ولقوا من العقاب
ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذى فعلوه لا لدأب آل فرعون
ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذى فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم
وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد ما افادته الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل فى استتباع
العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اى فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا و فعل
بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبى الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق
فكذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو
المعتبر فى مدلول الدأب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصى منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة
التامة وقوله تعالى ان الله قوى شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الى آخره استئناف
مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس
ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل لانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته
على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى
على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تحمل ان المعنى رتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل وابعاد عن الحق بمراحل
وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب فى مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اى ترتيب العقاب على اعمالهم
السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بان الله اى بسبب انه تعالى لم يك فى حد ذاته مغيرا نعمة انعمها
اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح فى حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعمها على قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية
صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب اهل مكة الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة
نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام
وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك
يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه فى حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع
عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ ان الله
بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اى كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب

وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير
فى توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما نظيره فى سورة آل عمران حيث وقع هناك الاستئناف فى محل الكاف بعينه مع ما بينهما من قوله تعالى
واولئك هم وقود النار وهذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار فى توسطها قطعا
وقيل فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما مر فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم
بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب فى الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير
النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اى دأب هؤلاء وشأنهم الذى هو عبارة عن التغيير فى المذكورين
كدأب اولئك حيث غيروا احوالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذى فعلوه من تغيير حالهم وقوله تعالى
فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذى فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمة وانما ذكر ما ذكر لما ذكر مع ما فيه من ... فى شأن الفريقين حسبما
فى كل من التشبيهين من احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون
العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب وادخال الكلام فى الفاء فى قوله تعالى بذنوبهم كالذى مر وعطف قوله تعالى واغرقنا
آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل
اى كل من الفرق المذكورين او كل من الاولين او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اى انفسهم
بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم
ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع فى بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى
عند الله اى فى حكمه وقضائه الذين كفروا اى اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل
من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله
فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
اصلا جىء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة اذ لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم
بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التى هى عبارة عن اعطاء العهد
واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم
عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هى للتبعيض لان المباشر للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت
داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته فى كل حال اى ينقضون عهدهم الذى اخذته
منهم فى كل مرة اى من مرات المعاهدة اى التى يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها
عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها
بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد
هى المرات الواقعة اثر المعاهدة بمعنى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا عن البيان ولئن عد ذلك من المحاربة
فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بعد المعاهدة عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات
النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة يستلزم
خروج بعض انواع النقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اى يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع فى بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اى فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب اى فى تضاعيفها فشرد بهم اى ففرق عن مناصبتك تفريقا
عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب من خلفهم بان تفعل بهم من النكال والتعذيب ما يوجب ان ينكل بهم من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة
ودونه اماثل انهم بصدد الحراب من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى فعل التشريد
من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا فيمتنعوا
بالتخصيص عن نقض العهد او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان

الاحكام انما يفعل بالعقل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتى بما لاح لك منهم
من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اى فاطرح اليهم عهدهم على طريق مستو بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا
مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا
فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اى فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد بحيث يستوى فيه اقصاهم
وادناهم او تستوى فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثانى من كلا الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر
بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهى عن المناجزة التى هى خيانة فيكون تحذيرا لرسول صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه
القتال بالآخرة فيكون تحريضا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله
لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اى انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا وافلتوا
من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع ما
يتوهم مع ان معاونة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة مسلكة على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم انما الذى
يمكن ان يدور فى خلدهم حسبان الخلاص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا
وقيل الى الفاعل المحذوف ومن سبقوا اى مع ما فى حيزها ساده مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده
قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله تأمرونى اعبد الآية قال الزجاج
وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة
وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهى على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح
الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين هذا على قراءة الخطاب
لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ العدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدى المؤمنين وفيه نفى لقدرتهم على المعا
والمقابلة على ابلغ وجه وآكده وكما السر وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد
واعدوا لهم توجيه للخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما ان الامر جهته فيما سبق ناظر الى رسول الله صلى الله عليه سلم
وسلم لكونها فى حيزه من وظائفه عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب
بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر
الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم
للخيل التى تربط فى سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها
من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اى تخوفون وقرئ ترهبون
بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اى مرهبين به
او من الموصول او من عائده المحذوف اى اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين
بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد فى العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى
الله يعلمهم اى لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى وما تنفقوا من شئ لاعداد العتاد قل او جل فى سبيل الله الذى
اوضحه الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملة وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم
مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لكمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر فى تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع
عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى مالوا للسلم اى للصلح بوقوع الرهبة فى قلوبهم
بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اى للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها

ما رضيت

ما رضيت والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك
السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون من مقالات الخداع العليم فيعلم
نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحرهم والآية خاصة باهل الكتاب وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اى فاعلم ان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذى ايدك بنصره
تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد
من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سيأتى اى هو الذى ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند
الله او بالملائكة مع خرقه للعادة وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك
من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر
معجزاته عليه السلام لو انفقت ما فى الارض جميعا اى لتأليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة
المطلب وصعوبة المأخذ اى تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات البين جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر
لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن التألف ظاهرا ولكن الله
الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شئ مما يريده حكيم يعلم
كيفية تسخير ما يريده قيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم
فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا
يا ايها النبى شروع فى بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام فى جميع اموره وامور المؤمنين او فى الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة
اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام فى مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفى النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام
بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اى كافيك فى جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن
اتبعك من المؤمنين فى محل النصب على انه مفعول معه اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما فى قول من قال فحسبك والضحاك
سيف مهند وقيل فى موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأى الكوفيين اى كافيك وكافيهم او فى محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى
اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت فى البيداء فى غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى اسلام عمر يا ايها النبى
بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادى نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار
كمال الاعتناء بشأن المأمور به حرض المؤمنين على القتال اى بالغ فى حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة
التى اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت
وقال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف
القلب الذى هو من باب نهكه المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال انى اراك فى هذا الامر حرضا اى محرضا فيه
ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه
تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم
يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بامداد الواحد على العشرة لزيادة التوثيق المفيدة لزيادة مائة
الاطمئنان على انه قد يجرى بين الجمعين القليلين ما لا يجرى بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت بين كل من الجمعين القليلين
والكثيرين على نسبة واحدة يعنى ان ذلك لا يتفاوت فى الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا
القيد معتبر فى المائتين ايضا وقد ترك ذكره هو لا على ذكره هاهنا كما ترك القيد الصبر هنا مع كونه معتبرا حتما تعويلا على ذكره ثمة
بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا
بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغى
والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست

الابقاء الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال فيراد له الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلايم المقام الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا وان يثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهموا بهم فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم مقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاستبداد الى الصال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح في الراي والعقل وبالضم في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن بالتاء فيهما وفيما سبق لتانيث الفئة وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر هيهنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية النصرة والتاييد ولم يتعرض هيهنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما ذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء ان يكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الاخرة اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله كل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب لي فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت وقالوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف

اي قد احللت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملككم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي تاول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى تسلية له عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اخر منهم في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى في التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد تحريكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات تشريف لهم ورفع لمحلهم في الالحاق

واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب • في كتاب الله • اى في حكمه او في اللوح او في القران واستدل
على توريث ذوى الارحام • ان الله بكل شيء عليم • ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطى عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته والله تعالى اعلم بحقيقة الحال •

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة
والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار
بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأباه مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى
مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القران وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء
الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو راي من تصدى لجمع القران دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها آية فذة
من القران انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا
والا لامتنع ان تقع في الاستقبال الآراء واختلاف فيها لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق الحاجة
الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع
في موضع البيان بيان للعدم • براءة • خبر مبتدا محذوف سومه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها للتفخيم اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله تعالى ورسوله واصلة • الى الذين عاهدتم من المشركين
وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بري من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن
تكرير لفظة من وهي مبتدأ تخصصه بالصفة خبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين
ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر
هو وصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات
كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد
الموثق بالايمان المخالف في عام الحديبية وقد كانوا عاهدوا المسلمين واكثر العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم
فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا وانما نسبت البراءة الى الله ورسوله
مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام
للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على راي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة
وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة يقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء
اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب
احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة
اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما الذي باشرها وتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة
انما تعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسب كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية
الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقض والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام
في الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين الخ او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها والتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه • فسيحوا
ارجعوا وسيحوا الذين • في الارض • وانتم آمنون من القتل والاسر مطلق الاستعارة على موجب الطبيعة من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما لبس

مالبس سيروا او نظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم
وشانهم للاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال وتحصيل المهرب عن ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها ولون الخطاب فقرع عن المسلمين ووجهه اليهم مع حصول
المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاعلام واشاعة الامر مع ما في ذلك
من المعنى بطريق الالتفات ايضا كان يقال مثلا فقل لكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم فكان ذلك
امر تهكم بهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسها والثاني على عنوان
كونها من الله العزيز لا لترتب الاول على الثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الى العزة كما قيل من براءة موجبة لما هم
مانسبوا اى تحصيل العدة والاسباب ولعلوا في اعتقاد القتال من كل باب • اربعة اشهر • واعلموا انكم • سياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول
وان ركبتم متن كل صعب وذلول • غير معجزي الله • اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن • وان الله • وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة
وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار • مخزي الكافرين • اي مذلكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب
وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل
المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة القتال فيها ولتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية
وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة
وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على الموسم
سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي
عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما الرغاء
فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا
فقرا عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس
مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده • واذان من الله ورسوله • اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع
براءة والجملة معطوفة على مثلها وما قيل • الى الناس • اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا • يوم الحج الاكبر • هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي
انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع
المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين • ان الله • اي بان الله فحذف الباء لما ان الاذان في معنى القول
بري من المشركين • اي المعاهدين الناكثين • ورسوله • عطف على المستكن في بري او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بري معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم • فان تبتم • من الكفر والغدر
التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على ان الاذان بالبراءة المذكورة بالوعيد الشديد المؤذن
بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم • فهو • اي التوب • خير لكم • في الدارين • وان توليتم • عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزي الله • غير سابقين ولا فائتين • وبشر الذين كفروا • تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان البشارة • بعذاب اليم • وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية • الا الذين عاهدتم من المشركين
استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا
عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله
الى الله لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموا وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرد ببقاء التالي
على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء التالي على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني

يانا به تعالى الاول كذلك وهو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم
مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب
للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب
المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان
المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى مستعار من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا
الاشهر الحرم وانفصل عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشف عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم
من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا
كله وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي ووجهه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد
بالحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح
بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها الاشهر الاربعة
فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من
الاعتناء بشأنها او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد
بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى
الثاني يكون مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم
وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس مما نزل بعد ما نسخها
فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما وهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب
غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الى آخره ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان
عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه
ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على
كاف في النسخ من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم
حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب
في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه
في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على المعنى الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة
المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان بعد ما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رأسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشأنهم لا تتعرضوا
لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل
وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر
والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا على الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل
المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار
على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندنا لا بقوله
استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك
يا ابن ابي يزيد كذا قيل والاولى ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين
وما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد رجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى

او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الى آخره فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة
بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عليه السلام انما يأتيه للامور المتعلقة
بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مأمنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر
بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان
حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها
المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شأنهم والاستفهام انكاري
لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى آخره بل بمعنى انكار الواقع ويكون من الكون التام والناقص وكيف خبر يكون
قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون
عند من يرى عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر
للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما
متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب
على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو اولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين
لان ثبوت الرابطي فرع ثبوته في نفسه فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه
الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني
اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة
ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا وامانا مما يأتونه من عذاب الآخرة كما فصل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا اصل للعهد ثم ذلك
الامر قطعا وان كان مرعيا عند الله وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة
الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم
المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحل الموصول الرفع على الابتداء
خبره الجملة بعده فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمن معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف
اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم [illegible]
والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين
والمراد بهم جنس المعهود وانما لم يخلهم الامر بالاستقامة باتمام العهد لان استقامتهم الى وقت انقضاء العهد المأمور بها عبارة
عن اداء حقوق العهد بعد انقضائه اذ لا عهد لا استقامة فلما خص الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه صرح
ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر
بالاستقامة ايذانا بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة
عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واعادة كيف لتأكيد الاستبعاد وثباتهم على العهد الانكاري لان ما ذكر بصدد التعليل للاستبعاد عن
عدم ثباتهم على العهد [illegible] انما اعيد الاستنكار تأكيدا لما يمهد لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال ما في البين للارتباط والتقريب
وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره وكونه معلوما كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه على تصحيح لا مرجحه اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم
اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب
ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيهما الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة
ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط
بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها انتم على منوال قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا
وقيل الال من اسماء الله عز وعلا اي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وماله الحلف لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه وكان

يتعلق عدم رعاية العهد بالظفر مع ما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين انهم في حالة العجز ايضا
ليسوا من الوفاء في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون لكم الوفاء والمصافاة ويعدونكم
بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة واسناد الارضاء الى الافواه للايذان
بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون
خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتحرزون كما يتعاطى
بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر
او بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها او ما اطعمهم ابو سفيان من الطعام وصرفهم الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم
من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته
الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر المخصوص بالذم محذوف
وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز
وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل في اليهود او في الاعراب
المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو المخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم
هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة
فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم
لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف
بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك
وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اي نبينها والمراد بها ما مر من الآيات
المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا
لقوم يعلمون اي يفهمون الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها
وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم
من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا
بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر عليه المظهر
الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر
اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استئصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين
على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها
ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة
تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد
النكث والطعن مع انه لا حاجة اليه تاباه حالة الاظهار ولعل الاوجه جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة لا يكثوا ولا استمرار
القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ لا ايمان لهم على انه مصدر
بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان
من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام وفي كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال لاستحالة لانه ان حمل على نفي الاسلام مطلقا فهو بمعزل
عن العلية للقتال او للامر به كما قيل النكث والطعن وان حمل على نفيه فيما سياتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال كما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا
لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم عن الطعن في دينكم لعلهم

ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر
العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على لا النافية للانكار والتوبيخ
تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بها فانها كانه امر لا يمكن ان يعترف طائع بتركه لشناعته فيلجأون الى ذلك
ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر
على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
بغيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه عن المدينة وهم بدؤكم بالمعاداة والمقاتلة
اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة
او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه
حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان بتلك الصفات السيئة حقيق بان
لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية
الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه
ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين
عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم على اجمل
ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض
اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم اناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان
ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغلبة شوكتهم والا يكسر لهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر
والمعاصي وللاختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ
لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه لا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال
من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم
بالطريق البرهاني اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص
من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى
ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج
تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا او حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي يطلعه على ما في ضميره من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو مزيح لما
يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الى آخره او حال متداخلة من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال
انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز
كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله
اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله
بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس ومآله بانهم لا يستحقون ان يعمروا سائر المساجد ولا يفخرون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون
نفي الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة

صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة
مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين
متنافيين عبادة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين مما يستدعي انتفاء احدهما
لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ
العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم
محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال
البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم
وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق
الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما فيما خلا
ان اريد جميع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالف لمعنى الحال فان الايجاب ليس كالسلب ويقرأ بالافراد ايضا والمراد ههنا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده
واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان
بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمتي الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات
العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش في امور الدين
الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور
المخوفة فليس من ابواب الايمان ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية ابراز اهتدائهم مع ما بهم
من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى موقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم
بقطعهم انهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف
للمؤمنين وبعث لهم على ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي
في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد
من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن
وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المناسب لتخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة
ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى
على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وحمل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر
بالحرمان ايضا اما على الاول فلتوبيخ المشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك
بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد
واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وهو بين الفساد حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك
على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا عهد به في النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج
الى تقرير الانكار وتأكيده بنفي استوائهم لظهور بطلان تشبيه المعدوم بالموجود والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما ان خلتا

عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون
عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين
الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وبهم توجيه المعنى ههنا والانكار
فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه
للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف مقرر للانكار المذكور ومؤكد له وجعل مفعولي الجعل والرابط
هو الضمير كما قيل اسوتهم منهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك
ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الحكم غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما
موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف
لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد
لانه اعيد بطريق التدارك لما لم يعد فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة
واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون
بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق
كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا
قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج
بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي عن النعمان
ابن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان
اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه
مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا
معه للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى
على هذا التقدير وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح
من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق
او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها
اي في تلك الجنات نعيم مقيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا
تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته
والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة
فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم
فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا
وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه
فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه
على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انه قبل ذلك ربما يؤدي بهم الى الاسلام
بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي احدا منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول للايذان باستقلال
كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا ان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون

هم الظالمون • بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم • قل • تلوين للخطاب وأمر له صلى الله عليه وسلم بأن يثبت
المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيما يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع
علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب • إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم • لم يذكر الأبناء والأزواج
فيما سلف لأن موالاة الأبناء والأزواج غير معتادة بخلاف المحبة • وعشيرتكم • أي أقرباؤكم مأخوذ من العشرة أي الصحبة وقيل من العشرة فإنها
جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم • وأموال اقترفتموها • أي اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم
لحصولها بكد اليمين • وتجارة • أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح • تخشون كسادها • بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم
ومساكن ترضونها • أي منازل تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر
من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل من أن يرجح حبها على
حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم • أحب إليكم من الله ورسوله • بالحب الاختياري المستتبع لأثره
الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة • وجهاد في سبيله
نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشأنه وتنبيها على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره وإيذانا بأن
محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما لأجل عداوتهم فمن يحبهما يحب قتال من لا يحبهما • فتربصوا • أي انتظروا
حتى يأتي الله بأمره • عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة • والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أو القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا أوليا أي لا يرشدهم إلى ما هو
خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه لطف من ربه والله المستعان • لقد نصركم الله • الخطاب للمؤمنين خاصة
في مواطن كثيرة • من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة • ويوم حنين
عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء إلى ما وقع فيه
من قلة الثبات من أول الأمر وقيل المراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم
أي ونصركم يوم حنين • إذ أعجبتكم كثرتكم • بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على أنه لم يكن في المعطوف عليه
كثرة ولا إعجاب إذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف إليه المعطوف أو منصوب بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة
والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا العشرة الآلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار والألفان
من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل
من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الأنصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم
المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فرجعوا فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب
فانهزموا وذلك قوله عز وجل • فلم تغن عنكم شيئا • والإغناء إعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم يعطكم تلك الكثرة ما يدفعون به حاجتكم شيئا
من الإغناء • وضاقت عليكم الأرض بما رحبت • أي برحبها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها مقرا تطمئن
إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه • ثم وليتم مدبرين • روي أنه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين
وناهيك بهذه الواقعة شهادة صدق على أنه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش شأوا قاصيا للعقلاء القاصية وما كان ذلك
إلا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار
فخذا فخذا ثم نادى أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى • ثم أنزل الله
سكينته على رسوله • أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت
حاصلة له عليه السلام قبل ذلك أيضا • وعلى المؤمنين • عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت
أي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو على الكل وهو الأنسب إذ لا ضير في تحقق أصل السكينة

في

ب

في أثناء تبين من قبل والتعرض لوصف الإيمان للإشعار بعلية الإنزال • وأنزل جنودا لم تروها • أي بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا
وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي عليه السلام إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فأخذ كفا من التراب
فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا
في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا وفي قتالهم أيضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا إلا يوم بدر
وإنما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني
رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه
فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا • وعذب الذين كفروا • بالقتل والأسر والسبي • وذلك • أي ما فعل بهم
مما ذكر • جزاء الكافرين • لكفرهم في الدنيا • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء • أي يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه أي يوفقه للإسلام
والله غفور • يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي • رحيم • يتفضل عليهم ويثيبهم روي أن ناسا منهم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبايعوه على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ
ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم
وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري
والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام إنا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء
أنهم قد رضوا • يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس • وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة أو هم ذوو نجس لخبث باطنهم
أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلافه وقرئ نجس بكسر النون
وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس • فلا يقربوا المسجد
الحرام • تفريع على نجاستهم وإنما نهي عن القرب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا
وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل • بعد عامهم هذا • فإن تقييد النهي بذلك يدل على
اختصاص المنهي عنه بوقت من أوقات العام أي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عند أبي حنيفة
وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم
من ذلك وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك • وإن خفتم عيلة • أي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع
ما كانوا يجلبونه إليكم من الأرفاق والمكاسب وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال عائلة • فسوف يغنيكم الله من فضله • من عطائه
أو من تفضله بوجه آخر فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا أغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به
فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض • إن شاء • إن يغنيكم مشيئة تابعة
للحكمة الداعية إليها وإنما قيده بها لينقطع الآمال إلى الله تعالى ولأن الإغناء ليس بمطرد بحسب الأفراد والأحوال والأوقات • إن الله عليم
بمصالحكم • حكيم • فيما يعطي ويمنع • قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله • أمر لهم بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين وبمنعهم من أن
يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من العاقة المؤدية من انقطاعهم عنهم لصاعقة ذلك على بعض طرق الإغناء الموعود على الوجه
الكلي وإرشاد لهم إلى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلية ما في حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم
بسبب ذلك في سلك المشركين فإن اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه • ولا باليوم الآخر • فإن علمهم بأحوال الآخرة كلا علم فإن إيمانهم
المبني عليه ليس بإيمان • ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله • أي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا أو غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون
اتباعه أي يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا • ولا يدينون دين الحق • الثابت الذي هو ناسخ لسائر الأديان وهو دين الإسلام
وقيل دين الله • من الذين أوتوا الكتاب • من التوراة والإنجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت • حتى يعطوا • أي يقبلوا

ان يعطوا الجزية اى ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اى قضاه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل
عن يد حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلّمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك
منع التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اى بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء
مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اى نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه **وهم صاغرون**
اى اذلاء وذلك بان يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهى تؤخذ
عند ابى حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم لا من مشركى العرب وعند ابى يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان او مشركا وتؤخذ
من العجمى كتابيا كان او مشركا وعند الشافعى رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعى
الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروى عن على رضى الله عنه
انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام فى آخر
ما نقل من الحديث غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابى حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على المعتمل
اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغنى بماله اربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن
او صبى او امرأة وعند الشافعى تؤخذ فى آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود** جملة مبتدأة سيقت لتقرير
ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فى سلك المشركين **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اعجمى
كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او جعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم
ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضى الله عنهما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذى قال
ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليهم السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح فى الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا
ما جمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبى لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم
يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعدما اماته مائة عام يقال اتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت فى صدره فلما اتاهم قال انى عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها فقالوا ان الله تعالى
لم يقذف التوراة فى قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله
التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه
عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير
اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها **ذلك** اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة
على بعد درجة المشار اليه فى الشناعة والفظاعة **قولهم بافواههم** اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفى التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان
وتحقيق مماثل للمهمل الموجود فى الافواه من غير ان يكون له مصداق فى الخارج **يضاهئون** اى يضاهى قولهم فى الكفر والشناعة وقرئ بغير همز **قول الذين كفروا**
اى يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا **من قبل** اى من قبلهم وهم المشركون الذين
يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد فى القول حتى يتأتى التشبيه بين قولى الفريقين مع اتحاد المقول له
مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ضعيف كما ترى فانه يستدعى اختصاص الرد
والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى **قاتلهم الله** دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم
انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا **اتخذوا** زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى **احبارهم**
اى علماء اليهود واختلف فى واحده قال الاصمعى لا ادرى انه حبر او حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا
كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب **ورهبانهم** اى علماء النصارى من اصحاب الصوامع اى اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل
اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له فى قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان

ونحوه لا انهم كانوا يعبدونهم قال عدى بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين
يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدى اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه
فقلت بلى قال ذلك عبادتهم وقال الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال انهم ربما وجدوا فى كتاب الله تعالى ما يخالف
اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله **والمسيح ابن مريم** عطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا
انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره فى الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا
اقوى من مجرد الاطاعة فى امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام الى امه من حيث
الدلالة على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة **وما امروا** اى والحال ان اولئك الكفرة
ما امروا فى كتابيهم **الا ليعبدوا الها واحدا** عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته
تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام
وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهى فى الحقيقة اطاعة لله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا
الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح فى ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص
العبادة به تعالى لا يحصل الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخلصوا العبادة له سبحانه **لا اله الا هو** صفة ثانية لالها او استئناف
مقرر للتوحيد **سبحانه عما يشركون** عن الاشراك به فى العبادة والطاعة **يريدون ان يطفئوا نور الله** اطفاء النار عبارة عن ازالة
لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل
اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والحصر ذلك انحصار امكان الازالة فى نورها والمراد
بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اى يريد اهل الكتابين ان يردوا
القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التى من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة **بافواههم**
باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكى عنهم وقيل المراد به نبوة النبى صلى الله عليه
وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث فى الآفاق بنفخه **ويأبى الله** اى لا يريد **الا ان يتم نوره**
باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفى كما اشير اليه لوقوعه فى مقابلة قوله تعالى
يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس فى نفى الارادة اى لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج فى المستثنى
منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفى اظهار النور فى مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف
واشعار بعلة الحكم **ولو كره الكافرون** جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما فى موقع
الحال اى لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشئ اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى ان ولو الوصليتين من التأكيد
وقد مر ذلك مرارا **هو الذى ارسل رسوله** ملتبسا **بالهدى** اى القرآن الذى هو هدى للمتقين **ودين الحق**
الثابت وهو دين الاسلام **ليظهره** اى رسوله **على الدين كله** اى على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان
بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام فى قوله عز وجل **ولو كره المشركون** كما سبق
خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله **يا ايها الذين آمنوا** شروع فى بيان
حال الاحبار والرهبان فى اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع فى اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم فى الاوامر والنواهى واتباعهم لهم فيما
يأتون وما يذرون **ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل** يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام
والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم **ويصدون
الناس عن سبيل الله** عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر فى التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشا او يصدون
عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل **والذين يكنزون الذهب والفضة** اى يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر

والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مسلكوا في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ
الرشا والبرطيل الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله
فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهما اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق
في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض
الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق
فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحو ذلك فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم
خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر
يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل
الاحماء للنار مبالغة ثم حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما
رفع القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال
علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول وللفضة تخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا بالسائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسية التي
هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه
وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا
تمييز مؤكد لما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله
في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة لاثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات
والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله
الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا
منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجع الامر الى ما كان
من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت
حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد
لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت وراثة منهما وكانوا يعظمون
الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم مؤول بارتكاب
المعاصي فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ
ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر
والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع ضميرهم مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وفيه
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره وقيل نسيئا كمنسي او نسي كما
ونسيا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه

شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر
زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم
وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفاعل هو الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على
القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضل ونضل بنون العظمة
يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته
كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره
غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة كان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم
فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الا
زجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا واول من فعله جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية
كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن
لحي بن قمعة بن خندف والجملة تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله
من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم
سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا
فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم
قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة
اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم
انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل متثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار
المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك وقد جوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري
التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ اما هو او الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا
وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت
ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه
عليه السلام بين لهم المقصد ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم
فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل
اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل
عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد
الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستيصال اي قوما مطيعين مؤثرين الآخرة على الدنيا
ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وفي كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصر وكان
وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حين

في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره • اذ اخرجه الذين كفروا • اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه
ثاني اثنين • حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار
كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور
ان ينصب بعده بالفعل ثالثا ورابعا فقد قرئ في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه
السلام ثانيهما لتقدم الصديق امامه ودخوله الغار اولا لكنسه وتسويته كما ذكر في الاخبار محل مستغنى عنه • اذ هما في الغار • بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا • اذ يقول • بدل ثان او ظرف
لصاحبه • اي الصديق • لا تحزن ان الله معنا • بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء
من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد ما فيه من المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه دلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ولا يخفى
ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى • فانزل الله سكينته • امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه • على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا تحوم حوله شائبة خوف اصلا او على صاحبه وهو المنزعج واما النبي عليه السلام فكان
على طمانينة من امره • وايده بجنود لم تروها • عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا • وجعل كلمة الذين كفروا السفلى • يعني الشرك او دعوة
الكفرة فان ذلك لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك • وكلمة الله • اي التوحيد او دعوة الاسلام • هي العليا
لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل
وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين • والله عزيز • لا يغالب • حكيم • في حكمه وتدبيره • انفروا • تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه
والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى • خفافا وثقالا • حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين بسبب
كان من الصحة والمرض والغنى والفقر وقلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا
وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه الصلاة والسلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية • وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله • اي بكليهما ان امكن
او باحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس
الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط • ذلكم • اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لما ان بعد منزلته في الشرف • خير لكم • اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغي تركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد
ان كنتم تعلمون • اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه • لو كان
صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة
هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه • عرضا قريبا • العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ
قريب المنال • وسفرا قاصدا • ذا قصد بين القريب والبعيد • لاتبعوك • في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين
يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط • ولكن بعدت عليهم الشقة • اي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين • وسيحلفون • اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى • بالله • اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين
اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين • لو استطعنا • او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الى آخره اي لو كان لنا استطاعة
من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى • لخرجنا معكم • ساد مسد

جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى
سيحلفون بالله وتصديق لهم والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول قد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت • يهلكون انفسهم • بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايلاك للنفس
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة
الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن • والله يعلم انهم لكاذبون
اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا • عفا الله عنك • صريح في انه
سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه لهم اعتمادا على ايمانهم
وسوء ظنهم لكونها عن المراجع من ترك الاولى والافضل الذي هو التاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل • لم اذنت لهم •
اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوك واعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه السلام
منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار ليس من تلك الاسباب في شيء كانه بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور
صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار
الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم الاستطاعة في بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه • حتى يتبين لك الذين صدقوا •
اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك • وتعلم الكاذبين •
في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى والافضل وتخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى
الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام
اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم
قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه
الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني
باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين
وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق
بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان
محتملا احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا
واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين بان يقال ويعلم الكاذبون مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم
ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين
الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعليق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين
باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما وفي تصدير
فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب
قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية
عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو
مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح
بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق
به قوله تعالى لو خرجوا فيكم الآية وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر
ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام
وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان • لا يستأذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • بيان على انه كان ينبغي ان يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يأذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين

أن يستأذنوك في أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وإن الخلص منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلا عن أن
يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل مستأذن
فيه محذوف ومعنى أن يجاهدوا كراهة أن يجاهدوا أو في أن يجاهدوا والمحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة
الجهاد فيه هو التي القيد به يمتاز المؤمن من المنافق وسواء كان في نفسه أمرا خفيا لا يوقف عليه بادي الأمر لكن علامة أحوالهم لما كانت
منبئة عن ذلك جعل أمرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد أي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة أن يجاهدوا بناء على أن الاستئذان
في الجهاد إنما يكون لكراهته ولا يخفى أن الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستئذان لعلة الكراهة
مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينفى من المؤمنين يجب أن يثبت للمنافقين ظاهرا ليس استئذانهم
في الجهاد لكراهتهم له بل إنما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل
الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بأنهم كذلك وإشعار بأن ما صدر عنهم معلل بالتقوى إنما يستأذنك
أي في التخلف مطلقا على الأول أو لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بهما في الموضعين
للإيذان بأن الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال إنما هو الإيمان بهما إذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحياة الأبدية والنعيم المقيم الخالد
بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم
حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون أي يتحيرون فإن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر
مما لا يكاد يحس معه ولو أرادوا الخروج دليل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل
بحيث لا يمكن الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو أرادوه لأعدوا له أي للخروج في وقته عدة أي أهبة من الزاد والراحلة
والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والإضافة إلى ضمير الخروج كما حذف من العدة من قال وأخلفوك عد الأمر
الذي وعدوا أي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالإضافة ولكن كره الله انبعاثهم أي نهوضهم للخروج وقيل هو استدراك
عما يفهم من مقدم الشرطية فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا وإثباتا في اللفظ كقولك ما أحسن
إلى زيد ولكن أساء والأظهر أن يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا له
عدة ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد فثبطهم أي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له
وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو هو حكاية قول بعضهم
لبعض أو هو إذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين إما المعذورون أو غيرهم وأيا ما كان فغير خال عن الذم
لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم أي ما أورثوكم شيئا من الأشياء
إلا خبالا أي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس كذلك ولأوضعوا خلالكم أي لسعوا فيما بينكم بالنمائم
والتضريب وإفساد ذات البين من وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا أي حملته على الإسراع والمعنى لأوضعوا ركائبهم بينكم
والمراد به المبالغة في الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرئ لأوفضوا أي أسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون
أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم وإفساد نياتكم والجملة حال من ضمير أوضعوا أو استئناف وفيكم سماعون لهم
أي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم أو فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين أي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم أو من فاعله
لاشتمالها على ضميريهما أو مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وقوة العدد بحيث يحصل بمكانهم فيما بين المؤمنين من الجهاد إخلال
عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان المنافقين
القاعدين أشد مستتبعا للخلل كره انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الإذن في قعودهم مع
لا محالة بعض خروجهم لهذه المفاسد أنهم لو قعدوا بغير إذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من أول الأمر ولم يقدروا
على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالأراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش إلى أن يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين
علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتون فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد

في الوعيد والإشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك
وتفريق أصحابك عنك من قبل أي يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك
أيضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الأمور
تقليب الأمر تصريفه من وجه إلى وجه وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول
قلب أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق أي النصر والتأييد
الإلهي وظهر أمر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال أنهم كارهون لذلك أي على رغم منهم والآيتان لتسلية
الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لأجله وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة أعذارهم
تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة إلى الإذن إيذانا بأن ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني أي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والإثم يريد أني متخلف لا محالة أذنت أو لم تأذن فأذن لي حتى لا أقع في المعصية بالمخالفة أو لا تلقني
في الهلكة فإني إن خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مشغوف بالنساء فلا تفتني
ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكن أعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه بمعنى فتنه ألا في الفتنة أي عينها ونفسها وأكمل أفرادها
الغني عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن أن يكونوا مهربا ومخلصا عنها وذلك
بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالإذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة
وفي إفراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف إيذان بأنهم وقعوا فيها وهم يحسبون أنهم ينجون من الفتنة
زعما منهم أن الفتنة إنما هي في التخلف بغير إذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم
في دركات الردى أسفل سافلين قوله عز وجل وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل
تحت التنبيه أي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار أو محيطة بهم الآن تنزيلا للشيء المتوقع
منزلة الواقع أو وضعا للأسباب موضع مسبباتها فإن مبادي إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب
ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الأعمال والأخلاق هي النار بعينها ولكن
لا يظهر ذلك في هذه النشأة وإنما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين إما المنافقون وإيثار وضع
المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة المذكورة وإما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا
أوليا إن تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة أي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم
لك وإن تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد أخذنا أمرنا أي
تلافينا ما يهمنا من الأمر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق
قولا وفعلا من قبل أي من قبل إصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك إلى أن المعاملة المذكورة إنما تروج عند الكفرة بوقوعها
حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما
معا وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك
مصيبة يسروا للإيذان باختلاف حاليهم حالتي عروض المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان
بنوا عليه
مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا أبدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لأنه واوي يقال صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب إلا ما كتب الله لنا أي أثبته لمصلحتنا الدنيوية والأخروية من النصرة عليكم أو الشهادة المؤدية إلى النعيم
الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي أمورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى
بأجمعه وإن كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والأصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف
على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى وإياي فارهبون والجملة إن كانت من تمام

الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار البركة والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر المؤمنين بالتوكل
اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول
بالكلية وان كان امرا لهما واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار بما بينه وبين امره الاول من الفرق في السياق
والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول
وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى
السوءيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله
وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا نشاهد الا ما يسرنا ولا تشاهدون الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم
في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم
والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا
بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا اهل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول الجد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل
ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد
انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول
نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى اي لا يأتونها
في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى
طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة وهو فرض توسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم
ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها
من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين اي الاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل
بهم ما فعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا
من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل
او قلعة او جزيرة واختار صيغة الاستقبال في الشرطية وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام فان معنى قولك
لو احسن الي لشكرته ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان
لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل
هو متعد من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيبون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا
اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ مندخلا
ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون
اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها
فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة
واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الآية في ابي الجواظ
المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي
رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال

ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول
عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه
وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وبما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا
الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات
شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالتهم الباطلة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية
على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة
بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم
ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه
والعاملين عليها اي الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم
ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم
من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد
منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهمهم بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم
وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فيعتق وانما لم يقل والعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين
من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير وللاشعار بوجه استحقاق الصدقة
لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا والغارمين اي الذين تحملوا الديات في غير معصية ولم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم
وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء
الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وذكر الظرف في الاخيرين للايذان بضعفهما في الاستحقاق او لما
مر من ارادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم
لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وعند الشافعي رحمه الله
لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من كل الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه
انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة مفروضة
والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها
ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في جماعة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك
فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون
هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق وانما قالوه لانه صلى الله
عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق
في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله
لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن
خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له
وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان
المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الى آخره وقوله تعالى فما آمن لموسى الى آخره ورحمة عطف على اذن
خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا
لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير

اي يأذن لكم رحمة • والذين يؤذون رسول الله • بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد
على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم • لهم • بما تجرؤوا عليه من أذيته عليه
السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول • عذاب أليم • وهذا اعتراض مسوق من جهته عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد
باثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم
والتنبيه على أن أذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب • يحلفون بالله لكم • الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث أذاة النبي صلى الله عليه وسلم
وأما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار • ليرضوكم • بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام
وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم لما أن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير اليه • والله ورسوله أحق أن يرضوه • أي أحق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة
والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا وأما الأيمان الفاجرة فانما يرضى بها من يقتصر نظره على
الأخبار الى أن يحق الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون أي يحلفون لكم لارضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالارضاء
منكم أي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بأن رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه
وارضاؤه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله واما لأنه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد
والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • أي كأن ذلك لا يقال أي حاجة
الى الاستعارة بعد التأويل المذكور لأنا نقول لولا الاستعارة لم يتيسر التأويل لما أن الضمير لا يتعرض لما يرجع اليه من حيث
الوصف بل أوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لأنه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الأولى
لدلالة الثانية عليه كما في قول من قال • نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف • أو الى الله على أن المذكور
خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد • ان كانوا مؤمنين • جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه أي ان كانوا مؤمنين
فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما أحق بالارضاء • ألم يعلموا • أي أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة
مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ أي ألم تعلموا بما سمعتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فنون القوارع والانذارات • أنه • أي الشأن • من يحادد الله ورسوله • المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة
من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الأفعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى
• فأن له نار جهنم • على أن خبره محذوف أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الظرفية في محل الرفع على أنها خبر لأن وهي
مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وأن تكرير لأن الأولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى
من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال • لقد علم الحي اليمانون أني • اذا قلت أما بعد أني خطيبها • وقد جوز أن يكون فأن له
معطوفا على أنه وجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له الخ ورد بأن ذلك انما يجوز
عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما بلم • خالدا فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر الظرف مسندا الى الاستقرار وحدوثه
وان اعتبر مطلق الاستقرار فحال الاستقرار • ذلك • اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الهول والفظاعة
• الخزي العظيم • الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهوره ولحوق العذاب
الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق • يحذر المنافقون أن تنزل عليهم • في شأنهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم • سورة تنبئهم
بما في قلوبهم • من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع أنه
معلوم لهم أن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر
فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم
كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمائر الأولى للمؤمنين
والثالث للمنافقين ولا بأس بالتفكيك عند ظهور الأمر لعود المعنى اليه أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب

المنافقين وتهتك عليهم أستارهم قال أبو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل • قل استهزئوا • أي افعلوا الاستهزاء وهو
أمر تهديد • ان الله مخرج • أي من القوة الى الفعل أو من الكمون الى البروز • ما تحذرون • أي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم
ومساويكم المستكنة في قلوبكم الفاضح لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد انكارهم لذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس حذرهم
بطريق الحقيقة • ولئن سألتهم • عما قالوا • ليقولن انما كنا نخوض ونلعب • روي أنه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه
ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها
هيهات هيهات فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء
من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر • قل • غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا
عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء • أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون •
حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته • لا تعتذروا • لا تشتغلوا بالاعتذار
وهو عبارة عن محو أثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان • قد كفرتم • قد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلوة والسلام والطعن فيه
• بعد ايمانكم • بعد اظهاركم له • ان نعف عن طائفة منكم • لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ ان يعف على اسناد
الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه أيضا ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم
طائفة • نعذب • بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده • طائفة بأنهم كانوا مجرمين •
مصرين على الاجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الأشجعي
لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم لا أزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك
لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره • المنافقون والمنافقات •
التعرض لأحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق • بعضهم من بعض • أي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان
كأبعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم
وقوله تعالى • يأمرون بالمنكر • أي بالكفر والمعاصي • وينهون عن المعروف • أي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق
ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين أو خبر ثان • ويقبضون أيديهم • أي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد
كناية عن الشح • نسوا الله • أغفلوا ذكره • فنسيهم • فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة • ان المنافقين
هم الفاسقون • الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير كما في قوله تعالى • وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار • أي المجاهرين • نار جهنم خالدين فيها • مقدرين الخلود فيها
• هي حسبهم • عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها • ولعنهم الله • أي أبعدهم من رحمته وأهانهم وفي اظهار الاسم الجليل
من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى • ولهم عذاب مقيم • أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبدا أو لهم عذاب مقيم
معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول
العذاب ان اطلع على أسرارهم • كالذين من قبلكم • التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية أي أنتم مثل الذين
من قبلكم من الأمم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم • كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا •
تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم • فاستمتعوا • فتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في صيغة التفعل من الاستزادة والاستدامة
في التمتع • بخلاقهم • بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه • فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع • الكاف
في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعا كاستمتاع • الذين من قبلكم بخلاقهم • ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم
الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين لمشابهتهم اياهم واقتفائهم
أثرهم • وخضتم • أي دخلتم في الباطل • كالذي خاضوا • أي كالذين باسقاط النون أو كالفوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه
• أولئك • اشارة الى المتصفين بالأوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الأخير فقط فان ذلك يقتضي أن يكون

حبوط اعمال المشبهين خبر انهم مغمومون ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو صورة الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ او الكلم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة • حبطت اعمالهم
ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فانها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها
اجرا حسنا لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر • في الدنيا والآخرة • بطريق المثوبة والكرامة اما في
الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس يترتب عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج • واولئك •
اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين • هم الخاسرون • الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانهم
رؤوس اموالهم التي هي اعمالهم فخاسرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين
للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران • الم ياتهم • اي المنافقين • نبا الذين من قبلهم • اي خبرهم الذي له شان
وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير • قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين • وهم قوم شعيب
والمؤتفكات • قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر • اتتهم رسلهم بالبينات • استيناف لبيان نبائهم • فما كان الله ليظلمهم • الفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك ايثار ما كان عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه
سبحانه عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل • ولكن
كانوا انفسهم يظلمون • للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام
مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض • بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا
والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية
على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة • يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر •
اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر • ويقيمون الصلوة • فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله
تعالى نسوا الله • ويؤتون الزكوة • بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم • ويطيعون الله ورسوله • اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة
وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة • اولئك • اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات
الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة • سيرحمهم الله •
اي يفيض عليهم آثار رحمته من التاييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك • ان الله عزيز • تعليل للوعد
اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه • حكيم • يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق والنعمة والنقمة الى مستحقيها
من اهل الطاعة واهل المعصية او وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم
متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين • وعد الله المؤمنين والمؤمنات • تفصيل لآثار رحمته الاخروية
اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض
من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل
كيفا وكما • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • فان كل احد منهم فائز لا محالة • ومساكن طيبة • اي وعد بعض الخواص الكل
منهم منازل تستطيبها النفوس او تطيب فيها العيش وفي الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر • في جنات عدن • اي
ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة
آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتها فعدن

على هذا علم ووصل بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة
في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم ما هو اعلى من ذلك كله فقال • ورضوان من الله • اي وشيء يسير من رضوانه
اكبر • اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق
في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا • ذلك • اشارة
الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة • هو الفوز العظيم • دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها
مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال • والله لو كانت الدنيا باجمعها • تبقى علينا
ويأتي رزقها رغدا • ما كان من حق حر ان يذل لها • فكيف وهي متاع يضمحل غدا • يا ايها النبي جاهد الكفار • اي المجاهرين منهم بالسيف
والمنافقين • بالحجة واقامة الحدود • واغلظ عليهم • في ذلك ولا تاخذك بهم رافة قال عطاء نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح
ومأواهم جهنم • جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية • وبئس المصير • تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف
يحلفون بالله ما قالوا • استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد
منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله
ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك
ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا
مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم رضوا بقوله فصاروا كانهم القائل • ولقد قالوا كلمة الكفر • هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها
اعتراض • وكفروا بعد اسلامهم • اي اظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام • وهموا بما لم ينالوا • هو الفتك برسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها
وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم
يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وما نقموا • اي ما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم • الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله • سبحانه
وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من
اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم
فان يتوبوا • عما هم عليه من الكفر والنفاق • يك خيرا لهم • في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض
الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته • وان يتولوا • اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض
عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض • يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا • بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات
والآخرة • بالنار وغيرها من افانين العقاب • وما لهم في الارض • مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهاليها المصححة لوجدان ما نفي بقوله
عز وجل • من ولي ولا نصير • ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة • ومنهم • بيان لقبائح بعض آخر منهم • من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن • لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات • ولنكونن من الصالحين • قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة
فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاق بها

المدينة فنزل اوديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه
الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى راى وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اى منعوا
حق الله منه وتولوا اى اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء
ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل ذلك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني
فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان
رضي الله عنه وقيل نزلت في نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة
اى وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اى تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاعقبهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اى بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما
كانوا يكذبون اى وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل عن المزية فان سببية الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب تقتضي اسنادها الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين
لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت افعال العباد على الترتيب والتفريع منه عز وجل رتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من
التصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض فيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو
المدار لذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الدال الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين
فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اى ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن
وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى للايذان بسعة علمه سبحانه وتعالى وان علمه بالغيب والشهادة سواء وان الله
علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة
وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم
الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم
من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اى يعيبون
المطوعين اى المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقيل باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر فقال ابو عقيل بت ليلتي اجر بالجرير
على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اى يلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر
جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اى يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير
سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اى ثابت لهم عذاب اليم
التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم
وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر لهم
ويترك ليظهر له جلية الامر كما في قوله عز وجل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لاحافظن على ما هو الاصل من الزيادة على

الاعداد اعداد معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها
اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد
غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اى ذلك الامتناع
ليس لعدم الاعتداد بالاستغفار بل بانهم اى بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية
موصلة الى المطلوب واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد
لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي
صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار
لهم بعد تبين حالهم كما يستبين من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اى الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود
عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيط اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اى بقعودهم
وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اى بعدهم ظعنوا ولم يظعن
ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة
من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام او على انه حال
احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله لا ايثار الدعة والخوض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق وفي ايثار احد الامرين قد يحصل بالاخر
رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية ولما ادرجه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد
في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافتح القبائح الذي
هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لاخوانهم تثبيطا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او قالوا للمؤمنين
تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال
الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم
التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها
بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو
اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي وان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لما تأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على
ان يجعل للتمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء
الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور
السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا
واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادة الاول
وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز
ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون
من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اى ليبكوا
جزاء او مصدر حذف ناصبه اى يجزون بما ذكر من البكاء جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي
على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اى فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين من المتخلفين

في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة
عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى
بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم
بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر منهم من الرضى بالقعود اي اذ رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وهم الحابسون على القصور فكان
محو اساميهم عن دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر
على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها
على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره
الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة
او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعناه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أتصلي على عدو الله
القائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى فرغ الله ما لبث الا يسيرا
حتى نزل ولا تصل الى آخره فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان
الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم على انه كان مكافأة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والحديث مشهور انهم كفروا بالله
ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر
بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون على الكفر خارجون عن حدوده كما هو معنى الفسق ولا تعجبك
اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاعتبار وقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال
هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد لكل احد من الاباء
والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ
الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية
كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق
ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر
في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول
والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم
اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود
ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم للامر
وان لم يرد والاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع ما فيه من الاشعار بالشأن من القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالف من لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة
وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله
في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة
والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله عز وجل فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب

لا من حاز بعضا من حظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة لتنويه شأنهم وربأ مكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان كونهم
مفلحين اي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك
اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر
في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا
ان لنا عيالا وان بنا الجهد فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا
ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا
بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي
والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا
في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء
الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم
بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما
والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل
استئناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله
غفور رحيم تذييل مؤكد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم عطف على المحسنين كما هو في قوله عز وجل [illegible] السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلاة والسلام
لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي
من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب
اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ
من يفيض دمعها لافادته ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية
او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا لاجله او حزينين او يحزنون
حزنا فتكون هذه الجملة حال من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة بحزنا او بتفيض لئلا يجدوا ما ينفقون
في ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنوك في التخلف وهم اغنياء
واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا
بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم
بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخباثة شأنه عاجلا يعتذرون اليكم
استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاءوا يعتذرون
اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار

الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لانجا ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلما بعده وقوله تعالى لن نؤمن لكم اى لن نصدقكم فى ذلك ابدا فانه استئناف تعليلى للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق فى الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحى بعض اخباركم المنافية للتصديق كما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه فى ضمائركم وهممتم به للابراز فى معرض الانعكاس لا الكاذب وجمع ضمير المتكلم فى الموضعين للمبالغة فى حسم اطماعهم من التصديق انبا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم فى تصديق الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتى اتتوبون الى الله تعالى مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على الفاعل عطف على ما علم من قوله ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الى آخره فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين فى الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها وليس للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الا والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اى انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الى آخره بل هو امر مبتدأ لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم صفح رضى فلا توبخوهم ولا تؤنبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضى كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح فى ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحانى واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اى كفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون فى الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف لظهوره اى يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما ارادوا وساعدتموهم فى ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم فى ذلك والمراد به نهى المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله سبحانه مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضى رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هى صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سكان البوادى ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابى وقال اهل اللغة رجل عربى وجمعه العرب كما يقال مجوسى ويهودى ثم يحذف ياء النسبة فى الجمع فيقال المجوس

واليهود ورجل اعرابى ويجمع على الاعاريب والاعراب اى اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم فى معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما فى قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر الا يعلموا اى احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع فى تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع فى بيان تشعب جنس الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم فى الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب بعض لا المصر على الكفر والنفاق بعد بيان ما يعمهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة يأباه ان ما بعده كون من يحكى حاله بعضا منهم وهم الذين بعد الا قد من اهل النفاق دون غيرهم وهم اعراب اسد وغطفان وتميم كما يحكى لا يساعده ما سيأتى من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الى آخره فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اى ومن جنس الاعراب الذى نعت ببعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اى يعد ما يصرفه فى سبيل الله ويتصدق صورة مغرما اى غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهى غرامة محضة وما فى صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعنى كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشئ والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اى ينتظر بكم دوائر الزمان ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلى به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيف اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه ذام لها وهى من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت فى الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضى معنى السوء فانما هى اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم اى العذاب والله سميع بما يقولون عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التى من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اى من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اى يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اى ينفقه فى سبيل الله تعالى قربات اى ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات وافرادها وهى ثانى مفعولى يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اى وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابى اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر فى الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين فى شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغنى عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما عقدوا عليه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغنى عن الجمع اى قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفى ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفى التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقى قيل هذا فى عبد الله ذى البجادين وقومه وقيل فى بنى مقرن من مزينة وقيل فى اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشئ من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين اسلموا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اى متلبسين به والمراد كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية

رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب
واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك
الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة وممن حولكم من الاعراب
شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي وممن حول بلدكم منافقون وهم
جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى
مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور
فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيم هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا
وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه
اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول
النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت بعنوان نفاقهم لا باعيانهم واسمائهم
بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم
مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى انهم
فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا تعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل علمه عليه السلام
بعد يحيى هذا البناء على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل
نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه
من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر من تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا فضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني
اما القتل واما عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات العارية عن الثواب
ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى
فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير الاسلوب باسناد عذابهم
السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم
وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة
من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي
هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر
عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد احتمالها وارتكابها من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان
الفاجرة حسب ديدنهم المالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال عليه السلم
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة
وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وندمهم وذمهم انفسهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لاستدعائه وجه نوع
تباين المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن
يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر
بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة
بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا من التخلف عن الغزوة والاثم ومثل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما

بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات
التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها وكما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك
لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار
التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال
من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا
على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فهو ان جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا ان جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة
للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم
اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم
اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف
بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم
عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقررة لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء
والضمير اما للتائبين والمعنى تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم اي الم يعلموا قبل قبول توبتهم
واخذ صدقاتهم هو آخذ منه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلموا او ليعلم التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة
عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار
بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف
او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي الذي هو قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية
وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي
الم يعلموا انه المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في حيز النصب
بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا
كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ان التائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والاعظام
في سلك المؤمنين التي تحبس القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل
الصالح الذي من جملته التوبة والاولى في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال ظاهره
ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب
والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون
في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم
ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح
والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة
في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة
غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلول فوجب
سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم
ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم

منه بما يعلمونه فيكشف لك وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة وانما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه في حالته الثانية
فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة
بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة
ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه
المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شانهم على اختلاف
فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل
ان اصروا على النفاق وليس كذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب
على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته مع الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم
فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم
وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد
لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين
للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عليه السلام
حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا
اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله عليه الصلوة والسلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف
والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون
في مسجد قباء مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا او انتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله
وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل
ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببنائه
هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه اي في ذلك المسجد ابدا لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء
فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم اي والله لمسجد على التعدد ان مسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله
من اول يوم اي من ايام وجوده متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال
جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمسجد او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال
ففيه تحقيق للوعد لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به لا لاستحقاق في مسجد الضرار وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله

وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المنافي لما يكون باعتبار زعم الباني ومن شانه الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اي
يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه
السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع
الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام
في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم
فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس
واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد
قباء والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واشفى على الانهدام والهار الهائر المتصدع
المشرف على السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب فتجري وجوه الاعراب
على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار
ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او للواضعين للاشياء
في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا
ريب لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة
واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة
اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم
ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به
ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعف آثاره واحكامه وسببه في امرهم حتى ضعف قلوبهم وهي اعتقادهم لخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا
من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك ووقت اختلاطهم بالمؤمنين ووسائطهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف
وتقوى وصار دائما في انهم تابعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة
حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التاءين
اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال
ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطعها فحينئذ يسلون عنها
واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في
النار وقرئ يقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ
على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا
الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا
على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد وبيان لفضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك

ان الله

على وجه لازم عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى
على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر
على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كأنه
قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة
موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط الدلالة ما عليه النظم الكريم على لو
لم تكن بجملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال لو جنة الى سيحصل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض
الموعود لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى
ليس بنفس اشترائه تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم
بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون
بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع
بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم
بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احد ايضا كما اذا وجد المضاف اليهم فانه يتحقق بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية
للايذان بعدم الفرق في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا
بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون في معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان
صفة له وقوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القرآن
ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد
مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون
احد اوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف
وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما
قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد
ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى
الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى وعن الحسن
رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا
فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال
كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من
انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني
لقوله تعالى فاستبشروا وتقرير لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح
او ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله
تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون

لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانها عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك
والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود
الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليها فللايذان باختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت
المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان
بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتنائهم من الترغيب والبشارة ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده
اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي
ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في قوله تعالى ولو كره الكافرون
ونظائره روي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه السلام والمؤمنين انهم
اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله
واغفر لابي اي بان يوفقه للايمان ويهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع
ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة
استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم
عليه السلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره
والا لما وعدها اياه كما فصل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي
لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه
بالعداوة مما ينافي حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان
يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار
قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم
فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن
الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات
الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفي الآية تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك
وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء
التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير
شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم
رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر الا من جهته تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين
عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه
والمهاجرين والانصار قيل هو ما صدر عنهم من زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد ذكر فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج
اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره
في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد

ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا
عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل تلك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة
الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلأن لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان
لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ تزيغ بالتاء وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة
واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رؤف رحيم استئناف تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني
عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا اي
وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم تقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم
بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لقوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخلف ولا يناسب
الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم
عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي ذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء
لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا انه لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى
ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام
عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب
فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق عليه السلام قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه لا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري
ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما رأى سواده كن ابا ذر فقال
الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا راكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة
قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له
ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه السلام معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول
الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر
يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا
وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في امر المغازي قولا وفعلا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا
او في كل شان من الشؤون فيدخل ما ذكر من توبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر
المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة
واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز الجزم
بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
اي لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عندها المحرمات من تنكيرها فان الظمأ
والنصب اليسيرين حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا وتجويز ان يراد بها تلك المرتبة
ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور وتوسيط كلمة لا حينئذ
ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤون موطئا
يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر
كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة
مستوجبة لحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان
كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر
مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين
وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر
من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون
اي لا يجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع
في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن
ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا
لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة
منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم
وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد
كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان
عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يتواتر
لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا
ولينذروا للبواقي الذين بعد النافرين للغزو وفي رجعوا للنافرين اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته الاقربين
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب
من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه
المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة فقد ذكر

وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القران فمنهم اي من المنافقين من
يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفائهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم
على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الى آخره وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين
حسبما نطق قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب
من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها
وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وعقايد باطلة واخلاقا ذميمة وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة
للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة
او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف
بين يدي رب العزة فيؤدي الى الانابة اليه تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما نزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزائدة
للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم
يذكرون والمعنى او لا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر
والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي لا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك
فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ
كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من
هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا
يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس واريد بهم الخطاب بعث المخاطبين على التحدي انتهاز
الفرصة فان المرتاب اكثر اهتماما بشأن اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب
المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا
جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية
او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول
رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق
عليه شديد عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم
في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة
على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر
ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وسورة

قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق
الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح

الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك
اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضورها باعتبار تمام ذكرها الذي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها
كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الى آخره واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها
بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ
خبره قوله تعالى آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل
والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم
وان لم ينزل الكل حينئذ واما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انزاله جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور
فانه تعالى الكتاب كما سماه بهذا الاسم وبالقران في عهد النبوة ولما حصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقران
باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع ما نزل في كل عصر الا ترى الى ما روي
عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير
له الى احدهما قدمه في اللحد فان المراد بالقران الذي ذكر الوقت وكانوا يحافظون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير
تحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا انزاله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة
ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد حمل الكتاب
عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها
او الامر بذكرها او بقراءتها ومعنى ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه
ولا للتخصيص بالوصف بالمشار اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولا في شأن اتصاف كل منها بالكمال
من المبالغة ما في شأن اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه
على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين لا ذكر من نعوت الكمال لا ان شهرة اتصاف كل سورة
منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يتحقق مدح السورة بانها بعض من القران الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه
لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله
والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون
الى آخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان
زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر
اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث
ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل
فمراعاة الاصل يوقع خلال تجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان
ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة والمختار حينئذ ان تجعل كان تامة وان اوحينا متعلق بعجب على حذف حرف التعليل
اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان
كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما اصل انكار الناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه
من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افناءهم من حيث المال
لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول
فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط

الاصطفا للنبوه والرساله هو التقدم فی الاتصاف بما ذکر من النعوت الجمیله والصفات الجلیله والسبق الی احراز الفضائل العلیه
وحیازه الملکات السنیه جبله واکتسابا ولا ریب لاحد منهم فی انه صلی الله علیه وسلم فی ذلک الشان فی غایه الغایات القاصیه ونهایه
النهایات النائیه واما التقدم فی الریاسه الدنیویه والسبق فی نیل الحظوظ الدنیه فلا دخل له فی ذلک قطعا بل له اخلال به غالبا
قال علیه السلام لو کانت الدنیا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقی الکافر منها شربه ما ان انذر الناس ان مصدریه
لجواز کون صلتها امرا کما فی قوله تعالی وان اقم وجهک لان الخبر والانشاء فی الدلاله علی المصدر سیان فساغ وقوع الامر والنهی صله
حسب وقوع الفعل فیجرد عند ذلک عن معنی الامر والنهی نحو تجرد الصله الفعلیه عن معنی المضی والاستقبال ووجوب کون الصله
فی الموصول الاسمی خبریه انما هو للتوصل بها الی وصف المعارف بالجمل لا لقصور فی دلاله الانشاء علی المصدر او مفسره لان الایحاء فیه معنی
القول وقد جوز کونها مخففه من الثقیله علی حذف ضمیر الشان والقول من الخبر والمعنی ان الشان قولنا انذر الناس والمراد
جمیع الناس کافه لا ما ارید بالاول فهو لکنه ایثار الاظهار علی الاضمار وکون الثانی عین الاول عند اعاده المعرفه لیس علی الاطلاق
وبشر الذین آمنوا بما اوحیناه وصدقوا ان لهم ای بان لهم قدم صدق ای سابقه ومنزله رفیعه عند ربهم وانما عبر عنها
بها اذ بها یحصل السبق والوصول الی المنازل الرفیعه کما یعبر عن النعمه بالید لانها تعطی بها وقیل مقام صدق والوجه ان الوصول الی المقام
انما یحصل بالقدم واضافتها الی الصدق للدلاله علی تحققها وثباتها وللتنبیه علی ان مدار نیل ما نالوه من المراتب العلیه هو صدقهم فان التصدیق
لا ینفک عن الصدق قال الکافرون هم المتعجبون وایرادهم ههنا بعنوان الکفر مما لا حاجه الی ذکر سببه وترک العاطف لجریانه
مجری البیان للجمله التی دخل علیها همزه الانکار او لکونه استئنافا مبنیا علی السؤال کانه قیل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا علی التردد
والاستبعاد او قطعوا فیه بشیء فقیل قال الکافرون علی طریقه التاکید ان هذا یعنون به ما اوحی الی رسول الله صلی الله علیه وسلم
من القرآن الحکیم المنطوی علی الانذار والتبشیر لسحر مبین ای ظاهر وقری لساحر علی ان الاشاره الی رسول الله صلی الله علیه وسلم
وقری ما هذا الا سحر مبین وهذا اعتراف من حیث لا یشعرون بان ما عاینوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوی والقدر
ولکنهم یسمونه بما قالوا تمادیا فی العناد کما هو دیدن المکابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربکم کلام مستانف سیق لاظهار بطلان تعجبهم
المذکور وما بنوا علیه من المقاله الباطله غب الاشاره الیه بالانکار والتعجیب وهو فی حقیقه تعجبا منه وصحه ما انکروه بالتنبیه الاجمالی علی بعض
ما یدل علیها من شؤون الخلق والقدره واحوال التکوین والتدبیر ویرشدهم الی معرفتها بادنی تذکیر لاعترافهم به من غیر نکیر کقوله
تعالی من رب السموات السبع ورب العرش العظیم سیقولون الله قل فانی تؤفکون وقوله تعالی قل من یرزقکم من السماء والارض
الی قوله تعالی ومن یدبر الامر فسیقولون الله ای ان ربکم ومالک امرکم الذی تعجبون من ان یرسل الیکم رجلا منکم بالانذار والتبشیر
وتعدون ما اوحی الیه من الکتاب الحکیم سحرا هو الله الذی خلق السموات والارض وما فیهما من اصول الکائنات فی سته ایام
ای سته اوقات او فی مقدار سته ایام معهوده فان نفس الیوم الذی هو عباره عن زمان کون الشمس فوق الارض مما لا یتصور تحققه حین
لا ارض ولا سماء وفی خلقها مدرجا مع القدره التامه علی ابداعها دفعه دلیل علی الاختیار واعتبار للنظار وحث لهم علی التانی فی الاحوال
والاطوار واما تخصیص ذلک بالعدد المعین فامر دقیق استاثر بعلمه علام الغیوب جلت قدرته ودقت حکمته وایثار صیغه الجمع فی السموات
لما هو المشهور من الاذان بانها اجرام مختلفه الطباع متباینه الآثار والاحکام ثم استوی علی العرش العرش هو الجسم المحیط
بسائر الاجسام سمی به لارتفاعه او للتشبیه بسریر الملک فان الامور والتدابیر منه تنزل وقیل هو الملک ومعنی استوائه سبحانه علیه استیلاؤه
علیه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء علی العرش علی الوجه الذی عناه منزها عن التمکن والاستقرار وهو بیان لجلاله ملکه وسلطانه و
بعد بیان عظمه شانه وسعه قدرته بما مر من خلق هاتیک الاجرام العظام یدبر الامر التدبیر النظر فی ادبار الامور وعواقبها لتقع علی الوجه
المحمود والمراد ههنا التقدیر علی الوجه الاتم الاکمل والمراد بالامر امر ملکوت السموات والارض والعرش وغیر ذلک من الجزئیات الحادثه شیئا فشیئا
علی اطوار شتی واحکام لا تکاد تحصی من المناسبات والمباینات فی الذوات والصفات والازمنه والاوقات ای یقدر ما ذکر من امر الکائنات
الذی ما تعجبوا منه من امر البعث والوحی فرد من جملته وشعبه من دوحته ویهیء اسباب کل منها حدوثا وبقاء فی اوقاتها المعینه ویرتب مصالحها
علی الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضیه الحکمه وتستدعیه المصلحه والجمله فی محل النصب علی انها حال من ضمیر استوی وقد جوز کونها خبرا ثانیا
لان او مستانفه لا محل لها من الاعراب مبنیه علی سؤال نشا من ذکر الاستواء علی العرش المنبئ عن اجراء احکام الملک علی کل حال فا

فاشار

فاشار صیغه المضارع للدلاله علی تجدد التدبیر واستمراره وقوله عز وجل ما من شفیع بیان لاستبداده سبحانه بالتقدیر والتدبیر
ونفی للشفاعه علی ابلغ الوجوه فان نفی جمیع افراد الشفیع بمن الاستغراقیه یستلزم نفی الشفاعه علی اتم الوجوه کما فی قوله تعالی لا عاصم الیوم
من امر الله وفیه تحقیق لقوله تعالی یدبر الامر جار مجری قوله تعالی وهو یجیر ولا یجار علیه عقیب قوله تعالی قل من بیده ملکوت کل شیء وقوله تعالی
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات ای ما من شفیع یشفع لاحد فی وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبنی علی الحکمه الباهره وذلک
عند کون الشفیع من المصطفین الاخیار والمشفوع له ممن یلیق بالشفاعه کقوله تعالی یوم یقوم الروح والملائکه صفا لا یتکلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا وفیه من الدلاله علی عظمه جلاله سبحانه ما لا یخفی ذلکم اشاره الی المعلوم بتلک العظمه ای ذلک العظیم الشان المنعوت
بما ذکر من نعوت الکمال التی علیها یدور استحقاق الالوهیه الله وقوله تعالی ربکم بیان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشاره وهذا
بعد ما ثبت ان ربکم الله الذی خلق السموات والارض الی آخره لزیاده التقریر والمبالغه فی التذکیر ولتفریع الامر بالعباده علیه بقوله تعالی فاعبدوه
ای وحدوه من غیر ان تشرکوا به شیئا من ملک او نبی فضلا عن جماد لا یبصر ولا یسمع ولا یضر ولا ینفع وامنوا بما انزله الیکم افلا تذکرون
ای اتعلمون ان الامر کما فصل فلا تذکرون ذلک حتی تقفوا علی فساد ما انتم علیه فتدعوا الیه لا الی احد سواه استقلالا او اشتراکا
مرجعکم ای بالبعث کما ینبئ عنه قوله تعالی جمیعا فانه حال من الضمیر المجرور لکونه فاعلا فی المعنی ای الیه رجوعکم مجتمعین والجمله کالتعلیل لوجوب العباده
وعد الله مصدر مؤکد لنفسه لان قوله عز وجل الیه مرجعکم وعد منه سبحانه بالبعث والفعل مقدر ای وعد الله وعدا وما کان فهو دلیل
علی ان المراد بالمرجع هو الرجوع لان ما بالموت بمعزل من الوعد کما انه بمعزل من الاجتماع وقری بصیغه الفعل حقا مصدر آخر مؤکد لما دل
علیه الاول انه یبدأ الخلق وقری یبدئ ثم یعیده وهو استئناف علل به وجوب المرجع الیه سبحانه وتعالی فان غایه البدء والاعاده
هو جزاء المکلفین باعمالهم حسنه وسیئه وقری بالفتح ای لانه ویجوز کونه منصوبا بما نصب وعد الله ای وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته او مرفوعا
بما نصب حقا ای حق حقا بدء الخلق ثم لیجزی الذین آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ای بالعدل وهو حال من فاعل یجزی ای ملتبسا بالعدل
او متعلق بیجزی ای لیجزیهم بقسطه ویوفیهم اجورهم وانما اجمل ذلک ایذانا بانه لا یفی به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ایمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحه
وهو الانسب بقوله عز وجل والذین کفروا لهم شراب من حمیم وعذاب الیم بما کانوا یکفرون فان معناه ویجزی الذین کفروا بسبب کفرهم وتغییر
الاسناد بجعل الجمله الظرفیه خبرا للموصول للتقویه والحکم والجمع بین صیغتی الماضی والمستقبل للدلاله علی مواظبتهم علی الکفر وتغییر النظم الکریم للاشعار
بکمال استحقاقهم للعقاب وان التعذیب بمعزل عن الانتظام فی سلک العله الغائیه للخلق اولا واعاده ثانیا وانما یحیق بالکفره علی موجب احتیاجهم
وان المقصود الاصلی من ذلک هو الاثابه هو الذی جعل الشمس ضیاء تنبیه علی الاستدلال علی وجوده تعالی ووحدته وعلمه وقدرته
وحکمته باثار صنعه فی النیرین بعد التنبیه علی الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء علی العرش وغیر ذلک وبیان لبعض افراد
التدبیر الذی اشیر الیه اشاره اجمالیه وارشاد الی انه حیث دبر امورهم المتعلقه بمعاشهم هذا التدبیر البدیع فلان یدبر مصالحهم المتعلقه بالمعاد بارسال
الرسول وانزال الکتاب وتبیین طرائق الهدی وتعیین مهاوی الردی اولی واحری والجعل ان جعل بمعنی الانشاء والابداع فضیاء حال من مفعوله ای خلقها
حال کونها ذات ضیاء علی حذف المضاف او ضیاء محضا للمبالغه وان جعل بمعنی التصییر فهو مفعوله الثانی ای جعلها ضیاء علی احد الوجهین المذکورین لکن
لا بمعنی انها کانت خالیه عن تلک الحاله بل ابدعها کذلک کما فی قولهم ضیق فم الرکیه ووسع اسفلها والضیاء مصدر کقیام او جمع ضوء کسیاط
وسوط والیاء فیه منقلبه عن الواو لانکسار ما قبلها وقری ضئاء بهمزتین بینهما الف بتقدیم اللام علی العین والقمر نورا الکلام فیه کالکلام فی الشمس
والضیاء اقوی من النور وقیل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففیه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره ای قدر له وهیا منازل
او قدر مسیره فی منازل او قدره ذا منازل علی تضمین التقدیر معنی التصییر وتخصیص القمر بهذا التقدیر لسرعه سیره ومعاینه منازله وتعلق احکام الشریعه
وکونه عمده فی تواریخ العرب وقد جعل الضمیر لکل منهما وهی ثمانیه وعشرون منزلا ینزل القمر کل لیله فی واحد منها لا یتخطاه ولا یتقاصر عنه علی تقدیر
مستو لا یتفاوت یسیر فیها من لیله المستهل الی الثامنه والعشرین فاذا کان فی آخر منازله دق واستقوس ثم یستتر لیلتین او لیله اذا نقص الشهر ویکون
مقام الشمس فی کل منزل منها ثلاثه عشر یوما وهذه المنازل هی مواقع النجوم التی نسبت الیها العرب الانواء المستمطره وهی الشرطان البطین
والثریا الدبران الهقعه الهنعه الذراع النثره الطرف الجبهه الزبره الصرفه العواء السماک الغفر الزبانی الاکلیل
القلب الشوله النعائم البلده سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبیه فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشاء وهو بطن الحوت لتعلموا بتعاقب اللیل والنهار المنوطین بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول کل منهما تلک المنازل عدد السنین

التي تتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به
من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات
المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة
المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصائه بتكرير امثاله
من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل
اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة
تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسامي خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
وانما الذي تعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد من تلك الطوائف ليس من الجهة المذكورة اعني جهة تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء
غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به
الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بانه سبحانه جعلهما على تلك الاحوال والهيئات
ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث
يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا الاتصاف بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء
من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط
به معاملاتهم وعباداتهم يفصل الايات اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها الايات المذكورة دخولا اوليا او يفصل
الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها
جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه
اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات او سكون الارض او في تفاوتهما
في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما
فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف
المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضيا ما انكروه من ارسال
الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم
الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون
لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا
وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني
ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل
وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب
او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس
كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمانوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له
منها آمنين من ازعاج المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذاب وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون
من لقائنا بالبعث للاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمانوا بها
اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى
المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المقارنة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضى بالحيوة الدنيا

فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير
الى بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان
ما رضوا به واطمانوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها
وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي اذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب وانما جيء
من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم
الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل
في الاجل والاعداد له اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ماواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي
لا براح لهم منه النار لا ما اطمانوا به من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه
من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة
الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الى اخره ان الذين امنوا اي فعلوا
الايمان او امنوا بما يجب الايمان به كما يشهد به الايات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ما ذكر اندراجا اوليا وعملوا الصالحات
اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم او ثر التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
بمقتضى الربوبية واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى ماواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم تذكر تعويلا على ظهوره
وانسياق النفس اليه لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اداهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح
وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي
كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان
المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي
الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو
ليس كذلك يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا للعمل عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا
يدخل في الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله
سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم
على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ربهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب او الجنة وقوله تجري من تحتهم
الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق العلية بحسب النور والظلمة كما قال صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر اخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي
فالمراد بالمهدى اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى
سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا
فيها من تعاجيب اثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب
العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة
اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى
سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه واخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اي ان يقولوا ذلك نعتوه عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب
حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ضم الحمد بالتحية تبركا مع الحمد
لتسبب جنسيه على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه
بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بالاصناف
الاخر الى دعائهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الى آخره ايذانا بان لا تكليف في الجنة اى عبادتهم
الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يبعد عنه تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين
لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا
من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج
اى لو يعجل الله لهم الشر الذى كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار
الاستعجال في جانب المشبه كما اعتبر التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل
الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادى
اليهم الاجل الذى عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان
بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط دون الماضي للدلالة على ان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل قد يفيد استمرار انتفائه
ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم مترتبا عليه في الوجود كما في قوله
عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اى الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود
او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر خصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى
ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اى لرايت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ المراد بالجواب الاستئصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا غاية
في الدلالة على الشدة والفظاعة بحسن موقعه في معرض الشرط للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر
بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون ترتبه
عليه وجودا او عدما مفيدا فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما
كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها
غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وبعث
في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وشمول الامر للدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية
على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على الشدة في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل
لكن لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع
على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع المضمر نوع بيان للطغيان
بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اى اصاب جنس الضر من مرض وفقر وغير ذلك من الشدائد
اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون
للاذقان اى دعانا كائنا على جنبه اى مضطجعا او قاعدا او قائما اى في جميع الاحوال ما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات
بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن النهوض وقاعدا غير قادر
على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما دعانا حسبما تقتضيه الفاقة مر اى مضى واستمر على طريقته التي
كان عليها قبل مس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا اى كانه لم يدعنا

الى ضر اى الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدر
وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب
ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اى مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة
والاسراف لما ان الله تعالى اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي
وهي راس مالهم فقد اسرفوا والتزيين اما من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة
والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها
امهال للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اى
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اى اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة
الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب
والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان
الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات
البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون للعطف على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب
حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتاكيد النفي
اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف
على ظلموا لانه اخبار بحدوث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى
مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اى مثل ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد
الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اى كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك
المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا
بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض
لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفية اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك
اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم بيت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها
وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اى لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدر
بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اى اي عمل او على الحالية اى على اى حال تعملون الاعمال اللائقة
بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات
الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا
عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اى اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف
حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راي القائل بل يكون حينئذ مستعارا لمعنى اي شيء واذا تتلى
التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف
من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي
حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الاجابة والترهيب
عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اسناده للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا

وضع الموصول موضع الضمير اشعار بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء
لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اى قالوا لمن يتلوا عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم نذكر اذ ما تتعلق به
ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اى ائت
بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله
بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به
قل لهم ما يكون لى اى ما يصح وما يستقيم لى ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اى من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور
بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضايعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح
عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثانى يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اى ما اتبع في شيء مما اتى واذر الا ما يوحى
الى من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر النظم
كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه
لا يستبد دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه
عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي اى اخاف ان عصيته تعالى
بتعاطى ما ليس لى من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم اللقاء الذى لا يرجونه وفيه اشعار
بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته
عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه لا لمساعدة لمقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر
من جهة الوحي بتغيير قوله تعالى ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسي بان لا يستعمل ان ابدله بالاستبداد من جهة الوحي بان اتبع الا ما يوحى الى من غير
صنع ما من لا استبداد او غيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما وهم فان استبداد ما بدل
الآيات ان ذاك حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس معصية الاقتراح
انما المعصية ما ذكر في التعليل الآتي الى نحو من الآيتين الكريمتين ما نصرح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء
وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان
بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالة تبديله وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه
وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيته كما سيأتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه
ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن فى تعلقها
غرابة كما فى قوله ولو شئت ان ابكى دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعنى عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم
انما هو مشيته تعالى له لا مشيته لغير شيء من القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيته تعالى وليس لى منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتى له عليكم لا بان
عدم تلاوتي له من تلقاء نفسى بل بان لم ينزله على ولم يأمر فى بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادريكم به
اى لا اعلمكم به بواسطتى والحاصل هو عدم التلاوة والادراء منتف فيتبقى المقدم اعنى مشية عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم
مشية التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائها حتما وانتفاء عدم مشية التلاوة انما يكون بتحقق مشية التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلم
للقرآن بمشية الله تعالى وامره وانما قيد الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذى هو مشية عدم
تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه فى سلك الجزاء فى اسناد عدم الادراء اليه تعالى المبنى عن استناد الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له
عليه السلام فى ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطاته وارضاته فى اعطيته وارضيته
او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى لا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤنني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم وقرئ لا ادراكم بلام الجواب اى لو
شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا اعلمكم به على لسان غيرى على معنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيرى البتة او على معنى انه تعالى من على

على من شاء فخصني بهذه الكرامة فلقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيته عز وجل وامره حسبما بين انفا
لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب مشيته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه السلم
في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد مكثت
فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدى خبرا من قبله اى من قبل نزول القرآن لا اتعاطى
شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اى الا تلاحظون
ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم وفهم الذى لا يحيد عنه
ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل فى امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء فى شأن من الشؤون
ولا مراجعة اليهم فى فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء فى المفاوضة والحوار ولا خوض معهم فى انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته
كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل منطيق رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب
من وراء استار الكون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها فى احكامها المجملة والمفصلة
لا يعتري عند شائبة اشتباه فى انه وحى منزل من عند الله تعالى وهذا هو الذى انعقد عليه كلمة الجمهور ولكن لا يناسب الجواب فيما سلف على مجرد
امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأى
من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن فى نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلم غير قادر على الاتيان بمثله ان المستشهد ههنا
على المطلوب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة فى تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء
عنه فى حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا لوم
ولا جدال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب وافتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد فى هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل
ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهى الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكارى معناه الجحد اى لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب معتمدا
لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل
واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام صريحا مع كونه
افتراء على الله تعالى كذب فى نفسه فرب افتراء يكون كذبه فى الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلم فى التفادى
مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب بآياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء
لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اى واذا كان الامر كذلك
فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك فى شأنى وكذلك من كذب بآياته تعالى
كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره
وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشأن هذا اى لا يفلح المجرمون اى لا ينجون من محذور
ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية
لجناية اخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله
النصب على الحالية من فاعله اى متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح
عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اى ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التى هى جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم
نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذى هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذى هو مظنة الضر فحيث لم يقدر
الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات
واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة
يشفع لى اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام

واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم
كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة
على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل
فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم اي أتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم
عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ أتنبئونه
بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلمه مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة
سبحانه وتعالى عما يشركون من اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى
وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة
بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا
للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له
اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل
الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن
ابراهيم عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم
من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما
احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء
المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوثه
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار ويقولون
حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون
اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كأنهم لفرط العتو والفساد وتمادي الكفر في المكابرة والعناد
لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني
فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله
تعالى لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى
واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء
بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل
مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك
قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤوا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع
وصولا اليكم مما تأتون في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم
يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير
وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار والتجدد والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن لقوله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وقرئ يمكرون على الخطاب
مقصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشدد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي

يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء
اي يمكنكم من السير ويمكنكم منه تمكينا مستمرا غير منقطع الملابسة وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل بشر
تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد للحلي ورتبة فضل وغاية التسيير ليست
استمرار كونهم فيها بل مضمون الجملة الشرطية بتمامها كأنه قيل حتى اذا كان ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي
السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس معنى التقابل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك انما كان بعضكم فيها اذ الخطاب
للكل ومنه المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات يغشاه
موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير
المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل
اشتدادا للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح الاولى لا يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك
دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به
حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد تذكر وجاءهم الموج
في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا يعد مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه بهبوب الريح
فقط بل قد يكون من غيرها كهبوب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سد
عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان
كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل بالعبادة
ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونوا مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله
لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة معمول
دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة
في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في انتقال الشكرية فلما انجاهم
مما غشيهم من الكرب والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترقين في ذلك
متجاوزين عما كانوا عليه من قبل وهو العبث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون
ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة
وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى
اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين لتشديد التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه
وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا
بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف
اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اي متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي
لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد بغيهم على انفسهم بحال
تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل
دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم
لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول
ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اي لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه
ان المعلل ما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة

متاعًا وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى أنفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالأنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير
إنما بغيكم على أبناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ظاهر الفساد أو نحو ذلك وفيه ما مرّ من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي
بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة أي إنما بغيكم على أبناء جنسكم لأجل متاع الحياة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه
في الجملة لكن الحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل إنما هو الأول وقرئ متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ
محذوف أي هو متاع إلى آخره كما في قوله عز وجل إلا ساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الأول أبناء جنسهم
وإنما عبّر عنهم بذلك هزًّا لشفقتهم عليهم وحثًّا لهم على ترك إيثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لأن كون بغيهم وبالًا
عليهم ليس بثابت عندهم حسبما تقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبره بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعًا مقصود الإفادة على أن عنوان
كونه وبالًا عليهم قادح في كونه متاعًا فضلًا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغي على أبناء الجنس
فمعلوم الثبوت عندهم ومقتضٍ لمبادي التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك وأما على الوجهين الأخيرين فلا موجب
للعدول عن الحقيقة فإن المبتدأ إما نفس البغي أو الضمير العائد إليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالًا عليهم في صورة كون الظرف
صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعًا الحياة الدنيا أما نصب متاعًا فلما مرّ وأما نصب الحياة فعلى أنه بدل من متاعًا بدل الاشتمال وقيل مفعول له
لمتاعًا إذا لم يكن انتصابه على المصدرية لأن المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرًا ولا تبغ ولا تعن باغيًا
ولا تنكث ولا تعن ناكثًا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وقال ولا يحيق المكر السيئ
إلا بأهله فمن نكث فإنما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابًا صلة الرحم وأعجل الشر عقابًا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدُكّ الباغي
ثم إلينا مرجعكم عطف على ما مرّ من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون إلينا وإنما غيّر السبك إلى الجملة
الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب
كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة مبنية على حكمة أبيّة وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض
فإنما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي مثلًا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور
تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام
حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وإن برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة المتمتعون به من حيث أخذ المال
والتشفي من الأعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وإنما يظهر لهم ذلك عند إبراز ما كانوا يعملونه
من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك في هذه النشأة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه أعلم إنما مثل الحياة الدنيا
كلام مستأنف مسوق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن
البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الأمثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب إقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الأرض
من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطامًا لم يبق لها أثر أصلًا بعدما كانت غضة طرية قد التف بعضها
ببعض وزيّنت الأرض بألوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا أنها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف
في قوله عز وجل كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب مما يأكل الناس
والأنعام من البقول والزروع والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها جعلت الأرض في تزينها بما عليها زخرفها
على طريقة التمثيل بالعروس التي قد أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازّيّنت أصله تزينت فأدغم وقرئ على الأصل
وقرئ وازينت كأغيلت من غير إعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن أهلها أنهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها أتاها أمرنا جواب إذا أي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلًا أو نهارًا
فجعلناها أي زرعها وسائر ما عليها حصيدًا أي شبيهًا بما حصد من أصله كأن لم تغن كأنه لم يغن زرعها والمضاف
محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالأمس أي فيما قبل بزمان قريب فإن الأمس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفًا كذلك
أي مثل ذلك التفصيل البديع نفصّل الآيات أي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحياة الدنيا

أي نوضحها ونبيّنها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها ويجوز
أن يراد بالآيات ما ذكر في أثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي إيجادًا وإعدامًا فإنها
آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على أحوال الحياة الدنيا حالًا ومآلًا والله يدعو إلى دار السلام ترغيب للناس في الحياة
الأخروية الباقية إثر ترغيبهم عن الحياة الدنيوية الفانية أي يدعو الناس جميعًا إلى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وإنما ذكرت
بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضًا للآفات أو إلى دار الله تعالى وتخصيص الإضافة التعظيمية بهذا الاسم الكريم
للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلّم الله أو الملائكة فيها على من يدخلها أو يسلّم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته إلى صراط
مستقيم موصل وهو الإسلام والتزوّد بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن من أصر
على الضلالة لم يرد الله رشده للذين أحسنوا أي أعمالهم أي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك الحسنى أي المثوبة الحسنى
وزيادة أي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلًا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها
إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم أي لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة أي أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن
وسوء الحال والتنكير للتحقير أي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان أمنهم من المكاره إثر بيان فوزهم بالمطالب [illegible]
أو تذكيرًا بما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر
فإن ما حقه التقديم إذا أخّر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين أولئك إشارة إلى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر
من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره أصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين
كسبوا السيئات أي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها أي جزاء الذين كسبوا السيئات
أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك حيث لم يقل وللذين كسبوا السيئات السوأى لمراعاة ما بين
الفريقين من كمال التنافي والتباين وإيراد الكسب للإيذان بأن ذلك إنما هو من سوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على أنفسهم أو الموصول معطوف
على الموصول الأول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على أن المراد بالزيادة الفضل
وترهقهم ذلة وأي ذلة كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيذان بأنها محيطة بهم غاشية لهم جميعًا وقرئ يرهقهم بالياء
ما لهم من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخطه تعالى وعذابه أو ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة
في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلمًا
حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعًا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في
من الليل وقرئ قطْعًا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال فتى الباب بقطع من النجوم كما علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلمًا صفة له
أو حالًا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كالتي قبلها استئنافًا أو حالًا من ضمير ترهقهم أولئك أي الموصوفون بما ذكر من الصفات
الذميمة أصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية
ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من أحوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم المحكية سابقًا
للإيذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئًا واحدًا كما في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أنذرهم أو ذكّرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله تعالى
جميعًا ومن إفراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين أشركوا أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رؤوس
الأشهاد أفظع والإخبار بحشر الكل في تهويل اليوم أدخل وتخصيص وصف إشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ
والتقريع عليه مع ما فيه من الإيذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفًا

مكانكم نصب على أنه في الأصل ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي أي الزموه حتى تنظروا
ما يفعل بكم أنتم تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على أن الواو بمعنى مع
فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه أزيله أي أزلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه ككلمته وكالمته وهو معطوف على نقول
وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة إيذاناً بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة أي فرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء فخابت آمالهم وانصرمت عرى أطماعهم
وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة
من اليأس إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي أي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وأحسنه قوله تعالى وقال شركاؤهم حال بتقدير كلمة قد عند من
يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في النسق الأول لئلا يتوهم ترتب المحاورة المحكية الفائتة بالمباعدة وليس في ربط التنزيل به ما يقتضي
بلزوم المكان في برمة عليه بالمعنى الأول من السكنة المذكورة لتضاد الأجل عليها إلى التغير الرتب الخارجي فإن المباعدة بعد المحاورة حتماً
وأما قطع الأقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله أيضاً وأما التحصيل عند المحاورة
انفصالها كما أشير إليه فلا اعتداد بما تقدمه من النعت لاستماع رعاته ما ذكر من السكنة لو سلم تأخير جميع مراتبه من المحاورة فرعاته
كما في أسند عاطفة عليها ويجوز أن يكون حالاً على هذا التقدير أيضاً المراد بالشركاء كل من الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولي العلم
معه بأنه للرجوع الضمير إلى الكل وقولهم ما كنتم إيانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم وشياطينهم
الذين أغووهم لأنها الآمرة لهم بالإشراك دونهم كقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم الآية وقيل الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء
فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم فإنه العليم الخبير إن كنا عن عبادتكم لغافلين
أي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللإيذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عنها عبارة عن عدم الارتضاء وإلا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر
وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم بإشراكهم مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك إن مخففة
من إن واللام فارقة هنالك أي في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو أي تختبر
وتذوق كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ما أسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعاً لآثاره من نفع أو ضر
وخير أو شر وأما علمها من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب أي البرزخ فأمر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وإبدال ما منه أي نعاملها
معاملة من يبلوها ويتعرف أحوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما أسلفت من العمل ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فيكون ما منصوباً بنزع الخافض وقرئ تتلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار
أو تقرأ في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر وردوا الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز
وجل هنالك تبلو إلى آخره اعتراض في أثناء الحكاية مقرر لمضمونها إلى الله أي إلى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق
صفة له أي ربهم الثابت ربوبيته والمتحقق الألوهية تحققاً لا ريب فيه فماذا يجوز أن يكون الكل اسماً واحداً قد غلب فيه الاستفهام
على اسم الإشارة وأن يكون ذا موصولاً بمعنى الذي أي ما الذي بعد الحق أي غيره بطريق الاستعارة وإظهار الحق إما لأن المراد به
غير الأول وإما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع ونفيه أي ليس غير الحق
إلا الضلال الذي لا يختاره أحد فحيث ثبت أن عبادة من هو موصوف بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر أن ما عداها من عبادة الأصنام
ضلال محض إذ لا واسطة بينهما وإنما سميت ضلالاً مع كونها من أعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي
هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد وأما على تقدير كونه عبارة عن الأول فالمراد بالضلال هو الأصنام لا عبادتها والمعنى فماذا
بعد الرب الحق الثابت ربوبيته إلا الضلال أي الباطل الضائع المضمحل وإنما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياع وهذا أنسب
بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الأخير فأنى تصرفون استفهام إنكاري بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه
من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الفعل لأن كل موجود لا بد أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال

وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني فأنى مراداً والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله أي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه
وهو التوحيد إلى الضلال عن السبيل المستبين وهو الإشراك وعبادة الأصنام أو من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته إلى عبادة الباطل
الذي شاهدتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي إيثار صيغة المبني للمفعول إيذان بأن الانصراف من الحق إلى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بإرادته
وإنما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك أي كما حقت الربوبية لله تعالى أو كما أنه ليس بعد الحق إلا الضلال
أو أنهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا أي تمردوا في الكفر وخرجوا إلى أقصى حدوده أنهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها الوعيد بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد
وبطلان الإشراك بإظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الإلهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق وإعادته به سبحانه وتعالى
وإنما لم يعطف على ما قبله إيذاناً باستقلاله في إثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والإلزام وقد جعلت الإعادة لتحققها لوضوح
مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده إيذاناً بتلازمهما وجوداً وعلماً يستلزم
الاعتراف به الاعتراف بها وإن صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد أمر صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من يفعل ذلك
فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده أي هو يفعلهما لا غير كائناً ما كان لا بأن ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لأن القول
المأمور به غير ما أريد منهم من الجواب وإن كان مستلزماً له إذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب السموات
قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي أريد منهم ويكون عليه السلام نائباً عنهم في ذلك بل إنما هو وجود من يفعل البدء والإعادة
من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير أمر صلى الله عليه وسلم بأن يبين معالمه إيذاناً بتعينه وتحتمه وإشعاراً بأنهم لا يجترئون
على التصريح به مخافة التبكيت وإلقام الحجر لا مكابرة ولجاجاً فقدر وإعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد
التأكيد والتحقيق فأنى تؤفكون الإفك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الأنسب بالمقام أي كيف
تقلبون من الحق إلى الباطل والكلام فيه كما مر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر إلزاماً لهم غب
إلزام وإلقاماً إثر إلقام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي إلى الحق أي بوجه من الوجوه فإن أدنى
مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته إلى ما فيه صلاح أمرهم وأما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والإلزام فإن العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية
وهدى كما يستعمل بكلمة إلى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على أن المنتهى غاية للهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك استعمل بها ما أسند إلى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق أي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الأدلة
والحجج وإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهداية والكلام في الأمر بالسؤال والجواب كما مر
أفمن يهدي إلى الحق وهو الله عز وجل أحق أن يتبع أمن لا يهدي بكسر الهاء أصله يهتدي فأدغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء اتباعاً لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلاً لحركة التاء إليها أي لا يهتدي بنفسه فضلاً عن هداية غيره وفيه من المبالغة
ما لا يخفى وإنما نفي عنه الاهتداء مع أن المفهوم مما سبق نفي الهداية لما أن نفيها يستتبع نفيه غالباً فإن من اهتدى إلى الحق لا يخلو
عن هداية غيره في الجملة وأدناها كونه قدوة له بأن يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق
من تحقيق هدايته تعالى صريحاً وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فإن ذلك مما يضطرهم
إلى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام إلى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فإن ذلك مخصوص بالإنكاري كما في قوله تعالى أفمن اتبع رضوان
الله إلى آخره ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وإنما تقديمها في الذكر لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان
السؤال بكلمة أي لأخرت حتماً ألا يرى إلى قوله تعالى فأي الفريقين أحق بالأمن إلى تقدير المشركين إلى الجواب عن حالهم وحال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازماً أو لا يهدي غيره وصيغة التفضيل إما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي
والمعنى أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ممن لا يهدي أم من لا يهدي أحق إلى آخره وإما بمعنى حقيق كما اختاره أبو حيان وأيا ما كان فالاستفهام
للإلزام وأن يتبع في حيز النصب أو الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف أي بأن يتبع إلا أن يهدى استثناء مفرغ من أعم
الأحوال أي لا يهتدي أو لا يهدي غيره في حال من الأحوال إلا حال هدايته تعالى له إلى الاهتداء أو إلى هداية الغير وهذا حال أشراف شركائهم

من الملكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى
من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اى اى شيء لكم في اتخاذكم شركاء لله
والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اى بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم
الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق [illegible]
السابق بما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لكن
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلما حكمهم باستحقاقه
تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله
من حيث لا يحسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم
الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق انما هي عليهم ببطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم
اصلا اى ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا
مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم
الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه
من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفاته اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون
العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التأثر من البرهان المزبور
وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما نحن فيه لان مجرى الكلام عرفان كون اولئك اسوء حالا
من غيرهم اذ المعتبر حال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا
فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار
الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة
كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم
اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف في
بيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون
وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا
اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان
ردهم للادلة العقلية المندرج في تضاعيفه اى ما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع
التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اى افتراء من الخلق اى مفترى منهم
سمى بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اى مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ
بالرفع على تقدير المبتدأ اى ولكن هو تصديق الى آخره وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اى وتفصيل ما كتب واثبت
من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثان داخل في حكم الاستدراك اى منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه
فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر آخر اى كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية
الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اى بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة للانكار
الواقع واستبعاد قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله اى في البلاغة
وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة

اى بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم
في المهمات والملمات ومدارسكم الذين تلجئون اليهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء
وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اى ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء
للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم ايهام ان يدعوه تعالى للاجابة اليه
ان كنتم صادقين اى في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة
عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اى سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير
ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق
والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم
العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله
عطف على الصلة او حال من الموصول اى ما لم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك
باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة
بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا
والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا
على ما هم عليه اولا فلا تعرض له هنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد اتيان علم
البتة فبعيد كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء انه سبقوا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما
يدل عليه ما سلف من قوله تعالى ومنهم من يؤمن ومنهم الى آخره وقوله تعالى كذلك الى آخره وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه
من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب
او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين
من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء
الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن
تنويعهم الى المؤمن وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر قبل ذلك حسبما افاده
قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما سعوا
في المعارضة وزاولوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد
بحقيته فقط اى يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون
الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اى سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير
الثاني الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اى لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة
بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون
والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة
بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن فيما سيأتي بل يموت على كفره
معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين
اى بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد
او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اى ان تموا على تكذيبك واصروا عليه

حسبما اخبر عنهم بعدم الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بري
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم
بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون
بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتي محافظة
على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء
الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام
الانكاري والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان محل تقدم الهمزة
على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار مترتب عليه حسبما هو المعنى لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور
لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واما ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه
من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكارا
لاستماعهم فانه امر محقق بل انكارا لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه كما ينبئ عنه
وضع المظهر موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي لو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم
العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك
ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي تربية لانكارهم وابرازا لوقوعها
لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق
فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى تسمع الصم تهدي العمي وكل منهما معطوفة على جملة
مقدرة مقابلة لها في المعنى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون
افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم
اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم
مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولية والاخروية
من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير
اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اي لكنهم بعدم
استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون
مما يخلون من مبادي كمالاتهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم
والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير
الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه
لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصر المظلومية
عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وشناعة عقولهم لما ان في الامرين عند التحقيق والمفعول اشد ما يكون عند العقل ونحوه لدى
الطبع واجهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم يستلزم ما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا
لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا

فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغته للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع
يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق
الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم لا يعذبهم يوم القيمة
شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية
الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا
اي كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل
والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك
القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او من
لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة اليه تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم
وانكارهم بقولهم ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور
فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول
العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول خروجهم من القبور
اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل
حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم
والمراد بلقاء الله تعالى اما مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشتروا
الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وهو معنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين اي ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وكانوا سواء الكفار
فالخسار الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة
لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحق الفعل النون اي نبصرنك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب او نعجله في حياتك
فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار
غب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العذاب بان ما راه بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا
مرجعهم اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف
لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته
تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة
اي هنالك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم
فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين
وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج
اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله عز وجل
وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار
حسبما يشير اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي انه ياتينا والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم
حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليات به عجلة
ان كنتم صادقين ولما كان ذلك مما لا يكاد يكون الا بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر
على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز
وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك

اقرب حصولا فكيف املك شيئا منكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود • الا ما شاء الله • استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله [الله]
كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد
فان ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان املكه عليه السلام وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال
الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسى شيئا من الضر والنفع المترتبين على افعالى الاختيارية كالضر والنفع
المترتبين على الاكل والشرب بعد ما وجودا التعسف ظاهر • وقوله تعالى • لكل امة اجل • بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق
من الاطلاق المشعر بكون المقضى امرا منجزا غير متوقف على شئ غير مجئ الرسول وتكذيب الامة اى لكل امة امة من الامم المهلكة
اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله • اذا جاء اجلهم • ان جعل الاجل عبارة عن حد معين
من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه
لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم بان يجئ كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو
الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها
فلا يستأخرون • عن ذلك الاجل • ساعة • اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اى لا يتأخرون عنه
اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له • ولا يستقدمون • اى يتقدمون عليه وهو عطف على الجزاء
لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا
مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة حينئذ
وعدمها بالمرة كما في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجئ الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجئ اليوم الذى ضرب لهلاكهم [كم]
ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام
لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك • قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل
فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجئ اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة
اتيانه حقيقة • أرأيتم • اى اخبرونى • ان اتاكم عذابه • الذى تستعجلون به • بياتا • اى وقت بيات واشتغال بالنوم • او
نهارا • اى عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله
عز وجل • ماذا يستعجل منه • جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمنى والمجرمون موضوع موضع المضمر [المجرمون]
لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة
الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه تعالى اى شئ تستعجلون منه تعالى وليس شئ منه يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد
المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه
منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهى في قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وههنا ضمنى
كما في قول من يطالب غريمه الذى يتقاضاه حقه أرأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب منى يريد المبالغة في انكار التقاضى بنظمه
في سلك التقاضى بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل • اثم اذا ما وقع آمنتم به • انكار لايمانهم بنزول العذاب [ب]
بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اى بعد ما وقع العذاب وحل بكم
حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتأخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا
نحو التدارك قبل فوت الوقت فقدم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اى تندموا
على الاستعجال او تعرفوا خطأه والشرط اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الى آخره

والاستفهام للانكار اعتراض والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جئ بكلمة التراخى
دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجئ باذا مؤكدا بما
ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى • الآن • استئناف من جهته
تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن
آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا لشئ آخر مما يعد
عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقوله تعالى • وقد كنتم به تستعجلون • اى تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع
وزيادة التنديم والتحسر وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى • ثم قيل • الى آخره تأكيد للتوبيخ
والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن • للذين ظلموا • اى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان
والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع المضمر لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما
اصابهم • ذوقوا عذاب الخلد • المؤلم على الدوام • هل تجزون • اليوم • الا بما كنتم تكسبون • في الدنيا من اصناف
الكفر والمعاصى التى من جملتها ما مر من الاستعجال • ويستنبئونك • اى يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء او الانكار
• احق هو • احق خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ الحق هو تعريضا
بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو الذى سميتموه الحق • قل • لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا مبنيا للامر على [اساس التحقيق]
• اى وربى • اى من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه • انه
اى العذاب الموعود • لحق • لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله
• وما انتم بمعجزين • اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم
عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور • ولو ان لكل نفس ظلمت • بالشرك او التعدى على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم
ولو مرة حسبما يؤذن به كون الصفة فعلا • ما في الارض • اى ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة واكثرت • لافتدت به
اى لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه • واسروا • اى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع
مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق
لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص
او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه • الندامة • على ما فعلوا من الظلم اى اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات
ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا • لما رأوا العذاب • اى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون [حذروا على ان]
فلم ينطقوا بشئ فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسروها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء
منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شئ غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها
او لان سر الشئ خالصه حيث يخفى ويضن به ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره حين عيل صبرهم وفنى تجلدهم
• وقضى بينهم • اى اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه
او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به • بالقسط • بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدى وحمل القضاء على مجرد الحكومة
بين الظالمين والمظلومين من غير تعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة
عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا • وهم • اى الظالمون • لا يظلمون • فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه
الضرورية • الا ان لله ما في السموات والارض • اى ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء
على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما
واثابة وعقابا • الا ان وعد الله • اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اى جميع ما وعد
كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذى استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدرى اى وعده بجميع ما ذكر

تحقق

فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على
مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون لقصور عقولهم
واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون
في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل
الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي الوعظ
والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم
او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها
وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك
والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس وفي تحته رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات
الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامرهم بان يغتنموا ما في مجيء القرآن
العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما مجيء القرآن من الفضل والرحمة والجنس وهما داخلان فيه دخولا
اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم
الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير
ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بما سواه
ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ
فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد
عليه
عليه من الثواب هو اي ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
قل ارأيتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم
وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل بها او ما هو موقوف عليه وجودا وبقاء بأسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم
منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي جعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه
انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجهل
فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى
ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه
واظهار الاسم الجليل وتقديم الجار على الفعل للدلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيد التبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما بعده بعد ما من التوبيخ على الافتراء على الله سبحانه
وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع
احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه
كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي
ظن ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ
وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة
المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون او يجازون جزاء يسيرا

ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ
على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه
على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين
لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة
فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد فصل عليهم ما بين ما سلف
يوم القيمة فلا يغنون الا فيما يفعلون فيما يقولون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اي في امر من شان اي قصدت قصد
مصدر بمعنى المفعول وما تتلوا منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شئونه عليه السلام او للتنزيل
والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والى في قوله تعالى من قرآن مزيدة لتاكيد النفي
او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل وقد روعي
في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه
حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث قيدت الافعال ان لفعلية
الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي
وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الايذان باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي
من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي
في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيهما احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين
فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب
مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة الاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر
قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا
في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التمهيد والوعيد
وتصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القرب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه
كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه
يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف
والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص المقربين والمراد بيان
دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى
وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات
فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا
اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول
الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير
المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى

المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من به التوقي عن الشرك التي تضدها الامان ايضا وهي مرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك
اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته وبه تحصيل الشهود والحضور والقرب الذي عليه مدار اطلاق الاسم عليه هكذا كان حال كل من دخل معه عليه
الصلوة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل جلا ان كلهم في شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم
الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعدادهم وقوة نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
فهذا كمال امر الولاية في المعنى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون وبحسب ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان
وتولوا القيام بحق عبوديته لله تعالى والدعوة اليه لا بحالة فقيل من انهم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واحيائهم وسكينتهم لا ما قيل من انهم
المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله على غير ارحام ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والحب في الله سبحانه من الاحكام اللازمة للاولياء لا انه
والتقوى والامارات الخاصة بها لحقيقتها المخصصة بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس وقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والمذكور ترغيبا للناس وغيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر شيئا من احكامهما
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا
مفتقرين الى تالف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة لتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية
ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليرغبوا فيها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر
من انه يغبطهم الانبياء فمسوق لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي هذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا
هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه
وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم
الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل
انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بالعلم بوجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا معلوم
لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن اثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوانها
ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني
بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء
ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن
حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص
عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لايمانهم وتقواهم
المنبئين عن الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان
وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي
لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الاخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الدنيا ومن البشرى
العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وجعل البشرى مصدرا والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا ففي البشارات الواقعة
للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه

عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة
والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الى ما خرج عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان
التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها
البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا وبه يثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد
بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيكون بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر
وذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتان
الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذا بدل وان يقع اعتراضا
ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له
عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن
وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك
وساير ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير
نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي
عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام
في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك قوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي الغلبة والقهر لله جميعا
اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي
من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون
عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان
بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات
اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم
تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما
نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبعون الذين يدعونهم من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان سموها
شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون
من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي ما يتبعون شيئا ما
الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الى اخره وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل
واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين له تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن
ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم
شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة
ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص
العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه
او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل

مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله الآية فحذف من كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار
مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك اي جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد
منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها
المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة
لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد
من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه
وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما ذكر من البرهان
الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بالمحذوف الذي وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل
ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد لما في قوله تعالى أتقولون
على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد
لابد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم
سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك
اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما في ذلك
من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف
سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون
من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة
عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء
المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقيل انه افتراؤهم وفيه
ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله
ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك عندنا اجراء لحكم ما يؤدي اليه من المنافع
مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهته سبحانه لتحقيق عدم
افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يفصح عنه ظاهر قوله تعالى الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله
عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما
يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين
هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم
لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او ينكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه
واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم
وبأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل الاشتمال واياما كان فالمراد بعض نبئه عليه السلام لا كل ما جرى بينه
وبين قومه عليه السلام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان
فلان اي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله
فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت

على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء
لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة معترضة والاجماع العزم قيل هو متعد
وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا
وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو
بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة
التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك
وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم
ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه
لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة
بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موضع الاضمار
لزيادة تقرير لمقتضى مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بالامر ما يعتريهم من جهته عليه السلام
من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا
باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه
فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ ثم افضوا
بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم العطف لترتيب التولي على ما سبق فالمراد
به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحتها اولا ولا بها
التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم واحجامكم من الاجتماع علي فكم على الحق
المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما
لثقله عليكم واما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما للثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي
ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وهو على التقدير الثاني قائم مقام الجزاء بسببيته للشرط لاعلام
مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا ما يؤثر منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم
المعنيين جميعا خلا انه على الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى
يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما
من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحق ان توليهم ليس له
سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم
خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع
في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة
لاظهار كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو
من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه
وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا
ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى
اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم
اي جاء كل رسول قومه المخصوص به بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها
للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضميره جاؤوا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة معينة له حسب اقتضاء

الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين ضميري جاؤوهم كما أشير إليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار
عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم لما مر مثاله في هذه السورة الكريمة غير مرة أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك
الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما
حكاية قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور ههنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير إليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل
تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالأول حيث جعل صلة للموصول إيذانا بأنه
بين بنفسه غني عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم
إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها
كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل إلى آخره
وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
أممهم إليها أثرا عن أثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد
من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيء الرسل كحالهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب
وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حين لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد
به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب
وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا
بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليها الضمير
وفي إرجاعه إلى الحق بادعاء أنه مركوز في الأذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة
وقرئ بالياء على أن الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتنفسين عن قبول
الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي أمثاله دلالة على أن الأفعال
واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم
أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام موسى وهارون خص بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف بإدراج خبرهما فيما أشير إليه
إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأشرف في ذلك بنص تفصيل إيذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في
عليه السلام إلى فرعون وملئه أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لأصالتهم في إقامة المصالح والمهام ومراجعة الكل إليهم في النوازل
والملمات بآياتنا أي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الأعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء
فصيحة أي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين إلى آخره وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الإجرام
مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار
على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين فإنه صريح
في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي هو معجزة أعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك أول
ما أظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه أيضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم
إلى قوله تعالى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط
عتوهم وعنادهم إن هذا لسحر مبين ظاهر كونه سحرا أو فائق في بابه واضح فيما بين أضرابه وقرئ لساحر قال موسى استئناف
مبني على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي أتقولون

للحق الذي هو أبعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم أي حين مجيئه إياكم ووقوفكم عليه ومن أول الأمر من غير تأمل
وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وإيذانا بأنه مما لا ينبغي أن يتفوه به ولو على
أي أتقولون له ما تقولون من أنه سحر يعني أنه مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم أو القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة
وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم إلى آخره فيستغنى عن المفعول أي أتعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا إنكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك
إثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فوجه إيثار إنكار كونه سحرا على إنكار كونه معيبا بأن يقال مثلا أو عيب هذا هو
الإنكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالإنكار السابق على أن ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا
من معنى القرب لزيادة تعيين المشار إليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا
أي أسحر هذا الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للإيذان بأنه مصب
الإنكار ولما استلزم كونه سحرا كون من أتى به ساحرا أكد الإنكار السابق بما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون
وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست أملك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع
الشمس أي أتقولون للحق إنه سحر والحال أنه لا يفلح فاعله أي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيد
من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلوب الناجي عن كل محذور وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها أكد بها
الإنكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر إلى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر إلى صدوره عنه عليه السلام وأما تجويز كون الكل
مقول القول على أن المعنى أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم أصلا أما أولا فلأن ما قالوا
هو الحكم بأنه سحر من غير أن يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به إلى ما لم
يصدر عنهم أصلا مما يجب تنزيه النظم الكريم عن الحمل على أمثاله وأما ثانيا فلأن التعرض لعدم إفلاح السحرة على الإطلاق وهم بصدد التمسك بالحق
المبين دون الكفرة المتشبثين بأذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الإفلاح بمن
زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة وأما ثالثا فلأن قوله عز وجل قالوا أجئتنا إلى آخره مبني على أنه عليه السلام
ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال
موسى إلى آخره حسبما أشير إليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا لتلفتنا
أي لتصرفنا فإن الفتل واللفت أخوان عما وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام ولا ريب في أن ذلك إنما يتأتى
من جهة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح إذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم
إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في أنه لا علاقة بين قولهم أجئتنا إلى آخره وبين إنكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححا لكونه جوابا
وتكون لكما الكبرياء أي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ يكون بالياء التحتانية وكلمة في قوله تعالى في الأرض أي أرض
مصر متعلقة بتكون أو بالكبرياء أو بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا أو بمحذوف وقع حالا من الكبرياء أو من الضمير في لكما لتحمله إياه وما نحن
لكما بمؤمنين أي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام
واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر وأما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسندا إلى موسى عليه السلام خاصة
وقال فرعون توحيد الفعل لأن الأمر من وظائف فرعون أي قال لملئه يأمرهم بترتيب مبادي الإلزام لهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس
عن الإلزام بالقول ائتوني بكل ساحر عليم يتقنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام
قد حذف إيذانا بسرعة امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام أي فأتوا به فلما جاؤوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء
مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السورة الأخرى من قولهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ونحو ذلك ألقوا
ما أنتم ملقون أي ملقونه كائنا ما كان من أصناف السحر فلما ألقوا ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم
قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات

الله تعالى او هو من جنس السحر يريهم ان حاله بين لا يعبأ به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاب وقرئ آلسحر على الاستفهام
فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ولا
على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا
او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق
فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد
بعدم اصلاحه عليهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته وادامته اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه
الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء الروعة
وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة
وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الى آخره وانما لم يذكر
تعويلا على ذلك واشعارا بالانجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما
مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحبته فلم يزدجر فان ذلك ان الاتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام في مبادئ
تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته
آسية وخازنه وامرأته وماشطته وقيل غيرهم على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملئهم الضمير لفرعون
والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء او لانه بمعنى آل فرعون بان علوه في الفساد وعلوه في التجبر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال
في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملة اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم
مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي
له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين
له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا
فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان
هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء مصاحبتهم
بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه
على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها ويرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم
واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان
بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال

وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا
كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان
المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها
واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب
للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به
بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب
الى ضمير المتكلم مع الغير في المواضع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما
كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه
في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية
اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجوز المرادف للمجاوزة لا ما
بمعنى التنفيذ كما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والمعنى جوزنا بني اسرائيل في البحر وفي النظم الكريم
عن الانذار بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهب وذهب به
فاتبعهم يقال تبعه حتى اتبعه اذا كان سبقه فلحقه اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع
الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام
خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله
يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه
والجمه قال آمنت انه اي بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهارون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني
اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء باتباع من كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة
وانا من المسلمين اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني حال
بالجملة الكائن في ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول
المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وابى ما هو آت وقوله عز وجل الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال
اي فقيل له الآن آمنت وهو قوله تعالى انه حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار والتوبيخ على تأخيره
وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة
الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تأكيد للرد القولي
بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام هو يا محمد فلو رأيتني وانا آخذ من حال البحر فادسه
في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بالرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان
كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة
في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة اليأس من الياس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال
البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل

الفعل المقترن به لشدة التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا
والبينة الدالة وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والاباء فان قوله تعالى
وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان لقوله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا اعتبار عرف الراجع الى نفسه والساري
الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عصيانه الخاص فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك
من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي الوعيد بالنجاة تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما رمى به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك
بنو اسرائيل وقرئ ننحيك من الانحاء ننحيك بالحاء المهملة اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي
ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهي تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا
او بدرعك كانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه
كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه
لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك
من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم
الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة
وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون لمن خلقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه كشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفي تعليل تنجيته
بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع
حاله كمن تقتل ثم تجر جثته في الاسواق ويدار بها في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة
لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا
لفحوى الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم
بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءة
التوراة وعلمهم باحكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدق نبوته بتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت
في شك اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون
كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك
من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم
ثابت في كتبهم حسبما القيناه اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب
بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام
ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل
الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته
شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه
ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه

من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا
واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة
المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان
جهنم الآية لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون
عند معاينة العذاب مثل فرعون واما عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول
لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود ولكن فقده انه ليس لمنع منه تعالى مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم
لذلك حتى يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم
كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم
الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس
استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كأنه
قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم وقرئ
قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي ان يونس عليه السلام
بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وكان
قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم
وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر
وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم
منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض بحيث لا يشذ منهم احد كافة المكلفين وجودا
وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا ارسان نعيه كفر الكفرة لكلمة ومعمول المشيئة محذوف لوجود مقتضيه ووقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث
لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان والطاعة لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها اساس التكوين والتشريع
وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع
في الشرط والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الكلام كأنه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار
متوجها الى ترتب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة
متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور واما ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة
الالجاء خاصة في انكار الترتب عليه او ترتب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن
في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا شريك له لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه
ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله
ومنحه للالطاف واخص النفس بمن ذكر لم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كان

الموت حال لكل نفس تحب لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال
تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح
المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب والخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي الكفر
الكفر وبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايلها واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال
والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الى آخره قل مخاطبا لاهل مكة بعد ما بين لهم
في ملكوت السموات والارض وما فيهما من عجائب الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة
انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام في قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة
على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا للاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز
ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض
وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالياء الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات
والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه وما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب
على المصدرية اي اي غناء تغني الى آخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين
خلوا اي لا ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم
ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى
والمبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال
الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك
ونظايره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننج المؤمنين
اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع
واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واما ما كان فقصة تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل
لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ
ان كنتم في شك من ديني الذي اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به ورفض
عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد
وللايذان بالمخالفة من اول الامر اي ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن والايجاد والاعدام
دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا حتى لا ريب فيه
وفيه تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم لا يخفى من التهديد والتعريض عاملهم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى لكن عن وضعه
للعاقل فيه الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف
بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان كان
بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر
ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول

الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة
في الدين والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال
حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكون
منهم اعتقادا ولا عملا او نوله عز وجلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله
من النهي والاول هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الايتين مسوقة لا يمكن فصل بعضها من بعض كما ترى فلا وجه لادراج الكل تحت
وهو ما كسد النهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله
استقلالا ولا اشراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او
او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي نهيت عنه من دعا ما لا ينفع ولا يضر كنى عنه
تنزيها لشانه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذن
من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب
النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف
الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه
ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في خبر الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير
فلا راد لفضله الذي من جملته ما ارادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق
التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان ومن جملته الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع
المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين
في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل
بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبي
عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما ارادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب
وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وجل
وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة
بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها
ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والعمل بما في
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال
مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء
الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطة وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا
او عملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد يوما فيوما في التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه
عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله تعالى وحده

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما بين
في سورة يونس او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب

مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني وللمبتدا المحذوف على الوجوه الباقية
احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت
من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او اتت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها
او على حصة مما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم
الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام لما لا يليق
بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما
على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا
من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية
آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعاني الاول فعلى تقدير كون الاحكام
زمانيا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لانها احكمت وفصلت بعد ان لم تكن كذلك او الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكامها مخصوصة وآثارا معتدا بها وكلاهما
مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض من الفصل
الاية في مبادي استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل
فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها
حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته
من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين على تنازعهما للمفعول
ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما لا على النهج المعهود في اسناد
الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون لا يكتنه كنههما الا تعبدوا
الا الله مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف
حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته
فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان في تفسير لما في التفصيل
من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة
غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك
من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر من التوحيد وترك الاشراك به سبحانه وما هو من تتمته اعني الاستغفار والتوبة
ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه ترشيحا بالوعيد ثم الوعد والاعذار بالايمان بان التوحيد
في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وابدا الحاجة بخطاب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق نفس الايمان الا بالتحلي برسالته صلى الله
عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير كما روعي في الكتاب
من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله
واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال اتركوا عبادة غير الله اي الزموه على اتركوا
عبادة غير الله بركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه
على تقدير تركم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمة
على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على الا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين
فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا ونهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو
دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هي للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف

بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر
والنهي صلة حسبما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه
عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم
من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او استغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي
وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية لتلقين المخاطبين
وارشادهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم
انتفاعا على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا
من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات
الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع المذكور مجرى التأبيد عادة
او لا يهلككم بهلاك الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه تكملة
لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يقع في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب
انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما يمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتعا فقيل ويعط كل فاضل
جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة
ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا
على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب مترتب على التولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة
ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه
كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف واما ما كان ففي اضافة
العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف
منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب
وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم محاوي الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان
يساق من الترغيب والترهيب ووقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام
تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه
الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض
عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحى نحوه العلامة الزمخشري لكن حيث لم يصلح التولي
سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع
رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله نحو المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا يخفى ان مساق
الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق
ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء
الى ان ظهوره مغن عن ذكره او لتذهب نفس السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق
الذي القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها
وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه
وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وكانما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف

عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء
من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ يثنون واصله يثنونن
يفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات افعال منه ثم همز كما قيل ابياض
وادهام وقرئ تثنوي بوزن ترعوي ألا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون
الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط
سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه
وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكأن علمه بالسر اقدم منه بالعلانية ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق
باشتغال المحاسبة بما تخفونه اولى منها بما تبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما اسروه
اولى منه بالعلانية غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان
واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهين عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه
ذلك المسلك مع انه وقع التعبير عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدمة على تعلقه بحالته الثانية
انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير
عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة
في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق
بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد
وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الاصلاب
ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة
بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية
المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم
موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة
ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بما كانت في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام
او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرتها
الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
اي خلق السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في
لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة زمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض لا يتصور ذلك حين لا ارض
ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص
العدد المعين فامر استأثر بعلمه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة

الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غير الماء سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا
على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث
في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق
السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معاشكم واودع
في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب
والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم
فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف
من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر التفكري في بدائع صنائع
الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك
مما له دخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل
الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق
فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم
باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط
الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه
المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما
الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع
البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت اي على موجب قضية الابتلاء كبرى عليه الجزاء المتفرع
على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته لتخصيص القول
بالكافرين منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة
الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك يتخلصون الى القرآن
لاتيانه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل
هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائم التسمية بالسحر فانه يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية
الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكأنه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة
من مقدماته وقضية فرده من تتمته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتمته
واما من حيث ان البعث خلق جديد فكأنه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات لتلك الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة
اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او القرآن
على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء
والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساهلة لئلا يسارعوا
الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوه والفوا عليه آباءهم من انكار البعث وليكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر
وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف
عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب
الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا استعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصر

العذاب قيل ليقولن ما يحبسه أي أي شيء يمنعه من المجيء فكأنه يريد به فيمنعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى
ما كانوا به يستهزئون ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه ألا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا
محبوسا عنهم على معنى أنه لا يرفعه رافع أبدا إن أريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم إن أريد به عذاب الدنيا ويوم
منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد
بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره لتوسعهم فيه وبأنه قد تقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل
فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين وقد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال أبو حيان
وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر
فيأبى فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبيا في الخنا لست أقدم وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا
يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه وإشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله وإحاطته والتعبير عنهما بالماضي
وارد على عادة الله تعالى في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتقرر
وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة أي أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه أي سلبناه إياها وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها إنه ليئوس شديد اليأس من روح الله
قطوع رجاءه من عود أمثالها عاجلا أو آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف
من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه
عليه لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إفاضة أمثالها في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران
للنعمة السالفة أيضا ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة
والنعماء بالذوق المؤذن بلذتها وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من انحائها
وإسناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون
وأنه إنما يريد بعباده اليسر دون العسر وإنما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كأنما يلاقيهم بغير قصد من غير أن يشعروا وأما نزع الرحمة فإنما صدر عنه
بمقتضى الحكمة الداعية إلى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني أي المصائب
التي ساءتني ولن تعتريني بعد أمثالها كما يؤذن به لام العهد فإن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش إنه لفرح
بطر بأشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الأربع موطئة
للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط إلا الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء سابقا ولاحقا إيمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام في الإنسان إما للاستغراق أو للجنس فالاستثناء متصل أو للعهد فمنقطع أولئك
إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك
الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وإن جمت وأجر ثواب لأعمالهم الحسنة كبير ووجه تعليق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث
إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا
والمعنى أن إذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لا يهتدي إلى سنن الصواب ويحيد كل الحيدان عنه إلى مهاوي
الضلال فلا يظهر منه حسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم البعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه
قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك من الآيات الدالة على حقية نبوتك المنادية
بكونها من عند الله عز وجل لمن له أذن واعية وضائق به صدرك أي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة
أن يقولوا لأن يقولوا اقتراحا عليك تعنتا لا استرشادا بتلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وما ديدنهم العناد على وجه الاقتراح لولا
أنزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه أو جاء معه ملك يصدقه قال عبد الله بن أمية المخزومي روي عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا
يا محمد اجعل الملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين
بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين

إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا أشار حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات
الساطعة عليهم وتبليغها إليهم فحمل على الحذر منه بما فعل من الإشفاق فقيل إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك
غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ أحوالك وأحوالهم فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه فاعل بهم
ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في أقصى غاية من إصابة المحز أم يقولون افتراه إضراب بأم المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم
بالوحي وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم
وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه
وسلم والبارز لما يوحى أي بل أيقولون افتراه وليس من عند الله قل إن كان الأمر كما تقولون فأتوا أنتم أيضا بعشر
سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور أي أمثاله وتوحيده إما باعتبار مماثلة كل واحدة منها أو لأن المطابقة ليست بشرط حتى يوصف
المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا أو للإيماء إلى أن وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية إلى مرتبة الإعجاز
فكأن الجميع واحد مفتريات صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم
وقعودهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان
ولأنه لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هو مماثلته في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم
إن صح أني اختلقته من عندي فإنكم أقدر على ذلك مني لأنكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع
وزاولتم أساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون
أنها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجؤون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق
بادعوا أي متجاوزين الله تعالى إن كنتم صادقين في أني افتريته فإن ذلك يستلزم إمكان الإتيان بمثله وهو أيضا يستلزم قدرتكم عليه
والجواب محذوف يدل عليه المذكور فإن لم يستجيبوا لكم أي فإن لم يفعلوا ما كلفوه من الإتيان بمثله كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر
بالاستجابة إيماء إلى أنه صلى الله عليه وسلم على كمال أمن من أمره كأن أمره لهم بالإتيان بمثله دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول
عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء سواكم أو له وللمؤمنين لأنهم أتباع له عليه السلام في الأمر بالتحدي وفيه
تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وإرشاد إلى أن ذلك
مما يفيد الرسوخ في الإيمان والطمأنينة في الإيقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا أي علما أحسن ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع كمال
عليها علما يقينا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للإشعار بحط
تلك المراتب بل لارتفاع هذه المرتبة ويتضح بإيراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فإن تنزيل سائر المراتب منزلة العدم يستتبع
تنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه أو اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم أنما أنزل ملتبسا بعلم الله المخصوص
بحيث لا يحوم حوله العقول والأفهام المستبدة بخصائص الإعجاز من حسن النظم الرائق والإخبار بالغيب وأن لا إله إلا هو أي واعلموا
أيضا أن لا شريك له في الألوهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد فهل أنتم مسلمون أي مخلصون في الإسلام أو ثابتون عليه وهذا
من باب التثبيت والترقية إلى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الأمر
بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من لجأتم إليه في مهماتكم وملماتكم إلى المعاونة والمظاهرة فاعلموا
أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر فإيراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة
آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم
فكأنه قيل فإن لم يستجيبوا لكم عند التجائكم إليهم بعدما اضطررتم إلى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل أو من حيث إن من استمددتم بهم
أقوى منكم في اعتقادكم فإذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وإن كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسكم يكون عجزهم أظهر وأوضح واعلموا أيضا أن
آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الألوهية وأحكامها فهل أنتم داخلون في الإسلام إذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان
ما كنتم فيه من الشرك فقد حصل فيه الإذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا أوليا وانقياد للحق الذي هو كون القرآن من عند الله
تعالى وما هو كون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر

واقناط من ان يجيرهم احد من بأس الله عز سلطانه هذا او الاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك كما انه منبئ عنه قوله ك
فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة
والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله ق
نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد
باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء
من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز
وجل وتوف بالتاء على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحياة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص
الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك
بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم
اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فلهم الحرمان
المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك الى آخره فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحياة الدنيا او باعتبار
توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحياة الدنيا
وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم
مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد
وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه
في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون اي في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية
ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط
علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية
الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد
ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيوية وقرئ بطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك
وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ باطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الى آخره اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هو عام لكل من يعمل اعمال البر
لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لابد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ
فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة
لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه لقد بين ذلك اي بيان
ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية
ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه
شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما
وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة
الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كل من اتصف بهذه الصفة
الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم مسلمون دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول هو الاولى لما ان المراد بتلو الشاهد للبرهان
اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى بمقارنته له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي
يشهد بامرها الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز وعلا ومن قبله كتاب موسى على فاعل مع كونه مقدما عليه
في النزول فكأنه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول
لكونه وصفا لازما غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتبعية منه وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى في العرض
لهذا الوصف بصدد بيان الكتاب لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ان
ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين ومن عثر على دقائق الحقائق وصفهم
يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر
القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك
ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم ثم في قوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم
وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم
وعد من سيئاتهم كأنه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما ذكر يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما زعم
كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد
اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ
عنه ما سيتلى من قوله عز وعلا لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون واذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم
وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذا الاعتبار حصلت الغنية عن اسناد العرض
الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض
العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد
عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه
كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم
ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحفظة وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم
لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقول دون ويشهد الى آخره وتوطئة لما يعقبه من قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز
ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد
الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا

ای یصفونها بذلک وهو بعد شی منه او یبغون اهلها ان ینحرفوا عنها یقال بغیتک خیرا او شرا ای طلبت لک وهذا شامل لتکذیبهم
بالقران وقولهم انه لیس من عند الله • وهم بالآخرة هم کافرون • ای یصفونها بالعوج والحال انهم کافرون بها لا انهم یؤمنون بها
ویدعون ان لها سبیلا سویا یهدون الناس الیه تکریر الضمیر لتاکید کفرهم واختصاصهم به کان کفر غیرهم لیس بشی عند کفرهم • اولئک
مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمیر • لم یکونوا معجزین • الله تعالی مفلتین بانفسهم من اخذه لو اراد ذلک • فی الارض
مع سعتها وان هربوا منها کل مهرب • وما کان لهم من دون الله من اولیاء • ینصرونهم • من بأسه ولکن اخر ذلک لحکمة تقتضیه والجمع
اما باعتبار افراد الکفرة کانه قیل وما کان لاحد منهم من ولی او باعتبار تعدد ما کانوا یدعون من دون الله تعالی فیکون ذلک بیانا لحال
آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولایة • یضاعف لهم العذاب • استئناف یتضمن حکمة تاخیر المؤاخذة وقرا ابن کثیر وابن عامر ویعقوب
بالتشدید • ما کانوا یستطیعون السمع • لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له کانهم لا یقدرون علی السمع ولما کان قبح حالهم فی عدم اذعانهم
للقران الذی طریق تلقیه السمع اشد منه فی عدم قبولهم لسائر الآیات المنوطة بالابصار بالغ فی نفی الاول عنهم حیث نفی عنهم الاستطاعة واکتفی فی الثانی
بنفی الابصار فقال • وما کانوا یبصرون • لتعامیهم عن آیات الله المبثوثة فی الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعلیلا لمضاعفة العذاب
وقیل هو بیان لما نفی من ولایة الآلهة فان ما لا یسمع ولا یبصر بمعزل من الولایة وقوله تعالی یضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بینهما نعیا علیهم من اول الامر
سوء العاقبة • اولئک • المنعوتون بما ذکر من القبائح • الذین خسروا انفسهم • باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز وجل • وضل عنهم
ما کانوا یفترون • من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم یبق معهم سوی الحسرة والندامة • لا جرم • فیه ثلاثة اوجه
الاول ان لا نافیة لما سبق وجرم فعل بمعنی حق وان مع ما فی حیزه فاعله والمعنی لا ینفعهم ذلک الفعل حق • انهم فی الآخرة هم الاخسرون •
وهذا مذهب سیبویه والثانی ان جرم بمعنی کسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل علیه الکلام ای کسب ذلک خسرانهم فالمعنی ما حصل من ذلک الا ظهور
خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنی لا بد ای لا بد انهم فی الآخرة هم الاخسرون وایا ما کان فمعناه انهم اخسر من کل خاسر فتبین انهم اظلم من کل
وهذه الآیة الکریمة کما تری مقررة لما سبق من انکار المماثلة بین من کان علی بینة من ربه ومن کان یرید الحیاة الدنیا ابلغ تقریر
فانهم حیث کانوا اظلم من کل ظالم واخسر من کل خاسر لم یتصور مماثلتهم بین احد من الظلمة الاخسرین فما ظنک بمماثلتهم بمن هو فی اعلی
معارج الکمال ولما ذکر فریق الکفار واعمالهم وبین مصیرهم ومآلهم شرع فی بیان حال اضدادهم اعنی فریق المؤمنین وما یؤول الیه امرهم
من العواقب الحمیدة تکملة لما سلف من محاسنهم المذکورة فی قوله تعالی افمن کان علی بینة من ربه الآیة لیتبین ما بینهما من التباین البین لا
[illegible] فقیل • ان الذین آمنوا • ای بکل ما یجب ان یؤمن به فیندرج تحته ما نحن بصدده من الایمان بالقران الذی عبر عنه بالکون علی بینة من الله
[illegible] استماع الوحی والتذکر فیه وما هو مؤدی الی ذلک من الانفس والآفاق فعلوا الایمان کما فی یعطی ویمنع • وعملوا الصالحات •
واخبتوا الی ربهم • ای اطمأنوا الیه وانقطعوا الی عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهی الارض المطمئنة ومعنی اخبت دخل فی الخبت
کانجد واتهم [illegible] دخل فی تهامة ونجد • اولئک • المنعوتون بتلک النعوت الجلیلة • اصحاب الجنة هم فیها خالدون • دائمون ولما بین
حالیهما عقلا ارید بیان تباینهما حسا فقیل • مثل الفریقین • المذکورین ای حالهما العجیب لان المثل لا یطلق الا علی ما فیه غرابة من الاحوال
والصفات • کالاعمی والاصم والبصیر والسمیع • ای کحال هؤلاء فیکون ذواتهم کذواتهم والکلام وان امکن ان یحمل علی تشبیه الفریق الاول بالاعمی
وبالاصم وتشبیه الفریق الثانی بالبصیر والسمیع لکن الادخل فی المبالغة والاقرب الی ما یشیر الیه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الکفرة بعدم استطاعة
السمع وبعدم الابصار ان یحمل علی تشبیه الفریق الاول بمن جمع بین العمی والصمم وتشبیه الفریق الثانی بمن جمع بین البصر والسمع علی ان یکون الواو
فی قوله تعالی والاصم وفی قوله تعالی والسمیع لعطف الصفة علی الصفة کما فی قول من قال الی الملک القرم وابن الهمام ولیث الکتیبة فی المزدحم
وایا ما کان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول علیها بلفظ المثل هی التی یدور علیها امر التشبیه من الاحوال المذکورة المعتبرة فی جانب المشبه
من تعامی الفریق الاول عن مشاهدة آیات الله المبثوثة فی العالم والنظر الیها بعین الاعتبار وتصامهم عن استماع آیات القران الکریم وتلقیها
بالقبول حسبما ذکر فی قوله تعالی ما کانوا یستطیعون السمع وما کانوا یبصرون وانما اخر هذا الترتیب لکون الاعمی اظهر واشهر فی سوء الحال من الاصم
ومن استعمال الفریق الثانی لکل من ابصارهم واسماعهم فیما ذکر کما ینبغی المدلول علیه بما سبق من الایمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فصل فلا یکون
التشبیه باعتبار جمیع الاحوال المعدودة لکل من الفریقین مما ذکر وما یؤدی الیه من العذاب المضاعف والخسران البالغ فی احدهما ومن النعیم المقیم
فی الآخر فان اعتبار ذلک یتنزع الی کون التشبیه تمثیلا بان ینتزع من حال الفریق الاول فی تصامهم وتعامیهم المذکورین ووقوعهم بسبب ذلک فی

لکن

ظالم

فی العذاب المضاعف والخسران الذی لا خسران فوقه هیئة فیشبه بهیئة منتزعة ممن فقد مشعری السمع والبصر فتخبط فی مسلکه فوقع فی مهاوی
الردی ولم یجد الی مقصده سبیلا وینتزع من حال الفریق الثانی فی استعمال مشاعرهم فی آیات الله تعالی حسبما ینبغی وفوزهم بدار الخلود هیئة
فتشبه بهیئة منتزعة ممن له بصر وسمع یستعملهما فی مهماته فیهتدی الی سبیله وینال مرامه • هل یستویان • یعنی الفریقین المذکورین والاستفهام
انکاری مقرر لما سبق من انکار المماثلة فی قوله عز وجل افمن کان علی بینة الآیة • مثلا • ای حالا وصفة وتمییز من فاعل یستویان • افلا
تذکرون • ای اتشکون فی عدم الاستواء وما بینهما من التباین او اتغفلون عنه فلا تذکرونه بالتأمل فیما ضرب لکم من المثل فیکون الانکار
واردا علی المعطوفین معا او اتسمعون هذا فلا تذکرون فیکون راجعا الی عدم التذکر بعد تحقق ما یوجب وجوده وهو المثل المضروب کما فی قوله
تعالی افان مات او قتل انقلبتم علی اعقابکم فان الفاء ثمة لانکار الانقلاب بعد تحقق ما یوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله
صلی الله علیه وسلم او افلا تفعلون التذکر او افلا تعقلون ومعنی الهمزة انکار عدم التذکر واستبعاد صدوره عن المخاطبین وانه لیس مما یصح
ان یقع لا من قبیل الانکار فی قوله تعالی افمن کان علی بینة من ربه وقوله تعالی هل یستویان فان ذلک لنفی المماثلة ونفی الاستواء ولما بین من فاتحة
السورة الکریمة الی هذا المقام انه کتاب محکم الآیات مفصلها نازل فی شأن التوحید وترک عبادة غیر الله سبحانه وان الذی انزل علیه نذیر وبشیر
من جهته تعالی وقرر فی تضاعیف ذلک ما له مدخل فی تحقیق المرام من الترغیب والترهیب والزام المعاندین بما یقارنه من الشواهد الدالة
علی کونه من عند الله تعالی وتسلیة الرسول علیه السلام عما عراه من ضیق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنیعة وتکذیبهم له وتسمیتهم للقران تارة
سحرا واخری مفتری وتثبیته علیه السلام والمؤمنین علی التمسک والعمل بموجبه علی ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع فی تحقیق ما ذکر وتقریره بذکر
قصص الانبیاء صلوات الله علیهم اجمعین المشتملة علی ما اشتمل علیه فاتحة السورة الکریمة لیتأکد ذلک بطریقین احدهما ان ما امر به من التوحید وفروعه
مما اطبق علیه الانبیاء قاطبة والثانی ان ذلک انما علمه رسول الله صلی الله علیه وسلم بطریق الوحی فلا شک فی حقیة کلامه وتسلیة عما لاقاه
من الرسل قبله من اممهم ومعاناتهم الشدائد من جهتهم فقیل • ولقد ارسلنا نوحا الی قومه • الواو ابتدائیة واللام جواب قسم محذوف وحرف قد
[illegible] کما فی سورة الاعراف للتحقیق والا لاکتفی بالقسم [illegible] اللام الاعم قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع
بها وهو نوح بن لمک بن متوشلخ بن ادریس علیهما السلام وهو اول نبی بعث بعده قال ابن عباس رضی الله عنهما بعث علیه السلام
علی راس اربعین من عمره ولبث یدعو قومه تسعمائة وخمسین سنة وعاش بعد الطوفان ستین سنة وکان عمره الفا وخمسین سنة وقال مقاتل بعث
وهو ابن مائة سنة وقیل وهو ابن خمسین سنة وقیل وهو ابن مائتین وخمسین سنة ولبث یدعو قومه تسعمائة وخمسین سنة وعاش بعد الطوفان مائتین وخمسین سنة
فکان عمره الفا واربعمائة وخمسین سنة • انی لکم نذیر • بالکسر علی ارادة القول ای فقال او قائلا وقرأ ابن کثیر وابو عمرو والکسائی بالفتح علی اضمار
حرف الجر ای ارسلناه ملتبسا بذلک الکلام وهو انی لکم نذیر بالکسر فلما اتصل به الجار فتح کما فتح فی کان والمعنی علی الکسر وهو قولک ان زیدا
کالاسد واقتصر علی ذکر کونه علیه السلام نذیرا لا لان دعوته علیه السلام کانت بطریق الانذار فقط الا تری الی قوله علیه السلام فقلت استغفروا
ربکم انه کان غفارا یرسل السماء علیکم مدرارا الآیة بل لانهم لم یغتنموا مغانم بشارته علیه السلام • مبین • ابین لکم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان
الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخویف والازعاج بل للحذر منه فیتعلق بکلا وصفیه • ان لا تعبدوا الا الله • ای بان لا تعبدوا علی ان ان
مصدریة والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهیة ای ارسلناه ملتبسا بنهیهم عن الشرک الا انه وسط بینهما ما هو بعض من اوصافه واحواله علیه السلام
کونه نذیرا مبینا لیکون ادخل فی القبول ولم یفعل ذلک فی صدر السورة لئلا یفرق بین الکتاب ومضمونه بما لیس من اوصافه واحواله او مفسرة
متعلقة بنذیرا او مفعول لمبین وعلی قراءة الفتح بدل من انی لکم نذیر مبین وتعیین لما یوجب وقوع المحذور وتحقیق للانذار والمراد
بالیوم یوم الطوفان ووصفه بالالیم علی الاسناد المجازی للمبالغة کما فی نهاره صائم وهذه المقالة وما فی معناها مما قاله علیه السلام
فی اثناء الدعوة علی ما عرفت [illegible] لما لم یصدر عنه علیه السلام مرة واحدة بل کان یکررها علیهم فی تلک المدة المتطاولة علی ما نطق به قوله تعالی
رب انی دعوت قومی لیلا ونهارا الآیات عطف علی فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعدها جوابهم المتعرض لاحوال
المؤمنین الذین اتبعوه علیه السلام بعد ما بینا والتی بالفاء التعقیبیة فقیل • فقال الملأ الذین کفروا من قومه • ای الاشراف منهم
من قولهم فلان ملیء بکذا ای مطیق له لانهم ملؤا بکفایات الامور او لانهم ملأوا القلوب هیبة والمجالس ابهة او لانهم ملؤا بالاحلام والآراء
الصائبة ووصفهم بالکفر لذمهم والتسجیل علیهم بذلک من اول الامر لا لان بعض اشرافهم لیسوا بکفرة • ما نراک الا بشرا مثلنا • مرادهم ما انت
الا بشر مثلنا لیس فیک مزیة تخصک من دوننا بما تدعیه من النبوة ولو کان کذلک لرأیناه لا ان ذلک محتمل ولکن لا نراه کذا الحال فی قولهم وما

صدر

وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله
اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول
وتعلق الرأي الاول بالمثلية لا البشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ايذانا بان ذلك لم يصدر عنهم
جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي وتعرضا من اول الامر برأي المتبعين فكان قولهم
وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث علا بدلائل نبوته واغتنم اتباع من له عين بصر وقلب ... فزعموا ان
هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع اراذل جمع رذل كالاكالب
والكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره
من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأ ابو عمرو بها وانتصابه على الظرف
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن
عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى
اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع
اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق لما ان مآلهم السابق واللاحق ومرادهم انهم
كانوا اراذل قبل اتباعهم لك لا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكونكم كلامكم واحدا ودعواكم
واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلم
بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة
برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان تكون هي البينة نفسها
جيء بها ايذانا بانها مع كونها من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله تعالى فعميت عليكم حينئذ
ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام
خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء
لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء
بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باختلاس حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما
جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها
ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم
على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلم بطريق اظهار اليأس عن الزامهم
والقعود عن محاجتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي الى آخره لكنه محمول على ان مراده عليه السلم ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها
بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبه يمتاز
افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك والثبات عليه وبخفائها على الكفرة
على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلم عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم
ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة
من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة لم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم
اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام
وحينئذ يكون كلامه عليه السلم جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم
وقطعا لمادة رأيهم الركيك ويا قوم لا اسئلكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا
لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال لا يخفى من المزية وما انا

بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعك الاشراف لوافقناهم وان اتباع
الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم أنؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم عليه السلام
بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه
قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم
او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوا ربهم لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم
واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا
ان اتباعهم انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا الانكار لا يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة
المؤمنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون
عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبنبلهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله
كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى
وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول
غضبه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان
لا سيما بعد ما قدم ما يلوح به من احوالهم وفي كلمة من المنبئة عن الدفع ايماء الى ان طردهم ... كما مر في قوله تعالى
افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب
ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بما صدرت
ولا اقول لكم حين ادعيت النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل
بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي ولا
اقول اني نذير مبين اي اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا
ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني
لا ادعي شيئا من ذلك لان الذي ادعيه لا يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة
لكم كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم للنظر الى قولهم وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم لما فعلوا ذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم
لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس مما ينكره
الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن فما نفاه عليه السلام عن
نفسه بطريق البراءة والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا من النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم
زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تستمر ... على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب
الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير
الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين
وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهدى بان اللائق لكل احد
ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس له على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك
لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم
واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال ... التعليل بلزوم الانتظام
في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال تحقق بعد وقوع
اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت كثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله لما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات

واضحوا المدلول وحجا سلفا لها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا
من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت
من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله
الذي كفرتم به وعصيتموه ويأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة
القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة
جامعة لكل ما يدور عليه الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموقع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم
شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى
ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون
من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط
الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن ازاحتهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق
النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى السبيل المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند
ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقارنة
بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة
في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك
وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق
بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب
بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان
افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان فسره الاولون بآثامي
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ومعناه بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا
لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة
وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام
من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانهم وهذا الاستثناء
على طريقة قوله تعالى الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب
والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا
وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها
وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب
اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق
وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا او للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت
من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى
جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى
الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع

وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا
من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض
التراب عن رأسه قد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال
حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني في شأنهم وحيث كان
ما يوحى بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم
الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره
واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا
من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عزته شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من
المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه
من تحمل المشاق التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر
منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا
او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض للجمع في المجازاة في قوله تعالى فانا نسخر
منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام لم يكن
يتصدى للاظهار جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء لما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب
تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل وقال ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف
فكأن سائلا سأل فقال ما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب
والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدعاء الايمان
والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا
عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عنهم من الاعيب لا في الكيفية والاحوال التي تلبس بها
صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك
ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل
عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون
وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة
المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في عمل السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد
استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد
استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة وللتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة
في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه
وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في اذيته عليه السلام وتحمله لاذيتهم
لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها
والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء

اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق
العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام
يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لابد منه في الارض
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل
اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عرفا فيما امر من الحمل لانه تحتاج الى مزاولة
الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله
تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما دخل
باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانها انما تحمل بمباشرة البشر وهم انما دخلوها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين
او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
الآية والمراد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل
ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلوم عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم جيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام
فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم
وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور واشار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما
آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا
انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون
بعضهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلم لمن معه من المؤمنين كما ينبئ
عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال اركبوا ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج
او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما يلوح به ما سيأتي من قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه
واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المامور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها
في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب
العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس
وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية
الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله
اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان
او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز
ان تكون بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة اسم الفاعل مجرورين صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها
بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك لم يهلككم بالغرق
اي الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على
راي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال
وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان
يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان الكلام
بين نوح عليه السلم وبين ابنه من المقاولة وبنائه الاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابناه وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته

وكان ربيبه وما نقل من انه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله
تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم ييأس من حياته بعد وكان في معزل اي مكان
عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد
عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الا ان ذلك الوقت
لكنه عليه السلم ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول
نصا في كونه داخلا فيه بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة
وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا
قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث
حال الجرض دون التعريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين
وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب كونه معه عليه السلام كونه في الايمان لانه عليه السلم بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر
قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى
منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء
الى المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه
ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه فيفيد النفي المقصود اصلا لكنه عليه السلم حيث قال لا عاصم
اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيها داع ولا مجيب اي احد من الناس
للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة
التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل
اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب
المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم
من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير والاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها
على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل
بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى
لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله
فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل
منه بين الملتجي اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد الكون
دون الصيرورة مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس
كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد
ما سبق بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت
السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد
الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او
بآمد روي انه عليه السلام ركب في الفلك عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا وصارت سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك
فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى نائل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب

ونادى نوح ربه أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر
بحملهم في الفلك أو النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الإجمال وإن وعدك الحق أي وإن وعدك ذلك أو إن كل وعد تعده حق
لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا أوليا وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم أو أنت أكثر حكمة من ذوي الحكم
على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء أيوب عليه السلام إذ نادى ربه أني مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكر وعده عز وجل ذكره مبنيا على كون كنعان من أهله نفى أولا
كونه منهم بقوله تعالى إنه ليس من أهلك أي ليس منهم أصلا لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر
أو ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس من الذين وعد بإنجائهم ثم علل عدم
كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى إنه عمل غير صالح أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول
الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار وإيثار غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون
نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم وإما للتلويح بأن نجاة من نجا إنما هي لصلاحه وقرئ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير صالح أي عملا غير صالح
ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي
عن سؤال إنجائه إلا أنه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا أوليا فقيل فلا تسألني أي إذا وقفت على جلية الحال فلا
تطلب مني ما ليس لك به علم أي مطلبا لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول
للسؤال أو طلبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد
ومشتبه الحال ويجوز أن يكون المعنى ما ليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد
بالطريق الأولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا
عن سبب عدم إنجائه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم كما قيل فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم داع إلى الاستفسار
عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجائه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه وقيل
أو بإنجائه في قلة الجبل وإياه مذكرا الوعد في الدعاء فإنه مخصوص بالإنجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بإنجاء أهله ولم يكن
مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام أن يدعوه إلى الفلك أو يدعو ربه لإنجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء
إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر لظهور جواز ذلك لجهله باختصاص النجاة بالفلك وزعمه أن الجبل أيضا يجري مجراه أو لكراهة
الاجتماع في الفلك بل قوله سآوي إلى جبل يعصمني من الماء بعدما قال نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في إيمانه
حيث لم يقل أكون معهم أو سأوي إلى ويعصمنا فإن إفراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله
عنهم وامتثاله ببعض ما أمره به نوح عليه السلام إلا أنه عليه السلام لو تأمل شأنه حق التأمل واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما أمره وتفحص
عن أحواله كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل إني أعظك أن تكون من الجاهلين
فعبر عن ترك الأولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب إني أعوذ بك أن أسألك أي
أطلب منك من بعد ما ليس لي به علم أي مطلوبا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلبا لا أعلم أنه صواب أو غير صواب على أنه
توبة منه عليه السلام مما وقع منه وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهار الرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى
وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا محيص منه إلا بالعوذ بالله تعالى
وأن قوته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك وإلا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي أكن
من الخاسرين أعمالا بسبب ذلك فإن الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هاتيك النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء
والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شأنه إنه عمل غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران
مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الأمر الوارد على الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي
والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج إذ حينئذ يتصور الدعاء بالإنجاء

لا لبعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الأمور الدينية الأصول
إلا لبعد النفس قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقدم ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو أول القصة وكان حقها أن يقال وإذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما في موضعه لما نحن بصدده لأنه على كمال سوء حال المخاطبين بعد ما تم
المسوق وتعليله التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا إلى آخره للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة ولو قصت
القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن أن المجموع تقريع واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة
أصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية إلى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا بل لأن
ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر
الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني آخذ بعضها
بحجزة بعض بحيث لا يكاد تفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام القصة لا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام
الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن
موقع الإيجاز البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك إلى آخره أنه ينجو بدعائه عليه السلام
فنص على هلاكه من أول الأمر ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيض
والإقلاع وبين بلوغ أمر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك
على الجودي فقصت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جل حكمته
فذكر بعد توبته عليه السلام وهبوطه بقوله قيل يا نوح اهبط أي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره
كائنة منا أو بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك أي خيرات نامية في نسلك وما يقوم
به معايشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق وقرئ بركة وهذا إعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الأمم المؤمنة المتناسلة
ممن معه إلى يوم القيامة وأمم سنمتعهم أي ومنهم أمم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فإن إيراد الأمم المبارك عليهم المتشعبة منهم
نكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما مباركا عليه بل منهم أمم ممتعون في الدنيا
معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح
عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك لدلالة النص ويجوز أن يكون من بيانية أي وعلى أمم هم الذين معك وإنما سموا أمما لأنهم أمم
متحزبة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم سنمتعهم بعض الأمم
المتشعبة منهم وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة وبقي أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه
ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لأن من المذكورة بيانية والمحذوف تبعيضية أو ابتدائية ثم يمسهم إما في الآخرة
أو في الدنيا أيضا منا عذاب أليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع
والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى ما قص من قصة نوح عليه السلام وما لكونها
بتقضيها في حكم البعيد أو للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من أنباء الغيب أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر
الأنباء بل نبأ وحدها منفردة عما عداها أو بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو هو الخبر ومن أنباء
متعلق به والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء أي موحاة إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر
أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا أي من قبل إيحائنا إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه
السلام لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الإيحاء أو العلم المستفاد منه

المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك وعلمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية
قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهو ناظر الى ما سبق من قوله تعالى ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الآية
ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه وذلك استئناف جيء به تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحسنى للمتقين وهو اقصى رجاء الصابرين والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه
السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منها اعني التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه
وهو التقوى الحقيقي المطلق بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين
والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا
الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل
المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل
منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه
اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري
مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع
صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه ان انتم الا مفترون ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امركم بعبادتها الا مفترون
عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا
للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله
تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره العاري عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي
عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلون ما او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان ما لا يمتنع ان يخفى على احد من العقلاء
ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة والتبري
عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة
مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر
واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلم كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا
عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما انتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي الهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين
عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومفاده التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء
واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين
في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى
ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها
وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو
كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن
بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوه وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده
من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة
عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم
مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلم حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلم

بقولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له بقولهم وما نحن لك
بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلم مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة
الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من الهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء
المبنية على اعتقاد كون الهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه السلم في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية
انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصها به وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء
بمجازاته لصنيعه معها صرح عليه السلم بالحق وصدع به حيث اخبر براءته القدسية عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم
بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يقولهم بعض الهتنا
والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلم ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم
من كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي
ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة الهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلم
كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم والهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي
المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب الممانعة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا
بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي
مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام
وواثق بكلاءته وحفظه من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة
الا هو اخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي
على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده
معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة
اليه عليه السلم فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم
استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما اخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين وفي اختصاص اضافة الرب
اليه عليه السلم رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم
ويستخلف سقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول
على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله
بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورود امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة عظيمة كائنة
منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية من عذاب غليظ
وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب
اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تتمة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم
فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا
بايات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلم تفظيعا لحالهم
واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلم عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق
بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلم وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الايات
وما تأخر من قوله تعالى واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا

كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع
للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء عنيد فعيل من عند عندا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا
من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية
للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا
ذلك لعنة جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها
وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجمعا في قرن واحد بان يقال اتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة اذ ليس فيها اختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة
الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا
دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا للتسجيل عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد
للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء
الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله
تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم
من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة
لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله
غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الامتثال بالتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها
لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام لم يكن مقصورا
على نفسه بل كان انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء
مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها من العمر اي عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان
داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل
ان ربي قريب اي قريب الرحمة لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم
الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او مثل هذا الوقت كانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك
ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجوا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه والعدول
الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة
مريب اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة واسنادها الى الشك اسناد
مجازي والتنوين فيهما وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة
من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة هي نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك
اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار
لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن كان بتلك المثابة ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار
نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا يفيدني اذ لم يكن فيه اصل الخسران

حتى يزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون
غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم
من الانكار على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله
الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق
نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت
صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية فذروها خلوها وشأنها تأكل
في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لزيادة استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها
ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه
ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم
ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او بلدكم وتصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد ما فيه من معنى البعد للتفخيم وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الوعد قال له اني بك فان وفي به
صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل
نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين
الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او ذلتهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب
المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء
لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها
صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت
عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي في بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين
موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى
ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار
وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم الاحد
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم
في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه

اي قال لهم بعد ثلثة ايام ... تصبح وجوهكم مصفرة

ابو بكر منادٍ في النجم وقرأ حفص منونا في الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملكان عليهم السلام وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى والملكان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب انما لحق بقوم لوط منهم جاء غير الاسلوب المطرد فيما نحن فيه من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه وجعل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي متلبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم الضرر لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئهما كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وسيعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بهم ماذا قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرئ قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به او فما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا تمتد اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم الاكل وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اي احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تعالى انا بشر كقيل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الخبائث او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبنا سرورها بسرور اتم منه على ألسنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اي ووهبنا من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان سميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فماذا فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت االد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي

اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او هو خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في االد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي االد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان منافاة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها في الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستتبع واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته تعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى قادر على كل شيء وانتم اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى خصكم بانواع الطاف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالهما بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان ما حقه التقديم يبقى النفس مستنظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او لطعن يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الآية ولعل المبادر من هذا الكلام ان يكون آخر الهم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط وحصل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلما كان لوط عليه السلام على شرف عذاب قومه وقومه منكفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود تعداد صفاته الجميلة المذكورة وبيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود

لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليهما السلام وبين القريتين
اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز
عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم
لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم
قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال
فيه وقيل ضاق بنفسه عن تحمل الحادثة وذكر الذرع مثل وهو لما كان قدر البدن مجازا اي انه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع
اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها
ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت
طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون
اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى ومن قبل اي من قبل هذا الوقت
كانوا يعملون السيئات اي جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها
ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
ولا يجيبونهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه
واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجريا على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك
مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا ما اقدموا
عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره
اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح
قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك
وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم
وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم قوة لما فيه
من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او آويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل
في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار
المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف ولا ينظر الى
ورائه احد منكم من اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما نزل بقومهم
من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك
وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف لئلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب

فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونه مأمورا بذلك لا اعتذار بان مقتضى الرفع انما هو تجرد كونها
معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما روي انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب
انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام
بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مأمورا به
قطعا وفي حمل الاهل في احدى القراءتين على الاهل الذي في الاخرى على التنبيه مع ان ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه
من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر
قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو
امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وفي قوله تعالى مصيبها وقوله تعالى ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي هو
ضمير الشان ولا يخفى ما فيه من تفخيم شأن ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد
عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تأكيد للتعليل فان
قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد
اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون
ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي
عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول
للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم
سافلها اشد عليهم وانكى من جعل سافلها عاليها روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا
عليها على اهل المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار وقيل من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم
وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار
الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها عند ربك
في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره سبحانه وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب
ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد
او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها
بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد
مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة العالية او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا
وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم
صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره
تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه
من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اي الكم

أراكم بخير أي بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها أو أراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقب بعلة أخرى أعني قوله عز وجل وإني أخاف عليكم إن لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب على الإسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فإن اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ويجوز أن يكون هذا تعليلا للأمر والنهي جميعا ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فإن الزيادة في الكيل والوزن وإن كان تفضلا مندوبا إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وإنما أمر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الإيفاء والمنع من البخس وتنبيها على أنه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما أشياءهم أي شيئا وتنهاونها وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والأمر بإيفائه استقلالا بشأنه وترغيبا في إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال والميزان الأمر بإيفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثي يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل البخس المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في الأرض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم بقية الله أي ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء منثور بل شر محض وإن زعمتم أن فيه خيرا كما قال تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان لا محالة أو إن كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ أحفظكم من القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت إذ أنذرت ولم آل في ذلك جهدا أو ما أنا بحافظ ويستبقي عليكم نعم الله تعالى إن لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام إياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الأصنام وقصدوا بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بإنكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا أن لا آمر به من العقل واللب أصلا وأنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان التي توارثناها أبا عن جد وإنما جعلوه عليه السلام مأمورا مع أن الصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه إليهم وتخصيصهم إسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ أصلواتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما أي أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك أي أصلاتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على قراءة التاء يستدعي أن يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام إيجاب الإيفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الإيفاء فإن ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعالهم أما لم تقل عطفا على أن نترك لأن الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام إياهم وأمره بذلك والمعنى أصلاتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلاتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه واستهزاء من تلك الجهة بإدخال الهمزة على الصلاة دون الآمر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام الدعوة ما يحمل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الأول والتاء في الثاني عطفا على أن نترك أي وأن تفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما تشاء أنت من التسوية والإيفاء إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وإنما أرادوا بذلك وصفه

بضدهما كقول الخزنة ذق إنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أمري وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينة والحجة لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة أيضا عبر بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إن ما أمركم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به آمر العقل ويقتضيه قاضي الفطنة وإنما يأمر به صلاتك التي هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق والسياق والنظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف فهل يصح أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل من ذلك وإنما يناسب ذلك أن لو حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك يأمرك أن تكلفنا ترك عبادة الآلهة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك ليس عصيانا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فينا كما كان قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أمروا على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني إن كنت نبيا من عند الله عز وجل ما لا حلالا لا أستغني به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما أريد نهي إياكم عما أنهاكم من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده بعدما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه وما توفيقي أي كوني موفقا لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم إلا بالله أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه تعالى وإنما أنا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من رتبة الاستمداد به والاستعانة إليه وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم وإليه أنيب أي عليه أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء الكامل فيه لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يتبعه ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي وأصلها أن أحد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسبه المال فكما لا فرق بين كسبته إياه وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أفصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة

نهى للكفرة عن مساءته عليه السلام على الطف اسلوب ابدعه كما مر في المائدة عند قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم وكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم
بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود
افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة
المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه بطماعية ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار
والتوبة واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه
وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل السفاهة
كما هو ديدن المفحم المحجوج تقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف
من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك انه في تضاعيف ما سمعوا اقصى ما يكون من الوخامة والعقاب فعل ذلك ما هم
من التحذير من عواقب الامم ان الله لذلك قالوا وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع
والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لخوف منهم لرجمناك فان ممانعة الرهط وهو
اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز
بكريم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنك للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا
وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لاستماع قرينة قوله ولولا رهطك
كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة
الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه اسقاط ذلك
كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به
عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك
في اصل العزة لتشديد التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز
عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر
الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي بكسر الهمزة في النسبة الى الامس ان ربي
بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون
الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم
الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر
وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترأوا على العظيمة التي هي الاستهانة به عليه السلام والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريق
التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا
انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة
والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم وفي اخراج
امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم
عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث
لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف

تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان
وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس مما يترتب على اتيان
العذاب انما المترتب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب
يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول
اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام
لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب
مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر
بالواو كما في قصة هود عليه السلام لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي
صالح ولوط عليهما السلام فانه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت
الذين ظلموا عدل به عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه
الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي
الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك
جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجيته عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له
ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب
جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم
اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم
وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين ابى
بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا او ارسالا
ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهر
او المراد بالآيات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته
واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما منه
عليه السلام لضعاف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة
عن التوراة وادراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملئه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه
قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين وترك
العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملئه بالذكر مع
عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون
بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملئه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره
بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكأن كفره وامر ملئه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر
صريحا وانما المحتاج الى ذلك شأن ملئه المترددين بين داعي الحق وداعي الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم
المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعتهم الى الكفر وامره
فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون

شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحبته فلم ينزجر
فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الا
لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون في حكم الفساد والافساد والضلال والاضلال
فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول
بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم
يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود
اي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين
اتبعوا امر فرعون في هذه اي الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف
قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفي ببيان حالهم الفظيع
وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع
ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه
المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة
وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه عليك
وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص
منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفي
وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف
ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثرت صيغة المضارع
حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين
مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي يدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بان اثره يظهر فيها ذكره وقرئ اذ اخذ
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا
بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير
ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر حيث يستدل بما حاق بهم من الغذا
العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس شيء من احواله مستندا
الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي
التي تقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة
يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه
فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم
مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان
الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله
كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تعظيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل

لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي
الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك
اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
في آخر منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله
ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له
الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار
فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما
وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بمن استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة
كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها
خلا انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التابيد
ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات
التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق
فالمراد سموات الآخرة وارضها كما دل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء وحيث ان كل احد يعلم بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة
الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلوم بحكم العقل واستحالة
تعلق المشيئة بعدم الخلود معلوم بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها اذ لا امكان
لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق
مشيئته تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه
فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن الحكمة الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار
لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب
وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب
المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق لذلك الاستثناء
ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام
الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي
ما وراء تلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى ببيان المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل ان من العقوبات ما لا
نعرفه في انهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوفق مما ذكر
وقيل المعنى من علي ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار معذبين بالخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة
المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر هنا ان لهم
فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة
التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدر من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه
قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعده الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان
نسبة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى

بالذي ثبت لأهل النار وجوز أن يتعلق بكلا القسمين أو بالأول فقط لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية
أي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والأخروية مما يعبد هؤلاء أي من جهة عبادة
هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها أو من حال ما يعبدونه من الأوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبل الشروع في القصص لبيان
غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا
تذكرون وقص عقيب ذلك من أنباء الأمم السالفة مع رسلهم المبعوثة إليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر
هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم الذين قصت عليك قصصهم من قبل
أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان والعدول إلى صيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه فحذف لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغك ما حل بآبائهم
فسيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات وإنا لموفوهم أي هؤلاء الكفرة نصيبهم أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم
وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم أنصباءهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب
عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له
لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة
فاختلف فيه أي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم
لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم أنك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بإنظارهم إلى يوم القيامة على حسب
الحكمة الداعية إلى ذلك لقضي بينهم أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به
من المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وإنهم أي وإن كفار قومك أريد به بعض من رجع إليهم ضمير بينهم للأمن من الإلباس
لفي شك عظيم منه أي من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن ذكر إيتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي
بذلك نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه أي وإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل لما ليوفينهم ربك أعمالهم أي أجزية أعمالهم واللام الأولى موطئة
للقسم والثانية جواب القسم المحذوف وما مزيدة بين الجارتين أو الموصولة أو الموصوفة وأصلها لمن ما فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمع
ثلاث ميمات فحذفت الأولى والمعنى لمن الذين أو لمن خلق أو لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على أن ما مزيدة للفصل بين
اللامين والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين أي جميعا كقوله تعالى أكلا لما وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم
على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به إنه بما يعملون أي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء
من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية أجزية أعمالهم فإن الإحاطة بتفاصيل أحوال الفريقين وما صدر عن كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء
المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه إن خيرا فخير وإن شرا فشر فاستقم كما أمرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الأمم
الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير إلى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذبين
وأن نصيبهم من العذاب واصل إليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لولا سبق كلمة القضاء
بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة إلى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وأنهم موفون نصيبهم غير منقوص وأن كل واحد من المؤمنين
والكافرين موفى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر به في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين
ولا سيما الأعمال الخاصة به من تبليغ الأحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة بحيث لا يدخل تحته ما أمر فيما سبق من قوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات
النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك
أي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل
القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة إذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى
والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بإفراط أو تفريط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم وإنما

سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا أو تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام إنه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك
وهو تعليل للأمر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فإنه طغيان وضلال وأما العمل
بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما أمر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا
أي لا تميلوا أدنى ميل إلى الذين ظلموا أي إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل
من أن ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم إنما يتم أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم
جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مساس النار
هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم
ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف
ومن جناح البعوض أخف بمعزل من أن يميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم
والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فإن الميل إلى أحد طرفي الإفراط
والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من أركنه وما لكم من دون الله من أولياء
أي من أنصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم
أولياء حتى يصدق مع أن يكون له ولي بل بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير
بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه إذ قد سبق في حكمه أن يعذبكم بركونكم إليهم
ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما أوعدهم بالعذاب وأوجبه عليهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله تعالى معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا وأقم الصلاة طرفي النهار
أي غدوة وعشية وانتصابها على الظرفية لكونه مضافا إلى الوقت وزلفا من الليل أي ساعات منه قريبة من النهار فإنه
من أزلفه إذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتيهما صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لأن ما بعد الزوال
عشي وبصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة إن الحسنات
التي من جملتها بل عمدتها ما أمرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر أي يكفرنها وفي الحديث إن الصلاة
إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت في أبي اليسر الأنصاري إذ قبل امرأة ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت والمعنى
من اقترانها لقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك إشارة إلى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل إلى القرآن ذكرى
للذاكرين أي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما أمرت به في تضاعيف الأوامر السابقة وأما ما نهي عنه من الطغيان والركون
إلى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم إلا أن يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من أدنى ميل بحكم
من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية إلى من وجد منه ظلم ما فإن في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يخفى فإن الله لا يضيع
أجر المحسنين أي يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلا وإنما عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة
حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع
صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة
فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان فلولا كان فهلا كان
من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم أولو بقية من الرأي والعقل
أو أولو فضل وخير وسموا بها لأن الرجل يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم
ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره
أي أولو مراقبة وخشية من عذاب الله كأنهم ينتظرون نزوله لإشفاقهم ينهون عن الفساد في الأرض الواقع منهم حسبما حكي عنهم

إلا قليلا ممن أنجينا منهم استثناء منقطع أي لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوهم على تلك الصفة على أن من للبيان لا للتبعيض لأن
جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي المذكور إلا للقليل من الناجين منهم
كما إذا قلت هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك إن جعل الاستثناء
من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا منهم لكن الرفع هو الأفصح حينئذ على البدلية واتبع الذين
ظلموا ما أترفوا فيه أي ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيلها أما المباشرون فظاهر وأما المساهلون فلما لهم في ذلك
من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركو النهي وأنت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والإجرام عبارة
وكانوا مجرمين أي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا واتبع إلى آخره فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم
والتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استثناء مترتب على قوله إلا قليلا أي إلا قليلا ممن أنجينا منهم
نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الإظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف
على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبع أي اتبعوا شهواتهم
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ وأتبع أي أتبعوا جزاء ما أترفوا فيكون
الواو للحال ويجوز أن يفسر به المشهور ويعضده تقدم الإنجاء وما كان ربك ليهلك القرى أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة
أن يهلك القرى التي أهلكها حسبما بلغك أنباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله تعالى بظلم أي ملتبسا به
قيل هو حال من الفاعل أي ظالما لها والتنكير للتفخيم والإيذان بأن إهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما يفعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران
عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى وأهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده
بما وقع حالا من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقيد نفي الإهلاك ظلما بحال كون أهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد
بالظلم الشرك والباء للسببية أي لا يهلك القرى بسبب إشراك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل في الفساد الأولي
دخولا أوليا ولذلك كان نهي كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أممهم أولا عن الشرك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم
متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مجتمعة على الحق
ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق أي مخالفين له كقوله
تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم إلا من رحم ربك إلا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله إلى الحق فاتفقوا
ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك أي لما ذكر
من الاختلاف خلقهم أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للرحمة فالضمير لمن واللام في معناها أو لهما معا فالضمير للناس كافة
واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك أي وعيده وقيل أو قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما
أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا أي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف إليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من أنباء الرسل
بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص نقص
من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت فؤادك مفعول نقص وفائدة التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام
وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم
من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقتصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين أي
الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره

وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقتصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان
كون ذلك فيها لا في غيرها ولا عنده بأن تأخير ما حقه التقديم يبقي النفس مترقبة إليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب أطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم
الإيمان إنا عاملون على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أي نزول
نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرئ على البناء للفاعل من
رجوعا فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وفي ترتيب الأمر والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل وفي تأخير الأمر بالتوكل
عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب أي أنت
وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي عشر حسنات بعدد
من صدق كل واحد من الأنبياء المعدودين فيها وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما أريد بالإشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب
عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من أبان بمعنى بان أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه بنوعيه لا سيما
الإخبار عن الغيب أو الواضح معانيه للعرب لا تشتبه عليهم حقائقه ولا تلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم أو بمعنى بين أي المبين لما فيه
من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب
عبارة عن السورة فإبانته إنباؤه عن قصة يوسف فإنه قد روي أن أحبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا
انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالإبانة من قبيل براعة الاستهلال
لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل إنا أنزلناه أي الكتاب المنعوت بما ذكر
من النعوت الجليلة فإن كان عبارة عن الكل وهو الظاهر الأنسب بقوله تعالى قرآنا عربيا إذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتبادر
إلى الفهم عند إطلاقهما فالأمر ظاهر وإن جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والتحقيق أن ذلك اسم جنس في الأصل يقع على الكل
والبعض كالكتاب أو لأنه مصدر بمعنى المفعول أي أنزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون أي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع
خبرا وتطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك أي نخبرك ونحدثك من الاقتصاص
من قص أثره إذا اتبعه لأن من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما تقول تلا القرآن لأنه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية أحسن
القصص أي أحسن الاقتصاص فنصبه على المصدر وفيه مع بيان الواقع إيهام لما في اقتصاص أهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول إما لاعتماد
على انفهامه من قوله عز وجل بما أوحينا أي بإيحائنا إليك هذا القرآن أي هذه السورة فإن كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصا
والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق أن الاقتصاص ليس بطريق الإلهام أو الوحي غير المتلو وإما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود وحسنه
لأنه اقتص على أبدع الطرائق الرائعة الرائقة وأعجب الأساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الأولين والآخرين
وإن كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق الشمال من اليمين وفي كلمة هذا إيماء إلى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بأن يكون المراد به
المجموع فتأمل أو نقص عليك أحسن ما نقص من الأنباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر أو مصدر سمي به
المفعول كالخلق والصيد ونصب أحسن على المفعولية وأحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وإن كنت إن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن
الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وإن الشأن كنت من قبله من قبل إيحائنا إليك هذه السورة لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وإن غفل عنه بعض الغافلين إذ قال يوسف نصب بإضمار اذكر وشروع في القصة إنجازا للوعد بأحسن الاقتصاص أو بدل من أحسن القصص
على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فإن الوقت مشتمل على المقصوص أو ظرف لنقص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه
عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب لا على أنه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من آسف لشهادة المشهور

لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فقد روي عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا
فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار
التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يخص رؤيته راء دون راء
فيكون ظاهرة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره
بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع
بعطفهما عليها كما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يخفى
ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى
عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كان سائلا سال فقال كيف
رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام
بامر الاتمام مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على سؤال من قال
فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة
ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي كالرؤية في المنام كما ان
الرؤية في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من فوق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق
من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون
التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك
ولاهلاكك كيدا مبينا راسخا لا تقدر على التفصي منه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام
يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا
للايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد
باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة بنو يعقوب
من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة واما الثاني عشر المشار اليه بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي
هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما
فليس داخلا تحت هذا النهي اذ لا يتوهم منه ذلك ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا في معهم الرؤيا اذ لم يكن ممن عمه السجود ذكره والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا
عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالوا جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على الاحتراز وهو
استئناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام
على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها الى ان تحول اخوته بينها وبين ظهور اثارها وحصولها او تعوق سبيل وصولها

شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت اثاره في عالم المثال
من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك بحسبه على وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه
اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه
بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة
اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم عين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده
بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام
تاكيد مقالته وتحقيقها وتطييب نفس يوسف عليه السلام بما اخبره على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سلف بالقبول
والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث
اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
واقاطيع وسمي التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما ذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا اليه وكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع
من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما سيبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها
باتمام النعمة وانما عرف ذلك يعقوب عليه السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ
ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا
لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو افاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال
وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة وعلى وقوفها
على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان البديع
لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر منيف ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها تظهر اثاره
وتجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور
بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي وللاشارة الى كونه اثره ووسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا
من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى ال يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم
فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة
الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد تمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون
اثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدر اي يتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك
وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقق التشبيه كون
ذلك في جانب المشبه مثل ما وقع في المشبه به من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق
عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وذكر
معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبره في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء
من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة
اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور
حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية
تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين

ايضا حصة من القصة او سنوا علانية العدو دون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها • ايات • علامات عظمة الشأن اذ على قدرة
الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة • للسائلين • لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او الطالبين للايات المعتبرين بها فانهم الذين ينتفعون
عليها والمستفهون بها دون من عداهم ممن اعرض لحث قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
والمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع
من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية كافية في الدلالة
على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا بدلا من آية
لتعدد وجوه الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي
اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى • اذ قالوا ليوسف واخوه • اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته
ليوسف من الطرفين الا يرى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف • احب الى ابينا
وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف
جاز الامران وفائدة لام الابتداء تحقيق مضمون الجملة وتأكيده • ونحن عصبة • اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد
احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم • ان ابانا • في ترجيحهما علينا في المحبة مع
فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة • لفي ضلال • اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته
مبين • ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم • اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا • من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله
بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية الصيغة فكأنهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا
فجعلوا كأنهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجمع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو دال على مسارعتهم الى ذلك القول
وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظرف المبهم • يخل بالجزم
جواب للامر اي يخلص • لكم وجه ابيكم • فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم • وتكونوا • بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق اي ما يتحقق فيكم ما بعده للمبالغة
في حملهم على القبول فان اغتنام الشأن نفسه واستمرارها تحصيل منافعه اتم واكمل • من بعده • من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره
او قتله او طرحه • قوما صالحين • تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم
بانتظامها بخلو وجه ابيكم • قال قائل منهم • هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الى آخره وقيل روبيل وهو
استئناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الطبع اما خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم • لا تقتلوا يوسف •
اظهر في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى
واحاله على اولويته ما عرضه عليهم بقوله • والقوه في غيابة الجب • اي قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر الذي لم تطو
بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب
الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة • يلتقطه • يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف
على الضياع • بعض السيارة • اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما هو خاف من
كلامه لموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه • ان كنتم فاعلين • بشيء لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا
لقلوبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان ما انطوى عليه مظنة لسؤال
سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه اولا فاجيب بطريق الاستئناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل • قالوا يا ابانا • خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النصح منهم وتذكير الرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك
الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا • ما لك • اي اي شيء لك • لا تأمنا • اي لا تجعلنا

على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا • وانا له لناصحون • مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة
والمقة وقرأه القراء المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام • ارسله معنا غدا • الى الصحراء
يرتع • اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ • ويلعب • بالاستباق والانتضال ونظائرهما مما يعد من
المناهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم
حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء • وانا له لحافظون • من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد
الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا لتحصيل مقصدهم • قال • استئناف مبني على
سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال • اني ليحزنني • اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم • ان
تذهبوا به • لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه • واخاف ان يأكله الذئب • لان الارض كانت مذأبة والحزن الم
القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب المفوت لاستمرار مصاحبته
وهو اصلة ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام ان قد شد على يوسف عليه السلام ذئب كان يحذره فقال ذلك
وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمزة على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا
وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الاظهر لفظا ومعنى • وانتم عنه غافلون • لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه • قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة • اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان تعصب بنا الامور
العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تعالى • انا اذا لخاسرون • جواب مجزئ
عن الجزاء اي لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار
ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرنا
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم يأتون
به عن قريب • فلما ذهبوا به واجمعوا • اي ازمعوا • ان يجعلوه • مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك
الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها • في غيابة الجب • قيل هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من
يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان ذلك ايضا مما يقال من نهاية بيت المقدس ... بالمقاطرة
وبعضهم اياهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف اي فعلوا به ما فعلوا واشعار
بان تفصيله بالاكوية مما تضيق عنه العبارة وجملة ما فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني الا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد
عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي
في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب
في تميمة علقها على يوسف فجاء جبريل فاخرجه من التميمة فالبسه اياه • واوحينا اليه • عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة
لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا • اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك • وهم لا يشعرون • بانك يوسف
لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات
المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره
فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة

التي اوروه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرتهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى
وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى
اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونحوهما وتركنا
يوسف عند متاعنا اي ما يتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه
التفقد والتعهد حيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل ولم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ
الملتزم لانهم اذا لم يسرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمرأى
منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث تتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان
ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك
صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه
المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب
على الظرفية من قوله تعالى بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال
على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب
اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بالمهملة اي كدر
وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا
سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان
في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الحكاية كانه قيل فما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم
اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل
تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا
من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل واولى وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه
الى الخلق الا قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا
والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون
وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى
فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتعيين المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه
عليه السلام لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف
في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير عن المجيء ليس بالنسبة الى مكانهم بل الى كنعان ليس من المصري بل من
بال الى مكان يوسف في اشارة على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند ملك مقتدر والقافلة
الجب كانت في الامم المتأخرة فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير
من جهة مدين الى مصر وتوقعها باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة

من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود
لا يعزب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال
يقتضيه الحال يا بشراي هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي مكان لو جد سباحا من الماء وقيل هو
اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري
بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له
في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما
صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد
واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه
مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها
كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك
باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه
فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية ان يلحقهم
ما ظن في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم اياه كان بطريق الالتقاط دون الاجتباء
والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه
لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان
كونه من مصر لترتيب ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ
الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان
الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد
فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل
ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة منها في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين
سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول
والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك
قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدر
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا
له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل
كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض التي احرزوه والمعنى كما جعلنا له مثوى
كريما في منزل العزيز او مكانا عاليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانا رفيعا في ارض مصر ولعله عبارة
عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى ما ذكر في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل
الاحاديث اي لنوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي وسوآ جعلناه
معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام وينجر اليها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها

كان ذلك محل محبة ليترتب عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث ومبادي الرؤيا المذكورة فتؤدي
ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة
البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرنا مما ليس له عاقبة حميدة او لا يخفى عليك ان الذي يليه هو هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز
واما التمكين في جانب الناس كافة فمادته ذلك انما هو باعتبار استماله على ذلك التمكين فان لم يحي ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى
مكنا ليوسف على ان يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر
يشبه به كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا فيكون ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى فعل اخر تقصد تشبيهه به فالكاف
مقحمة للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب لا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان تحقق المقام
والمعنى جعله ملكا متصرفا في ارض مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا يحمل الجعل
على ما تعهده عليه السلام في تضاعيف قضاياه لعمل بموجب المبادي المشبهة للحوادث قبل وقوعها عهد انتهى لحلها ولولا ذلك لوقع من السواكن
في السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية
وسنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء
فيقضي بها بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه لكن المعنى الان كل معنى شخصي يتعلق في ضمن الحوادث تعليم
والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا
يمانعه انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شئونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او على امر يوسف لا يكله
الى غيره وقد اريد به من الغيبة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراده الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك ان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله
ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول
هو الاولى لقوله تعالى اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما
للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما انهما ما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس
او لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من
يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد بعض اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث
الا ان يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك كان عند تناهي ايام البلاء فصح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما ما صاحبه
عليه السلام بعد بعدها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه تعالى اتاه
محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل
العزيز بعدما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر
ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء
ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء
السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء
ومنه الرائد لطالب الماء والكلا وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين
الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها
صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما
تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القران
حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرأت القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب
الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي سبب للمطالبة التي
من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن

محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع
على صاحب السبب فعلا ويجوز ان يراد بصيغة المبالغة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز
ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع
لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة
فه على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه
قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها
مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل
التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كعيطا
اين وعيط وحيث كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للتبيين اي لك اقول هذا كما في سقيا لك وقرئ هئت على صيغة الفعل
بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه
على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى
من البرهان النير ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولت لها نفسها والضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو
ان سيدي العزيز احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق
العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هكذا فكيف
اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض
لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى
انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته
والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا
وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما
جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها
هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب
والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة
البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا ترى الى ما سبق من استعصائه المبني على كمال
كراهته ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه
في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة
او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه
اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة وصلته الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك
حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فكانه عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر
ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه
في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية
بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمة

صدقک ونزاهتک واستغفری انت یا هذه لذنبک الذی صدر عنک وثبت علیک انک کنت بسبب ذلک من الخاطئین من جملة القوم المتعمدین للذنب او من جنسهم یقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعلیل للامر بالاستغفار والتذکیر لتغلیب الذکور علی الاناث وکان العزیز رجلا حلیما فاکتفی بهذا القدر من مؤاخذتها وقیل کان قلیل الغیرة وقال نسوة ای جماعة من النساء وکن خمسا امرأة الساقی وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنیثه غیر حقیقی کتأنیث اللمة وهی اسم لجماعة النساء وفیه وهی اسم لجماعة الرجال ولذلک لم یلحق فعله تاء التأنیث فی المدینة ظرف لقال ای اشعن الامر فی مصر او صفة للنسوة امرأت العزیز ای الملک یریدن قطفیر واضافتهن لها الیه بذلک العنوان دون ان یصرحن باسمها او اسمه لقصد المبالغة فی اشاعة الخبر بحکم ان النفوس الی سماع اخبار ذوی الاخطار امیل کما قیل الناس من اهتمهن تفضح العزیز بل هی لقصد الاشباع فی لومها بقولهن تراود فتاها ای تطالبه بمواقعتها لها وتحتال فی ذلک وتخادعه عن نفسه وقیل تطلب منه الفاحشة وایثار صیغة المضارع للدلالة علی دوام المراودة والفتی من الناس الشاب واصله فتی لقولهم فتیان والفتوة شاذة وجمعه فتیة وفتیان ویستعار للمملوک وهو المراد هاهنا وفی الحدیث لا یقل احدکم عبدی وامتی ولیقل فتای وفتاتی وتعبیرهن عن یوسف علیه السلام بذلک مضافا الیها لا الی العزیز الذی لا یستلزم الاضافة الیه العنوان بل ربما یشعر بنوع عزة لابانة ما بینهما من التباین البین الناشئ عن المالکیة والمملوکیة وکل ذلک لتربیة ما مر من المبالغة والاشباع فی اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنی قد تعذر فی مراودة الاخدان لا سیما اذا کان فیهم علو الجناب واما التی لها زوج وای زوج عزیز مصر فمراودتها لغیره لا سیما لعبدها الذی لا کفاءة بینها وبینه اصلا وتمادیها فی ذلک غایة الغی ونهایة الضلال قد شغفها حبا ای شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقیقة یقال لها لسان القلب حتی وصل الی فؤادها وقری شعفها بالعین من شعف البعیر اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاک عن ابن عباس رضی الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلک وکان الشعبی یقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واما ما کان فهو تکریر للوم وتأکید للعذل ببیان اختلال احوالها القلبیة کاحوالها القالبیة وجعلها تعلیلا لدوام المراودة من حیث الانیة یصیر الی الاستدلال علی الجلی بالاخفی ومن حیث اللمیة سلم الی تمهید العذر من قبلها ولیس ذلک من المقام واستصحابا علی التمییز نقلا عن الفاعلیة والاصل قد شغفها حبه کما اشیر الیه انا لنراها ای نعلمها علما مضاهیا للمشاهدة والعیان فیما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فی ضلال عن طریق الرشد والصواب او عن سنن العقل مبین واضح لا یخفی کونه ضلالا علی احد ممن له بصر او مظهر لامرها فیما بین الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتین السابقتین المسوقتین للوم والتشنیع وتسجیل علیها بانها فی امرها علی خطا عظیم وانما لم یقلن انها لفی ضلال مبین اشعارا بان ذلک الحکم غیر صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأی مع التلویح بانهن متنزهات عن امثال ما هی علیه فلما سمعت بمکرهن باغتیابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزیز عشقت عبدها الکنعانی ومقتهن وتسمیته مکرا لکونه خفیة منها کمکر الماکر وان کان ظاهر الغیبة وقیل کانت استکتمتهن سرها فافشینه علیها وقیل انما قلن ذلک لیرینه یوسف علیه السلام ارسلت الیهن تدعوهن قیل دعت اربعین امرأة منهن الخمس المذکورات واعتدت ای احضرت وهیأت لهن متکأ ای ما یتکئن علیه من النمارق والوسائد وقیل متکأ مجلس طعام وشراب لانهم کانوا یتکئون للطعام والشراب والحدیث کعادة المترفین ولذلک نهی ان یاکل الرجل متکئا وقیل المتکأ الطعام من قولهم اتکأنا عند فلان ای طعمنا قال جمیل فظللنا بنعمة واتکأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متکأ طعاما یحز حزا کان المعنی یعتمد بالسکین عند القطع لان القاطع یتکئ علی المقطوع بالسکین وقری بغیر همزة وقری بالمد باشباع حرکة الکاف کمنتزاح فی منتزح وینباع فی ینبع وقری متکا وهو الاترج واشد واهدت متکة لبنی ابیها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما یقطع من متک الشیء اذا بتکه ومتکا من تکئ اذا اتکأ وآتت کل واحدة منهن سکینا لیستعملنه فی قطع ما یتهیأ قطعه مما قدم بین ایدیهن وقرب الیهن من اللحوم والفواکه ونحوها ومن متکأ وغرضها من ذلک ما سیقع من تقطیع ایدیهن وقالت لیوسف وهن مشغولات بمعالجة السکاکین واعمالها فیما بایدیهن من الفواکه واضرابها والعطف بالواو ربما یشیر الی ان قولها اخرج علیهن ای ابرز لهن لم یکن عقیب ترتیب امورهن لیتم غرضها من استغفالهن فلما رأینه عطف علی مقدر یستدعیه الامر بالخروج وینسحب علیه الکلام ای فخرج علیهن فرأینه وانما حذف تحقیقا لمفاجأة رؤیتهن کانها تفوت عند ذکر خروجه علیهن کما حذف لتحقیق السرعة فی قوله عز وجل فلما رآه

مستقرا عنده بعد قوله انا آتیک به قبل ان یرتد الیک طرفک وفیه ایذان بسرعة امتثاله علیه السلام بامرها فیما لا اثم فیه من الافاعیل اکبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله علی جمال کل جمیل کان کفضل القمر لیلة البدر علی سائر الکواکب عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال رأیت یوسف لیلة المعراج کالقمر لیلة البدر وقیل کان یری تلألؤ وجهه علی الجدران کما یری نور الشمس علی الماء وقیل معنی اکبرن حضن والهاء للسکت او ضمیر راجع الی یوسف علیه السلام علی حذف اللام ای حضن له من شدة الشبق کما قال المتنبی خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فی الخدور العواتق وقطعن ایدیهن ای جرحنها بما فی ایدیهن من السکاکین لفرط دهشتهن وخروج حرکات جوارحهن عن منهاج الاختیار والاعتیاد حتی لم یعلمن ما فعلن وفی التعبیر عن الجرح بالقطع ما لا یخفی من الدلالة علی کثرة جرحهن ومع ذلک لم یبالین بذلک ولم یشعرن وقلن حاش لله تنزیها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجیبا من قدرته علی مثل ذلک الصنع البدیع واصله حاشا کما قرأه ابو عمرو فی الدرج فحذفت الفه الاخیرة تخفیفا وهو حرف جر یفید معنی التبرئة فی باب الاستثناء فلا یستثنی به الا ما یکون موجبا للتبرئة فوضع موضع معنی حاشا الله تنزیه الله وبراءة الله وهی قراءة ابن مسعود رضی الله عنهما واللام لبیان المبرأ والمنزه کما فی سقیا لک والدلیل علی وضعه موضع المصدر قراءة ابی السمال حاشا بالتنوین وقراءة ابی عمرو بحذف اللام الاخیرة وقراءة الاعمش بحذف الالف فان التصرف من خصائص الاسم فیدل علی تنزیله منزلته وعدم التنوین لمراعاة اصله کما فی قولک جلست من عن یمینه وقوله غدت من علیه بعد ما تم ظمؤها منقلب الی البارع المضمر وقری حاش لله بسکون الشین اتباعا للفتحة الالف فی الاسقاط وحاش الاله وقیل حاشا فاعل من الحشا الذی هو الناحیة وفاعله ضمیر یوسف ای صار فی ناحیة من ان یقارف ما رمته لله ای لطاعة الله او لمکانه او جانب المعصیة لاجل الله ما هذا بشرا علی اعمال ما بمعنی لیس وهی لغة اهل الحجاز لمشارکتهما فی نفی الحال وقری بشر علی لغة تمیم وبشری ای بعبد مشتری لئیم نفین عنه البشریة لما شاهدن فیه من الجمال العبقری الذی لم یعهد مثاله فی البشر وقصرنه علی الملکیة بقولهن ان هذا الا ملک کریم بناء علی ما رکز فی العقول من ان لا حی احسن من الملک کما رکب فیها ان لا اقبح من الشیطان ولذلک لا یزال یشبه بهما کل متناه فی الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصی مراتب الحسن والجمال قالت فذلکن الفاء فصیحة والخطاب للنسوة والاشارة الی یوسف بالعنوان الذی وصفنه به الآن من الخروج فی الحسن والجمال عن المراتب البشریة والاقتصار علی الملکیة فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنی ان کان الامر کما قلتن فذلک الملک الکریم النائی عن المراتب البشریة هو الذی لمتننی فیه ای عیرتننی فی الافتتان به حیث قلتن بمجرد نسبته الی العزیز وصغر قدره بکونه من ممالیکه او بالعنوان الذی وصفتنه به فیما سبق بقولهن امرأة العزیز عشقت عبدها الکنعانی فهو خبر لمبتدأ محذوف ای فهو ذلک العبد الکنعانی الذی صورتن فی انفسکن ولمتننی فیه وقیل ما قلتن مالان جد علمکن بسوء ما هو لکن فیما وانما تقال بسعی انکن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاینتن لعذرتننی فی الافتتان به فلا یلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهید ما مهدت لهن تبکیتهن وتسدیدهن علی ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلک بالامر بالخروج وما ذکر من المقال یحوم حول العذر قبل ظهور معذرتها وقد قیل فی تعلیل الملکیة ان الجمع بین الجمال الرائق والکمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملکیة وهو ایضا لا یلائم قولها فذلکن الذی لمتننی فیه فان عنوان العصمة مما ینافی المشیئة من ابهام بعدما اقامت علیهن الحجة واوضحت لدیهن عذرها وقد اصابهن من قبله علیه السلام ما اصابها باحت لهن ببقیة سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة یدل علی الامتناع البلیغ والتحفظ الشدید کانه فی عصمة وهو مجتهد فی الاستزادة منها کما فی استمسک واستجمع الرأی وفیه برهان نیر علی انه لم یصدر عنه علیه السلام ما یخل باستعصامه من الهم وغیره اعترفت لهن اولا بما کن یسمعنه من انها ولمته واکدته اظهارا لابتهاجها بذلک ثم زادت علی ذلک انه اعرض عنها علی ابلغ ما یکون ولم یمل الیها ثم زادت علیه ایضا انها مستمرة علی ما کانت علیه غیر عائبة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبیب فقالت ولئن لم یفعل ما آمره ای آمر به فما مصدریة والضمیر لیوسف عبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجریان حکومتها واقتضاء للامتثال لامرها لیسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جریا علی رسم الملوک او ایهاما لسرعة ترتب ذلک علی عدم امتثاله لامرها کانه لا یدخل بینهما فعل فاعل ولیکونن بالمخففة من الصاغرین ای الاذلاء فی السجن وقد قری الفعلان بالتثقیل ولکن المشهورة اولی لان النون کتبت فی المصحف الفا علی حکم الوقف واللام الداخلة علی حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابین ولعدم بهذا الوعید المسطور علی فنون التأکید بمحضر منهن لیعلم یوسف انها لیست

المقدمات الخارجة الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية اذ قد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث
الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز
ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه
لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه حل
تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤية البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له ثم وثم الى ان مثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته
وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع
فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان
ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى
لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه
لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنا لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه
عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية لا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه
بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق
من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين
اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان
لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع
فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور كما في قوله واختار موسى قومه او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد الاستباق الى ضميرهما
مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذلك لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه
اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد
كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة
مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك
لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها اذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا فلم يكن سيدا
قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمرأة لدى الباب اي البراني كما روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز لدى الباب
فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او ذلك العذاب اي تلك الحالة التي شر فيها
الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه
في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عندما يئست منها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا
عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها ثم ترددت في تعيينه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشأن الجزاء
المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغيرة
والحمية قال استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت

الاعالي م

بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين
في التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها
قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض
اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو
من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى لنزاهته وهو الاظهر فانه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم
عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها
او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد
باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله وكذبت
وهي ان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة على ذلك اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار
فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين
وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء
للعنان الى جانب المرأة بالاجراء على حكمه الحال المحتملة بان يقع القد من قبل بدافعته لها عليه السلام عن نفسها عند ارادة المخالطة
والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة على مضمون الشرطية التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن
بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بفعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا وتسميتها شهادة
مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديهما الى ثبوت الحكم لانها شهادة على الصدق وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد
الصبي فظاهر اذ هو حينئذ من قبيل علامات الصدق والمعجزة بنفس الشرطية لا انها ذلك ظاهر من العلامات ايضا واما على تقدير كونه
غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما بالمشاهدة او باخبار الصبي بعدم تحقق مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية
الثانية ومن ضرورة الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية الذي هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته على هذا المنهج
والطرز حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها
بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود
وهو القد من دبر فيكون محققا البتة هذا الكلام فهم قال للمرأة زوجي نفسك فقالت له نزوج فكذبها في ذلك فقالت الم يكن لي زوج
فقد زوجتك نفسي بقبول الرجل فاذن لا زوج لها فهو نكاح او تعليق الشيء بامر مقرر تحيره له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا
عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف بالتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر كانه
لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي
اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع
النظر عن ذلك ليصلح تعلق قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلكن ومكركن ابتداؤه لا من غيركن عن الارادة وتدبير العقوبة
وان لم يكن تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة ما يحق افاد الحكم بكونه من كيدكن افادة ظاهرة فيا لها ونعم الخطاب للتنبيه على ان
ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبن هذه العذر وحدها بحيث تحقق نفس كل عاقبة منه ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك
سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة السوء كما هي الى البحث عن شعبة من شعبه وحاله للسوء والامر المعبر به
عن طمعها يوسف عليه السلام باياه الجبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك مناسبات اخر من قبلها كما اشير اليه ان كيدكن عظيم
فان الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس سارقة وهن يواجهن الرجال يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر

في امرها على خفية ولا خيفة من احد فيضيق عليه المحل ويعيى العقل فينصح له ويرشدن له الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها
مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذي اوعدتني بالالقاء وقرأ يعقوب
بالفتح على المصدر احب الي اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تؤدي
الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست
على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من وعده وسبقها واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها
وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي بان تثبتني على ما انا عليه
من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف
الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء
لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه
داعية تدعوه الى سوء من الصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة
وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه
من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء للصرف
لسيئ على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن
حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه
المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف عليه السلام بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي
الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم
بداء او رأي او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها
وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وذلولا تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم
باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين عريكته وتنقاد لها
قرونته لما انصرم حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم
الوزير ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى
انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى
حين بلغة هذيل ودخل معه اي مصاحبا له السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة
من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز
فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب
بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس
حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس
ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ ويكون الجملة حالا من فاعل دخل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا
بعدما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر
اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا اخر المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تأكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني
على السؤال نبئنا بتأويله اي بتأويل ما ذكر من الرؤيين او بتأويل ما رئي واجرى الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به
الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك والمعنى المصحح لاجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا خفاء

اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر او بارتكاب ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تأويله باحد
الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه باعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قالاه معا او قاله
احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل
كل منهما قال نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام
من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا حسنا او من العلماء
لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه
عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت
يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة
عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا
سباع الطير تنهش منها قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في منامكما حسبما حكيتماه او المطرد الا نبأتكما بتأويله استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل
ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما رئي
في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل
فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به المعنى الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق
للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما
من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استدعاه
من الرؤيين المتعلقتين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما
بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر
في تعدد ايتاء الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما
دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالاحسان بما ظنا من المحسنين وانهما
قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير ما عنده من دعوة الخلق
الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بامره توقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه
وتخلص الى بيان كلامهما ولكنه قال تأويل ما قصصتماه على طرف الثمام حيث رأيتماه في المنام والى اتيان كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة
وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم انبئكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه بذلك ليس من قبيل علوم الكهنة
والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما
بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام
وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له
لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى ان يكون ما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل
ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني
تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى

بسبب الايمان وتخصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى
وهم بالآخرة اي دار الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله
عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه
لان التخلية مقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا
ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامم وهدايتهم الى الحق وذلك
مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك
العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما
من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع المضمر الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه
الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها
على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق ثمّ
وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر
من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية العقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان
الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته قد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عنده
حق اتضاح فقال أارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما يريد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله
خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب
بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه
اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم
لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان
حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة
من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات
اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى
في هذا الشأن فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك
اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان
العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه
بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا
بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة
وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج فتعود الى ما كنت عليه وقرئ فيسقي ربه على البناء
للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال
الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتصلب قضي اي تم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا الذي
هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ لا استفتاء لهما في الحادثة لا في حكمها بل لا يقال استفتى
في الحادثة اي طلب بيان حكمها ولا يقال استفتى في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا

ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا وهو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما
لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون
ب في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام
وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيد الامر مع تعدد
رؤياهما فوارد على حسب وحدة في قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما
هو قبل خاص هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا
فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي لجحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال
اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى
قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو الذي يشير اليه النظم الكريم على ان قال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف
النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من النعت المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقق ما وصاه به
لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الاتيان به من صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية
٤ المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت اني ملاق حسابيه لا لتعبيره بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر
وقيل ما بمعناه ولعله لا احتمال والحكم بقضاء الامر اجتهادي ايضا اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له
بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء حقيقة
لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له
عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخباره به فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث في السجن سبع سنين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء
عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع
بقرات سمان جمع سمين وسمينة كالكرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع
لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف
لان فعلاء وأفعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع
لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس
والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر
يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات
يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير
بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية
قطعة المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهي المجاوزة تقول عبرت النهر اذا
جاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها
ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه
قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير
لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة
بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان
كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة ولتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف

والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فقال حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام
اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة
ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به ولهم عما وقع في كلام الملك
من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبي عن التصرف والتكلف
في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي
وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح عن حسن المعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وما شاهده منه وصدقه تعبيرا لما عرض لملك واشكال تاويلها
على الملا بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره
في الصلة وقيل معطوف على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصلة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول والموصوف عند المخاطب
كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال
لنظمه مع نجاة المعلوم في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها
وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه
فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب
براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك
وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها
وحكمها حيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قالا هو وصاحبه او لا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي
وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس
اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون
فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فيخلصوك منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن
على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما يعدانه ولا من علمهم بذلك بل ربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال يوسف عليه السلام في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد فيه
وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تداوبون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات
بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو
مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه
كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا
فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما
من قوله تزرعون سبع سنين بعد تمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف
على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اي من بعد
السنين السبع المذكورة وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد
اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان
لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل الاكل العجاف السمان واللام
في لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن
الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال
المدخرة عام لم يعبر عنه بالسبع ايذانا بان الاسناد المدلول للسنين الشداد ليس الى جانبهما عام القحط وسيما في اول الامر على حسب الحال فيه وبين السنابل فيه
يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثه الله تعالى اي انقذه من كرب

حين الضنك وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر
العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه
للحبوب اذ المذكورات تتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة بشارة له وهي التي
يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات
ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد
منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون
التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى غيثهم وعصرهم في ذلك العام ان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل
وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا كانه
قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت
معنى مطرت وتعديته وتعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة
من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا واوردهم بالتدبير اللائق في شانها ابانة لعلو كعبه
ورسوخ قدمه في الفضل وانه يحيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبي السجن عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤيا تدل عليها في المنام وقال
الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقيره وقطميره ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف
الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي
فتش عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال
مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي
منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة
واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع
الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفي بالايماء الى ذلك ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء
قالتهن عند الملك واستعطافا لهن ليشهدن له عن النفس بما يصدقه لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المراة فيه
صاحبها اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شائبة ميل اليكن وسوء ريبة قلن
حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز
وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء
قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل هو ظهر
من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير بباركه اي القاها في الارض للاناخة
قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور
ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع في آخر محضر العزيز
ولا البحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها
فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي
وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فما اليها تلقف بل ترى فوق ما الفرية نزاهة حسبما تلك الخصال
من الشهادة بها والعمل بما بعدها لحصحصة واقالة صدقه عليه السلام لما سدد المعتد قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما فرق لا سيما عند العزيز قبل ان يحل
ما عقده كما عرفته ولعله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم

اي العزيز أني لم أخنه في حرمته كما زعمه لا علماً مطلقاً فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل لما ذكر
من نقض ابرامه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشر للخروج من حيث هو مبطلان لا حجة سبب له وان كان ذلك
بامر الملك فلا يوهم الافتيات على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك محلاً لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام
في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو
غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها
عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه
او لا يهديهم في كيدهم ايقاعاً للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئهم في قولهم وفيه تعريض
بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد
امانته وانه لو كان خائناً لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضماً
لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربما بمكانتها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثاً بنعمة الله عز وجل عليه وابرازاً لسره المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي
ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها
لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله تعالى
الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او الا وقت رحمة ربي وعصمته
لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم
عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض
لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من تتمة كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفساً رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأخيره
عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم
مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه اجعله
خالصاً لنفسي وخاصاً بي فلما كلمه اي فأتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان
اصلاً والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد
تحديد مبدئهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثياباً جدداً
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان
قال لسان عمي اسماعيل وكان الملك يعرف سبعين لساناً فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء
وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني
على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر
وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير
امر السنين حسبما فصل في اثناء التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله
عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذاناً بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله
انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف اي جعلنا له مكاناً في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخاً في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور

بالتمكين

بالتمكين في الارض مسنداً الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول
الامر لانه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف
فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم
فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالاً لك واقراراً بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة
الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا
ما رأينا كاليوم ملكاً اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس
نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من تصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولرفع توهم
انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة
للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا
يتقون تنبيهاً على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء
اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعاً غير بنيامين
فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم التي لحالهم يوم مفارقته اياهم
وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا
وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه
هلك وحيث كان انكارهم له امراً مستمراً في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما
جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال
ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سألوه حملاً زائداً على المعتاد
لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل ان لما رأوه كلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل
الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوناً قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي
من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا
هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه
عنده او لما يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار في المنع على
الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم
ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال
الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة
وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمراً والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان
الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمراً فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه
بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام
معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة موجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي من بعد فضلاً عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلاً عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي
او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوماً له عليه السلام قالوا

ستزاد وعنه اباه اي سنحادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا
لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او القادرون عليه لا نتعايا به قال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين
جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام
وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق
ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن قولهم لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها
ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم
في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيد به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم
فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعوزار الطعام من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما علم ز
من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه لكن يأباه التعليل المذكور واما ان علته الجعل المذكور لان يرجع من حيث
ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها فيأباه ان حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا ولما كان ذلك لا يخطر
ببال اصلا فان هيئة التعبئة تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا
على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي
فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين
الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله
فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى وتوهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة
الى الراء كما في قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح
يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه
الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف
غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد
على هذا فنطلبه لم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء
في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان
بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب
اليهم الطعام عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا
فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته لذلك شرط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائد
على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي المحمول اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا
لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك المكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ويسهل عليه لا يتعاظمه او في مطلب
نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعد موضحة ومبينة لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم
قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير
فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة
ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستفهامية موضحة لذلك اي اي شيء تبغي شاهدا على
اليه

على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما ما فيه فالمعنى
ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة
اخرى والجملة المستانفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما
وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله تعالى ونمير
اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امثاله من ميرة اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك مما يدعو
بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على ما نبغي وينبغي ان نمير اهلنا ونشتبه ذلك
بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر
ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي
ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك وما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الاخر
تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وذيت فتامل
قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به والا ان
تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو مستثنى من اعم الاحوال ولعدم العلل الا
الاحوال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت ما اريد منك الا فعلك وقد جوز
الاول لما تاويل الجملة النافية بمعنى كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة
الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل
لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان يكون محدثا بل مجرد تحققه ووجوده من غير اخلال به كما في قولك لا تجئني
الا راكبا فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن المجيء لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال
على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى التاويل
المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثناء طلب الموثق
واتيانه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار المؤدي الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل
مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا
مصر من باب واحد وادخلوا منها من ابواب متفرقة خاف عليهم ان يصابوا بالعين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا
تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا
مئنة لان يكون لكل ناظر وطمح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان النبي عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله
اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام
رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب
متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلثة ابواب بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال
وادخلوا من ابواب متفرقة بيان لما هو المراد وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما لاظهار كمال العناية به وايذانا بان
المراد بالامر المذكور لا يحصل الا به وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا
مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة
عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم الا لله لا يشاركه احد
ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه
ودون غيره عليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص

[illegible]

فعل غيره ثم تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء بسببه فلكونه سببا لتوكل غيره من المقتدين فيه جل
فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وإرشادهم إلى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين
بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت لها أربعة أبواب
فدخلوا منها وإنما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سيأتي عند وقوع ما وقع
عنهم عن الداخلين لأن المقصود به استدفاع الضرر عنهم ولجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين
جواب لما ومدخوله فإن عدم الإغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وإنما المتحقق حينئذ ما أفاده
الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل من الله من جهته من شيء أي شيئا مما قضاه عليهم
مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى وليس المراد
بيان سببية الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فإن مجيء النذير هناك سبب
لزيادة النفور بل بيان عدم سببيته للإغناء مع كونه متوقعا في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حقي عند حلول
الأجل فلما حل لم يعطني شيئا فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للإعطاء مع كونه متوقعا بموجب الحلف لا بيان
سببيته لعدم الإعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب
عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ذكره عليه السلام في ضمن الوصية من أني لا أغني عنكم من الله شيئا فكأنه قيل
ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الأمر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب المتوقع إلا حاجة
استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة في نفس يعقوب قضاها أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد
أن للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب
لوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة
العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وإنه لذو علم جليل لما علمناه
لتعليمنا إياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل
في رأيه عند تخلف الأثر وحيث بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بإن واللام
وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبته وفخامة علمه ما لا يخفى
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحذر مع
أنه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه بنيامين
أي ضمه إليه في الطعام أو في المنزل عليه السلام فيما روي أنهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون
ذلك عندي فأكرمهم وأضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف
بقي أخوكم فريدا وأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف عليه السلام يضمه إليه
ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك
بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند
ذلك قال إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس أي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا
بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهب أنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن
بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فإذا حبستك
يزداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك
سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية أي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا كال
وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه
المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الأعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل أخيه بنيامين ومن قرئ وجعل

وجعل على حذف جواب لما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير وهي الإبل التي عليها الأحمال
لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل مثل سقف وسقف فعل
بها فعل بيض وغيد والمراد أصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا
وقيل خرجوا من العمارة ثم أمر بهم فأدركوا ونودوا إنكم لسارقون هذا الخطاب إن كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة
أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب وإلا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر الأوفق للسياق
وقرأ اليماني سارقون بلا لام قالوا أي الإخوة وأقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه
لمباينته لحالهم ماذا تفقدون أي تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع
عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول
عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا
هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم أنه ماذا وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن
المجازفة ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد
صواع الملك ولم يقولوا سرقتم أو سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وبإهمال العين وإعجامها
من الصياغة ثم قالوا ترتيبا لما تلقوه من قبلهم وإراءة لاعتقاد أنه إنما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه
مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له على أنه يحصل الوعيد لهم باتباع وجود الشرط وعدمهم على ما لا يخفى من أخذ
من وجد في رحله وأنا به زعيم كفيل أؤديه إليه وهو قول المؤذن قالوا تالله التاء عند الجمهور على أن التاء بدل
من الواو ولذلك لا تدخل إلا على الجلالة المعظمة أو الرب المضاف إلى الكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم
لم يجز وقيل من الباء وقيل أصل بنفسها وأيا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد
في الأرض أي لنسرق فإنه من أعظم أنواع الفساد أو لنفسد فيها أي فساد كان مما عز أو هان فضلا عما نسبتمونا إليه
من السرقة ونفي المجيء للإفساد وإن لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الإفساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي
تترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الإفساد مفعولا لأجله ادعاء إظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة
صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في
الجملة الذي هو مقتضى المقام من أن المعنى إذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم وكأنهم قالوا إن صدر
عنا إفساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله وإظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون أنه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه
وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي أنهم دخلوا مصر وأفواه رواحلهم مكعومة
لئلا تتناول زرعا وطعاما لأحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك أنه لا يصدر عنا إفساد وما كنا سارقين
أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة وإنما لم يكتفوا
بنفي الأمرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك إلزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا أي أصحاب يوسف
فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم إن كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة
فإنهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد أي أخذ من
وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وإن كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم
المبني على قواعد العادة ولذلك أجابوا بما أجابوا فإن الأخذ والاسترقاق سنة إنما هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فإنه أقرب إلى معنى الكيد وأبعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه
تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره
على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على أن الأول لمن والثاني للجزاء الذي وضع موضعه كذلك
أي مثل ذلك الجزاء الأوفى نجزي الظالمين بالسرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ

يوسف عم بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم اى باوعية الاخوة العشرة بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روى
انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على
الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما فى اشاح فى وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف
مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء
المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا المعنى قوله عز وعلا كدنا ليوسف صنعنا ودبرنا لاجل
تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كالتى فى قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال
الشائع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل
لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله فى دين الملك فى امر السارق اى فى سلطانه قاله ابن عباس او فى حكمه وقضائه قاله
قتادة الا لان جزاء السارق فى دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بما فعله الى نسبها اليه فى حال من الاحوال الا ان يشاء الله الا حال مشيئته التى هى عبارة عنه
وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون
القصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليل يوسف عم
عن اخذ اخيه فى دين الملك فى شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك فى امر السارق اصلا بل بالنسبة
الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه فى دين الملك به الا حال مشيئتنا
بايجاد ما يجرى مجرى الجزء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغى ان يحمل القصر فى تفسير من فسر قوله تعالى
كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا اليه اى مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح من الحيل علمناه دون بعض من ذلك فقط ويجوز ان يكون على كل
حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اى لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل وسبب من الاسباب
الا لعلة مشيئته تعالى واى ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما
عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت
تدرى ان المراد بدينه ما عليه حق فتغيره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث يفضى الى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه
مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر
وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه فى دين غير دين الملك نرفع درجات اى رتبا عالية كثيرة من العلم وانتصابها
على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذى علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه وعلى ان
جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عم ما اعتبر فيه بالشرطية او الظرفية من ارشاده عم الى دس الصواع فى رحل اخيه
وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله والمعنى رشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم يكف
بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع
المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد
منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ما حواه وازته علمه لا يفى بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن
على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض
لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وجل

وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحى والتعليم والمعنى مثل
ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من
اخذ اخيه الا بذلك فقوله تعالى نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات
العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء
رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رض فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى والمعنى ان
اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة وعلى الاول انسب بالتذييل حيث
نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجة ويجوز كون العليم فى هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل
اى وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون
بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما
شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عم
فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ
فى صباه صنما لابى امه فكسره فالقاه فى الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
فاسرها يوسف اى اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا فى نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما فى قوله تعالى واسررت
لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اى فى نفسه وهو استئناف
مبنى على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال
انتم شر مكانا اى منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة
المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب فان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك
من علم قالوا عند ما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار
بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا فى السن لا يكاد يستطيع فراقه
وهو علالته يتعلل به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس له عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اى
نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا
من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير
مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء
ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولى الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق
الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع فى الرحل على محمل غير السرقة انا
اذا اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون فى مذهبكم وما لنا ذلك هذا المعنى هو الذى
اريد بالكلام فى اثناء الجواب وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرنى بالوحى ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله
فى ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحى فلما استيأسوا منه اى يئسوا من يوسف واجابته
لهم اشد يأس بدليل السين والتاء وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه
الدال على كون ذلك عنده فى اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله
انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اى ذوى نجوى على ان يكون بمعنى التناجى

او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي
كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او
رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم
ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا
له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر
في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في
شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان
يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع
عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر
من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه
بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح
الارض متفرع على ذكره وذكره ايا باسم من ميثاق ابيه وقوله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على
قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب
عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت
كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب عم اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن
غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب عليه السلام
وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ
سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
اي لباطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق
او انا نبتلى في هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسال القرية التي كنا فيها اي مصرا وقرية بقربها لحقهم
المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم
وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عم وهو
استيناف مبني على سؤال نشا مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا
له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب
ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء
البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت
لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني
الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة
اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث
مصيبة اخويه لان رزاه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في اياتهما واما يوسف فلم في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي

وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عم حين اصابه ما اصابه
لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه
وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظائرها
وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي
بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عم من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما
وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود
والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي عليه السلام انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال عم ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله
ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع
والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو
بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء
فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا
لديه في دفعه وقرئ حزني بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي
ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عم في المنام فسأله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي فتعرفوا وهو تفعل
من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان
غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تياسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته
التي يحيي بها العباد وبهذا ارشدهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه
بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من
الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم
الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع
مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة
الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف
مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا
برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب لانهم نظروا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او
بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة

التصدق بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال
رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على
المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع
الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل
تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك
او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما يوجههم وظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب
يوسف بل يجوز ان يقف عم بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتجسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا
عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله
وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي
عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت
لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت
يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك او انت يوسف فحذف الاول له لانه اني على عليه وفيه زيادة استغراب
قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه
وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا
من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد
الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم
ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط
الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشأن انا كنا لخاطئين
لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب
اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد
والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا
اليوم منصوب بتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة

من حفدة ابراهيم عم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل
بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت الي
بصيرا وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص
يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس
انفصل العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح
يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل و
فساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب
لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا
القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب عليه وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح
الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي
يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي لم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال
هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك
اقتصروا على استدعاء الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى
ان يتحلل لهم من يوسف عم او يعلم انهم قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل عم فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم
انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام
الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى
اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي
راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم
وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكني
خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف
ومائتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل وآله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عم تزوجها بعد امه والحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة
الى التأويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكان عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما
اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن
ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته

سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات
الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم بمعنى المرور وقيل خروا
لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها وقصصتها عليك من قبل
في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد وقع بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام
كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا تيسر وتاخره عن الرفع على العرش ليس نصا في ذلك لان الترتيب
الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا للرؤيا وما يتصل به من قوله
وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل
منه لتضمين لطف وهو الاحسان الخفي كما يوذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف
بي محسنا الي غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب
اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي
البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على
الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي
لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى
تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ
بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي
على ثماني مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فساله فقال جبرئيل الله تعالى امرني بذلك
لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا
وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب
قد اتيتني من الملك اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضا من ذلك
كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام
تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا
نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية
للتمكين فان حمل على معنى التمكين لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف بحرف الواو
ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او
منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في
الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني بالصالحين
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في دفنه وتشاجروا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل
ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون ولنون يوشع
فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا
دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول

للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء الغيب الذي لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك
خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر
نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف عليه السلام اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم
يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم
خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه
بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك
اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا شك فيه المكذبون ايضا
ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون في ذلك
فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبا هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما
هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو
بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت
في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود
وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي
صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسالهم عليه اي على الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما
يفعل حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين
من آية اي كاي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه و
قدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية
وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون
عليها اي يشاهدونها ولا يعبؤون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى
ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار
الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما
يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة
وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل
الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة
فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة
الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد للمستكن في ادعو او على بصيرة
لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
موكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة يوحى اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم
الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والآيات فيحذروا التكذيب ولدار الآخرة اي الساعة او الحياة الآخرة خير للذين

اتقوا • الشرك والمعاصي • افلا تعقلون • فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالتاء على
انه عدد اهل تحت قل • حتى اذا استيأس الرسل • غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم
فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم
لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع • وظنوا انهم قد كذبوا • كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب و
العداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا • جاءهم نصرنا • فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا
ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث
النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك
من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه
منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل
ان القوم كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اي ظنوا انهم
كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم • فنجي من نشاء • هم
الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجى • ولا يرد بأسنا
عن القوم المجرمين • اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة • لقد كان في قصصهم • اي قصص
الانبياء واممهم ويؤيده قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته • عبرة لاولي الالباب •
لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس • ما كان • اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة
واضحة • حديثا يفترى ولكن • كان • تصديق الذي بين يديه • من الكتب السماوية وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه • وتفصيل كل شيء
مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات
او بوسط • وهدى • من الضلالة • ورحمة • ينال بها خير الدارين • لقوم
يؤمنون • اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما عداهم
فلا يهتدون بهديه ولا ينتفعون بجدواه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها
اهله وما ملكت يمينه هون الله
عليه سكرات الموت واعطاه
القوة ان لا يحسد
مسلما

سورة الرعد خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • المر • اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة
بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى • تلك • على الوجه الاول مبتدأ
مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول والاشارة بها الى التفخيم واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ واذكر
فتلك مستقلة كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير
قوله تعالى • آيات الكتاب • اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به
فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس من ان المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت
وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست في تلك المثابة
من الشهرة في الاتصاف بذلك المغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها
وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس • والذي انزل اليك من ربك • اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة
وحدها • الحق • الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا
على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني
للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل اليه
والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى • ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان
حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما مر ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار • الله الذي رفع السموات
اي خلقهن مرتفعات على طريقة سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر لقوله وهو الذي مد الارض
بغير عمد • اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم اي اسند يقال عمدت الحائط اي دعمته وقرئ عمد على انه جمع عمود بمعنى عماد
كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد • ترونها • استئناف للاستشهاد على ما ذكر
من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد اي بغير عمد مرئية هي قدرة الله سبحانه • ثم استوى • اي استولى • على العرش
بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف اي ما كان فليس المراد به القصد الى الايجاد
للعرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة • وسخر الشمس والقمر • ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها
كل • من الشمس والقمر • يجري • حسبما اريد منهما • لاجل مسمى • لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري
كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية ولمدة هي منتهى حركاتهما وتخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل والتمام عندها ذلك والجملة بيان
لحكم تسخيرهما • يدبر • بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة • الامر • امر الخلق كله وامر ملكوته
وربوبيته • يفصل الآيات • الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع
الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار العلوية والسفلية على موجب التدبير والعقد فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر
الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها وكلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى
من تتمة التسخير او خبران من قوله انه خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء بها للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيمه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك
السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم • عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها • بلقاء ربكم • بلقائه للجزاء • توقنون
فان من دبرها حق التدبير ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة عواقب
وغايات لا بد من وصولها وقد عينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك يسأل المكلفين بما جزاهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من
الجزاء ولما ذكر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال • وهو الذي مد الارض • اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم
المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله لا يدل على بعد مداها وسعة اقطارها • وجعل فيها رواسي • اي جبالا ثوابت في احيازها
من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والاختصار يجمع فواعل جمعا لفاعل في فوارس

وهو الكثير ونواكس انما هو صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صيغة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر جمع الكثرة اعني جبالا انتظاما لطائف من جموع القلة وينزل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعه كل من صيغتي الجمعين انما هو باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد واستعمال جمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة لا انه الى جعل الوصف المذكور بالغلبة عدد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد بالجري فيها من المياه وفي ضمها مع الجبال في معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار فائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتغلبه وهي تعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي ابيتين حقيقيتين وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم ذكر العكس ايضا للاكتفاء بالاول ولئن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا بحسب ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا وان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشّي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وابقائها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها ففي على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففي تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقة وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين او بالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان حصول كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع اتحاد اسباب النبات بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل وبالياء على بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات في انفسها لا انها فيها

قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها ففي على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض العقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب لا عجب مثله حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير ائذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في التنكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجب في موضع التعجب وقيل ان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فيما وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذاك امرا عجبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فانه عجب وعلى الاول ان التعجب في قولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدأ خبره قوله تعالى الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحذرون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين باندارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه الصلاة والسلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففي آية ربك عليه الصلاة والسلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بالعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اختصاص كل منهم بما يخص حكمة لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها فتعقيبه بما يدل على كمال علمه

وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على أن تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات
إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك لإظهار كمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي إلا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم استأنف بيانها فقال
الله يعلم ما تحمل كل أنثى أي تحمله فما موصولة أريد بها ما في بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم
متعد إلى واحد أو أي شيء تحمل وعلى أي حال هو من الأحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم وجملتها في موضع مصدر
وما تغيض الأرحام وما تزداد أي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في أقل منها والمولود في أكثر
وفيما منها قيل إن الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في أربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى أن شريكا كان
رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله تزداد كل
أو لازمان قد أسندا إلى الأرحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الأشياء عنده بمقدار بقدر لا يكاد يجاوزه كقوله
إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل مرتبة من مراتب التكون ومباديها وقت معين وحال مخصوص
لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد
لذلك علم بالنسبة إليه عز وجل عالم الغيب أي الغائب عن الحس والشهادة أي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل أريد
بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى
الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه أنه عالم
بجميع أحوال الإنسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين أنه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال
وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من أسر القول في نفسه ومن جهر به أي أظهره لغيره ومن هو مستخف
مبالغ في الاختفاء كأنه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل أحد بالنهار من سرب سروبا أي برز
وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كأنه قيل سواء منكم إنسان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وإن أسند إلى من أسر ومن جهر والمستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند إلى ما
أسره وما جهر به أو إلى الفعل من حيث هو قائم كما في الأخيرين وتقديم الإسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه تعالى فكأن تعلقه بالخفيات أقدم
منه بالظواهر والإشعار بأنه في الكل سواء الأمر فيه تعالى له أي لكل ممن أسر أو جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة
من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فأدغم التاء في القاف
والتاء للمبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من إحدى القافين من بين يديه ومن خلفه
من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر يحفظونه من أمر الله من بأسه حين أذنب بالاستمهال والاستغفار له أو يحفظونه من المضار
أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأعمال الصالحة أو ملكاتها
التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها وإذا أراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له
فلا رد له والعامل فيه ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء الذي أراده الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير بهم
وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وإيذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة
واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع
ظاهر لما أن المخوف عليه النفس أو الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف أيضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع كالحراث
ويأباه الترتيب اللهم إلا أن يتكلف ما أشير إليه من أن المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب فانتصابهما إما على المصدر أي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا
أو على الحالية من البرق أو المخاطبين بإضمار ذوي أي بجعل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلة بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو
بتأويل الإخافة والإطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل وأما جعل الفعل المعلل هي الرؤية التي تتضمنها الإراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي
في يفاع ممنع يخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على أن لا تنال معادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا أي حلت بيوتي حذارا فلا يليق
بالنظم الكريم لأن ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع

ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة
كرام ويسبح الرعد أي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد
لحمله لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله
وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة أي ويسبح الملائكة من خيفته من هيبته وإجلاله جل
جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي
يريكم البرق وقد التفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي
يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين
أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هناتهم
مع ذلك وهوانهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله أي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء
واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على قوله تعالى ويقول
الذين كفروا الخ فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم إلى هنا استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث فلا مطمع
لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد أريد به ما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر
ابن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغيان الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم
فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى إلى أربد أنه إذا رأيتني أكلم محمدا عليه الصلاة والسلام فدر من خلفه واضربه بالسيف
فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام فدار أربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي إليه فرأى
النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل
في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول
واللات لئن أصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة
عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به ما روي
عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عن رب محمد
ما هو ومم هو من ذهب أو من فضة أم من نحاس أم من حديد أو من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فما زاد إلا مقالته الأولى وأخبث فرجعوا إليه عليه الصلاة والسلام
وأخبروا بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر
فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه الصلاة والسلام بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا أنى علمتم قالوا أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو شديد المحال أي المماحلة والمكايدة والمماكرة لأعدائه من محل بفلان إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل
وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز
أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد له دعوة الحق أي الدعوة التي وقعت في محلها
المجاب عنده وقوعها والإضافة للإيذان بملابستها الحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة
الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله والتعرض
لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة التي هو الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن إهلاك أربد وعامر
محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما إن كان النزول في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم والذين يدعون أي الأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد
من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلى الماء أي إلا استجابة كاستجابة الماء

لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني
للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم
فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله ● وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ● من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ● ليبلغ ● اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من اناء ونحوه ● فاه ● وما هو ● اي الماء ● ببالغه
ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستجابة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم
في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه
في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة اصلا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم بجعل لا يستجيبون لهم
من الاستجابة الا استجابة كاستجابة هذه الصورة الى البيت بما شانه الاستحالة قطعا فهو من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين
● وما دعاء الكافرين الا في ضلال ● اي ذهاب وضياع وخسار ● ولله ● وحده ● يسجد ● يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا لا
ولا اشتراكا فالقصر منتظم القلب والافراد ● من في السموات والارض ● من الملائكة والثقلين ● طوعا وكرها ● اي طائعين وكارهين او انقياد
طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله تعالى وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا
او ابوا او عدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد ● وظلالهم ● اي ويسجد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس
حسب تصرف على مشيئته تعالى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال ● بالغدو والاصال ● ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين بالذكر مع انقيادها متحقق في جميع الاوقات لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقضي في جمع قضاة والاصال جمع اصيل
وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل وقد قيل ان المراد
حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر منها اثار التجلي كما قاله ابن الانباري
ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وهذا اخبار عن اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه
لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقق انقياد الكل في الابداع
والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تخصيص سجودهم به تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع ان غيرهم ايضا كذلك لانهم
العمدة وانقياد غيرهم دليل انقيادهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل ● قل من رب السموات والارض ● فانه تحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق
هو الله سبحانه وقوله تعالى ● قل الله ● امر بالجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعارا بانه متعين للجواب فهو والخصم في تقريره سواء ام لحكاية اعترافهم اذا ابانوا
امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة الالهية الملجئة او لتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمكنون
اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره ● قل ● الزاما لهم وتبكيتا ● افاتخذتم ● لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع
كما في قولك اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينطق به لسانكم فاتخذتم ● من دونه اولياء ●
عاجزين ● لا يملكون لانفسهم نفعا ● يستجلبونه ● ولا ضرا ● يدفعونه من انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه اي على ان تكون
الانكار متوجها الى المعطوف معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذ هو المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه كما في قوله
كان من حق نفس عمل بمرتبة التوحيد ودرجته ولا يأمن دون الى وصف الاولياء بما ذكر مبنيا بعدم المالكية للنفع والضر لترشيح الانكار وتأكيده كيف لا اتخاذ
… له تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما يأبى الاتخاذ المذكور وتوكيد انكاره ● قل ● تصويرا لارائهم الركيكة بصورة المحسوس ● هل يستوي
الاعمى ● الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها ● والبصير ● الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني عن
المعبود العالم بكل شيء ● ام هل تستوي الظلمات ● التي هي عبارة عن الكفر والضلال ● والنور ● الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان
… في النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت لا يكاد يخفى بطلانه على احد
… الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان يكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اذ ذاك فقيل ● ام جعلوا لله
● شركاء خلقوا كخلقه ● … والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع … وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار وانما

وانما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه ● فتشابه الخلق عليهم ● بسبب ذلك
وقالوا هؤلاء خلقوا كما خلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء هو بمعزل من ذلك
بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم ● قل ● تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه ● الله خالق كل شيء ● كائنا ما كان فلا خالق سواه
فيشاركه في استحقاق العبادة ● وهو الواحد ● المتوحد بالالوهية المنفرد بالربوبية ● القهار ● لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك
وبعد ما مثل المشرك والكفر بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس
على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة … فيها مع كونه ممد الحياة
الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا
بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تحلى النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا
يتمتع به في المعاش بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الالات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي
الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل ● انزل من السماء
اي من جهتها ● ماء ● اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر ● فسالت ● بذلك ● اودية ● واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار
لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو موضع منفرج بين جبال او تلال او اكام على الشذوذ وذكاد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء
بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها
مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان
لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه ● بقدرها ● اي سالت ملتبسة بقدرها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع
الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير ان اريد
بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا او يراد بضميرها ما يسيل بها بطريق
الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين ● فاحتمل السيل ● الجاري في تلك الاودية اي حمل معه ● زبدا ● اي غثاء ورغوة وانما وصف
ذلك بقوله تعالى ● رابيا ● اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير ظاهر … وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان
يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شانه
الظهور بادي الراي من غير مداخلة في الحق ● ومما يوقدون عليه في النار ● اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر
مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ● ابتغاء حلية او متاع ● اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين به كالحلي المتخذ من الذهب والفضة
او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات ● زبد ● خبث ● مثله ● مثل ما ذكر
من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ او ناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا
كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من الايقاد في النار جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به
كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة
وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما
فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك ● كذلك ● اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة ● يضرب الله الحق والباطل ● اي
مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء
في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه واتبعها حسبما اسر اليه مواقعها من عاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع التصريح بما
المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل ● فاما الزبد ● من كل منهما
● فيذهب جفاء ● اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد ● واما ما ينفع الناس ● منهما كالماء الصافي والفلز الخالص ● فيمكث في الارض
اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقناة والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ
من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء

في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء
وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الثاني بعد ذهاب الذاهب لا قبله • كذلك يضرب الله • اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب • الامثال
في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما
ابتناؤه على التمثيل الاول وبجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما
مالا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل • للذين استجابوا لربهم • اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه
الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز
لاوابد المعاني في هيئة المأنوس فأي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول • الحسنى • اي المثوبة الحسنى وهي الجنة • والذين لم يستجيبوا له
وعاندوا الحق الجلي • لو ان لهم ما في الارض • من اصناف الاموال • جميعا • بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق
بحسب الازمان • ومثله معه لافتدوا به • اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به
البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره ولكن لا على انها وضعت موضع السوأى موقعه في مقابلة الحسنى لوافقه القرينة الاولى لمراعاة حسن
المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى
مصحوبا باللام الداخلة على الموصول اوضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى • اولئك لهم سوء
وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول
في الحقيقة ومبنيا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب وذلك
في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين ذلك فقيل • ومأواهم
اي مرجعهم • جهنم • وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة • وبئس المهاد • اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا
لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال الثلاثة وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف
على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين
والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول
اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال
المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل حكم الحال
كذلك بعضه ايضا الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل • افمن يعلم انما انزل اليك من ربك • من القرآن
الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى • الحق • الذي لا حق وراءه او الحق الذي ضربت له الامثال المضروبة فيستجيب له
كمن هو اعمى • عمي القلب لا يشاهده وهو على علم ولا يقدره قدره وهو هو في اصابة العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغيابت الضلال
او لا يتذكر بما ضرب من الامثال اي كمن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتيب
توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمال كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين ومالهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استأنف
فقيل • انما يتذكر • بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي • اولوا الالباب • اي العقول الخالصة المبرأة عن متابعة
الالف ومعارضة الوهم • الذين يوفون بعهد الله • بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه
ولا ينقضون الميثاق • ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد
للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل • والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل • من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق
من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج • ويخشون ربهم • خشية جلال
وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به • ويخافون سوء الحساب • فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل
والذين صبروا • على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك • ابتغاء وجه ربهم • طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب
الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة
اورد بصيغة الماضي اعتناء به ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلات كما في ما عدا الاولى والرابعة والخامسة

او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس
في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه • واقاموا الصلوة
المفروضة • وانفقوا مما رزقناهم • اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه • سرا • لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك
الزكوة او عند اتقاء واعطائه من ليس المروة من اخذه ظاهرا • وعلانية • لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض
ويدرؤن بالحسنة السيئة • اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة • اولئك • المنعوتون
بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله تعالى • لهم عقبى الدار • اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مال امر اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما
في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استئناف لبيان ما استوجبوه
بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل
في التذكر • جنات عدن • بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره • يدخلونها • والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان
اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة • ومن صلح من ابائهم • جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم • وازواجهم
وذرياتهم • وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح
من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين • سلام عليكم • بشارة لهم بدوام
السلامة • بما صبرتم • متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه
والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الان وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل منها وحتم
زائد من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس • فنعم عقبى الدار • اي
فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فكسر العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين
والذين ينقضون عهد الله • اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم • من بعد ميثاقه • من بعد ما
اوثقوه به من الاعتراف والقبول • ويقطعون ما امر الله به ان يوصل • من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون
ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم
لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه اعتبر في تحقق ضمن الحسنات
المعدودة لتعين سعد ابهن فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة عمن لا يحوم حول اصل الايمان
بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فهو مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة
فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق لحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر وسائر الفساد ونحوها الحكية بقوله عز وعلا
ويفسدون في الارض • اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا
في الافضاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى • اولئك • اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح • لهم • بسبب ذلك
اللعنة • اي الابعاد من رحمة الله تعالى • ولهم • مع ذلك • سوء الدار • اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم
لان ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا خفاء انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاته السيئة بمثلها مأذون فيها
ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه
تحت الصلة السابقة من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من تتمة الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض

وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيذان بأصالة كل منهما واستقلال كل منهما في الثبوت
الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر أي يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من غير
أن يكون لأحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر إملاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره
فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا أي أهل مكة فرح أشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحياة الدنيا
وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحياة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة إلا متاع
إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا
في جنب ما أعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمار مع
ظهور إرادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فإن ذلك
في أقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه عليه الصلاة والسلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا
ما لا يقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى قل إن الله يضل
من يشاء إضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية إليها أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إلى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بأنه لا ينجع فيه اللطف
ولا ينفعه الإرشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء ولو جاءته كل آية
ويهدي إليه أي إلى جنابه العلي الكبير هداية موصلة إليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تعظيم
ما لا يوصف من أناب أي أقبل إلى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة الخير وإيثار إيراده
في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها والإشعار بما دعا إلى المشيئة الأولى من المكابرة
وفيه حث على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وإيثار صيغة الماضي للإيماء إلى استدعاء الهداية السابقة الإنابة كما أن إيثار صيغة
المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من أناب فإن أريد بالهداية
الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان مؤديا إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان
كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين إلى التقوى وإلا فالإيمان لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين
آمنوا أو منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك
أنزلناه وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه فيقترحوها والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة
دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ألا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الأمور التي تميل إليها
النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة
القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفئدتهم هواء
حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب
من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسا به وتبتلا إليه فالمراد
بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز إليه أي
قلوب الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الإنسان إنما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل أعني قوله تعالى طوبى لهم أو خبر
مبتدأ مضمر أو نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر
وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم ليسلم الياء والمعنى أصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك أو الرفع على الابتداء وإن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء
كسلام عليك ويدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالرفع والنصب واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك
مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة أرسلناك في أمة قد خلت أي مضت من قبلها أمم
كثيرة قد أرسل إليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور
على المنصوب من قبيل الإبهام ثم التبيين كما في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له
عند وروده عليها وهم أي والحال أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته وأحاطت به نعمته

الدنيا

والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما أنعم به عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته ربي الرب
في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت أي خالقي ومبلغي إلى مراتب الكمال
وإيراده قبل قوله لا إله إلا هو أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمدا يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن الآية عليه توكلت في جميع أموري لا سيما في النصرة عليكم لا على أحد سواه وإليه خاصة متاب أي توبتي
كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه الصلاة والسلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثا للكفرة
على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وألطفه فإنه عليه الصلاة والسلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل
فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم
وقيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو أن قرآنا أي قرآنا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو
محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من الكلام والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا
قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم
في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنا سيرت به الجبال أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور
لموسى عليه السلام أو قطعت به الأرض أي شققت وجعلت أنهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعا
متصدعة أو كلم به الموتى أي بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء
على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا
في هذه الآثار دخل لذلك وللإنذار والتخويف لاختصاصهما بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول إليها مخل بالمبالغة
المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن تقديم ما حقه التأخير
يبعث النفس مستشرفة ومترقبة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع اقتراحهم إنكارا
متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله
في زعمهم على الخوارق بني ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأحقيته بأن يكون مصدرا لكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأن القرآن الرفيع
كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل
ما لا يخفى بل لله الأمر جميعا أي له الأمر الذي عليه يدور فلك الأكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو إليه من الحكم البالغة
وهو إضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أي لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن
ولكن لم يفعل لا لعدم قابليته لذلك الآن لأن الأمر كله لله وحده فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن
على ما كان لما يقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار أفلم ييأس الذين آمنوا أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس
في معنى العلم لتضمنه معناه ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أفلم يتبين بطريق التفسير والعطف
على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا أن لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن لهدى الناس جميعا
بإظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعا أو أعلموا كون الأمر لله جميعا فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه
إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا
لا إنكار الواقع كما في قوله ألم يخف الله حتى عصيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل
ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوه من الآيات ليجتمعوا على الإيمان وعلى الثاني
لو أن قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم
مع كونهم في العناد على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعا إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد

عليه بحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اى الم يعلم الذين امنوا حالهم هم فلم ييأسوا من ايمانهم حتى حسبوا اظهور تعذر حالهم لا انكار متوجه الى المعطوفين
او علموا ذلك فلم ييأسوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اى الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على الاول بل
انكار الواقع كما فى قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره ولا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله متعلق بمحذوف
اى افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا اى افلم ييأس الذين امنوا بان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية بعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو وقالوا
المذكور من دواعى انكارنا ايمانهم قيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير لنا بمكة الجبال عن مكة حتى
لنا وتتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود عليه السلام فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما
سخرت لسليمن عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به جليس او ثلثة ممن مات من اباءنا
فنزلت بمعنى تقطع الارض جعلت قطعا بالسير لا حاجة فى الاعتبار الى اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه لو جهين
الاول ليس عن الفراء تعلق ما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو الجيفة دال على الجواب والتقدير لو ان قرآنا سيرت به الجبال
او قطعت الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والكسائى كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره • ولا يزال الذين كفروا
من اهل مكة • تصيبهم بما صنعوا • اى بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادى فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر
به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة مع ما فى صيغة الصنع من الايذان برسوخهم فى ذلك • قارعة • داهية تقرعهم وتقلقهم وهو
ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر
الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذى اثير • او تحل • تلك القارعة • قريبا • اى مكانا قربا
من دارهم • فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو والمتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه
استعارة بالكناية وتخييل وترشيح • حتى يأتى وعد الله • اى موتهم او القيمة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم
عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى • ان الله لا يخلف الميعاد • اى
الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم فالاصابة والحلول من احوالهم ويجوز على هذا
ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة • ولقد
استهزئ برسل كثيرة خلت • من قبلك فامليت للذين كفروا • اى تركتهم ملاوة من الزمان فى امن ودعة كما يملى للبهيمة فى المرعى
وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقى من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك
ليس مختصا بك بل هو امر مطرد وقد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامليت للذين فعلوه بهم والعدول الى الصلة وصف الكفر ليس لان المملى لهم
غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اى امليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط • ثم اخذتهم فكيف كان عقاب •
اى عقابى اياهم وفيه من الدلالة على تناهى كيفيته فى الشدة والفظاعة ما لا يخفى • افمن هو قائم • اى رقيب مهيمن • على كل نفس • كائنة من كانت
بما كسبت • من خير او شر لا يخفى عليه شئ من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اى كمن ليس كذلك والانكار لدخول
وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله
وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتى وعد الله كأنه قيل الامر كذلك افمن هذا شأنه كمن ليس فى عداد
الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعنى توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعنى كون الامر كما ذكر كما فى قولك افلا تعلم الحق
فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قيل الا تعلمه فلا تعمل به • وقوله تعالى • وجعلوا لله شركاء • جملة مستقلة جىء بها للدلالة على الخبر او حالية اى
افمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اى افمن هذا شأنه
لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان
بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على الفخامة وقوله تعالى • قل سموهم • تبكيت لهم اثر تبكيت اى سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة • ام تنبؤنه • اى بل اتنبؤن الله • بما لا يعلم فى الارض • اى بشركاء مستحقين للعبادة

لا يعلمهم الا الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض وقرئ بالتخفيف • ام بظاهر من القول • بل تسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجى كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التى وردت
عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر • من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين • بل زين للذين كفروا
وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر • مكرهم • تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم • وصدوا عن السبيل
اى سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اى صدوا الناس او من صد صدودا • ومن
يضلل الله • اى يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله • فما له من هاد • يوفقه للهدى • لهم عذاب • شاق • فى الحيوة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم • ولعذاب الآخرة اشق • من ذلك بالشدة والمدة
وما لهم من الله • من عذابه المذكورين • من واق • من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد • مثل الجنة
اى صفتها العجيبة الشأن التى فى الغرابة كالمثل • التى وعد المتقون • عن الكفر والمعاصى وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليك
مثل الجنة وقوله تعالى • تجرى من تحتها الانهار • تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اى وعدها وهو الخبر
عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى الى آخره • اكلها • ثمرها • دائم • لا ينقطع
وظلها • ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا • تلك • الجنة المنعوتة بما ذكر • عقبى الذين اتقوا • الكفر والمعاصى اى مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار • لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين • والذين آتيناهم الكتاب • هم المسلمون من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة • يفرحون بما انزل اليك • اذ هو الكتاب الموعود فى التوراة والانجيل • ومن الاحزاب • اى من احزابهم وهم كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفى نجران واتباعهما • من ينكر
بعضه • وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعى عليهم من اول الامر ان ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق
كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم فى الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى
ومن الاحزاب الخ بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه • قل • الزاما لهم وردا لانكارهم • انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به
اى شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اى قل لهم انما امرت
فيما انزل الى بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
اى وانا لا اشرك به • اليه • اى الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد • ادعو • الناس
لا الى غيره او لا الى شئ آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم • واليه • الى الله وحده • مآب
مرجعى للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه الصلوة والسلام بان يخاطبهم بتلك الالزامات وتبكيتا لهم
ثم شرع فى رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة فى ذلك فقيل • وكذلك انزلناه • اى
ما انزل اليك ذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدر اى مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول
مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه • حكما • حاكما يحكم فى القضايا والواقعات
بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه • عربيا • مترجما بلسان العرب
والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه
والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما تفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم
وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع • ولئن اتبعت اهواءهم • التى يدعونك اليها
من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل • بعدما جاءك من العلم • العظيم الشأن الفائض
من ذلك الحكم العربى او العلم بمضمونه • ما لك من الله • من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية
المهابة والا زيدى لا يكون الهاوى بكون معبود او حتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا • من ولى • يلى امرك وينصرك على من يبغيك

الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف
حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال ما سلف من القوارع انما هي
لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام لام موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد
ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه
صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اي ما صح
وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما يلتمس منه الا باذن الله وبمشيئته المبنية على الحكم والمصالح
التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قد مر مرارا وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل
اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم
في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال
المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه
المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين دأبهم
كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم
الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون
يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك
مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الزائل والثابت الا وهو
مكتوب فيه كما هو وإما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار
غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها
اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا يهمنك ما وراء ذلك فنحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطلوع تباشير الظفر فقال
اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أأنكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا
انا نأتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها
بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله
ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة
ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعز والاقبال
وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة
وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه
اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اي حاسرا
والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي
سريع الانتقام وقد مكر الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة لم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله
المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر وحيث كان جميع ما يأتون
وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته

عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما كسبت ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله
حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك
ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي
بمقتضى علمه ويوفي كل نفس جزاء ما تكسب لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع
علمهم حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد
ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر
ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه الصلاة
والسلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه
بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول وعلى الثاني مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على قراءة ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول
ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله تعالى اعلم

سورة ابراهيم احدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كون الر مبتدأ والمبتدأ مضمر على تقدير
كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له
وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة
عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس اي ليخرج به الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة
الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه للاتباع عن
ذلك عطاء باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب واستعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف
الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون
الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج
او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه
واتضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل
كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستقلال انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه
لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز
الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة لاختصاصه بالمعبود بالحق كالنجم للثريا وقرئ بالرفع على هو الله العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله
الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي فهو
على القراءتين بيان لفخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة ويجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا والخبر محذوف
عن هذه النكتة قوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو
النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات فسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون
ويضجون منه قائلين يا ويلاه لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة
فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحياة الآخرة الابدية
ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزيادة

الاختصار وهو من صده صدا او من يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذ اكب وهو غير فصيح كاوقف فان صد
ووقفه لمنه وحده عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي
زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل
الموصول بما في حيز صلته الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الظلمات
فالكفر المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الغاية المفصحة عن وخامة العاقبة بازاء كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه
بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تمادي الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال
وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم مؤكدة لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح
المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منزهة في ضلال عن طريق
الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية
دهياء ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال
محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول
ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة
ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف
لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان
بعض ذلك بالاعجاز دون غيره مسئلة لقدح القادحين واتفاق الجمع فيه امر قريب من الالجاء وجعل اللسان بالترجمة والتفسير بعض الحكمة
اتحاد النظم المنبي عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة
من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا
وفيه من التعذر ما لا يخفى ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات
نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب
كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم
وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب في رجعه الى قوم كل نبي كما قيل وما ارسلناك من رسول الا بلسان قوم محمد عليه الصلاة والسلام
ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه
او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال
الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والتحقيق
للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية
اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى
بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى
وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو
تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك الى الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع
في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها
لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان
صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات

من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر
ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط
بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآية او بايامه المنطوية على ذلك
كما يلوح به قوله تعالى اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شأنها والاشعار
بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد
وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم
الدارجة ويرده ما يتصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك
ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانيته تعالى
وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها
كونها مناط التذكير بها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر اما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء
والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على البلاء
شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
او الايمان ويصير امره اليهما لا لمن يتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة
فان من يذكر بما فاض او نزل عليه وعلى من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات
بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر
اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام
لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود ذكر ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون
اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة
الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء
سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة
بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة
العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن
عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجملة في محل الحال
من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة
بلاء من ربكم اي ابتلاء منه البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يحمل في تجريدية ونسبتها الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار
والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو لا يناسب كما يلوح به التعرض
لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم
من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا
لا تبقى شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي
اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكيرا ما اصابهم قبل ذلك من البلاء ثم امرهم
ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بذكر الاوقات

ذكر ما وقع فيها من الحوادث مفصلة إذ هي محيطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالإيمان والطاعة لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه إن عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف أي لأعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة إما مفعول لتأذن لأنه ضرب من القول أو لقول مقدر بعده كأنه قيل وإذ تأذن ربكم فقال لئن وقال موسى إن تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها أنتم يا بني إسرائيل ومن في الأرض من الخلائق جميعا فإن الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من أياديه وإن لم يحمده أحد أو محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كماله سبحانه وتعليل لما حذف من جواب أي إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم فإن الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام إنما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الإصرار على الكفر والفساد وعلم أنه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب أو بما قاله غب ما ذكره من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الأمم الخالية فقال ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما أصاب كل واحد من حزبي المؤمنين والكافرين فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا إلى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتخصيص تذكير موسى عليه السلام بما اختص ببني إسرائيل من السراء والضراء والأيام بالأيام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد أيضا لا تظهر حسنه وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الحلق قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول أو عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم إلا الله اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبئهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم عنها من المقالة إعلاما منهم بأنها لا جواب لهم سواها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها وإقناطا لهم عن التصديق والإيمان بإعلام أن لا جواب لهم سواه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به أي على زعمكم وهي البينات التي أظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم أو عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو إسكاتا للأنبياء وأمرا لهم بإطباق الأفواه أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا أو تمثيلا أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجبا عن عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجيبهم بقولهم أفي الله شك وقيل الأيدي بمعنى الأيادي أي ردوا بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي أجل النعم الدينية والدنيوية لأنهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه وإنا لفي شك عظيم مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله والتوحيد فلا ينافي سكونهم في ذلك كفرهم القطعي بما أرسل به الرسل من البينات فإنهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالإدغام مريب موقع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة من أراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك بإدخال الهمزة على الظرف للإيذان بأن مدار الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلا متحاشين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أفي ما تدعونا إليه شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وكان إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية

القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والأرض أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بتحقق ما أنتم فيه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضي إلى الفصل بين الموصوف والصفة بالأجنبي أعني المبتدأ والفاعل ليس بأجنبي من رافعه وقد جوز ذلك أيضا يدعوكم إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا إليه ليغفر لكم بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم أي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يجب ما قبله وهكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير الإيمان قالوا استئنافا كما سبق إن أنتم أي ما أنتم إلا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدوننا أو كلام مستأنف أي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والإرشاد أن تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه وإلا فأتونا أي إن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبد أبا عن جد ولقد كانوا أتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا أو إرادة لمن وراءهم أن ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم أول مقالتهم وإنما جعل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه إن نحن إلا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس أو ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات والاستعداد على من يشاء من البشر وما نشاء ذلك إلا لعلمه باستحقاقنا لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعداد التام التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح واستقام لنا أن نأتيكم بسلطان أي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الأشياء وسبب من الأسباب إلا بإذن الله فإنه أمر متعلق بمشيئته تعالى إن شاء كان وإلا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا حمل أنفسهم عليه قصدا أوليا ألا يرى إلى قوله تعالى وما لنا أي أي عذر لنا ألا نتوكل على الله أي في أن لا نتوكل عليه كما ظهر لإظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا أي أرشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التأكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم ويجوز أن يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين من العاتين الغالين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترءوا على مثل تلك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الإمكان فحلفوا على أن يكون أحد الأمرين والعود بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الأعراف وسيأتي في الكهف فأوحى إليهم أي إلى الرسل ربهم مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو إلى غاية لا مطمع بعدها في إيمانهم لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو على إجراء الإيحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الأرض أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من أرضنا كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها من بعدهم أي من بعد إهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك

اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامى
موقفى وهو الموقف الذى يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف
وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اى استنصروا الله
على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر
عطفا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما
اتصف به المتقون اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون ففى الخيبة معنى مطلق
الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب
كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد
وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفى اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه
فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر
جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح او
دم مختلط به يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره
وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبنى على السؤال
كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب
ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على
الحال فان السوغ انحدار الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله فى جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها
المعهودة فى الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اى اسبابه من الشدائد من كل مكان
ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت حقيقة
كما هو الظاهر من مجئ اسبابه لا من جميع الجهات حتى لم يبق لما يغشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ
يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما فى عذاب الدنيا وقيل هو الخلود فى النار
وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة فى سنيهم التى ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم
وخيبتهم فى ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اى صفتهم وحالهم العجيبة الشان التى هى كالمثل الغريب
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او هو استئناف مبنى على سؤال من قال ما بال
اعمالهم التى عملوها فى وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو
من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به فى يوم
عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها للمبالغة كقولك ليلة ساهرة وانما شبهت صنائعهم المعدودة
لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم
للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو راى سيبويه اى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كيت وكيت والمراد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون
اى يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شئ ما اى لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد
المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم
وزعمهم انهم شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شئ
هو الضلال البعيد من طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته
وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد

مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذى يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اى يخلق بدلكم خلقا آخر لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك
على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام
العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر
او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه
وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه كما فى قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
او لانه لا مضى ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون
عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع
ضعيف والمراد ضعف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم انا كنا فى الدنيا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب فى جمع غائب او مصدر نعت به
مبالغة او على اضمار اى ذوى تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز
ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اى للايمان
ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا
ام صبرنا على ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
وانما اسندوهما وشبهوا استواءهما الى ضمير المتكلم الشامل للمخاطبين ايضا مبالغة فى النهى عن التوبيخ باعلامهم انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية
لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه وقد روى انهم يقولون
تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك وانما كان
عتاب الاتباع من باب الجزع وتلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فى ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجا ومهرب من العذاب
من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهى جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء
فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عاتبه
بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضى الامر اى احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
فى محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث
ووعدتكم اى وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله
فاخلفتكم اى موعدى على حذف المفعول الثانى اى نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك
وما كان لى عليكم من سلطان اى تسلط او حجة تدل على صدقى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليه وتسويله وهو وان
لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه فى معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة فى نفى السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لى
عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى فلا تلومونى
بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم
فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا
ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه الملامة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه
دلالة على استقلال العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرته التى عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه

الكاسبة

فانه سبحانه حينئذ اما خلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان تعالى فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق ومسلك الجبرية ما انا بمصرخكم
اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان
عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية
فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ
بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى برئت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اودّ ذلك وارغب
فيه فاليوم كفرت بذلك لم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه انا بما كنتم به كافرون فما مصدرية وقيل موصولة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم
والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل
ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه وابتداء
من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم
متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي
جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها
لانه تعالى صيرها مثلها الخارج وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل
وقد اخر عنه ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه
في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بما عطف عليه من قوله تعالى
وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا
او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء الى او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة
اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود
الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض
لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحياة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي بالقول الثابت امثال
ايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القسم بن حبيب سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا
محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني

كلام

اللب

في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما المثلي يقال هذا وقد علمت
الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت الله المؤمنين عليه
حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما
باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار
على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون
في الايمان الراسخون فيه لا المنافقون كما ينبئ عنه النسق لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذ كان لا عن ايقان داخلة تحت الاوائل
من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية
لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأي التثبيت
والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا
نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا
مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة بابس الكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله عنهما
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كأنهما تأولا لما يتلى
من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض
لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي
لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي
داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم
للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص
بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا
عطف على احلوا وما عطف عليه اي داخل معها في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس
كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا
عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر
كفرانهم بنعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره
بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب ولو سيق النظم
على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا
حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض فادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا
لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال
اقتضى ان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة وتخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان
ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة وبعاقبة الكفر تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة
الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم التي هي الحقيقة في وصوله وهو لها
حسبما توجبه قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المذكور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قيل لهم
بلسان الحال وتعبير اعمالهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون
به كذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كداب مأمور سامع طائع لآمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ
تعليلا للامر بل هو جواب شرط يجب عليه الكلام كانه قيل هذا حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر

قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل
لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه
وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما كما حسن ذلك
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك
سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب الاولى
اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا
والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفدي به نفسه والمقصود
عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه
ربما تتصور مع تحقق الاحتياج من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي
يوم لا انتفاع فيه بالبيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظرف
ان يتعلق بانفقوا ويذكر اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا منهما داع الى الانفاق تدارك
النفقة معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوائده
ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن
ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه المضنة به ولا يبعد
ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون للاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ولدلالة الرفع على ذلك باعتبار وقوعه في جواب هل
بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات
لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة
على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي
وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج
الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك
سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المفعول اما باعتبار
كونه مبدأ النزول او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك
من الثمرات الغالبة للحصر اما لانه صنع الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة
بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت
من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وللتبعيض بدليل قوله تعالى
فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر
كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها
على المواد الممتزجة من الماء والتراب واودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد
الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي
الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به
المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا
تابعا لارادتكم بامره بمشيته التي يناط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات

كما يرى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر
فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها
نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما
لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى
انواع النعم الفائضة عليهم ابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها بشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون
كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير
من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر
عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي
لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم
كون الكل اي خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سالتموه اي
اعطاكم بعض جميع ما سالتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينوط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سالتموه او كل ما طلبتموه بلسان
الاستعداد او كل ما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل
فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه فحذف الثاني لدلالة ما بقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان
ما نافية ومحل ما سالتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا
بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فمعناه لا تبلغوا
عدم بلوغ مرتبة يعتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر
والافلاس ممنوا باصناف الغايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تامله وجده متقلبا في نعم لا تحصى ومنن لا تعد
كانه قد اعطي كل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم
ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع
ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير نديراحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جمع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ولآلي
ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت به الحلقوم فهل يشتري وهو مالك الحال بجميع ما يملك والاموال
لقمة يسيغ بها غصته او شربة يروي بها من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه
كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير من الدنيا
بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام سالعامي شاء من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج
ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان افما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بلى يعطيه وهو راض به
حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام حال
اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على جلية الحق والوقوف
على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة
والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار
الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل آن
يمضي وكل آن يتقضى من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية
ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب
المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه
ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان يتوقف عليه

وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية
التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود
فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير
محصاة لا عدا وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح
انه يفيض عليه في كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها
ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم
شكرك قاصرون نسالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت
نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم
بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال
ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به
تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا
اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم مكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى
وساله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا
ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه آمنا اي ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه وقد مر في سورة
البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط
حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين
فاستجيب له في احدهما وتاخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال
او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب
اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق
بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالمسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا
على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل لان
سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين
سؤال البلدية وقد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو
لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء
اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة
لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه
من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ واجنبني من الاجناب وهما لغة اهل نجد فيقولون جنبني شره
واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم
ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم
وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف
بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من مواقع نعي على قريش عبادة الاصنام
على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى

وغرهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبة في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو
اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين
ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو
لعصيانه لا لانه لم تبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره
حتى الشرك خلا ان الوعد قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه الا الدعاء
في قوله رب انهن الى آخره بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الآية متعلق
بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل عليه السلام
كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض
مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك
ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه
بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المكاره
في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع الطوفان فلم يستول عليه
ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال
باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه نزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان
تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا
الصلوة متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء
وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والايذان بان الغرض من اسكانهم ذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى
والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال
فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم
من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فهو مناسب للمقام اذ المسؤول توجه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه
فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر
في ادور وعلى انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من هوي يهوى اي تحب وتعديته بالى لتضمينه معنى النزوع
والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف
على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام
وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء
بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات
من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم
عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة
الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يساعده التعاقب في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين
الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بعد ما ذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول
وذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وعرض كون ذلك الاسكان مع كمال

اعوازهم مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك ختم دعوته عليه السلام
بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء
او لا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي
على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفاء
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية
ومقصوده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار
العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة
والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض
وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان
من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض
تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة
لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بمحض وتقديم الارض
على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الله
المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس
بشأن يختص به او من يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل
وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله تعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له
اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري
لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله
باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريق
التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعاء
وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة
مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين من
ييسر تيمنا من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت
فان الاسكان مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص بالدعاء بعض
ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيما للصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك
جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ
بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام
ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة بوجه يحسم مادة الوهم وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين
كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين
على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند قيام اهله
مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب
المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع
الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد

بتثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب
الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عن ذلك
للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان
لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد
او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا
بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عد مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا
واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنهي عنه بقوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما شاء وهو استئناف
وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستحقونه من العذاب الاليم
ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل لا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ
بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما
لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان
بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى الآخرة لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار ترتفع
ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار
عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصفة من شخص من بلده الى بلد وسار في ارتفاع
مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون
هيئة وحواجب كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤوسهم اي رافعيها مع ادامة النظر عن غير التفات الى شيء
قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع رأسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وكلا الحالين مما دل عليه الابصار
من اصحابها او التفات حال متداخلة من المضمر في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم
حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف
مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه في الاصل مصدر او اسم جامع للعين او لا يرجع اليهم نظرهم الى انفسهم
فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص
الابصار وتأخره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لبيان هذا المعنى
وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق
قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص
ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب
والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء
فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان
يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم
الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وياباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم
للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوا من الشدة انما هو لظلمهم واشارة على صيغة الفاعل حسبما ذكر ولا للايذان بان الظلم
في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل على تقدير كون المراد
بالناس ما يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم

من الامم الخالية فان اسناد العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اى الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم فى انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اى نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه الصلوة والسلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكى كلام ظالمى الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اى فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا فى الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالانتقال لحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب فى جواب القسم لمراعاة حال الخطاب فى اقسمتم كما فى قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل فى التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى فى اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك ونعوذ بجارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاتطان وانما استعمل بكلمة فى حيث قيل فى مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذى حقه التعدية بها او من السكون واللبث اى قررتم فى مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم فى الظلم بالكفر والمعاصى غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب اجترائهم على الله تعالى وفى ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومه للكل وهو الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت عليه دلالة واضحة اى فعلنا العجيب بهم كما فى قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين وضربنا لكم الامثال اى بينا لكم فى القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام وعلى تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصى او بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث فى موضع الحال من ضمير اقسمتم اى اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم فى مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول فى فعلنا بهم او من الثانى او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا فى ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه عملهم المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم فى استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا مكرهم المذكور فى ترتيب مبادى البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم الذى فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه فى صورة المكر فى الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير فى مكروا اى

اى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول منه الجبال اى وان كان مكرهم فى غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى معدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا فى ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذى يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان الوصلية من التأكيد المعنوى والجواب محذوف دل عليه ما سبق من قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها كما فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير فى مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم السلام التى هى بمنزلة الجبال الراسية فى الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون فى مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هى حال من ضمير مكروا اى مكروا مكرهم المعهود والحال ان الشأن كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن ينبغى ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها وقد قرأ الكسائى لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير فى مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغير ذلك من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الى آخره حالا من القول المقدر اى فقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما بينا من السكون فى مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذى وقع فى جوابه بل اجترءوا على مثل هذا العظيم وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما سلف على تقدير كون ان وصلية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم اى قد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما هى كالجبال من الشرائع والآيات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم فان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن ينبغى ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكر من قبل فليتأمل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى كما قيل فانه لا اختصاص له بالعذاب لا سيما الاخروى بل ما سلف آنفا من وعد تعذيب الظالمين بقوله انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى واليقين بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم الخالية بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم ذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكأنه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور اى ينجزه يوم الخ او معطوف عليه نحو واذكر يوم تبدل الارض غير الارض او للانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتعبير مع عموم اسمائه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المدخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم

يأتيهم العذا

او نصب باذكر او باضمار لا تخلف وعده يوم تبدل الى آخره وهو ايضا ما على الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز
ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية
فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها
وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال
والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي
تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا • والسموات • اي وتبدل السموات
غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبدل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا • وبرزوا • اي الخلائق
او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها في سر او يزعمون
انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال مناسبة لها وهو معطوف
على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو
لله الواحد القهار • للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام
في ذلك اليوم وعلى تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يجار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة • وترى المجرمين • عطف على برزوا
والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا
فهو معطوف على تبدل او يجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه • يومئذ • يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم تبدل الارض او يوم اذ ينجزه وعده • مقرنين • قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين
اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور
الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين • في الاصفاد • في القيود او الاغلال
وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين • سرابيلهم • اي قمصانهم • من قطران • جملة من مبتدأ وخبر
محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستأنفة والقطران ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع
فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره
فكان ما نشاهد منهما اسماؤهما في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الوسيع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيآت الموحشة فيجلب اليها الآلام والغموم بل ان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في الدنيا وجعلوه
شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد
العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطرآن اي نحاس مذاب متناه حره • وتغشى وجوههم النار • اي تعلوها وتحيط بها
النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة
واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره
كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني
عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد وقرئ
وتغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال

قاله ابو البقاء • ليجزي الله • متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي • كل نفس مجرمة • ما كسبت • من انواع الكفر
والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير
للخلق وقوله وترى المجرمين الى آخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية
ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة
ان الله سريع الحساب • اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب
او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب • هذا • اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن
الله غافلا الى آخره • بلاغ • كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون
العظات والقوارع • للناس • للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين
كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين • ولينذروا به • عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ
اي كفاية لهم في ان ينصحوا او ينذروا به او هذا ابلاغ لهم ليفهموا ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول
الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له
وليعلموا • بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق • انما هو اله واحد
لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى • وليذكر اولوا
الالباب • اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم
من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب
تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما
للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة
امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود
مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختم الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد • والحمد لله وحده

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر • قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها • تلك • اشارة اليه
اي تلك السورة العظيمة الشان • آيات الكتاب • الكامل المعهود الغني عن الوصف المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك
اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله
عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد
من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد • وقرآن • اي قرآن عظيم الشان
مبين • مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شأنه العظيم
مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقتين احداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية كونه
ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب
بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح لئلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة
من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سنذكر هناك
والمناسب كون السورة الكريمة بعنوان الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ وقرئ سائر
فيقبل • ربما • بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددة او مخففة ما ... فتح الراء وضمها

ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه ان يدخل
على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود
الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه مذعنين لامره وفيه ايذان
بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند
او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم
وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار
فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع الله
حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة
فليست مخصصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم ان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة
التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه يقول البعض تواد لعلك اكرم عندك من الفرسان فيقول
رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب من الكتائب مصرح في ذلك التمادي لمشر فرسانه ولكنه يريد اظهار
براءته من التزيد وابرازه انه ممن يقلل لعلو الهمة كثيرا عنده فضلا عن تكثير القليل وهي طريقة ما سلكت اذا كان الامر من الوضوح بحيث
لا يحوم حوله شائبة ريب فصار اليه معنا للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام كل ان من آناء اليوم الآخر ان ذلك
من الظهور بحيث لا يشتبه على احد لو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يقل بالنسبة الى حسابه
الكثيرة وهذا انسب واوفق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق قوله تعالى ذرهم يأكلوا
وادخالها بالى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يقارن
ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم
مرجو الوجود بلا يقين او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بمقطوع الوقوع وانه يكفي
قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح
بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن
وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متغايران ذاتا ومقاما فمن خلطهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه
ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم من ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه
فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون
مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع المفضيان
الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا كل الاخبار والافعال
الثلثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من بعض الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز وعلى ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها
غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح
مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامره عليه الصلوة والسلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيديمهم بأنديهم وهم عنه غافلون
فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك مع كونه عتيدا
اتياه وعيد وتهديد اعقب تهديدا بتعقيل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق
الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان
سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة بتعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل
ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في

في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه
بالتقدم والتاخر فلما سمع اجري الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكيده بكلمة من في حكم الموصوفة
كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه
لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا نغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى
في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية
المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية
لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه مما
على الحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الا
الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان
بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه
السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين
ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة
وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان
واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخلف واذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زماني
كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان
الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما
واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسناد هما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار
حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتاخير ذكر عدم
تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار
ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية
الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه بيانه وادعهم
اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى
من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب
وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه الصلوة والسلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك
لمجنون كقول فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادة
انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عندما تدعي انه نزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله
تعالى لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله وايراد الفعل
على صيغة المجهول للايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل لوما
كلمة لو عند تركيبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركيبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته
لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا ما

بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الإنذار كقوله تعالى لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يعاقبوننا
على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم إن كنت من الصادقين في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب
فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإنا لا نصدقك بدون ذلك أو كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت
أممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الإنزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل
على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف إحدى التاءين وماضيا منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق من جهته تعالى على لسان النبي عليه
الصلاة والسلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب
عن أولها أعني قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله فإنه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا
بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة
اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول
عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما يأتيهم بهم للإيذان بأنهم قد أخطأوا في التعبير كما أخطأوا في الاقتراح
وأن الملائكة لعلو رتبتهم أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من
الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول
من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل إلا بالحق أي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل
مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل
لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فإن ذلك من باب
التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام من أفراد كمل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللئام وإنما الذي
يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا
بالمرة وما كانوا إذن منظرين جزاء الشرط مقدر وفيه إيذان بانتفاء ما قصدوه بطلبهم لتعقيب مطلوبهم كما في قوله تعالى وإذا لا
يلبثون خلافك إلا قليلا قال صاحب النظم لفظة إذن مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك إذ جئتني أي حين جئتني
ثم ضم إليه أن فصار إذ أن ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة أن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ كان ما
طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم
القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم
لتعلق العلم والإرادة بازدياد عذابهم وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم إيمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم
في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل
للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا أو أن إنزال
الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين
على كفرهم فيصير إنزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا مع إخلال كل من ذلك بقطعة الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك
تعجيل العذاب الذي يفيده قوله وما كانوا إذن منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لأجل الشهادة وأما على تقدير
كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى إنما ننزل الملائكة للتعذيب إلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلنا
حسبما اقترحوا أما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لا رهابهم بل لشدة أعليتهم أمرهم قبل وحيث كان
في نسبة تنزيلهم للتعذيب إلى عدم موافقة الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم للتعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل
لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لشدة عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب وقيل
إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا
نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر
لا مصدر له وفعل لا فاعل له وإنا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا أوليا فيكون وعيدا للمستهزئين

للمستهزئين وأما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ عن جميع
ما يقدح فيه من الطعن والمجادلة في حقيته ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند
غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة
شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جوابا عن أول كلامهم الباطل لما ذكر آنفا
وللارتباط بما يعقبه من قوله تعالى ولقد أرسلنا أي رسلا وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بأرسلنا
أو بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف أي رسلا كائنة من قبلك في شيع الأولين أي فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي
الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا تبعه وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف
الموصوف عند البصريين أي شيع الأمم الأولين ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي
ويذر من أمور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي إتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي إتيان كل رسول لكل واحد
من تلك الشيع جميعا أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل إلا
على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها إلا كانوا
به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالإتيان
حدوثه أو في محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون وأما الجر على أنها صفة
باعتبار لفظه فيفضي إلى زيادة من الاستغراقية في الإثبات ويجوز أن تكون منصوبا على الوصفية بأن يقدر الموصوف منصوبا على
الاستثناء وإن كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل
كذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقرونا بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب
أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤوا به من الكتب نسلكه أي الذكر في قلوب المجرمين أي أهل مكة أو جنس المجرمين
فيدخلون فيه دخولا أوليا ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو حال منه أي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك أو نسلك السلك
حال كونه مثله أي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استعداد لقبول الحق وصيغة المضارع
لكون المشبه مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الأمم السالفة أو للدلالة على استحضار الصورة والسلك إدخال الشيء في آخر
كسلك الخيط في الإبرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به أي بالذكر حال من ضمير نسلكه أي غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها
وقد جعل الضمير للاستهزاء فتتعين البيانية إلا أن يجعل الضمير المجرور أيضا له على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم
حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإيذان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به وقد خلت سنة الأولين أي وقد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف
جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء أي بابا ما لا بابا
من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها
من العجائب عيانا كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم عيانا مستوضحين
طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق إنما سكرت أبصارنا أي سدت من الإحساس
من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك
وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بنوع من السحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيراد ما بعد تسكير الأبصار
لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار
فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الأبصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي

البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما تتفق عليه الجمهور من نياط السماء وجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وإن جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أي جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها أي السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت للناظرين إليها بمعنى النظر ظاهرا أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فيه منها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها إلا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع إن فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع فأتبعه أي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهو شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر أمره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وإن النجوم تنقض برمي الشيطان فصلة وحيلة لما يعود إلى استراق السمع يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى إنا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه وجنبه ويده حيث شاء الله تعالى ومنهم من تخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والأول أصح والأرض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم تقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا والتوافق بالبعض أعني قوله تعالى وألقينا فيها رواسي أي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في أول الرعد وأنبتنا فيها أي الأرض أو فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن مناسب أي ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم أنهم يكفون مؤناتهم وتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وإن من شيء إن للنفي ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا أوليا إلا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على أنه فاعله لاعتماده أو خبر له والجملة خبر للمبتدأ الأول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغائبة عن الحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله أي ما نوجده وما نكون شيئا من تلك الأشياء ملتبسا بشيء من الأشياء إلا بقدر معلوم أي إلا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فإن ذلك غير متناه فإن تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه مع استواء الكل في الإمكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسبما في خزائن القدرة وهو إما عطف على مقدر أي ننزله وما ننزله الخ أو حال مما سبق أي عندنا خزائن كل شيء والحال أنا ما ننزله إلا بقدر معلوم فالأول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان إنشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العالم السفلي كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل

وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وأرسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح الجو أي أرسلنا الرياح لواقح أي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح أي المهلكات وقرئ وأرسلنا الريح على إرادة الجنس فأنزلنا من السماء بعد ما أنشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فأسقيناكموه أي جعلناه لكم سقيا وهو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما أنتم له بخازنين نفي عنهم ما أثبته لجنابه بقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها عنها وقد يعم الإحياء والإماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لإنا ولا يجوز كونه ضمير الفصل كما في قوله تعالى إن هذا لهو القصص الحق لأنه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون أي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل أولا وآخرا وليس لهم إلا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وإن ربك هو يحشرهم أي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على أنه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لأنهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم أي هو يحشرهم لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا والتعرض لعنوان الربوبية إشعار بعلة الحكم وفي الإضافة إلى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام إنه حكيم بالغ الحكمة متقن في أفعاله فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الإنسان أي هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من أفراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر أفراده انطواء إجماليا كما مر تحقيقه في سورة الأنعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي يصوت عند نقره قيل إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن من حمإ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أي من صلصال كائن من حمإ مسنون أي مصور من سنة الوجه وهي صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الأولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخر عن حمإ تنبيها على أن ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه أفرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الإنسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي غالب أجزائها الجزء الناري فإنها أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء وإذ قال ربك نصب بإضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من أنه أدخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء

الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاقتصار على ذكر خلقه عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت
قوله تعالى للملائكة انى خالق فيما سياتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف
يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا وقيل جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا باديا البشرة بلا صوف ولا شعر
من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال كائن
من حما مسنون تقدم تفسيره ولا تنافى بين ما ههنا وبين قوله تعالى فى سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية
لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكى غاية الامر
انه اكتفى بما شرح ههنا فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل طبائعه
ونفخت فيه من روحى النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة
ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحييه من الروح التى هى من امرى فقعوا له
امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى
على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله عنه اليس اول من صلى
لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم
يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر فى ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا
فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل فى الخطابات التنزيل على اكمل احوال الشئ
ولا ريب فى ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل فى افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال
فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة فى التعميم هذا وانما
هل ترتب عليه ما حكى من الامر التعليقى كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة ص او على الامر التنجيزى كما يستدعيه ما فى غيرهما فقد
فصل الله عز وجل عن عهدته فى تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف
من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل
ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادمج فى معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام فى سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبنى على سؤال من
قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اى اى سبب لك لا اى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك
الا تكون اى فى ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم فى الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد
تخلفه عنهم بل لكل من المعاصى الثلاث المذكورة قال تعالى فى سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفى سورة ص قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ولكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحد
من تلك المعاصى الثلاث كافية فى التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه قال اى ابليس وهو ايضا استئناف مبنى على السؤال الذى ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد
اللام لتاكيد النفى اى ينافى حالى ولا يستقيم منى لانى مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اى جسم كثيف خلقته
من صلصال من حما مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حيث قال انا خير منه
خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذى هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه
مخلوقا منه فى اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى فى سورة الاعراف وسورة ص بما حكى عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه
لخلقه عليه السلام من طين وكذا فى سورة بنى اسرائيل حيث قيل ااسجد لمن خلقت طينا وفى جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس
استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وعدوله عن تطبيقه على السؤال روم للتفصى عن المناقشة وانى له ذلك كا

كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام فى سلك الملائكة بل عما لا يليق بشانى من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله
على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلى بالمعارف الربانية والتخلى عن الملكات الردية التى افحشها
التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اى من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته
لآدم عليه السلام فى الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا فى ذلك فان الخروج من بين الملا الاعلى
هبوط اى هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصرى او بطريق المشافهة بعد ان
احتال فى دخولها وتوسل اليه بالحية كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا امتناع فى هذا الطرد على رءوس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم
البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب
عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من
سنجانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل فى سورة ص وان عليك لعنتى الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار
بتاخر عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك
اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هى كالزائل وقيل انما حد
لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع اللعنة كسائر من حرت
عقوبتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى قال رب فانظرنى اى امهلنى واخرنى والفاء
متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذ جعلتنى رجيما فامهلنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد به
ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة
الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا
لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس
الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه
من الاهلية المقدرة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير
الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل وسلم فى ذلك سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة فى علم الله تعالى ممن سبق من الجن
ونحو من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار بالحق ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافة السؤال الى البعث
كما عرفته وفى سورة الاعراف قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء فى الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز فى الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب
النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة
ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء
الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى فى سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التى علم
انه يصعق عندها من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف فى العبارات
لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر فى الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستئثاره
تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم فى يوم واحد ويموت اللعين فى اوله ويبعث فى اوساطه ويعاقب فى بقيته يروى
ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد
امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب
سيشمت بى عدوى ابليس اذا رآنى ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبى فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق
كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع
وانى البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبى وسطوتى على رجيمى ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين

جل لعنه

والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع
كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب
النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول
له يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق
فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزوي منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان
في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه
بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت
فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي الدنيا التي
هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي الاقسام بهذا فانه فرع من فروعها
واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية فقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى
بسبب تسببك لاغوائي اقسم لازينن لهم المعاصي وتسويل الاباطيل والمعاذير اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود
لآدم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل ام لا وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية
الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين
اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه
طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين
ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين
تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق
اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه
وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها
الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم
او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن
ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية
للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء
وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم
لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات
وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول اي امر الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها
امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام طيبين سالمين اي
سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا

وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير
في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى
على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول
وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم
ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ
عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بهما وبالرحمة
على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ
عبادي المقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه
السلام مع اهله الناجين في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف
ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب سبعة معه عليهم السلام وقيل جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل
انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط
حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضافا الى ضيف
اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما
او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وقاله عليه السلام حين
امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند
ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن
ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يقصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير
هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي
اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف
ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها
باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال
ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر واثر فيّ تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال
فبم تبشرون اي بأي اعجوبة تبشروني او بأي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او بأي
طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى
قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصوده عليه السلام استعظام نعمته
تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه
قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه
الكامل علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه
اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة
ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن الكلام من الملائكة مع ابراهيم عليهم السلام خاصة بل مع سارة
ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابراهيم

عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة
ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير الى مكانها كما في قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا
الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط
قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعدما كان
خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر
لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس
البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه
في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن
وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا
جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي
الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم
اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او تعليله فان منهم
من تعلق بهم النجاة ينجي من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى
الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف انما علق فعل التقدير مع
اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم
له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين
وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء وفصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به
من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون
انما قاله بعدما ضاقت به الحيل وعيت به العلل لما شاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد
والامداد فيما ياتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكار الخذلان انهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم لم يكونوا مباشرين معه
لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قال عند ابتداء
ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي العذاب
الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك
المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي
اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي
كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر
بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان
كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته
في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه حسبما كان يوعدهم
واتيناك بالحق اي اليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق
الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون
في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على ضده فهم فيه على الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب
مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري الى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه
المقصود بالامور المسافرة ذلك ان السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر
والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيق او فيصيبه
ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او نهي
عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء والالتفات
لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث
امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه
واللحوق به للايذان بأهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة
على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها
ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه
اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول
وما ترتب عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم
قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة
بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم ذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بهم وتشميره
لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر
وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا
الله في مباشرتكم لما تسومونني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان
التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار
قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم
بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه
كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين
بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام
ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك
لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى لك لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء
القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم
مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك
قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليهم السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص بالقسم
لايثار الخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب
يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة
وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو
المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في

في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة
ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية
عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم
واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق والاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هنا بقية الآثار لا كل القصة
كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان
اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله
لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابا فالتجأوا اليها
يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب
واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبيون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا
وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا
كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اسمعهم من السماء
صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء المخصوص
بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا
لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية
فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم
وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم
ولساير الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل
جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر
بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن
جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد
الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة واما لتكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فيحتمل ان يكون من التسمية ولانها تثنى
بما يقرأ بعدها في الصلوة واما لتكرر نزولها فلا يكون وجه التسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها ثانيا اذ السورة مكية بالاتفاق

وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو
ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد
وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه
مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح
ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة فانها في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينخرطوا في سلك
اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل لانهم المتمتعون به ويأباه كلمة على فان متعلقهم لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك
للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم وان جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر
المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الى آخره اي انزلنا عليك كما
انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران
لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام
من التسلية وعقب ذلك بانه جل المقام عن التشبيه ولقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله تعالى
وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير
بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر لابد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به
يتحقق فائدة التشبيه وهي تاكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق وعد ووعيد فهم
غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز فيما اذا اقتضاه مقام يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة
والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول
مفعولا اول لانذر اي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك كما سبق عدم كون
العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين
من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن
بذلك وقيل هو الانفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به غيره
ولا مختصا بهم بل عاما للكل الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا
قبل مهلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون
هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر ويرد عليه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلوة
والسلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى
قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلابد من التزام مسلك الكوفيين والمصير

الى جعله مفعولا غير صريح اى انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت ترى ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق القران العظيم صالح
لان يقع مشبها بها للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ وان جعلناه مفعولا اول للنذير او لما
ال
هو عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك انما يكون
للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم
في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب
لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا لصحة وقوع احدهما في جانب الآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاجتماع
على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك
وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدا على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت هذا
فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين ان الموصول مع صلته صفة مبينة
لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة
ا
بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما اتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله
الذين اتيناهم الكتاب الى آخره للتنبيه على ما بين الايتائين من التباين فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا تصحح
ذلك في موقع تشبيه به فان ذلك انما هو مسلم عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا الفرقة بعوا الى ذاته كما في الصلوات الخليلية
فان المشبه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام واله اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك
للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القران العظيم فليس في التشبيه اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية
ما تعلق الاول مما تعلق الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما يقتضيه من الانزال المذكور وايذانا
بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بالكل حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي واوثر
قوله تعالى لا تمدن الى آخره لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم والقصد بين ولا علاقة ورفعة مكانه
بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها
بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدما نهى المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار
قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القران العظيم ثم رجع الى كيفية اتيانها على وجه ادمج فيه
نزيه شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا
وقد قيل المعنى قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما
موصولة والمراد بالملة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا
القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي موافقا لذلك فلا نسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك
تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة واصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القران بالتعضية التي هي تفريق
الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات
للتنصيص على كمال قبح ما فعلوا بالقران العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يعضها على الاول
واو وعلى الثاني هاء ❊ فوربك لنسئلنهم اجمعين ❊ اي لنسألن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما
كانوا يعملون ❊ في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا وبجزيهم بذلك جزاء موفورا وفيه
من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام
اظهار اللطف به عليه السلام ❊ فاصدع بما تؤمر ❊ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله
الابانة

الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع الموعودة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني
السبع والقران العظيم ❊ واعرض عن المشركين ❊ اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم
انا كفيناك المستهزئين ❊ بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث
ابن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بالغوا في اذى النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به
فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح
راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ❊ الذين يجعلون مع الله الها آخر ❊ وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهوينا للخطب عليه باعلامه انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه ❊ فسوف يعلمون ❊
عاقبة ما يأتون ويذرون ❊ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ❊ من كلمات الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك
وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه
من اقوال الكفرة ❊ فسبح بحمد ربك ❊ فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد
وكن من الساجدين ❊ اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه
السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ❊ واعبد ربك ❊ دم على ما انت عليه من عبادته تعالى واشار الاظهار بالعنوان
السالف لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة ❊ حتى يأتيك اليقين ❊ اي الموت
فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة
ين
ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ اتى امر الله ❊ اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم
والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذة وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان ففيه تنبيه على كمال
قربه من الوقوع واتصاله به وكمال حسن موقع التفريع في قوله عز وجل ❊ فلا تستعجلوه ❊ فان النهي عن استعجال الشيء وان صح
تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأسا لا باعتبار
من قرب وقوعه او وقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء
لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة والاول
فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة
بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة
سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤوسهم
فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من ابائه حسبما تحققته
بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع
المنهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد

ولا تحلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لأن المراد بأمر الله إنما هو الساعة وقد عرفت
استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون أمر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن
الذي يقتضيه الإعجاز التنزيلي أنه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج إشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل
إلى ما لا يليق به من العجز والاحتياج إلى الغير واعتقادهم أن آلهتهم يحمونهم عن إنجازه حسدا واستهزاء وعبثا وقد قالوا في تضاعيفه إن صح
مجيء العذاب فالأصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون أي تنزه وتعالى
بذاته وجل عن إشراكهم المؤدي إلى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة
الاستقبال للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب
وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما تفوت ارتباط المنهي عنه بالمتنزه عنه وقرئ على صيغة
ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما علق عليه منها إجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه
شيء في شيء وإيذانا بأنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم السلام وأمروا بدعوة الناس إليه مع الإشارة إلى سر النبوة والتشريع وكيفية
إلقاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم بإتيان ما أوعدهم به وبوقوعه وإزاحة الاستبعاد عن اختصاصه عليه السلام بذلك
وإظهار بطلان إنكارهم في الاستعجال والتكذيب وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة إما جبريل
عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع إذا كان رئيسا وهو ومن معه من حفظة الوحي بأمر الله تعالى وقرئ ينزل من الإنزال وتنزل بحذف
إحدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب
الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل أو بما هو حال من مفعوله أي ملتبسين بالروح من أمره
بيان للروح الذي أريد به الوحي فإنه أمر بالخير أو حال منه أي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه أو صفة له على رأي من جوز حذف الموصول
مع بعض صلته أي بالروح الكائن من أمره الناشئ منه أو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم أي ينزلهم بأمره
على من يشاء من عباده أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك أن أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم ملتبسين
بأن أنذروا أي بهذا القول والمخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للأمر
كما يشعر به الباء في المبدل منه وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أي ينزلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا
أو مفسرة على أن تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كأنه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أنذروا ولا محل لها من الإعراب
أو مصدرية لجواز كون صلتها إنشائية كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك حسبما ذكر في أوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية أيضا والإنذار
الإعلام خلا أنه مختص بإعلام المحذور من نذر بالشيء إذا علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذارا أي أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كذا في القاموس
أي أعلموا الناس أنه لا إله إلا أنا فالضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة
الإيذان من أول الأمر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرر له في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كأنه قيل أنذروا أن الخطير هذا أو إنباؤه مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف
المنذرين بما يضاده من الإشراك وذلك كاف في كون إعلامه إنذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات
والفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وأمرهم بأن ينذروا الناس أنه لا شريك له
في الألوهية فاتقون في الإخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الإشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعدما جرد الدليل
السمعي للتوحيد شرع في تحرير الأدلة العقلية فقيل خلق السماوات والأرض بالحق أي أوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق
والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا بشيء من أفعاله التي من جملتها إبداع هذين المخلوقين عما يشركون عن إشراكهم المعهود
أو عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعدما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه
من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالأنفس فقال خلق الإنسان أي هذا النوع غير الفرد الأول منه من نطفة جماد
لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فإذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة لقن بها وهذا أنسب بمقام الامتنان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته أو مخاصم لخالقه منكر له

قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا أنسب بمقام تعداد مساوئ الكفرة روي أن أبي بن خلف الجمحي أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
فقال يا محمد أترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والأنعام وهي الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والضأن والمعز
وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها أو بالعطف على الإنسان وما بعده بيان ما خلق لأجله والذي بعده تفصيل لذلك
وقوله لكم إما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول
أو الظرف الأول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء إذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها
وغير ذلك وإنما عبر عنها بها ليتناول الكل مع أنه الأنسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترقي إلى الأعلى
ومنها تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للإيماء إلى أنها لا تبقى عند الأكل كما في السابق واللاحق
فإن الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الأكل وتقديم الظرف للإيذان بأن الأكل
منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وأن الأكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع أن فيه مراعاة للفواصل ويحتمل
أن يكون معنى الأكل منها أكل ما يحصل بسببها فإن الحبوب والثمار المأكولة تكتسب بإكراء الإبل وبأثمان نتاجها وألبانها وجلودها
ولكم فيها مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية جمال أي زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون
تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها إلى مسارحها فالمفعول محذوف
من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لأن ما يدور عليه أمر الجمال من تزيين الأفنية والأكناف بها وتجاوب ثغائها
ورغائها إنما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين وأما عند كونها في المراعي فينقطع إضافتها الحسية إلى أربابها
وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وتقديم الإراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها أظهر منه
في استتباع ما ذكر من الجمال وأتم في استجلاب الأنس والبهجة إذ فيها حضور بعد غيبة وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون
مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على أن كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل أثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل أجسامكم إلى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما أريد به اليمن ومصر والشام
ولعله نظر إلى أنها متاجر أهل مكة وقال عكرمة أريد به مكة ولعله نظر إلى أن أثقالهم وأحمالهم عند القفول من متاجرهم أكثر وحاجتهم
إلى الحمولة أمس والظاهر أنه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأثقال لولا الإبل
إلا بشق الأنفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق
الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كأنه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالإضافة
إلى الأنفس مجازية أو على تقدير مضاف أي إلا بشق قوى الأنفس وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي لم تكونوا بالغيه
بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ولعل تغيير النظم الكريم الآتي الدال على كون الأنعام مدار النعم إلى الجملة الفعلية المفيدة
لمجرد الحدوث للإشعار بأن هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للأوقات والاطراد في الأحيان المعهودة
بمثابة النعم السالفة فإنها بحسب المنشأ خاصة بالإبل وبحسب المتعلق بالضاربين في الأرض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في أحايين
غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع أصناف الأنعام وعامة لكافة المخاطبين دائما أو في عامة الأوقات
إن ربكم لرؤوف رحيم ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الأمور الشاقة والخيل وهو اسم جنس للفرس لا واحد له
من لفظه كالإبل وهو عطف على الأنعام أي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها وإلا فالانتفاع بها
بالحمل أيضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الأول
وتأخيره لأن الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف أي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز
أن يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها أو مفعوله أي متزينين بها أو متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون أي يخلق
في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشير إليه
بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون

هذا اخبار بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه
جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه
كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة
وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه
اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم
الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة
والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة
عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل
ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب مناره وعلم سحقا تباره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل
عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك
الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن مهاوي الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه
الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس
ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ
بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ
بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم بما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين بعد ذلك على جلوها ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق
ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان وتعديل له اي تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس ومن اضافة
الصفة الى الموصوف وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون
وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر
جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني
نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على حد
الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واما ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك
انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين لكن عدل عنه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما يكرهه النفس اليه سبحانه
وليس المراد بيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر الى الله تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان
لاسناد مثله الى الله تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرا حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تقتضيه ولا يتوهم
متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائر ثم تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى عنه بل الجملة الطائفة اعتراضية جيء بها لبيان
الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب
الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد هذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة
للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع
والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة
اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي
عليه يدور فلك التكليف واليه يستتبع الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها ينوط الجزاء وهو
الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف

الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا
كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة
الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل الى الله تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم اجمعين الاول [illegible]
حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق وهو ما بين الطريق المسمى للتوحيد على وجه اجمالي
وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه تنبيها للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا
على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما دل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته القاهرة من السماء
اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه
انزل من السماء شيئا وهو الماء لا انه انزله من السماء اذ فيه ما سلف من ان عند تأخير ما حقه التقديم يبقى النفس مترقبة لما
اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره
والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار
بانه لا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف
الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني
منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة النظم التنزيلي الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت
من الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابة يعني به
المطر الذي ينبت الكلأ الذي يأكله الابل فيسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت
اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به اي بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة
عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار او انها الجارية على مر الدهور او
صنوف الانبات وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديمه او لما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم
الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم
النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع
المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله
بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر بهيمته اكمل من اهتمامه
بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لتقديم غذائه فانه غذاء حيواني
للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات
ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر
في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض
وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام
مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد
واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في صفات
الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر
سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم
ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر دائبين في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما
صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم ليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا
كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرف

من مثلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين واشارة صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلق له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم التي هي الظهور بمثابة ما في الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها الى ما ذكر اذ الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرة لله تعالى الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلق له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من انه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل لمناسبة حسبما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينبأ الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي ما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخرا لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على اصله من المنصوبات وعقب بذكر الخلق ليهم معنى غير ذكر التسخير واعتذار بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وابث على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة حتى يتبين للاستدلال على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وفي اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى الى ان تسمية الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة او تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء

وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على لتأكلوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلق بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضم وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي أبعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة تتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اجري عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هو شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص العقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واما ما كان فرضوا الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر يقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصودة على حسب الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت مستتبعة للحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين لها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليكم بما ذكر وما لم يذكر حسبما يعبر عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجناها عن تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة واي نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة

تبتغا

لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منها وحذف
العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية
وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى
بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين
يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها
المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك
الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب
لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما
في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في مهياتها ووجوداتها
الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار
الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين
الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز منهم ايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا
عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية
لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ
محذوف وحيث كان بعض الاموات مما تعتريه الحياة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز
عن ذلك فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحياة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي
اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه
الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا شريك له
في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالاخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث
وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون
عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع
النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت مما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك
اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر
بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض
عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها
وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل في الايات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدة وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حقا
وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقران
اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي
لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليه او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم
اي لاولئك المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون
او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي
ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق
بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا
كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم

وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون
غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل
اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال
والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا فيأباه ما سيأتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان حمل
المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من
لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه
على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من
قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله
اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه
فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد
شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى
تلك الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت
فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون
باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقران العظيم اساطير الاولين
سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف
على مقدر يستدعيه الكلام اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما يتوهم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم
في الدنيا ثم يوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للاشارة الى ما بين الجزائين
من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم
الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخر وما ينبئ النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا
مع بعضها يأتي في الاخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القران
الكريم او لهم ولمن مثل بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السياق والسباق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا
وتوبيخا وهو عطف على يخزيهم بيان لما اخزاهم اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم
الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام
استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز
ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك
عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله
ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي
تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين مشاقة لله عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف
وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم
يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه
وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة
والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المصدر باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه
فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء

العذاب على الكافرين بالله تعالى وبآياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام الآ
في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول محل الجر على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم
ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر
فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول
الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما اعتراض جيء به تحقيقا لما حاق
بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين
ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه
بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به
الكلام الدال عليه على التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم اذ ادعاء
لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل انواعها
اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة
وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا
عاملين ذلك في اعتقادنا رعاية للمحافظة على ان لا كذب ثم ترده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف
كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناش عن التقوى
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب
مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر معنى واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي
ليس له من دافع عن واضحه وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير وما راموا من انكار النزول روي ان احياء
العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الا
الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير
على الاطلاق فيجوز اسناد الخير الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اي دار الآخرة حذفت لدلالة ما سبق عليه وهذا
كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب
او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك
تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما
والثاني حال منه والعامل هو في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديم الظرف للاحتراز عن توهم
تعلقه بالمشيئة او لما مر مرارا من ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك
الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا
ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين
اي طاهرين من دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم
ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض

ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم
قال القرطبي رحمه الله اذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك
السلام وبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم
لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به
ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد
بالتوفي في الحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان منهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر
بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او
يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعارا بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم
وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه
العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم
بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي
كذلك اي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله
بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر
ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة
عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس
فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم
وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع ما كانوا به يستهزؤن من العذاب
وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة
وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول
لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها
وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع
فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقول الرسل وينقلونه من جهته عز وجل لكان الامر كما شاء
من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب
عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا الذين هم
رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطا وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره
ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار
احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك
من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها مدار التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق
مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له
وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالقائل للتعلل كان قيل كذلك فعل اسلافهم
وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا التبليغ لاوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء
وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مامورون وبان تبليغهم حق للناس عليهم اداؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله تعالى الخ

على الاستمرار إلا بإلهام الجواب والله تعالى أعلم بالصواب ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى
بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال
الاختيارية لهم أي بعثنا في كل أمة من الأمم الخالية رسولا خاصا بهم ﴿أن اعبدوا الله﴾ يجوز أن تكون أن مفسرة لما في البعث
من معنى القول وأن تكون مصدرية أي بعثنا بأن اعبدوا الله وحده ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة
﴿فمنهم﴾ أي من تلك الأمم والفاء فصيحة أي فبلغوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم
﴿من هدى الله﴾ إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله ﴿ومنهم من حقت
عليه الضلالة﴾ أي ثبتت ووجبت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للإشعار بأن
ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الله وعدمها إلا حسبما حصل منهم من التوجه إلى الحق
وعدمه لا بطريق القسر والإلجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده ﴿فسيروا في الأرض فانظروا﴾
أي أكنافها ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون
في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الأمر بالسير على مجرد الإخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير إخبار بحلول العذاب
للإيذان بأنه غني عن البيان وأن ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما أنه بعده وأن ملاك الأمر في تلك العاقبة هو التكذيب
والتعليل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴿إن تحرص﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة
﴿على هداهم﴾ أي إن تطلب هدايتهم بجهدك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه
الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على أنهم ممن حقت عليهم الضلالة وللإشعار بعلة الحكم
ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أي إن تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لأن الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ
لا يُهدى على بناء المفعول أي لا يقدر أحد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء وإدغام تاء يهتدي في الدال ويجوز أن يكون
يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن أضل ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم في الهداية أو يدفعون
العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد لا أن المراد نفي
طائفة من الناصرين من كل منهم ﴿وأقسموا بالله﴾ شروع في بيان فن آخر من أباطيلهم وهو إنكارهم البعث ﴿جهد أيمانهم﴾
مصدر في موقع الحال أي جاهدين في أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ ولقد رد الله عليهم أبلغ رد بقوله الحق ﴿بلى﴾ أي بلى
يبعثهم ﴿وعدا﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فإن ذلك وعد من الله سبحانه أو لفعله المحذوف أي وعد ذلك وعدا ﴿عليه﴾ صفة لوعدا أي وعدا ثابتا
عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث من مقتضيات الحكمة ﴿حقا﴾ صفة أخرى له أو نصب على المصدر أي حق حقا ﴿ولكن
أكثر الناس﴾ لجهلهم بشؤون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر
التكوين والغاية القصوى منه وعلى أن البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها ﴿لا يعلمون﴾ أنه يبعثهم فيبتون القول
بعدمه أو أنه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴿ليبين لهم﴾ غاية لما دل
عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت أو للناس لعمومه المؤمنين أيضا فإنهم وإن كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال
يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة عين اليقين أي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها
الحقيقية الشأن ﴿الذي يختلفون فيه﴾ من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا أوليا ﴿وليعلم
الذين كفروا﴾ بالله سبحانه بالإشراك وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ في كل ما يقولون لا سيما في قولهم
لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما
غاية للبعث المشار إليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وإبطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة
ويلجئهم إلى الإذعان للحق فإن الكفرة إذا علموا أن تحقق البعث إنما هو لتبيين أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان ذلك أزجر
لهم عن إنكاره وأدعى إلى الاعتراف به ضرورة أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلي لأصلين رغما لأنفك
وإظهارا لكذبك ولأن تكرر الغايات أدل على وقوع الفعل المغيا بها وإنما لم يذكر ما هو الغاية الأصلية للبعث باعتبار ذاته أعني الجزاء الذي هو الغاية

القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وإنما لم نذكره لتكرر ذكره في مواضع أخر وشهرته وإنما لم يدرج علم
الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وأن الذين كفروا كانوا كاذبين بل أتى بصيغة العلم لأن ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي
هو عبارة عن إظهار ما كان مبهما قبل ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون وأما كذب
الكافرين فليس من هذا القبيل فإنما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل أنفسهم وعدم تحققه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك
الذين صدقوا وإنما خص الإسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا أن الكافرين الآية لأن علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضا
﴿إنما قولنا﴾ استئناف لبيان كيفية التكوين على الإطلاق إبداء أو إعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه تظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ
وقوله تعالى ﴿لشيء﴾ أي أي شيء كان مما عز وهان متعلق به على أن اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية
أي لأجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا أنه كان شيئا قبل ذلك ﴿إذا أردناه﴾
ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده ﴿أن نقول له كن﴾ خبر للمبتدأ ﴿فيكون﴾ إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام
أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو
يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل أو يقال
إنه مما يستدعي انحصار قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيما ذكر كما يفصح عنه قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا
أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق
في كلمة كن بل إنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور
المطيع لأمر الآمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي
هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والألباب
وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الأمر ﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه
ولوجهه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ وهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا
إلى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي مباءة حسنة أو تبوئة حسنة كما قال قتادة
وهو الأنسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها نزلت
في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام
فأما صهيب فقال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله
عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فإنما يناسب ما حكي عن الأصم من كون
كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقل من نزول الآية في أصحاب الهجرتين على أن يكون
نزولها بالمدينة بين الهجرتين وأما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يأباه نظم التنزيل ولا يساعده الجليل وقرئ
لنثوينهم ومعناه لنثوينهم في الدنيا ثواء حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق
والغرب كافة ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة ﴿أكبر﴾ مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه كان
إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل
﴿لو كانوا يعلمون﴾ الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين
أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها ﴿الذين صبروا﴾ على الشدائد من أذية
الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع على المدح ﴿وعلى ربهم﴾ خاصة ﴿يتوكلون﴾ منقطعين إليه
تعالى معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والجملة إما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل عليه تعالى
وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ وقرئ بالياء
مبنيا للمفعول رد لقريش حيث قالوا الله أجل من أن يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة إلى آخره أي جرت
السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحى إليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلغوها الناس

ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فاسألوا اهل الذكر اى اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيه اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الكل اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اى ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افامن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام ولا من تعم الفريقين لما ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للمذكور على تضمينه معنى العمل اى عملوا السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اى افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الى آخره بدل من ذلك على كل حال والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى اانزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوف فقط او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوفين على ان المنكر الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اى في حالة غفلتهم او من مأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف عن اهل مداين او يأخذهم في تقلبهم اى في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير وانما علق الاخذ اولا ثم عدم الاعجاز ثانيا للدلالة على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام او يأخذهم على تخوف اى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اى على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اى من كل شيء يتفيؤ ظلاله اى ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفعل مطاوع الافعال وقرئ بتأنيث الفعل عن اليمين والشمائل اى الم يروا الى الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اى صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها

ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بحركته وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلة ليقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اى يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله تعالى لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية انما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اى قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم اى اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات بالسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اى اى شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساواة ادنى ما يطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر

ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الإشراك المدلول عليها بقوله سبحانه وتعالى
إذا فريق منكم بربهم يشركون فإن ترتبها على ذلك في أبعد غاية من الضلال ثم إن وجه الخطاب إلى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق
الكفرة وإن وجه إلى الكفرة فمن للبيان كأنه قيل إذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد
فمن تبعيضية والتعرض لوصف الربوبية للإيذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الإشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وإنكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا أمر تهديد والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهي السخط
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على أن يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الإشراك ويجوز أن يكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد
فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد أكيد منبئ عن أخذ شديد حيث لم يذكر المفعول إشعارا بأنه مما لا يوصف ويجعلون
لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم أي يفعلون ما يفعلون من الجؤار إلى الله تعالى عند مساس الضر ومن الإشراك عند كشفه ويجعلون
لما لا يعلمون أي لما لا يعلمون حقيقته وقدره من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون أنها تنفعهم وتشفع لهم
على أن ما موصولة والعائد إليها محذوف أو لما لا علم له أصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة أيضا والعائد إليها الفاعل من الضمير المستكن وصيغة
جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه
نصيبا مما رزقناهم من الزرع والأنعام وغيرهما تقربا إليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا
بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب إليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى
ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك
أو تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين وما مرفوع المحل على أنه مبتدأ والظرف المقدم خبره
والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات أي يجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي إلى جعل الجعل
بمعنى يعم الزعم والاختيار وإذا بشر أحدهم بالأنثى أي أخبر بولادتها ظل وجهه أي صار أو دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوش وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم
من سوء ما بشر به من أجل سوئه والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء أيمسكه أي مترددا في أمره محدثا نفسه في شأنه أيمسكه
على هون ذل وقرئ هوان أم يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث ألا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال أنهم يتحاشون عنه ويختارون لأنفسهم البنين
فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه ويجوز أن يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت
قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم ووأد
البنات لدفع العار وخشية الإملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بأن مدار اتصافهم
بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى أي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب
الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن كل صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال
القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا أيضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم
وإيذان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى إلى أمد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة
أي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل أهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الأبناء فيلزم أن لا يكون في الأرض دابة لما أنها مخلوقة لمنافع
البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم إلى أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم
كي يتوالدوا أو يكثر عذابهم فإذا جاء أجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الأجل أي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للإشعار
بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون أي لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور

الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار نظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافرا مع أنه لا توبة له أصلا نظم في سمط
من لم تقبل توبته للإيذان بأنهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله أي يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم
ما يكرهون لأنفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب أي يجعلون له تعالى ما يجعلون
ومع ذلك تصف ألسنتهم الكذب وهو أن لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على أنه صفة الألسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك وإثبات لنقيضه أي حقا أن لهم مكان ما أملوا
من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوء وأنهم مفرطون أي مقدمون إليها من أفرطته أي قدمته في طلب الماء
وقيل منسيون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات
وبكسر المخففة من الإفراط في المعاصي فلا يكون حينئذ من أحوالهم الأخروية كما عطف عليه تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك أي أرسلنا إليهم رسلا فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك
فزين لهم الشيطان أعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم أي قرينهم وبئس القرين اليوم أي يوم زين لهم الشيطان
أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو في الدنيا أو يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر
أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائدا إلى مشركي قريش والمعنى زين للأمم الماضية أعمالهم فهو
ولي هؤلاء لأنهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أي ولي أمثالهم ولهم في الآخرة عذاب أليم هو عذاب النار وما أنزلنا عليك
الكتاب أي القرآن إلا لتبين استثناء مفرغ من أعم العلل أي ما أنزلناه عليك لعلة من العلل إلا لتبين لهم أي للناس
الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحكام الأفعال وأحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين أي للهداية والرحمة
لقوم يؤمنون وإنما انتصبا لكونهما أثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه
في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لأنهم المغتنمون آثاره والله أنزل من السماء من السحاب أو من جانب السماء ماء وهذا
تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من أدلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المفعول لما مر من التشويق
إلى المؤخر فأحيا به الأرض بما أنبت فيها من أنواع النباتات بعد موتها أي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه
ما بين المعطوفين من المهلة إن في ذلك أي إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة لآية وأية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه
وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم وإن لكم في الأنعام لعبرة
عظيمة وأي عبرة يحار في دركها العقول ويهيم في فهمها ألباب الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما أبهم أولا من العبرة مما في بطونه أي
بطون الأنعام والتذكير هاهنا لمراعاة جانب اللفظ فإنه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأكباش وأخلاق
كما أن تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن ليس لجميعها أو له على المعنى فإن المراد به الجنس
وقرئ بفتح النون هاهنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما بقي من العلف في الكرش المنهضمة
بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا
وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعل المراد به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لأن عدم تكونهما
في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث أخلاطا
أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي
على الأعضاء بحسبها فتجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد
والرطوبة على مزاجها فتندفع الزائد أولا لأجل الجنين إلى الرحم فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية
البيض لمخالطته فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة
لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الأولى تبعيضية
لما أن اللبن بعض ما في بطونه لأنه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك

سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر او لان في تقديم ما حقه
التاخير بعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف
كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر
كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا من شائبة الدم
والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور
في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء
من مطلق الطعام المستلزم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي نطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما
وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته
تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس السكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل الطعم
ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف
في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة
لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا
مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه
الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت
سبل ربك اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل
او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها
من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة
على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر
واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر
الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالبعض ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء
لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من عجائب آثار قدرته تعالى لآية
عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها
حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه والله
خلقكم لما ذكر من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشوء والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي
الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا او شبابا او كهولا
ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة
على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف

بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم
بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا
ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم
برادي رزقهم الذي رزقناهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك
والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة
على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم
لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون
بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى
مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله
يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله
او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر كما قالوا وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي
داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اذ ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم
واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يعلمون ذلك فيجحدون
نعم الله فهو رد على زعم المفضلين او على تعليلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع
المفضل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون لا يعرفون ذلك فيجحدون نعم الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرار
على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون
فما روي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتانسوا
بها ولتكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع
موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد
وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد
وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف
الوصفين وقيل الاختان على البنات وتاخير المنصوب في الموضعين لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر
بعود منفعة المجعول اليهم امدادا للتشويق وتقوية اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان
الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون
بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله التي الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط
دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل
والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون
من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات
مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فشيئا بدل منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز
كونه تاكيدا لا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها من الادراك
فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له

فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل
للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شأن من الشؤون فان ضرب المثل تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من
والام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به بمعزل من ان
تملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله
تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا
لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم
كيفية ضرب الامثال في هذا الشأن فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به
وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته
العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادمج
ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة
والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك الا انه التفت الى التكلم للاشعار باختلاف حالتي جهة
الرزق منا من جنابنا الكبير المتعال رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا
واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق واثار عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية
الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد
عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر
على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي
تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم
مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك
بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين
المذكورين لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية
والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستووا
فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهر
على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع اليه سبحانه كما لوح به
قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك
وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي مثلا آخر يدل
على ما دل عليه المثل الاول على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتشويق النفس الى وروده وترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن
رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه
وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يلي امره ويعوله وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا
وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ
على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف
المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل
وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما
في حاق ما يقابلها فان حاصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية ومحصل هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها

وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينين
واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى
ضرب مثلا لحال الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه
وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا
غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا
ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به
تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار
بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر
الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها
فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان انيتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها في سرعة المجيء
الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع
زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة اينية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان لها هو كذلك قابل للانقسام
الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب
ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب ايا ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الكريمة بالاتيان ان الله
على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها
من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون
وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء
قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع
الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه
في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات
بضم الهمزة وكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحد قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل
لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها
بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية
والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور
على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول من منافعهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم
تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم
من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء
منقادا للآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير ليتصرف فيه كيف يشاء
وكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى
في جو السماء اي الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه جانبها من الناظر ولاظهار
كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها
ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنف

ان فی ذلک الذی ذکر من تسخیر الطیر للطیران بان خلقها خلقة یمکن بها منه بان جعل لها اجنحة خفیفة واذنابا کذلک وجعل الجو
من الخفة بحیث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا یطیق ثقلها یخرق ما تحتها من الهواء الرقیق القوام وتخرق ما بین یدیها من الهواء
لانها لا تلاقیه بحجم کبیر لآیات ظاهرة لقوم یؤمنون ای من شأنهم ان یؤمنوا وانما خص ذلک بهم لانهم المنتفعون به
والله جعل لکم معطوف علی ما مر وتقدیم لکم علی ما بین من المجرور والمنصوب لما مر من الایذان من اول الامر بان المصلحة منفعتهم
لتشویق النفس الی وروده وتوله تعالی والله جعل لکم من بیوتکم ای من بیوتکم المعهودة التی تبنونها من الحجر والمدر تبیین لذلک
المجهول المبهم بالجملة وتاکید لما سبق من التشویق سکنا فعل بمعنی مفعول ای موضعا تسکنون فیه وقت اقامتکم او تسکنون
الیه من غیر ان تنتقل من مکانه ای جعل بعض بیوتکم بحیث تسکنون الیه وتطمئنون به وجعل لکم من جلود الانعام بیوتا ای بیوتا
اخر مغایرة لبیوتکم المعهودة هی الخیام والقباب والاخبیة والفساطیط تستخفونها تجدونها خفیفة سهلة المأخذ یوم ظعنکم
وقت ترحالکم فی النقض والحمل والنقل وقری بفتح العین ویوم اقامتکم وقت نزولکم فی الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها
واشعارها عطف علی قوله تعالی من جلود والضمیر للانعام علی وجه التنویع ای جعل لکم من اصواف الضأن واوبار الابل
واشعار المعز اثاثا ای متاع البیت واصله الکثرة والاجتماع ومنه شعر اثیث ومتاعا ای شیئا تتمتع به بفنون التمتع
الی حین الی ان تقضوا منه اوطارکم او الی ان یبلی ویفنی فانه فی معرض البلی والفناء وقیل الی ان تموتوا والکلام فی ترتیب المفاعیل
مثل ما مر من قبل والله جعل لکم مما خلق من غیر صنع من قبلکم ظلالا اشیاء تستظلون بها من الحر کالغمام والشجر والجبل وغیرها
امتن سبحانه بذلک لما ان تلک الدیار غالبة الحرارة وجعل لکم من الجبال اکنانا مواضع تسکنون فیها من الکهوف والغیران
والسرب والکلام فی الترتیب الواقع بین المفاعیل کالذی مر غیر مرة وجعل لکم سرابیل جمع سربال وهو کل ما یلبس ای جعل لکم
من القطن والکتان والصوف وغیرها تقیکم الحر خصه بالذکر اکتفاء بذکر احد الضدین عن ذکر الاخر او لان وقایته هی الاهم
عندهم لما مر آنفا وسرابیل من الدروع والجواشن تقیکم بأسکم ای البأس الذی یصل الی بعضکم من بعض فی الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله سبحانه علینا حیث ذکر جمیع نعمه الفائضة علی جمیع الطوائف فبدأ بما یخص المقیمین حیث قال والله جعل
لکم من بیوتکم سکنا ثم بما یخص المسافرین ممن لهم قدرة علی الخیام واضرابها حیث قال وجعل لکم من جلود الانعام الی آخره ثم بما یعم من لا
یقدر علی ذلک ولا یؤویه الا الظلال حیث قال والله جعل مما خلق ظلالا الآیة ثم بما لا بد منه لاحد حیث قال وجعل لکم سرابیل الی آخره ثم بما لا غنی عنه
فی الحروب حیث قال وسرابیل تقیکم بأسکم ثم قال کذلک ای مثل ذلک الاتمام البالغ یتم نعمته علیکم لعلکم تسلمون ای ارادة
ان تنظروا فیما اسبغ علیکم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسیة والآفاقیة فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما کنتم
به تشرکون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلک بالنسبة الی جناب الکبریاء شیء قلیل وقری
تسلمون ای تسلمون من العذاب او من الشرک وقیل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض علی طریقة الالتفات
وصرف الخطاب عنهم الی رسول الله صلی الله علیه وسلم تسلیة له ای فان اعرضوا عن الاسلام ولم یقبلوا منک ما القی الیهم من البینات
والعبر والعظات فانما علیک البلاغ المبین ای فلا قصور من جهتک لان وظیفتک هی البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته
بما لا مزید علیه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب یعرفون نعمة الله استئناف لبیان ان تولیهم واعراضهم عن الاسلام
لیس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله اصلا فانهم یعرفونها ویعترفون انها من الله تعالی ثم ینکرونها بافعالهم حیث یعبدون
غیر منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب کذا وقیل نعمة الله تعالی نبوة محمد صلی الله علیه وسلم عرفوها بالمعجزات کما یعرفون
ابناءهم ثم انکروها عنادا ومعنی ثم الاستبعاد والاستنکار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانکار واسناد المعرفة
والانکار المتفرع علیها الی ضمیر المشرکین علی الاطلاق من باب اسناد حال البعض الی الکل کقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد
منهم فان بعضهم لیسوا کذلک لقوله سبحانه واکثرهم الکافرون ای المنکرون بقلوبهم غیر المعترفین بما ذکر والحکم علیهم بمطلق الکفر
المؤذن بالکمال من حیث الکمیة لا ینافی کمال الفرقة الاولی من حیث الکیفیة هذا وقد قیل ذکر الاکثر اما لان بعضهم لم یعرفوا الحق لنقصان
العقل او التفریط فی النظر او لم تقم علیه الحجة لانه لم یبلغ حد التکلیف فتدبر ویوم نبعث من کل امة شهیدا یشهد لهم
بالایمان والطاعة وعلیهم بالکفر والعصیان وهو نبیها ثم لا یؤذن للذین کفروا فی الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة علی ان

علی ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبی عن الاقناط الکلی وهو عند ما یقال لهم اخسئوا فیها ولا تکلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبیاء
علیهم السلام واطم ولا هم یستعتبون یسترضون ای لا یقال لهم ارضوا ربکم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب
الظرف بمحذوف تقدیره اذکر او خوفهم یوم نبعث الی آخره او یوم نبعث یحیق بهم ما یحیق مما لا یوصف وکذا قوله تعالی واذا
رأی الذین ظلموا العذاب الذی یستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا یخفف عنهم ذلک ولا هم ینظرون ای یمهلون
کقوله تعالی بل تأتیهم بغتة فتبهتهم واذا رأی الذین اشرکوا شرکاءهم الذین کانوا یدعونهم فی الدنیا وهم الاوثان او الشیاطین الذین
شارکوهم فی الکفر بالحمل علیه وقارنوهم فی الغی والضلال قالوا ربنا هؤلاء شرکاؤنا الذین کنا ندعوا من دونک ای نعبدهم
او نطیعهم ولعلهم قالوا ذلک طمعا فی توزیع العذاب بینهم کما ینبئ عنه قوله سبحانه فالقوا ای شرکاؤهم الیهم القول انکم لکاذبون
فان تکذیبهم ایاهم فیما قالوا لیس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما کذبوهم وقد کانوا یعبدونهم ویطیعونهم لانهم کانوا
راضین بعبادتهم لهم فکان عبادتهم لهم کما قالت الملائکة علیهم السلام بل کانوا یعبدون الجن یعنون ان الجن هم الذین کانوا
راضین بعبادتهم لا الجن او کذبوهم فی تسمیتهم شرکاء وآلهة تنزیها لله سبحانه من الشرک والشیاطین وان کانوا راضین بعبادتهم
لهم لکنهم لم یکونوا حاملین لهم علی وجه القسر والالجاء کما قال ابلیس وما کان لی علیکم من سلطان الا ان دعوتکم فاستجبتم لی فکأنهم قالوا
ما عبدتمونا حقیقة بل انما عبدتم اهواءکم والقوا ای الذین اشرکوا الی الله یومئذ السلم الاستسلام والانقیاد لحکمه العزیز
الغالب بعد الاستکبار عنه فی الدنیا وضل عنهم ای ضاع وبطل ما کانوا یفترون من ان لله سبحانه شرکاء وانهم ینصرونهم
ویشفعون لهم وذلک حین کذبوهم وتبرؤا عنهم الذین کفروا فی انفسهم وصدوا غیرهم عن سبیل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل علی الکفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذی کانوا یستحقونه بکفرهم قیل فی زیادة عذابهم حیات امثال البخت وعقارب
امثال البغال تلسع احداهن فیجد صاحبها حمتها اربعین خریفا وقیل یخرجون من النار الی الزمهریر فیبادرون من شدة برده
الی النار بما کانوا یفسدون متعلق بقوله زدناهم ای زدنا عذابهم بسبب استمرارهم علی الافساد وهو الصد المذکور
ویوم نبعث تکریر لما سبق تثنیة للتهدید فی کل امة شهیدا علیهم ای نبیا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفی قوله
تعالی علیهم اشعار بان شهادة انبیائهم علی الامم تکون بمحضر منهم وجئنا بک ایثار لفظ المجیء علی البعث لکمال العنایة بشأنه علیه السلام
وصیغة الماضی للدلالة علی تحقق الوقوع شهیدا علی هؤلاء الامم وشهدائهم کقوله تعالی فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید وجئنا بک
علی هؤلاء شهیدا وقیل علی امتک والعامل فی الظرف محذوف کما مر والمراد به یوم القیامة ونزلنا علیک الکتاب الکامل فی الکتابیة
الحقیق بان یخص باسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدیر قد تبیانا بیانا بلیغا لکل شیء یتعلق بامور الدین ومن جملة ذلک
احوال الامم مع انبیائهم فیکون کالدلیل علی کونه علیه السلام شهیدا علیهم وکذا من جملته اخبار هذه الآیة الکریمة من بعث الشهداء
وبعثه علیه السلام شهیدا علیهم علیهم السلام والتبیان کاللقاء کسر اوله وکونه تبیانا لکل شیء من امور الدین باعتبار ان فیه
نصا علی بعضها واحالة لبعضها علی السنة حیث امر باتباع النبی صلی الله علیه وسلم وطاعته وقیل فیه وما ینطق عن الهوی وحثا
علی الاجماع وقد رضی رسول الله صلی الله علیه وسلم لامته باتباع اصحابه حیث قال اصحابی کالنجوم بایهم اقتدیتم اهتدیتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فکانت السنة والاجماع والقیاس مستندة الی تبیان الکتاب ولم یضر ما فی البعض من الخفاء فی کونه تبیانا فان المبالغة
باعتبار الکمیة دون الکیفیة کما قیل فی قوله تعالی وما انا بظلام للعبید انه من قولک فلان ظالم لعبده وظلام لعبیده ومنه قوله سبحانه [illegible]
من نقصان وهدی ورحمة للعالمین فان حرمان الکفرة من مغانم آثاره من تفریطهم لا من جهة الکتاب وبشری للمسلمین
خاصة او یکون کل ذلک خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلک ان الله یأمر ای فیما نزله تبیانا لکل شیء وهدی وبشری وایثار
صیغة الاستقبال فیه وفیما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بین طرفی الافراط والتفریط وهو
رأس الفضائل کلها یندرج تحته فضیلة القوة العقلیة الملکیة من الحکمة المتوسطة بین الجربزة والبلادة وفضیلة القوة الشهویة البهیمیة من العفة
المتوسطة بین الخلاعة والخمود وفضیلة القوة الغضبیة السبعیة من الشجاعة المتوسطة بین التهور والجبن فمن الحکم الاعتقادیة التوحید المتوسط
بین التعطیل والتشریک نقل عن ابن عباس رضی الله عنهما ان العدل هو التوحید والقول بالکسب المتوسط بین الجبر والقدر ومن الحکم العملیة
التعبد باداء الواجبات المتوسط بین البطالة والترهب ومن الحکم الخلقیة الجود المتوسط بین البخل والتبذیر والاحسان ای الاتیان

لم تکن عبادة

سلام

یلین

بامره على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما به
وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار
القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي
القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك
قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى
يعظكم بالامر والنهي وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا
بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة ۹۱
بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك
ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي
كالمرأة التي غزلها من بعد ابرام احكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي مشابهين امرأة
شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة
هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم
كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى
من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا
ولو شاء الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل
يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره
الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما يوجب من الكسب الذي عليه يدور امر الهدى
والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم
كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم
غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب
عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم او باياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود
والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد
من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي
ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون به
من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما عند الله من خزائن رحمته
الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها
فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين

بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة
في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض
لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء
بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا
من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار
بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد
لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه
بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن
والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل
او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات
دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه
من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدار الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة
في مقام توسيع حماها من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح
غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله
تعالى من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
او تخفيف العذاب كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر
واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم الليل بخلاف الفاجر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد
فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة
وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه
بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص من شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها
عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله
عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة
القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي سائر الاعمال الصالحة اهم
فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا
القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة
ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلوة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه
جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه اي الشأن او الشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم
ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار
التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه

انما سلطانه اى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه
حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اى يتخذونه وليا
ويستحبون دعوته ويطيعونه فان المستعيذ بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى يشركون او بسبب الشيطان
مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة فى الخارج بين التوكل
على الله تعالى وبين تولى الشيطان وان كان بينهما واسطة فى المفهوم وان من لم يتوكل عليه لم ينتظم فى سلك من تولى الشيطان حسب لا
اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار
التجددى كما ان اختيار الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة
لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية
المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعى الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا
آية مكان آية اى اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا
واخرا وان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة فى وقت
تنقلب فى وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد
تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفى الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر
الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا
اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اى متقول على الله تعالى تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا
للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان فى النسخ
حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اى القرآن المدلول عليه بالآية روح
القدس يعنى جبريل عليه السلام اى الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود
حيث قيل حاتم الجود للمبالغة فى ذلك الوصف كانه طبع منه وفى صيغة التفعيل فى الموضعين اشعار بان التدريج فى الانزال مما تقتضيه الحكمة
البالغة من ربك فى اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس
فى اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض بالحق اى ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء
ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية
المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما
معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم
انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اى القرآن بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس
عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تضمنته من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددى
فى متعلقه فانهم مستمرون على تلك العظيمة يعنون به جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل فى ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطئهم
ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان
فى قوله والحد فيه اى لغة الرجل الذى يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وتعريف اللسان وهذا القرآن
الكريم لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان
زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذى اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث فى اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل
على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء

واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك
لسوء حالهم ولهم فى الآخرة عذاب اليم هذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط
بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول انها
افتراء او معلم من البشر اى تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى فى انه
كذلك وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة فى بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو
عبارة عنه اعنى قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفترى الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه
واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان
بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك
الاباطيل والسر فى ذلك ان الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع فى نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع
كذلك مدافعة له سبحانه فى فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه فى فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من
مروءة او دين وقيل الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اى تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من
كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتى عليه
او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم
الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر
الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدى نفعا وانما المجدى مقارنته للكفر الواقع به اى الا
من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اى اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم
والجمع فى الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فى المستكن فى الصلة لرعاية جانب اللفظ روى ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا
ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه
اعزازا للدين كما فعله ابواه وروى ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول
فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد عليه الصلوة والسلام قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى — الوعد
الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدى الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه
هداية قسر والجاء القوم الكافرين فى علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدى اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار
الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان
ذلك لكن الثانى مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة
اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما افضى الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضى الله عنهم اى لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم

ان الله فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرها ويكون ان الثانية
تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب
والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان
قلوبهم بالايمان وقرئ على البناء للفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا
في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل
رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه
وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة
والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او بما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم
الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى
كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين
الاعمال وآثارها والاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية اي جعل
المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية
مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها
ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة
على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا
لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج ياتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها
عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة
الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة
فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له
اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد
فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة
فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي
للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع
الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومئ اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة
بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم
فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينهما وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا
عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف اصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو
الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صنعة
الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران
النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم

اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون فكذبوه
في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب
المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران
نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل
تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس
من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول تحار في ادراك سمو
رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله
لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه الصلوة والسلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب
شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم
وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم
ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير
من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب
ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل عن التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي
الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا وآخرا
فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى
واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم
البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت
على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم
الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه بعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي
يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع ياباه
التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان سباق النظم الكريم مع خطاب النهي متوجه الى الكفرة
كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان التنزيل الجليل ان كنتم
اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر
والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد
اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء
الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة
في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا
عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه او نحو
ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا
من السنتكم قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق به هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا

ولا تحرموا بمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ الكذب
ومنبعاً للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية
كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله
تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم
أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذاباً ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فإن مدار الحل
والحرمة ليس إلا أمر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام لام العاقبة
إن الذين يفترون على الله الكذب في أمر من الأمور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها
متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب أليم
لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك أي بقوله تعالى
حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا أو بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر
المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت
محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر
قوله تعالى كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم
ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم إن ربك للذين
عملوا السوء بجهالة أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك أي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة وأصلحوا
أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته
تركاً وفعلاً وتكرير قوله تعالى إن ربك لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره
مع ظهور الأثر التائبين للإيماء إلى أن إفاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من أتباعه كما أشير إليه فيما
إن إبراهيم كان أمة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقة في أمة جمة حسبما قيل ليس من الله
بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر
وأبطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة أو لأنه عليه السلام كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى إني جاعلك
للناس إماماً وإيراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان
بأن حقية دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه قانتاً لله مطيعاً له قائماً بأوامره حنيفاً مائلاً عن كل دين
باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً صرح بذلك مع ظهوره لرد ما
على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم أنه عليه
السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إذ به يلزم
إيراد التحريم والسبت سابقاً ولاحقاً شاكراً لأنعمه صفة ثالثة لأمة وإنما أوثر صيغة جمع القلة للإيذان بأنه عليه السلام
كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنعم الله تعالى حسبما أبين ذلك
بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم موصل إليه سبحانه وهو ملة الإسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه
عليه السلام بل مع إرشاد الخلق أيضاً بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين
الناس قاطبة حتى إنه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم

إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين أصحاب الدرجات
العالية في الجنة حسبما سأله بقوله وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم أوحينا
إليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك أن اتبع ملة إبراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء
عليهم السلام من أمللت الكتاب إذا أمليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الإلهي مهما نسب إلى من يؤديه
عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى ديناً قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه السلام
ولا تكاد توجد مضافة إلى الله سبحانه ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الإسلام الذي
عبر عنه آنفاً بالصراط المستقيم حنيفاً حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض
فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الأصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار وما في ثم من التراخي
في الرتبة للإيذان بأن هذه النعمة أجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير
لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه إنما جعل السبت أي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه
تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحاً في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا إلى آخره
فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظاً عليه أي ليس السبت من شعائر ملته
وشعائر ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة
وإيراد الفعل مبنياً للمفعول جرى على سنن الكبرياء وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير وقد قرئ
على البناء للفاعل وإنما عبر عن ذلك بالجعل موصولاً بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل إنما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه للإيذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي إلى العذاب وبكونه معللاً باختلافهم في شأنه قبل الوقوع إشارة إلى تمام
لطفه واختار العكس لكن لا باعتبار شمول العلة لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف
من لطف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه السلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة
فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى
لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى
قردة دون أولئك المطيعين وإن ربك ليحكم بينهم أي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي يفصل
ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين
وإنجاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الإعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه أي أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى وكان حتماً عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبما أمر الله سبحانه وفسر
الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالإحلال تارة والتحريم أخرى ووجه إيراده هنا بأنه أريد إنذار المشركين من سخط الله
على العصاة والمخالفين لأوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل
ما بين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حديث المسخ للإنذار المذكور بين حكاية أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام
وبين أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل ادع أي من بعثت إليهم كافة وحذف
المفعول للتعميم أو لتنزيل ادع منزلة اللازم كما في قولهم يعطي ويمنع أي يفعل الإعطاء والمنع لحذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل إشعاراً بأن عموم
الدعوة غني عن البيان وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص إلى سبيل ربك إلى الإسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط
المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء إلى كماله اللائق شيئاً فشيئاً
مع إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام في مقام الأمر بدعوة الأمة على الوجه الحكيم وتكميلهم بأحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على إظهار
اللطف به صلى الله عليه وسلم والاهتمام بأمر الدعوة ما لا يخفى بالحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة أي الخطابات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فإنه جامع لكلا الوصفين وجادلهم أي ناظر معانديهم

بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات
المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله الذي أمرك بدعوة
ذكر الخلق إليه وأعرض عن قبول الحق بعدما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو أعلم بالمهتدين إليه وذلك هو تعليل لما
من الأمرين والمعنى والله تعالى أعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فإنه تعالى هو أعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال
بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرع لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة
فإنه كافٍ في هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين أو ما عليك إلا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية أو الضلال
والمجازاة عليهما فإلى الله سبحانه إذ هو أعلم من يبقى على الضلال ومن يهتدي إليه فيجازي كلاً منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن
مساق الكلام لهم وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها وإعراض عن الدعوة
وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة
الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو أعلم للتأكيد والإشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من الثواب والعقاب وبعد ما أمره عليه السلام
بما يخص من شأن الدعوة مما أمره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وإن عاقبتم أي إن
أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي إن أكلت فكل قليلاً فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب
على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أو على نهج المشاكلة والمعنى إيجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم
من غير تجاوز حين ما آل الجدال إلى القتال وأدى النزاع إلى القراع فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي
موجبة لصرف الوجوه عن القبلة المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون
وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الأولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة
وأرتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاورة وقيل إنه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرني
نقل كر الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده وقرئ وإن عقبتم فعقبوا أي وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما
فعل بكم غير متجاوزين عنه والأمر وإن دل على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وإن عاقبتم حثاً على العفو تعريضاً
وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم أي عن المعاقبة بالمثل لهو أي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة
وإنما قيل للصابرين مدحاً لهم وثناءً عليهم بالصبر ووصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير إلى مطلق الصبر المدلول عليه
بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم في جنس الصابرين دخولاً أولياً ثم أمر صلى الله عليه وسلم صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً
من الصبر لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر أي على ما أصابك من جهتهم
من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك إلا بالله استثناء مفرغ من أعم الأشياء
أي وما صبرك ملابساً ومصحوباً بشيء من الأشياء إلا بالله أي بذكره والاستغراق في مراقبته والتبتل إليه بمجامع الهمة وفيه
تسلية له عليه السلام وتهوين لمشاق الصبر عليه وتشريف له ما لا مزيد عليه أو إلا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية
من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم أي على الكافرين
بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك فلا بأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة
النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل أي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الأول
تخفيف ضيق كهين من هين أي في أمر ضيق مما يمكرون أي من مكرهم بك فيما يستقبل فالأول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات
والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول لزيادة التأكيد
وإظهار كمال العناية بشأن التسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله سبحانه بشراشر نفسه منزهاً عن كل ما سواه من الشواغل شيء مطلوب
فينهى عن الحزن بفواته أو محذور فيكف عن الخوف من وقوعه إن الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الأمر والنهي والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين إنما هي من حيث
أنهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه إن الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها

من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بكلية
نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى
إن الله ولي الذين تبتلوا إليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلاً عن الحزن
بفواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما أشير إليه ويحصل التقرب وهم المعنيون كما في قوله تعالى فاصبر إن العاقبة
للمتقين على أحد التفسيرين كما هو في مقام الانتهاء عن المعاصي لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف
بالصبر المشار إليه ورديفيه وإنما مدار المعنى المذكور بكماله قيل إن الله مع الذين صبروا وإنما أوثر عليه النظم الكريم مبالغة في الحث
على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجل النعوت الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى والذين هم محسنون للإشعار بأن ما
الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل فاصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلاً من الصبر
والتقوى من قبيل الإحسان في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه
اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير أن يكون أحدهما تتمة للأخرى وإيراد الأولى فعلية
للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها سجية راسخة لهم وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية
مقدمة على التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين المحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولاً أولياً وإما هو عليه السلام
قال ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحاً لهم وثناءً عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز إلى أن صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة به كقول
لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس عن هرم بن حيان أنه
قيل له حين الاحتضار أوص فقال إنما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة بني إسرائيل مائة وإحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى
لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن إضافته من قبيل ما في زيد المعارك أو حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الإظهار تقديره أسبح الله
سبحان وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه
فرس سبوح أي واسع الجري ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما هو علم
يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث
إضافة التنزه إلى ذاته المقدس ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى
والإسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلاً لإفادة قلة زمان الإسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث
الأجزاء دلالته على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته
من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له ويؤيده قراءة
من الليل أي بعضه وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية حسبما لوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه وإضافة التنزيه أو التنزه إلى الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة
للمتصف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الإسراء
فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد
والتباسه به أو لأن الحرم كله مسجد فإنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة
قال العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية أن يكذبه القوم فقال عليه السلام

وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه الصدر بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه والاستحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والالتفات لاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقرب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه فهمه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التوراة بعدما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا الخ كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي انهينا واحكمنا منزلين الى بني اسرائيل او موحين اليهم في الكتاب اي التوراة فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا

ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه ولتغلبن الناس بالظلم والعدوان ولتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد وحان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وجالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعدما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يصح ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الآن احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اساتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق السيئ الذاتي او فعلتم الآن فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله تعالى وجهه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم يجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وليسوءوا على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوءن بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة ولنسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطفا على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز وجل عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرد وقيل جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فما ترك منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناك يهدي للتي للطريقة التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها ولحالة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حسبما ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ ويبشر بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر امثالها فصاعدا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم

فما لقوا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع
والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار
بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب كما ذكر انه البشارة معناه والمراد تبشير المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدي اثر بيان الهادي واظهار لما بينهما
من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو
الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر
يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسان حاله كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة
له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله
وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغة
في العجلة يستعجل العذاب وهو آت لا محالة ففيه نوع تهكم به على تقدير حمل الدعاء على اعمالهم حمل العجلة على اللجج والتمادي في استيجاب العذاب
بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى بالشر على نفسه واهله وماله
بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه
رحمة لانينه بالليل من الم القيد فهرب فلما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يدها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام اني
سألت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر ويحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر
في امره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع
في بيان بعض ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه
ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانا من الهدايات التكوينية
لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات بعدم اللبس لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور
ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتب عليه آية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا
الملوين بهيآتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما
وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية
التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين
بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا آية النهار اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء
وصفا لها بحال اصحابها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه
كما ذكروا اما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات
ذات اشعة يظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اي جعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار
فضلا من ربكم اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا
بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدار العلم
المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما
عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي
الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما نيط به الحساب وانما الذي تعلق به
العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها

من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
بعدها اي بعينها من غير ان يعتبر في ذلك تحصيل شيء معين بحقيقة ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرر
امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله
من غير ان يتحصل منه شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين ان يتحصل منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العد وعلق الحساب
بما عداها مما تحقق فيه مراتب الاعداد من العشرات والمآت والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدود شيئا وتقديم العد على الحساب
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب في تضاعيف السنين من الاوقات
او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي وما تعلق بالحساب تفصيلي او لان العد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل شيء آخر منه حسبما ذكر
نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية
والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره
اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب
استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه
ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ بالياء
مبنيا للفاعل على ان الضمير له عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث للحساب
كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا او قطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الى الطائر وعلى الاخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا
وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت
طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اي نقول له اقرأ كتابك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم
من لم يكن في الدنيا قارئا ومن المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث في جوهر روحه
امرا مخصوصا الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته
لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال
ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
ووضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس تذكير
بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي
من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد
ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة
العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص
النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله
تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة
انتفاع بحسنته وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملها العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته

لا جزاء اصل لحقه والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال
وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم
الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان
المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة
او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا
يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حتما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال
كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده وايا ما كان فالبعث
غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد
تحقق ما يوجبه من الفسوق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف اخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية
بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية
المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا تقارنه الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا
باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما ذكرنا شانه من مطلق
العذاب اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول
المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع
ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به لما ان المراد به الحق لظهوره ولان الله لا يامر بالفحشاء لا سيما ذكر مما اراه القرآن
لا يهتدي الى الله واما لان المراد وجد منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها
القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف
هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو
بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة
آمرنا وامرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث
على الاهتداء ومؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم نعما وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقا
بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم
وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة
او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم
وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي
الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بها
بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها
سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كالاعمال الصالحة او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد
بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد
معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع ما في الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة
الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد بالعاجلة الحياة العاجلة كقوله
عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحق والاستمرار انما
من جملة ما عجل له ما لا انسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها
لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وتقييد

لمشا على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر
من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل
لما يطلبه بتمامه واما ما يرى من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل
مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له
مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد باعماله الآخرة الدار الآخرة
وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة
الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة
وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمع لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع
على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الجميع اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين
عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد مرة
بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها
بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى
هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات
المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم
كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي
لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض
التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم
محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد ما يقتضي الحظر كالكفر
وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم
الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية
العطاء بالنسبة الى الفريقين والاستدلال بها على مراتب الاخرى اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم
على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة في وضيع ورفيع وضالع وظليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف
بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله
وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وفي اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا وتجويز
ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط وحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم
بها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الآخر ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى
كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان
عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض
آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول لتحقيق شمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا
لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم

ثبوته له فضلا من ايهام اختصاصها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو
من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ
الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على
الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر
امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اي
لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة
وبالوالدين اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك
وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما
فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه
ولا يسوغ جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد
فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي لواحد
منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم
منونا وغير منون اي لا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص
وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول
الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه
يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودين الدعاة وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن
وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل
اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك كانه
قيل واخفض لهما جناحك الذليل واضيف الى الذل كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك
الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لافتقارهما اليوم الى من كان
افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية
والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما علي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر
كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف
للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما
بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر مما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى
الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما
يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق
علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع مثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال

غذوتك مولودا ومنتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين عن الهفوات الى الله تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه
غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير واذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون
عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية
ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة
المالية لا محالة اي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل
من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق
حبات البذر والقائها كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه في وجوه الخير والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه
وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه
يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي
كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم
كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار
على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمة ربه تعالى لان شأنه ان يصرف جميع ما
اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله
وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي
هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض
لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران النعمة مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان
واما تعرضن عنهم اي ان اعرضك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق
من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا
وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل فقل لهم قولا ميسورا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر كسعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسير فقرهم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد
كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير بابشع الصور ولما كان قبح الاسراف
في آخره بين قبحه في اثره فقيل فتقعد ملوما اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت
محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب
الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه الصلاة والسلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فمما لا يساعده ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل
وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة
من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه
على آخرين حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها

كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا
لقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عن ذلك
نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضامن لرزقهم تعليل للنهي المذكور بابطال موجبه
في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث
على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وهاهنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم من غير
ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه
منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب
وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته
وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي بين
عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه يضيع الانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال
امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع
رجع اليه وقال عليه الصلوة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه السلام اياكم والزنا فان فيه
ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود
في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او متلبسين بشيء من الاشياء الا
ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا متلبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل
حتى انه يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يغني قول الولي انا امرته بذلك ان لم يكن الامر
ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل بالمؤاخذة
بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او وجه غالبه فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بالتجاوز
عن المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما تفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل
في مادة الدية وقرئ فلا يسرف بالضم مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب
القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراءه ولا يستر دعليه لا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه
تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر على كل من الضمير في لا يسرف للقاتل الاول
ويعضده قراءة فلا يسرفوا والضمير في انه التعليل عائد الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضها
للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف او مجاوزة الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك الى التوصل الى الاستيلاء
لقوله تعالى الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجوب المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او
وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي
كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود
كان مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى ذلك يوم مشهود اي مشهود فيه
ونظيره في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان

تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا
تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة
الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا
كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم
اي العدل السوي ولعل الاكتفاء بالاستقامة عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامة الآلة لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما
يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتعديله
في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب
الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع
من قفا اثره اي تبعه وقرئ لا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد
الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول
الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة
من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة
على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل
بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير
يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور
في محل الرفع وهو المسند اليه مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لكن
النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير
ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكر في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه
بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده
فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون
اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤولا او مسؤولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد بذلك لزيادة التقرير
والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا اي ذا مرح او كبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل
المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي
لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان
تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه
كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ما ذكر من الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي
اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة
على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر
للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها
ابتداء الى البعض المذكور ليس لذكره جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك
ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور
المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او مجرى
مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ شيئا وقرئ شانه ذلك

ذلك أي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما أوحى إليك ربك أي بعض منه أو من جنسه من الحكمة التي هي علم
أو معرفة الحق لذاته والخير للعمل به أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات
الثماني عشرة كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي
عشر آيات في التوراة ومن متعلقة بأوحى على أنها تبعيضية أو ابتدائية وإما بالمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره المحذوف
في الصلة أي كائنا من الحكمة وإما بدل من الموصول بإعادة الجار ولا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه
لم تنفعه علومه وحكمه وإن بذ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الإشراك أولا حيث قيل فتقعد
مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة
الله تعالى وفي إيراد الإلقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها
في التنور أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه والإصفاء بالشيء
جعله خالصا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور أي أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص
وآثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد بالتعرض
لعنوان الربوبية تشديد النكير وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهي وصفهم
لهم عليهم السلام بالأنوثة التي هي أخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا إنكم لتقولون بمقتضى
مذهبكم الباطل الذي هو إضافة الولد إليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث
لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون إليه
ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف
الحيوان فيا لها من ضلة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه
من التقرير في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه
والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز أن
يراد بهذا القرآن النطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف جعله مكانا له أي أوقعنا
فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز أن يراد به إبطال إضافتهم إليه تعالى البنات وأنت تعلم أن إبطال إضافتهم من آثار
القرآن ونتائجها وما يزيدهم أي والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ إلا نفورا عن الحق وإعراضا عنه فضلا عن التذكر
المؤدي إلى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون
أي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على أنها نعت لمصدر محذوف أي
كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة إذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو أي لطلبوا
إلى ذي العرش أي إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض
على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل بالتقرب إليه تعالى كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
والأول هو الأظهر الأنسب بقوله سبحانه فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون وأما ابتغاء
السبيل إليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يعتقدونه رأسا أي تنزه بذاته تنزها
حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي أن يكون معه آلهة وأن يكون له بنات علوا تعاليا كما في قوله تعالى
والله أنبتكم من الأرض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وإنه سبحانه في أقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه
من أن له تعالى شركاء وأولادا في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع لا لأنه تعالى في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته
واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وأن يكون
معه آلهة ولا ريب في أن ذلك ليس مما يدخل في حد الإمكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود إنما هو بالنسبة إلى من

قدس

من شأنه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السماوات السبع والأرض ومن فيهن
من الملائكة والثقلين على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما نطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وإن من شيء
من الأشياء حيا كان أو نباتا أو جمادا إلا يسبح ملتبسا بحمده أي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته إلا
من لوازم الإمكان ولواحق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على أن له صانعا عالما
قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للتسلسل ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم
ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل إنه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه
من موجباتها من الإعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والإشراك غفورا
لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك
من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة أوثر الموصول
على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وإنما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على أنها
معظم ما أمروا بالإيمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من أن
يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويعرفوا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوههم العظيمة التي هي قولهم إن تتبعون إلا رجلا
مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من أنه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل
امرأة أبي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت
هذه وأنا أخاف أن تراك قال عليه السلام إنها لن تراني وقرأ فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله
الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس بمعنى غير حسي أو مستورا
في نفسه بحجاب آخر أو مستورا كونه حجابا بحيث لا يدرون أنهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية كثيرة جمع كنان
أن يفقهوه مفعول لأجله أي كراهة أن يفقهوه أو مفعول لما دل عليه الكلام أي منعناهم أن يفقهوه على كنهه ويعرفوا أنه
من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي
صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج أسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال
إثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وإيذانا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه إلا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها
وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كيف لا ومقصدهم بذلك إنما هو الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف
مانعة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحرا وشعرا وأساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الإخبار بأن هناك أمرا
وراءهما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام وإذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال أصله يحد وحده ولوا على أدبارهم أي هربوا
ونفروا نفورا أو ولوا نافرين نحن أعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن
روي أنه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار ومن يساره رجلان منهم فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالأشعار إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالإخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به
العلم لا أن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى وإذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي
المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الأمور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم
أو الأول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تخلف وبما به التناجي وقت تناجيهم
ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أي ذوو نجوى أو هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل أي متناجون إذ يقول الظالمون بدل
من إذ هم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وإنما وضع الظالمون موضع المضمر إشعارا بأنهم في ذلك ظالمون
مجاوزون للحد أي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم إن تتبعون ما تتبعون إن وجد منكم الاتباع فرضا أو ما تتبعون

بالتعوذ والهزء إلا رجلا مسحورا أي سحر فجن أو رجلا ذا سحر أي رئة يتنفس أي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الأمثال
أي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن
يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد أو إلى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار
للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا تقدر
المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام وإذا متمحضة للظرف
وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أإنا لمبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
أو نعاد وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله
بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أإنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار
لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره
على رأي الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل
في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث
بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير
لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر
في صدوركم أي يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة
فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الإعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وإزاحة للاستبعاد
وإرشادا لهم إلى طريقة الاستدلال الذي أي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم أول مرة من غير مثال
يحتذيه ولا أسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة أليس الذي يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية إلى حالتها
المعهودة بلى إنه على كل شيء قدير فسينغضون إليك رؤوسهم أي يحركونها نحوك تعجبا وإنكارا ويقولون استهزاء
متى هو أي ما ذكرته من الإعادة قل لهم عسى أن يكون ذلك قريبا نصب على أنه خبر ليكون أو ظرف على أن كان
تامة أي أن يقع في زمان قريب ومحل أن مع ما في حيزها إما النصب على أنه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد إلى ما عاد إليه الضمير
أي عسى البعث أن يكون قريبا أو عسى البعث يقع في زمان قريب أو رفع على أنه فاعل لعسى وهي تامة أي عسى كونه قريبا أو وقوعه
في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر أي اذكروا أو على أنه بدل من قريبا على أنه ظرف أو بيكون تامة بالاتفاق
أو ناقصة عند من يجوز إعمال الناقصة في الظروف أو بضمير المصدر المستكن في عسى أو يكون أعني البعث عند من يجوز إعمال ضمير
المصدر كما في قول زهير وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به عنها من المجاز
فتستجيبون أي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والإجابة إيذانا بكمال سهولة التأتي وبأن المقصود منهما الإحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون أي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى
على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة أحكامها وتظنون عطف على تستجيبون أي تظنون عندما ترون من
من الأمور الهائلة إن لبثتم أي ما لبثتم في القبور إلا قليلا كالذي مر على قرية أو ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي أي
المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي أي الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوهم لقوله تعالى ولا تجادلوا
أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم أي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة
والمشارة والمعاداة والمضادة فلعل ذلك يؤدي إلى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للأمر السابق وقرئ بكسر الزاي إن الشيطان
كان قديما للإنسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من أن الشيطان ينزغ بينهم ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم
بالتوفيق أو إن يشأ يعذبكم بالإماتة على الكفر وهذا التفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة وما شاكلها
ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العاقبة مما لا يعلمه إلا الله سبحانه فعسى يهديهم إلى الإيمان وما أرسلناك

عليهم وكيلا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة
والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فأمر بالعفو وقيل أفرط أذية
المشركين للمؤمنين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك
أعلم بمن في السموات والأرض وبتفاصيل أحوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم إذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه دون أن يكون ذلك من
الصناديد وذكر من في السموات لإبطال قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وذكر من في الأرض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والأتباع
وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فإن ذلك إيتاء الزبور لا إيتاء الملك والسلطنة وفيه إيذان بتفضيل النبي صلى الله
عليه وسلم فإن نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وإن المراد بعبادي الصالحين في قوله تعالى أن الأرض يرثها عبادي
الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وأمته وتعريف الزبور تارة وتنكيره أخرى إما لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب أو مصدر
بمعناه كالقبول وإما لأن المراد آتينا داود زبورا من الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على أنه
جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا أي ولا تحويله إلى غيركم أولئك الذين يدعون أي
أولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لأنفسهم إلى ربهم ومالك أمورهم الوسيلة
القربة بالطاعة والعبادة أيهم أقرب بدل من فاعل يبتغون وأي موصولة أي يبتغي من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه
أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون
عذابه بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلا عن الآلهة إن عذاب ربك كان محذورا أي حقيقا
بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب
وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وإن من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر بيان أنه حقيق بالحذر وأن أساطين الخلق
من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة إن نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة أي ما من قرية من قرى الكفار
إلا نحن مهلكوها أي مخربوها البتة بالخسف بها أو بإهلاك أهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل
وإن كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وإنما قيل قبل يوم القيامة لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة
ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا أو معذبوها أي معذبو أهلها على الإسناد المجازي عذابا شديدا
لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما يكون من فنون العقوبات الأخروية أيضا حسبما يفصح عنه إطلاق التعذيب
عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة كيف لا وكم من القرى العاتية العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة كان ذلك
الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب في الكتاب أي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته
وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم
في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان
فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ أبو عمرو الداني في كتاب الفتن إنه روي عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب
حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت الملحمة الكبرى
فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب إفريقية من قبل الأندلس وخراب مصر من انقطاع
النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات
قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الأبلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت
وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة وقد أخرجه العمري من هذا الوجه وأنت خبير

بان تعمم القرية لا يساعده السباق والسياق ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات﴾ اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى
وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها بشيء
من الاشياء الا تكذيب الاولين بها من حاليهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها ان كان لمشيته المبنية على الحكم البالغة لا لمانع عن ذلك
او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه للاستئصال بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين
بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا للارسال لما اقترحوه من الآيات
لتعين التكذيب المستتبع للاستئصال المخالف لما جرى قلم القضاء من تأخير عقوبة هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان
بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعم من عدم ارادته تعالى لما سأله
عليه السلام بالمعجزات وتوقفه في ايثار الارسال على الاستئمار وفيه من الاسعاف بتداعي الآيات الى النزول لولا ان كبحها التقدير واسناد
هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى اسعاف مقترحهم ليس الا صنيعهم ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ عطف
على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة
فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة ﴿مبصرة﴾ على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها
مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها
خبر مبتدأ محذوف ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها
للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما ليس لغيرهم حيث يشاهدون آثار هلاكهم
ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى كونوا حجارة او حديدا ﴿وما نرسل بالآيات﴾
المقترحة ﴿الا تخويفا﴾ لمن ارسلت عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل
للجملة حينئذ من الاعراب ويجوز ان تكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها
الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل ﴿واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس﴾ اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن
عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من اعمالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب ﴿وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس﴾ الى آخر الآية سيقت لتحقيقها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا
خارقة للعادة منزلة من جناب الله تعالى لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين
بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما
ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤيا او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا
لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها مع كونها آية عظيمة وآية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة
افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي
او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر
وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ
بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ﴿ونخوفهم﴾ بذلك ونظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿الا طغيانا كبيرا﴾ متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا ما اقترحوه
من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو
الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم
الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت
بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم

في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهبهم وامض لما امرتك من تبليغ الرسالة الا ترى ان
الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسرت الاحاطة
باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونها منتظرة لتحقق وقوعها لقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره وأولت الرؤيا بما عسى راه عليه السلام في المنام من مصارعهم
لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
به قريش فاستسخروا منه وبما راه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عنه
ما ذكرنا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واعيانه وذكر الرؤيا وتعيين المصارع وقعت بعد الهجرة والآية مكية
يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازدياد طغيانهم متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل
الرؤيا ما راه عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك
الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس ﴿واذ قلنا للملائكة﴾ تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة
من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وتعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء
الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاديه ويخالف الامر اي اذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحية وتكريما
لما له من الفضائل المستوجبة لذلك ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليه السلام ﴿الا ابليس﴾ وكان داخلا
في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود ﴿قال﴾ اي عند ما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك
الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر ﴿أأسجد﴾ وانا مخلوق من العنصر العالي
﴿لمن خلقت طينا﴾ نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول
اي أأسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل الانكار بما في حيز الصلة ﴿قال﴾ اي ابليس لكن لا عقيب كلامه
المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء
بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله
قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأن امرتني
بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي
اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه عقيبه ﴿لئن اخرتن حيا الى يوم
القيامة﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله ﴿لاحتنكن ذريته﴾ اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها
به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام او استنباطا
من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه ﴿الا قليلا منهم﴾ وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى ﴿قال اذهب﴾
اي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ اي جزاؤك وجزاء
اتباعك غلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية ﴿جزاء موفورا﴾ اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي فره وهو نصب على انه
مصدر مؤكد كما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ اي استخف
﴿من استطعت منهم﴾ ان تستفزه ﴿بصوتك﴾ بدعائك الى الفساد ﴿واجلب عليهم﴾ اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح ﴿بخيلك
ورجلك﴾ اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له
خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو
من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي

وقرأ حفص على انه فعل بمعنى فاعل ككعب وتاعب بمعنى مثل حدث وحادث وندس وندس ونظايرهما اى جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ
رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم
صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم
على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم
بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات
الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو
تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة لتسويغ الحكم في قوله
ليس لك عليهم سلطان اى تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى
بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف
الكلي مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر
مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اى هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله
من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد
وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم
ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان
المراد بالرحمة الدنيوية النعم العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون
اى ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم
وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع
فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق
من الاعراض افأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم ان يخسف بكم جانب البر
الذي هو مأمنكم اى يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه
وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا
لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثر كلمة في على كلمة الى
المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسند الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق
الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم
وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد
كأنها تتقصف اى تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم وكفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اى ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا
او دركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة بكمالات شاملة لبرهم وفاجرهم اى كرمناهم
بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة
ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل
من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما
حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بأن الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم
من الطيبات اى فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات

بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة
عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم
عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى
جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد
ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة
القربة عند الله سبحانه ان قيل اى حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام
من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة
للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل ذي حس كما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل
عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعوا بقلب الالف واوا على لغة من يقول افعو في افعى وقد جوز
كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعي كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع
في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اى بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل بالامهات
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا
فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا
له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل واشعارا
بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اى
اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور يقرءون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات
المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اى لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اى
قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين
في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصر لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعم
التكريم والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعملها او ما افيض عليه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف
الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اى لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني
وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما
واضل سبيلا اى من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة
حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع ان الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب
اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر
تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة
فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حين قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا
لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
اى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا

لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحه ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت
اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على الحق بعصمتنا لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم
مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير
خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بمعاداتهم
ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ
لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك اي بعدك قال خلت الديار خلافهم
فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله تعالى سنة وهي ان
يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينيه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي
غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلاث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته
وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عينه لها بيان جبريل
عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوة من غير فصل
بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم
فينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدأ الوقت
ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقرآن الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او
على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز
كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة
ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قرآن الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به
كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت
او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره
بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري حرفا ولا يجدي
كون معناه التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كان معناها الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل
فتهجد به اي ازل واترك الهجود اي النوم فان صيغة التفعيل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن
من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب
تهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة
ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدمها عليها وقتا اي تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى

الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدر
بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها
صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك
ربك الذي يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما ابعثك من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة
مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى
الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل
وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي
الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعد من البعث
المقرون بالاقامة المعهودة التي الكرامة موقعها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة ويعضده ترتبه على الوحي ولكون الادخال هو المقصد قدم ادخاله عليه
السلام الله ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني
فاخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام ومظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس
الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق
الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كائنا ما كان كان زهوقا
اي شأنه ان يكون مضمحلا غير ثابت وعده باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي لقنه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم
الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى
جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ ننزل من الانزال ما هو
شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو تقويم لدينهم واستصلاح
لنفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تقتضي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك لمن نزل عليهم
موافقة لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الموافق للاعتياد من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض
تحصل به الشفاء لكن لا في كل حين بل عند نزوله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه
ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الاشياء في غير مواضعها مع كونه
في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك
لا بالنقصان المنبي عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة
تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة
من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم
باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدار الشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة
اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه تباعد عن طاعتنا بجانبه اي ثنى بالجانب ان يلوي عن الشيء
عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض

او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك
كان يؤسا شديد اليأس من روحه تعالى وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان بعض آخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء على القلب
كما يقال راء في رأى او على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التي
تشاكل حاله التي هي الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي براكم على هذه الطبائع المختلفة اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح
الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من
بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية
من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم
من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فقال عليه السلام
بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش والمعاد وهو بالاضافة
الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني
من غير تحصيل مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل
قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر
او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هو القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما حمله على السؤال
عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملاءمته لحال السائلين لا عدا
التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك
وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وسلبناك عليه حسبما ودوا ان يفتنوك عنه ولولاه لكدت تركن
اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو
من المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة
وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك
به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك
ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة
على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا تقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا
كارساله وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه
الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول
من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان

غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا
وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان
وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك
سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن
بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى
عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف
عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم
تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا على ان الاتيان بمثله
اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر بنفي ما دونه لا بنفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير مزية من الاتيان بمثله مما لا
بل لان الجملة القسمية ليست مقولة للنبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء
مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فأبى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار
تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل فلم
يرض اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر
ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات
الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او
او تكون لك جنة اي بستان تستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا
والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا
اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا بما تدعيه شاهدا بصحته وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة
قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرج
ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه
تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول
وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات
ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة
شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلب
ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي
في السماء ونحوه رسولا مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله تعالى على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها حتى تتحكموا انتم

بشراً خبر كنت ورسولاً صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله
اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا
بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم
ابعث الله بشراً رسولاً منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم ومنع بعضاً
آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذاناً بانه مجرد قول يقولونه بافواههم
من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب
الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشراً رسولاً اذ هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى
من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسماً لمواد شبههم ملجئاً الى الايمان يعكسون
الامر ويجعلونه مانعاً منه قل لهم اولاً من قبلنا تبييناً للحكمة وتحقيقاً للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض
بدل من البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا الى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم
من السماء ملكاً رسولاً يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق
مفاوضة الملك كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما يبعث
الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكاً يحتمل ان يكون حالاً من رسولاً وان يكون موصوفاً به وكذلك بشراً في قوله
ابعث الله بشراً رسولاً والاول اولى قل لهم ثانياً من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة
في البعثة ولم يرفعوا اليه رأساً كفى بالله وحده شهيداً على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم
فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولاً باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده
قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة وابانة للمباينة وشهيداً اما حال او تمييز
انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيراً بصيراً محيطاً بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل
للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام
من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدي اليه
من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم
اوثر ضمير الجماعة اعتباراً للمعنى من كما اوثر في مقابله الافراد نظراً الى لفظها تلويحاً بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل
الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصاراً يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم
الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم ولياً على ما تقتضيه
قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذاناً بكمال الاعتناء بامر الحشر
يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحباً كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشياً فقد روي
انه قيل عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عمياً حال
من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه
مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيراً اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقداً بان بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة مستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكار
الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عياناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك
العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك

مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانياً وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلاً من ذلك او بياناً له
والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً اما مصدر مؤكد
من غير لفظه اي لمبعوثون بعثاً جديداً واما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر
عنها بذلك حيث قيل خلقاً جديداً وجعل لهم اجلاً عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق
السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلاً محققاً لا ريب فيه هو القيمة فابى الظالمون
وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفوراً اي جحوداً قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن
رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك
المبالغة والدلالة على الاختصاص اذاً لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد
الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان
قتوراً مبالغاً في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض عما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث
الاخيرة ويأباه ان هذه السلام لم يكن مرسلاً اذ ذاك وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما اهتدى بهما بنو اسرائيل وعن صفوان
ابن عسال ان يهودياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضاً ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه
المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التورية مسطوراً وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل
وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتؤيده قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه السلام اي فسألهم عن ذلك لتزداد يقيناً وطمأنينة
او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا او بسأل على القراءة المذكورة وباضمار يخبروك او اذكر على تقدير كون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل
به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحوراً سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها
الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على انزال هاتيك الآيات
العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلاً عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة
التكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون
مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكاً وقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان
بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يحاخم اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم
ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقاً بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعاً
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا في الارض التي اراد
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام القيمة جئنا بكم لفيفاً
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعة من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل
اي ما انزلنا القرآن الا ملتبساً بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظاً وما نزل
على الرسول الا محفوظاً من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشراً

للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن وقرآنا منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه
ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل
للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء
الذين قرؤوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا
تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور
عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا
من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا
عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا
ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني
لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة
الهين وهو يدعو آلها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما
عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه او بمعنى النداء والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه
يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك
بحيث يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ
بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا وقصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك
بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي
ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا
والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له
شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه
به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها بموالاته وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره
اذ به تم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله سبحانه وتعالى

سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل
الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع
المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا
وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام
الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق
عيسى عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقدم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا
من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى
لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انعدام ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه
بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في المعاني كالعوج
في المنتصب كالعود والحائط والكسر اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار
والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون
تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه
من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالا
فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل او الفاعل ضمير الجلالة
كما في الفعل المعطوف عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة
الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به باسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله
بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر
بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه
وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول
الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى
ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين
وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة
حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي ينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هذه العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في
قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور
تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار
والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله
تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يقتضي حمل النظم الكريم على الدلالة على حلول الباس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز
ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع
على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا
لا لاخلالهم بطريق العلم مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني فقلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطا بل انما قالوه رميا بالقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه
الآية وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه

والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا او كلمة ونصب على التمييز وضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ
كلمة بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد الخروج اليها مع ان الخارج
هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد
يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمائر لهم ولابائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان
بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل
على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما
على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة اي لأن لم يؤمنوا فاعمال باخع لكونه على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم
على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها من عدا من توجه
اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل
ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها
اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة
من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا
من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة
كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا
فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن والمسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم
المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة
بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري
مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب على انه بدل من مفعول لنبلوهم
والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان تكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز
البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة
الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله
الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن
فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير
او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض
وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض
جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة
والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابق من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب
فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم
ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث

لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها
للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وصفا بذلك موضع المضاف
او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة
بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم
وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله
على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار
على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه
بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف بجعلهم بخلوص واتخذوه مأوى
فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات ومن ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف
وقع حالا من مفعوله الثاني قدم عليه لكونه نكرة ولو تأخر لكان صفة له اي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة
والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة
احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق
بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان ما حقه
التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث تشوق السامع الى وروده يفيد كمال عناية المتكلم به واعتنائه بحصوله لا محالة
وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على رحمة وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول
مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي
انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان
بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا
لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير
على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا
كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقلب ذات اليمين وذات الشمال
والبعث وغير ذلك آثار رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان
لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا لابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر
او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام
انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من
تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث
لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز وحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء
كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما الى تحقق
العلم تحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة حيث ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب كما ان مداولة الايام بين الناس ترتب عليه
تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه تعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تحزبهم
الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم والاظهار والتمييز وسيظهر ان شيئا من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم
الى مقدر بقدر اعم مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم

عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر على المختبر
قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم
معاملة من يختبرهم أي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سلف احصى اي ضبط لما
لبثوا امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم
واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر
ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل ومساسها على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى
من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الى آخره حسبما وقع في قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه
حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة
لتحقق المراد فيعود المحذور وقيضا الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختير ما اختير وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم
عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الى آخره وروى عطاء عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر
فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور
حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصائها ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها
من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك
اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا
فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس
المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات
وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة
بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة
الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة الاولى نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين
وفي الصورة الاخرى منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه
بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان تكون
موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حقق
وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات
الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء
المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك ادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه
قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات
واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلمانع ان يمنعه لصحة ان يقال انهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل
فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الموقع المحذور وبلا فائدة
مدفوع بما اشير اليه من ان هذه الموافقة للنظائر رفع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار
اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار
عجز الكل عنه راسا وهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار
حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى آخره اي نحن
نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان الاشتقاق في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم اي الخبر الذي له شأن وخطر بالحق

اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص
قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه مرج
اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس
فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان
يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الابدية قتله
وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا
الى الله عز وجل واشتغلوا بالدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل
وعبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا
فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى
ان يرجع ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمع الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ
كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون
الى الله تعالى بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى تمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة
ويشتري ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا
بانهم عصوهم ونهبوا امس الشرى رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا
له سجدا ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج
في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت
قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم
ما قص الله عز وعلا انهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي
آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم
هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا
وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترأوا
على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم
لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات
والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها
فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما ايضا وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك
عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية
لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط اي متجاوزا عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف
بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية
المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم
هؤلاء هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار
لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان
بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلم من غير تعرض لانكار المساواة كما حقق

وإذ اعتزلتموهم اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل
على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية
بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا اي التجئوا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا وقيل هو
دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف
ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذي
انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما
مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف
ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راي صائب تعويلا على ما سلف من قوله تعالى
اذ اوى الفتية الى الكهف وما في من اضافة الكهف اليهم كونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد
الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى
التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلاهما من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا اليه فاللام
للادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها
فيؤذيهم واذا غربت اي تراها عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة
ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم
في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض
لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم
في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان
يقال ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر
فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان
اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف شأنه كذا واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه
اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه رسوله عليه السلام على اخبارهم فكلا عن ارادة تضاعيف القصة
من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار
بتحقق ما امّلوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها
ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا
يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا
والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة
تقلبهم لا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على اذانهم
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها
من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين
وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة وكالبهم
اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان
اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم

وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام
وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف
لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا
فرارا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدر من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي
فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا
يملأ الصدر رعبة وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد
ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك
عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع
اذ لو روعي ترتب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو مجموع عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية
لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم
اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم
بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار
على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم
لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن
الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض اخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم
اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب
الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب
في المحكي يقضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه
الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير
مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام
القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها
اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف
اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي
لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي للمبالغ
في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم
ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا
وقيل كانوا اولا على دينهم فاسلموا وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم
على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث
على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر
ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بالخير ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد
في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس
عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو

البعث او ان كل وعده او كل موعود فيدخل فيه وعده بالبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه
او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت
بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها
ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور
فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل التنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول
ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته
في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم
هدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل
المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم
ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر فابصروهم وكلموهم
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم
تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون
بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في
قوله عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا ثم ماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم
بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم
اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب
او من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم
حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد
كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع
ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع ان التخصيص بالاضافة الى التنازع وهو متأخر في الوقوع سيقولون
الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها
الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين
جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستأنف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا
اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق
التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة
وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم
ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس
رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وجه آخر لما خفي عليه ولما احتاج
الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا

ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره
والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم قطمير فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله
اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شأن الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي
من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل
بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه
لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة
القول الثالث وفيه بحث فان ما في الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ماشيا على الحق مع كون الآخرين خلافه
ووضوح سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا
نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه اذ احتمال
وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد
دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده
مفهوم بطريق دلالة النص رد بان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل العذر فقيل الا ان يشاء الله استثناء
مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان تقول ان شاء الله او في وقت
من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد
استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله
تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك
نسيان ذكره ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح
ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي اي في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء
المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل
على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ
اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك
حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام
الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة
مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم
فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر
السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ
على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل
الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام
للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان شأن علمه سبحانه بالمبصرات
والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير
والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر
للانشاء وابرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء

مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات

ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشرك من ان يقال من ولي ولا شريك

وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد وكما دل استغراب القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها نسبة

الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك

من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره

ولن تجد ابدا الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الملمة واصبر نفسك احبسها

وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي داوموا على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار

وقرئ بالغدوة على ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على ما ول التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار

وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه السلام نح هؤلاء

الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت

والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك

وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك

الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمنه معنى النبو ولا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته

عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية

والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالس الاشراف

والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير

للعينين و اسناد الارادة اليه مجاز وتوجيه للملازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن المستكن

في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان

استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم نسمه بالذكر

عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء

في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهة وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه

عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة

من اغفله اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره

من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي

الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك

الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه

التبديل او يمكن الترديد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها

على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا

تكن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن فليؤمن كسائر المؤمنين

ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم

وباعانتهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى

قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى

انا اعتدنا وعيد شديد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام

بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الامهال والاهمال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم

ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر

واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة

على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها

دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو

على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت

فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق

تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان

بان المفهوم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق الذي

اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية

مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيدا وواقع موقعه الظاهر فان

من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن

تجري من تحتها الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور

من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون

ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مارق من الديباج

وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر

على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي

للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والثاني اي اضرب للكافر

والمؤمن لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين

مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان

كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه

البر فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد

زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة

والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بهما كرومهما يقال حفه القوم اذا

اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا اخر كقوله غشيته وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون

كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وبلغ

مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما تنقص ذلك

في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا

خلالهما نهرا ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر اتيان الاكل

مع ان الترتب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من اتيان الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها

ولو عكس لا يتوهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان اتيان الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان اتيان الاكل لا يتوقف

على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله

اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة

فقال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره اي صاحبه المؤمن او الكافر ان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع

انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها

وصفاتها وسماتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة واحدة

خلالهما
كون
نائرته

وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استينافا مبنيا على سؤال نشأ من ذكر دخوله جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال
اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي تفنى ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة
صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن
بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا
وعاقبة ومدار هذا الطمع اليمين الفاجرة اعتقاد انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان
ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه
كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب
فان خلق آدم عليه السلام متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه
بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب
خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق
واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية
ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب الى آخره لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذف الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشأن
وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الالف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كأنه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك
بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف
على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما
موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها
ان شاء الله ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته
واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واما ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تأكيدا لانه شرط
كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى
وولدا تنبيه لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك وهو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك فانا ارجو
من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك
ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب
حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ويساعده النظم الكريم فيما سيأتي للاولين اكثر من السماء فتصبح
صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء تزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح
عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع
له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة
العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه
بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال
ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته
عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال
وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكرم لسقوطها قبل سقوطها

وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهي من ثمراتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي
لانها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى
عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك
وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان
بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك اي في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر
عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا
وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمنع او لا يعبد غيره
كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه
على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحياة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة
صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا
لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اي اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع
في النبات حتى روي ورف وبعضي اللطائف حينئذ فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين
موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ونضارته هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما
تطيره الرياح كأن لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال
المال والبنون زينة الحياة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا
واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم
باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة
وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء
النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون
بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع كونها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كأنها نفس الزينة
والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها
التي شأنها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت
شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودين بالافادة لا سيما في مقابلة
اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ
الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه
آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة
ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين
فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها

ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا
والمراد بذكره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير
عند الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل
لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية
وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروزها فلان الجبال نطاقها واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل
فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي
بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه
منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر
اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما تركه السيل في الارض
الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت
حالهم بحال جند عرضوا على السلطان لينظر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة
الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين
ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم اي وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد
من جلالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله
من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا اياكم او
او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله
تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام
الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة
فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا
او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد بذكرها تذكير وقتها
واورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر اي وضع صحائف الاعمال والايراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها
اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا او في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا
مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا
منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين المهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك
ما لهذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة
الاستفهامية من التعجب او استئناف مبني على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى تتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل
من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القلم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم
سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى
كان من الجن كلام مستأنف مسوق للتعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا
ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة
للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بذكر قصته شدة النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام
في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الى آخره فان الهمزة
للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذرية

مجازا قال قتادة هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء
من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية
لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه
بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة
الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف
عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم
ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذرا من تفكيك الضمير
ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قوة المعنى الى فان نفي
اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي
وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد
بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود
بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت
متخذ المضلين اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء
عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم
والايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح
به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون
لمشيئته وارادته وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم
ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكن ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين
وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي
لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وفي تعليقهم
بالاضلال تعليل لنفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين
بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كصادر وصدر ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا
شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم
للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باجابتهم على طريقة الاستغاثة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين
الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق كوثب يثب وثوبا او وبق يوبق كفرح يفرح اذا هلك
اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وقيل البين الوصل اي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام
ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان
ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا
ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل
مثل من الامثال التي من جملتها ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن
واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي

يتأتى منه الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المتجادلين
يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اي اهل مكة الذين حكيت
اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم
الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها
مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقدير
المصائب واعم المصائب الهائلة وسنتهم الاستيصال او يأتيهم العذاب اي عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او
كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته مقبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير
او العذاب والمعنى انهم لعصمة القرآن الكريم من الامور المستدعية للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة الغرة لا منع الناس من الايمان
وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم
مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه
من دحض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا
آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب او العذاب او انذارهم هزوا
استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها
ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه
اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من جادل فيه وتحذ منزلا واخرج
عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم اي جعلنا فيها
وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلا يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف
واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلوة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلام
ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الى آخره وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن
الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر
بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك
ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية
او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو
يؤاخذهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة
بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة
على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة
الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع
موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة
معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا من دونه موئلا منجى وملجأ يقال وال اي نجا ووال اليه
اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم
او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين

الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا
لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم
الميم وفتح اللام اي لاهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو
يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا
ولعل المراد بذكره عقيب بيان ان لكل امة موعدا ذكر ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح
من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما
حتى ابلغ فان ذلك غاية يستدعي ذا غاية تؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح
التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل
مما يلي الكرخ والرس وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كالمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب
الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك
القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس
قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم الى الله عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام
افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك
احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم
منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ
حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كالتي مر مجمع بينهما
اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب
اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يأمره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين
وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش
وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق وقيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ
فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع
عند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى ما ساراه بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار
ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليهما
السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق من
بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر
فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة المشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام
تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه
وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما دل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت
وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور باتيانه للتنبيه من اول الامر

على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل
من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه الامور العجيبة وما انسانيه
الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي انساني ان اذكره لك
وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا
ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره واشار ذكره على المصدر للمبالغة فان ما لم ينس ما حدث عنده وقوعه والحال انه كان
غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود مشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله
في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حي واضطرب
ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة
مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي تعجب منه عجبا وقد قيل انه كلام موسى
عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات
الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اي نبغيه ونطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما
الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا
التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة
من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه
كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام
فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد
ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي
الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر
ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية لقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك
لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كانه لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط
اعلاما بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشرع لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها
وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا
تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط
الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجه ان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له
من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله سبحانه قال فان اتبعتني
اذن له في الاتباع بعد الاستئذان والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء
تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ
ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني
بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام
الى بني اسرائيل وقيل انهما مرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب
في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما انه اريد بها الفلك ولذلك
قال وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا اخذ فأسا فقلع من الواح
لوحين مما يلي الماء فسده بذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق
اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم واصل الامر

فخفف قال الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء
بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال
الخفية قبل البيان اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا
او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب
مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني
من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان
فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة من الذنوب
وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا
بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام هاهنا
من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام
من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغرابتها ووقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت
تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرف النفس عن ترقبه
الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة
كما في المرة الاولى فكان المقصود افادته ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من رفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها لان كون القتل اقبح من مبادئ عدم صدوره
عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات
كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه
كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة
فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك
ثلث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني
بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله
من السماء وقيل برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف
ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة
للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم
فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه
انزله وجعله ضيفا وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة لما فيها من الدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض
يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض
وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان
سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه
لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ
عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك

على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر
اى هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اى هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين
للتأكيد لعدم تراخي التنبئة بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع الشئ الى مآله والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به
دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوى الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز
وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به
عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ اما بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء
عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اى امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان
رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة اى صالحة وقد قرئ كذلك
غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل
بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشأنها اذ هي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدارية
هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها
مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم
الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه علمه بحاله واطلعه على سر امره
وقرئ فخاف ربك اى كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا
كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة الى وصول الخير اليهما زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية هدى الله تعالى على
انه من الاثم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه
على التمييز مثل زكاة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها
بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون
وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن
لا يؤدي زكاتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه
في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اى مالكك ومدبر امورك
ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه
ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اى حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا
كنزهما من تحت الجدار ولولا انى اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة
من ربك مصدر في موقع الحال اى مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة منه
وقيل متعلق بمضمر اى فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة الى ضمير المخاطب دون ضميرهما لكون
قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اى عن رأيي واجتهادي تأكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع اى لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا
من الامور الى رأيته اى مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى التأويل نفسه فيكون تأويل بمعناه وعلى كل حال فهو

والاقرب رحما اى رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا

وهو قدره لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب اختلفوا في حياة الخضر عليه السلام فقيل انه
حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب
من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت
لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم
على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا حينئذ لما عاش بعد مائة سنة روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله
قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر
ابن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله
ابن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله قحطان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن
يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركه ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن
النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين
هو ابو كرب سمي بن عبير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال
قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن
وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو
الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب
وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد
المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا
وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام
ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات
انتهى كلام الامام وروى اهل النجوم قالوا انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة
فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له درع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس
فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال
ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان
بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد
بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه
وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل
شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا
يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا
ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى
سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير
وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع
ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا وقيل انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك
سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا اراد غزوة قوم
وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه

سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم
وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا
راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه
وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة
فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر
ابن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هيطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن ثونة بن شرخون بن رومة بن ثوبط بن نوفيل بن
رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلم كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية
الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلم بنحو من ثلثمائة سنة
وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما نبهنا عليه
لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القران العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا
والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره
ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة
من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما
او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد
ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة اهلها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي
السلطانية فعاينت فيها من عجائب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب ساتلو عليكم اي ساذكر
منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته عز وجل قيل ساتلو
اي ساتلو في شانه ذكرا من جهته تعالى اي قرانا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام
وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي
لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سالوه
عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين
كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار
وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا قويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما
في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب
والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها
اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم اصليته
كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والراي
حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها
واتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به
الى المقصود من علم او قدرة او الة فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد
بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني
حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي
يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدا الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس
تغرب في عين حمئة اي ذات حماة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية
رضي الله عنه قرا حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرا قال كما يقرا

امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما
وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما
رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهم بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية
في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب
ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز ذكره
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر
واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام
والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امرك
تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما
لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى
مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه
بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه فيها
عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي
او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين
جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر
اي يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط
لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيره بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب
الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا اعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما
واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له
من امرنا اي مما نامر به يسرا اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة
الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء
على ما ذكر انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج
وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم
وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى
ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت
وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذ هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون
السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي
امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة لمصدر
محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان
والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتصل به وما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه ثم اتبع
سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما
وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان
من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع

بكم والحجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهامه كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدورهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من المال او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وعلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوي من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكير في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل العملة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله

والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل المتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة الى التمكن المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي تسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي من دوني اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وقيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناش من التعامي والتصام وادخال همزة الانكار عليها على ذم وقطعها عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان باستقلاله المؤكد للذم يا باه ترك الاضمار

والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على أنهما أخرجا مخرج الأحوال الجبلية لهم ولم يذكر من جناياتهم أفعالهم الاختيارية الجارية
لحسبانهم المحض تفريعه عليهما وأيضا فإنه ديدنهم لا يمكن عده أشياعهم بتصاممهم عن كلام الله عز وجل والحصص الإنكار حسبانهم
المتأخر عن ذلك بصنف لا يخفى وما في حيز الصلة ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ألا تكون فتنة أي أفحسبوا أنهم
يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة
لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي أفحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليما
لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل
فإن النعت إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى إنكار الوقوع • إنا أعتدنا جهنم أي هيأناها • للكافرين
المعهودين عدل عن الإضمار ذما لهم وإشعارا بأن ذلك الإعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل • نزلا أي شيئا
يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل أي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم
إياهم أولياء من قبيل إعتاد العتاد وإعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر
جهنم عدة وفي إيراد النزل إيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بالمثوى • قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من أول الأمر وللإيذان
بمعلومية النبأ للمؤمنين أيضا • بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها وهو بيان لحال الكفرة باعتبار
ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها وفي حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها
غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في حسبانهم • الذين ضل سعيهم في إقامة تلك الأعمال أي
ضاع وبطل بالكلية • في الحياة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين
قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص ومجاهد ويدخل في الأعمال حينئذ ما عملوه من الأحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهبانية الذين يحبسون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف لأنه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه أو منصوبا
على الذم على أن الجواب على ما سيأتي من قوله تعالى أولئك الخ يأباه أن صدره ليس منبئا عن خسران الأعمال وضلال السعي
كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الأول وإن دل على حبوطها لكنه ساكت عن إنباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من
ترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا إذ لا مجال لإدراجه تحت الأمر
لتقتضيه نون العظمة • وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا
في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون في ذلك أنهم ينتفعون بآثاره أو من المضاف إليه
لكونه في محل الرفع كما في قوله تعالى إليه مرجعكم جميعا أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسبانهم المذكور
في الأول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والأول أدخل في بيان خطئهم • أولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى
مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الأمر
أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور • الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلا
ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور • ولقائه بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه
فحبطت لذلك • أعمالهم المعهودة حبوطا كليا • فلا نقيم لهم أي لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال
وقرئ بالياء • يوم القيامة وزنا أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة حيث
كان الإذن دائرة من عواقب حبوط الأعمال الصالحة عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لا نضع
لأجل وزن أعمالهم ميزانا لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير
أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا

ذلك • بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم إثر بيان مآل أعمالهم المحبطة بذلك أي الأمر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم
جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره أو جزاؤهم خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم
خبر وجهنم عطف بيان للخبر • بما كفروا تصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها قوله تعالى • واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا أي مهزوا بهما فإنهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضا • إن
الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة إثر بيان مآلهم بطريق الوعيد أي آمنوا
بآيات ربهم ولقائه • وعملوا الصالحات من الأعمال • كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه إيماء إلى أن
أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم • جنات
الفردوس • عن مجاهد أن الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الأشجار
وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر
الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة
فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة • نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق
بمحذوف على أنه حال من نزلا أو على أنه بيان أو حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فإن جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل
فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا أو جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الإكرام وفيه إيذان بأنها عند ما أعد الله لهم
على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل
بالنسبة إلى الضيافة وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها نصب على الحالية • لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود
والصغر أي لا يطلبون تحولا عنها إذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم وتطمح نحوه
أبصارهم ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضمير فيها فيكون حالا متداخلة
قل لو كان البحر أي جنس البحر • مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر • لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها
ما ذكر من الآيات الداعية إلى التوحيد المحذرة من الإشراك • لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه • قبل أن تنفد
وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد • كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي إضافة
الكلمات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف إليه ما لا يخفى وإظهار
البحر والكلمات في موضع الإضمار لزيادة التقرير • ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه
وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكور
عليها دلالة واضحة أي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة • بمثله مددا عونا
وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا لقيام الأدلة القاطعة
على تناهي الأبعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا • قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى
إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة بكلماته تعالى • يوحى إلي من تلك الكلمات • أنما إلهكم إله واحد لا شريك له في الخلق
ولا في سائر أحكام الألوهية وإنما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد
بلقائه تعالى كرامته وإدخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء
اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى • فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة • عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو
كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه أحدا إشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا وإيثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية
لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله تعالى فإذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام إن الله لا يقبل ما شورك فيه

قرات تصديقا له وروى انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان تقتدى به وعنه عليه
الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا
عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى آخره كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان
مكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم ثمانية وتسعون آية مكية

كهيعص • بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف
ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت
اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف
عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما
على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره • ذكر رحمة ربك • اى المسمى به ذكر رحمته الى آخره فان
ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هى عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه
ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط
التعديد حسبما رجحه اهل التحقيق فذكر خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة
مرادا به السورة ذكر رحمة الى آخره او اسم اشارة اشير به الى السورة لتنزيلها منزلة حضورها لذكر جزئها الذى هو المؤلف منها اى هذا ذكر رحمة او قيل هو
مبتدأ قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضى من التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة
الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام
تكميل له عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى • عبده • مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر
اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرنى معروف فلان اى بلغنى وقوله عز وعلا • زكريا
بدل منه او عطف بيان له • اذ نادى ربه نداء خفيا • ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله لا على الاتساع على الوجه الاول
لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما فى قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء
دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادى
لا يليق تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه
حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران • قال • جملة
مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب • رب انى وهن العظم منى • اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد
فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها
ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها • واشتعل الراس شيبا • شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة
بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل
الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل
شيب راسى فاسند الاشتعال الى الراس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل
النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين • ولم اكن بدعائك رب شقيا •
اى لم اكن بدعائى اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم

اذ المعنى واشتعل راسى شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب
الرافة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره
والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان
وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه
وصفاته • وانى خفت الموالى • عطف على قوله تعالى انى وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادى خوفه عليه السلام
من يلى امره بعد موته ومواليه بنو اعمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى
من ورائى • اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى فعل الموالى من بعدى او جور الموالى وقد قرئ كذلك او بما في الموالى
من معنى الولاية اى خفت الذين يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من ورائى اى قلوا
وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدى او خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا مسرعين
اى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت • وكانت امراتى عاقرا • اى لا تلد من حين شبابها
فهب لى من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم
عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله
في اوائل سورة آل عمران اى اعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية • وليا •
اى ولدا من صلبى وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل
او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف
القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح
في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه
قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره هاهنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها هاهنا
فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى • يرثنى • صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم
جوابا للدعاء اى يرثنى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثنى الحبورة وكان عليه السلام حبرا • ويرث من آل يعقوب • يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل
خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى يرث منهم الملك قيل هو يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبى ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب
اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبى كان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار حينئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته
ويرث من بنى ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير وفيه ايماء
الى وراثته عليه السلام لما رثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى على طريقة التجريد اى يرثنى به وارث وقيل من
للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء • واجعله رب رضيا • مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب
بين مفعولى الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه • يا زكريا • على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا • انا نبشرك بغلام اسمه يحيى •
لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكى له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله
قل يا عبادى الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو
المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى بل بعضا حسبما تقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا
مستجابى الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال
وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول
دون الثانى حيث قيل مات قبله عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تاكيد

للوعد وتشريف له عليه السلام في تخصيصه حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا أي شريكا له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله
بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فإن التسمية بالأسامي البديعة الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه للمسمى لا محالة وقيل سميا
شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فإن المشاركين في الوصف بمنزلة المشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه
السلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا ولم يكن في الإجمال لا كما نزل لعن من قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والأظهر أنه اسم أعجمي وإن كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي
لأنه حيي به رحم أمه أو حيي دين الله بدعوته قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب
ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز
عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم أن علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه موقوف على ذلك
أنى يكون لي غلام كلمة أنى بمعنى كيف أو من أين وكان إما تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي كيف أو من أين يحدث لي غلام ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر لكان
صفة له أي أنى يحدث كائنا لي غلام أو ناقصة اسمها ظاهر وخبرها إما أنى ولي متعلق بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وكانت
امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر تأكيد
أي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل
والعظام أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو وأصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء
فانقلبت الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكسرت العين إتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية هاهنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه
وإنما المذكور هاهنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل وأما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته
لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب وإنما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته
للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه محض
لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل إنما قاله ليجاب بما أجيب فيزداد المؤمنون
إيقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث
كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى
كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل ومحلها إما النصب على أنه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة
عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هو به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقوله تعالى هو علي هين
جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازه داخلة في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أي مثل ذلك
الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك
والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا
على سنن الكبرياء لتربية المهابة وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى
ضميره عليه السلام تشريفا له وإشعارا بعلة الحكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من إيجاده من العدم وتصريفه في أطوار
الخلق من حال إلى حال شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كماله اللائق مما يقلع أساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان
بإنجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى ياء العظمة إيذانا بأن مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى
له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه قيل وذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وأما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي قال عز وعلا الأمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك استئناف مقرر لمضمونه
والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن في الجار والمجرور وأما ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء

بكل منهما والكلام في إسناد القول إلى الرب ثم الالتفات إلى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك إشارة إلى ما قاله زكريا عليه السلام
أي قال تعالى الأمر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك إلخ استئناف مسوق
لإزالة استبعاده بعد تقريره أي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية أدخل في إفادة هذا المعنى على أن الواو للعطف
وأما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لأن مآله تقرر صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته عليه تعالى مع صعوبته في نفسه
وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر إذ هو الواقع إثر العدم
المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك
آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في إزالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج
القياس حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام من العدم إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان إبداعه عليه السلام على ذلك
الوجه إبداعا لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا
على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان
حاله أولى بأن يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك إذ ذاك شيئا أصلا بل عدما بحتا ونفيا
صرفا هذا وأما حمل الشيء على المعتد به أي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل
لي آية أي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق
بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه
الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الإشارة في تفسير سورة آل عمران
إلى أن هذا السؤال ينبغي أن يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر
أو بثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي إنما ولدت عيسى عليه
السلام وهي بنت عشر سنين أو بنت ثلاث عشرة سنة والجعل إبداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين أولهما آية
وثانيهما الظرف وتقديمه لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقدم الظرف فلا يتغير حالهما بعد
ورود الناسخ قال آيتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح
ثلاث ليال مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق
الاضطرار دون الاختيار أي تمنع الكلام فلا تطيقه حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج
على قومه من المحراب أي من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج
عليهم متغيرا لونه فأنكروه وقالوا ما لك فأوحى إليهم أي أومى إليهم لقوله تعالى إلا رمزا وقيل كتب على الأرض أن في قوله تعالى
أن سبحوا إما مفسرة لأوحى أو مصدرية والمعنى أي صلوا أو بأن صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن أبي العالية أن المراد
بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى
استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة إلى الإنباء بإنجاز الوعد الكريم أي قلنا يا يحيى خذ الكتاب أي التوراة بقوة
أي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبئ وهو ابن ثلاث سنين
وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا
عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما وزكاة أي طهارة من الذنوب
أو صدقة تصدقنا به على أبويه أو وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف

على بقيتها اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه
من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا
من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم
اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر
قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى
اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق
الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظرف مشتمل على ما فيها
وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي ان لم تكرمني فهو
بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى
الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو التنحي اي اعتزلت وانفردت منهم
واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط
او شيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا
طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لانه سبب لما فيه روح
العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق
كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك
لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته
واما ما قيل من ان ذلك لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه
قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة
المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها
من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة
مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق
عليه اي فاني عائذة به او فتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي قال انما انا رسول ربك يريد عليه السلام لست ممن يتوقع
منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع
ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها و
الاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب
او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر
اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم
داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى
الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغية كما قيل فلان
نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال اي الملك مقررا
لمقالته ومحققا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر له اي قال ربك
الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين
وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف
اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم

قدرتنا ولنجعله آية الى آخره والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا
عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر
وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام
في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ من بعيد فوصل الريح اليها فحملت
في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر
وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها حينئذ ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه لم يستعمل في عرفه كما في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع
النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكانت كالمتعالم
عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت
يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت
وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا
من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ
تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة لم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شأنه
ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر وقيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح
مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسيا بالقصر منسيا
لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبريل عليه السلام من تحتها
قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منه تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها
من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل
ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك امسك سريا اي نهرا
صغيرا كما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا
وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس
لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول
هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام
فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل
وتكميل التسلية وهزي اليك هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع
لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والباء في قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز به او هزي الثمرة
به وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تتساقط النخلة
عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التاءين
وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء
في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى البواقي تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له
وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع
فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك

فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات
النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ وقِري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه
من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه • فاما ترين من البشر احدا • اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة
من يقول لبات بالحج لتآخي بين الهمزة والياء الساكن • فقولي • له ان استنطقك • اني نذرت للرحمن صوما • اي صمتا
وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت • فلن اكلم اليوم انسيا • اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملئكة
واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر فان العرب تسمي كلما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل
ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى
عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن • فاتت به قومها • اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها • تحمله • اي
حاملة له • قالوا • مؤنبين لها • يا مريم لقد جئت • اي فعلت • شيئا فريا • اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت
مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب • يا اخت هرون • استينافا لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ وهو هرون النبي عليه السلام
وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم
شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به • ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا • تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا
وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش • فاشارت اليه • اي الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت
حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به
قالوا • منكرين لجوابها • كيف نكلم من كان في المهد صبيا • ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وكان لايقاع مضمون الجملة في زمان
ماض مبهم صالح للقريب والبعيد وهو هاهنا للقريب خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن
فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما • قال • استيناف مبني على سؤال نشا من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان
بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام • اني عبد الله • انطقه الله عز وجل به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته قيل
كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه عليه السلام
كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار اليهم بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • آتاني الكتاب • اي الانجيل • وجعلني نبيا وجعلني • مع ذلك • مباركا • نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمل الله عقله واستنبأه
طفلا • اينما كنت • اي حيثما كنت • واوصاني بالصلوة • اي امرني بها امرا مؤكدا • والزكوة • زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل • ما دمت حيا • في الدنيا • وبرا بوالدتي • عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به
مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم • ولم يجعلني جبارا
شقيا • عند الله تعالى لفرط تكبره • والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام
على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى • ذلك • اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس • عيسى ابن مريم • لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه • قول الحق • بالنصب على انه مصدر
مؤكد لقال اني عبد الله وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق
الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق
فان القول والقول والقال في معنى واحد • الذي فيه يمترون • اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه
وقرئ بتاء الخطاب • ما كان لله • اي ما صح وما استقام له تعالى • ان يتخذ من ولد سبحانه • تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه

وقوله تعالى • اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلق ارادته
فيكون حينئذ بلا تاخر فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب • وقوله تعالى • وان الله ربي وربكم
فاعبدوه • من تمام كلام عيسى وقيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف
اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة • هذا • اي الذي
ذكرته من التوحيد • صراط مستقيم • لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى • فاختلف الاحزاب من بينهم • لترتيب ما قبلها على ما بعدها
تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشا للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة
في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت
اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه • فويل للذين كفروا • وهم
المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم • من مشهد يوم عظيم • اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء
وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملئكة والانبياء عليهم السلام
والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر آرائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه
• اسمع بهم وابصر • تعجب من حدة سمعهم وابصارهم • يوم ياتوننا • للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا
في الدنيا صما وعميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم والجار والمجرور
على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب • لكن الظالمون اليوم • اي في الدنيا • في ضلال مبين • لا يدرك غايته حيث
اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم • وانذرهم يوم الحسرة •
اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه • اذ قضي الامر • اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون
فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف • وهم في غفلة •
اي عما يفعل بهم في الآخرة • وهم لا يؤمنون • وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون
في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل
• انا نحن نرث الارض ومن عليها • لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي
الوارث لارثه • والينا يرجعون • اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا • واذكر • عطف على انذرهم • في الكتاب •
اي في السورة او في القرآن • ابراهيم • اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام
فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح • انه كان صديقا • ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة
ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره
• نبيا • خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل
هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق • اذ قال • بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا او بصديقا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا
اي كان جامعا بين الخصلتين حين قال • لابيه • آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له • يا ابت • اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة
ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء • لم تعبد ما لا يسمع • ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك اليه وخضوعك
بين يديه او لا يسمع • ولا يبصر • شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا • ولا يغني • اي لا يقدر على ان يغني
عنك شيئا • في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب
وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم
وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق

الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا
مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان
اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا
اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة
والاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم
الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا
سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها
كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي
وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد
منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها اولانه نتيجة
معاداته لآدم وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه
وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي
به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان
وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام
كأنه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي
يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر
من العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير
اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني
مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة
السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان
يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى
للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا
نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد
من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع رجائه
عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى في قوله تعالى
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لان النهي
انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبيين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره
بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لا استحالته
وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه
قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام
عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع منها لورودها على نهج التأكيد القسمي اما لجعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب البر

على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله
واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعو
ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله
رب هب لي من الصالحين حسبما يؤذن به السياق والسباق عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه
تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان
الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن
لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي
من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء
فانهما شجرتا الانبياء ولهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران
وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى
جعلنا نبيا وتقديمه عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض
ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وقد ذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق
وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا
تفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام
ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار
وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام
انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله
تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اعم واعلى وناديناه من جانب
الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه
السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله
عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل
مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض
رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه
عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه
واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان
صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر بقوله ستجدني
ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم
عليه السلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن
هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل
بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت
الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح
ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه
في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه

مكاناً علياً هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه
وهج الشمس فقال يا رب انا مشيت فيها يوماً وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب الذي قضيت قال ان عبدي ادريس قد سألني ان
اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم
صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملاً وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى
من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصاً وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية
سام بن نوح من ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن
جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً خبر لاولئك
ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو
الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجداً وبكياً حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي
فاجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة للياء وقرئ
تتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكياً بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجوده بما يليق بها فيها
يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني
من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان
اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون
اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلاة وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات
من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غياً اي شراً فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيراً
يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاماً اي جزاء اثام او غياً عن طريق الجنة
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحاً يدل على ان الآية في حق الكفرة فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح
يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئاً اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم
او لا ينقصون شيئاً من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل
البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات
او مبتدأ خبره وعد الخ وقرئ جنة عدن نصباً ورفعاً وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم
يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك
لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله
بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان
وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من العائد الى الجنة او من عباده
اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر

هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائناً ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة
دخولا اولياً ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل مأتياً اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى
فاعل وقيل مأتياً اي مفعولا منجزاً من اتى اليه احساناً اي فعله لا يسمعون فيها لغواً اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية
عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاماً استثناء
منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغواً الا سلاماً
فحيث استحال كون السلام لغواً استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهراً وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشياً وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي
تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو
رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من كان تقياً اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث
مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التمليك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع
ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين
والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوماً او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
على مطلق النزول كما يطلق نزل على انزل والمعنى وما ننزل وقتاً غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ يتنزل
بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان
ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسياً اي تاركاً لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم
الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن ذلك لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق
مضافاً الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
مخاطباً بعضهم بعضاً بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما نتنزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسياً تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسياً لاعمال
العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان
من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل
من ربك وقوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته ليترتب ما بعده من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب
السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية
الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته تعالى ربا او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائناً
ما كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا
والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى التي هي صلته لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سمياً اي مثلاً يستحق ان يسمى الها او احداً يسمى الله
في الاسم والظاهر ان يراد به شريك في اسم خاص وقد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد
بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب
تخصيصها به تعالى لبيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقاً او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم
الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم الله اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى
هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسم الكريم من

من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول
فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف
فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر
الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر
فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالعلم عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار
التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها
وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا بحيث خلقناه في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية
مع كونه ابعد من الوقوع فلان نعيده بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فماله لا يذكره فيقع فيما يقع
من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسم باسمه عز اسمه مضافا الى ضميره عليه السلام ورفعا لمنزلته لنحشرنهم
لنجمعنهم القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه
امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه
روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا ان كان مختصا بهم
لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي
اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث
من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثو وبواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثم على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه
من توابع المواقف للحساب قبل الوصول الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية
على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم
او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد
على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان
وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب
او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى
للبيان متعلقة بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم
التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم
اي ما منكم احد الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر

انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز
على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته
وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه
الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجى ونجي على البناء للمفعول وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ننجيهم ونذر الظالمين
بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة
بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات
الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي اذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او ظاهرات
الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين
بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى
للذين آمنوا للتبليغ كما في قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين
اي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا انا خير نحن او انتم مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل واحسن
نديا اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك
لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده
اذ هو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القول الا
العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود
واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد
والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز للنسبة وهو
متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة
ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزي وهو الجمع
فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع
بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه
كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم
ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن
اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكن من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب
الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله
عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية للمد الممتد
لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود
بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم

من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب
الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر
من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اي فئة
وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعيفا كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان
منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر
حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستانف
وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اي الطاعات التي تبقى ثمراتها
وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اي مرجعا
وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم
افرايت الذي كفر باياتنا اي باياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال
فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك
وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا
فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق
بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا
بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد
حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت
فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من شاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله
لاوتين في الآخرة مالا وولدا اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما
وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر
بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد في جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء
واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي قد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى
ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل التعرض
لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد عليه
وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه
سنكتب ما يقول اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار
الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة
على رؤوس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا
مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه

واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول
ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه
ما اتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه
ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والياء بمعنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما
يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور
القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال
ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداء الدين بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون
ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا
لهم عزا اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار
لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا
او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم
ضدا على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث
تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه
وينافيه باعانته عليه وعلى الثاني تكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد
لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح
الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد
اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة
الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم
على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك
منهم باضلال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم
كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه
اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم
اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الأز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج
فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيد واعن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها
مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا
تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين
منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة
والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه
كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد
الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على الذكر مقدر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الى آخره وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة
والذي تقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض ما فيه من الامور
الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة
واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ

عند الرحمن عهدا • على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امره بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن زعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى • لقد جئتم شيئا ادا • رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا اشد الانكار متناهيا في القبح فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيتعديان تعديته وقوله تعالى • تكاد السموات • الخ صفة لادا او استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالياء • يتفطرن منه • يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق الارض • اي وتكاد تنشق الارض • وتخر الجبال • اي تسقط وتنهدم وقوله تعالى • هدا • مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا • منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • وقيل خبر مبتدا محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله • وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتأتى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا • ان كل من في السموات والارض • اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين • الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل • لقد احصاهم • اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته • وعدهم عدا • اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار • وكلهم آتيه يوم القيمة فردا • اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ منهم ولدا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين • سيجعل لهم الرحمن ودا • اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين جاء الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد وينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن • فانما يسرناه • اي القرآن بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمين التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينبئ عنه المقام كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه • بلسانك • العربي المبين • لتبشر به المتقين • اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي • وتنذر به قوما لدا • لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى • وكم اهلكنا قبلهم من قرن • وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي قرونا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى • هل تحس منهم من احد • استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى • او تسمع لهم ركزا • اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا ترى منهم احدا ولا تسمع منهم صوتا خفيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مائة وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • طه • فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحدها ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر • ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين • ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ بصيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما في التيسير بان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في اماء هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقع التعبير عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يقال طاء وهاء وبالشطرين في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان للاسمين جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفي في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طا على تقديري كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان لتوقف طاها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما حكي فيما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • فانه استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لقصر عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما روي انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه

فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على رياضات
الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك شقى حيث تركت دين ابائك وان القران نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب
كما يشهد به الاستئناف الاتى هذا اذا اما اسم للقران محله الرفع على انه مبتدا ما بعده خبره والقران ظاهر اوقع موقع العائد
الى المبتدا كانه قيل القران ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه ما بعده جوابه وعلى هذين
الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدا يبقى حينئذ بلا عائد
ولا قائم مقامه فان القران صادق على السورة الكريمة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض
او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفى كون انزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا
اما بحسب الحقيقة كما اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب فى ان ذلك انما يتصور فى انزال
ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر
واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان يقال هذه السورة الكريمة ما انزلنا القران المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها
مع انه لا دخل لانزالها فى الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى • الا تذكرة • نصب على انه مفعول له
لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا
لما انه يجب اشاله ان يكون بين العلتين ملابسة مصححة كما فى المثال المذكور وفى قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا
الازجر الغير فان التاذى بالاول مسبب عن الاشفاق والتاذى الثانى سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة
من التنافى ولا يجدى ان يراد به التعب الحاصل للتذكرة من التنافى لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية والتصور
ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا لتكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب لا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما فى قوله تعالى
ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حاله بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك
المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه ولكن تذكرة • لمن يخشى • وقد جرد التذكرة
عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اى لمن من شانه ان يخشى الله عز وجل ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن
علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى • تنزيلا • مصدر مؤكد
لمضمر مستانف مقرر لما قبله اى نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب
بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اى يخشى تنزيلا من الله تعالى وابى حيث
بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما فى
قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشىء
بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف فى عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون قيدا
لانزلنا بعد تقييده بالعلة الاول وقد عرفت حاله مما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدا محذوف ومن فى قوله تعالى • ممن خلق
الارض والسموات العلى • متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما فى تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى
له ما فى السموات وما فى الارض الاية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل
عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعى الى ربانيته وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان
واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان • الرحمن • رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت فى صدر سورة البقرة
ان المرفوع مدحا فى حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له فى الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدا ليكون فى صورة

متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي
وحده مذهب الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من اثار
رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة
الى ان تنزيل القران ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القران او رفع على الابتداء واللام للعهد
والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى • على العرش استوى • وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذى شانه ان يكون
معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا ستره به غنى عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى
قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدا محذوف كما فى قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء
على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك
يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها • له ما فى السموات وما فى الارض
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما • وما بينهما • من الموجودات الكائنة فى الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير
له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما • وما تحت الثرى • اى
ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما فى الارض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدى
ان الثرى هو الصخرة التى عليها الارض السابعة • وان تجهر بالقول • بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته
وشمول قدرته لجميع الكائنات اى ان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك • فانه يعلم السر واخفى • اى ما اسررته
الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما
سيأتى وتنكيره للمبالغة فى الخفاء وهذا اما نهى عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد
للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض اخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى • الله • خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال
موصوفها ذلك المعبود بالحق اى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى • لا اله الا هو • تحقيق للحق
وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل
والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى • له الاسماء الحسنى • بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية
اسماءه وصفاته من غير تعدد فى ذاته تعالى فانه روى ان المشركين حين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمارب اخرى وايات اخرى
• وهل اتاك حديث موسى • استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذى اليه ينتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء
كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل انى انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقالته حيث قال انما الهكم
الله الذى لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبى صلى الله عليه وسلم فى الائتساء بموسى عليه السلام فى تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لتسليته عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى
• اذ رأى نارا • ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اى اذكر وقت رؤيته نارا روى
انه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى
وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو فى ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور • فقال لاهله امكثوا • اى اقيموا
مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمراة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما فى قول من قال واذا شئت حرمت النساء سواكم
• انى انست نارا • اى ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمامور به • لعلى
اتيكم منها • اى اجيئكم من النار • بقبس • اى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المرادة بالجذوة فى سورة القصص وبالشهاب القبس

أو أجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أي ذا هداية أو على
إذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني إلى أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم
عنها شاغل والأول هو الأظهر لأن مساق النظم الكريم لتسلية أهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة الآية
وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها أو لأنهم عند
الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الإتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي إما علة لفعل
قد حذف ثقة بما دل عليه من الأمر بالمكث والإخبار بإيناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم أي ما ذهب إليها لآتيكم أو كي آتيكم
أو راجيا أن آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون فلما أتاها أي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء أحاطت بها من أسفلها إلى أعلاها
نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها
قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار
جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا أيضا هي أربعة أنواع نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا ونوع
لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له إحراق بلا نور وهي نار جهنم
روي أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى أي نودي فقيل يا موسى إني أنا ربك أو عومل النداء معاملة
القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح أي بأني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال
عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى
بأني أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء قلت وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم
المتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش من غير
اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمر عليه السلام بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان السلف الصالحون
يطوفون بالكعبة حافين وقيل لمباشرة الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل
والمال والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى إنك بالوادي المقدس
تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي أنه عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي
طوى بضم الطاء منونا وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر
لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرة بعد أخرى وأنا اخترتك أي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وإنا اخترناك
بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الأمر والمأمور على ما قبلها فإن اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع
والأمر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحي لا باخترتك
كما قيل لكن لا لما قيل من أنه باب التنازع وإعمال الأول فلا بد حينئذ من إعادة الضمير مع الثاني بل لأن قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا
بدل من ما يوحى ولا ريب في أن اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور على ما قبلها فإن
اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل وأقم الصلاة خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها
في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري
أي لتذكرني فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري إياها وأمري بها في الكتب
أو لأن أذكرك بالمدح والثناء أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه السلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها
إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري وقرئ للذكرى بألف التأنيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى
إن الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أي كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقا لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق
متوجه نحو المخاطبين أكاد أخفيها أي لا أظهرها بأن أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت

أو أكاد أظهرها بإيقاعها من أخفاه إذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الأضداد
يجيء بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية
أي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لإتيانها مع أنه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا
فيما ذكر أو تقاعدا عنه بالمرة أو سعيا في تحصيل ما يضاده للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب
بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس أن تسعى
في الامتثال بالأمر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وحينئذ تحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم
المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط قد علق بالأخيرين لما ذكر من أن المقصود الأصلي من إبداع تلك البدائع
على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وأن ذلك لكونه على أتم الوجوه الرائقة وأكمل الأنحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه
بحيث لا يحيد أحد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة
والضعف وأما الإعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن أن ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع
البديع وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ ثمة ويجوز أن يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها
أي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والأول هو الأليق بشأن موسى عليه السلام وإن كان النهي بطريق التهييج والإلهاب
وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر
تبقى النفس مشوقة إليه فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وهذا وإن كان بحسب
الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده فإن
النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية عن أصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم صد الكافر
حيث كان سببا للانصداد عليه السلام كان النهي عنه نهيا بأصله وموجبه وإبطالا له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهي عن المسبب
وإرادة النهي عن السبب على أن يراد نهيه عليه السلام عن إظهار لين الجانب للكفرة فإن ذلك سبب لصدهم إياه كما في قوله لا أرينك
هاهنا فإن المراد نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه أي ميل نفسه إلى اللذات الحسية الفانية فتردى
أي فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن أهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي أو في محل الرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فأنت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الأمور المتعلقة
بالخلق إثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق
بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا أي وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الإشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا
وقيل تلك موصولة أي ما التي هي بيمينك وأيا ما كان فالاستفهام إيقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب
وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها إلى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الأفاعيل
المنسوبة إليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها أي أعتمد عليها عند الإعياء أو الوقوف على رأس القطيع
وأهش بها أي أخبط بها الورق وأسقطه على غنمي وقرئ أهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الإنحاء والإقبال أي أزجرها منحيا ومقبلا عليها ولي فيها
مآرب أخرى أي حاجات أخر من هذا الباب مثل ما روي أنه عليه السلام كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس
والكنانة والحلاب ونحوها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشا
وصله بها وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها ومن جملة المآرب أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن
وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى إذا
ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم أنها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة
عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والإجمال على معنى أنها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه

الغرض الذي فهم من سوال العليم الخبير • قال • استئناف مبني على سوال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال
القها يا موسى • لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه • فالقاها • على الارض • فاذا هي
روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا
اخرى وعبر عنها هاهنا بالاسم العام للحالين وقيل انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي
ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة
قال • استئناف كما سبق • خذها ولا تخف • عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما
راه كذلك خاف ونفر وما ذلك الا لما هو مقتضى طبيعة البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار
بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى • سنعيدها سيرتها الاولى • مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل
الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه
السلام وايذان بكونها مسخرة له ليكون على طمانينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ
الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها
وياخذ بلحيتها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاد
بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كا
من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل • واضمم يدك الى جناحك • امر عليه السلام بذلك بعد
اخذ الحية وانقلابها عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى • تخرج • جواب الامر وقوله تعالى
بيضاء • حال من الضمير فيه وقوله تعالى • من غير سوء • متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح
كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان ادم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر • اية اخرى • اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج
على انها بدل من الحال الاولى او من الضمير في بيضاء او من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك
وقوله تعالى • لنريك من اياتنا الكبرى • متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك
بذلك بعض اياتنا الكبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن اياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول اما ما كان
فالاية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه اية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله
تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء العصا عن وصف الكبر فتدبر • اذهب الى فرعون •
تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رايته من الايات الكبرى
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى • انه طغى • تعليل للامر او لوجوب المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر
حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية • قال • استئناف مبني على سوال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام
حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا به عز وجل • رب اشرح لي صدري ويسر لي امري • لما امر بما امر به من الخطب
الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وساله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما
بشؤون الحق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجاش رابط
وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع
وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمهما
وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به • واحلل عقدة
من لساني • روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ
لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة

فوضعها في فيه وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرا يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سولك ومن لم يقل به
احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدته بالكلية بل حل
عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى • يفقهوا قولي •
جواب الامر غرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سوله عليه السلام وعن الثاني بان ذكرها لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله تعالى
هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما يستعرف على ان افصحية هرون عليه السلام لا تستدعي بقاء اصل
عدم البقاء لما ان الافصحية توجب حصول النقصان في المفضول نقصانا ذلك ينافي للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين
فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا دل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار
بعضها من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان
المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي • اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او
ملجا اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجا وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا
كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان الوزارة
ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا وصلة لاجعل وقيل مفعولاه
وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل هما
وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية
ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدا والخبر عنه بما بعده • اشدد به ازري واشركه في امري • كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم
قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما
فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا • غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الاخر
ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب
او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة
الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الاخر من اظهار الحق ما لا يكاد
يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات
والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك
من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل
من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام • انك كنت بنا بصيرا • اي عالما باحوالنا
وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به
والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل • قال قد اوتيت سولك • اي اعطيت مسوولك فعل بمعنى مفعول كالخبز
والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام وتقديرها حتما
فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله
يا موسى • تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى • ولقد مننا عليك • كلام مستانف مسوق
لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه
وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا • مرة اخرى •
اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن هذا فان اخرى تانيث اخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرة الواحدة ثم اطلق على كل فعلة واحدة

من الغفلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا
لما في معناه من سائر الاشيا فقيل هذا ابنا المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة المراد بها هنا الوقت الممتد الذي
وقع فيه ما سيذكر من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **اذ اوحينا الى امك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالايحا اما الايحا
على لسان نبي في وقتها لقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الاية واما الايحا بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما
الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر
ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اوقع في النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا
الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا يتحتم ان يكون ما لا يعلم الا بالالهام او بالاراة في المنام وقوله تعالى
ان اقذفيه في التابوت مفسر لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا
الوضع واما في قوله تعالى **فاقذفيه في اليم** فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف
بلا تابوت **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر
فانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان
هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب للامر
بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر
بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري
وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل
من البحر حيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا
صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **والقيت عليك محبة مني** كلمة من
متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله
ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر
مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتدأة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها
وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري **اذ تمشي اختك** ظرف لتصنع على ان المراد به
وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى
ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان
متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشي منها
بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت
فتقول اي لفرعون وآسية حين راتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين
لحكاية الحال الماضية **هل ادلكم على من يكفله** اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بمصر ان
آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرضع ثدي امراة واضطروا الى تتبع النسا فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت
ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفا في قوله تعالى **فرجعناك الى امك** فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه
ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** اي لا يطرا عليها الحزن
بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت
بفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** اي غم قتله خوفا
من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالاتاحة بالمهاجرة الى مدين **وفتناك فتونا** اي ابتليناك ابتلاء او فتونا

من الابتلا على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتا كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو
اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سال عنه
ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر
وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه
فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله
عليه السلام الى مدين بقضية الفا في قوله تعالى **فلبثت سنين في اهل مدين** اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع
بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه في تضاعيف تلك السنين العشر
من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر **ثم جئت**
اي المكان الذي اونست فيه النار ووقع فيه النداء والحوار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق
وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك **على قدر** اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت
الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيا عليهم السلام وهو راس اربعين سنة
يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتها الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى **واصطنعتك
لنفسي** تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن التابعة
لتاكيد الوثوق عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه
وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه لتمهيد افراد لفظ النفس اللائق بالمقام
فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى **اذهب انت واخوك**
اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع **باياتي** اي بمعجزاتي التي اريتكها
من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب
العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام
بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها
الى حالتها الاولى آية اخرى والبا للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة
واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه **ولا تنيا** لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التا للاتباع **في ذكري**
اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعا الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر
يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنيا حسبما تقلبتما واستمدا بذلك العون والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتى
ولا يتسنى الا بذكري **اذهبا الى فرعون** جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه
اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه **انه طغى** تعليل لموجب الامر والفا في قوله
فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان لين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانها دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا
من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك لا تلين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم
وبقي له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا **لعله يتذكر** بالتامل من ذكرى ويرغب فيما رغبتماه فيه
او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية في فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا
الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله
الزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا** اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته
في كل قول وعمل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما ياتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قوله عليه
السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين

لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب ﴿قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا﴾
اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ
يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب
﴿او ان يطغى﴾ اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وفي اطلاقه من حسن الادب واظهار كمال
مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتنا بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما ﴿قال﴾ استيناف مبني على السؤال الناشي
من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من ساق الى ساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة
على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال ﴿لا تخافا﴾ ما توهمتما من الامرين وقوله
﴿انني معكما﴾ تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿اسمع وارى﴾ اي
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شي على معنى
انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها ﴿فاتياه﴾ امر باتيانه الذي هو عبارة
عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده ﴿فقولا انا رسولا ربك﴾
امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفا في قوله تعالى
﴿فارسل معنا بني اسرائيل﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال
اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ولا تعذبهم﴾ اي
بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار
من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين
ذكر المجي باية دالة على صحتها لاظهار الاعتنا به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه
بفنون التكاليف الشاقة كما هو شان الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجي الاية نوع طول كما ترى فتاخير ذلك
عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان
فكلا ﴿قد جئناك باية من ربك﴾ تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالاية
من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لما ذكر
من التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى
او لو جئتك بشي مبين واما قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات ﴿والسلام﴾ المستتبع
لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين ﴿على من اتبع الهدى﴾ بتصديق ايات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من
في استمالتهما اللطف وجه بالايمان ﴿انا قد اوحي الينا﴾ من جهة ربنا ﴿ان العذاب﴾ الدنيوي والاخروي ﴿على من كذب﴾ اي
باياته تعالى ﴿وتولى﴾ اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه ﴿قال﴾ اي فرعون
بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من
حيث لا حاجة الى التصريح به ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى
قد جئناك باية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته
تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين لما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود
والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام
مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه
فرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث
﴿قال﴾ اي موسى عليه السلام مجيبا له ﴿ربنا﴾ اما مبتدا وقوله تعالى ﴿الذي اعطى كل شي خلقه﴾ خبره او هو خبر لمبتدا محذوف
والموصول

والموصول صفته وايا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه
كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شي من الاشيا خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص
والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شي تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج شيا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على
الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شي خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه
وانعامه او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شي خلقه تعالى ما يحتاج اليه ﴿ثم هدى﴾ اي الى طريق الانتفاع
والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزا وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة
في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع
الاشيا منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق
بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة ﴿قال فما بال القرون الاولى﴾ لما شاهد اللعين
ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان
خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده
عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم
من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه
سال عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى ﴿قال علمها عند ربي﴾ فان معناه انه من الغيوب
التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة
لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام على الاية ﴿في كتاب﴾ اي مثبت في اللوح
المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى
﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته
في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم
فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق
حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات
﴿الذي جعل لكم الارض مهدا﴾ على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها
او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم
﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها ماربكم
وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها ﴿وانزل من السماء ماء﴾ هو المطر ﴿فاخرجنا به﴾ اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية
وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتاتى الا من قادر مطاع عظيم الشان
تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشيا المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما
ههنا فمحكي عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات
لعدم اتحاد المتكلم ﴿ازواجا﴾ اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿من نبات﴾ بيان او صفة لازواجا
اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى ﴿شتى﴾ اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي
فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم
فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى

كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم
اى معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين فى ذلك ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الكمال والتنكير فى قوله تعالى لايات للتفخيم كما وكيفا اى لآيات كثيرة
جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولى النهى
جمع نهية سمى بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمى بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اى لذوى العقول
الناهية عن الاباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية وتقبله منه الفئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار
انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اى فى ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه
عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء
اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة
من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبددها
على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار
المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها
وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الاصل
اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر فى المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية
لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بخلال تبليغ ما امر به الى قبول الحق والانقياد له
وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل
امر الآيات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه فى المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا
حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى
بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين
فى تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتى وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روى انه عليه السلام
لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو
فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك
الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى
مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب
شعاعها شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صريحا
اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له فى ذلك عذر ما ولا
لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير
سورة الاعراف ولا ريب فى ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا للارشاد الى الايمان من فلق البحر
وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه او الذى انفجرت منه العيون
وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون فى حكم اظهارها بين يديه
واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه فان حكايته لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتى من حمل ما اظهره عليه السلام
على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه اباء ظاهرا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز حمل ما فصله عليه السلام
من الادلة على اختصاصه تعالى بالربوبية واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد
فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان
يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه

وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجىء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا
من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل
لكونه من باب محاولة المحال وانما قال ذلك لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بنى
اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا فى المدافعة والمحاجة
وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثله اى عليه السلام فقال فلنأتينك
بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك
فاجعل بيننا وبينك موعدا اى وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فانه المناسب لا المكان والزمان اى لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة
انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط
كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفى بتكرير
حرفه وابتدأ مكانا سوى منصوب بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وحينئذ تكون مطابقة الجواب فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر
باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم
بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ
وقرئ بكسر السين وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه عليه السلام ليظهر
كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل
فى يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس
فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفى كلمة التراخى ايماء الى انه لم يسارع
اليه بل اتاه بعد لاى وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الى آخره بطريق الاستئناف المبنى على السؤال يقتضى ان المترتب على اتيانه عليه
السلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والشرح ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه فامر محقق غنى عن التصريح به
كانه قيل فماذا صنع موسى عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان
تدعوا آياته التى ستظهر على يدى سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره
وقرئ فيسحتكم من الثلاثى على لغة اهل الحجاز والاسحات على لغة بنى تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا من كان
باى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهى عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله فى الخيبة والجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها فتنازعوا اى السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذى اريد منهم
من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم فى كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول فى ذلك واسروا النجوى
اى من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق التناجى والاسرار ان هذان
لساحران الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان وقد اهملت
عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان
اسمها على لغة بنى الحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهى قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اى ارض مصر بالاستيلاء عليها
بسحرهما الذى اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما
واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو

نيك
نه
عليها
المرل

لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم وبانه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا
وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار
والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم
ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه
وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان
بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ
فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا
بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصى واقبلوا
عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والبقية من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم
وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام
بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه
في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان
الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامر اي فاز بالمطلوب
من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقرب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم
جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة وهذا هو اللائق بتجاوب اطراف
النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا
موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه
ويحمل قولهم ان هذان لساحران الى آخره على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقر
آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرا لهم
بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا
استئناف مبني على سؤال ناش من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا
يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه
اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى
ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام مراعاة للادب او اذكارا منه عليه السلام او اظهارا للتجلد وازالة للراي واظهارا
للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر
القاءك اولا والقاءنا او الامر اما القاءك او القاؤنا قال استئناف كما سلف ناش من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام
كانه قيل فماذا قال فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن منه حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم
المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم وسعيهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا
فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ
نخيل باسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجأته

بمقتضى البشرية الجبلية عن النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا (يتبعوه)
وليس كذلك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه
النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ
العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام
تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد
الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي
هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العود الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان
وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا اي
تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف
بتشديد القاف واسقاط احدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة لما في حيز
التعليل موجبة لبيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية
وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد
بما يوجب ايمانهم واتباعهم له وقوله تعالى انما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه
او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير
وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر
سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض
لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا
كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم غنيين عن التصريح به لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر
واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ما ليس من باب السحر وانما
هو من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات
فاستدلوا بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم
وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى
في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول
عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون
ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان
فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون
للسحرة آمنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم
اي من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن لهم في ذلك واقع بعد او متوقع
انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم
شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم
بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته فلا عبرة بما ظهر على يده وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم
بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية
اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانه لا قطع (من غيرها)

ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها واشار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار
المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد
نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى
عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف
من قبل موسى عليه السلام حسبما رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا
برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان
والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر من عليه السلام
من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا
وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان
فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلية الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه
وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا
لا نؤثرك الى آخره ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما انهم لا يجاب لن الا على شذوذ
فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه
او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به
من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة
موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه
ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه
نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد والاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان
منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل كان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان
يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى
اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى
خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع
موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشأن الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما
بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة
ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات
الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى
اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان
المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وقيل الاشارة الى الآخرة جنات عدن بدل من الدرجات

او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات
وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة
الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي
بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله انا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله
عز وجل قالوا ليس في القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى
حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يدي موسى
عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم
عباده تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل
وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي والله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادي الذين ارسلناك لانقاذهم من ملكة فرعون اي
سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف الفاعل
مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد
الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ
لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى
او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا
عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعهم اي
تبعهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول
الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة
بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه
فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك
فاتبعهم بعسكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر
فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما
سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه من حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى
واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب
الهائل الدنيوي المتصل بالخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب
الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى
وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم
وحمل الاضلال والهدى على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة
عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون
وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين
كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى
وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل

قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وقرئ انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بوا
سطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة
المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام خاصة او له وللسبعين المختارين نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وابقا
لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور
بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسمانى حيث كان
ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا
مرارا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلاله
وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه
اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم
عقوبتي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ
فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث
على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي
وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة
المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده
عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة
الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب
حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب
فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعدما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال
وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال
رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب
لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامع فماذا قال له ربه حينئذ
فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا
ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته
لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء
المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع اياما اربعين وقالوا قد اكملنا
العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى
عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام
اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري
كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار
بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها
السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل
الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كان داخلا عليه

حقيقة فان الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج
ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار
وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية
رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور
والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء
في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك فطال
زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي
من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على امري الى ان ارجع من الميقات على اضافة
المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام
اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل اانسيتم الوعد بطول العهد
فاخلفتموه خطأ او تعمدتم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين
فمما لا يساعده السياق ولا السباق قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على امرك وايثاره على ان تعالى موعدنا
على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة
بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعاروها منهم
حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم
وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها آثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها
اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اي مثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه
يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر
موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم
للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب
لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله
موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب
الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة
فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة
للمعتذرين فما صنعهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم
وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا باختيارنا وملكنا بل تملك الشبهة علوب
العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي
بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون للانكار والتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه
لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون
فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب فالرؤية
حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار
بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وركاكة عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف
على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم

ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية موكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان
عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع
موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامرى كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفرة توهم
منهم الافتتان فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم فى الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد
من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذى يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم الفتنة
لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم
عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اى
ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء فى قوله تعالى فاتبعونى لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اى اذا كان
الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على الدين واطيعوا امرى هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا فى جواب هرون
عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام
غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه
عليه السلام لا يرجع بشىء مبين تعويلا على مقالة السامرى روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر الفا وهم الذين
لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال
وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون كانه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له
وهل رضى بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وراسه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل
وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء الا تتبعنى اى ان تتبعنى على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع
وعامل فى اذ اى اى شىء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعنى فى الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا
فان المنع عن الشىء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وهذا ان نصائح هرون
حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا تزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون
رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه حتى يرجع عليه السلام
افعصيت امرى اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله اخلفنى متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان
يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم تتبعنى او خالفتنى فعصيت امرى
قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين
لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى روى انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان
حديدا متصلبا فى كل شىء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى انى خشيت الخ استيناف سيق لتعليل
موجب النهى ببيان الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا
وتفرقوا ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد
عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله اخلفنى فى قومى
واصلح الى اخره يعنى انى رايت ان الاصلاح حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيت لتكون انت المتدارك
حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع
موسى بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال موبخا له هذا شانه فما خطبك يا سامرى
اى ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا
للمفتونين ولمن خلفهم من الامم قال اى السامرى مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرى
بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرى بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا

او رايت ما لم يروه وهو الاقرب لما سياتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فانه ادعاء علم ما لم يعلمه موسى
عليه السلام جراة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان
راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال
فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرى من اثر فرس الرسول اى من تربة
موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم
من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلق على المقبوض كالغرفة
والمضغة وقرى فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها
اى فى الحلى المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل
المذكور بعده ومحل الكاف فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا
مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس
المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه فلذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه
بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشىء اخر من البرهان العقلى او الالهام الالهى فعند ذلك قال عليه السلام
فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك اى ثابت لك
فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى اى بقوله تعالى
ان تقول لا مساس لكن ان اى ان لك كائنا فى الحيوة اى مدة حيوتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف
بل بحسب الاضطرار الملجى اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه
فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجى الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه
باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرى لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد
فانه لما انشا الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى هى من اسباب موت
الاحياء وان لك موعدا اى فى الاخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك فى الدنيا
وقرى بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اى وجدته خلفا وقرى بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذى
ظلت عليه عاكفا اى ظلت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرى بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب
قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرى بضم السين فى اليم رمادا او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر
ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد
باليمين انما الهكم الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة
الذى لا اله فى الوجود لشىء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شىء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها
احكام الالوهية وقرى الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شىء علما اى وسع علمه كل ما من شانه
ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذى وسع كل شىء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرى وسع بالتشديد
فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل المعدى الى مفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل
وسع علمه كل شىء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك نقص عليك
كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص
حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك
من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة

النقيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول
كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك
القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين
من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من
متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما
وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب
برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن
اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيامة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة
على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض
ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر
او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيامة لزيادة
التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيامة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة
عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على
اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ
اي يوم ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق
العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقيل عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم
اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين
اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات
لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فما لهم
من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه
اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا
مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين
فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه
سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين
يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع
قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن
اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال
ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين

اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا
استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم
يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم
القيامة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة
بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج
له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة
لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه
او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن
ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها
عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها
بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة
ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت
خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى
وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا
وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول
اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان
الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا
منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه
اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه
العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد
اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم
ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر
والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ
امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك اي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف
وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع
لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك
رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي

بيانه وليس كذلك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازاله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى الاستكبار ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين وهو منوي راسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لك ان لا تجوع فيها الى آخره لا يصيبك شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذكر بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها

خبرا لها لان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها فيما نحن فيه الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها الذي هو الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على ان المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظمأ والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض قوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى

والعذاب احق آو فاقا لكن لا ابدا كا مين الى ما شاء الله تعالى ثم نزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك
عذابا له فوق العذاب وكذا البكم والصمم نزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا • وكذلك • اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية
نجزي من اسرف • بالانهماك في الشهوات • ولم يؤمن بآيات ربه • بل كذبها واعرض عنها • ولعذاب الآخرة • على
او عذاب النار • اشد وابقى • اي من ضنك العيش او منه ومن حشر على العمى • افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون • كلام
مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال
الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واما ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها
وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون
الاولى وقد مر في قوله عز وعلا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون
العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف وقد قيل الاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كأنه
قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الى آخره بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم
اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى • يمشون في مساكنهم • حال من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم
او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط
حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم
مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي • ان في ذلك • تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم
وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه • لآيات • كثيرة عظيمة
واضحة الهداية ظاهرة الدلالة على الحق فاذن هو هاد وايما هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم • لاولي النهى • لذوي العقول
الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان
مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى • ولولا كلمة سبقت من ربك • كلام مستأنف مسوق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به
قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة
لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه • لكان • عقاب جناياتهم • لزاما • اي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم
ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم • واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة
الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم
كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل • فاصبر على ما يقولون • اي اذا كان الامر على ما ذكر
من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم
بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر • وسبح • ملتبسا • بحمد ربك • اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك
الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم
كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى • قبل طلوع الشمس • الى آخره فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر • وقبل
غروبها • يعني صلوة الظهر والعصر لانهما قبل غروبها وبعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلوة العصر
ومن آناء الليل • اي من ساعاته جمع انا بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد • فسبح • اي فصل والمراد به المغرب والعشاء
وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال
تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا • واطراف النهار • تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار

وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار • لعلك ترضى • متعلق
بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى
اي يرضيك ربك • ولا تمدن عينيك • اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل • الى ما متعنا به • من زخارف الدنيا وقوله
تعالى • ازواجا منهم • اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم
اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا • زهرة
الحيوة الدنيا • منصوب بمحذوف دل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف
او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد • لنفتنهم فيه • متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته ما لا اثر لظهار
بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه • ورزق ربك • اي ما ادخر لك في الآخرة
او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى • خير • مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة
بخلاف ما منحوه • وابقى • فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا • وامر اهلك بالصلوة • امر عليه السلام بان يأمر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا
لفت ارباب الثروة • واصطبر عليها • وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش • لا نسألك رزقا • اي لا نكلفك ان ترزق نفسك
ولا اهلك • نحن نرزقك • واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة • والعاقبة • الحميدة • للتقوى • اي لاهل التقوى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الآية • وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه • حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه الصلوة والسلام بالصبر عليها اي هلا
يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوا بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات
التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى • اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى •
اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوه تحتها من انكار اتيان الآية بان
القرآن الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادة
اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين
على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده
بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام
التي اجتمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه
واناره برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة
لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم يأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه
وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء
التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى • ولو انا اهلكناهم بعذاب • الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها
من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل • من قبله •
متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم • لقالوا • اي يوم القيمة
ربنا لولا ارسلت الينا • في الدنيا • رسولا • مع كتاب • فنتبع آياتك • التي جاءنا بها • من قبل ان نذل • بالعذاب في الدنيا
ونخزى • بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء • قل • لاولئك الكفرة المتمردين • كل • اي كل واحد منا ومنكم • متربص • منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم • فتربصوا •
وقرئ فتمتعوا • فستعلمون • عن قريب • من اصحاب الصراط السوي • اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ
السوء والسوأى والسوي تصغير السوء • ومن اهتدى • من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما

ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل
الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم
اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال عليه السلام
ولا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس والله اعلم

سورة الأنبياء مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • اقترب للناس حسابهم • مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة
الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب
حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال
والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على
الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان
تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا للمسارعة الى بيان كون المخلوق لاجل
المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام واما الذي
يستدعيه حسن النظام فما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه
نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات
الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل
او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه
نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره
ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره
مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر • وهم في غفلة • اي غفلة
تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال
لا بد لها من الجزاء • معرضون • اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا
جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن
في معرضون • ما يأتيهم من ذكر • من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس
الذكر ومن مزيدة وقوله تعالى • من ربهم • لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة
على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع • محدث • بالجر صفة لذكر
وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى • الا استمعوه • استثناء مفرغ محله
النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى • وهم يلعبون • حال من فاعل
استمعوه وقوله تعالى • لاهية قلوبهم • اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث
في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر • واسروا النجوى •
كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون
الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى • الذين ظلموا • بدل

من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه
اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى
هل هذا الا بشر مثلكم الخ • في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم
فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي
والهمزة في قوله تعالى • افتأتون السحر • للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى • وانتم تبصرون •
حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك
فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول
لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وعزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه
الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد
وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون • قال ربي يعلم القول
في السماء والارض • حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف
سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لابانة علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر
على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق
بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى • وهو السميع العليم • اي المبالغ في العلم بالمسموعات
والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد
بل قالوا اضغاث احلام • اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطارح البطلان
اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط
الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا • بل افتراه • من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا • بل هو شاعر •
وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد
وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر
الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام
والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كأنه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث
احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله • فليأتنا بآية • جواب شرط محذوف
يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية • كما ارسل الاولون • اي مثل الآية
التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان تكون
مصدرية فالكاف منصوب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث
ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد
من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء
بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام • ما آمنت قبلهم من قرية • كلام مستأنف
مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه
بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله
عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق
منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة
لتأكيد العموم وقوله تعالى • اهلكناها • اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله
تعالى • افهم يؤمنون • لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان

الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات انهم لم يؤمنوا افهم لا يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ان الفاء مقدمة على الهمزة
في الاعتبار معتدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم متضمن لرد
ما دسوه تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله
عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده
وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق
وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا
للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف
مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى
وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم
بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي
وحقيقة مدلوله حسبما تحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق
بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون
ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق
الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها
بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه
اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام ليزول عنكم
امرؤ ابدئكم لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم
في امره ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل
عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن
والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك
ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده
لارادة الجنس المنتظم للكثرة ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا
مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي
ما كانوا اعلى ما جعلناهم ونبه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث
المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب
آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لهم خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل
السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد
عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف

الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه
بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي
لقد انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم
من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا
بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى
فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افادة التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم
وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق
وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر
الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى
وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير
محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه
الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاك اهلها
قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء
على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد
المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم اي مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا
اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون
تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تسألون اذا رؤيت مساكنكم خالية وتسألون ان اصحابها
او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص
بالهرب وايقنوا نزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم
بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة
وتسميتها دعوى اي دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو
المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول
الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن
في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان
تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب
النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم
اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها على هذا النمط البديع
والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق
الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ الوجود الانسان
وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى

لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من نفي اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى ويلعب به لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجرام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح وتصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي استقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكأنهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الآلهة باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده

اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسئل عما يفعل استئناف مبين لانه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية وهم يسئلون اي العباد يسألون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور استقباحا واستعظاما ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وفي اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ما ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول واياما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية

لجماعة فرق من المشركين حكي بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى بالعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الايات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات والارض كانتا مصمتة صلبة لا تمطر والارض لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعنى الاول فهم وان لم يعلموه لكنهم متمكنون من علمه اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم

او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعول ليس في الاصل مبتدأ او خبره حيث يجب عنده كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسى الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات وايام معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر الذي هما آيتاهما بيان لبعض تلك الايات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الحلة حاله والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم بحسب ما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اي يقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد وانها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق

من عندك فانظر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ
فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشيا من عجل وذكره لبيان انه من دواعي عجلته
في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا
وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد
اي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها
عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق
الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي
في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد طلب
منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع
في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موضع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء
استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء
الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة
التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له
الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب
واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها
لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين
استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون
اي لا يكفونها بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد
او الحين وكذا الضمير في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها فانه على القراءتين للوعد بالنار او العدة او للحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل
الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال ووعد ضمني
بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصدير الجملة بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم
والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم
ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل عليهم السلام
متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو ما في قوله ما كانوا به يستهزئون وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه
لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه
بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط
اي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي
بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح

وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع
والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل
لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه
السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات
فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه
من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا لحيو النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي
وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة
على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل
للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم
على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع
لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله تعالى وعلا
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون
ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا من ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى
متعهم بالحظوظ الدنيوية وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل
كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها
فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام
افهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين
عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء
وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية
هول ما يستعجلونه ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار
وغير ذلك من مبادي حالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها
وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان
برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن فسل له بطريق الاعتراض وقد امر عليه السلام بان يقول لهم
توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال
شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة
مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل لهم ذلك شأنهم ما سمعتهم وقرئ
بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة
من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن
اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن

يا ويلنا انا كنا ظالمين • ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك لعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى • ونضع الموازين القسط
بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين مثل لارصاد
الحساب السوى والجزا على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة
ليوم القيمة • اى كانوا يستعجلونها اى لجزائه او لاجل اهله او فيه كما فى قولك جئت لخمس خلون من الشهر • فلا تظلم نفس
من النفوس • شيئا • حقا من حقوقها او شيئا من الظلم بل يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفا لترتيب
انتفا الظلم على وضع الموازين • وان كان • اى العمل المدلول عليه بوضع الموازين • مثقال حبة من خردل • اى مقدار
حبة كائنة من خردل اى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر وقرى مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة
اتينا بها • اى احضرنا ذلك العمل الموزون مثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرى اتينا بها اى جازينا بها
من الايتا بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزا وقرى اثبنا من الثواب وقرى جئنا بها • وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا • ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين • نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد
القسمى لاظهار كمال الاعتنا بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضيا والذكرى اى وبالله لقد اتيناهما وحيا ساطعا وكتابا
جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضيا يستضا به فى ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم
المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم اثاره او ذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول
هو اللائق بسباق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القران المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر
هو الذى اقترحه الكفرة بقولهم فلياتنا باية كما ارسل الاولون وقرى ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى • الذين يخشون ربهم
اى عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح • بالغيب • حال من المفعول اى
يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتاثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل
وهم من الساعة مشفقون • اى خائفون منها بطريق الاعتنا وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم
بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها اعظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على ثبات الاشفاق ودوامه • وهذا • اى القران الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره • ذكر • يتذكر به من يتذكر وصف
بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما فى صدر السورة الكريمة • مبارك • كثير الخير غزير النفع يتبرك به • انزلناه
اما صفة ثانية لذكر او خبر اخر • افانتم له منكرون • انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتا التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم ان شانه
كشان التوراة فى الايتا والايحا انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا • ولقد
اتينا ابراهيم رشده • اى الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتدا الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة
بالوحى والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرى رشده وهما لغتان كالحزن والحزن • من قبل • اى من قبل
ايتا موسى وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القران من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وبالبلاغ
وكنا به عالمين • اى بانه اهل لما اتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار فى افعاله ما لا يخفى • اذ قال لابيه
وقومه • ظرف لاتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتا وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستانف وقع تعليلا لما قبله
اى اذكر وقت قوله لهم • ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون • لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم للشى المصنوع مشبها
بخلق من خلائق الله تعالى وهذا اجمال منه عليه السلام حيث سالهم عن اصنامهم بما التى يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا
مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بطلق العكوف الذى هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشى لغرض من الاغراض
قصدا الى الحصر بما ذالها ووبخهم على اجلالها واللام فى لها للاختصاص دون التعدية والا لجى بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز
تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين • اجابوا بذلك لما ان مال سؤاله عليه السلام
الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه قال ما هى هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها

فلما لم يكن لهم ملجا يعتد به التجؤا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمى حيث قال لقد كنتم انتم واباؤكم • الذين سنوا لكم
هذه السنة الباطلة • فى ضلال • عجيب لا يقادر قدره • مبين • اى ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلا كونه كذلك
ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضى الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولابائهم اى والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية فى الجملة • قالوا • لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا
لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمى وترددا فى كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد
اجئتنا بالحق • اى بالجد • ام انت من اللاعبين • فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفى ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية
الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم • قال • عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم
نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك • بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن • وقيل هو اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا
للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اى انشاهن بما فيهن من المخلوقات التى من جملتها انتم واباؤكم وما تعبدونه من غير مثال
يحتذى ولا قانون ينتحى ورجع الضمير الى التماثيل ادخل فى تضليلهم واظهر فى الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التامل فى كون ما يعبدونه من جملة
المخلوقات • وانا على ذلكم • الذى ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان • من الشاهدين • اى
العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشى من تحققه وحققه وشهادته على ذلك اداؤه بالحجة عليه واثباتها بها كانه قال
وانا ابين ذلك وابرهن عليه • وتالله • وقرى بالباء وهو الاصل والتا بدل من الواو التى هى بدل من الاصل وفيها تعجب • لاكيدن
اصنامكم • اى لاجتهدن فى كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد
بعد ان تولوا مدبرين • من عبادتها الى عيدكم وقرى تولوا من التولى بحذف احدى التائين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه
مدبرين والفا فى قوله تعالى • فجعلهم فصيحة اى فولوا فجعلهم • جذاذا • اى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذى هو القطع كالحطام
من الحطم الذى هو الكسر وقرى بالكسر وهى لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرى بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روى ان ازر
خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة
على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه
جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان فى يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس فى عنقه وذلك قوله تعالى • الا كبيرا لهم • اى للاصنام
لعلهم اليه • اى الى ابراهيم عليه السلام • يرجعون • فيحاجهم بما سيأتى فيبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسالونه عن الكاسر لان من شان
المعبود ان يرجع اليه فى الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم • قالوا
اى حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا • من فعل هذا بالهتنا • على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا
اليها بهؤلاء وهى بين ايديهم مبالغة فى التشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهى بين ايديهم مبالغة فى التشنيع وقوله تعالى
انه لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة فى حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذى فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا
انه معدود من جملة الظلمة اما لجراته على اهانتها وهى حقيقة بالاعظام او لافراطه فى الكسر والحطم وتماديه فى الاستهانة بها او بتعريض نفسه
للهلكة • قالوا • اى بعض منهم مجيبين للسائلين • سمعنا فتى يذكرهم • اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه
بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا ان كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام
يذكرهم بالسوء فلا حاجة الى المصحح • يقال له ابراهيم • صفة اخرى لفتى اى يطلق عليه هذا الاسم • قالوا • اى السائلون • فاتوا به
على اعين الناس • اى مرئيا منهم بحيث يكون نصب اعينهم فى مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد • لعلهم يشهدون • اى يحضرون
عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود • قالوا • استئناف مبنى
على سؤال نشا من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به او لا فقيل قالوا • ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم • اقتصارا
على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غنى عن البيان • قال بل فعله كبيرهم هذا • مشيرا الى الذى
لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التامل فى شان الهتهم

لللک

مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرز في ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد عليه السلام به تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادتهم الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم مثل ذلك ما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك اذ ظاهر الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لامتناعه على ان يصدر عنه مع استحالته عنده ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لامتناعه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم الى التامل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اي لا يستطيعون نطقا من ذلك فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤوسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تامرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتافف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هيزر خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه

روي

روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا به كيدا اعظم في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا اي وآتينا لوطا وقيل واذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي واذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصر يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تنزل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمن اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول مضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض

مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير
للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم
فخرجا فمرا على سليمن عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني
بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان يدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم
ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان
بالاجتهاد فان قول سليمن عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان يدفع الى آخره صريح في انه ليس بطريق الوحي والا
لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته
ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمن عليه السلام
استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة
الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمن عليه السلام
فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى
ففهمناها سليمن دليل على رجحان قوله ورجوع داود اليه ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لكن ذلك
من خصائص شرعنا على انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمن ما سمع واما حكم المسئلة
في شرعنا فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا
آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمن عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي كل واحد منهما
آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمن وحده وهذا انما يدل على ان خطا المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو
مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها سليمن ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمن لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام
كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما
يسبحن اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السير وهو حال من الجبال او
مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي
من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس
قال فالبس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف
هو صفة لبوس لتحصنكم اي اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة
وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل
من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او للتقريع ولسليمن الريح اي
وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان
بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه المقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق
التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي سخرنا له الريح حال
كونها شديدة الهبوب بحيث انها كانت تبعد بكرسيه مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها
طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال
من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمن عليه السلام وقومه يركبون
عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له

من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر
ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانب
لفظها كما في قوله تعالى ومن الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين
اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وقيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان
يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى
وداود وسليمن اي اذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين
النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى
بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه
الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث
عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وروي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت
افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على صورة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء
فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت
الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك
مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا
فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته
عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق
في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل
يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان
ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في نفسها ان طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت
ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال عنه فارسل اليها
ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي
قال اتعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي
اتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب
وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي اذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون
وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى وتكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا
من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح
الذين لا يحوم حول ساحتهم الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو
يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر
وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من
القدر وقرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اي بحال معاملة من يظن ان لن نقدر
عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية

الى وهمه فسمت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اى فكان ما كان
من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اى الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل
وقيل قد ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتى بطنى الحوتين وظلمتى البحر والليل ان لا اله الا انت اى بانه لا اله الا انت على ان ان
مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك
شئ او ان يكون ابتلائى بهذا بغير سبب من جهتى انى كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت المهاجرة
فاستجبنا له اى دعاءه الذى دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان
فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اى مثل ذلك الانجاء الكامل ننجى المؤمنين
من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع
حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذفت الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع
من حذف حرف المضارعة الى المعنى ولا يقدح اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام
وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند
الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره وزكريا اى واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرنى
اى وحيدا بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين فحسبى انت ان لم ترزقنى وارثا فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى
وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة
بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة
بالانبياء المذكورين اى كانوا يسارعون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في
على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوى رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة خائفين العقاب
او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اى مخبتين متضرعين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى
ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتى احصنت فرجها اى اذكر خبر التى احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام
والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذى اثير فنفخنا فيها اى احيينا عيسى في جوفها من روحنا
من الروح الذى هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اى قصتهما او حالهما
آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وعلا فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل
اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
ان هذه اى ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بعنوان … على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اى ملتكم التى
يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشئ منها … للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحال
من امتكم اى غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبديلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة
حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران
وانا ربكم لا اله لكم غيرى فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التوحيد
في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذى اجمعت عليه
كافة الانبياء كل اى كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون
بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل … تفصيل الجزاء اى فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجحودها
لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى

دلالة على اثبات التحقيق قوله تعالى
فمن يعمل من الصالحات الى آخره م

ولعل نفى الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعى لاظهار الاعتداد به وانا له اى لسعيه كاتبون اى مثبتون
في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اى ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل
والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه
مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى
التحقيق معتبر في النفى المستفاد من حرام لا في المنفى اى ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص
امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث
والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليل لما قبله
فحرام خبر مبتدأ محذوف اى حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية المتقدمة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعى المشكور
ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها
اى لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج هى التى يحكى بعدها الكلام وهى على الاول غاية
لما دل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى آخره
وعلى الثانى غاية للحرمة اى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث
غاية لعدم الرجوع عن الكفر اى لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان
من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اى ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اى نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق
عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط
والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اى يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك
وقيل هو جواب الشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق
بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اى لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين
بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار
وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين تلا الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فرد عليه بقوله
صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين
التى امرتهم بذلك ولا ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد
من دون الله تعالى اذ ليس منهما ما يتصدى لعموم كلمة ما كان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضى شموله بطريق العبارة
بل الكفى في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول
النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام
وذكر الملائكة والانبياء لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبنى على الغضب على العبدة
والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شئ حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور لدلالة
موجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التى امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون
المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاجابة المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتى من قوله تعالى ان الذين

سبقت لهم منا الحسنى الى آخره بيانا للتجوز او التخصيص فيما لا يساعده السباق والسياق كما شهدته الذوق السليم وحصب
ما يرمى ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون
استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم
ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اى اصنامهم آلهة كما تزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم
اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بما تعبدون هى الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعون
وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع فى الحديث الشريف فقد ورد
بطريق التكملة باجراء الكلام على عبارة ما يسوغه النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين
وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة فى عبادتهم فى الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين
وانهم داخلون فى حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اى من العبدة والمعبودين
فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اى انين وتنفس شديد وهو مع كونه من احوال العبدة اضيف
الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا فى قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اى لا يسمع
بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
شروع فى بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب
اى سبقت لهم منا فى التقدير الخصلة الحسنى التى هى احسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب
على الطاعة وهو الاظهر الا وجه فى الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فلا يحسن جعلهما مع ما بعده تفصيلا لما اجمل
فى قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ
تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وحرام الى آخره اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اى عن جهنم
مبعدون لانهم فى الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى ان عليا رضى الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس يقتضى كون الموصول عبارة
عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا
وان كان صوته فى غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفى فى نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره
مسوقة للمبالغة فى ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم
عن المهالك والمعاطب اى دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
بيان لنجاتهم من الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار
وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض وليس بذاك
فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة
على ان الاكثرين على ان ذلك فى النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتى فى سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اى
تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم يومكم الذى كنتم توعدون فى الدنيا
وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى
كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل
يوم نطوى السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتتلقاهم وقيل حال مقدرة
من العائد المحذوف فى توعدون والطى ضد النشر وقيل المحو اى طيا كطى الطومار وقرئ السجل كالعتل والدلو وبالكسر
والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام فى قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على اى

بحذف الموصول مع بعض صلته اى كطى السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها
فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة
او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب اعمال بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونها ايجادا بعد
العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية
وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف
يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر
لنعيده او منتصب لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور
وهو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اى التوراة وقيل اللوح المحفوظ
اى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعد ما كتبنا فى التوراة اى كتبنا فى جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبناه ابتداء فى اللوح المحفوظ ان الارض
يرثها عبادى الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا اى فيما ذكر فى السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ
البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اى لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية
لقوم عابدين اى لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك
من الامور التى هى مناط السعادة فى الدارين الا رحمة للعالمين هو فى حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم
الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك فى حال من الاحوال الا حال كونك
رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم فى النشأتين ومن لم ينتفع بما اثاره فانما فرط فى نفسه
وحرمها حظه لانه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة فى حق الكفار امنهم به من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلى
من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ
على الحكم كقولك انما زيد قائم اى ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى
والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها فانه لا دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا
عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحى فقل لهم آذنتكم اى اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم على سواء كائنين على سواء
فى الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء
اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير وان ادرى اى ما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور
الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اى ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام وتكذيب الآيات
التى من جملتها ما نطق بمجيئ الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادرى لعله
فتنة لكم اى ما ادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
اى وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله
عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه
عليه السلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرئ رب احكم بالضم وربى احكم على صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام وربنا الرحمن
مبتدأ وخبر اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اى المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره
عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان
الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق

ثم تركه وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج ثمان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث تزيل الاشياء من مقارها وتخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما من اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الاشياء او اضافتها الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه قيل وتصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من أريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ يرى بضم الياء وكسر الراء اي تري الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى كعطشى اجراء للسكرى مجرى العلل

ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التمحض له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشأن من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشأنه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار القول وتضمين الكتب معناه على رأي من رآه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع النكير المبني على الغفلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك واشارتها اليه النظم الكريم على ان حالهم ان ارتيابهم في البعث قد مر تحقيقه في نحو قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها امر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى وتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونه من متمماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك

ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وقيل
الى ان نعرض ما في الارحام لان الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام
فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى منتهى الاطوار المتواردة
على المولود قبل الولادة وقرئ ونقر بالنصب ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم
بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد
والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة
النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وعنه فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج
المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم
التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام هاهنا مع تجريد الاولين
عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا
الى المخاطبين على البناء للفاعل مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية
الاثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسرة والقتود كانها شدة في غير شيء
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد
الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول الجاري على سنن الكبرياء
لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه
وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه
ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد
ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت
انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره
ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانفسي والافاقي لبيان
ان ذلك من اثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل انكار اتيان الساعة
والبعث من اسباب تلك الاثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والافاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان
بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته
وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها
بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق
القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات
الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة
على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمما لا يساعده النظم الكريم من بيان كون الاثار
المذكورة من فروع القدرة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح
بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة اتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل

على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
مبني على ما ذكر من المقول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها
انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما في مطلع سورة
البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث
من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث
ان كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة
على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما
من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من احكام
حكمته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه
حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد
ان يفي بما وعد وانت خبير بان ما له الاستدلال بالحكمة تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما
لما ذكر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة اتية ليس معطوفا على المجرور
بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدا محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة اتية وان الثانية معطوفة على الاولى
وقيل المعنى ذلك ليعلموا بان الله هو الحق الايتين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقتدي بهم على ان الشيطان عبارة
عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم
الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب
منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتاكيد
والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان
موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالاعراض عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا
لجانبه وطاويا لكشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله
متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول
من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا
فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء اي جعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده
مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا
بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك
اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة
يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة ال عمران والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن
ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان احوال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر وغنيمة قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي

من الصحة والسعة اطمأن به اى ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم صارف
ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شىء يفتتن به من مكروه يعتريه فى نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه
روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته ولدا
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب
وعن ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشأم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى
فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما
بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على انه فاعل ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا
على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى غاية ما يكون
هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اى يعبد
متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اى جمادا ليس من شأنه الضر
والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد
فى التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه
ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء
بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى
لبئس المولى ولبئس العشير جواب القسم مقدر وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كونه معبوده جمادا وايراد
صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة فى تقبيح حاله والامعان فى ذمه اى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين
يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس
الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول تأكيدا له وتمهيدا لما بعده
من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته
لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به
وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اى يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل
للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات استئناف جىء به لبيان كمال حسن
حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية
سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقى المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم
يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد
بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح
لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله
وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة
من آمن وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار
نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة تحقيقا لها
وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله
تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكائد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد
كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد

فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليتصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته
فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه
وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره
ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا
تعلق لذلك بالمقام
لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه
عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد
للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب
القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القرآن
الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير
اليه بذلك وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيده من يريد هدايته او ثباته او زيادة فيها
ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه
خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته ان الذين آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات
بهدايته تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين
النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام
وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير
والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء
باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شىء شهيد تعليل لما قبله من الفصل
اى عالم بكل شىء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء
جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور
من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من
كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب
لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة
المبنية على تشبيه ما لكل افعال المكلف فى باب الطاعة ادائما لكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء
سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما
او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه
المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة
بدلالة خبر قسيمه عليه وهو قوله حق عليه العذاب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له
اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول
للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اى بكفره واستعصائه
حق بالضم وقرئ حقا اى حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له

فاله من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الرا على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشيا التي من جملتها
الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست
وبين البواقي وتقرير للجملة اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قال
اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان
اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الاخر وان لم يجر بينهما
التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله منكم امنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين
كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق روسهم الحميم اي الماء الحار الذي
انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول
او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود
عطف على ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من تاثيرها في الظاهر
مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي الة
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا
في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الها
باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها
الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله
عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهار المزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق
مضمون الكلام يحلون فيها على البنا للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلا بمعنى الالباس اي تحليهم
الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المراة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور
وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان كما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه
بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولولوا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب
بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يوتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما يا
بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما يا ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للايذان بان
الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن
عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللولو فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم
بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول
وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة الاية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد
الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي
كما في قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة اخر الاية
الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك

احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس
اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وافاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري وسواء اي مستويا
مفعولا ثانيا لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق بظرف لغو وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين
عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم
بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا يقال بواه منزلا اي انزله فيه ولما ان ضمن معنى جعل التي عدي باللام قيل
لابراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له صلى
الله عليه وسلم اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود ذكر ما وقع فيه من الحوادث
قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه
القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية
بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء
ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشان من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت الاية ان قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوانا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة
او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وطهره من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير
عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ واذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويابا ه كون السورة مكية ياتوك جواب للامر
رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الرا والتخفيف والتشديد ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر
عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله ياتين صفة لضامر محمولة
على المعنى وقرئ ياتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق ومعيقة بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بياتوك
لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله
لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات
هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي
عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات
الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله
عز وعلا فانفجرت اي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية
من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة
الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليودوا ازالة وسخهم
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم

وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث
وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم
من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه
ذلك اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله
اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة
والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج
الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عن
ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا
لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر
من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة
حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مرتب على ما يفيده قوله تعالى
ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي
لا من مبادي الاجتناب عقبه بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن
يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة
الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لا الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور
من الزور وهو الانحراف كالافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله
مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك
الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من
من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان
الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء
والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد
فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب
فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا شبيها باهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك
ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت
منه بثلاثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى
التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها
ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها او وقت نحرها معينة
الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها

محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه
والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل
الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى
ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين
اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا
اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجه الله الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على
ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم
اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى
وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا
لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا
فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها
وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن
بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد
النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة
بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابها بمضمر يفسره جعلناها لكم
وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان
للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا
اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات
قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة
تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص
لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره
وعراه واعتره كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية
قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها
المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم
التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها فهم المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره
فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية
او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما يأتون
وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين امنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى
ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه

وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في المما
اي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى
حسبما يتجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف
وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر
والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانة الله تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي
من معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي
اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اي رخص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى للذين يقاتلون اي يقاتلهم
المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ
على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اي
بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب
ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعدما نهي
عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد
ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده
بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه
صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد
بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار
والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر
وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبان
وبيع للنصارى وصلوات اي كنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت
ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها
وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه
ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين
اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة
كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل ممن ينصره ولله خاصة عاقبة
الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له
الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما
ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان يحزنوك على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي
في ذلك فقد كذبت قبل قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم ممن كذ

تكذيبهم

ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره وكذب موسى
غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي
عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به
قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة
لكون آياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت آجالهم والفاء لترتيب امهال الكل
من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين
لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق
المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون
من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى
باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ
اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى
فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فلا محل لها من الاعراب
كالمعطوف عليه او على الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة
حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف
واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة الكل لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا
من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي
خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة
على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم
بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر في سفح جبل
بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما
افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم
حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم
فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل
من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم
اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر
مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة
وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل قوله تعالى
من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة
حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم واظهار خطائهم كأنه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود
والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان
خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة

فرق

سيروا

القصيرة عنده تعالى مدد اطوار الا عندهم حسبما ينطق قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا
ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده
تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعد المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة
لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة
من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت
او اعتراضية مبنية لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه
على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون النظم الكريم حينئذ متعرضا لانكارهم الذي هو تحت
الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب
الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها
مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي
مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى • وكاين من قرية • الخ فانه كما سلف من قوله
فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل • امليت لها • كما امليت لهؤلاء حتى انكروا
مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء • وهي ظالمة • جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة
بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء • ثم اخذتها • بالعذاب
والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى • والى المصير • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض
من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ والوبال اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا
فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم • قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين • انذركم انذارا بينا بما اوحي من انباء الامم
المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين
بعده لما ان صدر الكلام ومساقه للمشركين وعقابهم انما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم • فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة • لما فرط منهم من الذنوب • ورزق كريم • هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته
والذين سعوا في اياتنا معاجزين • اي مسابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله
من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين
اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة • اولئك • الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة • اصحاب الجحيم • اي ملازموا
النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها • وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي • الرسول من بعثه الله تعالى
بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا
منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام • الا اذا تمنى •
اي هيأ في نفسه ما يهواه • القى الشيطان في امنيته • في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة • فينسخ الله ما يلقي الشيطان • فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه
والارشاد الى ما يزيحه • ثم يحكم الله اياته • اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين
للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام
اياته الباهرة • والله عليم • مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطأ • حكيم •
في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي وقيل حدث نفسه بزوال المسكنة

للرسول

قوله

فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم
فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الاية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته
والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا
يخل بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله وفي الاية دلالة على جواز السهو
من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة • ليجعل ما يلقي الشيطان • علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه
تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق
سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل • فتنة للذين في قلوبهم مرض •
اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية • والقاسية قلوبهم • اي المشركين • وان الظالمين • اي الفريقين
المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة • لفي شقاق بعيد • اي عداوة
شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله • وليعلم الذين اوتوا العلم • اي القران • الحق من ربك • اي هو الحق النازل من عنده تعالى
وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت عادته في جنس الانس من لدن
ادم عليه السلام وحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى • فيؤمنوا به • اي
بالقران اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان • فتخبت له قلوبهم • بالانقياد والخشية والاذعان
لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له • وان الله لهادي الذين
امنوا • اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر • الى صراط مستقيم • هو النظر الصحيح
الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله • ولا يزال الذين كفروا في مرية • اي شك وجدال • منه • اي من القران
وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته وما لحق من قوله تعالى انه الحق
من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له
لان ذلك ليس مما شانهم التمادي في الارتياب المذكور بل انما هو من شان القران ولا يجدي حمل من على التعليل دون الابتداء
لان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتداة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم
حتى تاتيهم الساعة • اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى • بغتة • اي فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل
الموت • او ياتيهم عذاب يوم عقيم • اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما
والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل لا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها
لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن
او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح
العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سباق النظم الكريم اصلا كيف لا
وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي
نص في ان المراد به يوم القيامة قطعا • الملك • اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق
يومئذ لله • وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة
ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا
ذلك من ايمانهم كما قيل لان القيد المعتبر مع اليوم حيث توسط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدارا لحكمها الذي هو كون الملك لله

يستلزمه

وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما لا يتعلق بما ذكر فضلا عن المدار له
فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر انما هو اتى بمنتهى تصرفات الخلق ومبدا ظهور
احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله
وقوله تعالى • يحكم بينهم • جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم
حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والمماري فيه بالمجازاة وقوله تعالى • فالذين آمنوا • الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي
فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه • وعملوا الصالحات • امتثالا لما امر وافي تضاعيفه • في جنات النعيم
اي مستقرون فيها • والذين كفروا وكذبوا باياتنا • اي اصروا على ذلك واستمروا • فاولئك • اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدا وقوله تعالى • لهم عذاب • جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم
خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين خبر
للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان
اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى • مهين • صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى • والذين هاجروا في سبيل الله • اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى
ثم قتلوا او ماتوا • اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى • ليرزقنهم الله • جواب لقسم محذوف
والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا اضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى • رزقا حسنا • اما مفعول
على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد
لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي
ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وان الله لهو خير الرازقين • فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
وقوله تعالى • ليدخلنهم مدخلا يرضونه • بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة
فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه • وان الله لعليم • باحوالهم واحوال معاديهم • حليم • لا يعاجلهم بالعقوبة
ذلك • خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستانف • ومن عاقب بمثل ما
عوقب به • اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجناية عقابا للمشاكلة او لكونه سببا له • ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة • لينصرنه الله • على من بغى عليه لا محالة • ان الله لعفو غفور • اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو
عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي
ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور وان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى
بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده • ذلك • اشارة الى النصر وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى • بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين
في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص من الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها • وان الله سميع • بكل
المسموعات التي من جملتها اقوال المعاقب • بصير • بجميع المبصرات التي من جملتها افعاله • ذلك • اي الاتصاف بما ذكر من كمال
القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر انفا وهو مبتدا خبره قوله تعالى • بان الله هو الحق • الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته
وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدا لكل ما يوجد من الموجودات عالما بجميع المعلومات او الثابت الالهية

فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا • وان ما يدعون من دونه • الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه
عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين • هو الباطل • اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته • وان الله
هو العلي • على جميع الاشياء • الكبير • عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا • الم تر ان الله
انزل من السماء ماء • استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى • فتصبح الارض مخضرة • بالعطف على انزل
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار • ان الله لطيف
يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق • خبير • بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا • له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وتصرفا • وان الله لهو الغني • عن كل شيء • الحميد • المستوجب للحمد بصفاته وافعاله • الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض • اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر
ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر • والفلك • عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء • تجري في البحر
بامره • حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير • ويمسك السماء ان تقع على الارض • اي من ان تقع او كراهة
ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك • الا باذنه • اي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها • ان الله بالناس لرؤوف رحيم
حيث هيا لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية • وهو
وهو الذي احياكم • بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة • ثم يميتكم • عند مجيء آجالكم
ثم يحييكم • عند البعث • ان الانسان لكفور • اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده • لكل امة
كلام مستانف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من
الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية • جعلنا • اي وضعنا وعينا • منسكا • اي شريعة
خاصة لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى
لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى • هم ناسكوه • صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور
على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى
الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي
عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم
من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
والفاء في قوله تعالى • فلا ينازعنك في الامر • لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة
مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين
زعما منهم ان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة
منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم بناء على زعمهم المذكور واما جعله
عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته واياما كان
فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة
المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا ريب في بطلانه • وادع • اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم
داخلون فيهم دخولا اوليا • الى ربك • الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم • انك لعلى هدى مستقيم
اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها • وان جادلوك • بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق
ولزوم الحجة عليهم • فقل • لهم على سبيل الوعيد • الله اعلم بما تعملون • من الاباطيل التي من جملتها المجادلة • الله يحكم بينكم

الشرع

يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء
والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء
والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك
اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى
عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال جهلهم
عقولهم وركاكة آرائهم وهي بناء امرهم على غير مبنى من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان هو
اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا
اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير
رأيهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة
والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه
الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسر او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله
من الاوضاع والهيئات وسوء الادب لقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون
بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما
اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا
وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي
اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي غيظكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم او مما نغوتهم من العوائل او مما اصابكم
من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى
وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كما لو جعل
الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة
بديعة رائقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي شبه في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي
عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي لمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله اقول فحوى قوله تعالى ان
الذين تدعون من دون الله الى بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة
على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا
على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي
لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه
لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب
بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان ياخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه
مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز
الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه
عن نفسها واستنقاذ ما تختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله
ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما سلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه
ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب وعابده اجهل من كل جاهل

واجهل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه
مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء
وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذل الاحياء العاجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة
رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب لا يعوقهم التعلق بمصالح
الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية
ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو
اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات
والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا
ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم
تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها
من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله
اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه
ولنصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته
اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام
اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة
وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون
ما قبلها بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب
كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي القرآن والضمير لله
عز وجل ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل
في قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم
شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا
شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات
وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو
مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي والله الموفق

سورة المؤمنين مائة وتسع عشرة آية مكية

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كابشر

الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا
لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الإخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين هو الفلاح
لهم لا الإخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعاً من حالهم فإن إيمانهم وما يتفرع
عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه إن أريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح
الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالإخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وإن أريد كونهم
بحال يستتبعهم إليه فصيغة الماضي في محلها وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على لغة أكلوني البراغيث وقرئ أفلح بضمة
اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو أن الأطباء كان حولي والمراد بالمؤمنين إما المصدقون بما علم ضرورة أنه
من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلاتهم
خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وإما الآتون بفروعها أيضاً كما ينبئ عنه إضافة الصلاة إليهم فهي صفات
موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الإيمان إجمالاً أو تفصيلاً كما مر في أوائل سورة
البقرة والخشوع الخوف والتذلل أي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روي أنه عليه السلام
كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا
لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو أي عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال معرضون أي في عامة أوقاتهم
كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً وما فيهم
عنه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا لمجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين كما قيل فإن ذلك ربما يوهم أن لا يكون
في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً
فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة
للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات سائرها وما توجب المروءة
اجتنابه وتوسيط حديث الإعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل
لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير
المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى إلا على أزواجهم من نفي الإرسال
الذي ينبئ عنه الحفظ أي لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى
وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن يكون على معنى من [illegible]
كما في قوله تعالى إذا اكتالوا على الناس أي حافظون لها من كل أحد إلا من أزواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع حالاً من ضمير حافظون أي حافظون لها في جميع الأحوال إلا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم
وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين وجعل الحفظ
على القصر عليهن ليكون المعنى حافظين فروجهم على الأزواج لا تعداهن ثم قيل غير حافظين إلا عليهن تأكيداً
على تأكيد تكلف على تكلف أو ما ملكت أيمانهم أي سراريهم عبر عنهن بما إجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء
أو لأنوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فإنهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم
منهن أي فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع
من الحرائر وما شاء من الإماء فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل
حتماً على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فإنه قال إنها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلأنهما
لا يتوارثان بالإجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم لأن لهم أن يقولوا
إنها زوجة له في الجملة وأما أن كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه إن أريد أنها كانت زوجة حال [illegible]

لم تعد وإن أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لأماناتهم وعهدهم
لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون أي قائمون عليها حافظون لها على وجه الإصلاح وقرئ
لأمانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل
فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للإيذان
بأن كلاً منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة أولئك
إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم
منزلة المشار إليهم حساً وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة هم الوارثون أي الأحقاء بأن يسموا وراثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر
وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيماً لشأنها
ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار هم فيها أي الفردوس
والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روي أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان
خالدون لا يخرجون منها أبداً والجملة إما مستأنفة مقررة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها
ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الإنسان شروع في بيان مبدأ خلق الإنسان
وتقلبه في أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بياناً إجمالياً إثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية
وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالإنسان الجنس أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً
حسبما تحقيقه في سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقاً من سلالة جعلت نطفة بعد أدوار وأطوار فبعيد من سلالة السلالة
ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصوداً منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة
والكناسة والسلالة من قبيل الأول فإنها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن يتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالأولى وقيل المراد بالإنسان آدم عليه السلام فإنه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه
أي الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام أو جعلنا نسله على حذف المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه السلام نطفة
بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار أي مستقر وهو الرحم عبر عنها
بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها في نفسها فإنها
مكنت بحيث هي وأحرزت ثم خلقنا النطفة علقة أي دماً جامداً بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة أي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة أي غالبها ومعظمها أو كلها عظاماً بأن
صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحماً
من بقية المضغة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل إليها أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق
وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء
بالجنس وبتوحيد الأول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم أنشأناه خلقاً آخر هي صورة البدن أو الروح أو القوى
بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان
البيضة فقط لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات إلى الاسم
الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللإيذان بأن حق كل من
يلاحظ ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالاً وإعظاماً لشؤونه تعالى أحسن الخالقين

بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اى هو احسن الخالقين خلقا
اى المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة عليه اى احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل بطريق قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اى جميل فعله فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى ان عبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحى فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا
نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى فى اربع الصلوة
خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله
احسن الخالقين انظر كيف وقعت الواقعة سببا لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن ابى سرح حسبما قال تعالى يضل به
كثيرا ويهدى به كثيرا ولا يقدح صدور مثل هذه الكلمة عن البشر ابتداء قبل نظم القرآن فى ذلك قادح فى اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان
مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله ثم
انكم بعد ذلك اى بعدما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك مميزا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة
كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم
يوم القيمة اى عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم
بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض
لها بعد خلقهم سبع طرائق اى السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما
فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذى هو السموات
او عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وتصل الى ما فى الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق
والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس
فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب
منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه فى الارض اى جعلناه ثابتا قارا فيها
وانا على ذهاب به اى ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله
وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين فانشأنا لكم به اى بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها فى الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها
ومنها من الجنات تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضمير
للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه
وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين
سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى
عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب
منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس

عطفه

من السنا بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالالف للتأنيث بخلاف سيناء فانه
فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها
من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلى لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا منها اى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن
وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا
انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت
بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء
والنبات وقد بين انها مع كونها فى انفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها
على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما فى النبات
وقوله تعالى نسقيكم مما فى بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد
بالبطون الجوف او عن العلف الذى يكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم
الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون
بما يحصل منها وعليها اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل
وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة
بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اى فى البر والبحر وفى الجمع
بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها الحمل وهو الداعى الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع
الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع فى بيان اهمال الامم السابقة
وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائضة عليهم وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا
للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن
الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله
لقد ارسلنا نوحا ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود فقال
متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود ان لا تعبدوا
الا الله وترك المقيد للايذان بانها هى العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة فى شئ رأسا وقوله تعالى
ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى
هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غيره تعالى
وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اى افلا تتقون عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح
عنه قوله تعالى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم
وليس غيره وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى الكره وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى اتعرفون ذلك اى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة ما لا يستحق
الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك
فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ فى الكمية وفى الاول فى الكيفية فقال الملأ اى الاشراف الذين كفروا
من قومه وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم ما هذا
الا بشر مثلكم اى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب

النبوة

يريد أن يتفضل عليكم أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك إغضابا
للمخاطبين عليه السلام وإغراء لهم على معاداته وقوله تعالى ولو شاء الله لأنزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الإطلاق
على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي لو شاء الله تعالى إرسال الرسول لأرسل رسلا من الملائكة وإنما قيل لأنزل
لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال ومفعول المشيئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا أي بمثل هذا الكلام الذي هو الأمر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة
ما سواه أو بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة في آبائنا الأولين أي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه
إما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة وإما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وأياما كان فقولهم
هذا ينبغي أن يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه
ما سمعنا به عليه السلام أنه نبي فالمراد بآبائهم الأولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر
عنهم في أواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم إن هو أي ما هو إلا رجل به جنة
أي جنون أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به أي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله
يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي أحوالهم في المكابرة والعناد وإضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وإرادة التفضل
إلى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا وعلى الأول على تناقض
مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا
قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الأباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال
حتى يئس من إيمانهم بالكلية وقد أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن رب انصرني بإهلاكهم بالمرة
فإنه حكاية إجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون أي بسبب تكذيبهم
إياي أو بدل تكذيبهم فأوحينا إليه عند ذلك أن اصنع الفلك أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول
بأعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه بأعينهم من التعدي أو من
الزيغ في الصنعة ووحينا وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فإذا جاء أمرنا لترتيب مضمون ما بعدها
على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه
أو ابتداء ظهوره أي إذا جاء إثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الأمر روي أنه قيل له
عليه السلام إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار إلى نوح عليه السلام فلما نبع الماء منه
أخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة أي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان
في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره في سورة هود فاسلك فيها أي أدخل فيها يقال سلك فيه وسلكه فيه أي دخله فيه و
منه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل أي من كل أمة زوجين أي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين
فإنه نص في الفردين دون الجمعين أو الفريقين وقرئ بالإضافة على أن المفعول اثنين أي من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر
وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا أصرح في أن الأمر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى إذا جاء
أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل إما على أنه حكاية لأمر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي
نيط به الأمر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر بعينه لكن لما كان الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به
في حق إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم وأهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين
لأدائه إلى اختلاف المعنى أي واسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بإدخالهم عما ذكر من إدخال الأزواج فيها
لكونه عريقا فيما أمر به من الإدخال فإنه يحتاج إلى مزاولة الأعمال منه عليه السلام وإلى معاونة من أهله وأتباعه وأما هم فإنما يدخلونها
باختيارهم بعد ذلك ولأن في المؤخر نوع تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي إلى الإخلال بتجاوب أطراف النظم الكريم

إلا من سبق عليه القول منهم أي القول بإهلاك الكفرة وإنما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لإنجائهم إنهم مغرقون تعليل
للنهي أو لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء أي إنهم مقضي عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه
لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك أي
من أهلك وأشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب أنزلني في السفينة أو منها منزلا مباركا أي إنزالا أو موضع
إنزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا أي موضع نزول وأنت خير المنزلين أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه
من ثنائه عز وجل توسلا به إلى الإجابة وإفراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لإظهار فضله عليه
السلام والإشعار بأن في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه إن في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه
لآيات جليلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وإن كنا لمبتلين إن مخففة من إن واللام فارقة
بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أي وإن الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم أنشأنا من بعدهم أي من بعد إهلاكهم
قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس وعليه أكثر المفسرين وهو الأوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من إيراد
قصتهم إثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فأرسلنا فيهم جعلوا موضعا للإرسال كما في قوله تعالى كذلك أرسلناك في أمة
ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد أرسلنا نوحا إلى قومه للإيذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم
بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم أي من جملتهم نسبا فإنهما عليهما السلام كانا منهم وأن في قوله تعالى
أن اعبدوا الله مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم
من إله غيره تعليل للعبادة المأمور بها أو للأمر بها أو لوجوب الامتثال به أفلا تتقون أي عذابه الذي يستدعيه
ما أنتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل
إثر حكاية القول الحق الذي نطق به حكاية إرسال الرسل بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام
إجمالا بعد حكاية ما جرى بينه وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال
كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الأمم أي وقال الأشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على أنه صفة للملأ
وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتأخيره من تتمة العطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة عطف
على الصلة الأولى أي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث
وأترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لأعقابهم مضلين لهم ما هذا إلا بشر
مثلكم أي في الصفات والأحوال وإيثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين أمره عليه السلام وتهوينه يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه ولئن أطعتم بشرا مثلكم أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي إن امتثلتم بأوامره إنكم إذن أي على تقدير
لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث أذللتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة
الدارين خسرانا دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذن واقع بين اسم إن
وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم محذوف قبل إن الشرطية المصدرة باللام الموطئة أي والله لئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم
إذا لخاسرون أيعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان
به واستبعاده أنكم إذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة
عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد
وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى أنكم تأكيد للأول لطول الفصل

الاتباع

بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى
اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقع
الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم انكم اذا متم الى اخره هيهات هيهات
تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد به كما في هيت لك كانهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ
بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها
حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث
كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة
لما ادعوه من ان الحياة هي الحياة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن
له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هو عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك
متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال
عز وجل اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيد
في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك
عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة وقد روي
ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنى منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب
والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال شاعر صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق
بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل
فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام
لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا اخرين
هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي
عين لهلاكهم اي ما يهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف
على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول
متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا
والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه
اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف
للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها
كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان
بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخ
لان كلهم جاؤا بكل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال
لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر
والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهي اسم جمع للحديث
او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم
لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم

ما مر من الغلو والتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا هي الايات التسع
من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد
هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر
مع اندراجها في الايات لما انها ام آياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها
لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى
المقام واما نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين
جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملئه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل
منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين
فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم
بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله
تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين
للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي
النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء
جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل
الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل
لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية
عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلق بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن
مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم
في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية
جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم
ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه السلام
اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل
بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف
من فرعون وملئهم اي من آل فرعون وملئهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت
بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح
وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية واي آية دالة على عظم قدرتنا
بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية
بانها ولدته من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها
امه للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دلالة على انه لا اب له اي جعلنا
ابن مريم وحده من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر
من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ وآويناهما
الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية

عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فإن قراها على الربى وقرئ بكسر الراء
وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار
وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد
في المشي أو من الماعون وهو النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون وصف
ماؤها بذلك للإيذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول
في عصره جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة إيذانا بأن ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام
بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا
فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالا للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه
الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب
ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفه واعملوا صالحا أي عملا صالحا
فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة عليم فأجازيكم عليه
وإن هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد
مما أمر به كافة الرسل والأمم وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك
في سلك الأمور المشاهدة أمتكم أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل أمة واحدة أي ملة وشريعة متحدة في أصول
الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وقيل هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة
على الإيمان والتوحيد في العبادة وأنا ربكم من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى
فاتقون أي في شق العصا والمخالفة بالإخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والأمم جميعا على أن الأمر
في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب والفاء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله
من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأمة فإن كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام
أي ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي فاتقون كما في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل عطف على
ما أي إني عليم بأن أمتكم واحدة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أي واعلموا أن هذه أمتكم إلى آخره وقرئ وأن هذه
على أنها مخففة من أن فتقطعوا أمرهم حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لما دل
عليه الأمة من أربابها أو لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أي تقطعوا أمر دينهم
مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة وأديانا مختلفة بينهم زبرا أي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء
جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فإنه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا أو حالا
من أمرهم على تقدير المضاف أي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من أولئك المتحزبين بما لديهم
من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون أنه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء
الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الأمر
بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فإن انهماكهم فيما هم فيه وإصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم أي اتركهم على حالهم
حتى حين هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير والإبهام ما لا يخفى من التهويل أيحسبون
أنما نمدهم به أي نعطيهم إياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين

مع كونهم أعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لأن وإنما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف
الراجع إلى الاسم أي أيحسبون أن الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم
على أن الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
أي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك
الإمداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول إن الذين هم من خشية ربهم
مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب
أي من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك أخر عن الإيمان بالآيات والتعرض لعنوان
الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها للإشفاق والإيمان وعدم الإشراك والذين يؤتون ما آتوا
أي يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأيا ما كان فصيغة الماضي
في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الأولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة جملة
حال من فاعل يؤتون أو يأتون أي يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة
أشد الخوف أنهم إلى ربهم راجعون أي من أن رجوعهم إليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك
وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى وقيل لأن مرجعهم إليه تعالى والموصولات
الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة
منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة كأنه قيل إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ
وإنما كرر الموصول إيذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة
استقلال الموصوف بها أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد
رتبتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات أي
في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا
وإنه في الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفي عن أضدادهم خلا أنه غير الأسلوب حيث لم يقل أولئك نسارع
لهم في الخيرات بل أسند المسارعة إليهم إيماء إلى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان
بأنهم متقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون أي إياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى
هم لها عاملون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون
في الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لأجلها فاعلون السبق أو لأجلها سابقون الناس والأول هو الأولى
ولا نكلف نفسا إلا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات
المؤدي إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة أي عادتنا جارية على أن لا نكلف
نفسا من النفوس إلا ما في وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا
فما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين فإنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم فإن لم يبلغوا في فعل
الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل
قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم إيماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه
من الأعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التي يقرؤونها
عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون

اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال
الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه
ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها
اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى • وهم لا يظلمون • بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه
في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها
ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس
في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين
بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر
من ان الاعمال الصالحة لا توجب الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال
السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع وكتب الاعمال ليس
مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها
باسمه وقوله تعالى • بل قلوبهم في غمرة من هذا • اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اي بل قلوب الكفرة في غفلة عامرة
لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها
كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة • ولهم اعمال
سيئة كثيرة • من دون ذلك • الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما
من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال
الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك
ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره • هم لها عاملون • مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون
يبرحونها • حتى اذا اخذنا مترفيهم • اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم حتى اذا اخذنا رؤساءهم
بالعذاب • قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة والاولاد
والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصرة واما عذاب يوم بدر
فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا
العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك • اذا هم يجأرون •
اي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ
بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع
كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى
واقدم • لا تجأروا اليوم • على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة
من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي
في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى • انكم منا لا تنصرون •
تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا
يساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى • قد كانت
آياتي تتلى عليكم • الخ صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي

متوهما من الغير تعليل لعجزه وذلته او بعزة الله تعالى وقدرته وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا • فكنتم على اعقابكم
تنكصون • اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين • اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه
او بآياتي التي عبر عنها بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه
ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى • سامرا • اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت
بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا او شعرا او السامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء
على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى • تهجرون • من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي
تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش وقرئ
تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى • افلم يدبروا القول • الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز
النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله
• ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين • منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين حتى استبعدوه واستبدعوه
فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد
تستنكر وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسمعيل
عليه السلام واعقابه من عدنان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد
فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه • فهم له منكرون • اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم
بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم عارفون له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله • ام يقولون
به جنة • انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا
واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان
به عليه السلام الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه
من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم
من عدم معرفتهم به وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما كان فيه عليه السلام ذلك القدح في رسالته • بل جاءهم بالحق •
اضراب عما دل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاءهم بالحق اي الصدق الثابت الذي
لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه • واكثرهم للحق • من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط
كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار • كارهون • لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا
هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق
وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل نسبة الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده
المقام اصلا • ولو اتبع الحق اهواءهم • استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقتها
اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة • لفسدت
السموات والارض ومن فيهن • وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه
من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام اهواءهم وجاء بالشرك لجاء
الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسبهما
واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا • بل اتيناهم بذكرهم • انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق

الذي يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي
هو فخرهم وشرفهم حسبما نطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا
عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك
مما يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها
من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيان ذكرهم لا لترتب الاعراض على الآيات مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم
اعراضا عن ذكرهم هو اتيان ذكرهم لا الآيات مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه
السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه
عليه السلام بعنوان الحق وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته
المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا بما رسول الله
صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايده
بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس بمثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي
يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى توبيخهم بوجه آخر كانه قيل
ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي
رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا
والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى
والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج وفي النظم الكريم اشعار بالكثرة
واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا الحجة
في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم
فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي عن
جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول
ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة
ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا
عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار
ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد
على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط
المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا له
على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح
بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم
التضرع الى الله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة
وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع

وغير ذلك فما روي منهم ليس معتادة وتوجها الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه
في شيء انما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك
الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم
اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي
هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونه وتعتبروا
اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا غير معتد به تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف
تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الارض
اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه
وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار
وهو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون
اي الا تتفكرون فلا تعقلون او تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي
من جملتها البعث وقرئ يعقلون على الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول
لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون
اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه
من الاجمال وقدم الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده
الى آبائهم لا اليهم اي وعد آباؤنا من قبل او بالمحذوف وقع حالا من آباؤنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا
الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر
قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام
عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا
او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون
لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون
اي اتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان
البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها بشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا
وللعذر وعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك
من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل افلا تتقون توبيخا لهم افلا
اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا
في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر وما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي
غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما
او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملك كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فأنى
تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا
مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون
فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه

اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه من ملك الآخرين ووقع بينهم
التغالب والتحارب كما هو الجاري بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل
لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون
اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف واياما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك
قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب
الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان
بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة
الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون
ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم
بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه السلام
للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين
وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف
ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة
في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستعاذة اي اعوذ بك
من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى التي
يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء
بالاستعانة به تعالى من الشيطان ان يزله عليه السلام عن الحلم ويغريه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفظا بل بمعنى انه
معمول المحذوف ودل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي
كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون
اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل صالحا فيما تركت
اي في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي اؤمن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر
الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتيه البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت
من المال او من الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الى آخره
كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للاحد والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما
ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط

كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية فاذا نفخ في الصور
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور
جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف
من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ
كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقائد
والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون
بكل مطلوب الناجون عن كل مرهوب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده
تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك
الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين
عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل
من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك
لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون
من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول
اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون
حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ
شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا
من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم
من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم
ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا
الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون
على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان
والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت
ذلة وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء
الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام
يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطاب الآتي قطعا وقوله تعالى
انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشأن وقرئ بالفتح اي لان الشأن كان فريق من عبادي وهم المؤمنون
وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتشاغلتم باستهزائهم
وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم
بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك
المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله تعالى اخسئوا فيها وقرئ قل على الامر
للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة

هوان

الراحمين

العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المعتدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون
الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا سيقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى
او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم
من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي
عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم اي ان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث
وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى
ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن
مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله من الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي
يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته
لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما هو تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصف
بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع
على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه
باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان
فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشأن وقرئ بالفتح
على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع
في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال
لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح م

سورة النور اربع وستون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها
باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده
التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ او نحوه او دونك عند من يسوغ حذف
اداة الاعراب فمحل انزلنا النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه
من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض
عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام
بالاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على
الاطلاق لانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات

فالظرفية

فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين
انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام
الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان
حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من
الآيات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني
لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما او على انهما مبتدأ والخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى
فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ
القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة
المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة
في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة
لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى
والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع
يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب
المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت
بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص
المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما
او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصر الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن
او لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا
لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك اي نكاح الزواني
على المؤمنين لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك
من المفاسد لا تكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول
للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
هو الوطء وهو بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني وفي التعبير عنهن بالمحصنات
بهن مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا والحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبي
عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير
وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب الزواني ووصفهن بما لا يحسن الدال على نزاهتهن عن الزنا خاصة
فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه

مؤنة بيان ما أخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه
شبه المصادرة كما قيل والذين يرمون المحصنات العفائف المنزهات عما رمين من الزنا ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون
عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخر الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقق العجز عن الإتيان بهم
وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا بد منه عند الأداء خلافا للشافعي فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة
ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم
وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء لقوله تعالى فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب
ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضا كذلك لخصوص الواقعة
وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب
كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة
قدمت عليها لكونها نكرة ولو أخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي
وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية
حدثت له بعد إسلامه فلا يتناولها الرد فيدرء وعلى هذا قيل إن المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف
الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك بمعزل من الاعتبار لأنه تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا
لهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي أبدا أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه من تتمة
للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله وأولئك هم الفاسقون كلام مستأنف
مقرر لما قبله مبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي
أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود والكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق
عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى إلا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل إلا أن محل المستثنى النصب لأنه
عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه أي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل وأصلحوا
أي أصلحوا أعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فإن الله
غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم
ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر
على البدل من الضمير في لهم وجعل الأبد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فيقبل شهادته بعدها والذين يرمون أزواجهم
بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصا للمحصنات بالأجنبيات ليلزم بقاء الآية
[illegible] فلا يثبت بها الحد فإن من شرط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا للعموم ضرورة تراخي
نزولها كما سيأتي فيبقى الآية قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه أن دليل النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء
يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتاء الفعل إلا أنفسهم بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا
من جملة الشهداء إيذانا من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة
الشهادة إليهم في قوله تعالى فشهادة أحدهم أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى أربع شهادات
خبره أي فشهادتهم المشروعة أربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ أربع شهادات
بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم وإما مبتدأ محذوف الخبر
أي فشهادة أحدهم واجبة إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه إلى آخره فحذف الجار وكسرت إن
وعلق العامل عنها للتأكيد والخامسة أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا بانضمامها إليهن
وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار
الصدق وهي مبتدأ خبره أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة

حتى تعترف فترجم أو تلاعن ويدرأ عنها العذاب أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم
الذي هو أشد العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه أي الزوج لمن الكاذبين أي فيما رماني به من الزنا
والخامسة بالنصب عطفا على أربع شهادات أن غضب الله عليها إن كان أي الزوج من الصادقين
أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن
غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على

السفوبه

لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين
وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى
الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي
بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة
فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا
أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم التفات
إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة
عن حصره كأنه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها
ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج
حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعدما شرع لهم ذلك
لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج
الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية
وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة
وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه
وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته إن الذين
جاءوا بالإفك أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو
القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسمته والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء إشارة
إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد
سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة
غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا
حتى إذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت
شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه
وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه لخفتي فلم يستنكروا
خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب
فتيممت منزلي وظننت أنهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل
السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه
كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين
في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك إذ هجم علي فخاض الناس

كبتا

في صدري فهلك من هلك قوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة
وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى
لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم تسلية لهم
من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة
في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك
العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم
من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما
شايعاه بالتصريح به وافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق ونحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا
ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف
البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه ظن
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية
من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن
لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه
ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته
اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه
فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات
ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره
المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط
الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد
فيه ليفيدان عدم الاتيان به اصلا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه
ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك
اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا
عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه
منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم يأتوا
بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم
في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة
هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد
خاصة واما كلام مبتدأ مسوق اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا
من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض
في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التاءين
ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان
متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق
والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقو

تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عند الله
عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المشايعين لهم قلتم
تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي
وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر
من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المقتصر على التحضيض
الى تركه واما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه
كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف
الاشياء تنزلت منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يستعمل فيما اذا وقع
الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة
باضمار اذكر واما هاهنا فلا حاجة اليها اصلا لما عرفت ان مناط التقديم توجيه التحضيض اليه وذلك متحقق في جميع متعلقات الفعل
كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن يقول به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه
تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرم نبيه فاجرة فان الفجور
تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم
من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان
وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا
بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك هذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان
والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فاني يمكن صدق ما قيل في حق حرمة
من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل هاهنا لتأكيد استقلال
الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة
اي الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون
مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس
وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم والمقصود هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة
في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره
والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة
وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا
على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا حمل العذاب
العظيم في الدنيا على حد القذف ومتعلقاته كما اطبق عليه الجمهور اما اذا ابقي على اطلاقه اريد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها
التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها مبنيا على ان عذاب من باشر الاشاعة اشد
واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون لتقرير ثبوت العذاب العظيم لهم وتعليله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على كمال عظم الجريرة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه لتصديره بحرف التحقيق

كما أن المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحمة التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان
حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرئ
خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو
ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب
الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره
الشرع وضمير إنه للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط وعلى أن الأمر بأمره وقيل عائد إلى
أي فإن ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الإضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته إنزال الآيات الموضحة للحق وشرع التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى
أي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من أحد زائدة
وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية أبدا لا إلى نهاية ولكن الله يزكي
يطهر من يشاء من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع
الأقوال التي من جملتها ما أظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة وإظهار الاسم
للإيذان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل أي لا يحلف افتعال من الألية وقيل
لا يقصر من الألو والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته
وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل أولو الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه
والسعة في المال أن يؤتوا أي على أن لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاق الإيتاء وقيل لموصوفات أقيمت مقامها وحذف
المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالإغضاء عنه وقرئ الأمران بتاء الخطاب
على وفق قوله تعالى ألا تحبون أن يغفر الله لكم أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون
أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته
وقال والله لا أنزعها أبدا إن الذين يرمون المحصنات أي العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الإطلاق
بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففي ذلك من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات أي السليمات الصدور النقيات القلوب
عن كل سوء المؤمنات أي المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات
عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان فإنه للإيذان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لإطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر
على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة
والانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا
أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المرتبة
على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد إياهن على أنهن
قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا إبرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس
رضي الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حيث سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها
وهو منه رضي الله عنه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك والتنبيه على أنه أمر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون
من المؤمنين والملائكة أبدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الأبدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله
يوم تشهد عليهم إلى آخره إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر

جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب
وإن أغضينا عن وصفه لإخلاله بجزالة المعنى وإما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه
الذكر صفحا للإيذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم
وأرجلهم بما كانوا يعملون يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم
السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها
بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها
كافة لا عن أحدها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة
وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لأمر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم
عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم وافيا كاملا كلام
مبتدأ مسوق لبيان ترتب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم
ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم
الأهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم أن الله هو الحق الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وأفعاله التي
من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها أو الظاهر
أنه هو الحق وتفرده بالألوهية تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ولكونه مقام تعظيم كان أي الحق
ذي الحق المبين أي العادل الظاهر عدله كذلك ولو فتشت في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد
منها فوق ما تلك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة وإبراز
رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات إلى آخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق
على موجب أن لله ملكا يسوق الأهل إلى الأهل أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم
على أن اللام للاختصاص والخبيثون أيضا للخبيثات لأن المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم
والطيبون أيضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب
الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات
حسبما نطق به قوله تعالى أولئك مبرءون مما يقولون على أن الإشارة إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك
الموصوفون بعلو الشأن مبرءون مما تقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء
أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين
من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه
الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول
متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام
لا تصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه الصديقة أيضا سبحانك هذا بهتان عظيم
لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم إثر ما فصل
الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات
الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى
كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير إذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء حتى تستأنسوا أي تستأذنوا
من يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو لا

الذي هو خلاف الاستيحاش لان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس • وتسلموا على اهلها
عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع
ذلكم اي الاستيذان مع التسليم • خير لكم • من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير
بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي
قال نعم قال ليس لها خادم غيري استأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستأذن
لعلكم تذكرون • متعلق بمضمر اي ارشدتم اليه وقيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه • فان لم تجدوا فيها احدا • اي ممن يملك الاذن
على ان من لا يملك من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة عن النهي عن دخول البيوت
الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان
فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منها اليها اعني الاطلاع على العورات اولى
فلا تدخلوها • واصبروا • حتى يؤذن لكم • اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا
من يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب بل في تكرير الاستيذان
ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى • وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا • اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن
او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك
مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح • هو • اي الرجوع • ازكى لكم • اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف
على الابواب من دنس الدناءة والرذالة • والله بما تعملون عليم • فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه • ليس عليكم
جناح ان تدخلوا • اي بغير استيذان • بيوتا غير مسكونة • اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها
كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى
فيها متاع لكم • فانه صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والرحال والشري والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استيذان
من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظم
البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى • والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد
او اطلاع على عورات • قل للمؤمنين • شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين
عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر
والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها وحفظها
ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا • يغضوا من ابصارهم • عما يحرم
ويقصروا به على ما يحل • ويحفظوا فروجهم • الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في
النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو التستر • ذلك • اي ما ذكر من الغض والحفظ • ازكى لهم • اي اطهر لهم
من دنس الريبة • ان الله خبير بما يصنعون • لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال
سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون • وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن • فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه • ويحفظن فروجهن • بالتستر او التصون عن الزنا
وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد • ولا يبدين زينتهن • كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي
عن ابداء مواقعها ما لا يخفى • الا ما ظهر منها • عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها
فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان

لانها ليست بعورة • وليضربن بخمرهن على جيوبهن • ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها
وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن
بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم
ولا يبدين زينتهن • كرر النهي لاستثناء بعض موارد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة
باعتبار المنظور • الا لبعولتهن • فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود • او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن • لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة
توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهم • او نسائهن • المختصات
بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال • او ما ملكت ايمانهن • اي من الاماء
فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها
ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو
ابوك وغلامك • او التابعين غير اولي الاربة من الرجال • اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون
وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء
وقرئ غير بالنصب على الحالية • او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء • لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف • ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين • اي يخفينه من الرؤية • من زينتهن • اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم
انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي
بعد النهي عن ابدائها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى • وتوبوا الى الله جميعا • تلوين للخطاب وصرف له
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات
الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي
وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به
الكف عن الشهوة وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه
كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى • ايها المؤمنون • تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال
حتما وقرئ ايه المؤمنون • لعلكم تفلحون • تفوزون بذلك بسعادة الدارين • وانكحوا الايامى منكم • بعدما زجر تعالى
عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة
عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال
فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم • اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر • والصالحين
من عبادكم وامائكم • على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل
من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال
والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم
مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك
غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه • ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله • ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة
من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء
لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان

والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابه الى ما هو
اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب
نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم
وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعد ما امر بانكاح
صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة
مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك
قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي
بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر
العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول لا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما
في العقد الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه
من فعله الخاص الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفس الامر الا مجتمعا بالاخر ضرورة ان التزام العتق
بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن
من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمن احدهما الاخر وتوقفه عليه فكما ان قول البائع بعت
انشاء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه قبولا بها
متوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل
اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق
فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا
اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا حالا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه
حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي رحمه الله للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب
عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا
ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد
ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها
وقيل هو امر باعطائهم سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما نطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا
فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا
من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغار وقوله تعالى ان اردن تحصنا
ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني
او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء
وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان
عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت

وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه
حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه
لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع
المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه
عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن
في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابتاظهارا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قيد
للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر
الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب
المقارن لنيل المطلوب واستفادته بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث
ومن يكرههن الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه وعبارة رجوع
غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع
في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه
مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ
هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيينهما مع ارتجاع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة على كونهم
محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا
او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن
مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء
المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن
عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم آيات
مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي
على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه اي بالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة
آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها
مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ
على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع
في الظرف باجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين
خلوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة
رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا
وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة تتعظون بها
وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونهما من المواعظ
بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة
بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وقوله تعالى
للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين
ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات
والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض كلام مستأنف مسوق لتقريرها فيها من البيان مع الاشعار
بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج

بيانه من الاحكام والشرائع ومبادیها وغایاتها المترتبة علیها فی الدنیا والآخرة وغیر ذلک مما له مدخل فی البیان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما تحويه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطرا العالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وفيه من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته شاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده النظام **مثل نوره** اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعنى المفهوم المتبادر من النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فمعناه المتبادر منه من حيث هو هو الثبوت لا الظهور والاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة **كمشكاة** اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين **الزجاجة كأنها كوكب دري** متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته والدراري الكواكب المشهورة وقرئ دريء بكسر الدال والراء مشددة وبالمد وبعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضوئه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المنبئ عن الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري **يوقد من شجرة** اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة **مباركة** اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين **زيتونة** بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وذلك لان الزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيها في مضحى **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والمعنى يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حذفا مطردا في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **على نور** متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب ما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره** اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافة الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل **من يشاء** هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئة الله عز وجل وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب **ويضرب الله الامثال للناس** في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثاني بالناس كافة **والله بكل شيء عليم** معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون ضرب الامثال على مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحققه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الامر موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى **يسبح له** وتكرير

فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا للقصر التسبيح على الوقوع في البيوت
فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا المراد به الصلوات
المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو جمع غداة
كقنى في قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وتشتمل الاوقات
ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوة واوقاتها
لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لتعينهما معا كلاهما لكونهما
العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف
ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له
فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتاء التأنيث مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول
على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة
اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوصف كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا
اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال
تبتلهم الى الله سبحانه واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة
بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا تشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد
البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان
ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت
كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب
لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها
لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال عوض عنها الاضافة كما في قوله
واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده
هنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن
اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم
واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف وقوله تعالى تتقلب فيه
القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا
او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة
والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة
واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها
ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه
السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد
الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية
اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباها

في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه
بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى
لا لتطابق الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه
ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر وهوله
ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه تم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه
هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كمشكوة في بيوت وقيل
لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الكريم كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار
على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه
بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المتصفين بالتمثل المهتدين
بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات وفيه من الاخلال
في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين
آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام
وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع
الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن
في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات على انها
جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص
الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجهه
الذي هو المطمع المطلع والمقطع الموئس حتى اذا جاءه اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه
وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة
بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك
بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء
الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة
من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم
بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحسب ظنهم في الدنيا نافعة لهم في الآخرة
اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة
لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب
اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير
من الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع
الى اعمالهم هذا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون
بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا
معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدا
وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج مرتفع بالفاعلية لاعتماده على الموصوف والكلام

كما في قوله تعالى نور على نور أي يغشاه أمواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة للموج الثاني
على أحد الوجهين المذكورين أي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها
حتى كأنها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات بعضها فوق بعض أي متكاثفة متراكمة وهذا
بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه
ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها إذا أخرج أي من ابتلي بها وإضماره من غير ذكره لدلالة
المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها لم يكد يراها وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يراها
ومن لم يجعل الله له نورا اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى
إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه
لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به فما له من نور أي فما له هداية ما من أحد أصلا
وقوله تعالى ألم تر الخ استئناف خوطب به النبي عليه السلام للإيذان بأنه تعالى قد أفاض عليه صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب النور
وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة
بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح أن الله يسبح له أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه
الجليل من نقص أو خلل من في السموات والأرض أي ما فيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية
منهما تنزيها معقولا تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله
يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك
الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة
لسان المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق
بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة
في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع
من أنواع المخلوقات بأن يراد معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضا
من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه
حطة لهم وتعيير لما أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية
والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع
بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب
عنه التقييد بقوله تعالى صافات أي يسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطاءه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف
في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية
لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة
كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية
وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة لما يليق به
بلسان استعداده وحقيقته أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى
ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو يستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه كل آن من فنون الفيوض
المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك
الاستفاضة المعنوية بالصلوة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما عطف عليه وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها
عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما ناب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة
والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين بكل لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا فإنه

يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أي
ويسبح التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما في قوله تعالى وكثير من الناس أي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات
أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما
عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وإتقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فإن إلهامه تعالى لكل نوع
من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي إليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلا كيف لا وإن القنفذ
مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل إلى جحرها حتى روي أنه كان بقسطنطينية
قبل الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بإنذاره بتدارك أمور سفنهم
وغيرها وكان السبب في ذلك أنه كان يقتني في داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها
أظهر وجودا وأقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون أي يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه
الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا إلى ضمير العقلاء لما مر
وعلى الثاني إما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء لما مر
والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته
وتسبيحه للكل أي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين
لكن لا على أن يكون ما عبارة عما تعلق علمه تعالى به من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما
داخلان فيها دخولا أوليا ولله ملك السموات والأرض لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
وهو المتصرف في جميعها إيجادا وإعداما بدءا وإعادة وقوله تعالى وإلى الله أي إليه تعالى خاصة لا إلى غيره المصير
أي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملكوت به تعالى في المعاد إثر بيان اختصاصه تعالى في المبدأ وإظهار الاسم الجليل في موضع
الإضمار لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ألم تر أن الله يزجي سحابا الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير
أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه
بضم بعضها إلى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما أي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق أي المطر إثر تراكمه
وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله أي من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته
خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية
ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاز وجاز ويؤيده أنه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فإن
كل ما علاك سماء من جبال أي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على أن
من تبعيضية والأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار أي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها
بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والأول أظهر
لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أي ينزل من السماء
بعض جبال كائنة فيها من برد أي شبيهة بالجبال في الكثرة وأيا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرة من الاعتناء
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه
من قاطع والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار
سحابا وإن لم يشتد البرد تقاطر مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا وإلا نزل بردا وقد
يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح
فيصيب به أي بما ينزل من البرد من يشاء أن يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء أن يصرفه
عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما وإضافة البرق إليه
قبل الإخبار بوجوده فيه للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبإدغام الدال في السين

وبرقه بضم الراء على أنه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للإتباع بضمة الباء يذهب بالأبصار
أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها
كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث إنه توليد للضد من الضد
وقرئ يذهب من الإذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما
وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب
وما ترتب عليه إن في ذلك إشارة إلى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإيذان
بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته وإحاطة علمه بجميع
الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لأولي الأبصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة
أي كل حيوان يدب على الأرض وقرئ خالق كل دابة بالإضافة من ماء هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم
من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة ومنهم من يمشي
على رجلين كالإنس والطير ومنهم من يمشي على أربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع
كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف
بكلمة من ليوافق التفصيل الإجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر
بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد
العنصر وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور وللإيذان بأنه من أحكام الألوهية إن الله
على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء وإظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي لقد أنزلنا
آيات مبينات أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار التكوينية والله يهدي من يشاء
أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وإرشاده إلى التأمل في معانيها إلى صراط مستقيم موصل إلى حقيقة الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى الصراط
المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف ودعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم
عليا رضي الله عنه في أرض وماء فأبى أن يحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأيا ما كان فصيغة الجمع للإيذان بأن للقائل
طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وأطعنا أي
أطعناهما في الأمر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك أي من بعد ما صدر عنهم ما صدر
من ادعاء الإيمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بكونه أمرا معتدا به واجب المراعاة
وما أولئك إشارة إلى القائلين لا إلى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الإيمان عنهم نفيه عن الأولين بخلاف
العكس فإن نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على أبلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد مرتبتهم في الكفر والفساد
أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين أي المؤمنين
حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص في الإيمان والثبات عليه وإذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم أي الرسول بينهم لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام
والإيذان بجلالة محله عنده تعالى إذا فريق منهم معرضون أي فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه عليه السلام
لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وإن يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا إليه
مذعنين منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم وإلى صلة ليأتوا فإن الإتيان والمجيء يعديان بإلى أو لمذعنين على تضمين
معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون والتقديم للاختصاص أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح

لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار
الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل منشئيتها له كأنه قيل أذلك لأنهم مرضى القلوب أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته عليه السلام
مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل وأبطل منشئيته وحكم بأن
المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه
لو كان لشيء منهما لأعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم
حينئذ أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام في الأمانة
والثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام
لعلمهم بأنه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط
مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشأ صحيح لمعرفتهم في الجملة المغني
أم ارتابوا بأن رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا
فإن ما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل إنما كان قول المؤمنين بالنصب على أنه
خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل
في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اختزلت عنه الإضافة
لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لأن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو
أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب
في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذن هو أحق بالخبرية وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث
كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى
إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أي الرسول عليه السلام بينهم
أي وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم
لا قولا آخر أصلا وأما قراءة النصب فمعناها إنما كان قول المؤمنين أي إنما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم
المحكي عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا في الأذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا
للموضوع وإبراز ما هو بخلافه في معرض القصد الأصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا إلى مصدره
مجاوزا بالظرف كأنه قيل إذا دعوا إلى أن يفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم أي وقع التقطع بينكم وأولئك إشارة
إلى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد مرتبتهم في الفضل
أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون أي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل
محذور ومن يطع الله ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم
في سلكهم أي ومن يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن
والأول هو الأنسب للمقام ويخش الله ويتقه بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وبإسكان الهاء
أي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية
والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم وأقسموا بالله حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكدة بالأيمان
الفاجرة وقوله تعالى جهد أيمانهم نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل
أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه
إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر
مؤكد لأقسموا أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن أمرتهم أي
بالخروج إلى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت

لئن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لأقسموا على طريق
الحكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل قل أي ردا عليهم
وزجرا لهم عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا أي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة
وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم
طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بكونها كذلك مشهورة معروفة
لكل أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر
أو فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده
إن الله خبير بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة
وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن
طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى يجازيهم بجميع
أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار
باختلافهما من حيث إن المقول في الأول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني أمر بطريق
التكليف والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها
ليست من الطاعة في شيء أصلا وقوله تعالى فإن تولوا خطاب للمأمورين من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة
في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام
جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما إذا كان
ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن في خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بواسطته عليه السلام
وتصديره ببيان حكم الامتثال بالأمر والتولي عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه
وتوهم أنه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت يعكسه الأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه
عليه السلام للمأمور به إليهم وعدم التصريح به للإيذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر
أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فإنما عليه أي فاعلموا أنما عليه عليه السلام ما حمل أي أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه
عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم أي ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه
مؤنة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وإن
تطيعوه أي فيما أمركم به من الطاعة تهتدوا إلى الحق الذي هو المقصد الأصلي الموصل إلى كل خير والمنجي عن كل شر وتأخيره
عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تقديم التأكيد للترغيب وتقريبه مما هو من باب الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول
إلا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولي وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم واللام إما للجنس المنتظم له عليه السلام
انتظاما أوليا أو للعهد أي ما على جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام إلا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح
أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
استئناف مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون
السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل
من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أي طائفة كان وفي أي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن
بعد نزول الآية الكريمة فقط ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا
الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي أمر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم
كما أشير إليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام وللإيذان بكونه
أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

فلأن من شأنك بيانه والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان
والأعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من وروده بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة تكملة لها أو من جعل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وللأمة عموما على أن من تبعيضية أو له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه
سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم في الأرض جواب للقسم إما
بالإضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم أو خلفاء
من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو إسرائيل استخلفهم الله عز وجل
في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي أشير إليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات إلى قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية
أي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف
حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فإن استخلافه تعالى إياهم مستلزم لكونهم مستخلفين
لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل
ومن هذا القبيل قوله تعالى فأنبتها الله نباتا حسنا على أحد الوجهين أي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر
يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحتا أو مجلف أي فلم يبق إلا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه
في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد
بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك
بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الأرض أي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض ونظائره وكلمة في للإيذان
بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض
في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة
إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم إليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولأن في توسيطها بينه وبين وصفه أعني قوله تعالى
الذي ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم
تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإبدال من بعد خوفهم أي من الأعداء
أمنا حيث كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح
ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا
ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب وصاروا إلى حال
يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب
والأمن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي
للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر
أي اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فإن الإصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد
على الأصل وقيل كفر بعد الإيمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الأنسب بالمقام بعد ذلك أي بعد ذلك الوعد العظيم بما فصل
من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فأولئك البعداء عن الحق النائمون في تيه
الغواية والضلال هم الفاسقون أي الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
عطف على مقدر يستدعيه الكلام ويستدعيه النظام فإن خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فإن تولوا
وترغيبه تعالى إياهم في الطاعة بقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا والى الكفرة ووعده تعالى إياهم على الإيمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف
وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الأمر بالإيمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا

وأقيموا أو على كفروا واتقوا وعطفه على أطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم ﴿وأطيعوا الرسول﴾ أمرهم الله سبحانه بالذات
بما أمرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيدا للأمر بها وتقريرا لمضمونه على أن
المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية أيضا أي أطيعوه في كل ما أمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله
من الأمرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على أن المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع أي أطيعوه في سائر ما أمركم به إلى آخره
وقوله تعالى ﴿لعلكم ترحمون﴾ متعلق على الأول بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأوامر وعلى الثاني بالأوامر الثلاثة أي افعلوا ما ذكر
من الإقامة والإيتاء والإطاعة راجين أن ترحموا ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ لما بين حال من أطاعه عليه السلام وأشير إلى فوزه
بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان
تناهيه في الفسق تكميلا لأمر الترغيب والترهيب والخطاب إما لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان وإما للرسول صلى الله عليه وسلم
على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للإيذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع
صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى ﴿معجزين﴾ ثانيهما وقوله تعالى
﴿في الأرض﴾ ظرف لمعجزين لكن لا لإفادة كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك مما لا يحتاج إلى البيان بل لإفادة شمول عدم
الإعجاز لجميع أجزائها منها أي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من أقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا
كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لا يحسبن أحد الكافرين معجزين لله سبحانه في الأرض أو هو
الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الأرض وأما جعل معجزين
مفعولا أول وفي الأرض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة
في بيان كون المعجزين في الأرض وقد مر في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله تعالى ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة النهي
بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم النار أو على جملة
مقدرة وقعت تعليلا للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون ومأواهم إلخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون
﴿ولبئس المصير﴾ جواب القسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم إثر نفي فوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در
شأن التنزيل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ رجوع إلى بيان بقية الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة
فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيل والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص
أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روي أن غلاما لأسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي
الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بالإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد وقد أنزلت عليه هذه الآية ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والجواري ﴿والذين
لم يبلغوا الحلم﴾ أي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله ﴿منكم﴾ أي من الأحرار
﴿ثلاث مرات﴾ أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات
لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها ﴿من قبل صلوة الفجر﴾ لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها من قبل إلخ ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾
أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى ﴿من الظهيرة﴾ وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين
والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما أنبئ عنه
إيراد الحين مضافا إلى فعل حادث متقض ووقوعه في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال ليس
ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به
﴿ومن بعد صلوة العشاء﴾ ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما

المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ﴿ثلاث عورات﴾
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿لكم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات أي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة
وجوب الاستئذان أي هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الأصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى
بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ليس عليكم
ولا عليهم﴾ أي على المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ أي إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والاطلاع
على العورات ﴿بعدهن﴾ أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان
البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل كل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي
هو عبارة عن رفعه إذ الرخصة إنما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها
بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما على القراءة الثانية فهي مستأنفة
لا غير إذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا إثم في ترك الاستئذان
بعدهن وحيث كان انتفاء الإثم حينئذ مما لا تعلق له بالأمر هذا الكلام لم يتبين إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع
فإن انتفاء الإثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى ﴿طوافون عليكم﴾ استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان
وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات
﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار إليه والإيذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح
بمنزلة المشار إليه حسا أي مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات
عليها لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ولكم
متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل يبين علل الأحكام
وليس بواضح مع أنه يؤدي إلى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم
﴿حكيم﴾ في جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ لما بين حكم
الأطفال في أنه لا جناح في ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا
لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أي إذا بلغ الأطفال الأحرار
الأجانب ﴿فليستأذنوا﴾ إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ في حيز النصب
على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل الذي والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان
المعهودين عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع وإنما المعهود
المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أي فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع
الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ الكلام فيه كالذي
سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها ﴿والقواعد من النساء﴾
أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ أي لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن
ثيابهن﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو للوصف بها ﴿غير متبرجات
بزينة﴾ غير مظهرات لزينة مما أمر بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم
سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها سنها
للرجال ﴿وأن يستعففن﴾ بترك الوضع ﴿خير لهن﴾ من الوضع لبعده من التهمة ﴿والله سميع﴾ مبالغ في سمع جميع

فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم
اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر
والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة يؤذي قرينه وقيل كانوا
يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله
عز وجل في الاية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك
وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو وخلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا
اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون
من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال
من المؤمنين حرج ان تاكلوا اي تاكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا ياباه ما قبله وما بعده
فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه او بيوت
ابائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت
اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي يملكون التصرف فيها باذن
اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه
او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقارب وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات بل قالوا
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا اذا علم رضا صاحب
البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان حكم اخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين
كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل
معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت
معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير
من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار
لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما
عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا
عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به
مبالغة اي ليس عليكم جناح ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الاداب التي تجب رعايتها عند
مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين
بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه
ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة
مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى
لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها
من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليله بهذه الغاية

القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله استئناف
جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض اخر من جنسها وانما ذكر
الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدا مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا
بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه وهو قوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع معطوف على امنوا داخل
في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل
من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام
على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الاراء والتجارب
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة
كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه عليه السلام في الذهاب لا على ان نفس الاستئذان
غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برايه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذي هو من قبلهم وهو المعتبر في كمال
الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل
للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان
هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك
بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستئذان ليس بامر محتوم بل
مفوض الى رايه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعدما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك
لبعض شانهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فاذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله
فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الاخرة ان الله غفور مبالغ في مغفرة
فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة اثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم
في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال
وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا
دعاءه عليه السلام كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها
اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور
اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام
عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن
بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم تهديد للمخالفين امره عليه السلام فما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين
على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا
خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه
وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي
يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى
باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او حمله
على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الامر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا

أو يصيبهم عذاب أليم أي في الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الأمر للإيجاب فإن ترتب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما
ألا إن لله ما في السموات والأرض من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا إيجادا وإعداما بدأ وإعادة قد يعلم ما أنتم
أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق ويوم يرجعون إليه
عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم
لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقرره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه إشعار
بأن علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريق
الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيترتب عليه ما يليق
من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب
عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة

فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه
أيضا ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها
تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل
بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار
غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن
المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات وزيادتها شيئا فشيئا وآنا فآنا
بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالعلو والإشعار بالتعجب المناسب
للإنشاء والإنباء عن غاية التعظيم لم يجز استعمالها في غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين أي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصولا
بعضه من بعض في نفسه أو في إنزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وإيراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه
والإيذان بكونه عليه السلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون
غاية للتنزيل أي نزله عليه السلام أو الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا أي منذرا أو إنذارا مبالغة أو ليكون هو
إنذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وإيراد تنزيل الفرقان
في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها
على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والأرض أي له خاصة دون غيره
لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما
إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة
مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي لأنه من تمام صلته ومعمولة مضمونه
للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو النصب
ولم يتخذ ولدا كما زعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون سبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة
الظرفية ونظمه في سلك الصلة للإيذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له
شريك في الملك أي ملك السموات والأرض وهو أيضا عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى
مستتبع له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله

واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للأول وخلق كل شيء أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثا جاريا
على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منهما من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى
وخواص مختلفة الآثار والأحكام فقدره أي هيأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به تقديرا بديعا
لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع
المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع وقيل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازا من غير ملاحظة
معنى التقدير وإن لم يخل عنه في نفس الأمر فالمعنى أوجد كل شيء فقدره في ذلك الإيجاد تقديرا وأما ما قيل من أنه سمي
إحداثه تعالى خلقا لأنه تعالى لا يحدث شيئا إلا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث
لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى
وأيا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط
البديع كما يقتضي استقلاله تعالى بالاتصاف بصفات الألوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها
شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين
حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال
وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب وإظهار بطلانها
والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه
العظيمة من اختصاص ملك السموات والأرض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة
لا يخلقون شيئا أي لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء أصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون
على أن يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا لبيان
ما بنى عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان
وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر
لأن دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أي
لا يقدرون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو من هذه الأمور من دفع الضرر
وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه إيذان بغاية جهلهم
وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الأمور المذكورة مفتقرون إلى التصريح بذلك وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك
شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وإبطالها والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن
الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروي عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمساعدة الباقين له
في ذلك وأما عن وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار إليه
أي ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه أي على اختلاقه
قوم آخرون يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم جبر ويسار كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤوا ظلما منصوب بجاؤوا فإن جاء وأتى يستعملان
في معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أي جاؤوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره
حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إفكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه
الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة
للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزورا أي كذبا كبيرا لا يبلغ
غايته حيث نسبوا إليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب
الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثاني عين الأول حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى فإن ما جاؤوه

من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره • وقالوا اساطير الاولين • بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات • اكتتبها • اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه • فهي تملى عليه • اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لان اسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام • بكرة واصيلا • اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون • قل • لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق • انزله الذي يعلم السر في السموات والارض • وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الخفية والجلية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى • انه كان غفورا رحيما • تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها • وقالوا ما لهذا الرسول • شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميتهم اياه رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله تعالى • يأكل الطعام • حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل • ويمشي في الاسواق • لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد • لولا انزل اليه ملك • اي على صورته وهيئته • فيكون معه نذيرا • تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى • او يلقى اليه كنز • تنزل ايضا من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى • او تكون له جنة يأكل منها • تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم • وقال الظالمون • هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه السلام الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين • ان تتبعون • اي ما تتبعون • الا رجلا مسحورا • قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم • انظر كيف ضربوا لك الامثال •

استعظام للاباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع • فضلوا • اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين • فلا يستطيعون سبيلا • الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة • تبارك الذي • اي تكاثر وتزايد خير الذي • ان شاء جعل لك • في الدنيا عاجلا شيئا • خيرا لك • من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى • جنات تجري من تحتها الانهار • بدل من خيرا وتحقيق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار • ويجعل لك قصورا • عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتي في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما • بل كذبوا بالساعة • اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى • واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم اي لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتداد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى • اذا رأتهم • الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى • من مكان بعيد • اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة • سمعوا لها تغيظا وزفيرا • اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف • واذا القوا منها مكانا • نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له • ضيقا • صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه

عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون
يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء • مقرنين • حال من مفعول القوا اي
اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر
مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد • دعوا هنالك • اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة • ثبورا • اي هلاكا
هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا • على تقدير قول اما منصوب على انه
حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان تخاطبهم الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه
ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب
اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستانف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي
لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد • وادعوا ثبورا كثيرا • اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في
نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور اخر تحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه
من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل ان وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء
وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عنه
ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتعليق النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه
على انه ليس كسائر الايام المعهودة • قل • تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم • اذلك • اشارة الى ما ذكر من السعير
باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم
اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان اهلها ذيت وذيت • خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون • اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق
التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط • كانت • تلك الجنة • لهم • في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى
فهو كائن لا محالة فحكي تحققه ووقوعه • جزاء • على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم • ومصيرا • ينقلبون اليه • لهم فيها ما يشاؤون
اي ما يشاؤونه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له
من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان
خالدين • حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا او قيل من فاعل يشاؤون • كان • اي ما يشاؤونه وقيل الوعد
المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون • على ربك وعدا مسؤولا • اي موعودا حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه
المتنافسون او مسؤولا يساله الناس في دعائهم بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود
متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه
عليه السلام هو الفائز باثار ذلك الوعد الكريم ما لا يخفى • ويوم يحشرهم • نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله
تعالى قل اذلك الخ اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة
عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم
وبكسر الشين ايضا • وما يعبدون من دون الله • اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت
شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها

في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل • فيقول • اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا
للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريقة الالتفات الى الغيبة • أانتم
اضللتم عبادي هؤلاء • بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله سبحانه
ام هم ضلوا السبيل • اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول
كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه
قالوا • استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا • سبحانك • تعجبا مما قيل لهم
لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتاتى منهم
اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد • ما كان ينبغي لنا • اي ما صح وما استقام لنا • ان نتخذ من دونك • اي متجاوزين
اياك • من اولياء • نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا
او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه
اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة لتاكيد النفي او لياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام
ولكن متعتهم واباءهم • استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا
اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا
في الشهوات وانهمكوا فيها • حتى نسوا الذكر • اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في الائك والتدبر في اياتك فجعلوا اسباب الهداية
بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية • وكانوا • اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم
من الاعمال السيئة • قوما بورا • هالكين على انه بور مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى • فقد كذبوكم • حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله
تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة • بما تقولون • اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم
في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم
وايا ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك الاية • فما تستطيعون • اي ما تملكون • صرفا • اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي
لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة • ولا نصرا • اي فردا من افراد النصر
لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت
الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون
على صيغة الغيبة اي فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر
ومن يظلم منكم • ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا
في اللجاج كل حد معتاد • نذقه • في الاخرة • عذابا كبيرا • لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله
سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اصابة
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا • وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق • جواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة
بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم لياكلون الخ وقرئ يمشون على البناء

للمفعول اي يشبههم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب
والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض
رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد
البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين
ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين
ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة
من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع
المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى جعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى
اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس معنيا بالصبر بل بما يناسب حاله
على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير
فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل والمقصود به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم
لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد
كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره
صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر
ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير
مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه كما في قوله تعالى
اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء
ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب راسا
اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا
الملائكة اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم
او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناش عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا
في انفسهم اي في شانها حتى اجترءوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان
عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله
ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد
ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم
وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام
بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر
بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه
بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها
او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب
الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان
غير فيه الجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه

من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين
تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين
ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو
والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون بالعفو والشفاعة عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن فظاعة ما يحيق
بهم من الشر وغاية هول مطلعه اي انهم يقولون عند مشاهدتهم لهم حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور
وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكأن المعنى نسأل الله
ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون
نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه
عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع ومحجورا صفة لحجرا اريد بها التأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة
للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير
وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا
سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث
لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد
تشبيه والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة والهبوة هي الغبار ومنثورا صفته شبه اعمالهم المحبطة في حقارتها
وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين
اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ خير مستقرا
المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى
الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى ما يتزينون به من
الزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل
واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الآية هذا
وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء
اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام
الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت
الملائكة ونزل ونزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل
الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا
ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له
تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق
بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان
فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان احواله
واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بالرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله
عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله
المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديد الهول وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفاصلة واما للمؤمنين فيكون يسيرا

بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا
والجملة اعتراض مسوق لتقرير ما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي
عليه السلام فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافة فابى عليه السلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تاتيه
فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد
في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول حال من فاعل يعض وقوله لما
يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن
ضالا لا طريق لي قط يا ويلتا بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري فهذا
اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث
والفلان والفلانة من غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثا
عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء فان اريد بالظالم عقبة
ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني
وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر
تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني
عن ذكر الله تعالى او عن القران او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى
وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف
الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته
واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الاخرة وهو اوفق لحال ابليس وقال الرسول
عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الاخرة من الاهوال سؤال
والخطوب وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام اي قالوا
كذا وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يريد الذين
حكى عنهم ما حكى من الشنائع اتخذوا هذا القران الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب
كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان
من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القران
وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو
من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما حكي عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى
فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون
ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي

قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر
على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب
اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة وناصرا لك على جميع ما يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم
الخاص بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به
والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان
هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القران
الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور
حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها
تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استئناف وارد
من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك
التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح
المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد
في القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة
من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على ان في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث
امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى
ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله
تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا
وقال مجاهد جعلناه بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل قراناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشر سنين
او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا ياتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة
العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا ياتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حق القران الا جئناك
في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القاطعة
لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل الحق
اي اعطاك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما ياتون به له حسن في الجملة
وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا ياتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه
وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسئلة
وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القران على التدريج لما امكن ابطال
تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي
كانوا يقترحون كونه صلى الله عليه وسلم عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه
جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال
الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات
وياباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل واستئصالها
ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل
دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين

وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم بحيث ينسيهم عنده التعلق بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد أو بوجه إليها الجملة ومحل الموصول إما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى أولئك بدل منه أو بيان له وقوله تعالى شر مكانا وأضل سبيلا خبر له أو اسم الإشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الإسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأقوال المحقرة عليه السلام تضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى أخاه مفعول أول له وقوله تعالى هارون بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير أي جعلناه في أول الأمر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم بهذا عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أي فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم إثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له إذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملكة فرعون وإرشادهم إلى طريق ما في التوراة من الأحكام إذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أي ودمرنا قوم نوح وقيل معطوف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما بعد بيان سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل أي نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى أغرقناهم وإنما يستقيم ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لأنه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه مخل بعطف المنصوب على الآية عليه قوم نوح لما أن إهلاكهم ليس بالإغراق على الوجه المتقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم أي جعلنا إغراقهم أو قصتهم للناس آية أي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر عنها لكان صفة لها وأعتدنا للظالمين أي لهم والإظهار في موقع الإضمار للإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا أليما هو عذاب الآخرة إذ لا فائدة في الإخبار بإعداد العذاب الذي قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا أوليا ويحمل العذاب على ما هو الدنيوي والأخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين لأنه في معنى وعذبنا الظالمين وكلا ما بعده وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي أو على أنه اسم الأب الأقصى وأصحاب الرس هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد إذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها

وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أي دسوه في بئر وقرونا أي أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك أي بين ذلك المذكور من الطوائف والأمم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كذا وكذا على معنى فذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها إلا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الإجمالي لما أن كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الأمم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فإن ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة إما عن الأمم التي لم تذكر أسباب إهلاكهم وإما عن الكل فإن ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الأمثال المضروبة أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الأمثال أي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا أي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد أتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الأمم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أي وبالله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت أي أهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها إلا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواقي فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه إما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في أنبته الله نباتا حسنا أي إمطار السوء أو على أنه مفعول ثان إذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لإنكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من إتيانهم عليها لا لإنكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها أو ألم ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الأول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا إضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب إنكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفي عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الأخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور أي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما يشاهدونه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاق وأما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم إياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي من سورة الأنعام وقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزئون بك قائلين أهذا الذي إلخ والإشارة للاستحقار وإبراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة عليه السلام مع كونهم في غاية النكير لقصد تطبيق التهكم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد إن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا أي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوي لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها

ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الى آخره
وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث
شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم روي انه من قول ابي جهل ﴿وسوف يعلمون﴾ جواب من جهته تعالى
لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى
﴿حين يرون العذاب﴾ الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم ﴿من اضل سبيلا﴾ وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى
لا يهملهم وان امهلهم ﴿ارأيت من اتخذ الهه هواه﴾ تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية
قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه
والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما
في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارأيت من جعل هواه الها لنفسه
من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه
وقوله تعالى ﴿افانت تكون عليه وكيلا﴾ انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال
ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة
الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ﴿ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون﴾
اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة
واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما يتلى
عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني
بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها
وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ﴿ان هم الا كالانعام﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير
وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما شاهدوه
من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة ﴿بل هم اضل﴾ منها ﴿سبيلا﴾ لما انها تنقاد
لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي
لمراعيها ومشاربها وتأوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار
والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب
لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور
ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة
والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى
المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون
للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال ﴿الم تر الى ربك﴾ بيان لبعض دلائل
التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر للتقرير والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته اي الم تنظر
الى بديع صنعه تعالى ﴿كيف مد الظل﴾ اي كيف انشأ ظل اي مظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا
لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكونه بانشائه
تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاحوال
فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود

فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه
من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان
في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته
عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون
الصانع المجيد وقوله تعالى ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد
للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي
هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه
الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما يستدعيه النظم الكريم وينطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة
وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها
على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل
على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان
وقوله تعالى ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله
من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير
مع ما شاهده بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة
التراخي وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض معه مترتبا دائرا
على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه
بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع
المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى ﴿الينا﴾ للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان
حدوثه منه عز وجل ﴿قبضا يسيرا﴾ اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم
النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه
ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا
غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه
بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع ﴿وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا﴾ بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام
الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان
احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم
اللباس ﴿والنوم سباتا﴾ اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات
الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ﴿وجعل النهار نشورا﴾ اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ﴿وهو الذي ارسل الرياح﴾ وقرئ بالتوحيد على ان المراد
هو الجنس ﴿بشرا﴾ تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف
وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى ﴿بين يدي رحمته﴾ استعارة بديعية اي قدام المطر والالتفات

الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح
اي انزلنا بعظمتنا بما رتبناه من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة واهل انه ما يكون طاهرا في نفسه مطهرا
لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة
كما تقول ماء طهورا او اسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده
فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك
واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا باثبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار
على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك
الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمناقع والآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي
الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وساير الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للاناسي وعامة منافعهم
ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى
لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء
وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر
انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجميلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين
والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام
وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او على صفة تارة واخرى
طلا وجنادة ووقارية والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران
وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار
الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على ساير الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة
لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بما يلين قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن
بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين
على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان
مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شانه الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون
المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاينة والمداراة
كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا
جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فان بيت المقصد انما اللائق بالمقام
بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج
دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح

كردني بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا
كان كلا منهما يتعوذ من الاخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ
لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل
واختلاف الصفة مع مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الماء
الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة
فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء
مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى
اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك
فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل
لهم ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا اي فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك
بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان واستثني منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل
مع نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي
الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين
من شانهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال
طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها
بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات
الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشا هذه الاجرام العظام
على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة
لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن
مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه
تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه
في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع
روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر التحقيق في تفسير قوله عز وجل
الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسال به
اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا تبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة
فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشانه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء
بعد الذكر ليس كذلك وقيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسال به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل
من السداد بل التقدير ان شئت تحقق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسال معتنيا به خبيرا عظيم الشان محيطا بظواهر
الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسال به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة
حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا

مجيء ما يراد فيه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقرئ فسل • وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن • قالوه لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا
أنسجد لما تأمرنا • أي للذي تأمرنا بسجوده أو لأمرك لنا من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وقيل لأنه كان معربا
لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض • وزادهم • أي الأمر بالسجود للرحمن • نفورا • عن الإيمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا • هي البروج الاثنا عشر سميت وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره • وجعل فيها سراجا • هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار • وقمرا منيرا • مضيئا بالليل وقرئ قمرا أي ذا قمر وهي جمع
ولعل الليالي بالقمر تكون قمرا فأضيف إليها ثم حذف وأجري حكمه على المضاف إليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي
الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل أي ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة • أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن
يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس • لمن
أراد أن يذكر • أي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد
أو أراد شكورا • أي أن يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم أو ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه
في الآخر وقرئ أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر • وعباد الرحمن • كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن
وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والإضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده
من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الإشارة والأول هو الأولى لما فيه من إثبات
الأوصاف المذكورة لهم قصدا والإشعار بكون من عدا الموصوفين بها خارجين عن رتبة العبودية وفيه من المبالغة
في الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى وقرئ عباد الرحمن أي عباده المقبولون • الذين يمشون على الأرض هونا
أي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه إما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أي يمشون هينين
لينى الجانب من غير فظاظة أو مشيا هينا وقوله تعالى • وإذا خاطبهم الجاهلون • أي السفهاء كما في قول من قال ألا
لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا • قالوا سلاما • بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم
في أنفسهم أي إذا خاطبهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به
من الأذية والإثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبي العالية وقوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم أي يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحيون
الليل كلا أو بعضا بالصلاة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل • والذين يقولون • أي
في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم • ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما • أي شرا دائما وهلاكا
لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون
إلى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون
إنها ساءت مستقرا ومقاما • تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز
أن يكون تعليلا للأولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه
ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن أو جعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت
وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الأول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا احتمال التعليلين
من جهته تعالى • والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا • لم يجاوزوا حد الكرم • ولم يقتروا • ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل
الإسراف هو الإنفاق في المعاصي والقتر منع الواجب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبضمها مخففة ومشددة مع ضم

وكان بين ذلك • أي بين ما ذكر من الإسراف والقتر • قواما • وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما
وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز
أن يكون اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فإنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله إلها آخر • شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات وذكر نفي الإشراك
والقصد لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الإشراك مع ظهور أنهم لإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والإخلاص
وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أي لا يعبدون معه تعالى إلها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله • أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة • إلا بالحق • أي
لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلا ما إلا قتلا متلبسا بالحق أو لا يقتلونها
في حال من الأحوال إلا حال كونهم متلبسين بالحق • ولا يزنون • أي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي
جمعهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة مكبين على الزنا لا يرعوون
عنه أصلا • ومن يفعل ذلك • أي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين • يلق • في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد
مجزوما • أثاما • وهو جزاء الإثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الإثم أي يلق جزاء الإثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ
أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب • يضاعف له العذاب يوم القيامة • بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف
ونضعف له العذاب المضاعف • مهانا • ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الإخلاد
والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب وتضاعف العذاب لانضمام المعاصي إلى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى
إلا من تاب وآمن وعمل صالحا • وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته
للأعمال السابقة • فأولئك • إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه أي
أولئك الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح • يبدل الله سيئاتهم حسنات • بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها
لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية وقيل بأن يوفقه لأضداد
ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا
وكان الله غفورا رحيما • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والإثبات • ومن تاب • أي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم
عليها • وعمل صالحا • يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات • فإنه • بما فعل • يتوب إلى الله • أي
يرجع إليه تعالى • متابا • أي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا إلى الله تعالى
الذي يحب التوابين ويحسن إليهم أو فإنه يرجع إلى الله تعالى أو إلى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص • والذين لا يشهدون
الزور • لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه • وإذا مروا على طريق
الاتفاق • باللغو • أي ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه • مروا كراما • معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه
والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به • والذين إذا ذكروا
بآيات ربهم • المنطوية على المواعظ والأحكام • لم يخروا عليها صما وعميانا • أي أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين
لها بعيون راعية وإنما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو
والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين • بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده
أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم
في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ ذريتنا وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة تعظيما
وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالنسبة إلى غيرها • واجعلنا للمتقين إماما • أي اجعلنا بحيث يقتدون
بنا في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا

او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار
الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد
واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق شركة غيره في استدعاء الامامة وليس بجائز بل الظاهر صدوره
عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير
للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم
بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات
بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله
له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل
الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اولئك
اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز
منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى
يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا
من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به
الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اي تحييهم الملائكة ويدعون لهم
بطول الحياة والسلامة عن الآفات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كما في مقابله
قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون
انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم
ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته
تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام وقيل معناه ما يصنع بكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين
كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه انتم ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل
فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لعموم الخطاب
للفريقين وفائدة الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهم
في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه
الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان
وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير حساب

سورة الشعراء آياتها مائتان وست وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد
بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس او النصب بتقدير
فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة ذلك في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا

على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما تحققته هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه
في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب
القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى
هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك
باخع نفسك اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع
نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا
مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل ما
يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئته تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته
ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم
الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي
منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل
لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء
والجماعات منهم يقال جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر
والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى
مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه
وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق
شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحض لمنفعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة
من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم
من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا
للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم
لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به
يستهزئون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه
حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء
ما كانوا به يستهزئون وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم
واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ
لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزئون به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها
اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب
والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه الى
وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان
وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف بهيج والكريم
من كل شيء مرضيه محموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر دون ما عداه من الاصناف
لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع الاصناف النابتة فيها ضارها ونافعها ويكون وصف الكل بالكرم

للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا فإن الحكيم لا يكاد يفعل
فعلا إلا وفيه حكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كنهها العاقلون إن في ذلك إشارة إلى مصدر
أنبتنا أو إلى كل واحد من تلك الأزواج وأيا ما كان ففيه من معنى البعد ما لا يخفى للإيذان بعلو منزلته في الفضل لآية أي آية
عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان وازعة عن الكفر وما كان أكثرهم
أي أكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل أي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم أزلا أنهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم
الذي عليه يدور أمر التكليف إلى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما أكثرهم
مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الإيمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم إلى علمه
تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لأن ما أشير إليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين
كأنه قيل إن في ذلك لآية باهرة موجبة للإيمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي
والجهالة ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن وإن ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الأمور
التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم
الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام
من الكفرة ما لا يخفى وإذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات
التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى إياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم
فرعون بسبب تكذيبهم إياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين
الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم
على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا أن ائت
حذف عنها الجار القوم الظالمين أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ما ورد
في حيز النداء وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى إني أنا ربك إلى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وإنما ما جرى في قصة
واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الأعراف عند قوله تعالى قال أنظرني قوم فرعون
بدل من الأول أو عطف بيان له جيء به للإيذان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وإن اقتصار
على ذكر قومه للإيذان بشهرة أن نفسه أول داخل في الحكم ألا يتقون استئناف أتبعه عليه السلام إرساله إليهم للإنذار
تعجيبا من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المبني على زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم
أدى إلى مشافهتهم بذلك وهم وإن كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه
إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون
بمعنى ألا يا ناس اتقون نحو ألا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل
قال متضرعا إلى الله عز وجل رب إني أخاف أن يكذبون من أول الأمر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان
على أخاف فأرسل أي جبريل عليه السلام إلى هرون ليكون معي وأعاضدني في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء
ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب
عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه إذا اعترته حبسة حتى لا يختل دعوته ولا تنقطع حجته
وليس ذلك من التعلل والتوقف في تلقي الأمر في شيء وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق
بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا إشارة إلى قصة مبسوطة في غير موضع فأخاف

أي أن ابتهم وحدي أن يقتلون بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضا تعللا وإنما هو استدفاع للبلية
المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف
وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى إنا معكم مستمعون تعليل
للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون
اعتبر ههنا في المعية قبل أجريا مجرى الجماعة وثنيا بالضمير فيما قبله وما بعده من ضمير التثنية أي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل
حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإعانة أو استعير
الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء
في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد
للأمر بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المأتي لا مجرد التوجه إليه كالذهاب وإفراد الرسول إما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما
أو لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى أن أرسل معنا بني إسرائيل مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول
ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما إلى الشام قال أي فرعون لموسى عليه السلام بعدما أتياه وقالا له ما أمرا به روي
أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن
له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك ألم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا
أي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين
وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة
سنة وفر منهم على إثر ذلك والله أعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لأنها كانت نوعا من القتل وأنت من الكافرين
أي بنعمتي حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصي أو أنت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام أو جهل أمره حيث كان
يعايشهم بالتقية وإلا فأين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه
من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل
ومكذبا فيما نسبه إليه من الكفر فعلتها إذن وأنا من الضالين أي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعم افتراء
أي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهلين عما يؤدي إليه الوكز أو الناسين
كقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ففررت منكم إلى ربي لما خفتكم أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما
لا أستحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما أي حكمة أو نبوة وجعلني من المرسلين ردا أولا بذلك ما وبخه به
قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان
في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار
أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت بني إسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر بإضمار
الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها
علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لأن المنة منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام
تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في أمره وعدم تأثره بما قدمه من الإبراق والإرعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام
فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام أي أي شيء رب العالمين الذي
تدعي أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري ونظائرهما
وعيده عند تمام أجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والأرض وما بينهما بتعيين ما أراد

بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين
بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال
اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن
عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام
مع كونه مما لا يليق بان يعبأ به امر حقيق بان يتعجب منه كأنه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر
لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق ربكم ورب آبائكم
الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف
من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التوكيد
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه
ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه
الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما وان لم يكن فيه تصريح باستناد
حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق
معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها
على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات
والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها واستغنائها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون
شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل
في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام
تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة
ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ومال بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام
ان يتخذ الها غيره لغاية عتوه وغلوه فيما هو فيه من دعوى الالوهية وهذا اصرح في ان تحيره وتعجبه من الجواب الاول ومسلكه عليه السلام
في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم
مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت
احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل
ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين
الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل فالواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان
يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة وتعلق الحكم بها بعد ما يظهر تحققه مع ما عداه
من الاحوال التي لا تنافيه وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطي
لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على انها

الواو للحال وتقدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى انفعل ذلك في
حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال المجيء به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما دل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال
في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى
قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء
الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي
والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا
ارجه واخاه اي اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة يأتوك اي الحاشرون
بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك
ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك
وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي وقيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم
بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون
ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف
احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم
وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه
وفيه دليل على ان قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين
بدل اشتمال من القوا او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم
ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزات القاهرة
قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك
غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون
اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له او وعيد به قالوا اي السحرة
لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم
لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا
من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع

ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين وقرى ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
المدل بامره كقول العامل لمستاجر اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة
الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين الايات وقرى بكسر النون ووصل الالف من سرى وان سر
من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول
الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المداين حاشرين جامعين
للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا
بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع
عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف
الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم
لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرى حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات
وقيل الحاذر المودي في السلاح وقرى حادرون بالدال المهملة اي اقويا واشدا وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك
حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم
او صفة لمقام كريم اي مقام كريم كان كذلك او خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي
ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها
فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرى فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس الى طلوعها فلما تراءى الجمعان
تقاربا بحيث يرى كل واحد منهما الاخر وقرى تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية
موكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرى لمدّركون بتشديد الدال من ادرك الشي
اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي
بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت
فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان
وروي ان مومنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل
فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الاخرين
اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
الى البر ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه
من المعجزات القاهرة وفيما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وفي اسم الاشارة من معنى البعد
لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الاية في قوله تعالى لاية اي اية اية وانه عظة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون
ويقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه
من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويومنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة
من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق

موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصصهم منه
عليه السلام مومنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين
ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصصهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يودي الى الايمان
قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مومنين على ان كان زائدة كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى اخره وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز
ان يجعل كان بمعنى صار كما قيل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مومنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة
له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال الجهة وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الاية
وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة
ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الاية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل
من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مومنين حيث لم يومن منهم الا آسية وحزقيل
ومريم ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام
انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين
بعد ما شاهدوا بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب
فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم
وعد المومنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخراج عدم مشاركتهم لهم في شي مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل
عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ نادى اي واتل على المشركين نبا ابراهيم اي خبره
العظيم الشان حسبما اوحي اليك ليقفوا على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحدى الطريقتين اذ قال منصوب
اما على الظرفية لنبا اي نباه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما
تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم انما يعبدونه بمعزل من استحقاق
العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسالونك
ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم
قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها
وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استيناف مبني على سوال نشا من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاكم على حذف
المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرى هل يُسمعونكم من الاسماع
اي هل يسمعونكم شيئا من الاشيا او الجواب عن دعاكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم
بعبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب
نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار
ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون
فاقتدينا بهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم واباوكم الاقدمون حق الابصار
او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم

لحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان
الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها
نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها
بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الا رب العالمين) استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك
بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول
الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى (الذي خلقني) صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ
وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل انما وصفه تعالى بذلك وما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا
بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية
والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى (فهو يهدين) اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور
الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل
ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا
مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم (والذي هو يطعمني ويسقين)
عطف على الصلة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول
للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف
(واذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمني ويسقين نظما لهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات
الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام
فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدأ واعادة وقد نيط
امر الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى (والذي يميتني ثم يحيين) على ان الموت لكونه ذريعة
الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام (والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين)
ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه
عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله
عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر
وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع انها
معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة
فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان
هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ
يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر (رب هب لي حكما) بعدما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف
الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة
التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقني بالصالحين) ووفقني من العلوم والاعمال والملكات
لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد
اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره
الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس
الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام (واجعلني) في الآخرة
(من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم (واغفر لابي) بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى
(انه كان من الضالين) اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه (ولا تخزني) بمعاتبتي

على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه
عليه السلام او بتعذيب ابي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية
بمعنى الحياء (يوم يبعثون) اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عن تخصيصه
بالضالين مما يخل بتهويل اليوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون) بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه
من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا
صلحاء مستأهلين للشفاعة احدا (الا من اتى الله بقلب سليم) اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع
كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا
مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو
من اتى الله الآية وقيل المضاف محذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا
حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه
المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الا ههنا
منقطع المعنى لكن سلامة قلبه تنفعه (وازلفت الجنة للمتقين) عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة
معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع
ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونه من الموقف ويقفون على ما فيها
من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان
والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها
مصرفا (وقيل لهم اينما كنتم) في الدنيا (تعبدون من دون الله) اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف
(هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل
(فكبكبوا فيها) اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها (هم) اي آلهتهم (والغاوون) الذين
كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم
(وجنود ابليس) اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر
فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه (اجمعون)
تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى (قالوا) الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل
بهم ما فعل فقيل قال العبدة (وهم فيها يختصمون) اي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم
والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام
مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق
(تالله ان كنا لفي ضلال مبين) ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية
اي ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم
في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى (اذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم
في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف
لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش
وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم (وقولهم وما
اضلنا الا المجرمون) بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم
بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او بكونه بسبب اضلال الغير كما قيل وما صدنا
عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى

المؤلف

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه
نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من
سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام فما لنا
من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء او فما على ان عدمهما كناية عن عدم النفع كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله
لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا
منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته
او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمني كلت
لما بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط
وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم
كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة وللبس
عباءة وتقر عيني كما تشتد كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة
على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان
بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش
وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلف لهم جنات النعيم
وبرز لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لاية اي اية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام
كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها
خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه
من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان قطعا وما كان
اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان
ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام
الا طغيانا وكفرا حتى اجترءوا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاه الله
عزوجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في اخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة
لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث
ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف
باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة
واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان ممتد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر
كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون
الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما
امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر ان اجري
فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها من تنزهه عليه السلام
من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف
اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل
على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب واكلب وكلب وقرئ واتباعك
وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي

وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا
وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان
النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه
من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم
والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه
المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك
فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حسب
جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم
عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان
الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون
تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله
فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي
من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم
وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد كذبت
عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان
المراد بتكذيبهم وما وقع فيه من الزمان ما ذكر في صدر قصة نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر
وتصدير القصص بها للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب
وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار
وانهم منزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ الماء
وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك
تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب
ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا
الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين اعاد
الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف
عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب
كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم
بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشريه اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين
اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم
مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحيوة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء

اى اخلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اى اصروا على ذلك فاهلكناهم بسبب ريح صرصر
ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون الله تعالى انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اتتركون فيما ههنا آمنين انكار ونفى لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة فى تخليه تعالى اياهم واسباب تنعمهم
آمنين وقوله تعالى فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف
الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر
من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله
واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر
الى امره مجازا الذين يفسدون فى الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
لبيان خلوص فسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم
او من ذوى السحر اى الرئة او من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت
من الصادقين اى فى دعواك قال هذه ناقة اى بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام كما مر
تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر
فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر
الى كلهم لان عاقرها عقر برايهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند
معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود ان فى
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء الى انه
لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانه جرى بان قريش
هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اى اتاتون من بين بنى آدم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتونهم من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة
النساء فيهم كانهن اليسوا لا استمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر
او للتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متعدون متجاوزون الحد فى جميع المعاصى وهذا من جملتها او فى متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر
الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اى عن تقبيح امرنا او نهينا او عن دعوى النبوة التى من جملتها
التعرض لنا لتكونن من المخرجين اى من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف
وسوء حال قال انى لعملكم من القالين اى من المبغضين غاية البغض كانه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ
من ان يقال انى لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من جملة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عليه
السلام اراد اظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه
الى الله تعالى قائلا رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اى اهل
بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امرأة لوط استثنيت من اهله

فلا نضره كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج فى الغابرين اى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت
مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر فى الطريق فاهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية
ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اى مطرا
غير معهود وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف
فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة تقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث
اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف
وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم
وانما كتب ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ اللافظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق الناس بالتطفيف وزنوا
اى الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص
بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم
والجبلة الاولين اى وذوى الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا
انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة
فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اى فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اى قطعا وقرئ بسكون السين
وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر
بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه
ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم فى وقته المقدر له
لا محالة فكذبوه اى فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء
السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم
يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء
ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا
روى ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب
يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الظلة والداهية التامة ان فى ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام
عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما ياتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول
قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا
بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا فى شان الآيات الكريمة الناطقة
بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال
كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة
بالقصص المحكية او القرآن الذى هى من جملته لتنزيل رب العالمين اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى
بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى
انزله الروح الامين اى جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاى ونصب الروح

والأمين أي جعل الله تعالى الأمين نازلا به على قلبك أي روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية
تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين
متعلق بنزل أي أنزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام
في سلك أولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى
ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضا متعلق بنزل وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار وللإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين
المذكورين عليهم السلام مجرد إنزاله عليه عليه السلام لا إنزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي إلى أن
الإنزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطائفة المذكورة
في باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيرا في قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه السلام لانتمائهم
إليه وادعائهم أنهم على ملته عليه السلام وإنه لفي زبر الأولين أي وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة فإن أحكامه التي
لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ
والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح أولم يكن لهم آية الهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه في زبر الأولين
على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر
قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى أن يعلمه علماء بني إسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أن يعرفوه
بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه
بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو
بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع
جمع السلامة وقرئ الأعجميين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم
قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة
شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من
وليس بذاك فإنه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه أي مثل ذلك السلك البديع
المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث
النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة بإنزاله وبعثة من أنزل عليه
بأوصافه لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون
على ما هم عليه حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان فيأتيهم بغتة أي فجأة في الدنيا والآخرة
وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الإيمان وتمنيا للإمهال لتلافي ما فرطوه وقيل
معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موضع الإيضاح
والتلخيص له أو في موضع الحال أي سلكناه فيها غير مؤمن به والأول هو الأنسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد
أدلة الإيمان وتأخذ مبادي الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله
ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين أفبعذابنا
يستعجلون بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب
كما وصف من طلب الإنظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم
فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون إلخ وإنما قدم الجار والمجرور
للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل أفرأيت لما كانت الرؤية من أقوى

أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء
لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متعدية إلى المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها
صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي الجمهور أي فأخبرني إن متعناهم سنين متطاولة بطول الأعمار وطيب المعاش
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما أغنى عنهم أي شيء أو أي إغناء أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي كونهم
ممتعين ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأياما كان
فالاستفهام للإنكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والأول هو الأولى لكونه أوفق
لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بشيء من ذلك
أصلا وقرئ يمتعون من الإمتاع وما أهلكنا من قرية من القرى المهلكة إلا لها منذرون قد أنذروا أهلها إلزاما
ذكرى أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد
لفعل هو صفة لمنذرون أي إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى
لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على
أن لكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الإنذار
والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال
نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله
ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين
على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين وما ينبغي لهم أي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون
ذلك أصلا إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات
والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن
الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون
من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد
الإخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف
بمن عداه وأنذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام
بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا
أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم
ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أي لين جانبك
لهم مستعار من حال الطائر فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو لغيره
أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان فحسب فإن عصوك ولم يتبعوك فقل
إني بريء مما تعملون أي مما تعملونه أو من أعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه
يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم أي إلى التهجد
وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام
تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة
أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أممتهم وإنما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام
التي بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبئ عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه

انه هو السميع بما يقوله العليم بما ينويه ويعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اى تتنزل بحذف احدى التائين
وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن
ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لانها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل امن فحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل
من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة والتخصيص لهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول
صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شئ من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام
يلقون اى الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب
تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اى فيما قالوه من الاقاويل
وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع من المسموع
من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم
على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجنى واما اكثرهم كاذبون وما اكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم
حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى
يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اى يلقون السمع اى المسموع
من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما
تكلمت الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا يساعده حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم
الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرح به اما حال من ضمير تنزل بعيدة لمقارنة التنزل الالقاء
او استئناف مبين للغرض من التنزل مبنى على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال
ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا
تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا
يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم
المذكور قبله غير حقيق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء
اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على
لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل او ان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول
فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون
على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال
انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم
من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم
بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام
والمعنى ان الشعراء يتبعهم اى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون
وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق
الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب
لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء اى الم تر ان الشعراء في كل واد
من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون
على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة
ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد

بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه
من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف
بشئ من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية
وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا
الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة
مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء
ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم
بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء
قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف
ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله
تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها
والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد
بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى الذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فو الذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان رضي الله عنه
قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم
من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله
ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين
يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل اربع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة
ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى والاشارة
الى السورة وكونه مبتدأ وجهها فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك
تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها
اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما ستعرفه وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلتها في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة مقررة لما افادته التسمية
من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة سورة الحجر
اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب
عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب
او مبين لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وتفخيم
شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه
قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها

وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في صورة الحجر نظرا الى ما ذكر
هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار انه
فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب
على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل
معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى
هدايتها لهم وهم مهتدون انها زيدتهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى
بشارتها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية
مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب
او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون
فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها
من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث
جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان
حسنها في نفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم
فهم يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها
من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد
المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكسهم في الامور اولئك
اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم
سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس
خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف سيق بعد بيان بعض شؤون
القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق
التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقته
عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم
يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار
بان في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية
وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض
من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلم
لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا اني آنست نارا
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد المسافة وتأكيد الوعد والجمع
ان صح انه لم يكن معه عليه السلم الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس
بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ
بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس

نقبس كالجمرة وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عنه ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان
بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه
اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام
من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
ومن حول مكانها وهي ما حولها من الارض وظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة
بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد
موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى
اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان
بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون ومن احكام ربوبيته تعالى للعالمين
يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير للشأن وانا الله جملة مفسرة له او راجع الى المتكلم
وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي
القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق
عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك
بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة
تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده وقوله تعالى
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان
اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي
او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات
بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا
واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت
منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلم فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به
من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما
لقوله عليه السلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها
وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها
على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع
على انه استئناف بالارسال فيتعلق الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة
اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث
انها تهدي والعمى لا تهتدي فضلا عن ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا

هذا سحر مبين • واضح سحريته • وجحدوا بها • أي كذبوا بها • واستيقنتها أنفسهم • الواو للحال أي وقد استيقنتها
أي علمتها أنفسهم علما يقينيا • ظلما • أي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتها
العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لأنفسهم وليس بذاك • وعلوا • أي استكبارا عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين • من الإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر
مشهور فيما بين كل باد وحاضر • ولقد آتينا داود وسليمان علما • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عليه السلام تلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام
وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام
وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة اللبوس ومنطق الطير أو علما سنيا غزيرا • وقالا • أي قال كل واحد منهما شكرا لما أوتيه
من العلم • الحمد لله الذي فضلنا • بما آتانا من العلم • على كثير من عباده المؤمنين • على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنهما
عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازا فإن حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل
مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد أفلح المؤمنون وبهذا ظهر
حسن موقع العطف بالواو والمتبادر من العطف بها ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط وقيل
في العطف بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد
آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فالكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت
علما وإياما وتبيين الكثير بالمؤمنين فإن خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما
وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي
لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله وأن يتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم
كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر • وورث سليمان داود • أي النبوة والعلم
أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر • وقال • تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس
إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها • يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء • المنطق في المتعارف
كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة
وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه
ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين
تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه
وأرضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن همه الدنيا والديك
يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد عليه السلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع
بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل لتهيبه الرعية لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في أوامره
ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شيء كثرة ما أوتي كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد كثرة
قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما يهمه من أمر الدنيا والآخرة
وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح • إن هذا • إشارة إلى ما ذكر من التعليم
والإيتاء • لهو الفضل • والإحسان من الله تعالى • المبين • الواضح الذي لا يخفى على أحد أو إن هذا الفضل الذي

أوتيه لهو الفضل المبين على أنه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس إلى الغزو
فإن إخبارهم بإيتاء كل شيء من الأشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك بمعنى قوله تعالى
وحشر لسليمان جنوده • جمع له عساكره • من الجن والإنس والطير • بمباشرة مخاطبيه فإنهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته
من الثقلين وغيرهم بتسخير الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة
سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير • فهم يوزعون • أي يحبس
أوائلهم على أواخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة
ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه إشعار بكمال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم
بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضا لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير
السريع وهذا إذا لم يكن تسييرهم بتسيير الريح في الجو روي أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به
مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني
قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته
الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى
خير مما أوتي آل داود • حتى إذا أتوا على واد النمل • حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كما في قوله تعالى
حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى إذا أتوا
وادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل أو بالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية
الفعل إليه بكلمة على إما لأن إتيانهم كان من فوق وإما لأن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ
آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء وقوله تعالى • قالت نملة •
جواب إذا كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل • يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم • مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو
الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت
بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى • لا يحطمنكم سليمان وجنوده •
نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها لهم عن التأخر في دخول مساكنهم وإن كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أرينك
ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة
وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى • وهم لا يشعرون • حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم
بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الإيذان بأنها عارفة بشئون سليمان وسائر الأنبياء
عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والإيذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك • فتبسم ضاحكا
من قولها • تعجبا من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى
والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعد من إدراك أمثال هذه الأمور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها
روي أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن • وقال •

رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك
اصلا وقرئ بفتح الياء اوزعنيَ التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه
مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين كأنه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول أهو
غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق
بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة
على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني او ليأتيني بنون مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف
ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء
اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاج
فيجيء الشياطين فيسلخونها كسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى
هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها
اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد
اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو
مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى
فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ
بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف
التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون ايرادها
بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونبهها عليه السلام حثا على جنابه فيحتاج الى الاعتذار
عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر
اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد
الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم
انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فوقع منه ما ذكر لترويج كلامه عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره
واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبإ
بنبإ يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبإ الذي
هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والاحاطة اصدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء
الايزاع حتى يتبوأ بالحكمة الالهية بتعجبه عليه السلام على تركه وسبأ منصرف على انه اسم للحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب
بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي
لا غير وعدم توقف سليمان عليه السلام على نبأهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلوه عنها تعالى

من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام
بها وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم باهرة يستأثر بها
علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من النبإ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس
بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت
بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما اشير اليه
من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كأنها طلبته
وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبإ على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها
واوتيت من كل شيء اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا
وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة
ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها
او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام
لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر
قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم
الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل
اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم الخبيثة دون تقويم طرق كفرهم وضلالهم من ضرورته تنكب طريق الحق
الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين
على حذف اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا له تعالى او زين لهم اعمالهم لئلا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم
وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا او هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا
من جهة الله عز وجل او من سليمان وتوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واما
فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ الا تسجدون وهل لا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء
في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده
تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره
التي من جملتها ما اودعه الله في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون
وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان
المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم
الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من افقها
بعد استتارها وراءها وانزال المطر وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع
الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ
الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب علم ان ما حكي
من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف
التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام
نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ

من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر
بمعنى التأمل والسين للتأكيد اي سنعرف بالتجربة البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت
واسارها عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين
فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق
اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب
بكتابي هذا فالقه اليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله بعدما كتب كتابه في ذلك
المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف
لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى
فيه فانظر اي تأمل وتعرف ماذا يرجعون اي ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم
دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا
بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه
وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة
كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي
الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله
اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت
انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم
وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه
بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة ان لا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل
جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه
ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تجاوزوا حدكم واتوني
مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الايمان مستتبع للانقياد
حتما روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي
واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها
على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها
بما في حيزه من قولها يا ايها الملأ افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت
عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل
المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب
ارائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن اولوا قوة في الاجساد والالات والعدد واولوا باس شديد
اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون
لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع رايك ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي
والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى المحاربة والعدول عن سنن الصواب شرعت
في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شان سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية

من القرى على منهاج المقاتلة والحراب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون
تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله
عز وجل على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي واني مرسلة اليهم بهدية
تقرير لرايها بعدما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة
على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون
حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل
مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب
وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف
قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك
في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل
الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر
باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ
والانس والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت
اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحقة واخبره جبريل عليه السلام
بما فيها فقال لهم ان فيها كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا
للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاءوا والاول اولى لما فيه من تشديد
الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم
اياه عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى فما اتاني الله اي
راتيم اثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما اتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى
هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى اخرها بعدما جرى بينه وبينهم ما حكي من القصة
وغيرها كما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء وقرئ اتمدوني بالادغام
بنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال
الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث
الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح
وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى
بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا
بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم
اي الى بلقيس وقومها فلناتينهم اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم
على مقاتلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبا اذلة اي حال كونهم اذلة بعدما كانوا
فيه من العز والتمكين وفي جمع الذل والصغار تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة
لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية

نفسه بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فلما اتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملا ايكم يأتيني بعرشها قاله
عليه السلام لما دنى مجيء بلقيس اليه روي انه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمن عليه السلم قالت قد علمت والله
ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك
ثم اذنت بالرحيل الى سليمن عليه السلم فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها امرت فجعل عرشها في اخر
سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلم
باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه او لا وتقييد الاتيان بقوله تعالى قبل ان يأتوني
مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون
اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذها الا برضاها قال
عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا
انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما
صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به
في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختلس منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به
من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان
عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله تعالى به عليهم السلم وقيل هو سليمان
نفسه وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود
ومن الله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده
انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد
العفريت استغني عن التاكيد وطوي عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة
على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل
داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه
اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما ترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلم
اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة
الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده تأكيد لهذا المعنى
لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده
منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام وخلص عباده
هذا اي حضور العرش بين يدي في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي
تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه
ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر
فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران
ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال
اي سليمن عليه السلم كرر الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلم تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة
لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم
على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى

ورسوله

ورسوله عند رؤيتها تقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا
من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان
امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية
التجربة التي قصدها سليمن اي فلما جاءت بلقيس سليمان وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمن عليه السلم
بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر
بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلم بسخافة عقلها
قالت كأنه هو فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه من التنكير
من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلم واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عليه السلم اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم
بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك
وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت
تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك
عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها
كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة
سليمن عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدل من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى
واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلم وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لما
فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة
وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الى آخر
اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده من قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني
الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمن عليه السلام
امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره
ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا
لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فيفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا
ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها
شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقيها ورجلها فلما رأته
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا
وشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها
الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلم وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة
وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها
حملا للمفرد على الجمع في سؤق واسؤق قال عليه السلم حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء
صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي
بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمن
تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها

بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس
ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام ملقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف
اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وانّ في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى
القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد
من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم
وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه
تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير
التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد بك اي بشؤمك
وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال
طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم
قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ما ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي اشخاص
وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع
ابن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة فقط افسادا لا يخالطه
شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا
من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه
السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام تقاسموا بالله امر مقول لقالوا او ما
وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلنهم وقرئ
بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء والنون وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح
وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا اهلاكهم او وقت اهلاكهم او مكان اهلاكهم فضلا ان تولينا
اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال
انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك
ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون
او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر
وكيف معلق لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم
الخ بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم او خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت
اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ والتعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار
اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فلا وجه حينئذ ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ

تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم بالكسر على الاستئناف روي انه لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل
شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك
بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور
حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر
من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون
بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي
وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه
وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل نصب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اي وانجينا
لوطا وهو بعيد أتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل
تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب
اي تعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم
لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد
للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربيح التقبيح
وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة
بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء
ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات
مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها
اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين
قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر من
الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بعد قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى
وعظم شأنه وما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم
وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض
عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك مضمون ما نطق به قوله
عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده على ما افاض عليه من نعمه
العظمى التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين
قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين
وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش
والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون اي الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه

من الاصنام ورجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس
فيما اشركوه به تعالى شائبة خير حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ يشركون بالياء
الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم
وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات
وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل
على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد
واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق
على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات
وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه
قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف ومع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان يشركون ههنا
بالخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي
منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجل
منفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة
اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها
وسائر صفاتها البديعة حرام ما يشركون وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال
على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته
تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال
مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما نص عليه بتقييدها بقوله
عز وجل ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة
حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي اله آخر كائن
مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت
لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد
فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه
راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد
نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط
كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل بانهم
تعالى في العبادة مما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل أإله آخر مع الله في خواص
الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده
تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين الاولين والاول هو
الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والادخل في الالزام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى راسا
لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ الها
باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او أتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم
بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق الواضح الذي هو
التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة

ام من جعل الارض قرارا وما بعده بدل من ام من خلق السموات الى آخره وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكمها حكم
واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه اخر ادخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها
حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي
اي جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من
المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة
وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله
مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان
ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره ام من يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجأه الى اللجأ
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر
ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفا فيها بان ورثكم سكناها والتصرف
فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجليلة
قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري
مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر منهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح
بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ يتذكرون على الالتفات ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام
ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة
ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري
في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها في الهواء فلا ريب في ان الاسباب
الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله نفي لان يكون
معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة
الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات
مقهورة تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان
كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث
ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها امر التكوين
حرام ما يشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء اصلا أإله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له
في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل
على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه
من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم
تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة
عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع
ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم
كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع
عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون

ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وآن
وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سبق من الضمائر الخاصة
بهم قطعا وقيل للكل فيمن والاسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك
علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ فيه وقرره بان اضرب عنه
وبين انهم في جهل فاحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان
معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق
لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز
بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء ساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها
مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب واسفل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل
بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع
فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد واقطع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون
دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفي قراءة الحسن البصري بالتحمل علمهم وقيل كلتا الصيغتين
على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة
فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تع
بل هم منها عمون اضراب آخر من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اسوأ واقطع من الشك وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سلوك
لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل
مبالغة والاضرابان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل
فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل آادرك بهمزتين وبل ءا ادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك
بفتح اللام وتشديد الدال واصل بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى أأدرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثلاث عشرة
قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو
ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون
او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي لمخرجون من القبور اذا
ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج
بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل
بالتأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا
اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر
قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين
تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه
من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير
عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق
في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان ويجوز ان يكون

المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود
ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف
اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام
وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك
بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى
وعد الله تعالى ووعيده واشار بما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الى آخره لكونه ادل على تحقق الوعد وان
ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه
من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون
من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى
يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما
وما من غائبة في السماء والارض اي خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب
ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء
العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شان
المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن الغلو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع منهم التناكر في اشياء
حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيندرج فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل
بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء
التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل
عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه
وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل
او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى
انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث
بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام
على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا
بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب
لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا
بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات وقيل المراد
تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن
والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والاظهر ان تشبيههم بالموتى
لا ينظر لتشبيههم بالصم والعمي لمزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا
ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب
في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط
بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة

في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا
اي من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن
لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون
لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون
من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال
التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان
المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله
اي اذا دنى وقوع مدلول ذلك القول الذي لا يكادون يسمعونه ويصدقونه اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة
وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى
وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة
وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها
خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة
وروي لا يخرج الا رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة ايام
والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف
بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم
انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه
وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب اجياد
مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية
بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى
الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول
هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس بالباء واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين
عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا
وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين
بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار
القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاسناد كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى للتعليل اخراجها او تكليمها
ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم الذي في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق
او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي
هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا بمعنى التكليم ولا يخفى بعده

ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي
جمعنا من كل امة من الامم او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة
الى مصدق ومكذب قوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس
اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة
وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤوا الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب
قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة اكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى
ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها
بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالآيات
فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما
مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم
فيها اماذا كنتم تعملون اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك
كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك
قوله تعالى ووقع القول عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا
بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل
من العذاب الاليم ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان
كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي ألم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل
الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا
المسلك لما ان تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما
كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم
يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل في تعاقب الليل
والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد
في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت
بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بانه
تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة بكون حال الليل والنهار برهانا
عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب
بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف
هو قال عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دائرة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عند
ذلك في الحياة احد الا من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون

والذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع
من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات
في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ
مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها
من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير
على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في قصة البقرة الا من شاء الله
اي ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وكل اي
كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اي حاضروه
داخرين اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله
عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر
مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها رأي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب
الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه
قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة
الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة
الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان
بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون
المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل
ان المراد بالنفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الارض الآية فيختص اثرها بمن كان حيا عنده دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد
بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله
وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى ما ينظر
هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها
رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق
الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله
مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا
قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات
بالكلية من غير ان تدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة
للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى
الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا
محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه

من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها ببعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اثير اليه
باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها
اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة
العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى
حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع
الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة
من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه
كما في قوله تعالى افأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة
الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء
بالسيئة قيل هي الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد
وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال
بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا اصلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور
انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك
احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال
مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به
كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى
انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه
قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها
قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه
في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات
وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين
اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي واظب على تلاوته
لتنكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد
فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما
يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي
فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر والاعراض
عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي
من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة
لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى
سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به اي سيريكم الله في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر

الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة
لانهم لا يعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق
من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون
انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك
بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب
عليهم السلم ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه
نتلو عليك اي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون
مفعول نتلو اي بعض نبأهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك
بعض نبأهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم
الدعوة والتبليغ للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره
بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان
وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
يستعمل كل صنف في عمل ويتسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا
مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل
جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له
يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان
من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلم
ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع
في نريد حكاية حال ماضية معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير
المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له
لما ان تعلق الارادة بالمن تعلق استقبالي على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع
المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالهم السابقة اليها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم
في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه
وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها
عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الخ اي نسلطهم على مصر
والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ
يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالالهام او الرؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة
بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل

للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله
من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلم
فقالت لها لتنفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه
في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لأحد فاحفظيه
فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا
فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب
الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء
في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مرتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا
على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون
اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد
غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس
يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون
في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن
يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون
في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا
بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا وعالجوا قصده وكسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت
لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم
وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون
انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام
في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض
الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعين الفا وليدا او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين
او على انه متعد من الخطو اي خاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأت فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين
لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي
ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى
ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه
فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني وقوله
ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم
لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي
هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى
بالهمزة اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمها فهمزت كما في وجوه ان كادت لتبدي به اي انها كانت لتظهر بموسى اي

بامره وقصته من فرط الحيرة والدهش او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤ
اي المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم وانما عبر عنها باخوته دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر
قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى
وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات
والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي من قبل قصها اثره
فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها
حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون
يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى
فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده
وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على راس الاربعين واستوى اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء
والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة في المراجعة
وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه
فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه
وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته
اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما دل عليه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى اي فضرب
القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا
اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتياله
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في
استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال
توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت
نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده
ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد
هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت
علي من القوة اعن اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد
الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له
موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش
بالذي هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل على الاطلاق

وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما سمعه تسميته اياه غويا يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك
الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي
ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كلما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم
الذي لا يتواضع لامر الله سبحانه وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى
المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له
لا متعلق بجاء فان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى
ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك لان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر فاخرج
اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه
تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان
بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الآخرين وقيل خرج
حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به
الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها
امة جماعة كثيرة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امراتين
تذودان اي تمنعان اغنامهما عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم
قال عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر
والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف
الرعاء مواشيهم بعد ريها عن البئر عجزا عن ساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية
وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى
عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي
غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدر والرعاء
بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابداء منهما للعذر
اليه عليه السلام في توليهما السقي بانفسهما كانهما قالتا انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس
اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاء كانوا يضعون
على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر
انه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك
بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان
لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان
هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام
بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي
من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح

والشكر على ذلك ﴿فجاءته احداهما﴾ قيل هي كبراهما واسمها صفورا او صفرا وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته
عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى ﴿تمشي﴾ حال من فاعل جاءت
وقوله تعالى ﴿على استحياء﴾ متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه انها
كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل
قد استترت بكم درعها ﴿قالت﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كأنه قيل فماذا
قالت له عليه السلام فقيل قالت ﴿ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا﴾ اي جزاء سقيك لنا اسندت
الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى
روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي
وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ اي ما جرى عليه
من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ الذي
يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام
ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الآية ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل
لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من
البيت من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلاة
والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب
انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى
لا الى استيفاء الاجر ﴿قالت احداهما﴾ وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام
﴿يا ابت استأجره﴾ اي لرعي الغنم والقيام بامرها ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾ تعليل جار مجرى
الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه
امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت تبلغه رسالته
وامرها بالمشي خلفه ﴿قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني﴾ اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرت
كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ﴿ثماني حجج﴾ على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية
ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون
المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تأجرني نفسك وقوله ثماني حجج ظرف كالوجه الاول ﴿فان اتممت عشرا﴾
في الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا
من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل ﴿وما اريد ان اشق عليك﴾
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب
عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته ﴿ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى
لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى ﴿قال ذلك بيني وبينك﴾ مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى
﴿ايما الاجلين﴾ اي اكثرهما او اقصرهما ﴿قضيت﴾ اي وفيتكه بأداء الخدمة فيه ﴿فلا عدوان علي﴾ تصريح بالمراد
وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين

بصدد المشارطة مع تحقق عدم العدوان في اكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة
على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي
يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في
الاولى مزيدة لتأكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث
استهلت مواطره ﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج
عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى منهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل
بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك
الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت
عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب
عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه السلام
بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تأتيه بعصا فأتته
بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما
اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن رضي الله عنه
ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح
قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا
اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين
قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع
الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا
وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الاجل﴾ فصيحة
اي فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل ﴿وسار باهله﴾ نحو مصر باذن شعيب عليهما السلام وروي انه عليه السلام قضى
ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله
﴿آنس من جانب الطور﴾ اي ابصر من الجهة التي تلي الطور ﴿نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر﴾ اي بخبر
الطريق وقد كانوا اضلوه ﴿او جذوة﴾ اي عود غليظ سواء كانت في رأسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى
﴿من النار﴾ وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات ﴿لعلكم تصطلون﴾ اي تستدفئون ﴿فلما اتاها﴾ اي النار التي آنسها
﴿نودي من شاطئ الواد الايمن﴾ اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام ﴿في البقعة المباركة﴾ متصل
بالشاطئ او صلة لنودي ﴿من الشجرة﴾ بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ﴿ان يا موسى اني انا الله رب﴾ العالمين
وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد ﴿وان الق عصاك﴾ عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر
لنودي والفاء في قوله تعالى ﴿فلما رآها تهتز﴾ فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية
سرعة تحققها لولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز ﴿كأنها جان﴾ اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها
﴿ولى مدبرا﴾ من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ اي لم يرجع ﴿يا موسى﴾ اي قيل يا موسى ﴿اقبل ولا تخف انك من الامنين﴾ من المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اي ادخلها فيه ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ اي عيب ﴿واضمم
اليك جناحك﴾ اي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن
او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد

بالضم

البجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان
ضمهما اليه • من الرهب • اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الرآء
وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات • فذانك • اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد
مثنى ذلك • برهانان • حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض
ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن
وهي قوله تعالى • من ربك • متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى • الى فرعون وملائه • واصلان ومنتهيان
اليهم • انهم كانوا قوما فاسقين • خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون • بمقابلتها • واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا • اي معينا
وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف • يصدقني • بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتوضيحها وزيف الشبهة
اني اخاف ان يكذبون • ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اسناد الفعل
الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر • قال سنشد عضدك باخيك • اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد
على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد • ونجعل لكما سلطانا • اي تسلطا وغلبة وقيل حجة ليس ذاك
فلا يصلون اليكما • باستيلاء او محاجة • باياتنا • متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي
سلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون • بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي • فلما جاءهم موسى باياتنا
بينات • اي واضحات الدلالة على رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام
اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر في سورة طه • قالوا ما هذا الا سحر مفترى • اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله
او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر • وما سمعنا بهذا • اي السحر او ادعاء النبوة في
اباءنا الاولين • اي واقعا في ايامهم • وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده • يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه
جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد • ومن تكون له عاقبة
الدار • اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة ومزرعة لها والمقصود
بالذات منها الثواب اما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء • انه لا يفلح الظالمون • لا يفوزون
اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور • وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري • قاله اللعين بعدما جمع
السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان • فاوقد لي يا هامان على الطين • اي اصنع اجرا • فاجعل لي منه
صرحا • اي قصرا رفيعا • لعلي اطلع الى اله موسى • كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني
لاظنه من الكاذبين • او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن
وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه
بيا في وسط الكلام • واستكبر هو وجنوده في الارض • ارض مصر • بغير الحق • بغير استحقاق • وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام • فاخذناه وجنوده • عقيب
ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات • فنبذناهم في اليم • قد مر تفصيله وفيه من فخامة شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين
المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وبينها للناس ليعتبروا بها • وجعلناهم • اي صيرناهم في عهدهم
ائمة يدعون • الناس • الى النار • اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال فما صيروا اختيارهم

الى تحصيل تلك الحالة وقيل تسميتهم ائمة دعاه الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فلا بد
حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك
• ويوم القيمة لا ينصرون • بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه • واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة • طردا وابعادا من الرحمة
ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف • ويوم القيمة هم من المقبوحين
من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف
لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين • ولقد اتينا موسى الكتاب • اي التوراة
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى • هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم
للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القران الكريم على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس اثارها واحكامها المؤدين
الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب
الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد اتينا موسى التوراة على حين حاجة
الى ايتائها • بصائر للناس • اي انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك
بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر • وهدى • اي هداية الى الشرائع
والاحكام التي هي سبل الله تعالى • ورحمة • حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه
نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر وقيل على العلة اي اتيناه الكتاب للبصائر والهدى
والرحمة • لعلهم يتذكرون • ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون
من سورة البقرة وقوله تعالى • وما كنت بجانب الغربي • شروع في بيان ان انزال القران الكريم ايضا واقع في زمان شدة
مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما
من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة
قوله تعالى وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب
الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع • اذ قضينا الى موسى الامر • اي عهدنا اليه وحكمنا له بنبوته بالوحي
وايتاء التوراة • وما كنت من الشاهدين • اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى
من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح فتخبره للناس • ولكنا انشأنا قرونا • اي ولكنا خلقنا بين زمانك
وزمان موسى قرونا كثيرة • فتطاول عليهم العمر • وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما
على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى • وما كنت
ثاويا في اهل مدين • نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب
والمؤمنين به وقوله تعالى • تتلو عليهم • اي تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم • اياتنا • الناطقة بالقصة اما حال من المستكن
في ثاويا او خبر ثان لكنت • ولكنا كنا مرسلين • اياك وموحين اليك تلك الايات ونظائرها • وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا • اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون • ولكن
رحمة من ربك • اي ولكن ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل
عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة
وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما
تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد منهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى • لتنذر قوما • متعلق بالفعل المعلل
بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار لا العلم بما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدا

وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون ولذكر وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه السلم للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكرا ولا نفي ثوائه عليه السلام في اهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وجواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا بجناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي يعنونه عليه السلام مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة ومن اليد والعصا وغيرها بالتمام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتيه موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اي هما يعنون ما اوتي محمد وما اوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وهو الذي عبر عنه النظم الجليل [illegible] الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله عز وجل فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال امن من امره كأن امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عنه ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف

حقيته وهو استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء ان يهديه فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين المستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثير من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك [illegible] وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك

بموجب السنة الالهية لا العدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما
اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل
وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة
الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو
ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه
وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده
ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطف بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
الذي هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتب انكار التشابه بين
اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي ابعد هذا
التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة
مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب
واختيار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان
او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما
عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين
كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا لدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه
قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين
اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه
وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله
للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال
وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا
ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم
فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده
وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة
والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة
واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه
وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة
بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اي تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة
فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم
عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس
للمبالغة والدلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية
الفعل بعلى لتضمينه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهي داخلة
فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم

عن غائلة المسئول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح
فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام
او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب
عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة
والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده
وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى
والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء
من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة
الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى
له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه
قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الى آخره لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين
افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة
من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون
هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمة الله تعالى وتشكروه عليها ويوم
يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا
من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا
لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل
عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر
بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور
لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون
فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر
لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء
كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون
تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرناه في حق موسى وهرون عليهما السلام

وآتيناه من الكنوز اي من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه
وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له
قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل اذكر
وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح
في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي هنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف
الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة
ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتاخذ منها ما يكفيك واحسن اي
الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه
انما اوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر
من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم
التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من حيث انه تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك قرأه في التوراة وتلقاه من موسى عليه السلام وسمعه من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم
ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان
قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى
مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما
بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي
والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين
جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به
الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون هم الكفار انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين
اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين
يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بها كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك
شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه
غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح
فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا
فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال
قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض

بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبح بنوا اسرائيل يتناجون
بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة
ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه
فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض
وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا
على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطائنا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف
بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا
ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما تحذير
منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة
للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا
وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع المضمر لتهجين حالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان
الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وترنو
اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة
من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل دل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين
وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى
اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول من صد اللازم وادع
الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح بحيث
ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن
هالك في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق والعدل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا صدق النبي الكريم

سورة العنكبوت تسع وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظايره من الفواتح الكريمة خلا انه لا يحتمل ان يتعلق
به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شي
لشي او انتفا شي عن شي بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة
بان وان الواقعة صلة للموصول الاسمي والحرفي فان كلا منهما صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا او ان
يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى
يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات النفس ووظايف الطاعات وفنون المصايب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص
لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع
عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى
الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك
سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب
الفتن والمحن ما هو اشد مما اصابهم فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا الايات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين
صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفا لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان
واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير
اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون
على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقري وليعلمن من الاعلام
اي ليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيات
ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه
وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما
ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسياتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك
لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون
اي بيس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بيس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقا الله اي يتوقع ملاقاة جزايه ثوابا او عقابا
او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقا الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزا على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم
مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخطه فان اجل الله الاجل
عبارة عن غاية زمان ممتد عين لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان
الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزا الزمان على التقضي والتصرم
دايما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقا حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يودي الى حسن
الثواب ويتحرز عما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه
من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد
العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقايد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها

ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه
حسنا اي بايتاء والديه وايلايهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عايد الى المامور او غيره
وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقري حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالاهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته
لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي
فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه
ومن عق فانبيكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والاية نزلت في سعد بن
ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم
ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن
ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل واخوه لامه الحارث
فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب
ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك
ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا
بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيدا قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطي لنفسه
وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح
منتهى درجات المومنين وغاية مامول انبيا الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله
اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة
والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ولين جا نصر من ربك اي فتح
وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقري بالفتح انا
كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم
اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفا
عن المسلمين وادعا انهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين
امنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سوا كان كفرهم باذية الكفرة اولا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق
وقال الذين كفروا للذين امنوا بيان لحملهم للمومنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد
ووصفهم بالكفر هنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ
اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي
خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة

لو أخذ عليها بالبعث كما تقولون وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئتهم أي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض أو حال إنهم لكاذبون حيث أخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا فإن الكذب كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين وليحملن أثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالأثقال للإيذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أي وبالله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة وأثقالا أخر مع أثقالهم لما تسببوا بالإضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلا وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الأنبياء عليهم السلام بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيدا للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فإن الأنبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء المؤمنون أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة ومن ذهب إلى أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة يحمل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة وإظهار ركاكة رأي الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فأخذهم الطوفان أي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما طاف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون أي والحال أنهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فأنجيناه أي نوحا عليه السلام وأصحاب السفينة أي ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم إناث وجعلناها أي السفينة أو الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وإبراهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل بإضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم إذ قال لقومه على الأول ظرف للإرسال أي أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال إلى درجة التكميل حيث تصدى لإرشاد الخلق إلى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من إبراهيم اعبدوا الله أي وحده واتقوه أن تشركوا به شيئا ذلكم أي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم أي مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل إن كنتم تعلمون أي الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو إن كنتم تعلمون شيئا من الأشياء بوجه من الوجوه فإن ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى إنما تعبدون من دون الله أوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق أي إنما تعبدون من دونه تعالى أوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون إفكا أي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله أو تعملونها وتنحتونها للإفك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف إحدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا إفك إن الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث إنه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد إليه ترجعون أي بالموت ثم البعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وإن تكذبوا أي تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون بالبعث فقد كذب أمم من قبلكم تعليل للجواب أي فلا تضرونني بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وإدريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم

تكذيبهم شيئا وإنما ضروا أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين أي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدقه قومه البتة وقد خرج عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلا أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أي ألم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الإنكار وتأكيده وقرئ يبدأ ثم يعيده عطف على أولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابتداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب إن ذلك أي ما ذكر من الإعادة على الله يسير إذ لا يفتقر فعله إلى شيء أصلا قل سيروا في الأرض أمر لإبراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق أي كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فإن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين في أقطارها ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها والتعبير عن الإعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث إن كلا منهما اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود فلا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل أي ينشئ فينشئون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع إضماره في بدأ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فإن من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء التي من جملتها الإعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما أخبر به يعذب أي بعد النشأة الآخرة من يشاء أي تعذيبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب وما أنتم بمعجزين له تعالى عن إجراء حكمه وقضائه عليكم في الأرض ولا في السماء أي بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على أنتم أي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي تنطق به تلك الآيات أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي أي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء وأولئك لهم عذاب أليم وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه باليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام فما كان جواب قومه بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنهم لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج إبراهيم عليه السلام إلا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والأباطيل ما لا يحصى فأنجاه الله من النار الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما حسبما بين في مواضع أخر وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عليه السلام فيها وإنجائه تعالى إياه تفصيلا وقيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلا إن في ذلك أي في إنجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها

في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم
آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وما اما مصدرية او كافة ومفعول اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان تكون
هو المفعول الثاني بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة
او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة
او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول
الاول وقرئت مرفوعة منونة ومنصوبة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم كما قرئ لقد تقطع
بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة الدنيا وقد اجريتم احكامها حيث تفعلون
ما تفعلون لاجل مودتكم لها انتصارا منكم كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا
والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهو العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق
منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم
من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر
وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي
اليها الا الآحاد الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني
انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي
وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين آيس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة
واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين
في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة
ابراهيم عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين
استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه
النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا اكثرا ما يفعلونها
بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون
في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل
المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة
اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله
تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر
تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى اي البشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر

انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فضلا عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام
من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم
عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال
وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان
مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم
وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف
اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل
او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه
بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي
قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف
على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي
توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل ارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب
مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة
وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاورها
من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمودا بتأويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي
وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان
اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر
والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا
وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك
فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين
اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل
للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته
تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له
حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع

وان اوهن البیوت لبیت العنکبوت حیث لا یری شیء یدانیه فی الوهن والوهی لو کانوا یعلمون ای من الاشیا
یرجعوا الی علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دینهم اوهی من ذلک ویجوز ان یجعل بیت العنکبوت عبارة عن دینهم تحقیقا للتمثیل فالمعنی وان
اوهن ما یعتمد به فی الدین دینهم ان الله یعلم ما یدعون من دونه من شیء علی اضمار القول ای قل للکفرة ان الله
الی آخره وما استفهامیة منصوبة بیدعون معلقة لیعلم ومن للتبیین او نافیة ومن مزیدة وشیء مفعول یدعون او مصدریة
وشیء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول لیعلم ومفعول یدعون عائده المحذوف وقری یدعون بالیاء والکلام
علی الاولین تجهیل لهم وتاکید للمثل وعلی الآخرین وعید لهم وهو العزیز الحکیم تعلیل علی المعنیین فان اشراک
ما لا یعد شیئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الی القادر القاهر علی کل شیء البالغ فی العلم
واتقان الفعل الغایة القاصیة کالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر علی مجازاتهم وتلک الامثال ای هذا
المثل وامثاله نضربها للناس تقریبا لما بعد من افهامهم وما یعقلها علی ما هی علیه من الحسن واستتباع الفوائد
الا العالمون الراسخون فی العلم المتدبرون فی الاشیا علی ما ینبغی وعنه صلی الله علیه وسلم انه تلا هذه فقال العالم
من عقل عن الله تعالی وعمل بطاعته واجتنب عن سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ای محقا مراعیا للحکم والمصالح
علی انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذی لا محید عنه مستتبعة للمنافع الدینیة والدنیویة علی انه حال من مفعوله
فانها مع اشتمالها علی جمیع ما یتعلق به معاشهم شواهد دالة علی شؤونه تعالی المتعلقة بذاته وصفاته کما یفصح عنه
قوله تعالی ان فی ذلک لآیة للمؤمنین دالة لهم علی ما ذکر من شؤونه سبحانه وتخصیص المؤمنین بالذکر مع عموم الهدایة
والارشاد فی خلقهما للکل لانهم المنتفعون بذلک اتل ما اوحی الیک من الکتاب تقربا الی الله تعالی بقراءته
وتذکرا لما فی تضاعیفه من المعانی وتذکیرا للناس وحملا لهم علی العمل بما فیه من الاحکام ومحاسن الآداب ومکارم الاخلاق
واقم الصلوة ای داوم علی اقامتها وحیث کانت الصلوة منتظمة للصلوات المکتوبة المؤداة بالجماعة وکان امره علیه السلام
باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالی ان الصلوة تنهی عن الفحشاء والمنکر کانه قیل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم
عن الفحشاء والمنکر ومعنی نهیها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالی فلا بد ان تکون مع اقبال تام واعراض
کلی عن معاصیه قال ابن مسعود رضی الله عنه وابن عباس رضی الله عنهما فی الصلوة منتهی ومزدجر عن معاصی الله تعالی فمن لم تامره
صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنکر لم یزدد بصلوته من الله تعالی الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنکر
فصلوته وبال علیه وروی انس رضی الله عنه ان فتی من الانصار کان یصلی مع رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم لا یدع شیئا
من الفواحش الا رکبه فوصف له علیه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم یلبث ان تاب وحسن حاله ولذکر الله
اکبر ای وللصلوة اکبر من سایر الطاعات وانما عبر عنها به کما فی قوله تعالی فاسعوا الی ذکر الله للایذان بان ما فیها من ذکره
عز وجل هو العمدة فی کونها مفضلة علی الحسنات ناهیة عن السیئات وقیل ولذکر الله تعالی عند الفحشاء والمنکر وذکر نهیه عنهما ووعیده
علیهما اکبر فی الزجر عنهما وقیل ولذکر الله اکبر من ذکرکم ایاه بطاعته والله یعلم ما تصنعون منه ومن سایر الطاعات فیجازیکم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الکتاب من الیهود والنصاری الا بالتی هی احسن ای بالخصلة التی هی احسن کمقابلة
الخشونة باللین والغضب بالکظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة علی وجه لا یدل علی الضعف ولا یؤدی الی اعطاء الدنیة
وقیل منسوخ بآیة السیف الا الذین ظلموا منهم بالافراط فی الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم ید الله مغلولة
ونحو ذلک فانه یجب حینئذ المدافعة بما یلیق بحالهم وقولوا آمنا بالذی انزل الینا من القرآن وانزل الیکم ای وبالذی
انزل الیکم من التوراة والانجیل وقد مر تحقیق کیفیة الایمان بها فی خاتمة سورة البقرة وعن النبی صلی الله علیه وسلم لا تصدقوا
اهل الکتاب ولا تکذبوهم وقولوا آمنا بالله وکتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تکذبوهم والهنا والهکم
واحد لا شریک له فی الالوهیة ونحن له مسلمون مطیعون خاصة وفیه تعریض بحال الفریقین حیث اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وکذلک تجریدا للخطاب الی رسول الله صلی الله علیه وسلم وذلک اشارة الی مصدر
الفعل الذی بعده وما فیه من معنی البعد للایذان ببعد منزلة المشار الیه فی الفضل ای مثل ذلک الانزال البدیع الموافق لانزال

سایر

سایر الکتب انزلنا الیک الکتاب ای القرآن الذی من جملته هذه الآیة الناطقة بما ذکر من المجادلة بالحسنی فالذین
آتیناهم الکتاب من الطائفتین یؤمنون به ارید بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الکتابین خاصة
کان من عداهم لم یؤتوا الکتاب حیث لم یعملوا بما فیه او من تقدم عهد الرسول صلی الله علیه وسلم منهم حیث کانوا مصدقین
بنزوله حسبما شاهدوا فی کتابیهما وتخصیصهم بایتاء الکتاب للایذان بان من بعدهم من معاصری رسول الله صلی الله علیه
وسلم قد نزع عنهم الکتاب بالنسخ فلم یؤتوه والفاء لترتیب ما بعدها علی ما قبلها فان ایمانهم به مترتب علی انزاله علی الوجه
المذکور ومن هؤلاء ای ومن العرب او اهل مکة علی الاول او ممن فی عصره علیه السلام علی الثانی من یؤمن به
ای بالقرآن وما یجحد بآیاتنا عبر عن الکتاب بالآیات للتنبیه علی ظهور دلالتها علی معانیها وعلی کونها من عند الله تعالی
واضیف الی نون العظمة لمزید تفخیمها وغایة تشنیع من یجحد بها الا الکافرون المتوغلون فی الکفر المصممون علیه فان ذلک
یصدهم عن التامل فیما یؤدیهم الی معرفة حقیتها وقیل هم کعب بن الاشرف واصحابه وما کنت تتلوا من قبله ای ما کنت
قبل انزالنا الیک الکتاب تقدر علی ان تتلو شیئا من کتاب ولا تخطه ولا تقدر علی ان تخطه بیمینک حسبما هو المعتاد
او ما کانت عادتک ان تتلو ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون ای لو کنت ممن یقدر علی التلاوة والخط
او ممن یعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من کتب الاوائل وحیث لم تکن کذلک لم یبق فی شانک منشأ ریب
اصلا وتسمیتهم مبطلین فی ارتیابهم علی التقدیر المفروض لکونهم مبطلین فی اتباعهم للاحتمال المذکور مع ظهور نزاهته
علیه السلام عن ذلک بل هو ای القرآن آیات بینات واضحات ثابتة راسخة فی صدور الذین اوتوا العلم من غیر
ان یلتقط من کتاب یحفظونه بحیث لا یقدر احد علی تحریفه وما یجحد بآیاتنا مع کونها کما ذکر الا الظالمون المتجاوزون
للحدود فی الشر والمکابرة والفساد وقالوا لولا انزل علیه آیات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسی ومائدة عیسی علیهم
السلام وقری آیة قل انما الآیات عند الله ینزلها حسبما یشاء من غیر دخل لاحد فی ذلک قطعا وانما انا نذیر مبین
لیس من شانی الا الانذار بما اوتیت من الآیات اولم یکفهم کلام مستانف وارد من جهته تعالی ردا علی اقتراحهم وبیانا
لبطلانه والهمزة للانکار والنفی والواو للعطف علی مقدر یقتضیه المقام ای اقصر ولم یکفهم آیة مغنیة عن سایر الآیات
انا انزلنا علیک الکتاب الناطق بالحق المصدق لما بین یدیه من الکتب السماویة وانت بمعزل من مدارستها وممارستها
یتلی علیهم فی کل زمان ومکان فلا یزال معهم آیة ثابتة لا تزول ولا تضمحل کما تزول کل آیة بعد کونها وتکون فی مکان دون
مکان او یتلی علی الیهود بتحقیق ما فی ایدیهم من نعتک ونعت دینک ان فی ذلک الکتاب العظیم الشان الباقی
علی مر الدهور لرحمة ای نعمة عظیمة وذکری ای تذکرة لقوم یؤمنون ای لقوم همتهم الایمان لا التعنت کاولئک
المقترحین وقیل ان ناسا من المؤمنین اتوا رسول الله صلی الله علیه وسلم بکتف فیها بعض ما یقوله الیهود فقال کفی بها ضلالة
قوم ان یرغبوا عما جاءهم به نبیهم الی ما جاء به غیر نبیهم فنزلت قل کفی بالله بینی وبینکم شهیدا بما صدر عنی وعنکم یعلم ما فی السموات
والارض ای من الامور التی من جملتها شانی وشانکم فهو مقرر لما قبله من کفایته تعالی شهیدا والذین آمنوا بالباطل
وهو ما یعبد من دون الله تعالی وکفروا بالله مع تعاضد موجبات الایمان به اولئک هم الخاسرون المغبونون
فی صفقتهم حیث اشتروا الکفر بالایمان بان ضیعوا الفطرة الاصلیة والادلة السمعیة الموجبة للایمان والآیة من قبیل المجادلة
بالتی هی احسن حیث لم یصرح بنسبة الایمان بالباطل والکفر بالله وخسران الصفقة الیهم بل ذکر علی منهاج الابهام کما فی قوله تعالی
وانا او ایاکم لعلی هدی او فی ضلال مبین ویستعجلونک بالعذاب علی طریقة الاستهزاء بقولهم متی هذا الوعد وقولهم
امطر علینا حجارة او ائتنا بعذاب ونحو ذلک ولولا اجل مسمی قد ضربه الله تعالی لعذابهم وبینه فی اللوح لجاءهم العذاب
المعین لهم حسبما استعجلوا به وقیل المراد بالاجل یوم القیمة لما روی انه تعالی وعد رسول الله صلی الله علیه وسلم ان لا یعذب قومه بعذاب
الاستیصال وان یؤخر عذابهم الی یوم القیمة وقیل یوم بدر وقیل وقت فنائهم بآجالهم وفیه بعد ظاهر لانهم ما کانوا یوعدون
بفنائهم الطبیعی ولا کانوا یستعجلون به ولیاتینهم جملة مستانفة مبینة لما اشیر الیه فی الجملة السابقة من مجیء العذاب عند محل الاجل
ای بالله لیاتینهم العذاب الذی عین لهم عند حلول الاجل بغتة ای فجأة وهم لا یشعرون ای باتیانه ولعل المراد

بأسبابه كذلك لأنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى سؤالهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه
يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كعذاب بعض الغزوات النازلة على بعض الأمم بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم
يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أي يستعجلونك
بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك العذاب وإن العذاب لمحيط بهم أي سيحيط بهم
وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر والمعاصي
الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر
تفصيله في سورة الأعراف عند قوله والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للإشعار
بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره إيذانا بغاية كثرته
وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي به المقال
وقيل ظرف للإحاطة من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي من جميع جهاتهم ويقول أي الله عز وجل ويعضده القراءة
بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي
من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة
أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون
أي إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر
بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف
والمعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة
تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة
في الامتثال بالأمر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة إلى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فمن كانت
هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا أي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثوي بمعنى الإقامة فانتصاب غرفا حينئذ إما بإجرائه مجرى لننزلنهم
أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم كما في قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الأنهار صفة
لغرفا خالدين فيها أي في الغرف في الجنة نعم أجر العاملين أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه وقرئ فنعم الذين صبروا إما صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك
من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون أي لم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها وإياكم ثم إنها مع
توكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم أي أهل مكة
من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه فأنى يؤفكون إنكار
واستبعاد من حيث إنه تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده تعالى في الإلهية مع إقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير
الله يبسط الرزق لمن يشاء أي يبسطه له من عباده ويقدر له أي يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائنا من كان على الإبهام
حسب إبهام مرجعه أو يقدر لمن يبسط له على التعاقب إن الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق
بقدره له فيقدر له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته

الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلا قل الحمد لله على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وأنه
أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات لا يخفى بعد بل أكثرهم لا يعقلون أي معاني الأشياء
فلذلك لا يعلمون تناقض قولهم هذا وإشراكهم به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم وما هذه
الحياة الدنيا إشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء إلا لهو ولعب أي إلا كما يلهى ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة
ثم يتفرقون عنه وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي
في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وفي بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون أي لما آثروا عليها
الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فإذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها واستعماله هاهنا وأمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر في سورة
هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في البحر ولقوا الشدة دعوا الله مخلصين له الدين أي كائنين
على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو فلما نجاهم إلى البر
إذا هم يشركون أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا أي يفاجئون الإشراك ليكونوا كافرين بما

اتيتهم

فسوف يعلمون أي عاقبة ذلك ووخامته حين يرون العذاب أولم يروا أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا أنا جعلنا أي
بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما أهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم أي والحال أنهم يتخطفون من حولهم
قتلا وسبيا إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب أفبالباطل يؤمنون أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة
يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لإظهار كمال شناعة
ما فعلوا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن زعم أن له شريكا أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالا على نفي
الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا أو كذب بالحق لما جاءه أي بالرسول أو بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا
ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أثر ذي أثير أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال
ألستم خير من ركب المطايا أي لا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح
أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا
هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا أي في شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة
لنهدينهم سبلنا سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة وعنه عليه السلام
من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين تم

سورة الروم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في أدنى الأرض
أي أدنى أرض العرب منهم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض
عن المضاف إليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى الأرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين
وقرئ في أداني الأرض وهم أي الروم من بعد غلبهم أي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب
سيغلبون أي سيغلبون فارس في بضع سنين روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر

اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع
فقال ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين
فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين
وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند
الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم
غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ
من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ تغلب الروم
على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت
بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل بنصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة
الروم على فارس وقيل بنصر الله عز وجل انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر
وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى
والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استيناف مقرر
لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز البالغ في القوة والغلبة فلا يعجزه من شاء ان ينصر عليه كائنا من كان
الرحيم البالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر
لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي
هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه
قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد
وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شئونه يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها
وملاذها وساير احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها
كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا
حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا
من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار
غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة
لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادي العلم
بامور الآخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر
الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور
استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما متعلق بالعلم
الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
اي اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او قصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم
من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت

الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها
المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء
بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عما يتبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به في قوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره
عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى
واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا
وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشئونها واخبر
باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها
من انتهائها الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان ساير الخلائق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل
من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء عكس
للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر
من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم
منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة
على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله
تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم
كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي عمرها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد
عمارة لها اكثر مما عمروها اي اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه
تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا متفخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم
يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة
لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي عملوا السيئات
وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها
التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء
وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه
من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم
وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره
وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدأ الخلق اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه
ترجعون اي الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق
ورجعهم اليه يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت ايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام

من ابلسه اذا الجمه واسكته • ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء • يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها
في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا • وكانوا بشركائهم كافرين • اي بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم
وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها • ويوم تقوم
الساعة • اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى • يومئذ يتفرقون • تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض
منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من ذكرهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد
عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب قوله تعالى
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات
وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة
والتحبير التحسين واختلف في الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون
وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم
اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه السلام يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية
يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة وقال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة
لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا • التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل • ولقاء الاخرة • صرح
بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات • اعتناء بامره وقوله تعالى • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب بايات الله تعالى ولقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهد وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح • في العذاب محضرون •
على الدوام لا يغيبون عنه ابدا • فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الثاني
ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية
مقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر تسبيحا اي التسبيح اللائق في هذه
الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر على ابلغ وجه واكده
وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح
بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام
من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث
وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمه شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه
الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء
منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس
وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا
اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح
والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت
اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي اخره من خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية وعنه عليه السلام من قال

حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي
ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه • يخرج الحي من الميت • كالانسان
من النطفة والطير من البيضة • ويخرج الميت من الحي • النطفة والبيضة من الحيوان • ويحيي الارض • بالنبات • بعد موتها •
يبسها • وكذلك • ومثل ذلك الاخراج • تخرجون • من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل
لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده • ومن اياته • الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق من دلالة بدء خلقهم
على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها • ان خلقكم •
اي في ضمن خلق ادم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا • من تراب • لم
ير الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم • ثم اذا انتم تنتشرون • اي فاجأتم بعد ذلك وقت
كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة الاية • ومن اياته • الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء • ان خلق لكم • اي لاجلكم • من انفسكم •
ازواجا • فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم
لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى • لتسكنوا اليها • اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام
والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر • وجعل بينكم • اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء
في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل
او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى • مودة ورحمة • فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا
اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم
قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا
ان في ذلك • اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب
المشار اليه للاشعار ببعد منزلته • لايات • عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها • لقوم يتفكرون • في تضاعيف
تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته
بل هي مشتملة على ايات شتى • ومن اياته • الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتعلق به من الجزاء • خلق السموات والارض • اما
من حيث ان القادر على خلقهما وما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من
حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا • واختلاف السنتكم • اي لغاتكم بان علم كل صنف
لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه • والوانكم •
بياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص
حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا
في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقية بالانتظام
في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم • ان في ذلك • اي
فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان • لايات • عظيمة في انفسها كثيرة في عددها • للعالمين • اي
المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها
على احد من الخلق كافة • ومن اياته منامكم بالليل والنهار • لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية • وابتغاؤكم من فضله •
فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الايات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين
لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد • ان في ذلك لايات لقوم يسمعون • اي شانهم ان يسمعوا

الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته
يريكم البرق الفعل إما مقدر بأن كما في قول من قال ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى أي أن أحضر أو منزل منزلة المصدر
وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما
الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغي فيها أو ومن آياته شيء
أو سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة أو للمسافر وطمعا في الغيث أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور
فإن إراءتهم البرق مستلزم لرؤيتهم إياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع
بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الأرض
بالنبات بعد موتها يبسها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد العقل عند
استعماله في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أي بإرادته تعالى قيامهما والتعبير عنها
بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاءهما لأنه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات
والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تمام إنشائهما وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله
تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله
السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود
أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضا فقيل ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فإنه كلام مسوق للإخبار
بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كأنه قيل ومن آياته قيام
السموات والأرض على هيئتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم
في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الأرض
متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها وله
خاصة من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له
قانتون أي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم والتكرير
لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو أهون عليه أي بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء
وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق وليس بذاك وأما ما قيل من أن
الإنشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان أقرب إلى الحصول
من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل إذ ليس المراد بأهونية الفعل أقربيته إلى الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية
للفاعل إلى إيجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل سهولة تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير
ولا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار وله المثل الأعلى أي الوصف الأعلى العجيب
الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا إله
إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية في السموات والأرض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما
على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره في الأعلى وهو العزيز القادر
الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان
الشرك من أنفسكم أي منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها
بطريق الأولوية وقوله تعالى هل لكم إلخ تصوير للمثل أي هل لكم مما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء من شركاء فيما رزقناكم من الأموال
وما يجري مجراها مما تتصرفون فيه فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى
فأنتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وإياكم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا
معطوفا على أنتم لأنه عام للفريقين بطريق التغليب أي هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم في البشرية وأحكامها أن

يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فأنتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم
خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم أنفسكم أي كخيفة كائنة
مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي لا ترضون بأن يشارككم فيما هو
معار لكم مماليككم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية
مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه كذلك أي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات أي نبينها
ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس
فيكون في غاية الإيضاح والبيان لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات
للكل لأنهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات
واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا أهواءهم
الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه أو ظالمون
لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم أي جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع
الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من أضل الله أي خلق فيه الضلال بصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر على هدايته أحد وما لهم
أي لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد
منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فأقم وجهك للدين مثل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه
بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه أي فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الإغراء
أي الزموا أو عليكم فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والإفراد في أقم لما أن الرسول صلى الله عليه وسلم
إمام الأمة فأمره عليه السلام مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين
وقيل على المصدر أي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن
خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فإنهم
لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية
عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد
على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب
الامتثال به أي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان
وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة
لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة
في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك إشارة
إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور
أو باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا
منيبين إليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة وما بينهما اعتراض أي راجعين إليه
من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى واتقوه أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى وأقيموا
الصلاة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين بإعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين
ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا أي فرقا تشايع كل منها
إمامها الذي أضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون

ظنا منهم انه حق والى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون
صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اى شدة دعوا
ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم
الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اى فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا
كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ ليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اى حجة واضحة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اى نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا
لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط
من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اى يقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية
عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اى غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربو عند الله اى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله اى تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم
والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له
تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه
البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون
الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر
قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه
وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اى بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام
للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم
وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اى البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر احد
على رده من الله متعلق بيأتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اى وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما
بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض التعليل وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل

لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه
المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر
وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها واللام
متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بالمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره
وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله
بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
كما ارسلناك الى قومك فجاءوهم بالبينات اى جاء كل رسول قومه بالحصة من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف وللاشعار
بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله
ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق
الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى
ولعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح
استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اى قطعا وقرئ بسكون
السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجأوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة
من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اى وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اى المطر من قبله تكرير
للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة
بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لافادة سرعة تقلب قلوبهم من اليأس
الى الاستبشار بالاشارة الى تقارب ما بينهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين
خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء
للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اى الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب
بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالامر
بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتاء على الاسناد الى ضمير الرحمة
ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم
من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا
ريحا فرأوه اى الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته
وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط
والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم السادة مسد الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة
فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وعدم تزلزلهم
بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم
القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا
على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم

لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكمل التشبيه حال الكفرة وتشبيههم بانهم
جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم
المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا
وقرئ بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى
قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول
او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لا انفا فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي خلقكم
من ضعف مبتدا وخبر اي ابتداكم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف
هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقراني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي
من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار
المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا
او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في القبور او في الدنيا او
هو الاظهر لان لبثهم فيها يوم البعث كساعة وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اي اربعون سنة او اربعون
الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم
في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا
بذلك ما قالوه واكدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون
انه يكون بعد فناء الخلق كما هو ويقدرون لذلك امدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالهم ونبهوهم على انهم
لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم
توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من
قال واخراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ
تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة
عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل اي ولقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية
من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب
يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق
وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة
الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بالاباطيل التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون
فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك
ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقهم لكنه

في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح
الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته صدق رسول الله

سورة لقمان اربع وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او
وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة
المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب
على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او المبتدأ المحذوف
للمحسنين اي العاملين الحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى
وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها
على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر
من المعاني ما لا مزيد عليه في سورة البقرة ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى
من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او
يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث
التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد
بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان
يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة
كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه
او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث
وهو دين الاسلام او القرآن اي ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر
المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين
لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس عنه واذا تتلى عليه اي على المشتري افرد الضمير فيه
وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناه آياتنا التي هي آيات الكتاب
الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال
من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخفف المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه
رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من
قال كانك لم تجزع على ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع
من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه بان العذاب
المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين باية

ازشیان الکافرین بها ای الذین امنوا بایاته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذکر من ایمانهم واعمالهم جنات النعیم ای نعیم جنات فعکس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان یجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعیم مرتفعا به علی الفاعلیة وقوله تعالی خالدین فیها حال من الضمیر فی لهم او من جنات النعیم لاشتماله علی ضمیریهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران موکدان الاول لنفسه والثانی لغیره لان قوله تعالی لهم جنات النعیم فی معنی وعدهم الله جنات النعیم فاکد معنی الوعد بالوعد واما حقا فدال علی معنی الثبات اکد به معنی الوعد وموکدهما جمیعا لهم جنات النعیم وهو العزیز الذی لا یغلبه شیء لیمنعه من انجاز وعده او تحقیق وعیده الحکیم الذی لا یفعل الا ما تقتضیه الحکمة والمصلحة خلق السموات بغیر عمد استیناف مسوق للاستشهاد بما فصل فیه علی عزته تعالی التی هی کمال القدرة وحکمته التی هی کمال العلم وتمهید قاعدة التوحید وتقریره وابطال امر الاشراک واهله والعمد جمع عماد کاهب جمع اهاب وهو ما یعمد به ای یسند یقال عمدت الحائط اذا دعمته ای بغیر دعائم علی ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالی ترونها استیناف جیء به للاستشهاد علی ما ذکر من خلقه تعالی لها غیر معمودة بمشاهدتهم لها کذلک او صفة لعمد ای خلقها بغیر عمد مرئیة علی ان التقیید للرمز الی انه تعالی عمدها بعمد لا تری هی عمد القدرة والقی فی الارض رواسی بیان لصنعه البدیع فی قرار الارض اثر بیان صنعه الحکیم فی قرار السموات ای القی فیها جبالا ثوابت وقد مر ما فیه من الکلام فی سورة الرعد ان تمید بکم کراهة ان تمید بکم فان بساطة اجزائها تقتضی تبدل احیازها واوضاعها لامتناع اختصاص کل منها لذاته او لشیء من لوازمه بحیز معین ووضع مخصوص وبث فیها من کل دابة من کل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فیها بسبب ذلک الماء من کل زوج کریم من کل صنف کثیر المنافع والالتفات الی نون العظمة فی الفعلین لابراز مزید الاعتناء بامرهما هذا ای ما ذکر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله ای مخلوقه فارونی ماذا خلق الذین من دونه مما اتخذتموهم شرکاء له سبحانه فی العبادة حتی استحقوا به المعبودیة وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه وقوله تعالی بل الظالمون فی ضلال مبین اضراب عن تبکیتهم بما ذکر الی التسجیل علیهم بالضلال البین المستدعی للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان یفهموا منها شیئا فیهتدوا به الی العلم ببطلان ما هم علیه او یتاثروا من الالزام والتبکیت فیزدجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضمیرهم للدلالة علی انهم بما ذکر من اشراکهم واضعون للشیء فی غیر موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعریضها للعذاب الخالد ولقد آتینا لقمان الحکمة کلام مستانف مسوق لبیان بطلان الشرک وهو لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ایوب علیه السلام او خالته وعاش حتی ادرک داود علیه السلام واخذ منه العلم وکان یفتی قبل مبعثه وقیل کان قاضیا فی بنی اسرائیل والجمهور علی انه کان حکیما ولم یکن نبیا والحکمة فی عرف العلماء استکمال النفس الانسانیة باقتباس العلوم النظریة واکتساب الملکة التامة علی الافعال الفاضلة علی قدر طاقتها ومن حکمته انه صحب داود علیه السلام شهورا وکان یسرد الدرع فلم یساله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حکمة وقلیل فاعله فقال له داود علیه السلام بحق ما سمیت حکیما وان داود قال له یوما کیف اصبحت فقال اصبحت فی یدی غیری فتفکر داود فیه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان یذبح شاة ویاتی باطیب مضغتین منها فاتی باللسان والقلب ثم بعد ایام امره بان یاتی باخبث مضغتین منها فاتی بهما ایضا فساله عن ذلک فقال هما اطیب شیء اذا طابا واخبث شیء اذا خبثا ومعنی ان اشکر لله ای اشکر له تعالی علی ان ان مفسرة فان ایتاء الحکمة فی معنی القول وقوله تعالی ومن یشکر الخ استیناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر ای ومن یشکر له تعالی فانما یشکر لنفسه لان منفعته التی هی ارتباط العتید واستجلاب المزید مقصورة علیها ومن کفر فان الله غنی عن کل شیء فلا یحتاج الی الشکر لیتضرر بکفر من کفر حمید حقیق بالحمد وان لم یحمده احد او محمود بالفعل ینطق بحمده جمیع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لکونه تعالی مشکورا لما ان الحمد متضمن للشکر بل هو راسه کما قال علیه السلام الحمد راس الشکر لم یشکر الله عبد لم یحمده فاثباته له تعالی اثبات للشکر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم واشکم او ماثان وهو یعظه یا بنی تصغیر اشفاق وقری یا بنی باسکان الیاء وبکسرها لا تشرک بالله قیل کان ابنه کافرا فلم یزل به حتی اسلم ومن وقف علی لا تشرک جعل بالله قسما ان الشرک لظلم عظیم تعلیل للنهی او الانتهاء عن الشرک ووصینا الانسان بوالدیه الخ کلام مستانف اعترض به علی نهج الاستطراد فی اثناء وصیة لقمان تاکیدا لما فیها من النهی عن الشرک وقوله تعالی حملته امه الی قوله تعالی

اعتراض بین المفسر والمفسر وقوله تعالی وهنا حال من امه ای ذات وهن او مصدر موکد لفعل هو الحال ای تهن وهنا وقوله تعالی علی وهن صفة للمصدر ای کائنا علی وهن ای تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال یتضاعف ضعفها وقری وهنا علی وهن بالتحریک یقال وهن یوهن وهنا ووهن یوهن وهنا وفصاله فی عامین ای فطامه فی تمام عامین وهی مدة الرضاع عند وعند ابی حنیفة رحمهما الله هی ثلاثون شهرا وقد بین وجهه فی موضعه وقری وفصله ان اشکر لی ولوالدیک تفسیر لوصینا وما بینهما اعتراض موکد للوصیة ولذلک قال علیه السلام لمن قال له من ابر امک ثم امک ثم قال بعد ذلک ثم اباک الی المصیر تعلیل لوجوب الامتثال بالامر ای الی الرجوع لا الی غیری فاجازیک علی ما صدر عنک من الشکر والکفر وان جاهداک علی ان تشرک بی ما لیس لک به علم ای بشرکته له تعالی فی استحقاق العبادة فلا تطعهما فی ذلک وصاحبهما فی الدنیا معروفا ای صحابا معروفا یرتضیه الشرع وتقتضیه المروءة واتبع سبیل من اناب الی بالتوحید والاخلاص فی الطاعة ثم الی مرجعکم ای مرجعک ومرجعهما ومرجع من اناب الی فانبئکم عند رجوعکم بما کنتم تعملون بان اجازی کلا منکم بما صدر عنه من الخیر والشر وقوله تعالی یا بنی الخ شروع فی حکایة بقیة وصایا لقمان اثر تقریر ما فی مطلعها من النهی عن الشرک وتاکیده بالاعتراض انها ان تک مثقال حبة من خردل ای ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تک مثلا فی الصغر کحبة الخردل وقری برفع مثقال علی ان الضمیر للقصة وکان تامة والتانیث لاضافة المثقال الی الحبة کما فی قول من قال کما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السیئة فتکن فی صخرة او فی السموات او فی الارض ای فتکن مع کونها فی اقصی غایات الصغر والقماءة فی اخفی مکان واحرزه کجوف الصخرة او حیث کان فی العالم العلوی او السفلی یات بها الله ای یحضرها ویحاسب علیها ان الله لطیف یصل علمه الی کل خفی خبیر بکنهه وبعد ما امره بالتوحید الذی هو اول ما یجب علی الانسان فی ضمن النهی عن الشرک ونبهه علی کمال علمه تعالی وقدرته امره بالصلوة التی هی اکمل العبادات تکمیلا له من حیث العمل بعد تکمیله من حیث الاعتقاد فقال مستمیلا له یا بنی اقم الصلوة تکمیلا لنفسک وامر بالمعروف وانه عن المنکر تکمیلا لغیرک واصبر علی ما اصابک من الشدائد والمحن لا سیما فیما امرت به ان ذلک اشارة الی کل ما ذکر وما فیه من معنی البعد مع قرب العهد بالمشار الیه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فی الفضل من عزم الامور ای مما عزمه الله تعالی وقطعه علی عباده من الامور لمزید مزیتها مصدر اطلق علی المفعول وقد جوز ان یکون بمعنی الفاعل من قوله تعالی فاذا عزم الامر ای جد والجملة تعلیل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهی وایذان بان ما بعدها لیس بمثابته ولا تصعر خدک للناس ای لا تمله ولا تولهم صفحة وجهک کما هو دیدن المتکبرین من الصعر وهو الصید وهو داء یصیب البعیر فیلوی منه عنقه وقری ولا تصاعر وقری ولا تصعر من الافعال والکل بمعنی مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش فی الارض مرحا ای فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موکد لفعل هو الحال ای تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا یحب کل مختال فخور تعلیل للنهی او موجبه وتاخیر الفخور مع کونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشی مرحا لرعایة الفواصل واقصد فی مشیک بعد الاجتناب عن المرح فیه ای توسط بین الدبیب والاسراع وعنه علیه السلام سرعة المشی تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فی عمر رضی الله عنهما کان اذا مشی اسرع فالمراد به ما فوق دبیب المتماوت وقری بقطع الهمزة من اقصد الرامی اذا سدد سهمه نحو الرمیة واغضض من صوتک وانقص منه واقصر ان انکر الاصوات ای اوحشها لصوت الحمیر تعلیل للامر علی ابلغ وجه واکده مبنی علی تشبیه الرافعین اصواتهم بالحمیر وتمثیل اصواتهم بالنهاق وافراط فی التحذیر عن رفع الصوت والتنفیر عنه وافراد الصوت مع اضافته الی الجمع لما ان المراد لیس بیان حال صوت کل واحد من احاد هذا الجنس حتی یجمع بل بیان حال صوت هذا الجنس من بین سائر الاجناس وقوله تعالی الم تروا ان الله سخر لکم ما فی السموات وما فی الارض رجوع الی سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشرکین وتوبیخ لهم علی اصرارهم علی ما هم علیه مع مشاهدتهم لدلائل التوحید والمراد بالتسخیر اما جعل المسخر بحیث ینفع المسخر له اعم من ان یکون منقادا له یتصرف فیه کیف یشاء ویستعمله حسبما یرید کعامة ما فی الارض من الاشیاء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحیوان او لا یکون کذلک بل یکون سببا لحصول مراده من غیر ان یکون له دخل فی استعماله کجمیع ما فی السموات من الاشیاء التی نیطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا علی ان معنی لکم لاجلکم فان جمیع ما فی السموات والارض من الکائنات مسخرة لله تعالی مستتبعة لمنافع الخلق وما یستعمله الانسان حسبما یشاء وان کان مسخرا له بحسب الظاهر

فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى ﴿واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعم
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمة ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ في توحيده وصفاته ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل
﴿ولا هدى﴾ من جهة الرسول عليه السلام ﴿ولا كتاب منير﴾ انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد ﴿واذا قيل لهم﴾ اى لمن
يجادل والجمع باعتبار المعنى ﴿اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا﴾ يريدون به عبادة الاصنام ﴿اولو
كان الشيطان يدعوهم﴾ اى اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون
انفسهم كذلك اى ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك ﴿الى عذاب السعير﴾ فهم متوجهون اليه حسب دعوته
والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة
بما لا مزيد عليه ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص
وقرئ بالتشديد ﴿وهو محسن﴾ في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في اخر سورة النحل ﴿فقد استمسك
بالعروة الوثقى﴾ اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق
جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه ﴿والى الله﴾ لا الى احد غيره ﴿عاقبة الامور﴾ فيجازيه احسن الجزاء ﴿ومن كفر فلا
يحزنك كفره﴾ فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض ﴿الينا
مرجعهم﴾ لا الى غيرنا ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما
ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب ﴿نمتعهم قليلا﴾ تمتيعا
او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ﴿ثم نضطرهم الى عذاب غليظ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ لغاية وضوح الامر
بحيث اضطروا الى الاعتراف به ﴿قل الحمد لله﴾ على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا ﴿بل اكثرهم
لا يعلمون﴾ شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم ﴿لله ما في السموات والارض﴾
فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ان الله هو الغني﴾ عن العالمين ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق
بلسان الحال ﴿ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام﴾ اى لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد ﴿والبحر
يمده من بعده﴾ اى من بعد نفاده ﴿سبعة ابحر﴾ اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا
وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي وتقديره من الامداد بالكتابة والسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها
واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار
جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ﴿ان الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج
عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليها ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ اى الا كخلقها وبعثها
في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح
عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر
كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث ﴿الم تر﴾ قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام
لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ﴿ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل﴾ اى يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا ﴿وسخر
الشمس والقمر﴾ عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان الايلاج امر متجدد في كل حين واما التسخير
فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل ﴿كل يجري﴾ اى بحسب حركته
الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة بحسب تعدد الايام جريا مستمرا ﴿الى اجل مسمى﴾

قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض
بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر
فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل
المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس وذلك
عند بلوغها الى رأس السرطان ثم يرجع متوجها الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا وقدرا
النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها
برج الجدي وقوله تعالى ﴿وان الله بما تعملون خبير﴾ عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقدير خصوص
الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله
ودقائقها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى ﴿بان الله هو الحق﴾ اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد ﴿وان
ما يدعون من دونه الباطل﴾ اى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دون الله تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة
لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على حقية الالهية تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه
لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال
﴿وان الله هو العلي الكبير﴾ اى ولبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين
لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اى بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري
تعالى بها بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاتها او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت
صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل لها في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب
بل هو بعكس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها ﴿الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمة الله﴾ باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري
او بمقدر هو حال من فاعلها اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون
﴿ليريكم من آياته﴾ اى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ تعليل لما قبله اى
فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ
في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن ﴿واذا غشيهم﴾ اى علاهم واحاط بهم ﴿موج كالظلل﴾ كما يظل
من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما داهمهم من الدواهي والشدائد ﴿فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد﴾ اى مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد
او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ﴿وما يجحد بآياتنا الا كل ختار﴾ غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر
والختر اشد الغدر واقبحه ﴿كفور﴾ مبالغ في كفران نعم الله تعالى ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده﴾
اى لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اى لا يجزي فيه ﴿ولا مولود﴾ عطف على والد
او هو مبتدأ خبره ﴿هو جاز عن والده شيئا﴾ وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ﴿ان وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حق﴾ لا يمكن اخلافه اصلا ﴿فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ اى الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ﴿ان الله
عنده علم الساعة﴾ علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت
حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس
وتلى هذه الآية ﴿وينزل الغيث﴾ في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ﴿ويعلم ما في الارحام﴾

من ذكر او انثى او تام او ناقص . وما تدري نفس . من النفوس . ماذا تكسب غدا . من خير او شر وربما يعزم على شيء
منهما فيفعل خلافه . وما تدري نفس باي ارض تموت . كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان
عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني
ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت ان اقبض روحه بالهند وهو
عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيله وبذل فيه وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه
وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن . ان الله عليم
مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر . خبير . يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة ثلثون آية ، مكية

بسم الله الرحمن الرحيم . الم . اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه المسمى بالم والاشارة اليها
قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى . تنزيل الكتاب . على الاول
خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر
لالم اي المسمى تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد
بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى . لا ريب فيه . خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب
فقوله تعالى . من رب العالمين . متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر
والاوجه حينئذ انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك
اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى . ام يقولون افتراه . فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين
فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة
انكارا له وتعجيبا لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل . بل هو الحق من ربك
باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غاية حسنه فقيل
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون . فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونه غاية حسنة مستتبعة
لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية
بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك
والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر
من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول
وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر . الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش . مر بيانه فيما سلف . ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير . افلا تتذكرون . اي الا تسمعون
هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا
وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع . يدبر الامر من السماء الى الارض . قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية
من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض . ثم يعرج اليه . اي يثبت في علمه موجودا بالفعل . في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون . اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان
وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كألف سنة مما تعدون

فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر
وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء
الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي
بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء . ذلك . اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض
والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي
ذلك العظيم الشان . عالم الغيب والشهادة . فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة . العزيز . الغالب على امره . الرحيم . على عباده
وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان . الذي احسن كل شيء خلقه . خبر آخر او نصب
على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واجبه المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن
اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل الاشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه
اي احسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي احسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن
على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني
والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه
وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى . وبدأ
خلق الانسان . من بين جميع المخلوقات . من طين . على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه الصلوة والسلام
على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداته
المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى . ثم جعل نسله . اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه . من سلالة
من ماء مهين . هو المني الممتهن . ثم سواه . اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي . ونفخ فيه من روحه
اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه
العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح
من امر ربي . وجعل السمع والابصار والافئدة . الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع
كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا
كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما
وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى . قليلا ما تشكرون . بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان
القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح
فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه . وقالوا
كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة . ائذا ضللنا في الارض . اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن
وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا
من جنس الصلة وقيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى
ائنا لفي خلق جديد . وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر واياما كان فالمعنى على تأكيد
الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقدمها عليها لاقتضائها
الصدارة . بل هم بلقاء ربهم كافرون . اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ وافظع منه وهو كفرهم
بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا . قل . بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل . يتوفاكم ملك الموت

لا كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة أي يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا
أو لا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم الذي وكل بكم أي بقبض أرواحكم
وإحصاء آجالكم ثم إلى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى إذ المجرمون وهم القائلون أإذا ضللنا
في الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها
في الدنيا ربنا أي يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات
المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا صما لا ندرك شيئا فارجعنا إلى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه
تلك الآيات وقوله تعالى إنا موقنون ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله
ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا أصلا وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة
إظهارا لثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة
وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر
والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة
وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب بما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك
وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل وسمعنا قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو يكون منك رؤية في ذلك الوقت
أو يقدر ما ينبئ عنه صلة إذ والمضي فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أي لرأيت
أمرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة
إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة
بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت
من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب
فقد نأى عن تحقيق الحق لأن المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق
المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا إلى آخره
أي ونقول لو شئنا أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به إلى
العمل الصالح لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حق القول مني أي سبقت كلمتي
حيث قلت لإبليس عند قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
أجمعين وهو المعني بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك
القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم إلى الغي
بإغوائه ومشيئتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ إعطاءه لكم
وإنما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الآية فيكون
مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بأفعال العباد
عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم إجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون
عدمها منوطا بتحققها وإنما مناطها علمه تعالى أنه لا يصرف اختيارهم فيما سيأتي إلى الغي وإيثارهم له على الهدى فلو أريدت
هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فإن مآل
المعنى ولو شئنا لأعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا
منهم اختيار الكفر وإيثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الأمر بالذوق على ما ينبئ
عنه ما قبله من نفي الرجع إلى الدنيا أو على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للإيذان بأن تعذيبهم

ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب موجب من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم إلى الدنيا أو حق وعيدي
فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب
ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والإشعار
بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك
واحد للتنبيه على استقلال كل منهما في استيجاب العذاب وفي إبهام المذوق أولا وبيانه ثانيا بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال
السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم
استحقاقهم لإيتاء الهدى والإشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل إنكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون
بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنما يؤمن بها الذين
إذا ذكروا بها أي وعظوا خروا سجدا إثر ذي أثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف إلى معاينة ما نطقت به من الوعد
والوعيد أي سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم أي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الأمور التي من جملتها العجز
عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي أجلها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق
الالتفات مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعلة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون أي
والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم أي تنبو وتتنحى عن المضاجع
أي الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الأنصار
كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا أنه قال نزلت في أناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر
وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد
منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله
المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام إذا جمع
الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم أي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا
من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات
فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما أخفي لهم أي لأولئك الذين عددت نعوتهم
الجليلة من قرة أعين مما تقر به أعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقرئ ما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم
على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة
أو استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون أي جزوا جزاء أو أخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة
قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا أي أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين
يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت أحواله لا يستوون التصريح به مع إفادة
الإنكار لنفي المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها
وقوله تعالى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا
وإضافة الجنة إلى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وأياما كان فلا يبعد
أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا نزلا أي ثوابا وهو في الأصل ما يعد للنازل من الطعام
والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة أو بأعمالهم وأما الذين فسقوا أي خرجوا

عن الطاعة فمأواهم النار اى ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم روي انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا
من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون
فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اى عذاب الدنيا يريد
ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين شاهدوه
وهم في الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر والمعاصي روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود
والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة
لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اى هو اظلم من كل ظالم وان كان المسبك للتركيب على نفي الاظلم من غير
نفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اى من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو
اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل جرم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها
وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية من لقائه من لقائك
الكتاب الذي هو الفرقان لقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحي مثل ما لقيناك
من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عنه عليه السلام رأيت
ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اى الكتاب الذي آتيناه موسى هدى
لبني اسرائيل وقيل لم تتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام
الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا وفي لما معنى
الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير لله لتقدره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اى جعلناهم ائمة حين صبروا
والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اى لصبرهم وكانوا بآياتنا
التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن
منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اى يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين
يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف
على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين
والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا
من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره
تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الى آخره استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اى يمرون في متاجرهم على ديارهم
وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا الامم
الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اى التي جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به
زرعا تأكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء
وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته
تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون
بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى يفصل
بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة ويوم

بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر
سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان
عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول
ظاهر واما على الآخرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح
وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اى الغلبة عليكم
لقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي
في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلم من قرأ
الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام صدق الله العظيم

سورة الاحزاب ثلث وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد
بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اى المجاهرين
بالكفر والمنافقين المضمرين له اى فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة
ابن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن
قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين
من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد
فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما
واتبع اى في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله
الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا
قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون
للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل
ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل
ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك
بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اى فوض جميع امورك اليه
وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه السلم
باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اى بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة
بمنزلة اجتماع قلبين في جوف احد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر الجميل بن اسد
الفهري ذو القلبين اى ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة
الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة
على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي

نفعين

بجا

وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياءكم جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو والنسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف الوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغايته لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه تصديق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والوجه ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين

او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين بعيد ظاهر مع انه يفضي الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات ثم تجويز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي لكني والله لا احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتناولا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي تفصيلها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون بالله تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما فيه حرج والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زيدت في القوافي هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا

زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما
من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من
من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اي وعد غرور وقيل قولا باطلا قاله معتب بن قشير واضرابه رأوا الاحزاب قال يعدنا
محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه
وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل هو اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها نهى
النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم
اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر
وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا
لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او كما
عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى
ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه
السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على السؤال
عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة
في الاصل الخلل اطلقت على المختل وقد جوز ان تكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام
الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون
بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها
وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور
من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلفة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة
والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر
مكان ما سئلوا الان من الايمان والرجوع لاتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء
وقرئ لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي البثوا ما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال
والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الان وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا وان تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد
الدخول عن الفاعل بغير ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشئ
وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر
المذكورة واسناد سؤال الفتنة الدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون
لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله
وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم
واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل
الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضر قد يعلم الله
المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة

دفعهم

هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب يستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة
ولا يأتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن
لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى
ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب لا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم
اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم
فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون
او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا
ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عين الذي او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او باللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم
ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم
اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها
لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم
خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ
يساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه
فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسند اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور
ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا
رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ
بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الاخر خصوصا
وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم
والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا فان
المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون
الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم
اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه
فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب
او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك
العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوا بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب
والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة
وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم
للتعظيم وما زادهم اي وما زاده الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره

بناه

عليكم

من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نوفل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقه
اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه
واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكونه نية يحرني الاعداء ان لم تنحر وقالوا انا نفي
بحث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين
وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه
والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله
الاية فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان
الله عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة
المغياة بما ليس منها ولا داخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتي ومنهم اي وبعضهم
او وبعض منهم من ينتظر اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم
اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول
الاية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا اما بتنزيل هذا او يجوز ان يكون النحب مستعارا
لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية له منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه
وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة
بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة
وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا
عهدهم وما غيروه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون
اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم
للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم
وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة الجنة
وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله
وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاول
ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال
والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين
بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء
تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم
الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب
ليجزي الاية فتامل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى
ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر حسبما اشير اليه كانه قيل ليجزي الله كاهل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث
ورد الله او على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية

تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال
والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
بغيظهم حال من الموصول اي متغيظين وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين بخير او
بيان للاولى او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث
كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب
وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما نطق به قوله تعالى فريقا
تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال
اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا
فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ بالرعب بضم العين
كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم
واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار في ذلك فقال عليه السلام انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه السلام
لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها اي واورثكم في علمه وتقديره
ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد
شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا اسرحكن
اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي انهن سالنه عليه السلام
ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق
اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان
تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن
واسرحكن وذهب اخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا
وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع
شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى
وسفيان وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت
نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار
وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح

من باب الكرم وفيه قطع لمعاذير من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد
واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك
فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل
للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى والدار الاخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله
اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد
الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح
في وصف السراح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده
بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات منكن بفاحشة كبيرة مبينة
ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ يات بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين
اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك
جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للفاعل ونصب العذاب
وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت
منكن وقرئ بالياء اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى
على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضميرا لله
واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد
وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن
بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض
اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع
كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث
او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت
فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من قر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اقررن ففعل
به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن
في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم
السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى
الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر
واقمن الصلوة واتين الزكوة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله
في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم
وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح
اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى اية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان
راي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت
دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة
والتذكير ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه ايات الله البينة الدالة على صدق النبوة
بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي
وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة
في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الايات ووقوعها في كل البيوت وتكررها
الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة
غيرهن تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من
يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى
من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين
والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والاية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القران بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته
الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام
لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار
بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان
يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير من
لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وجمع الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن
يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن
الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته
وانعمت عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان
المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما
مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة
جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة
صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه

بالخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفا وحده بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه
او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نسا النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن
زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين
ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي حين تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة ودليل
على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او ما يريد
مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون عليه
ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم
سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين
خلوا مضوا من قبل من الانبيا عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام
مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون وما يذرون
لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم
بقصر خشيتهم على الله تعالى … عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق … قوله تعالى وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا … والكبيرة فيجب ان يكون
حق خشيته منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم … الا انه
عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل … ناصح لهم وسبب لحيوتهم
الابدية وما زيد الا واحد … لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام لتحكم حكمهم … لا ادعاكم سوى التبرع
والاختصاص وخاتم النبيين وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم … ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
واياما كان … لكان نبيا ولم يكن نبوة عليه السلام خاتم النبيين انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما
ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته تعيين الاحكام
والحكم التي … لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس
ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق بكرة واصيلا اي اول النهار واخره على ان
تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد
التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد
بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم
استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته
عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان
استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له
وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ
من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم

واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره نزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر
ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم
رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتنا باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام
بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التي هي الاعتنا بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون
به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم
من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لاثار رحمته الفائضة عليهم
بعد دخول الجنة عقيب بيان اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال
مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود وبيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى
من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من
بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال
مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته
وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا
بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة
وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج
الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس
وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم
بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال المجانبة في التبليغ
والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها
ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك
في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشئون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيهم وكفى
بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال
الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر
بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة
في انذارهم كما حقق وقوبل الداعي الى الله تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به
وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات
الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفى به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة
حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح
الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن
اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي القرى

غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق
ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد واياما كان فتقييد الاحلال له عليه
ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له
عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها
وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل الاعلام بمطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت
بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي
ان يستنكحها اي ان يملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن نصا في كون
تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد
فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة
والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص
احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات
على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال المذكورة في المادة المعهودة غير متحقق
في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك
وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل
وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال
المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه
السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في الازواج وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة يحق
ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام
متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء
الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر
في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء
وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت
طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك واذا امسك ضاجع
او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق
له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء
ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن
وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تأكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا

في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها
فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد
التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وهن بعد اختيارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف احدى التاءين بهن اي بهؤلاء
التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق اراد الله لهن كرامة
وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة
بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش
الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة
التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال
الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي
ليس من الوظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج
لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب اي ممن اعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل نسخت بقوله تعالى
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك فان ترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة
وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات عليه السلام على التحريم الا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا
فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب
على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان
يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من اعم الاوقات
اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف
مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك ان يصيح الديك انما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام
متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى
غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا
عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند
البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول
بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا لانه
خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اي لحديث
بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم
اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده
عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه
امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه
بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول
عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب
اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه

عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ذكر
من عدم الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم
اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد مرتبته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هايلا لا يقادر قدره
وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال
ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم
بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب
عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر
العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر
ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة
لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا
نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله
في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما ما امرتن ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه
الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة
ما بعده عليه على راي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اراد ان يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي
يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم
او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه
وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده
فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان
غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك
ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في آية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي
يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شانه صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي ان الصحابة كانوا
يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين
يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي في حقه تعالى وقيل في ايذاء
الله عز وجل هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته
وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل

لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته
في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتاذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا
اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه
وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون
الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحراير ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر
ولما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم
بان يامر بعض المتاذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله
الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر
من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي
ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين
من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال
الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل
وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك
من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها
متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك
عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة
الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء
وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية
سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها
كان المشركون يسالونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وساير الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك جملة مستقلة
له عليه السلام غير داخلة تحت الامر مسوقة لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت
قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية
ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار
للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته
العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين
وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او تطبخ في القدر فيدور به الغليان
من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين ونقلب باسناد
الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر

وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل جهة فقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او من سواد العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا ويقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ونوال الفائزين بها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شانها وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها لكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريقين اشير بقوله عز وجل ليعذب

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وحمل الامانة الى تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء عنه امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لنا وابين الا ان ياتين به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امر به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وهذا اقرب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والله تعالى اعلم بحقيقة الحال

سورة سبا اربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض حينئذ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية

والدنيا اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون
ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ ما ينزل بالتشديد وبنون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي
وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية
المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم
متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتأتينكم تأكيد
له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على ان الضمير للساعة بمعنى اليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ اعادة للتأكيد
اثر تشديد وتكرير لتكذيبهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه
وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر
من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم
على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون
امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح
لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما
ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو
اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على
ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح
خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم
من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها
وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى
اليم بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز
ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القرآن هو الحق بالنصب على انه
مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني ليرى وقوله ويرى الخ استئناف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة
الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفا على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به
على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي
عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وهاديا كما قيل ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك الحق هاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وفاعله
ضمير الذي انزل على اضمار مبتدأ اي وهو يهدي كما في قول من قال نحوت وارسلهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا
مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية فاخزاهم الله تعالى
ينبئكم اي يحدثكم بامر مستغرب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تفريق
بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي تستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او

تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا الفعل لان
ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقيل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه
افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بهذا الترديد على ان بين الصدق
والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه
وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا
بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك
يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم وللتنبيه على ان اعضادهم وانتفاعهم ترتبه عليه
كانه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان
علة ما ارتكبوه واجترأوا عليه من الشنيعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام
ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه
لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع
جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون او نسقط
عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون
مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم
من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات
فنأل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر
من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية لكل عبد منيب
شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد
ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل
وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا
لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التأويب
اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك
وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عليه السلام
وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا
او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة
الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا
ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول
هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو
منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبريائه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد
اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا
كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى

سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح
قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما يقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا
في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك
سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه
وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف
جميع اوقاتك الى السرد بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب لقوله تعالى واعملوا صالحا
عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو
اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل
بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون عنه
فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر اي النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام
فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل
بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى
ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير
اي عذاب النار في الاخرة روي عن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون
له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك
لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت
حينئذ في المساجد ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد
على الجفنة الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم و
نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به
اي اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه
لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية له ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
عليه السلام ما دلهم اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثيرها
من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تأكل منسأته اي
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها
بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان
كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباس عليك اي علمت الجن علما
بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما
في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المبين في الحقيقة

هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة
ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى فمات قبل تمامه فوصى الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا دنا اجله وعلم به سأل ربه
ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب فعملوا فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي
متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان
فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين وملك وهو
ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ
بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى ارشاد الى احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخرج لها بين بين في مسكنهم وقرئ
بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال آية
دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن
والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف
اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة
وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف
مبين لموجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها وطلب منكم الشكر رب غفور
لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج على راسها
المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شيء
فاعرضوا عن الشكر بعد اتيان الايات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى
وذكروهم نعمته وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو
الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر
والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وركبت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب
عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم
الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم
بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة
حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع
بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط
بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر
يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق
مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له
ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا الاول كما وحاله كان شجرهم من خير الشجر فصيره الله تعالى

من سر السحر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او باجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها لياليَ اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعّد وربنا بعّد بين اسفارنا وبُعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثر والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلم وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا

يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقا فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكنده وحمير ومن تبعهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلم فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس ان فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكنده والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبأ او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يتم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وماله اي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امورهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد رأسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا

ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة
لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها
عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام
بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له
مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع
بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية
لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب
كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل
الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون
بامره ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله
الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو
المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء
للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفى الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد
المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاده فاسند اليه على عكس ما … الراء واصله فرغ الوجل
عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل
من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق
هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث
كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة
والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعدما سبق
من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف
المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا
ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها قل
لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام
وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
اريد بامرهم بارادة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اي اروني
لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم
عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي
هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة
للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط … المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى

يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار في الاستحالة
كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف
الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة
على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع
اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا
عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار
فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ
بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا كركم الاغواء
في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدر اي بل تكرون الاغواء كر الليل
والنهار اي تكرارا دائما وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعل المذكور
نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة
لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار
للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا
يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة
بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه
لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه السلام
وقاسوا امور الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة على تقدير
وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر الدين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع اليه فعل به من البسط والقدر فربما
يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى
يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها
وقرئ يقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان

ولا مذنبون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقريره اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء مفرغ من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آمن فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متاخر سيأتي تقريره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني الآية واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون منزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به واسناد عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا بالملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات

بيان لبعض آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لعدم مطابقة ما فيه في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرايهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الى آخره فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب الى الاطمئنان ثم تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبة البرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وقد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية فوجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى اي اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال راسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل الى الله تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر العين وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ

فأنى تؤفكون لترتب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كما قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد
ثانيا اى وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغتهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل
فى المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد
التسلية والحث على المصابرة اى رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم
بما هو عليه من الاحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا
من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل فى التهويل يا ايها الناس رجوع
الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق
ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحياة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم
يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ولا يغرنكم بالله
بعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم
ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع
الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد
ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له فى عقائدكم وافعالكم
وكونكم على حذر منه فى مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد
المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم
بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير
لا غاية لهما أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين
الى تلك العاقبتين والفاء للانكار ترتيبه بعد ما على ما قبلها اى أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل من يشاء تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه
واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدى من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى
فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا
لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا اى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ولا له منه اما بعد له فيه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم
اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم اى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك
فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتتعب نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء
على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر عليهم وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر ان الله عليم بما يصنعون اى من القبائح فيجازيهم عليها
على الوجه اللائق ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ابى جهل ومشركى مكة والله الذى ارسل

الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع فى قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار
الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اى يبسها وايراد الفعلين على صيغة
الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض
وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى كذلك النشور فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية
اى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف فى الاول
دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين
كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين
آمنوا بألسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اى له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة
اى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله
تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو الذى يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات اى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرض صاحبها على طلبته
بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله
والدرجات العالية الآية وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملائكة وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع
من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والذين
يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها
صفة للمصدر المحذوف اى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداورهم الرأى
فى احدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى امرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان اى ومكر اولئك المفسدين
الذين ارادوا ان يمكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم الثلاث التى اكتفوا فى حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور
اى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما حققه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا
ثم جعلكم ازواجا اى اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم لبعض زوجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى
بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره اى وما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمره
اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء
ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتى على آخره وقرئ ولا ينقص

فأنى تؤفكون لترتب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كما قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك التفات من الخطاب
والتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد
ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل
في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتعظيم الموجب
للسلوة والرجحة المصابرة اي رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منكم ومنهم
بما هو عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا
من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع
الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق
ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم
يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله
اي بعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم
ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع
الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد
ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم
وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد
المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم
بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير
لا غاية لهما أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان حالهما المؤدي
الى تلك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل من يشاء الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه
واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى
فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا
لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا اي أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ودلالة منه اما تمهيد لصرفه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم
اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك
فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء
على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله
على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل

الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار
الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة
الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض
وبين البعث الذي شبه به في قوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول
دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين
كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين
آمنوا بألسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة
اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله
تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرضها على طريقته
بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا
الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وعن ابن مسعود ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع
من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والذين
يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها
صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي
في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين
الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور
اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا
ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي الا ملتبسة زوجا
بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره
اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء
ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على آخره وقرئ ولا ينقص

على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم إلا في كتاب عن ابن عباس أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان
إن ذلك أي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محار العقول والأفهام على الله يسير لاستغنائه عن الأسباب
فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات
الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف
وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل أي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون أي من الملح خاصة حلية تلبسونها
إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وإما تكملة للتمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث أنهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى
الكافر والمؤمن وإن شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته
الأصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر من حيث إنه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار
وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه
أي في كل منهما وإفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحر فقط
مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الأفعال المذكورة أي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أي تشكروا على ذلك
وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة أحدهما ونقص الآخر
بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر
متجدد حينا فحينا وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى كل يجري أي
يجري بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريا مستمرا لأجل مسمى قدره
الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والأجل المسمى عن منتهى
دورتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة وما فيه
من معنى البعد للإيذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أي ذلكم العظيم الشأن الذي أبدع هذه الصنائع البديعة
الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على أن إبداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الأخبار له ما لا يخفى ويجوز
أن يكون الأخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى
بالألوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة إن تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على
الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الأفعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فإن ذلك مما لا يتصور
منهم في الدنيا ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي يجحدون بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وفيما يعن
لكم من أمر مهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب
وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد
أي المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم
بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك أي ما ذكر من الإذهاب والإتيان على الله
بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة أي لا تحمل نفس آثمة وزر أخرى أي نفس أخرى بل إنما تحمل كل منهما
وزرها وأما ما في قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال إضلالهم

مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شيء وإن تدع مثقلة أي نفس أثقلتها الأوزار
إلى حملها ليحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى
ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا النفي للحمل اختيارا والأول نفي له إجبارا إنما تنذر استئناف مسوق لبيان من
يتعظ بما ذكر أي إنما تنذر بهذه الإنذارات الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس
في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم وأقاموا الصلاة أي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا أي
إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد ومن تزكى أي تطهر من أوضار
الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات فإنما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا بها
وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من معظم مبادي التزكي وإلى الله المصير لا إلى
غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن ولا الظلمات
ولا النور أي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور
أي ولا الثواب ولا العقاب وإدخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر
للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين
وقيل تمثيل للعلماء والجهلة إن الله يسمع من يشاء أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من
في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام من إيمانهم إن أنت إلا نذير
ما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك
بالحق أي محقين أو محقا أنت أو إرسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أي ما من أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا أي مضى فيها نذير
من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولأن الإنذار هو الأنسب
بالمقام وإن يكذبوك أي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية جاءتهم
رسلهم بالبينات أي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة
والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم أخذت الذين
كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري
بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها ألم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن
الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم أن الله أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به بذلك الماء والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة
والحكمة ثمرات مختلفا ألوانها أي أجناسها وأصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها
أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط
وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق
الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل
ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد للأسود كالفاقع
للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي
مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم
بعض مختلف ألوانه أو بعضهم مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وإيراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب

والانعام فما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر
بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق بالرؤية بطريق الاستفهام التقريري المبنى على حمل الغير على الرغبة فيها
بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى
كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال
وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم
اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان
اى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم
بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله
الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية
ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان
الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى
القرآن الناطق بالحق وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس مراد كـ
فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها
على حكاية الحال الماضية كونه تعسفا ظاهرا مع انه لا يكشف الا عن المضى الرغبة في الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين
يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث
الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الكل مشروعا ليس الا حكمها لكن
لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية
في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران
اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان
والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه
ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل معنى
دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل
لما مر من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين يتلون وحال من واو
انفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء
هو الحق مصدقا لما بين يديه اى احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياها
في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي
النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب اى قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة
اى اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة
باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء
الى افضل رسله عليهم الصلوة وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجو لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو

من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم
المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة
وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح
بالسيء والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصدون فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير
من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب
او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين
ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير
وتحريضا على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ
يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور
جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اى يحلون بعض اساور من ذهب كأنه
افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب
مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا
اى يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل
هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اى
للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة اى دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله
من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال
والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول
له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ
في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم
يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير
الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه
وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار المنفي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اى الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اى يتمكن فيه المتذكر من
التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن علي رضي الله عنهم وهو العمر الذى
اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير

عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا لانه في معنى قد
والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها
من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة
وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور
قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف
في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه
والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم
من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره
لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه اشد البغض الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة
الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين القبيحين
بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة
اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه النظم
الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة
في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى
انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله
يشفعون لهم بالتقريب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك
وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما
من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم
والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى
الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق
استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا
السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق
المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد
لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم ونفي
لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

استشهادا على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق
من آثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم
ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما اغنى عنهم طول المدى وما اغنى
عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقرئ قوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات
ولا في الارض اعتراض مقرر لما تفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا
في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا
من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل
ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا
فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس ثلث وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل
وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع
والنصب اي هذه ياسين او اقرا ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين
على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف
كما سلف في فاتحة سورة البقرة هذا اذا ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو
طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه
وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي وقالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين
فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير
كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي
وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر
في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا
وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به
اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع
الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهادا على تحقيق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به
ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة
الشريعة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي
تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر
بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية
بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به
ترهيبا وترغيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه
مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير فهو فصل
تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاولى وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف

وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول
مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره اباؤهم الابعدون
على انها موصولة او موصوفة فتكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فتكون نعتا لمصدر مؤكد اي
انذارا كائنا مثل انذارهم فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم
ينذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين ارد تعليل
انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر اباؤهم
الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم
البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من
التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا
والمراد بالقول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله
تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع
ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا
واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع [illegible]
على ذلك لا على ثبوت القول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه [illegible]
بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق [illegible]
الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون [illegible]
مع ما ذكر [illegible] سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار
[illegible] محصورين [illegible] قد غطى [illegible]
في الكشف عن [illegible] والجهالات محجوبين عن النظر في الادلة والايات
[illegible]
[illegible] فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال المخزومي [illegible]
هذا الحجر [illegible] فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل
اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما فصل في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين
لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين ان الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل
انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي
الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه
كما انه رحيم غفار كذلك منتقم قهار كما قال نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة
واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى
بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم [illegible]
[illegible] ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها
من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر ونحو ذلك من وجوه البر ومن
السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها
لمن بعدهم من المفسدين [illegible] ولعل المراد انها من جملة الاثار [illegible]

وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون
وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة
بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها
للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي
في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي
طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني
اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها
المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله
اذ ارسلنا اليهم اثنين مبنية على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي
فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه
اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اي جميعا
انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة
اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما
فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن
حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما الكما اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك
فقال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية
الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا
قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر
فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك
وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع
ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة
اودية من النار انذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال
شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام
فهلكوا [illegible] ولكن لا يساعده [illegible] النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج
ولم يذكر فيه من آمن منهم سوى حبيب ولو ان الملك ومن معه آمنوا لكان الظاهر [illegible]
[illegible] الشهيد [illegible] فيه ذكر بوجه من الوجوه [illegible] الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف
من ملئه [illegible] من الاعداء قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا
من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقدر لعمل ما بالا وما انزل الرحمن من شيء
[illegible] من وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا
بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة
الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا مبينا بالايات الشاهدة بالصحة
وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه
المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا انا تطيرنا بكم
[illegible] جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون

بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او تنبيها على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق
بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يومنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك • لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم
لنرجمنكم بالحجارة • وليمسنكم منا عذاب اليم • لا يقادر قدره • قالوا طائركم • اي سبب شومكم • معكم • لا من قبلنا
وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم • ائن ذكرتم • او وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم
بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ • بل انتم قوم مسرفون • اضراب عما يقتضيه الشرط من كون
التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم اتاكم الشوم او في الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به • وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى • هو حبيب النجار وكان ينحت
اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يومن بنبي
غيره عليه السلام احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه • قال • استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال • يا قوم اتبعوا المرسلين • تعرض لعنوان
رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول النصيحة وقوله تعالى • اتبعوا من لا يسئلكم
اجرا وهم مهتدون • تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا
والدين • وما لي لا اعبد الذي فطرني • تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم
ما اختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى • واليه ترجعون • مبالغة
في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال • ءاتخذ من دونه آلهة • انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى • ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا • اي لا تنفعني شيئا من النفع • ولا ينقذون • من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة
استيناف لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردني
بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر • اني اذا • اي اذا اتخذت من دونه آلهة • لفي ضلال مبين • فان
اشراك ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له
تمييز في الجملة • اني آمنت بربكم • خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان
يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا
للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به • فاسمعون • اي اسمعوا ايماني واشهدوا
لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم
لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا • قيل ادخل الجنة • قيل له ذلك لما قتلوه
اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها
حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة
في المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقالته كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب
في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى • قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين • فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال له وانما تمنى
علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ
والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ المكرمين
وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به
تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم • وما انزلنا على قومه من بعده • من بعد قتله او رفعه • من جند من السماء
لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان

الرسول صلى الله عليه وسلم • وما كنا منزلين • وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لانا قدرنا لكل شيء
سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال
الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح
وامطار شديدة وغيرها • ان كانت • اي ما كانت الاخذة او العقوبة • الا صيحة واحدة • صاح بها جبريل عليه السلام
وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح • فاذا هم خامدون • ميتون
شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء
الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • يا حسرة على العباد • تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري
فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى • ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون • فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصحهم
سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمومنون من الثقلين وقد جوز
ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي
ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف • الم يروا • اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى • كم اهلكنا قبلهم
من القرون • لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك
الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه • انهم اليهم لا يرجعون • بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم من القرون كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل
حينئذ بدل اشتمال • وان كل لما جميع لدينا محضرون • بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية
وتنوين كل عوض من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون
لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة
واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون لدينا • وآية لهم الارض الميتة • بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية
خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها
وقوله تعالى • احييناها • استيناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدا ولهم خبره والارض الميتة مبتدا موصوف واحييناها
خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدا واحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لهم والارض واحييناها صفتها لان المراد
بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية لهم الارض • واخرجنا
منها حبا • جنس الحب • فمنه ياكلون • تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به • وجعلنا فيها جنات
من نخيل واعناب • اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك
الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع • وفجرنا فيها
وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى • من العيون • اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على رأي الاخفش • لياكلوا من ثمره • متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون
لانه من مبادي الاثمار اي جعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ورتبنا مبادي اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل
باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ
بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون • وما عملته ايديهم • عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما
وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذفه
من الصلة احسن من الحذف من غيرها • افلا يشكرون • انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها • سبحان الذي خلق الازواج كلها • استيناف
مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآلاء المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته

وانوار حكمه وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان
علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا
ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه
اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل
ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة
اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه
الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما
لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به
ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد بكل ما تنبت فيها
من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون
اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم
الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته
وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والا
في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اي
داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين
ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها توجد فيه ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما
وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام
تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار
فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه
ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة
الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنها
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج
فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق
وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها اي يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر في سرعة السير
فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار
اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه
الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد

ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم
انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق
عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك
المشحون اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هولاء وذرياتهم
وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم
من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق
وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص
اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن
بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار
وان نشأ نغرقهم اي مع ما ذكر من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم
ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به
في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه او مع ما يركبون من السفن
والزوارق فلا صريخ لهم اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم على انه
اسم مصدر ولا هم ينقذون اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم
العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا
داعية الى الاغاثة والانقاذ ولتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقابل التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكونان
كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اي الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكي ابقى
ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية
التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم
وما خلفكم من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من مثل الوقائع
التي نزلت على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين ان ترحموا
او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة
النص واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل
لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة
لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها
المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات
القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها
الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها
من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور
لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وفي ايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع في قوله تعالى
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة

بمعرض قد رتبت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول يأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها
على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من الاحوال الا حال اعراضهم عنها
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جناياتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية
اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره
قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى
انطعم من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي
زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم
فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين
حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى تنجز وتنار من جاهم انه مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لانهم
ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات الواعدة بقيامها ومعنى القرب اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون
جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم مفاجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها
ولا يزعموا انها لا تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع
وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليها وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن
الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم
ولا الى اهلهم يرجعون ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها
وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى
لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي ابتداء بعضهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا
من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون
فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان
العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا
او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مرقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد
او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي
يهمهم السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به
انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق
ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فاذا هم جميع
اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب
ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون

اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه
على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده
انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا
لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار
بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهم عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء
بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة
والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به
من هو في الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله
تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم
كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم و
كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع خبره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم
في شغل واي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل
المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بتحققها ووقوعها لا محالة ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل
بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن
في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها
بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر
والجاران صلتان له قدما عليه لمراعاة الفواصل او هو الجار الاول والثاني متعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول
والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالنصب
نصبا على الحال من المستكن في الظرف او اجعلها وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به
وكذا في ظلال او هو بمضمر هو حال من المعطوف والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة ظلل
والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ
بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل
القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون
موصولة او موصوفة عبر عنها عن كل مدعو عظيم الشأن معين او مبهم ابتداء بأنه يحصل لهم دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير
بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي عامة على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدأ
ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها
والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان
ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا اشتوى وجمل لنفسه وقيل
بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به
اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى
سلام على القدر الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار
متعلق بمضمر هو صفة له كما قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى
بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على القدر
الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما تقول لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له
ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص

وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة
كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى وهو مبتدأ وقيل خبره الفعل المقدر ناصب لقولا وقيل خبره من رب
رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم
عطف اما على الجملة التي هي المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه
عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين
آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر
بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم
وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يُرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا
فمعزول من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم
عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم
الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة صار تحققها بحيث اسقط كونها
مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية فكون المضمر شيئا متعلقا اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى
اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر
والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا
على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته
فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة
واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب
الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول
بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية
التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد
والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
في قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جناياتهم
ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب
لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ
بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق
في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي والله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم
الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى
افلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم
تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف
يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام
بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق
انك انت الخ اي ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اي

نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم
مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها
دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى لذلك
نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود
ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع
المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما في قوله تعالى
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا
سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو متضمن للاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك
ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ
على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر
من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل
بهم في الدنيا تلك العقوبة كما يفعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية كانه قيل لو نشاء
عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين
الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد
ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل
والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون
ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري
الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج
على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر
المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم
الظنون قاتلهم الله تعالى انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر
لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة
من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن شعرا ان هو اي ما القرآن الا ذكر
اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي بين كونه
كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه
وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه
ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى

فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة
اولم يروا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي ألم يتفكروا او ألم يلاحظوا ولم يعلموا
علما يقينا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول
خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقدم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم مشتملا على كون المؤخر امرا
نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيد
النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الا ان اي
فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون
مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك
غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تاسيسا لنعمة
على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها من الذبح حسبما نطق به
قوله تعالى فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم
معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة
اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها ياكلون اي وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام
بكلي قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب
من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او ايتنعمون
بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة
الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الاخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم استيناف
مسوق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر آلهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم
اي لآلهتهم جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم
ولا يبعد هذه من سياق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون
عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير
فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان
بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن التأثر منه بطريق الكناية
على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية كما في قوله
لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا
عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء
وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق
الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية
والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه مزيد تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة
في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى

بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك
فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستأنف
مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان
بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة
هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية الاولى اي ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة او هي
عين الجملة المعطوفة عليها ما عدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق
بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل
فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا
مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو
لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انهما متعاطفتان في الاعتبار وان تعدد الهمزة عليها لا تقتضي الصدارة في الكلام
كما هو رأي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف
على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ
خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة
واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام
مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة
البعث وقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتقبيح اما على التقدير الاول
فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة
والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها
اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى
ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل
كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا اياه اشد النكير مؤكدا له بقوله وهي رميم
اي بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر
حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء
بل اهون منه في قياس العقل على ما سيأتي وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل
وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع كما تحقق من كونه مثل الانشاء او اهون منه وعلى الثالث
فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام
غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون
بنجاسته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل

سبكناه بتذكير نشئه من نطفة الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستدلال بها • يحييها الذي انشأها
اول مرة • فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها • وهو بكل خلق عليم • مبالغ في العلم بتفاصيل
كيفيات الخلق والايجادات واعادته محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها
واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق
مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية
للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمتجدد • وقوله تعالى • الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل
من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد والتفاوت في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم
منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى
فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى • فاذا انتم منه توقدون • فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر
مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله
اوليس الذي خلق السموات والارض • الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه
السلام بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي
انشاها اول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شانهما • بقادر على ان يخلق مثلهم • في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما
فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى • بلى
جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به
او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى • وهو الخلاق العليم • عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو
المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما • انما امره • اي شانه • اذا اراد شيئا • من الاشياء • ان يقول له كن • اي
ان تعلق به قدرته • فيكون • فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر
الآمر المطاع للمامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء • تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شانه تعالى والفاء
لتحقيق معنى سبحانه والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزيهه وتنزيهه كل الايجاب كما ان وصفه
تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت
والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء • واليه ترجعون • لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح
التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس
وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن
يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه
صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها
وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض
الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها
الا وهي سورة ياسين تم

سورة الصافات مائة وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • والصافات صفا • اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف
على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك
الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى انحن المعنيين
مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اجنحتها في الهواء • فالزاجرات زجرا
اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور
ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سياتي
وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى • فالتاليات ذكرا • فمفعول
للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد
والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان جرت على الكل فعطفها
بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس
وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات
افضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها
في صفوف الجماعات او اقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه
واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات
الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف
والدلالة على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر
في الملائكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر
عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال
ان الهكم لواحد • جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد القسمي تمهيدا لما يعقبه
من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى • رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق • فان وجودها وانتظامها
على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها
الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها
ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما • انا زينا السماء الدنيا • اي القربى منكم • بزينة عجيبة
بديعة • الكواكب • بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاعها
من اعظم زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها
ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب واما على تقدير
كون الزينة مصدرا فاضافتها اما على تقدير اضافتها الى الفاعل اي بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب او على تقدير اضافتها
الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد بتزيينها لمن رآى العرش فان جميع الكواكب من الثوابت
والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلالئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت
في الفلك الثامن وما عدا القمر في السبعة المتوسطة بينهما • وحفظا • منصوب اما بالعطف على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا • من كل شيطان مارد • اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر

متعلق به كما قيل وحفظا من كل شيطان مارد رميناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء منهم مع التنبيه على
ما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب لا صفة لكل شيطان ولا جواب عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى
ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما في جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف
ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما
اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صيانة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس
هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون اي يرجمون
من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى
مدحورين او مصدر مؤكد له لانه من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون
مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اي لهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب
شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل
والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء مشددة
وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء
ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا
وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا اي
اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه وتحليته بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات
المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم لاتب بل عجبت اي من قدرة الله
تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ
كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله
ويسخر ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اي ودابهم المستمر انهم اذا وعظوا
بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم
واذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي
بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا
ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ءانا لمبعوثون اي انبعث لا نفسه لان [illegible] لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم
الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ءانا لمبالغة في ذلك وكذا
تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في
قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى
بطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون
وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى
ما اشركنا ولا آباؤنا والمعنى ان بعث آبائهم الاقدمين ابعد على زعمهم وقرئ اوآباؤنا
قل نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه

نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم
يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي الخ
والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون
يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي
يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى
باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا
بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل
للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم
من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي
على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص
فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا
الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك ثم علل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم
ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما نطق به
قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال
الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد
وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم
وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض
هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تأتوننا
في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار
من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا
على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان
لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق
علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اي
العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد
انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي
الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك
الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان
واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة انكم بما علم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام
والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله

ولا اذكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات
او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة
الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى
ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله
استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن
عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص
في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبره وقوله تعالى رزق مرتفع
على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم عليه والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء
اجمالا بيانا تفصيليا وهي خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص
من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة
من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل
لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن
ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن
في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذا قوله تعالى على سرر لتحمل الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه
اي في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين
او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في
من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كائنة من شراب
معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به
الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما تجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا
لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم
الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من
اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولاهم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب
عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرده بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم
مفاسد الخمر كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم
ولاهم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف
ينزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين
نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام
على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد
والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم اني كان لي في الدنيا قرين مصاحب
يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد

الصاد من التصديق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمبعوثون
ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق
بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه
فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم
وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه
في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو
الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان
في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ
فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون يقال طلع
علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا
ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكأنهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت
لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين
اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام
الكلام مع قرينه تبهجا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح
وذبح ونودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا
بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل لتقرير قولهم وتصديقه وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة
العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام
المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل
الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور
خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يعد ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه
على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك في النار تحرق الشجر
ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم
طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر ما لوا اول
التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه
الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا

منتنا او منكر الصورة يسمى بثمره رؤس الشياطين ۞ فانهم لآكلون منها ۞ اى من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه ۞ فمالئون منها البطون ۞ لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ۞ ثم ان لهم عليها ۞ على الشجرة التى ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ۞ لشوبا من حميم ۞ لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعائهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمى به ۞ ثم ان مرجعهم ۞ اى مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم ۞ الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يمتلؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم ۞ انهم الفوا اباءهم ضالين ۞ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لابائهم شىء يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل ۞ فهم على آثارهم يهرعون ۞ من غير انهم على الحق او لامع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ۞ ولقد ضل قبلهم ۞ اى قبل قومك قريش ۞ اكثر الاولين ۞ من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ۞ ولقد ارسلنا فيهم منذرين ۞ اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين ۞ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ۞ من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصين بقوله تعالى ۞ الا عباد الله المخلصين ۞ من الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ۞ ولقد نادانا نوح ۞ نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليهم السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى ۞ فلنعم المجيبون ۞ اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ۞ ونجيناه واهله من الكرب العظيم ۞ اى من الغرق وقيل من اذية قومه ۞ وجعلنا ذريته هم الباقين ۞ فحسب اذ اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج ۞ وتركنا عليه فى الآخرين ۞ من الامم ۞ سلام على نوح ۞ اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى ۞ فى العالمين ۞ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى ۞ انا كذلك نجزى المحسنين ۞ تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعده اى مثل ذلك

الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى ۞ انه من عبادنا المؤمنين ۞ تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ۞ ثم اغرقنا الآخرين ۞ اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين ۞ وان من شيعته ۞ اى ممن شايعه فى اصول الدين ۞ لابراهيم ۞ وان اختلف فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة ۞ اذ جاء ربه ۞ منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة ۞ بقلب سليم ۞ اى من آفات القلوب او من العلائق اى خالصا لله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل ۞ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ۞ بدل من الاول او ظرف لجاء او لسليم اى اى شىء تعبدون ۞ ائفكا آلهة دون الله تريدون ۞ اى اتريدون آلهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين ۞ فما ظنكم برب العالمين ۞ اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شىء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به ۞ فنظر نظرة فى النجوم ۞ قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت ۞ فقال انى سقيم ۞ وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تعالى ۞ فتولوا عنه مدبرين ۞ اى هاربين مخافة العدوى ۞ فراغ الى آلهتهم ۞ اى ذهب اليها فى خفية واصله الميل بحيلة ۞ فقال ۞ للاصنام استهزاء ۞ الا تأكلون ۞ اى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه ۞ ما لكم لا تنطقون ۞ اى بجوابى ۞ فراغ عليهم ۞ فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ۞ ضربا باليمين ۞ مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم ۞ فاقبلوا اليه ۞ اى الى ابراهيم عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فقيل فاتوا به ۞ يزفون ۞ حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من ازفه اى حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام ۞ قال ۞ اى بعد ما اتوه عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ۞ اتعبدون ما تنحتون ۞ ما تنحتونه من الاصنام ۞ والله خلقكم وما تعملون ۞ حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم

وما وتهما بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضميرها للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث
نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا
مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل معناه
فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار
الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض عن المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفيته في سورة
فارادوا به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ان يعذبوه لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين
الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي
اي الى مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين
اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك
حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين اي
بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد
مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان
المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما
واي حليم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل
ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل شاهد بذلك
والقاضي بقوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة
الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده
اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر
لا تتقدم عليه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح
فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك كان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابراهيم عليه السلام يا بني اني
ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا
يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان
فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملئكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك
والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة
بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر
ان ذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل
ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة
ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف
فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه السلام قال يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بالفتح
[illegible] فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من البلاء فيثبت قدمه ان جزع
ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء
مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا

بامتثاله الى الفعل او حذفا دفعة او جعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع
للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله
فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له ولذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله
عز وجل وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع
السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله
واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة
عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل
ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها وفديناه
بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله تعالى به ابن نبي واي نبي من نسله
سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
اسمعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل
عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة
هو ابراهيم وانما قال وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الآخرين سلام
على ابراهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين
الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين
في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل بشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام
لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه السلام وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم
في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب
ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل
من الكرب العظيم هو تملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون وقيل
هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين
عليهم علية لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب و[illegible]
النجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها

ثم بالنصر الذي يتحقق بمجرد التنجية المنصورين من عدوه من غير تغلبه عليهم ثم بالغلبة لما في مقام الامتنان حقه باظهار
ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها • وآتيناهما بعد ذلك • الكتاب المستبين • اي البليغ
في البيان والتفصيل وهو التوراة • وهديناهما • بذلك • الصراط المستقيم • الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل
الشرائع وتفاريع الاحكام • وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون • اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا
الذكر الجميل والثناء الجزيل • انا كذلك • اي مثل ذلك الجزاء الكامل • نجزي المحسنين • الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه • انهما
من عبادنا المؤمنين • سبق بيانه • وان الياس لمن المرسلين • هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى
عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة • اذ قال
لقومه الا تتقون • اي عذاب الله تعالى • اتدعون بعلا • اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه
اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل
البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول • وتذرون احسن الخالقين • اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى • الله ربكم ورب آبائكم الاولين • بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ
بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا
فكذبوه فانهم • بسبب تكذيبهم ذلك • لمحضرون • اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا • الا عباد الله المخلصين • استثناء من ضمير محضرون • وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين
هو لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلب والمهلبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثنى
وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس • انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين • مر تفسيره • وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه • اي اذكر وقت تنجيتنا اياه • واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين • ثم دمرنا الآخرين • فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين
وانكم • يا اهل مكة • لتمرون عليهم • على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام
مصبحين • داخلين في الصباح • وبالليل • اي مساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد له مساء • افلا تعقلون • اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم • وان
يونس لمن المرسلين • وقرئ بكسر النون • اذ ابق • اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه
حسن اطلاقه عليه • الى الفلك المشحون • اي المملوء • فساهم • فقارع اهله • فكان من المدحضين • فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به
وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء • فالتقمه الحوت
فابتلعه من اللقمة • وهو مليم • داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين • الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلوة في الرخاء • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء • فنبذناه بالعراء • بان حملنا الحوت
على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح
ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف
في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي
التقم فيه روي انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما • وهو سقيم • مما ناله
قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد • وانبتنا عليه • اي فوقه مظلة عليه • شجرة من يقطين • وهو كل ما ينبسط على الارض

ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انه الدباء غطته باوراقها
عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي
يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف
اليه فيشرب من لبنها • وارسلناه الى مائة الف • هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق
اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده
بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم
لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتب
الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر • او يزيدون • اي في رأي الناظر
اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو • فآمنوا • اي بعدما شاهدوا علائم
حلول العذاب ايمانا خالصا • فمتعناهم • اي بالحيوة الدنيا • الى حين • قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة
وقصة لوط بما ختم به سائر القصص المتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل
المذكورين في آخر السورة • فاستفتهم • امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال
مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك
من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى
ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى
واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج
عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب
جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام
الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطال اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه
في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم • الربك البنات • اللاتي هن اوضع الجنسين • ولهم البنون
الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقوله من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى • ام خلقنا الملائكة اناثا • اضراب وانتقال
من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم
من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى • وهم شاهدون • استهزاء
بهم وتجهيل لهم كقوله اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور
لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل واما النقل فمما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا
عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل ام
شاهدون وقوله تعالى • الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله • استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق
لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا
وانهم لكاذبون • في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى
عن ذلك علوا كبيرا والولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • اصطفى البنات على البنين • اثبات
لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ
صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف
والتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد • ما لكم كيف تحكمون • بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول
افلا تذكرون • بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون

ذلك فلا ينكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم
بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة
ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان
كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد
لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وركاكة عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم
ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو
شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق
ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون
النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة
ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون
الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام
الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات
الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا
مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت
الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول
فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول
معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة
لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه وآكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة
ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف
وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم
والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وقوله ايذان
بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعليه متعلق بفاتنين يقال
فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده
واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار
لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم برآء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى
بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى
عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله
عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه
وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي انه قال عليه
السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد
لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة
ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد

لابراز صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة
وجوه اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي
الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن اهدى من احدى
الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر اي ذكر
سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق
وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم
في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في
تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ
على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فأعرض عنهم
واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وفظاعة
نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ
من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل
فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل
مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم
فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين
وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق
الفعل عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف
والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما
يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة ومما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز
الموعود على موجب الكلمة السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة
عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك
العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى
وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره
فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه
تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية
والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه السلام
من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل
في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى
مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين والحمد لله وحده

سورة ص ست وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح
بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا بإضمار اذكر أو اقرأ لا فتحا كما في
سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على أنه اسم الكتاب
أو التنزيل وقيل في قراءة الكسر أنه أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي يعكس من الأجسام الصلبة
بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم إن جعل اسما للحرف مسرودا
على منهاج التحدي أو الرمز إلى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكابر السلف أو اسما للسورة خبر المبتدأ محذوف أو نصبا
على إضمار اذكر أو اقرأ أو أمرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وإن جعل مقسما به فهي للعطف عليه
فإذا أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وإن أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة
وإتيانه بالتكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك
أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم السلام وأخبار الأمم
الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف مما عنه التحدي والأمر والاتسام به
من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالإعظام أي أقسم بالقرآن أو بصاد وبه إنه لمعجز
أو لواجب العمل به أو لحقيق بالإعظام وعلى الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز إليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فالتسمية
تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره أي لصاد والقرآن ذي الذكر أو هذه السورة عظيمة والقرآن أي على طريقة قولهم هذا
حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية أتى بما كان قوله تعالى بل الذين كفروا
في عزة وشقاق إضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم إذعان الكفرة له لشائبة ريب فيه بل لما هم فيه من استكبار وحمية
وشقاق لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الإضرابية أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين
كفروا إلخ وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الإيمان ودواعيه كم أهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم
على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا أهلكنا من القرون
فنادوا عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا
أي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أي فوت ونجاة من ناصه أي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي
المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان ولم يبرز إلا أحد معموليها والأكثر حذف اسمها
وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها على أنه اسمها أي لا حين مناص لهم أو لا
أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الأول اسمها والخبر محذوف أي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر
أي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء إما لأن لات تجر الأحيان
كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن أوان شبه بإذ في قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو
بعافية وأنت إذ صحيح فإنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن أصله أوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا
لقطع المضاف إليه من مناص إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن
وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالأسماء والبصريون بالتاء كالأفعال وقيل إن التاء مزيدة على حين لاتصالها بها
في الإمام مما لا وجه له فإن خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا أن جاءهم منذر منهم حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكي
من استكبارهم وشقاقهم أي عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا

ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وإيذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر
فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال أجعل الآلهة إلها واحدا بأن نفى
الألوهية عنهم وقصرها على واحد إن هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على
ألوهيتها وواظبوا على عبادتها كابرا عن كابر فإن مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف
ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته وهم غافلون حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم
من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك
على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك
لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل
على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال صلى الله عليه وسلم
أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا إله إلا الله
فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم أي وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كا
يرجونه بتوسط أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام الذي
وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور أن امشوا
أي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح
وأن هي المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا
من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أي اجتمعوا وأكثروا وقرئ امشوا بغير أن على إضمار القول وقرئ
يمشون أن اصبروا إن هذا لشيء يراد تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه
وسلم من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أي من جهته عليه السلام إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه
بواسطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح
وسوء المقالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا
الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا
الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل أحد وما في هذه الأقاويل
منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا أي الذي يقوله في الملة الآخرة أي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فإنهم
مثلثة أو في الملة التي أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور من هذا أي ما سمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان
كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فإن حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور إن هذا
أي ما هذا إلا اختلاق أي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر أي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس
وأشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم إنكار كونه منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا إليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري أي من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيته
وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق بل لما يذوقوا
عذاب أي بل لم يذوقوا بعد عذابي فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى
أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه أم عندهم خزائن

رحمة ربك العزيز الوهاب بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا
ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب
كل ما يشاء لكل من يشاء وفي إضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره عليه السلام من تشريفه
واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ترشيح لما سبق أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية
والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا
في الأسباب جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها إلى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الأصل
هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل
والتحقير نحو أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله
تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة
الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات
البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة
في ظل ملك ثابت الأوتاد أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار
وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه
العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أصحاب الغيضة
من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى أولئك الأحزاب إما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب
بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل
استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أي ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم إلا كذب
الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع
وأيا ما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العام في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم إلا محكوما عليه بأنه كذب الرسل وقيل
ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر إلا مخبرا عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولا
والإبدال ثانيا كل منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ما لا يخفى من المبالغة
المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي
الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها وإما مبتدأ وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل خبره
بحذف العائد أي إن كل منهم والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين
جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين
وجد منهم التكذيب فتدبر وأما جعل ما نحن فيه خبرا للمبتدأ في قوله تعالى وعاد الخ أو قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن أمثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر عنهم
بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعا وفي الإشارة إليهم بهؤلاء
تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس
في حيز الاحتمال أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله ما يجازيها بعد
وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وأما الذين في مرصد الانتظار
كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لأشد العقوبات مثل ما ارتكبه الأحزاب أو أشد منه ولما لم يلاقوا بعد

شيئا من غوائلها أي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب إلا صيحة
واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بل فيها من الشدة والهول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم
برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم
بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكمة الباهرة كما نطق به
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلا لأنه لا يشاهد هولها ولا يصعق
بها إلا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا إليها بل يحل بهم من حين
موتهم ما لها من فواق أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء
والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط
القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة
أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا
منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون
من أمثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا داود أي قصته تهويلا لأمر المعصية في أعينهم وتنبيها
لهم على كمال قبح ما اجترؤوا عليه من المعاصي فإنه عليه السلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما أتى بصغيرة
نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد ما يحكى من بكائه الدائم وغمه
الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المتمكنين لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته
عليه السلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الأيد أي
ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله
تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل إنا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها
على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه كتسخير
الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعده وهو قوله
بالسير إليه ما في سورة الأنبياء يسبحن أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان
الحال وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف
مبين لكيفية التسخير بالعشي والإشراق أي ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه السلام
صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية
والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس
كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية كل له أواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير
لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع
إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير له عز وجل أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه
قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى
رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي في اليقظة فأعلمه الرجل

فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قد قتلت اباه اغيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا
اظهره الله تعالى عليه فقتله فتابوا وعظمت هيبته في القلوب • وآتيناه الحكمة • النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور
وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة • وفصل الخطاب • اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص
الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار
والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وقيل هو قوله اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو
الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر • وهل اتاك نبأ الخصم
استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر
وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف معنى خصمان فريقان • اذ تسوروا المحراب
اي تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته واذ متعلقة
بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان
اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يكن حينئذ وقوله تعالى • اذ دخلوا على داود • بدل مما قبله او ظرف لتسوروا • ففزع منهم • روي ان الله تعالى بعث
اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما
الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه
اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير • قالوا • استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه
لا تخف خصمان • اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما • بغى بعضنا على بعض • هو على الفرض
وقصد التعريض فلا كذب فيه • فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط • اي لا تجر في الحكومة وقرئ لا تشطط اي لا تبعد
عن الحق وقرئ ولا تسطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق • واهدنا الى سواء
الصراط • الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل • ان هذا اخي
استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه • له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة • هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء • فقال اكفلنيها • اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي • وعزني في الخطاب • اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر
على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست • قال لقد
ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه • جواب قسم محذوف قصد عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة
من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي
والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم • وان كثيرا من الخلطاء • اي الشركاء
الذين خلطوا اموالهم • ليبغي • ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة • بعضهم
على بعض • من غير مراعاة لحق الصحبة والشركة • الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان
وقليل ما هم • اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض • وظن داود انما فتناه • والظن
مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره

بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر
الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص
حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا
في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص
فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره
في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل
امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو
الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار
بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه على ان اوريا
بصدد الخصام • فاستغفر ربه • اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب • وخر راكعا • اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه
او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار • واناب • اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود
عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان
عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته
فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم
منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة
واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن
اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة
اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه
الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء
ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يديه او يستشهد ففتح الله تعالى
على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع
مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال
علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام
هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب • فغفرنا له ذلك
اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه
حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك
عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه
فهزمه • وان له عندنا لزلفى • لقربة وكرامة بعد المغفرة • وحسن مآب • حسن مرجع في الجنة • يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض • اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا
او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط • فاحكم بين الناس
بالحق • بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما • ولا تتبع الهوى • اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين

والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين
اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين
يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة
الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدا وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية
بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا
لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته لما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم
لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو
عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره
بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء
اي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز
بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا
للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا
وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء
على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث
والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل
للذين كفروا مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى
فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم
اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة
وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه
بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين
في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا
منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى
ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق
الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده
المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين
الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدا محذوف
هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفة وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدا او صفة
لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلناه ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات
المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا
على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو المركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة

الى ما سبيل للعقل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخره عن داود مع كونه
مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله
لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه
بالعشي وهو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات
عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا تكاد تتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم
الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل
هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت
من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد
كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد
فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام
عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب
باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل
احببت ان يتعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي
ووضعه موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود
بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها
بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه
ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو
جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فاشار الى قوله تعالى فطفق مسحا
فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده
اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق بغير الف
لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه
في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر
فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها
فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف بذلك
فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد
يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر
واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم
فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد

الى السماء كمن ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فابكر آصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم
فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر
وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله
لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره ● قال ● بدل من اناب وتفسير له ● رب اغفر لي
اي ما صدر عني من الذلة ● وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ● لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه
عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد
السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان
لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الياء
● انك انت الوهاب ● تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا
● فسخرنا له الريح ● اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح ● تجري
بامره ● بيان لتسخيرها له ● رخاء ● اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد ● حيث اصاب
اي حيث قصد واراد وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب ● والشياطين ● عطف على الريح ● كل بناء
وغواص ● بدل من الشياطين ● وآخرين مقرنين في الاصفاد ● عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام
فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوزوا ان يكون
الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا
بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد ● هذا ● اي ما حكي لها خوطب به سليمان
عليه السلام منه لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا
او حال من فاعله كما في خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة
والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك ● عطاؤنا ● الخاص بك ● فامنن او امسك ● فاعط من شئت وامنع من شئت
● بغير حساب ● حال من المستكن في الامر اي غير محاسب عليه منه واما كه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق
او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد ● وان له عندنا لزلفى ● في الآخرة مع ماله من الملك
العظيم في الدنيا ● وحسن مآب ● هو الجنة قيل مات سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة
عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر
كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار
سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها
اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره
الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم ● واذكر عبدنا ايوب ● عطف على اذكر
عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن
عيص بن اسحق عليهما السلام ● اذ نادى ربه ● بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له ● اني ● باني
مسني الشيطان ● بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها ● بنصب ● اي بتعب وقرئ بفتح النون وفتحتين
وبضمتين للتثقيل ● وعذاب ● اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر

في قوله تعالى اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه ربه بعبارته والا لقيل انه مسه والاسناد الى الشيطان
اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر
فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم
ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق
لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفي ههنا عن ذكره
بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى ● اركض برجلك ● اما حكاية لما قيل له او مقول
لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى ● هذا مغتسل بارد وشراب
فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه
قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال
وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ● ووهبنا له اهله ● معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه
القول المقدر انفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم
وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ● ومثلهم معهم ● عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل
● رحمة منا ● اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا ● وذكرى لاولي الالباب ● ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا
الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة ● وخذ بيدك ضغثا ● معطوف على اركض او على
مقدر اي فقلنا له خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة
فان امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال ● فاضرب به ● اي بذلك الضغث ● ولا تحنث ● في يمينك فان البر يتحقق
به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب
كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب ● انا وجدناه صابرا ● فيما اصابه في النفس
والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال
ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به واراد القوة على الطاعة
فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف
لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يلهني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه ● نعم العبد ● اي ايوب ● انه اواب ● تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى ● واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب ● عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل
بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع ● اولي الايدي
والابصار ● اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال
لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة
وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي
على جمع الجمع ● انا اخلصناهم بخالصة ● تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كائنة لا شوب فيها هي ● ذكرى الدار ● بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم
اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببه وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون
وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم
في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم والاطلاق للدار للاشعار بانها الدار الحقيقية وانما الدنيا معبر

وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكرها بهم آخر اصلا او تذكيرهم
الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم ● وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ● لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار
جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت ● واذكر اسمعيل ● فصل ذكره
عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير ● واليسع ● هو ابن اخطوب بن العجوز
استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد
ابن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم
اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع ● وذا الكفل ● هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب اختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه
مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة ركعة ● وكل ● اي وكلهم
من الاخيار ● المشهورين بالخيرية ● هذا ● اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ● ذكر ● اي شرف لهم
وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى ● وان للمتقين لحسن مآب ● شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل
بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا
اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال ● جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى ● مفتحة لهم الابواب ● حال من جنات عدن والعامل فيها
ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي
البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائم مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين
على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة ● متكئين فيها ● حال من ضمير لهم والعامل
فيها مفتحة وقوله تعالى ● يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ● استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر
او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه
لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة ● وعندهم قاصرات الطرف ● اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ● اتراب ● لدات
لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن وقتا
هذا ما توعدون ليوم الحساب ● اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات
اليق بمقام الامتنان والتكريم ● ان هذا ● اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات ● لرزقنا ● اعطيناكموه ● ما له
من نفاد ● انقطاع ابدا ● هذا ● اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى ● وان للطاغين لشر مآب
شروع في بيان اضداد الفريق السابق ● جهنم ● اعرابه كما سلف ● يصلونها ● اي يدخلونها حال من جهنم ● فبئس
المهاد ● وهو المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد
هذا فليذوقوه ● اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره
حميم وغساق ● وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار
من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت
اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين
وآخر من شكله ● اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخرى
اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو الراجع الى الغساق
ازواج ● اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم

هذا فوج مقتحم معكم ● حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا تبعوهم في الكفر والضلالة
والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى ● لا مرحبا بهم ● من تمام كلام الخزنة
بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا
انهم صالوا النار ● تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم
عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع
قالوا ● اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم ● بل انتم لا مرحبا بكم ● على الوجه الاخير ظاهر واما
على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم قصدا منهم الى اظهار
صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا
او قلتم وقوله تعالى ● انتم قدمتموه لنا ● تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي
اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا ● فبئس القرار
اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم ● قالوا ● اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين
البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ● ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار
كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون
ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي ● وقالوا ● اي الطاغون ● ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار ● يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم ● اتخذناهم سخريا ● بهمزة استفهام
سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ● ام زاغت
عنهم الابصار ● متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا
كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت
عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء
والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار
اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا
بضم السين ● ان ذلك ● اي الذي حكي من احوالهم ● لحق ● لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى ● تخاصم اهل النار ● خبر
محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان
له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام
يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل ● قل ● امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين ● انما انا منذر
من جهته تعالى انذركم عذابه ● وما من اله ● في الوجود ● الا الله الواحد ● الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا ● القهار
لكل شيء سواه ● رب السموات والارض وما بينهما ● من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها ● العزيز ● الذي لا يغلب
في امر من اموره ● الغفار ● المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين
والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه ● قل
تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا ● هو ● اي ما انبأتكم به من اني منذر من جهته
تعالى وانه عز وجل واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة وقيل ما بعده من نبأ آدم وقيل القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا ويشهد له
آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ● نبأ عظيم ● وارد من جهته تعالى وقوله تعالى ● انتم عنه معرضون ● استئناف
ناع عليهم سوء صنيعهم ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول
وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ● ما كان لي من علم بالملأ الاعلى ● الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ
من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي

من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك الملأ الاعلى هم الملائكة وادم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون
متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال
وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام
لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه
الا ان بيانه ايضا فيما سبق لما كان منبئا عن نفيه الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه
ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع
الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير
عايد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى وما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما
انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومصححاته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور
او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك
كما قيل فنعم ما هو من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني
مع اباء ما بعده وسياق النظم الكريم وسباقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله وقيل
والله اعلم وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى
بينهم من التقاول وحيث كان تكلمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى
وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك والايذان بان في ذا ما
التي الى ربه وبالتقدير له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الامر لكونه ادل على كونه واجبا منزلا من عند الله تعالى كما في قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المامور والاصل الى لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما
كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا باديا للبشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق
مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه
من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بذكرها في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية
او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها
وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى
من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين
تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون
اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختص لافاضته هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد اتم وقيل اكد بتاكيدين
مبالغة في التعميم هذا وان ان سجودهم هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما
يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي
كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الايات الكريمة
فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا مفردا مغمورا
بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع
وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتامل والتروي
وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته
للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تعالى عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات

من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الانكار وتشديد
التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين
للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى
قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه
قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله
عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى
لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها
الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد
بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة
وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا
واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك
اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة الى يوم الدين
اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمر الى ذلك اليوم
لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة
وتصير كالزائل الا ترى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا قال رب فانظرني
اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته
للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال
فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم
في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان
طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم
ازلا حسبما يقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث
الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله من قال ان ترحم فانت
لذلك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار
بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر
فيها وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من الوجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي
من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج
الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار
ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته
فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين
اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين
على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه
مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب

ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق
او فقولي الحق وقوله تعالى لاملأن جهنم حينئذ جواب القسم محذوف اي والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير
اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئ بالنصب على ان الاول
مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه
كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم
ونصب الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم
اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأن من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان
اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول
فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا
من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله
عز وجل للعالمين اي للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق
بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات
علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير او كبير والله تعالى اعلم

سورة الزمر سبعون آية وآيتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر
المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين
وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى
عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول ادخل في مقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب
من الله تعالى لا انه ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم
والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وباشتمال
جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه
اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول لتعظيمه
ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال
واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه
حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب
اليه عليه السلام بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين
على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة
وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة
الاخرى مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع
على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد
ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي
من الحكم المستند اليه والاولياء عبارة عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى

حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد
على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء
الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال
عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير
لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل ضمير منهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي
اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير
للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار
المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء
عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اصلا فالتحوج الى الحكم
الفصل وانما ذاك بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم
فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم
وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب
من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء
لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استئناف
مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى
على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي
من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه
فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها
على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو
من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال
لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه
بالذات عن ذلك تنزهه الخاص على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد
او سبحوه تسبيحا حقيقا بشأنه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة
بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت
ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء
الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات
الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشى
كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى
كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز

القادر على كل شيء من الأشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للإيذان باستقلاله في الدلالة وتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الإنسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة فإن الإنسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس أي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا أب وأم وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وأنزل لكم بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب من الأنعام ثمانية أزواج ذكراً وأنثى هي الإبل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن كون الإنزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقاً من بعد خلق مصدر مؤكد أي يخلقكم فيها خلقاً كائناً من بعد خلق أي خلقاً مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت أفعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر أي مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا إله إلا هو والفاء في قوله تعالى فأنى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما من شؤونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها إن تكفروا به تعالى بعدما شاهدتم ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر فإن الله غني عنكم أي فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وإن تشكروا يرضه لكم أي يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ بإسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر أخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون أي كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان أي يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً إنه عليم بذات الصدور أي بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة وإذا مس الإنسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيباً إليه راجعاً إليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار ثم إذا خوله نعمة منه أي أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال إذا كان متعهداً له حسن القيام

أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو إليه أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق إلى كشفه من قبل أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه إما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والأنثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد وإما إيذاناً بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف ما يدعوه فضلاً من أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما أرضعت وجعل لله أنداداً شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليزداد ضلالاً أو يثبت عليه وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل هنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الإضلال والضلال وإن لم يعرف لجهله أنهما إضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلاً قل تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلاً أي تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً إنك من أصحاب النار أي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته أمن هو قانت آناء الليل إلخ من تمام الكلام المأمور به وأم إما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له أكذا التهديد وتمتع أأنت أحسن حالاً ومآلاً أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجداً وقائماً أي جامعاً بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية حاله من العبادة والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضمير الراجي لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وإما منقطعة وما فيها من الإضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت إلخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون أي ما ذكر أو شيئاً فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى إنما يتذكر أولوا الألباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال عوجوا لنعم فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار أي إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ إنما يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولي الألباب إيذاناً بأنهم هم المتذكرون أي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فإن نقل عين أمر الله أدخل في إيجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين أحسنوا تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيذان بأنه من باب الإحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وفي قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا أي عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإحسان بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك حسنة أي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية وأرض الله واسعة

فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث تمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه
لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى • انما يوفى الصابرون • للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر لحيازتهم
لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى الجامع لمادته من حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة
ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون
الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان • اجرهم • بمقابلة ما كابدوا من الصبر • بغير حساب
اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلايا بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل • قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
اي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله
الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون • وامرت
لان اكون اول المسلمين • اي وامرت بذلك لاجل ان اكون اول مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق
في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقيده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها
لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون
اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه
قل اني اخاف ان عصيت ربي • بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك • عذاب يوم عظيم • هو يوم القيمة
وصف بالعظم لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال • قل الله اعبد • لا غيره استقلالا ولا اشراكا • مخلصا له ديني
من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب
على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة
وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى • فاعبدوا ما شئتم • ان تعبدوا • من دونه • تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم
ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب • قل ان الخاسرين • اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة
عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه • الذين خسروا انفسهم واهليهم • باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما
يوم القيمة • حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم
ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور
ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم في الجنة اهل وقد خسروا
اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم
المخاطبون فالموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى • الا ذلك هو الخسران المبين • من
من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى • لهم من فوقهم
ظلل من النار • الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف هو حال
من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنا من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق
بعض كائنة من النار • ومن تحتهم • ايضا • ظلل • اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها
ذلك • العذاب الفظيع هو الذي • يخوف الله به عباده • ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه • يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي • والذين اجتنبوا
الطاغوت • اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان • ان يعبدوها • بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر

بها

والمزين لها • وانابوا الى الله • واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا • لهم البشرى • بالثواب على السنة
الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك • فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه • هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة
على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل • اولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة • الذين هداهم الله • للدين الحق • واولئك
هم اولوا الالباب • اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة
على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها • افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار • بيان لاحوال
اضداد المذكورين على طريقة الاجمال والتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق
عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن
جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار
ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اي انت مالك امر الناس
فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير
من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون
الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان
بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد الانكار فقيل افانت تنقذ من في النار
وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى • لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف • وهم الذين خوطبوا بقوله
تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا بما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا
اتقوا ربكم الآية والمعنى ان لهم درجات عالية في جنات النعيم مقابلة لما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق
بعض • مبنية • بناء المنازل المبنية على الارض في الرصانة والاحكام • تجري من تحتها • من تحت تلك الغرف
الانهار • من غير تفاوت بين العلو والسفل • وعد الله • مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد اي وعد • لا يخلف
الله الميعاد • لاستحالته عليه سبحانه • الم تر ان الله انزل من السماء ماء • استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه
من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى
بين البقاع • فسلكه • فادخله ونظمه • ينابيع في الارض • اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها
فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع • ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه • اصنافه
من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
ثم يهيج • اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته • فتراه مصفرا • من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا • ثم يجعله حطاما
فتاتا متكسرا كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج • ان في ذلك • اشارة
الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه • لذكرى • لتذكيرا عظيما
لاولي الالباب • لاصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة
التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء

من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها
على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة واما من ذلك
بالتذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثرها بحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل فتعين
ان يكون متعلق التذكر والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد
له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته
بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة
العذاب ومن مبتدأ خبره محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا
للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم
من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن
قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات
بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له
الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم
رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد عن الحق
مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه
وابي جهل وذويه الله نزل احسن الحديث هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له عليه السلام حدثنا حدثنا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر
الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده
اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء
تخصص بالاضافة الى المعرفة اولا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المحضة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى
متشابها اي في كونه في نوع حكمته او معنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق
واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى
لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها
كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة
لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه
ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم
اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد
من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق
والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته عمتهم اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت
خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما
بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء
اي يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه

الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او من
فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر
من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد [illegible]
افمن يتقي بوجهه الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء
وحذف الخبر كالذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه
سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيامة لكون يده التي بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه
كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجهه [illegible] قيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي
اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع
المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم
تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض
الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة
فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر
منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو
ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان
من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر
في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص
بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ايراد مثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى
والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا
مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل
خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور
وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف والمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء
كل من معبوديه عبوديته عبدا اشترك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه
ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ
سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا
انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد
ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر
في ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا مع اختلاف النوع او لان المراد هل يستويان
في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي
الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا
على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام
منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء

على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اى بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اى في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس في جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القران معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيمة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى كان في معنى الوعد كما في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان على ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيآتهم وان قلت واستقصار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده

انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما الرسول صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ بكاف عباده على الاضافة وبكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان يخبلك او يصيبك بعض آلهتنا بسوء لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اى الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدلائل وسطوع السبيل قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اى بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اى او ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اى في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اى على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اى دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اى انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اى بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اى فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اى بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اى قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى اوهي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان

ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر حينئذ غيرها قدرا اولا
وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا
ولو كانوا لا يملكون الى آخره وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر
تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا
له وكلاهما مفقود هاهنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتأكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات
لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا
ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين
من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ
في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلي القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز
ان يمتلي غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية هو العامل في اذا المفاجاة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ
الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر دعوتهم وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له
كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا
من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من مس الضر
والتعكيس على ما مر من حاليهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا
فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقها
او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة
اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة
وانما هو امر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر
كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات
لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم
والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصاب قحط سبع سنين
وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك اي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل

لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية
عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا
من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره
حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين
للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله
يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني المنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي من اسباب
النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء
اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة
وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او المأمور به
دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل
ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير
للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر
يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي
على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي في جانبه وفي حقه
وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله
على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت
من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين
في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا وتحسرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك
آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي
وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار
المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم
مسودة لما ينالهم من الشدة او لما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية
او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر
ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم لنيل الثواب اي
ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال
اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوق بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه
اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء
والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على
اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا

الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل
يتولى التصرف فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والارض اي لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها
الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ وكلاهما
وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض
من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء
ومتصرف فيها كيف يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق
والانفس والتنزيلية المنبئة من جملتها بما يشك الا ما انا الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل
بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الايات
غير الله اعبد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم
ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف
ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده
قراءة اعبد بالنصب وقرئ تامرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض والمراد به تهييج
الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف من
عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم
لان اشراكهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا
دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة
التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى
القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم
وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض
اي خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها
بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب

المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد
بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه
وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى تفصيل للتوفية
وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها اثر بعض مرتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة
والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم
وقرئ نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه
لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا
الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام
القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس مثواهم
جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها
انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز
وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم
حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم من جميع المكاره والالام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها
خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا
الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف
فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا اي مكان اراده من جنته الواسعة
على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول
العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى ملتبسين بحمده
والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات
العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا
بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله
عنها انه عليه السلام كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر تم

سورة المؤمن ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بالامالة وباخفائها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين
او نصبها باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام
فيه وفي نظائره كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم كما في مطلع
سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكرناه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب

1. ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه
2. لم يرد بها زمان مخصوص وارید شدید العقاب مشدده او الشدید عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
3. او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب
4. وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك
5. لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب
6. المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
7. الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا
8. من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله
9. تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة
10. منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية
11. وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات
12. ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك
13. تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى
14. ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون
15. عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا
16. على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم
17. وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
18. بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب
19. ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء
20. ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب
21. وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب
22. على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان
23. ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما
24. يكون بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل
25. اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول
26. عليه السلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل
27. الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
28. اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين
29. النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم
30. وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم
31. عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله
32. عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم
33. في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به
34. ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار
35. بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات

1. وأتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم
2. وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم
3. في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم
4. ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه
5. في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله
6. امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة
7. خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
8. يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
9. ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول
10. اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن اصله
11. للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هاهنا والفاء في قوله تعالى فاغفر
12. للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم
13. وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء
14. بينهما للمبالغة في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم
15. وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها
16. معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه
17. بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من درجاتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة
18. فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
19. وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال
20. فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح
21. بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
22. الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة
23. او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا فمعنى قوله تعالى ومن تق
24. السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك
25. اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه
26. هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد
27. ما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا
28. فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها
29. اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم
30. انفسكم اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون
31. قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء بأخلائكم المضلين واستحبابا للآثام
32. اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظرف
33. من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة
34. واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والمظروف من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان
35. فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين

صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف
الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين
اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم تدع فلم يبق الا مسحت قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء
عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءتين
الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين ما في القبر
وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم
اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا
كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج
من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه
ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينتظم في سلك
ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها
وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب
ترتبهما عليهما وجودا او تنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ذلكم جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان
ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشأن
اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به
وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال
سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير
الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بان لا مغفرة للمشرك
ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة
لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ
بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة
على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات
الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته
الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله
مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له
دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات
خبر مبتدأ محذوف صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون
من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش
ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين
لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش
وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه
وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش

وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبني على انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر
اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي
فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره
على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه
او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف
للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض
او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء
للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء
من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف
لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير
بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف
يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال اي ينادي مناد لمن
الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه وروي انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد
واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى
يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم
بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب
الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل
النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل
فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه
اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم
او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم
على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع
اي لا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار
وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة
خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي
بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد
لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين

وقضائه بالحق وعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم كانوا هم أشد منهم
قدرة وتمكنا من التصرفات وإنما جيء بهم الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف وآثارا في الأرض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا فأخذهم الله بذنوبهم أخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق أي من واق يقيهم عذاب الله
ذلك أي ما ذكر من الأخذ بأنهم بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات وبالأحكام الظاهرة
فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين أي وحجة قاهرة وهي إما عين الآيات والعطف لتغاير العنوان
وإما بعض مشاهيرها كالعصا وأفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لأنافتها إفراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة
عليه السلام إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب أي فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين
فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
عليه السلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم
لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام للعهد والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم
داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما ظهر من الإبراق
والإرعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني أقتل موسى كان ملؤه إذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس
بالذي تخافه فإنه أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة وبقولهم إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك
عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت إلى المقارعة بالسيف والظاهر من حال اللعين وتمكنه أنه قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء
به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الكافون له
عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد منه وإظهار لعدم المبالاة
بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه أي أخاف إن لم أقتله أن يبدل دينكم أي يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة
عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج
إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء
من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى أي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام
إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بإن تأكيدا له وإظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه
وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذي يستدعيه وأضافه إليه وإليهم حثا لهم على موافقته في العياذ
به تعالى والتوكل عليه فإن في تظاهر النفوس تأثيرا في استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم
الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عت بالإدغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون
قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا أو غريبا موحدا يكتم إيمانه أي من فرعون وملائه
أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول أو كراهة أن يقول ربي الله أي وحده من غير روية وتأمل في أمره
وقد جاءكم بالبينات والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي إن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة بعضه لا سيما
إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من

من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك
أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما
أن من كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وعرض به
لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين
على بني إسرائيل في الأرض أي أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من أخذه وعذابه
إن جاءنا أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك
والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وإيذانا بأنه ناصح لهم ساع
في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما أريكم أي ما أشير
عليكم إلا ما أرى واستصوبه من قتله وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد أي الصواب أو لا أعلمكم إلا
ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا
وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة
إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض
له بالسوء مثل يوم الأحزاب مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود أي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما
للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لأن المنفي فيه إرادة
ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الأولوية ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الأخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي
ويوم التناد يوم القيمة لأنه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما
حكي في سورة الأعراف وقرئ بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا
زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا
أقبلوا إلى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد أي منصرفين عن الموقف إلى النار وفارين منها حسبما نقل
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه إلى طريق النجاة
ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد
وقيل سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم
في شك مما جاءكم به من الدين حتى إذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما إلى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث
كذلك مثل ذلك الإضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه
كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها في مجادلة
أتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود إلى من
وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل إلى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك أي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر
والتجبر لأنه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا أي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ الأسباب
أي الطرق أسباب السموات بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها فأطلع
إلى إله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه

احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى
فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما
لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه • واني لاظنه كاذبا • فيما يدعيه من الرسالة • وكذلك
اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط • زين لفرعون سوء عمله • فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال • وصد عن السبيل
اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى • وما كيد فرعون الا في تباب • اي خسار وهلاك
وعلى انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء
وقرئ وصدوا اي هو وقومه • وقال الذي آمن • اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام • يا قوم اتبعوني
فيما دللتكم عليه • اهدكم سبيل الرشاد • اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه
سبيل الغي والضلال • يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع • اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح
بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى
بتعظيم الآخرة فقال • وان الآخرة هي دار القرار • لخلودها ودوام ما فيها • من عمل في الدنيا • سيئة فلا يجزى
في الآخرة • الا مثلها • عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها • ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك • الذين عملوا ذلك • يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب • اي بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة
بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك • ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار • كرر نداءهم ايقاظا
لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام
دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله
بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا ويؤيده قوله تعالى • تدعونني لاكفر بالله • بدل او بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية بالى واللام • واشرك به ما ليس لي به • بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته • علم • والمراد
نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها • وانا ادعوكم الى العزيز الغفار • الجامع لجميع
صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب
والغفران • لا جرم • لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى • انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة • اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل منه ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان
كرشد ورشد • وان مردنا الى الله • اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى • وان المسرفين
اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء • هم اصحاب النار • اي ملازموها • فستذكرون وقرئ
فستذكرون اي فيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب • ما اقول لكم • من النصائح • وافوض امري الى الله
قاله لما انهم كانوا توعدوه • ان الله بصير بالعباد • فيحرس من يلوذ به من المكاره • فوقاه الله سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام • وحاق بآل فرعون • اي
بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه
فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم • سوء العذاب
الغرق والقتل والنار • النار يعرضون عليها غدوا وعشيا • جملة مستأنفة لبيان كيفية سوء العذاب او النار

خبر لمبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحق
ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم
بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود
رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما
فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا • ويوم تقوم الساعة • يقال للملئكة • ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه واشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول
اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب • واذ يتحاجون في النار • اي واذكر للقوم وقت تخاصمهم فيها • فيقول الضعفاء
منهم • للذين استكبروا • وهم رؤساؤهم • انا كنا لكم تبعا • اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار
المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة • فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار • بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب
بمضمر دل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا او نصب
على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا • قال
الذين استكبروا انا كل فيها • اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان
بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدم كما يعمل في الظرف
المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب • ان الله قد حكم بين العباد • وقضى قضاء متقنا
لا مرد له ولا معقب لحكمه • وقال الذين في النار • من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت عليهم • لخزنة جهنم
اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات
النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملئكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما • اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا • من العذاب • واقتصارهم
في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه
في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم • قالوا • اي الخزنة • اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات • اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر
والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة
اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة • قالوا بلى • اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى • قالوا فادعوا • فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا
خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وليس امتناعهم عن الدعاء
لعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء بل لتوهم ان الاذن في حيز الامكان واما لو اذن
لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم • وما دعاء
الكافرين الا في ضلال • اي ضياع وبطلان وقوله تعالى • انا لننصر رسلنا والذين آمنوا • الخ كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي يقتضيه الحكمة وهو ان شأننا المستمر انا ننصر
رسلنا واتباعهم • في الحيوة الدنيا • بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات
ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر • ويوم يقوم الاشهاد • اي
يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم • بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع
بالتاء • ولهم اللعنة • اي البعد عن الرحمة • ولهم سوء الدار • اي جهنم • ولقد آتينا موسى الهدى • ما يهتدى به

من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة
او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية
المشركين ان وعد الله حق اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى
كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى
وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما
صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته
تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة
وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر
عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة والرياسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك
حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون
فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر
قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست
صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الانهار وهو اية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله
اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل
لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون على الخطاب
بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها
اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور
انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف
عنه منزلة منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات
وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي مبصرا فيه او به ان
الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع
النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا
كما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فاني تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد باياته تعالى اي آية كانت

لا افكا اخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد ما بين
فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان
الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة
الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه
في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه انا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية
لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين
له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله
فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج
والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لدلالة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية
وامرت ان اسلم لرب العالمين بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق ادم عليه السلام
منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي من مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا
والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة
لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا
ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله
ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون
ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة
فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل
لتاثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور
والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به تعالى الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله
اني يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع
وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على شيء فاسد لا يكاد
يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها
الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او
النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا
من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والخبر
في اعناقهم وقيل مبتدا حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاول
حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل
يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى
لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويؤيده القراءة به ثم في النار يسجرون اي
يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اي يملأ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب
وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي تقال لهم ويقولون وصيغة الماضي

لدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل
لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته
شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة
او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي
تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس
مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عنها بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم
من العذاب ان وعد الله حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت
النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا
يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما
بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء
عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف
من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات
على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار
في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء
المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون
اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل
خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء
ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب
والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بالتعلق الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم
في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها
وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء
والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة
حتى سميت سفاين البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها
ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بالتعلق الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم
وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور
بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي
هو الشايع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي
اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة
وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية
بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم

من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء
الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة
وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى
بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء
فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الابهام والتفصيل
بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم
لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي
من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان
كما سلف انفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه
واستغفر له

سورة السجدة خمسون آية وآيتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدا خبره
تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم
متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره
كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار
للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت
آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد
وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر
لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليس بصلة له
او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته
وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون
سماع تفكر وتامل حتى يقفوا على جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان
والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ
بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا من الجانبين
بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج
اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا
اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان
كما ينبئ عنه قولهم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالوحدة بخطاب جامع بيني وبينكم

فان الخطاب في الحكم محكي منتظم للكل لانه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل
العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت
نبوتي وجب عليكم اتباعي فيما ذكر والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك
موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل
وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون
الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة حيث قيل وهم بالاخرة
هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر
ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون
انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سويها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن عليهم من المن واصله الثقل
او لا يقطع من مننت الحبل وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم
لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار
بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وتوجه فيحتاج الى التأكيد واما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين
لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين
على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات ابداع نيراتها وتحريكها
وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار
هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين
وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض
خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة وجعل
ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له
والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه
كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل
وقيل هو كلام مستأنف واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي
اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها
اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها
اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها
اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين واتما قيل في اربعة ايام اي تتمة اربعة
تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء اي استواء كما تنبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير
في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى
الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى
بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي
على غيره وهي دخان اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع عن الماء كما سيأتي

وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا اكتفاء
بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه
معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون
هناك امر ومأمور كما في قوله كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران واقعان موقع الحال اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اي منقادين
تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة
فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكونها اي خلقهن
خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني
في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام
حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات
وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى
الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف وهو مبناه ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة
في الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه
من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسويهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش
العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض
يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم
عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها
مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه
دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السماء وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص
من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم
ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان
ليس خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلقها وما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان تسلك الارض في سلك
وتحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم
ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكون السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكون الارض على الوجه
المذكور قبل ذلك وان يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة
الى ذكر ما ذكر من السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة الباهرة
كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل
وليس ما روي عن الحسن نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو
فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا
من حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لا يقدح فيه
تقدم الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة

في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية
وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفيه مقام الامتنان حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب
فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر
مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة
وحفظا ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله
تعالى قل ائنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل
لهم انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة اي عذابا هائلا شديد
الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا
لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين
ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه
على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون
والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما
وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى
ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء الله اي
ارسال الرسل لانزل ملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما اراده من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة
اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون
لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت
وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش
فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب
ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع
في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما عم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها
او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق التعظم والولاية وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم
حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل
فيقتلعها بيده اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره
مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا بآياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرونها وهم يعرفون
حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها

من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت
على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضافة العذاب الى الخزي
الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف
للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم
فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى
الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى
على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون والهوان صفة العذاب مبالغة او بدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم
العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين
ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون
العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب
وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون
على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما في قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل
يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما
مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون
الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود
شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد
من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد
بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل
وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لوقوعها في موقع السؤال والجواب
المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح
وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس فيه ذلك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار
وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع
مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه
من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا
لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس
مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح
المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت
عالمة بما شهدت به عند صدوره منهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي
او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي

صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة
ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله
أخلده ليعم ما حكي من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر وذلكم إشارة إلى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية
بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم
الخبر فأصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم من الخاسرين إذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء
النشأتين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي محل ثواء وإقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات إلى الغيبة
للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للإشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب وإلقائهم في غيابة
دركات النار وإن يستعتبوا أي يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين
إليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا
أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم أي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين
أي أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا
بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول أي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى
لإبليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى اذهب لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين
كما مر مرارا في أمم حال من الضمير المجرور أي كائنين في جملة أمم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله
عز وجل فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة لأمم أي مضت
من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير للأولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض لا تسمعوا
لهذا القرآن أي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا
أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو إذا هذى لعلكم تغلبون
أي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا أي هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون
فيهم دخولا أوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون أي جزاء سيئات أعمالهم
التي هي في أنفسها أسوأ وقيل إنه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة
بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله
جزاء أعداء الله خبره أي ذلك المذكور من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ محذوف
أي الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد
جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ وهي خبره أي هي بعينها دار إقامتهم على أن في للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي
صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد أن لهم في النار المشتملة
على الدركات دارا مخصوصة بهم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر أي يجزون جزاء
أو بالمصدر السابق فإن المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية
بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو
وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس يعنون فريقي شياطين
النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل
بغير حق وقرئ أرنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه أعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت أقدامنا
أي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الأسفل ليكونا من الأسفلين أي ذلا ومهانة أو مكانا

قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أي قالوه
اعترافا بربوبيته تعالى وإقرارا بوحدانيته ثم استقاموا أي ثبتوا على الإقرار ومقتضياته على أن ثم للتراخي في الزمان
أو في الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الإيمان
وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الأمور الدينية والدنيوية
بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل
تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث والأظهر هو العموم
والإطلاق كما ستعرفه ألا تخافوا ما تقدمون عليه فإن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فإنه غم
يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى أن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل
غم فلن تذوقوه أبدا وأن إما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والأصل بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا
على أنه حال من الملائكة أو استئناف وأبشروا أي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم
في أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا من بشاراتهم في الدنيا أي أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق
ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق
الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع
من التعادي والخصام ولكم فيها أي في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أي تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره
في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للإشباع في البشارة والإيذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور
رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما تتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم الأجور كالنزل للضيف ومن أحسن قولا
ممن دعا إلى الله أي إلى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام
وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال
الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال إنني من المسلمين ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا
للإسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أي مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ إني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر
على أذية المشركين ومقابلة إساءتهم بالإحسان أي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد
النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك
بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال
كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة
الدفع المأمور به أي فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها أي ما يلقى هذه الخصلة والسجية
التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا الذين صبروا أي شأنهم الصبر وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
وليا مصافيا وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبهت وسوسته به لأنها بعث
على ما لا ينبغي وجعل نازغا على طريقة جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أي إن صرفك الشيطان
عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه إنه هو السميع باستعاذتك العليم
بنيتك أو بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة
على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى

او الاناث او لانها عبارة عن الايات وتعلق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن
المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في اية تعالى ان كنتم اياه تعبدون
فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا اخر الاية الاخرى لانه
تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان
النبت اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي
ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الاحياء
قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في اياتنا بالطعن فيها وتحريفها
بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة
تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد
انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون
الى اخره وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القران وقوله تعالى
وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم
حميد خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته
الذاتية وقوله تعالى لا ياتيه اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر
بالقران وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شانك
وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل
مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ااعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم
للمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى اكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم
امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي
اكلام منسوب الى العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان القران اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها
اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها
متعنتا يتعللون به قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين
لا يؤمنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على ان التقدير هو في اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي اذانهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في اذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل
وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين
عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر في اذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني
باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه
من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة
التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها
الاصوات ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم

غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد اتيناه التوراة فاختلف
فيها فمن مصدق لها ومكذب بها وهكذا حال قومك في شان ما اتيناك من القران فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت
من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى
بل الساعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة
وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب اي من القران وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له
من عمل صالحا بان امن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها
ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة
الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر في المقام من التحقيق
والتفصيل في سورة ال عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله
وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس
والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم
يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب
باذكر او الظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي
اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم اذناك اما لان
هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ اخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة
الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء والاخبار بالايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم
ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم
من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة
التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى
ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته تعالى لا ياتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لا يعدي فلا يزول
عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى
اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر وناى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا
وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان
بعض غير البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم اي اخبروني ان كان اي
القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم

موضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالة على حقيته وكونه من عند الله
﴿في الآفاق﴾ من ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه
من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة ﴿وفي أنفسهم﴾
من ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم
يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق
اي اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات
ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك
انه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما ﴿حتى يتبين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾
اي القرآن او الاسلام والتوحيد ﴿أولم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم
المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألم تغن ولم يكف
ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل منه اي ألم تغنهم عن اراءة الآيات
الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا
الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب
الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك
لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل واما ما قيل من ان المعنى أولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له
فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بحالة منصبه عليه السلام من التردد
فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح
في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها
وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات صدق رسول الله

سورة الشورى مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل
ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد
وقوله تعالى ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة
موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها
مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول او على
نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل
في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد
او مثل ايحائها اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان
باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى
بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ
ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي فقيل الله العزيز

الحكيم صفتان له او مبتدأ كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له ما في السموات
وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾ خبران له وعلى الوجوه الاول استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾
يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا
مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لما ان اعظم الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة
الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين
﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن
والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول
زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب
استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين
اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء واندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾
بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾ ذلك اشارة الى مصدر اوحينا
ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك
قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب
فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحينا اليك وهو قرآن عربي بين ﴿لتنذر أم القرى﴾ اي اهلها
وهي مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ اي يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه
الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول
واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض مقرر لما قبله
﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير
للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري
الثواب والعقاب ﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾ اي في الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله
فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول
مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل
﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم
لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام
كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة
لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى
من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم
في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية
على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة
على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل

من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم
الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم
من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء
جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها
الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه اذ المراد بيان ان ما فعلوا
ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء
من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا
وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم
الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم
الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات
الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي
وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا
على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية اشتبهت عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ
لحمله على الاجتهاد لعدم جواز الاجتهاد بحضرة الرسول عليه الصلوة والسلام فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ
محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة
والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام
اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث
وفي معناه الذرو والذر فيه اي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته
كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن
من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
اي خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم
مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة
كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه السلام اي شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء عليهم الصلوة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا
على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه
السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مأمور بما امروا به من اقامة دين الاسلام وهو التوحيد وما لا يختلف
باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به
والمراد بايحائه اليه عليه الصلوة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك الآية واما ما يعمهما وغيرهما
مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله
وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة

والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح
عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلوة والسلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلوة والسلام ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى
وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ
او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال
نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس كذلك لانه مع افضائه الى خروجه
عن حيز الايحاء الى النبي عليه الصلوة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم الصلوة
والسلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي
لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق
به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين
القويم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حتى قالوا اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق فيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي
يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب
اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة
الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة اي ما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته
بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم
او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيامة لقضي بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم
لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب
وقرئ ورثوا وورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن
مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتاب هذا
واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم السالفة وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة
واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين
مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار
وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء
دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض
لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع
لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم
وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه
ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى
كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها

وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان
بها في سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي
بينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به
محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زائدة اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالق الكل ومتولي امره لنا
اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم اي لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم
لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة
واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجادلة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ
بآية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك
بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلوة والسلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم
ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة
مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي
انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان
والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك
اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة اي اتيانها قريب اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القرب
بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم
الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون
متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون
منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون
فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة
لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد
الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا تكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء
ان يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة
الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الاصل القاء البذر في الارض
يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور
المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه فنضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة
فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمنا له
لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسرا
ام لهم شركاء اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن
به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتأخير الجزاء او العدة بالفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم
في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد
الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم

ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات
حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال
المؤمنين وما فيه من معنى البعد للاذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك
الفضل الكبير هو الذي يبشر الله عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله
رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم
روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب منكم عليه
على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي المودة ثابتة في القربى
متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي
واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل
القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة كانت خصوصا المودة في القربى ولا وليا وعن السدي انها المراد وقيل
نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد له اي يزد
الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون
بل يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل اتمالكون
ان تنسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى
فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك
قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء على الله تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم
بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك
يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا
تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان
كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه الصلوة والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم
وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل
لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو
الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصره عليهم انه عليم
بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة
هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها

في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته • ويعفوا عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء • ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء • ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله
تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله
عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو
فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام • ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب
الوعد • والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد • ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية • ولكن ينزل بقدر اي بتقدير • ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه
مشيئته • انه بعباده خبير بصير يحيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق به
فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي
ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا • وهو الذي ينزل
الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال • من بعد ما قنطوا يئسوا منه
وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون • وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه
في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انفا • وهو الولي الذي يتولى عباده
بالاحسان ونشر الرحمة • الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره • ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة • وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق • من دابة من حي
على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب
وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم • وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة
وقوله تعالى • اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى • قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت
كما تدخل الماضي تدخل المضارع • وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت • فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي
اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية • ويعفو عن كثير
من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه
• وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب • وما لكم من دون الله
من ولي يحميكم منها • ولا نصير يدفعها عنكم • ومن آياته الجوار السفن الجارية • في البحر وقرئ الجواري • كالاعلام
اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة • ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح
جاريات لا غير متحركات اصلا • ان في ذلك • الذي ذكر من السفن المسخرات بجريها تارة وبركودها اخرى على حسب مشيئته تعالى
لآيات • عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى • لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه
عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر
ونصفه شكر • او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها
وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى • ويعف عن كثير لان
المعنى او يرسلها فينج ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفوا على الاستئناف • ويعلم الذين يجادلون في آياتنا

عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما
وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم • ما
لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل • فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه • فمتاع الحيوة
الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم • وما عند الله من ثواب الآخرة • خير لخلوص نفعه • وابقى
زمانا حيث لا يزول ولا يفنى • للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما تضمن معنى الشرط
من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخل جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر
رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى • والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون • مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا للدلالة
على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك • والذين استجابوا
لربهم واقاموا الصلوة • نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له • وامرهم شورى بينهم اي
ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا • ومما رزقناهم
ينفقون • اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات • والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون • اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل
وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز
وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا • فوضع الندى في موضع السيف بالعلى • مضر كوضع السيف في موضع الندى • وقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها • بيان لوجه كون الانتصار ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما
ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزل به • فمن عفا عن المسيء
اليه • واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم • فاجره على الله
عدة مبهمة تدل على عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود • انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام
ولمن انتصر بعد ظلمه • اي بعد ما ظلم وقد قرئ به • فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير له باعتبار اللفظ
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة • انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام
ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا • اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق
لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم • ولمن صبر على الاذى • وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله • ان ذلك
الذي ذكر من الصبر والمغفرة • لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم
وهذا في الموارد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه • ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده • من ناصر يتولاه من بعد خذلان
الله اياه • وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق • يقولون هل الى مرد
اي رجعة الى الدنيا • من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا • وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب
والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية • خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما دهاهم • ينظرون من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف • وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي
المتصفين بحقيقة الخسران • الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد • يوم القيمة ظرف لخسروا والقول
في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى • الا ان الظالمين في عذاب
مقيم • اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم • وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم • من دون الله
حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا • ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة • استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى
على لسان نبيه • من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله

يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم
وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة
وتوجيه الى الرسول عليه الصلوة والسلام فان لم يستجيبوا واعرضوا عما دعوتهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم
ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد
بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة
الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه
على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة تعليلها
باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان
هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف شاء ومن جملته
ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما نعلمه ومما لا نعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور
منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم
ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة
على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما الصنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير
النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما تتعلق به مشيته تعالى لا ما تتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام
في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او لجبر التأخير وتغيير العاطف
في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء
عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم
قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه
من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وروي
عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع
من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه مثل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع
صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا
اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء
ان يوحيه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى
او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير ما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا
من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي عليه الصلوة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه
ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى
فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية
انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يمكن جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن
الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك
روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه
اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان
بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام
له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي

بصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف
ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع
والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه
بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما
من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره
ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له صدق رسول الله

سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما
للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير
كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية
المبين اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه
في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب
عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة
اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد
الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي اللوح
المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب
ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة
وايذان بانه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث
الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما
مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين
علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه
فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه
الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا
اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل
افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي فننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف
مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة
رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية
مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين
وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السابقة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء
اليهم وتسلية لرسول الله عليه الصلوة والسلام عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين
عدة له عليه الصلوة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية
ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

لیقولن خلقهن العزیز العلیم ای لیسندن خلقها الی من هذا شانه فی الحقیقة وفی نفس الامر لانهم یعبرون عنه بهذا العنوان
وسلوک هذه الطریقة للاشعار بان اتصافه تعالی باسره من جلائل الصفات والافعال وبما یستلزمه ذلک من البعث
والجزاء امر بین لا ریب فیه وان الحجة قائمة علیهم شاؤوا او ابوا وقد جوز ان یکون ذلک عین عبارتهم وقوله تعالی الذی
جعل لکم الارض مهدا استئناف من جهته تعالی ای بسطها لکم تستقرون فیها وجعل لکم فیها سبلا تسلکونها فی اسفارکم
لعلکم تهتدون ای لکی تهتدوا بسلوکها الی مقاصدکم او بالتفکر فیها الی التوحید الذی هو المقصد الاصلی والذی نزل
من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضیه مشیئته المبنیة علی الحکم والمصالح فانشرنا به ای احیینا بذلک الماء بلدة میتا خالیا
عن النماء والنبات بالکلیة وقری میتا بالتشدید وتذکیره لان البلدة فی معنی البلد والمکان والالتفات الی نون العظمة لاظهار کمال
العنایة بامر الاحیاء والاشعار بعظم خطره کذلک ای مثل ذلک الاحیاء الذی هو فی الحقیقة اخراج النبات من الارض تخرجون
ای تبعثون من قبورکم احیاء وفی التعبیر عن اخراج النبات بالانشار الذی هو احیاء الموتی وعن احیائهم بالاخراج تفخیم لشان الانبات
وتهوین لامر البعث لتقویم سنن الاستدلال وتوضیح منهاج القیاس والذی خلق الازواج کلها ای اصناف المخلوقات
وعن ابن عباس رضی الله عنهما الازواج الضروب والانواع کالحلو والحامض والابیض والاسود والذکر والانثی وقیل کل ما
فهو زوج کالفوق والتحت والیمین والیسار الی غیر ذلک وجعل لکم من الفلک والانعام ما ترکبون ای ما ترکبونه تغلیبا
للانعام علی الفلک لان الرکوب متعد بنفسه واستعماله فی الفلک بکلمة فی للرمز الی مکانیتها وکون حرکتها غیر ارادیة کما
فی سورة هود عند قوله تعالی وقال ارکبوا فیها لتستووا علی ظهوره ای لتستعلوا علی ظهور ما ترکبونه من الفلک والانعام
والجمع باعتبار المعنی ثم تذکروا نعمة ربکم اذا استویتم علیه ای تذکروها بقلوبکم معترفین بها مستعظمین لها ثم تحمدوا علیها
بالسنتکم وتقولوا سبحان الذی سخر لنا هذا متعجبین من ذلک کما یروی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه کان اذا وضع رجله فی الرکاب
قال بسم الله فاذا استوی علی الدابة قال الحمد لله علی کل حال سبحان الذی سخر لنا هذا الی قوله تعالی لمنقلبون وکبر ثلاثا وهلل ثلاثا
وما کنا له مقرنین ای مطیقین من اقرن الشیء اذا اطاقه واصله وجده قرینه لان الصعب لا یکون قرینة للضعیف وقری بالتشدید
والمعنی واحد وهذا من تمام ذکر نعمته تعالی اذ بدون اعتراف المنعم علیه بالعجز عن تحصیل النعمة لا یعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا
الی ربنا لمنقلبون ای راجعون وفیه ایذان بان حق الراکب ان یتامل فیما یلابسه من المسیر ویتذکر منه المسافرة العظمی التی هو
الانقلاب الی الله تعالی فیبنی اموره فی مسیره ذلک علی تلک الملاحظة ولا یخطر بباله فی شیء مما یاتی ویذر امرا ینافیها ومن ضرورته
ان یکون رکوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالی ولئن سالتهم الخ ای وقد جعلوا له سبحانه
بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلک الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزید استحالته فی حق الواحد الحق من جمیع الجهات
وقری جزؤا بضمتین ان الانسان لکفور مبین ظاهر الکفران مبالغ فیه ولذلک یقولون ما یقولون سبحان الله عما یصفون
ام اتخذ مما یخلق بنات ام منقطعة وما فیها من معنی بل للانتقال من بیان بطلان جعلهم له تعالی ولدا علی الاطلاق الی بیان بطلان
جعلهم ذلک الولد من اخس صنفیه والهمزة للانکار والتوبیخ والتعجیب من شانهم وقوله تعالی واصفاکم بالبنین اما عطف علی اتخذ
داخل فی حکم الانکار والتعجیب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه علی الخلاف المشهور والالتفات الی خطابهم لتاکید الالزام وتشدید التوبیخ
ای بل اتخذ من خلقه اخس الصنفین واختار لکم افضلهما علی معنی هبوا انکم اجترأتم علی اضافة اتخاذ جنس الولد الیه سبحانه مع ظهور
استحالته وامتناعه اما کان لکم شیء من العقل ونبذ من الحیاء حتی اجترأتم علی التفوه بالعظیمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالی آثرکم
علی نفسه بخیر الصنفین واعلاهما وترک له شرهما وادناهما وتنکیر بنات وتعریف البنین لتربیة ما اعتبر فیهما من الحقارة والفخامة واذا
بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استئناف مقرر لما قبله وقیل حال علی معنی انهم نسبوا الیه ما ذکر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر بها اغتم والالتفات
للایذان باقتضاء ذکر قبائحهم ان یعرض عنهم ویحکی لغیرهم تعجیبا منها ای اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان یجانس
الوالد ویماثله ظل وجهه مسودا ای صار اسود فی الغایة من سوء ما بشر به وهو کظیم مملوء من الکرب والکآبة والجملة حال وقری مسود
ومسواد علی ان فی ظل ضمیر المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ینشا فی الحلیة تکریر للانکار وتثنیة للتوبیخ ومن منصوبة
بمضمر معطوف علی جعلوا ای او جعلوا من شانه ان یربی فی الزینة وهو عاجز عن ان یتولی لامره بنفسه فالهمزة لانکار الواقع واستقباحه

وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف علی اتخذ فالهمزة حینئذ لانکار الوقوع واستبعاده واقحامها بین المعطوفین لتذکیر ما
فی ام المنقطعة من الانکار وتاکیده والعطف لتغایر العنوانی ای او اتخذ من هذه الصفة الذمیمة صفته وهو مع ما ذکر
من القصور فی الخصام ای الجدال الذی لا یکاد یخلو عنه الانسان فی العادة غیر مبین غیر قادر علی تقریر دعواه
واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رایه واضافة غیر لا تمنع عمل ما بعده فی الجار المتقدم لانه بمعنی النفی وقری ینشا وینشا
من الافعال والمفاعلة والکل بمعنی ونظیره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائکة الذین هم عباد الرحمن اناثا
بیان لتضمن کفرهم المذکور لکفر آخر وتقریع لهم بذلک وهو جعلهم اکمل العباد واکرمهم علی الله عز وجل انقصهم رایا واخسهم
صنفا وقری عبید الرحمن وقری عند الرحمن علی تمثیل زلفاهم وقری انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم ای
احضروا خلق الله تعالی ایاهم فشاهدوهم اناثا حتی یحکموا بانوثتهم فان ذلک مما یعلم بالمشاهدة وهو تجهیل لهم وتهکم بهم وقری
ااشهدوا بهمزتین مفتوحة ومضمومة وآاشهدوا بالالف بینهما ستکتب شهادتهم هذه فی دیوان اعمالهم
ویسالون عنها یوم القیامة وقری سیکتب وسنکتب بالیاء والنون وقری شهاداتهم وهی قولهم ان لله جزءا وان له بنات
وانها الملائکة وقری یساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بیان لفن آخر من کفرهم ای لو شاء عدم
عبادتنا للملائکة مشیئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلک بیان ان ما فعلوه حق مرضی عنده تعالی وانهم انما یفعلونه بمشیئته
تعالی لا الاعتذار من ارتکاب ما ارتکبوه بانه بمشیئته تعالی ایاهم مع اعترافهم بقبحه حتی ینتهض ذمهم به دلیلا للمعتزلة ومبنی کلامهم
الباطل علی مقدمتین احداهما ان عبادتهم لهم بمشیئته تعالی والثانیة ان ذلک مستلزم لکونها مرضیة عنده تعالی ولقد اخطؤوا
فی الثانیة حیث جهلوا ان المشیئة عبارة عن ترجیح بعض الممکنات علی بعض کائنا ما کان من غیر اعتبار الرضی او السخط فی شیء من الطرفین
ولذلک جهلوا بقوله تعالی ما لهم بذلک ای بما ارادوا بقولهم ذلک من کون ما فعلوه بمشیئة الارتضاء لا بمطلق المشیئة فان ذلک
محقق ینطق به الآیات الکریمة من علم یستند الی سند ما ان هم الا یخرصون یتمحلون تمحلا باطلا
وقد جوز ان یشار بذلک الی اصل الدعوی کانه لما اظهر وجوه فسادها وحکی شبههم المزیفة نفی ان یکون لهم بها علم من طریق
العقل ثم اضرب عنه الی ابطال ان یکون لهم سند من جهة النقل فقیل ام آتیناهم کتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل
ادعائهم ینطق بصحة ما یدعونه فهم به بذلک الکتاب مستمسکون وعلیه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا
علی امة وانا علی آثارهم مهتدون ای لم یاتوا بحجة عقلیة او نقلیة بل اعترفوا بان لا سند لهم سوی تقلید آبائهم الجهلة مثلهم
والامة الدین والطریقة التی تؤم ای تقصد کالرحلة لما یرحل الیه وقری امة بالکسر وهی الحالة التی یکون علیها الآم ای القاصد
وقوله تعالی علی آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وکذلک ای والامر کما ذکر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم
بذیل التقلید وقوله تعالی ما ارسلنا من قبلک فی قریة من نذیر الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا علی امة وانا علی آثارهم
مقتدون استئناف مبین لذلک دال علی ان التقلید فیما بینهم ضلال قدیم لیس لاسلافهم ایضا سند غیره وتخصیص المترفین
بتلک المقالة للایذان بان التنعم وحب البطالة هو الذی صرفهم عن النظر الی التقلید قال حکایة لما جری بین المنذرین
وبین اممهم عند تعللهم بتقلید آبائهم ای قال کل نذیر من اولئک المنذرین لامتهم او لو جئتکم ای اتقتدون بآبائکم ولو جئتکم
باهدی بدین اهدی مما وجدتم علیه آباءکم من الضلالة التی لیست من الهدایة فی شیء وانما عبر عنها بذلک مجاراة
معهم علی مسلک الانصاف وقری قل علی انه حکایة امر ماض اوحی حینئذ الی کل نذیر لا علی انه خطاب للرسول صلی الله علیه وسلم
کما قیل لقوله تعالی قالوا انا بما ارسلتم به کافرون فانه حکایة عن الامم قطعا ای قال کل امة لنذیرها انا بما ارسلت به
وقد اجمل عند الحکایة للایجاز کما فی قوله تعالی یا ایها الرسل کلوا من الطیبات وجعله حکایة عن قومه علیه الصلاة والسلام بحمل
صیغة الجمع علی تغلیبه علی سائر المنذرین علیهم السلام وتوجیه کفرهم الی ما ارسل به الکل من التوحید لاجماعهم علیه کما فی نظائر
قوله تعالی کذبت عاد المرسلین بمحل بعید یرده بالکلیة قوله تعالی فانتقمنا منهم ای بالاستئصال فانظر کیف کان
عاقبة المکذبین من الامم المذکورین فلا تکترث بتکذیب قومک واذ قال ابراهیم ای واذکر لهم وقت قوله علیه السلام
لابیه وقومه المکبین علی التقلید کیف تبرأ مما هم فیه بقوله اننی براء مما تعبدون وتمسک بالبرهان لیسلکوا مسلکه فی الاستدلال

او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبرآء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبرآء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم
او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اي انني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية
او سيهديني الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي ذريته حيث وصاهم
بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه
على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت
هؤلاء اضراب عن محذوف يناسبه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها
من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من اهل مكة وآباءهم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق
اي القرآن ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينات
والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم فان التمتع
بزيادة النعم موجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران اقصى
مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا
الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف
على نحو قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي
وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله
الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استبعادا لا على حد منهم انه لو كان قرآنا
لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها رتبة روحانية لا يرتقي اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل
الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى
اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب
معيشتهم في الحيوة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم تفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم
عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وساير مبادي المعايش درجات متفاوتة بحسب القرب
والبعد حسبما يقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف
بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم بينهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع
ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا
الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة
والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام
الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره
عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه
لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف

جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع
البيوت وسقفا كانه لغة في سقف سقوفا ومعارج اي جعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج
جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة
عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا
عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء
يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع له كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن
والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم
هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافة اسم الرحمن للايذان
بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه
في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء
على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد
ممن يعشو ليصدونهم اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها
عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون
اي الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم
كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم
عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى
حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر وافراد الضمير
في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرنائه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر
من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك
في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس
القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم
اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم
اي اذ ثبت عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني
لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد
الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا تسعه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه
ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بل بمعنى ان لا يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاميا
عما يسمعونه من بينات القرآن فنزلت افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو تمكنهم واستقرارهم في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم منه لا توهم القصور من قبل
الهادي الغفور ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك

عذابهم وتشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فإنا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة للتأكيد بمنزلة
لام القسم في أنها لا تفارق النون المؤكدة أو نرينك الذي وعدناهم أي أو أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي أوحي إليك
من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى اليوم الآخر وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل إنك
على صراط مستقيم تعليل للاستمساك أو للأمر به وإنه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة
عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما تقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم
قال الفراء إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
أي هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع
ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ملتبسا بها إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين
أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إيماء إلى إجماع جميع
الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي فاجؤا وقت ضحكهم منها أي استهزؤا بها أول ما رأوها
ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية من الآيات إلا هي أكبر من أختها إلا وهي بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من
ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها أي إلا وهي
مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم
يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا أيها الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم
وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت
به من الإيمان والطاعة إننا لمهتدون أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته إذا هم ينكثون فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الأعراف
ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا قال يا قوم أليس لي
ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي أي
من تحت قصري أو أمري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر
فتجري حال منها أو للحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ أفلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه أم أنا خير
مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين أي الكلام قاله افتراء عليه
عليه السلام وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت
سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أني أنا خير وهذه
حالي من هذا وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم
عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن إبصارهم لما ذكر من أسباب
فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقا لما أنهم كانوا
إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب أسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار
بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما
أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا أي أغضبونا أشد الغضب
منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار

يسلكوا مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين
واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة
أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل
قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم حتى قال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال
اللعين خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا
أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى إذا قومك منه أي من ذلك المثل يصدون
أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض
أو يزدادون فيه وقيل هو من الصدود وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة وقالوا أآلهتنا خير
أم هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا
فحيث كان في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة
والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع أنها لا يجب تنزيه ساحته
عليه الصلاة والسلام عنه من شأنه الإفحام من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روي أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وأما لم يخص عليه
السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند
موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى
ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق
قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية بل إنما كان ما أظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما نطق قوله تعالى ما ضربوه لك إلا جدلا
أي ما ضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون أي لد
شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى
لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة
ومعنى ما ضربوه إلا جدلا ما قالوا هذا القول إلا للجدال وقيل لما نزلت إن مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل
أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم
لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا
حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فهو قوله تعالى إن هو إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل
أي أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب إليه
ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه
عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى أنهم أعظم شأنا من الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم
وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع
وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى
منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف وأخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو رد لهم وتكذيب لهم في افترائهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيما أوحي إلى الرسول عليهما السلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام
بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه قوله تعالى ولو نشاء لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى

وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء
لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع
في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون وما تذرون
ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة
الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اي انه
بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصولها به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة
من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسميته بما يذكر به ذكرا كتسميته بما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى
عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس
في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن
في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مأمور من جهته تعالى هذا اي الذي
ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه
لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات
الانجيل او بالشرائع الواضحات قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر
ينبئ عنه المجيء بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين فليس
بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي
التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استئناف من جهته تعالى مقرر
لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة هل ينظرون اي ما ينتظرون الناس الا الساعة ان تأتيهم
اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك
قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في امور الدنيا يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة
بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم
في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم
وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى ونصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق
رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات
تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك
والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
وفيها اي الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ
وتلذه وانتم فيها خالدون تمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث
لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالواقعة الاولى والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء

بمحذوف لا باورثتموها كما في الاول لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها
تأكلون اي بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة
فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين
اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان
او خالدون هو الخبر وفي متعلقة لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا
هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله
رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليميتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل
ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب
ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين
لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك
ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه
واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين
ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة
للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه
اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا محكمون
كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم
ويتشاورون في اموره عليه الصلاة والسلام ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا
به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما
ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونهما او يكتبون
كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى اي بل
نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك ما يعبدونه
من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم
من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه
تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية
وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله تعالى الموحدين له وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام
واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير
اسم الرب تفخيم لشأن العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا
في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبودية بالحق كما مر في تفسير البسملة

كأنه قيل وهو الذي مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله
والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما لأن إله مبتدأ
مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول وإله خبر المبتدأ المحذوف على ان الجملة بيان للصلة
وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية
به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام
كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء
والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا
ومشددا من دونه الشفاعة كما زعموا الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به
عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء متصل والموصول
عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين
ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم
بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب
فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام
به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار
فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
واقنط عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد
من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان سبع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب
المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة
الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث
وعشرين سنة كما مر في سورة القدر ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها
من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال
كأنه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل
جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كالاول فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهو يدل
على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة
الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع
نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب
سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل
اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا
حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر

لمخصصه

لمخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى
او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين
وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متأخرة عنه على ان المراد بالرحمة الواصلة
الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد
لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية
ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام لتشريفه او علة ليفرق او لقوله تعالى امرا على انه رحمة مفعول للارسال كما في قوله
تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا
من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية تكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة
بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض
وما بينهما بدل من ربك او صفة او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استئناف على اضمار مبتدأ ان كنتم موقنين اي ان كنتم
من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فعلمتم انه
علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب
السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدأ
او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او صفة او نعت له وفاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا
من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون
عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم
في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء
كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب
دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان
وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام ابو سفيان
ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان
يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام
وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره
والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى رد لكلامهم واستدعائهم الكشف
وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني على التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون
بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي
التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة
ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة
للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون
او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع
ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا

العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا
او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين
للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه
من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين
وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يمهلون
يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون
لان ان تمنع عن ذلك يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
البطشة الكبرى وهو التناول بعنف صولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه
وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان
وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي
وقوله تعالى اني لكم رسول امين علة للامر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنه الله تعالى على وحيه وصدقه بالمعجزات
القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا على الله تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالاولى في وجهيها وقوله تعالى اني آتيكم
اي من جهته تعالى بسلطان مبين علة للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها ولهذا اسلم على صيغة الفاعل او المضارع
وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم اي التجأت اليه وتوكلت عليه
ان ترجمون من ان ترجموني او تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال
في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بشر
واذى فليس ذلك جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن بالله المقام
فدعا ربه بعدما كذبوه عليه السلام ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل
قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي او قبلها
كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى
انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته
بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم
كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اي تنعم
كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا
اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع
على الخبر اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه
السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض
وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل
لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بان اهلكنا فرعون وقومه من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم
وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه
واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه

من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح
عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير
في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم
اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة
الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم
الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد الى اثبات
موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا
ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة
القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله
تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير
في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه باسم الله الذي ملك بحرا
وبرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان
اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم
يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد
والاستفهام للتقرير او لكنه نوع من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين
تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم
شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ
وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء
ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني
بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان
شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه
الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم
اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت
يغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول والخطاب
للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم
اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم

اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وقرئ بالفتح اى لانك وعدّ انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى فى مقام اى فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره فى جنات وعيون بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اى الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحياة والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة فى الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له صدق رسول الله تعالى

سورة الجاثية ست وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اى المسمى تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع انه عن افادة فائدة يعتد بها بمعزل على المحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الأدنى لقوله تعالى وفى خلقكم اى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كأنه قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اى من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار

المذكور فى الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة فاحيا به الارض بعد موتها بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاث للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اى نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباى حديث من الاحاديث بعد الله وآياته اى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اى كأنه لم يسمعها فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر اى يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اى اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغميزة اتخذها اى الآيات كلها هزوا اى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتأنيث لانه فى معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف او قدام ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اى القرآن هدى فى غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها والذين كفروا اى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اى من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء او على الفاعلية

الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري
الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون كي
تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم
جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا
كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور
العظام لآيات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل
نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر
باعتبار تعلقه لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين
لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله تعالى
لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه
غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع
فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي
حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك
عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة
والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين
بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر
عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة
الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد
من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان اريد
كلا الفريقين فهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين
او فصل الحكومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نوت من عداهم من فلق البحر
واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب
ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب
زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة
والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر
اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين ابائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع
اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض
عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشرائع الشرائع

بمنزلة البصائر للقلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور
ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين
والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع
ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع
واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال
كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى
سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما ان السواء
بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم
ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات
واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا
في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم
ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية
وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فالجملة
بدل من الكاف وقيل حال واياما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل
وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض
بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء
في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى
او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزي وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون
بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسميته ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه
تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة
الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اي انظرت فرايته فان ذلك مما يقضي منه التعجب وقرئ آلهة هواه لان احدهم كان يستحسن
حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله
لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات والنذر وجعل
على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي
من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ
تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة الا حياتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره
اي غلبه وامري الا دهره وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واستناد الحيوة
والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكونوا

لهم شئ يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم • واذا تتلى عليهم آياتنا • الناطقة بالحق الذي من جملته
بينات • واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينا له • ما كان حجتهم • بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم
شئ من الاشياء • الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي
يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ
برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل • قل الله يحييكم • ابتداء • ثم يميتكم
عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر • ثم يجمعكم • بعد البعث • الى يوم القيمة • للجزاء • لا ريب
اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها
حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • استدراك من قوله تعالى
لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم
في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما • ولله ملك السموات والارض • بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي
فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة • ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون • العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه • وترى كل امة • من الامم المجموعة • جاثية • باركة على الركب
مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية
مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة • كل امة تدعى الى كتابها • الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول
وتدعى صفة او حال او مفعول ثان • اليوم تجزون ما كنتم تعملون • اي يقال لهم ذلك • وقوله تعالى • هذا كتابنا • الخ من تمام ما يقال
حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره
وقوله تعالى • ينطق عليكم • اي يشهد عليكم • بالحق • من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى
انا كنا نستنسخ • الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة • ما كنتم تعملون
في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته • اي
تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد • ذلك • اي الذي ذكر من الادخال في رحمته
هو الفوز المبين • الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه • واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم • اي فيقال لهم بطريق التوبيخ
والتقريع الم يكن يأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه • فاستكبرتم • عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين • اي قوما عادتهم الاجرام • واذا قيل ان وعد الله • اي وعده من الامور الآتية او وعده بذلك
حق • اي واقع لا محالة او مطابق للواقع • والساعة • التي هي اشهر ما وعده • لا ريب فيها • اي في وقوعها وقرئ الساعة
بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها • قلتم • لغاية عتوكم • ما ندري ما الساعة • اي اي شئ هي
استغرابا لها • ان نظن الا ظنا • اي نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان نتبع الا الظن وقيل ما نعتقد الا ظنا لا علما
وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى • وما نحن بمستيقنين • اي لامكانه فان مقابل الاستيقان
مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا • وبدا لهم • اي ظهر لهم حينئذ • سيئات ما عملوا
على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
من الجزاء والعقاب • وقيل اليوم ننساكم • نترككم في العذاب ترك المنسي • كما نسيتم • في الدنيا • لقاء يومكم هذا • اي كما تركتم عدته
ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه • ومأواكم النار وما لكم من ناصرين • اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها
ذلكم • العذاب • بانكم • بسبب انكم • اتخذتم آيات الله هزوا • اي مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا • وغرتكم الحيوة الدنيا
فحسبتم ان لا حيوة سواها • فاليوم لا يخرجون منها • اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم
عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار • ولا هم يستعتبون • اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اي يرضوه لفوات اوانه • فلله الحمد • خاصة • رب السموات ورب الارض رب العالمين • فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب

للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو • وله الكبرياء
في السموات والارض • لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء • وهو العزيز
الذي لا يغلب • الحكيم • في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية
ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف اربع وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض • بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما • وما بينهما • من المخلوقات • الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل
خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناهما في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستهما به وفيه من الدلالة على وجود
الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى • واجل مسمى • عطفا على الحق
بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى • والذين كفروا عما انذروا معرضون • فان ما انذروه يوم القيمة
وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق
وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له • قل • تبكيتا لهم و
ارأيتم • اخبروني وقرئ ارأيتكم • ما تدعون • ما تعبدون • من دون الله • من الاصنام • اروني • تأكيد لارأيتم
ماذا خلقوا من الارض • بيان للابهام في ماذا • ام لهم شرك • اي شركة مع الله تعالى • في السموات • اي في خلقها او ملكها
وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل
من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى • ائتوني بكتاب • الخ تبكيت لهم بتعجيزهم
عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي • كائن • من قبل هذا • الكتاب اي القرآن الناطق
بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم • او اثارة من علم • او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم
للعبادة • ان كنتم صادقين • في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شئ منهما
وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شئ
اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة
من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب • ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له
انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر
غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة
والاستجابة • الى يوم القيمة • غاية لنفي الاستجابة • وهم عن دعائهم • الضمير الاول للمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها • غافلون • لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفهم اياها بما ذكر
من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية • واذا حشر الناس
عند قيام القيمة • كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين • اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما روي انه تعالى يحيي الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر
واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات • واضحات او مبينات • قال الذين كفروا للحق • اي لاجله وفي شأنه وهو عبارة
عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال
الكفر والضلالة • لما جاءهم • اي اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل • هذا سحر مبين • اي ظاهر كونه سحرا • ام يقولون افتراه

اضراب وانتقال من حكاية تشنيعهم الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجيب اي بل
ايقولون افتراه القران قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب انه تعالى يعاجلني بالعقوبة
فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه
من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب
وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما
لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر مضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه
مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلوة والسلام ايات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم
ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي
من الرسل عليهم الصلوة والسلام ما كانوا ياتون الا بما اتاهم الله تعالى من الايات ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري
وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي وظايف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الاخرة فان العلم
بذلك من وظايف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج
الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبري
عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي
اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه الصلوة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع
الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام
من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير
انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القران
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين اجزاء الشرط
مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط
المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا
وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده
من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه او لا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي
بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القران من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك فانها عين ما فيه من الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار
تعبادات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فامن للدلالة على انه
سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي
ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه
واذا سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت واذا علموا باسلامي

قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلوة والسلام اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر
قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت النبي عليهما الصلوة والسلام وبه قال
الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان ال حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الاية
مدنية والسورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى
وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فامن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم
الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا
حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين امنوا اي لاجلهم لو كان
اي ما جاء به عليه الصلوة والسلام من القران والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا تنالها ايدي الاراذل وهم
سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية
والاقبال على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قاله اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويابا ان السورة مكية
لا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله وترتب عليه
ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا
اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القران وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى
قيل والجملة حالية او مستانفة واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا
اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن امن
به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام
ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه
لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي
لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى
للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه
عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي
دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا كما مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب
الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم
فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان
بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط
حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر

وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى
والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا
يعني عليها معاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه
للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير
للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي اجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي
قال ابن عباس رضي الله عنهما اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة
ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا
جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن
ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين اني
تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة
الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن
لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن
على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل
والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان
المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس
القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سياتي
من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها
من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي
ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسالانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو
في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث اضافه الى
نفسه عز وجل تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق فيقول
مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة
اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم
كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم
بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر
والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها هاهنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة
وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها واللام
متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم

فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف
وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ
كذلك بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون
من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ يفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد
اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكان عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر
من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه
اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله الا تعبدوا
الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه
عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره
مع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا
اي لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا
قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي
في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون
حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير
اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوا به بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض
في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك
وقعا وصفين للنكرة بل هو اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به
من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدأ محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقد يدمر كل شيء من دمار اذا اهلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو
الضمير في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه
بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا
لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة
فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما
عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم
فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم
فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررناهم واقدرناهم وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة

او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله
وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان هاهنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى جعل
الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام • وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة • ليستعملوها فيما خلقت له
ويعرفوا بكل منها ما نيطت معرفته به من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره • فما اغنى عنهم
سمعهم • حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل • ولا ابصارهم • حيث لم يجتلوا بها الايات التكوينية المنصوبة في صحائف
العالم • ولا افئدتهم • حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى • من شيء • اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى
اذ كانوا يجحدون بايات الله • متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته
اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث • وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون • من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين •
ولقد اهلكنا ما حولكم • يا اهل مكة • من القرى • كحجر ثمود وقرى قوم لوط • وصرفنا الايات • كررناها لهم • لعلهم يرجعون •
لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي • فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة • القربان ما يتقرب به الى الله تعالى
واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم
آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم
ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى
بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح
انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء • بل ضلوا عنهم • اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كان عدم نصرهم
لغيبتهم او ضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقد امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور • وذلك • اي ضياع آلهتهم
عنهم وامتناع نصرهم • افكهم • اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ
افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد
للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك او ذو الافك كما يقال
قول كاذب • وما كانوا يفترون • عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك
مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك • واذ صرفنا اليك نفرا من الجن • املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ
صرّفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى • يستمعون القرآن • وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه
بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن • فلما حضروه • اي القرآن
عند تلاوته او الرسول عند تلاوته على الالتفات والاول هو الاظهر • قالوا • اي قال بعضهم لبعض • انصتوا • اي اسكتوا لنسمعه
فلما قضي • اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه السلام
ولوا الى قومهم منذرين • مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا
ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي
نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف
وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم
فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلوة والسلام
اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب
الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه الصلوة والسلام
وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انطلقوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك

قالوا

قالوا • اي عند رجوعهم الى قومهم • يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى • قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام • مصدقا لما بين يديه • ارادوا به التوراة • يهدي الى الحق • من العقائد
الصحيحة • والى طريق مستقيم • موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة • يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به • ارادوا به ما سمعوه
من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان
حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم • يغفر لكم من ذنوبكم • اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى
فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان • ويجركم من عذاب اليم • معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم
في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى • ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض • ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها
بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة
وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها
او دخل في اعماقها وقوله تعالى • وليس له من دونه اولياء • بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه
وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى • اولئك •
بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله • في ضلال مبين • اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث
اعرضوا عن اجابة من هذا شانه • اولم يروا • الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي ألم يتفكروا
ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان • ان الله الذي خلق السموات والارض • ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه • ولم يعي بخلقهن • اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عيي بالامر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى
بقادر • في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان
وما في حيزها كانه قيل أوليس الله بقادر • على ان يحيي الموتى • ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى • بلى انه على كل شيء قدير • تقرير
للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود • ويوم يعرض الذين كفروا على النار • ظرف عامله قول مضمر مقوله •
اليس هذا بالحق • على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره
وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله
ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين • قالوا بلى وربنا • اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في
الدنيا وانى لهم ذلك • قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل • جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم
كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع
الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار
وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه
انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين
ولا تستعجل لهم • اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم • كانهم يوم يرون ما يوعدون • من العذاب • لم يلبثوا
في الدنيا • الا ساعة • يسيرة • من نهار • لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى • بلاغ • خبر مبتدأ محذوف
اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا • فهل يهلك
الا القوم الفاسقون • اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وقرئ بنون
العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد
صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون
الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل فى الاسلام وقيل
هو عام فى كل من كفر وصد اضل اعمالهم اى ابطلها واحبطها وجعلها ضايعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها
بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف
وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والصد عن سبيله بنصر رسول الله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله
تعالى فاذا لقيتم الخ والذين امنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام
للكل وامنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها لشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين ما يجب
الايمان به وانه الاصل فى الكل ولذلك اكد بقوله تعالى وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ
فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل
وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اى سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اى حالهم فى الدين
والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدا خبره قوله تعالى
بان الذين اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اى ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد كفروا
ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب
ان الاخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببيته
اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما
حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذى لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله
واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغى لما ان الكفر والصد امر محقق فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار
بسببيتها له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص
على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها الموقعين كذلك اى مثل ذلك
الضرب البديع يضرب الله اى يبين للناس امثالهم اى احوال الفريقين واوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الامثال
وهى اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى فاذا لقيتم الذين
كفروا لترتيب ما فى حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب
ان يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير
عن القتل به تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اى اكثرتم قتلهم
واغلظتموه من الشئ الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم
واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون بعد ذلك
او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله وعندنا منسوخ قالوا نزل
ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا
كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها
وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعى رحمه الله لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا
الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابى حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب

على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس
فهى غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة
وقيل اوزارها اثامها اى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك
ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلوا بعضكم ببعض
فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم
ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا فى سبيل الله اى استشهدوا وقرئ قاتلوا اى جاهدوا
وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اى فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة
انها نزلت فى يوم احد سيهديهم فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الاخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم فى الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى
اليه كانه كان ساكنه من خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ اعطاه الله تعالى
او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما استئناف
او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اى دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم
ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار
والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم او فقضى
تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول ذلك اى ما ذكر من التعس والاضلال
الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القران لما فيه من التوحيد وساير الاحكام المخالفة لما الفوه
واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها
افلم يسيروا فى الارض اى اقعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم
المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه
قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك
عليه ما يختص به وللكافرين اى ولهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على
ان لهؤلاء امثالها لا اولئك اضعافها بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز
ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل
اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم
فى الدنيا ولهم فى الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين
امنوا اى ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولى الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب
ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون
اى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اى منزل وثواء
واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكاين كلمة مركبة من الكاف واى بمعنى كم الخبرية ومحلها
الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هى اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى
التى اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى اهلكناهم
اى وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة
للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها
لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة كليب لعمرى كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم

بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم الغاير ذكرها
بالغير على ذكرها بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والعاطف
على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه السلم
او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم مما ياباه منصبه الجليل والمعنى
اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وساير المعجزات
والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وساير المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبايح واتبعوا بسبب ذلك التزيين
اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه
وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استيناف
مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين
ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها
ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدا محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار
الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زايد كزيادة الاسم
في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدا خبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة
وقرئ غير أسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حاذرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر
نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انه صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل
مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
الانها منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون
من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى
كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به
قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما
مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنى منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار
معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة
على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه
استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر
الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه
والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم
او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة
وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها

طها من عظايم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشرا
تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة
اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط
جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
حكم بخطائهم وفساد رأيهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له
الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية
سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم
على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم
فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت
على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلم من ترك الاولى
عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه الصلوة والسلام الى التواضع
وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة
الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط
افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها
مواطن اقامتكم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم
فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب
القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره
تعالى ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من اصابته غشية الموت فاولى لهم
اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مقلوب من الويل
واصله اويل فقلب العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستانف اي امرهم طاعة الخ او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند
العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه
تعالى فيما قالوا من الكلام المنبي عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على ان
الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم
الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل يتوقع
منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير
وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون بشانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلق عنانكم وصرتم آمرين
ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض
بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام
لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس
كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم

ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع
بحذف احدى التائين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة
اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا • اولئك • اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان
ذلك من نياتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدا خبره • الذين لعنهم الله • اي ابعدهم
من رحمته • فاصمهم • عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم • واعمى ابصارهم • لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق • افلا يتدبرون القرآن • اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا
يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات • ام على قلوب اقفالها • فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها
وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة
واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها
غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر • ان الذين ارتدوا على ادبارهم • اي رجعوا الى ما كانوا
عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام
من بعد ما تبين لهم الهدى • بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما
وجدوا نعته في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى • الشيطان سول لهم • جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم
ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب بمعنى سول له امرا حينئذ
اوقعه في امنيته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان • واملى لهم • ومد لهم في الاماني
والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال
او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم • ذلك • اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء
كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الآتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى • بانهم • اي بسبب انهم
قالوا • يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا
القول ولو فرض صدوره عنهم كان القول لهم المنافقين او المشركين على راي القائل بل من حين بعثته عليه السلام • للذين
كرهوا ما نزل الله • اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا او
في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى • سنطيعكم في بعض الامر • عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو
قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم
بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى • والله يعلم اسرارهم • اي اخفاءهم لما يقولونه
لليهود وقرئ سرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة
والفاء في قوله تعالى • فكيف اذا توفتهم الملائكة • لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل
يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم
او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه • يضربون وجوههم وادبارهم • حال من فاعل
توفتهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب
الملائكة وجهه ودبره • ذلك • التوفي الهائل • بانهم • اي بسبب انهم • اتبعوا ما اسخط الله • من الكفر والمعاصي • وكرهوا
رضوانه • اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود • فاحبط
لاجل ذلك • اعمالهم • التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها

ام حسب الذين في قلوبهم مرض • هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي
عليهم بقوله تعالى • ان لن يخرج الله اضغانهم • فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن
بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم
ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال • ولو نشاء
لاريناكهم • لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة
• فلعرفتهم بسيماهم • بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء
من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة
واما ما في قوله تعالى • ولتعرفنهم في لحن القول • فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب • والله يعلم اعمالكم • فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان
بان حالهم بخلاف حال المنافقين • ولنبلونكم • بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة • حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء • ونبلو اخباركم • ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ يبلو بالياء وقرئ
ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو • ان الذين كفروا وصدوا • الناس • عن سبيل الله وشاقوا الرسول • وعادوه
من بعد ما تبين لهم الهدى • بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات
وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر • لن يضروا الله • بكفرهم وصدهم • شيئا • من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا
رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته • وسيحبط اعمالهم • اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال
دينه عز وجل ومشاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء من اوطانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم • بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء
والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر • ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم • حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب • فلا تهنوا • اي لا تضعفوا
وتدعوا الى السلم • اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب
النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا كقولك ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد
يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي
على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى • وانتم الاعلون • جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى
• والله معكم • فان كونهم الاعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى
لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ولن يتركم اعمالكم • اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به
من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق
المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
• انما الحياة الدنيا لعب ولهو • لا ثبات لها ولا اعتداد بها • وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم • اي ثواب ايمانكم وتقواكم
من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون • ولا يسألكم اموالكم • بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر
يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم • ان يسألكموها • اي اموالكم • فيحفكم • اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله • تبخلوا • فلا تعطوا • ويخرج اضغانكم • اي احقادكم وضمير يخرج
لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان
• ها انتم هؤلاء • اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى • تدعون لتنفقوا في سبيل الله • استئناف مقرر لذلك

او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق فى سبيل الله يعم
نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى والله الغنى دون
من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا
عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا
امثالكم فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل هم الملئكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه
السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله
عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح تسع وعشرون اية

انا فتحنا لك

بسم الله الرحمن الرحيم فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ
من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروى
عن انس رضى الله عنه بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار
الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر
جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح
الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم
المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى
ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح وقد روى انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا
فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسئلوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد راوا
منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث
اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس
ففرح به المسلمون وكان فى الحديبية آية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له
عليه السلام من الفتوح كافة اذ لا فتح من الفتوح للاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه
الفتاح للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس
الفعل وللايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال
او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله
تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم
فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة
مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كان حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه
ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب
عنه تاكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة
او عزيزا صاحبه هو الذى انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمانينة اى انزلها

فى قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا
مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد
ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها
السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا فى العلم بجميع الامور حكيما فى تقديره
وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر
من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله
فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير
مع ان الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا
لانه صفة فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة
على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره
والكره خلا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة
لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت
مصيرا اى جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله
تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا
اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا
بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما
صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الراء
المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله يعنى ان مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لان المقصود
توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريق التخييل والمعنى
ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقرئ انما يبايعون لله اى لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه
على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم
لام الجلالة وقرئ بكسرها اى ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب
وتثاقلوا عن الخروج وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام

بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ
شغّلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقولون او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم
اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم
ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضُرا بالضم
او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف
لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج
من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها
تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان
لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم
فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارض على تقدير تاء التانيث
واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم
غير مبالين بهم وقرئ زَين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد
اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم
صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال وكنتم قوما بورا اي هالكين
عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم
وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله
ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء
المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع
بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء
ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان
الله غفورا رحيما مبالغ في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما
من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم
الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم
اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا
كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة
ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر
لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي
لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون
للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله تعالى بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم
وقرئ تحسِدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين

قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد هم بنو حنيفة
قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية
كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة
فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة
ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة
ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين
هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي
وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل
الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه
فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح
حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا او
على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وعشرين
وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لما
لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى
فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم
فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات
الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم
الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه
اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف
الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول
عليه السلام في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف
مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او ما يتعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس
لتغنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله
تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها
وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى
قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله
عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله
اخرى لا ريب ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص ببعض دون بعض

ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم
ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التى قد خلت من قبل اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد
لسنة الله تبديلا اى تغييرا وهو الذى كف ايديهم اى ايدى كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اى داخلها
من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم
بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم
وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى معكوفا حال من الهدى
اى محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا من ان يبلغ مكانه
الذى يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى ان خيامه
عليه السلام كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم
اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب فى تعلموهم فتصيبكم منهم اى من جهتهم معرة اى
مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة
من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم
وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته متعلق بما دل عليه جواب المحذوف وكانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى
الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها
الامن مستضعفين تحت ايدى الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة
مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة
عمن رغب فى الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية
وقيل منصوب بمضمر هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء
فقوله تعالى فى قلوبهم الحمية اى الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة
راسخة فى قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى
وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم تتزيلوا فلم نعذب فانزل الخ وعلى الثالث على المضمر
تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له
قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتب بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله
ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون
ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا
احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اى المستأهل لها

الرحيم

وكان الله بكل شىء عليما فيعلم حق كل شىء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اى صدقه عليه السلام فى رؤياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره بتحقيق اراءة الرؤيا
الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى
هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذى هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم
محذوف اى والله لتدخلنه وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم
لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هى حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه
آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا
آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين
او مقصرين او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق
بامر حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب اراءة الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق
علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين فتحا
قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية
للمؤمنين واما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء
فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذى ارسل رسوله بالهدى اى ملتبسا به او بسببه او لاجله
ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التى هى الاديان المختلفة
بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل
سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين
على انه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان
ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله
بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والجملة
مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء
جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرأفة والرحمة كقوله تعالى
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة
فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول
خبر آخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى ثوابا ورضى اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم
او من المستتر فى ركعا سجدا او استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون
بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ سيماهم اى سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة
ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره فى وجوههم اى فى جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن فى الجار
اى من التأثير الذى تؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله لا تعلبوا صوركم اى لا تسموها انما
هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى
لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله تعالى عنهم يقال لهما
ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى

الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال
عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ● ذلك ● اشارة الى الذكر
من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد لبعد رتبة المشار اليه والايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى
● مثلهم ● اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى ● في التورية ● حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
وقوله تعالى ● ومثلهم في الانجيل ● عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة
تقريرها وقوله تعالى ● كزرع اخرج شطأه ● مثل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة
مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه
بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا ● فآزره
فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اي شد أزره وقوله
تعالى ● فاستغلظ ● فصار غليظا بعد ما كان دقيقا ● فاستوى على سوقه ● فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ
سؤقه بالهمزة ● يعجب الزراع ● بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ● ليغيظ بهم الكفار ● علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع
في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى ● وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ● فان
الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة صدق رسول الله

سورة الحجرات ثمان عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها الذين امنوا ● تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه
ووازع عن الاخلال به ● لا تقدموا ● اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار
تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف
المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادة النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم
لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده
قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى ● بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد
بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد ● واتقوا الله ● في كل ما تاتون وما تذرون
من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ● ان الله سميع ● لاقوالكم ● عليم ● بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ● شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام
بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال
كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء
زائدة ● ولا تجهروا له بالقول ● اذا كلمتموه ● كجهر بعضكم لبعض ● اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض
من صوته عليه السلام وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن

عباس

رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر
رضي الله عنه انه كان يكلمه عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ● ان تحبط
اعمالكم ● اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا
لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد
بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة
من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا
لم يقيد بشيء ولا بما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وعن انس رضي الله عنه
انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل
الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم
مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص ● وانتم لا تشعرون ● حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها
وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ● ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ● الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه
بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي ● اولئك ● اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدا خبره ● الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى ● اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة
واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب عنها الشهوات
● لهم ● في الآخرة ● مغفرة ● لذنوبهم ● واجر عظيم ● لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة
او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ● ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة
لوجوب اختلاف المبدا والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع
حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض
الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي
ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم
وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد
فيما بينهم ● اكثرهم لا يعقلون ● اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ● ولو انهم صبروا
حتى تخرج اليهم ● اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد
بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا
بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم ● لكان ● اي الصبر
المذكور ● خيرا لهم ● من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول

اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي
فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام
بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين
على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
حذارا ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم
نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها سادة مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين
في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة كذلك وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رايكم في كثير
من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق
تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار
طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته
في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم
في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار
الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق به بيانا لانه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق من نفس الزمان المتجدد
وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها بحسب
تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار
سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض منها
حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت
قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت
حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة
في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما
واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار
حسب وروده على اصله اعني المضي للاول على صيغة المضارع المنفي للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي خلاف القياس لا يصار
انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس ولم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار
نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول
عنه بمعزل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم
عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به
من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها
ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل
لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول
هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات كالذي
في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب وكره
وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين

وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار
المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا من بأسكم
فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح
بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال
وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر
لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح
لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال
لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين
في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم
عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء من نساء عسى ان يكن اي المسخورات منهن خيرا منهن اي من الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا
بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من
وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول
فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل
ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء
فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم
الايمان واشتهارهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء
يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام او الدلالة على ان
التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى
ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة ولا تجسسوا
اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله
تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب
من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من وجوه شتى
الاستفهام التقريري وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل ميتا وإخراج تماثلهما مخرج أمر بيّن غني عن الإخبار به وقرئ ميّتا بالتشديد
وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والعامل فيه قوله تعالى فكرهتموه ليترتب عليه ما قبله من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر
كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كُرِّهتموه أي جُبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل
إن الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بعد
وإن كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه
السلام فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام إنكما قد اغتبتما فنزلت يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون
تأكيدا للنهي السابق بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد
وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم
بعضا بحسب الأنساب فلا يعتزي إلى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب
وقرئ لتتعارفوا على الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب
المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ أن
المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا نتفاخر بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس
وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله
وقال يا أيها الناس إنما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم
الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى إن الله عليم بكم وبأعمالكم خبير ببواطن أحوالكم قالت الأعراب آمنا نزلت في نفر
من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا إذ الإيمان هو التصديق
المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا أسلمنا فإن
الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالإيمان وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد
مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا أي ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم
وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وإن تطيعوا الله ورسوله بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من أعمالكم لا ينقصكم شيئا من أجورها من لات يليت ليتا إذا نقص وقرئ لا يألتكم من الألت وهي لغة غطفان
أو شيئا من النقص إن الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان
عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى
ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة
والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة هم الصادقون أي الذين صدقوا
في دعوى الإيمان لا غيرهم روي أنه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل أتعلمون

الله بدينكم أي أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم
ما في السموات وما في الأرض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم
تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد
تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك أن أسلموا أي يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا
ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي إسلامكم أي لا تعدوا
إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان على ما زعمتم
مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم وإذ هداكم إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا ما صدر عنهم إيمانا ومنوا به فنفى كونه
إيمانا وسمي إسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم
إن الله يعلم غيب السموات والأرض أي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق خمس وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم
معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم
أي لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه
إليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير
والتعجب مع كونهما أوجب شيء لقبول العقول وأقربه إلى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا
فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما ينبئ عنه
من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن وإضمارهم
أولا للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده
من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمر إما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للإيذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم
لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفرا
أإذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار والعامل في إذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أي أحين نموت
ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الإنكار
ذلك إشارة إلى محل النزاع رجع بعيد أي عن الأوهام أو العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب
فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم رد لاستبعادهم وإزاحة له فإن من
عم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء
كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده
كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق إضراب وانتقال من بيان
شناعتهم إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تأمل وتفكر وقرئ
لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أي وقت مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن أو الإخبار بالبعث فهم في أمر مريج أي مضطرب لا قرار له
من مرج الخاتم في إصبعه حيث يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن أفلم ينظروا أي أغفلوا أو عموا فلم ينظروا
إلى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها أي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام

وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها
اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض
وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا
بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع
صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو
عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات كثيرة
اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر
لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما
لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع
او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور
وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي ليرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا
الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم وادم من تمتعه به
من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا
ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة
وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة
المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها
وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج
النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف وارد
لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم نبي
عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان
لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع
سبق شرح حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة
اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل
او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل
وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيبهم الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر
العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه
قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على الخلق الاول لهم
في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان
بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجبه وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها

متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب
بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى
ويتلقف الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما
لاعمال العباد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له
في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري
فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس بمعنى
المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي
رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه
من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب
اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما
رقيب لما فوض اليه خاصة كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيا لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه لهذا توهم ان معناه
رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه
في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعدما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء
وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث
وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به
كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء
فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ
سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد
اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية
ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد
على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان
وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس
البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان
احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب
السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة
من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا
يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ والخطاب للكل لانه ما من احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ
بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والكاف على القراءة المشهورة باعتبار الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها

فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه
اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي
واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت
موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار
خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول
من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل عن نون التأكيد على اجراء
الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه
المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب
الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي
الشيطان المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى
ربنا ما اطغيته فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان
اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها لالدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء
كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه
قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم
بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة
حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا
على قوله تعالى ما يبدل القول لدي ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول
ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس من تبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم
تبديل القول وتحقق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق منهم بل انما ذلك مما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما
اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما
على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج
حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ
يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة
اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين
شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو معطوف على نفخ
اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها
فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد
ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون

اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما
من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى ولما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ
يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم
او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ
لتوبته من النقض وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان لا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره ادخلوها
بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم
مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته
ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤون
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف
ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فيقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا او طافوا
وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة
على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل
من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص
او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة
اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر
وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك
اي فيما ذكر من قصصهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك كنه ما يشاهده
من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير
او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر
فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر
بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به
القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد
وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون
اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر
على بعثهم والانتقام منهم او ما تقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع
الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق
وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات

جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى ادبار السجود النوافل بعد المكتوبات • واستمع • اي لما يوحى اليك من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به • يوم يناد المنادي • اي اسرافيل او جبرئيل عليهما السلام ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر • من مكان قريب • بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء • يوم يسمعون الصيحة • بدل من يوم يناد المنادي وهي النفخة الثانية • بالحق • متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى • ذلك يوم الخروج • اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور • انا نحن نحيي ونميت • في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد • والينا المصير • للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا • يوم تشقق الارض عنهم • بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق • سراعا • مسرعين • ذلك حشر • بعث وجمع وسوق • علينا يسير • اي هين وتقديم الجار والمجرور للتخصيص بيسره تعالى • نحن اعلم بما يقولون • من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه • وما انت عليهم بجبار • بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر • فذكر بالقرآن من يخاف وعيد • واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته صدق رسول الله تعالى

سورة الذاريات ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • والذاريات ذروا • اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال • فالحاملات وقرا • اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر • فالجاريات يسرا • اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب التي تجري في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر • فالمقسمات امرا • اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد يجوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذرو تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب صدور الافاعيل عنها فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى حيث امرت فتقسم المطر وقوله تعالى • انما توعدون لصادق • وان الدين لواقع • جواب للقسم في تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله • والسماء ذات الحبك • قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل • انكم لفي قول مختلف • اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر وتارة ساحر وفي شان القرآن الكريم تارة شعر واخرى سحر واساطير وفي هذا الجواب تاييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك • يؤفك عنه من افك • اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس

وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان • قتل الخراصون • دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله • الذين هم في غمرة • من الجهل والضلال • ساهون • غافلون عما امروا به • يسألون ايان يوم الدين • اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة • يوم هم على النار يفتنون • جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يوم هم والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع • ذوقوا فتنتكم • اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى • هذا الذي كنتم به تستعجلون • جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته • ان المتقين في جنات وعيون • لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها • آخذين ما آتاهم ربهم • اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بحسن القبول • انهم كانوا قبل ذلك • في الدنيا • محسنين • اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لم يهجعوا من الليل قليلا بل احيوه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها • وبالاسحار هم يستغفرون • اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم واطنابهم فيه • وفي اموالهم حق • اي نصيب وافر يوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس • للسائل والمحروم • للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة • وفي الارض آيات للموقنين • اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسائحين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون منفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد دبر كلها ودلل لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم • وفي انفسكم • اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير دال دلالته على ما انفردت به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة • افلا تبصرون • اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة • وفي السماء رزقكم • اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات • وما توعدون • من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره • فورب السماء والارض انه لحق • على ان الضمير لما واما على الاول فلما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار للامر • مثل ما انكم تنطقون • اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع • هل اتاك حديث ضيف ابراهيم • تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك • المكرمين • اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته • اذ دخلوا عليه • ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم • فقالوا سلاما • اي نسلم عليك سلاما • قال • اي

اي ابرهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن
من تحيتهم وقرئ سلاما قال سلم وقرئ سلم منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام
او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير
ان يشعرهم بذلك لانه خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم تتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة
فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره
او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء
بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو
المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاءوا
للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو اسحق عليه السلام عليم
عند بلوغه واستوائه فاقبلت امراته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة
من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته بجميع اصابعها
لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي
عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك عنه تعالى لا انا نقول
من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف
بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح في سورة الحجر
وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اي ابرهيم
لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعدما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة
حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة
وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى
لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابرهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها
اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت
من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرى اية
علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخرة منضودة فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم
اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها اية
وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها
تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب باية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون
بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى
ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى وقرئ بركنه بضم الكاف وقال
ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الباهرة الربانية ونهاية
قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي ات بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي

النكباء او الدبور او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم اي بلي
وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل
قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا
عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها
فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم
وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر
وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع
بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها
مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين
اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون
اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه
وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء لترتيب الامر على ما حكي
من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي
هذه شئونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما العطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون
كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الخ وقوله تعالى اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى
او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا
اي اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله
عليه وسلم بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم
بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد
الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته
الاسمية معنى الفرار تعالى فرارا منه اي هرب وافره بغيره كما قيل وقد امر ان يخلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها اخر
وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل ما للنبي عن نسبة ايجاب الفرار منه كذلك اي الامر
مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول
من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف بما بعد الا لامتناع عمل ما بعدها فيما قبلها
اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها
اي او صى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر
تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة
عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض
عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ
كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى
تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون استثناء مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه

عليه السلام الى تذكيرهم و يوجب عليهم التفكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود
ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم تنزيل ترتيب الغاية
على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا
وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه
لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله
تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء
ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور
العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتاخذ المقدمات الموصلة
اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا لنامرهم
بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرا وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه
الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته
تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة • ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون • بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان
يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي
ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي • ان الله هو الرزاق الذي
يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق • ذو القوة المتين • بالرفع على انه نعت للرزاق
او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد • فان للذين ظلموا • اي ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة • ذنوبا • اي نصيبا
وافرا من العذاب • مثل ذنوب اصحابهم • مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء
وهو الدلو العظيم المملوء • فلا يستعجلون • اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال
استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • فويل
للذين كفروا • وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل
لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى
من يومهم الذي يوعدون • للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب لما في صدر السورة الكريمة الآتية
والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور — تسع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • والطور • الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام
كلام الله عز وعلا • وكتاب مسطور • مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الالواح
موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما تكتبه الحفظة • في رق منشور • الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير
لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس • والبيت المعمور • اي الكعبة
وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة • والسقف المرفوع
اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور • والبحر المسجور • اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت والمراد
الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم • ان عذاب ربك لواقع • اي لنازل حتما جواب للقسم

وقوله تعالى • ما له من دافع • اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدا للظرف او مرتفع به على الفاعلية
ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته
الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى
يوم تمور السماء مورا • ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب
وقيل هو تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف • وتسير الجبال سيرا • اي تزول
عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا
وسيرا بديعا لا يدرك كنههما • فويل يومئذ للمكذبين • اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم
الذين هم في خوض • اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب • يلعبون • يلهون • يوم يدعون الى نار جهنم دعا
اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى • هذه النار التي كنتم
بها تكذبون • اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى • افسحر هذا • توبيخ وتقريع لهم
حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار
التوبيخ • ام انتم لا تبصرون • اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا
على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون • اصلوها فاصبروا او لا تصبروا • اي ادخلوها
وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه • سواء عليكم • اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه
وقوله تعالى • انما تجزون ما كنتم تعملون • تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء
في عدم النفع • ان المتقين في جنات ونعيم • اي في اية جنات ونعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين
على انه للتنويع • فاكهين • ناعمين متلذذين • بما آتاهم ربهم • وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو
متعلق بالخبر او خبر آخر • ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن المسكن
في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل
كلوا واشربوا • اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا • هنيئا • او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون • بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هناكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه • متكئين على سرر
مصفوفة • مصطفة • وزوجناهم بحور عين • وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ
بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بنفسه لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا
بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى • والذين آمنوا • الخ كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة
من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله تعالى • واتبعتهم ذريتهم
عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى • بايمان • متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء
واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال
وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعهم • الحقنا بهم ذريتهم • اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام
قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية • وما ألتناهم • وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق
من عملهم • من ثواب عملهم • من شيء • بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم
بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت ولاتناهم
من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومآل الكل واحد وقيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين
آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على وحباهم
زوجنا وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها

بفضلها عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم
لدرجة الاباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل
الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام
يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الالاء يتنازعون فيها اى يتعاطون
فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها
لا لغو فيها اى في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم
فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله
الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكأس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل
هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين
الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه
لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض
سائلا ومسؤلا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسؤلون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا
كنا قبل اى في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة
فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد
اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر
الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل
بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل ايقولون
ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم
ام تأمرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور
والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام به
مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد
ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى
اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا
وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن في النعوت التى فصل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك
يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار
وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به
ودواعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل
ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا
عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او يمسكوها عمن شاؤا او

او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اى الغالبون على الامور
يدبرونها كيف ما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء
ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب فيعلموا ما هو كائن
من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا
عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ
ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك
من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ
المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفى او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة
من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود
عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله
يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة
من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اى هم في الطغيان بحيث لو اسقطنا
عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه
ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة
او من اصعقه وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها
الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض
لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه وسلم
من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجرى فيه مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه
مع ما يأباه الاخبار المنبئة عن اختصاصهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم
ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل
اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تعالى من دونها وهو عذاب القبر وما بعده
من فنون العذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم
ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك
فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق ملتبسا بحمد ربك على نعمائه
الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق
على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من آخر الليل اى عقيبها بضوء الصباح
وقيل التسبيح من الليل صلوة العشاءين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى في اعقابها اذا غربت او خفيت
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته صدق رسول الله

سورة النجم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل

طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول إذا غرب وهويا بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في إذا فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك إذا احمر البسر وفي الإقسام به لك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة إلى سواء السبيل ما ضل صاحبكم أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى أي وما اعتقد باطلا قط أي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبرا بأنه عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما يحكى من تدلي جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا على الأولين وأما ... بشأن التنزيل الجليل وحمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذي يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو ظهوره منها فمما لا يساعده المقام وما ينطق عن الهوى أي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا إن هو أي ما الذي ينطق به من القرآن إلا وحي من الله تعالى وقوله يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى أي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع من رجعة الطرف ذو مرة أي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير النبي عليهم السلام فإنه رآه فيها مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى وهو بالأفق الأعلى أي أفق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا أي أراد الدنو من النبي عليهما السلام فتدلى أي استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان أي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين أي مقدارهما فإن القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الإزار أو أدنى أي على تقديركم كما في قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس فأوحى أي جبريل إلى عبده عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لتفخيمه كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما أوحى أي من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطته ما أوحى قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ما كذب الفؤاد أي فؤاد محمد عليه السلام ما رأى أي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته أفتمارونه على ما يرى أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه أي جحده ولقد رآه نزلة أخرى أي وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة

لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل إليها ينتهي علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهي إليها أرواح الشهداء وقيل ينتهي إليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل إضافة السدرة إلى المنتهى إما إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان أو إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عند منتهى العلوم أو إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أي سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل قال تعالى إلى ربك المنتهى عندها جنة المأوى أي الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الأحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فإن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي أو بمعنى الإتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين أي يأتيه والأول هو الأليق بالمقام وفي إبهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق إليه أي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة أو للإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت فلم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر أي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور المذهلة مما لا يحصى بل أثبته إثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أي شيئا عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد يجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم إنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي علمية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وذلتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي التي وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فإنه توبيخ مبني على التوبيخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى ترتيب التوبيخ الثاني عليه وظاهر أن ليس شيء من القدرة المذكورة من تلك النسبة

عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان لأرأيتم وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لان الاصل اخبروني ان اللات
والعزى ومناة الكم الذكر وله الانثى اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحل
الذي ينبغي نزاهة ساحة التنزيل عن امثاله يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على
الولد له سبحانه تلك اشارة الى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية اذن قسمة ضيزى اى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسرت فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه
اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى بالفتح على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي
اى الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها الا اسماء محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله
سميتموها صفة لاسماء وضمير لها للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست
الى المسمى فمعناها جعله مسمى بالاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة
اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية
وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها
مزيد فائدة بل الحق في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان اسماء الموصوف بصفة
الوصف بطريق الاولوية اى ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها
من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم اى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى
الانفس اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان
ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى
بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم
عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اى ليس للانسان كل ما
يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى
تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور
وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم
عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم
مع افراد الملك باعتبار المعنى اى كثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد
ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم
من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل من الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم
بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة
المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اى يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول
منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع
العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون
اى يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اى بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن
الفاسد وان الظن اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق
الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي
اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة

وتعليل الحكم بها اى فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر
لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد
النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده
الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اى ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا
مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده
فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة
على الحيوة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله
تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى
من من شأنه الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب
نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض عنه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين
عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يستحقه من الجزاء ففيه وعد ووعيد ضمنا كما سيأتي بيانه ولله
ما في الارض اى خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم
وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل
واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساءوا بما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا
ويجزي الذين احسنوا اى اهتدوا بالحسنى اى بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل
عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اى هو اعلم
بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال
الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته
للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه
الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اى الا ما قل
وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا
وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة
تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر
لمن يشاء من المؤمنين صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى
ولا يتوهم وجوب العقاب عليه سبحانه هو اعلم بكم اى باحوالكم يعلمها اذ انشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام
من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار
مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف
مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم
كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما
من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم
من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب
او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة
بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرأيت الذي تولى اى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اى شيئا قليلا او عطاء
واكدى اى قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن
المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله

فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي
لأنه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل في أبي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأمور
وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده
من قوله تعالى أعنده علم الغيب فهو يرى أي أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة
أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أي وفر وأتم ما ابتلي به من الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى إنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا
وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لأن صحفه التي هي
التوراة أشهر عندهم وأكثر ألا تزر وازرة وزر أخرى أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى أو الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو ألا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله
عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضر عنه
وأما شفاعة الأنبياء واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة
للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع
نفس عمله وإن كان بانضمام عمل غيره إليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي يعرض عليه ويكشف له
يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء ثم يجزاه أي يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار
وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الأوفى أو يبدل هو عنه كما في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا
وأن إلى ربك المنتهى أي انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بالكسر على الابتداء وأنه هو
أضحك وأبكى أي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وأنه هو أمات وأحيا لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل
نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة
إذا تمنى تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وأن عليه النشأة الأخرى أي الإحياء بعد الموت وفاء
بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي أيضا مصدر نشأ وأنه هو أغنى وأقنى وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال وإفرادها بالذكر
لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وأنه هو رب الشعرى أي رب معبودهم وهي العبور وهي أشد ضياء
من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أبو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته إياهم في دينهم وأنه أهلك عادا الأولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى إرم
وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى لام التعريف وثمود
عطف على عادا لأن ما بعده لا يعمل فيه وقرئ ثمودا بالتنوين فما أبقى أي أحدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه
أيضا من قبل أي من قبل إهلاك عاد وثمود إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس
عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة
والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها أي انقلبت بهم أهوى أي أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح
جبريل عليه السلام إلى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فبأي آلاء
ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد وإسناد
فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه حال صيغة التفاعل وإن كان موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد
ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الأول فقط كما في تداعوا نهم
أي دعوهم وقد تجرد عن الأول فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما نحن فيه فإن المراء تعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الأمور المعدودة

مع أن بعضها نقم لما أنها نعم من حيث إنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير
من النذر الأولى هذا إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر وأيا ما كان
فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات
المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال
قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى أزفت الآزفة إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة أي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها
إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير إلا الله تعالى فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها
إلا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية أفمن هذا الحديث
أي القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم
في شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة وأنتم سامدون أي لاهون أو مستكبرون من سمد البعير إذا رفع
رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود
والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل تضحكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفي والإنكار وارد على نفي البكاء
والسمود معا وعلى الوجوه الأول قيد للمنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود والأول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى
فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان
مع كمال الخضوع والخشوع أي إذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة صدق رسول الله تعالى

سورة القمر خمس وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر
وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
فإنه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أي وإن يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها
ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر
أو قوي مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو الأنسب بعلو همتهم في العناد والمكابرة ويؤيده
ما سيأتي لرده وقرئ وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة وكذبوا أي النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى
على يده من المعجزات واتبعوا أهواءهم التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم
وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل أمر مستقر استئناف مسوق لإقناطهم
عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور مستقر
أي منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلوه وإبهام المستقر عليه
للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه السلام مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة
خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أي ذو استقرار
أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر
ولقد جاءهم أي في القرآن وقوله من الأنباء أي أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أي بالله
لقد جاءهم كائنا من الأنباء ما فيه مزدجر أي ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه

موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزّجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها
فما تغن النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونها مظنة للاغناء وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع
منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط
الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر
بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث
اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ
من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع
في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر
اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى
نوح ربه فقال رب الى آخره وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء
عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة
الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل
نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة
على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا
عيون الارض فغير قضاء لحق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة
والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي
كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره
الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اي سفينة ذات الواح عريضة ودسر
ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي
نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره
في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف
على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر
اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر
استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الخ
جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما

تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحد في حيز الاعتبار
اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر
اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل
على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية
تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من ازدجار العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب
السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم
او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا
عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او استمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل
لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل
وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها
في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس
فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها
من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا
اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة
اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة
وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له
وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول
لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول
أألقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك
بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله
لصالح عليه السلام عدة له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون
البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع أصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد
التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما
اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم
ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا
صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه
كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر
اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه
اي ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر

نعمنا بالإيمان والطاعة ولقد أنذرهم لوط عليه السلام بطشتنا أي أخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم
لوط عليه السلام فذوقوا عذابي ونذر أي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه
من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم
حتى يسلمهم إلى النار وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما
قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء
آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أي وبالله لقد جاءهم الإنذارات
وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا
بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب
خير قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة من أولئكم الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيرهم منكم
فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزبر إضراب
وانتقال من التبكيت بما ذكر إلى التبكيت بوجه آخر أي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية
فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر إضراب من التبكيت المذكور إلى وجه آخر من التبكيت
والالتفات للإيذان بأن اقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أي بل أيقولون
واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الأعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا
والإفراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد أي يهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر أي الأدبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لإرادة الجنس أو إرادة أن كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك
يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع
يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها
وقرئ سنهزم الجمع أي الله عز وجل بل الساعة موعدهم أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا
من طلائعه والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية من الفظاعة والمرارة والداهية الأمر الفظيع الذي لا يهتدى إلى الخلاص
وإظهارها في موقع إضمارها لتربية تهويلها إن المجرمين من الأولين والآخرين في ضلال وسعر أي في هلاك
ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون إلخ منصوب إما بما يتعلق به قوله
تعالى في ضلال أي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم وإما بقول مقدر بعده أي يوم يسحبون
يقال لهم ذوقوا مس سقر أي قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم ينصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته
والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون إنا كل شيء من الأشياء خلقناه بقدر أي ملتبسا بقدر
معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده
وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبر وما أمرنا إلا واحدة إلا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو إلا فعلة واحدة
هو الإيجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ولقد أهلكنا
أشياعكم أي أشباهكم في الكفر من الأمم وقيل أتباعكم فهل من مدكر متعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر
والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر أي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال مستطر مسطور
في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى إن المجرمين إلخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين
ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقيل إن المتقين أي من الكفر والمعاصي في جنات

عظيمة الشأن ونهر أي أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد
في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر أي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء إلا وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب

سورة الرحمن — ست وسبعون آية مكية

بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن العظيم قد
يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الأنام من فنون
نعمه الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل الرحمن
علم القرآن لأنه أعظم النعم شأنا وأرفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية
ما من مرصد يرنو إليه أحداق الأمم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد إليه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه وإسناد تعليمه
إلى اسم الرحمن للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد قدم على ذكره حسبما اقتضته أصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق
الإنسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة
والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا إذ هو الذي يدور
عليه تعليم القرآن وإخلاء الجمل الثلاث عن العاطف لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر
بحسبان أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات
ويعلم السنون والحساب والنجم أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان
أي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا
على كمال قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه
كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينهما وبين الثانية
لتناسبهما من حيث التقابل لأن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلا من حال العلويين وحال السفليين
من باب الانقياد لأمر الله عز وجل والسماء رفعها أي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل
أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان
أي شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام
بالعدل قامت السموات والأرض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا
على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ألا تطغوا في الميزان
أي لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أي لا تطغوا على أنها مفسرة
لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول وأقيموا
الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
يقال خسر الميزان يخسره وبفتح السين أيضا على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها
أي خفضها مدحوة على الماء للأنام أي الخلق وقيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل الثقلان
وقوله تعالى فيها فاكهة إلخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعة لمنافع الأنام وتفصيل المنافع
العائدة إلى البشر وقيل حال مقدرة من الأرض فالأحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية

اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به • والنخل ذات الاكمام • هي اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى
فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه • والحب • هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير • ذو العصف • هو
ورق الزرع وقيل التبن • والريحان • قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ
والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب
ذا العصف والريحان اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان
وهو ماله روح قاله القرطبي • فبأي آلاء ربكما تكذبان • الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله
ايه الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء
كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف
لكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم
لآلهتهم في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء
المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل فبأي فرد من افراد
الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق • خلق الانسان من صلصال كالفخار •
تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بموجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار
الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا ينافي الآية الناطقة باحدها وما نطق
باحد الآخرين • وخلق الجان • اي الجن او ابا الجن • من مارج • من لهب صاف • من نار • بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب • فبأي آلاء ربكما تكذبان • مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم • رب المشرقين
ورب المغربين • بالرفع على الخبرية لمبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما
فبأي آلاء ربكما تكذبان • مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه
الى غير ذلك • مرج البحرين • اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان • اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في رأي العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما
خليجان يتشعبان منه • بينهما برزخ • اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض • لا يبغيان • اي لا يبغي احدهما على الآخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وليس منهما شيء يقبل التكذيب
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان • اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره
ونسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان
من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان
وبنون العظمة • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وله الجوار • اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من
قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان • المنشآت • المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات
الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن • في البحر كالاعلام • كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل • فبأي
آلاء ربكما تكذبان • من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر
على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه • كل من عليها • اي على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او من
فان • هالك لا محالة • ويبقى وجه ربك • اي ذاته عز وجل • ذو الجلال والاكرام • اي ذو الاستغناء

المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال
صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام
فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه
ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فان احياءهم بالحياة
الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء • يسأله من في السموات والارض • قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم وجودا
حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق
الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود اصلا
فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام
كل يوم • اي كل وقت من الاوقات • هو في شأن • من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ
اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فبأي آلاء ربكما تكذبان • مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه • سنفرغ لكم • اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة
عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ بطريق
التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية
فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم • ايها الثقلان • هما الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما او لانهما مثقلان بالتكليف • فبأي آلاء ربكما • التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه
يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب • تكذبان • باقوالكما واعمالكما • يا معشر الجن والانس • هما الثقلان خوطبا باسم
جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي
بما كلفوه • ان استطعتم • ان قدرتم على • ان تنفذوا من اقطار السموات والارض • اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا
من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي • فانفذوا • منها وخلصوا انفسكم من عقابي • لا تنفذون • لا تقدرون
على النفوذ • الا بسلطان • اي بقوة قاهرة وقهر وانى لكم ذلك ونحوه بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم
الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به • فبأي آلاء ربكما تكذبان • من التنبيه والتحذير والمساهلة
والعفو مع كمال القدرة على العقوبة • يرسل عليكما شواظ • قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل
اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم • ونحاس • اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤوسهم
وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحف
ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب • فلا تنتصران • اي لا تمتنعان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فان بيان عاقبة ما هم عليه
من الكفر والمعاصي لطف واي لطف ونعمة اي نعمة • فاذا انشقت السماء • اي انصدعت يوم القيامة • فكانت وردة • كوردة حمراء
وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة
نحوي الغنائم او يموت كريم • كالدهان • خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت كدهن الزيت
وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال • فبأي آلاء ربكما تكذبان • مع عظم شأنها
فيومئذ • اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر • لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان • لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون
من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة
والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني • فبأي

فبای الاء ربکما تکذبان مع کثرة منافعها فان الاخبار بما ذکر مما یزجرکم عن الشر المودی الیه واما ما فیه مما انعم الله علی عباده
المؤمنین فی ذلک الیوم فظاهر لا یحتاج الی البیان وقوله تعالی یعرف المجرمون بسیماهم استئناف یجری مجری التعلیل لعدم السؤال
قیل یعرفون بسواد الوجوه وزرقة العیون وقیل بما یعلوهم من الکآبة والحزن فیؤخذ بالنواصی والاقدام الجار والمجرور
هو القائم مقام الفاعل یقال اخذه اذا کان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالی خذوا حذرکم ونحوه واخذ به اذا کان الماخوذ
شیئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالی لا تاخذ بلحیتی ولا برأسی وقول المستغیث خذ بیدی ای خذ الله بیدک ای تجمع
بین ... سلسلة من وراء ظهورهم وقیل تسحبهم الملائکة تارة باخذ النواصی وتارة بالاقدام فبای الاء ربکما تکذبان
وقوله تعالی هذه جهنم التی یکذب بها المجرمون علی ارادة القول ای یقال لهم ذلک بطریق التوبیخ علی ان الجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال ناش من حکایة الاخذ بالنواصی والاقدام کانه قیل فماذا یفعل بهم عند ذلک فقیل یقال لهم ... او حال من اصحاب
النواصی والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف الیه وما بینهما اعتراض یطوفون بینها ای بین النار یحرقون بها
وبین حمیم آن ای ماء بالغ من الحرارة اقصاها یصب علیهم او یسقون منه وقیل اذا استغاثوا من النار اغیثوا بالحمیم فبای
الاء ربکما تکذبان ... الی ... یکون بیان مثل هذه الامور من قبیل الالاء ولمن خاف مقام ربه شروع فی تعداد
الالاء الفائضة علیهم فی الآخرة بعد تعداد ما وصل الیهم فی الدنیا من الالاء الدنیویة الدینیة واعلم ان ما عد فیما بین هذه الآیة وبین
خاتمة السورة الکریمة من فنون الکرامات کما ان نفسها الاء جلیلة واصلة الیهم فی الآخرة کذلک حکایاتها الواصلة الیهم فی الدنیا الاء عظیمة
لکونها داعیة لهم الی تحصیل ما یؤدی الی نیلها من الایمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الکریمة الی قوله کل یوم هو فی شان
من النعم الدینیة الدنیویة الانفسیة والافاقیة الاء جلیلة واصلة الیهم فی الدنیا وکذلک حکایاتها من حیث ایجابها للشکر والمثابرة
علی ما یؤدی الی استدامتها واما ما عد فیما بین قوله تعالی سنفرغ لکم وبین هذه الآیة من الاحوال الهائلة التی ستقع فی الآخرة فلیست
هی من قبیل الالاء وانما الالاء حکایاتها الموجبة للانزجار عما یؤدی الی الابتلاء بها من الکفر والمعاصی کما اشیر الیه فی تضاعیف تعدادها
ومقام مصدر میمی ... موقفه الذی یقف فیه العباد للحساب یوم یقوم الناس لرب العالمین او قیامه تعالی علی احواله من قام علیه اذا راقبه او المقام
الخائف عند ربه للحساب باحد المعنیین واضافته الی الرب للتفخیم والتهویل او هو مقحم للتعظیم جنتان جنة للخائف الانسی وجنة
للخائف الجنی فان الخطاب للفریقین والمعنی لکل خائف منکما او لکل واحد جنة لعقیدته واخری لعمله او جنة لفعل الطاعات واخری لترک
المعاصی او جنة یثاب بها واخری یتفضل بها علیه او روحانیة وجسمانیة وکذا ما جاء مثنی بعد فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی ذواتا افنان
صفة لجنتان وما بینهما اعتراض وسط بینهما تنبیها علی ان تکذیب کل من الموصوف والصفة موجب للانکار والتوبیخ والافنان اما جمع
فن ای ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن ای ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصیصها بالذکر لانها التی تورق وتثمر
وتمد الظل فبای الاء ربکما تکذبان ولیس فیهما شیء یقبل التکذیب فیهما عینان تجریان صفة اخری لجنتان ای فی کل
منهما عین تجری کیف شاء صاحبها فی الاعالی والاسافل وقیل تجریان من جبل من مسک عن ابن عباس والحسن تجریان بالماء الزلال احداهما
التسنیم والاخری السلسبیل وقیل احداهما من ماء غیر آسن والاخری من خمر لذة للشاربین قال ابو بکر الوراق فیهما عینان تجریان لمن کانت
عیناه فی الدنیا تجریان من مخافة الله عز وجل فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی فیهما من کل فاکهة زوجان ای صنفان
معروف وغریب او رطب ویابس صفة اخری لجنتان وتوسیط الاعتراض بین الصفات لما مر آنفا فبای الاء ربکما تکذبان
وقوله تعالی متکئین حال من الخائفین لان من خاف فی معنی الجمع او نصب علی المدح علی فرش بطائنها من استبرق
من دیباج ثخین وحیث کانت بطائنها کذلک فما ظنک بظهائرها وقیل ظهائرها من سندس وقیل من نور وجنی الجنتین دان
ای ما یجتنی من اشجارهما من الثمار قریب یناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس تدنو الشجرة حتی یجتنیها ولی الله ان شاء
قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقری جنی بکسر الجیم فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی فیهن ای
فی الجنان المدلول علیها بقوله تعالی جنتان لما عرفت انهما لکل خائف من الثقلین او لکل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعیة
فی قوله تعالی متکئین وقیل فیهما من الاماکن والقصور وقیل فی الالاء المعدودة من الجنتین والعینین والفاکهة والفرش قاصرات
الطرف نساء قصرن ابصارهن علی ازواجهن لا ینظرن الی غیرهم لم یطمثهن انس قبلهم ولا جان ای لم یمس الانسیات

احد من الانس والجنیات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول علیهم بقاصرات الطرف وقیل بقوله تعالی متکئین وفیه دلیل علی ان
الجن یطمثون وقری یطمثهن بضم المیم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظیة او حال منها لتخصصها بالاضافة
فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی کانهن الیاقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها کالتی قبلها ای
مشبهات بالیاقوت فی حمرة الوجه والمرجان ای صغار الدر فی بیاض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بیاضا من کبارها
قیل ان الحوراء تلبس سبعین حلة فیری مخ ساقها من ورائها کما یری الشراب الاحمر فی الزجاجة البیضاء فبای الاء ربکما تکذبان
وقوله تعالی هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله ای ما جزاء الاحسان فی العمل الا الاحسان
فی الثواب فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر ای ومن دون تینک الجنتین
الموعودتین للخائفین المقربین جنتان اخریان لمن دونهم من اصحاب الیمین فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی
مدهامتان صفة لجنتان وسط بینهما الاعتراض لما ذکر من التنبیه علی ان تکذیب کل من الموصوف والصفة حقیق بالانکار
والتوبیخ ای خضراوان تضربان الی السواد من شدة الخضرة وفیه اشعار بان الغالب علی هاتین الجنتین النبات والریاحین
المنبسطة علی وجه الارض وعلی الاولین الاشجار والفواکه فبای الاء ربکما تکذبان فیهما عینان نضاختان ای فوارتان
بالماء والنضخ اکثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبای الاء ربکما تکذبان فیهما فاکهة ونخل ورمان عطف الاخیرین
علی الفاکهة عطف جبریل ومیکائیل علی الملائکة بیانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاکهة وغذاء والرمان فاکهة ودواء وعن هذا
قال ابو حنیفة رحمه الله من حلف لا یاکل فاکهة فاکل رمانا او رطبا لم یحنث فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی
فیهن خیرات صفة اخری لجنتان کالجملة التی قبلها والکلام فی جمع الضمیر کالذی مر فیما مر وخیرات مخففة من خیرات
لان خیرا الذی بمعنی اخیر لا یجمع وقد قری علی الاصل حسان ای حسان الخلق والخلق فبای الاء ربکما تکذبان وقوله
حور بدل من خیرات مقصورات فی الخیام قصرن فی خدورهن یقال امراة قصیرة وقصورة ای مخدرة او مقصورات
الطرف علی ازواجهن وقیل ان الخیمة من خیامهن درة مجوفة فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی لم یطمثهن انس قبلهم
ولا جان کالذی مر من نظیره فی جمیع الوجوه فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی متکئین نصب علی الاختصاص
علی رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قیل هو ما تدلی من الاسرة من عالی الثیاب وقیل هو
ضرب من البسط او البسط وقیل الوسائد وقیل النمارق وقیل کل ثوب عریض رفرف ویقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط
رفارف ورفرف السحاب هیدبه وعبقری حسان العبقری منسوب الی عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فینسبون الیه
کل شیء عجیب والمراد الجنس ولذلک وصف بالجمع حملا علی المعنی کما فی رفرف علی احد الوجهین وقری رفارف خضر بضمتین
وعباقری کمدائنی نسبة الی عباقر فی اسم البلد فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی تبارک اسم ربک تنزیه وتقدیس
له تعالی فیه تقریر لما ذکر فی السورة الکریمة من الائه الفائضة علی الانام ای تعالی اسمه الجلیل الذی من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن
المنبئ عن افاضة الالاء المفصلة وارتفع عما لا یلیق بشانه من الامور التی من جملتها جحود نعمائه وتکذیبها واذا کان حال اسمه
بملابسة دلالته علیه فما ظنک بذاته الاقدس الاعلی وقیل الاسم بمعنی الصفة وقیل مقحم کما فی قول من قال الی الحول ثم اسم السلام
علیکما ذی الجلال والاکرام وصف به الرب تکمیلا لما ذکر من التنزیه والتقریر وقری ذو الجلال علی انه نعت للاسم عن النبی

صلی الله علیه وسلم من قرا سورة الرحمن ادی شکر ما انعم الله علیه

سورة الواقعة سبع وتسعون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم اذا وقعت الواقعة ای اذا قامت القیامة وذلک عند النفخة الثانیة والتعبیر عنها بالواقعة للایذان
بتحقق وقوعها لا محالة کانها واقعة فی نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فی حیز الشرط کانه قیل کانت الکائنة وحدثت الحادثة
وانتصاب اذا بمضمر ینبئ عن الهول والفظاعة کانه قیل اذا وقعت الواقعة یکون من الاهوال ما لا یفی به المقال وقیل بالنفی
المفهوم من قوله تعالی لیس لوقعتها کاذبة ای لا یکون عند وقوعها نفس تکذب علی الله تعالی او تکذب فی نفیها
کما تکذب الیوم واللام کهی فی قوله تعالی یا لیتنی قدمت لحیاتی وهذه الجملة علی الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط

على أن الكاذبة مصدر كالعاقبة أي ليس لأجل وقعتها وفي حقها كذب أصلا بل كل ما ورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الأشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى إذا رجت الأرض رجا أي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض أو بدل من إذا وقعت وبست الجبال بسا أي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست أي ارتجت وذهبت فكانت أي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط أزواجا أي أصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله تعالى ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وأيا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف ما لا يخفى وقيل السابقون إلى رحمته السابقون إلى طاعة الله تعالى أو السابقون إلى الجنة السابقون إلى الخير وقوله تعالى أولئك إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون أي الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا هو الظاهر مما ذكر في إعرابه وهو الأجلى والأشهر والذي يقتضيه جزالة النظم أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان نفس الأقسام وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباء إجماليا مشعرا بأن لأحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر كما رآه الجمهور بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن به بيان محاسن أحواله لم يحتج فيه إلى تقديم الأنموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار في مقام الإضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول ما بعده خبره أو الكناية والجملة خبر للأول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربين أو بمضمر هو حال من ضميره أي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الإخبار بكونهم

بعد الإخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الأولين خبر مبتدأ محذوف أي هم أمة كثيرة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا عليه السلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام وقليل من الآخرين أي من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه السلام إن أمتي يكثرون سائر الأمم فإن أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هذه من تابعيهم ولا يرده قوله تعالى في أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين في نفسهما لا تنافي أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتي أن الثلتين من هذه الأمة وقد روي مرفوعا أن الأولين والآخرين ههنا أيضا متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم في الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب يطوف عليهم حال أخرى أو استئناف أي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون أي مبقون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة بأكواب آنية لا عرى لها ولا خراطيم وأباريق أي آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين أي خمر جارية من العيون قيل إنما أفرد الكأس لأنه لا يسمى كأسا إلا إذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون أي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون أي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون أي لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وفاكهة مما يتخيرون أي يختارونه ويأخذون خيره وأفضله ولحم طير مما يشتهون أي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها أو ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أي ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور أو حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا أي باطلا ولا تأثيما أي ولا نسبة إلى الإثم أي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر إلا قيلا أي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما أي إلا سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه إلا سلام الآخر بدءا أو ردا وقرئ سلام على الحكاية وقوله تعالى وأصحاب اليمين شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما أصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها إما الرفع على أنها خبر للمبتدأ أو معترضة لا محل لها وقوله تعالى في سدر مخضود وهو على الأول خبر ثان للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم في قوله ما أصحاب اليمين من علو الشأن أي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أي قطع وقيل مخضود أي مثني أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها فقال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم أينما شاؤوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجري على الأرض في غير أخدود وكأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادي إيذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الأنواع والأجناس لا مقطوعة في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناوليها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة أي رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة

او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي
هي المضاجع عليهن والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل
وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى
لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة
لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما
وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر
الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال
شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى
ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي
في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا
ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي هو لا
بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر
من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم
عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي
الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض
اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا
للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الانكار به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم
الى البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في قوله تعالى او آباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف
على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل
ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة
في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم اي الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف
على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون
بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم
من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريب من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره
ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير

لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام
وهو داء تصيبها تشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب
الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب
هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر
فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي
تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم
فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي
فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا
عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما يحيط خبرا افرأيتم ما تمنون اي تقذفونه
في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا
ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام
للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه
عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين
اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما
لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون مثلها قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا فمن تأمل في ذلك كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته
وعلى ان نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا او علة لتقرير على معنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هي
خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم
ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون
اي المنبتون لا انتم والكلام فيه كما مر انفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار
بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما
يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف
الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون
اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة على القراءتين
مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا
رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيصه
بهذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اي من السحاب واحده مزنة
وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا
لا يمكن شربه وحذف اللام هنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية
وصعوبة الفقد وان الثانية منشأ قبالها لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء مما يحمل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات
والانزال موجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرأيتم النار التي تورون اي تقدحون

وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها
بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين
سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله
ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث
علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج
النار من الشيء الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها
فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار حاجتهم ويتسلطهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع
الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه اي
فاحدث التسبيح تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط
تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره
فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله
تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او فلا رد لكلام
يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به
بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر
دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها
ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها
اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لقصد المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده
حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول
العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو
اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين
من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة
المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا
ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه
او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره
والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر
نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو
القرآن الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم
اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي تجعلون شكركم
لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله
حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسباقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم
الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى
من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية
اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها

تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله
الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها
ونحن المستولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا
وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله
نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها
هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم
فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين
الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج
الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح وريحان اي فله استراحة ورزق وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب
لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق
اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف انبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك
والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما
وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب
فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة
فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة
الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته مما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل
من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة
لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد — بسم الله الرحمن الرحيم — تسع وعشرون آية مدنية

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح
في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما
سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة
والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم
الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا
لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه
التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو
العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلية الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اي التصرف الكلي فيهما
وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت
استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الاشياء التي من جملتها
ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها

والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها
فهي فانية والظاهر وجوده لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين
الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم
لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان
لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه
في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله
بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتاخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل
من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله والى الله ترجع الامور
اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل
من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم
بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال
والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى
من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم
الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم
لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا
حال من الضمير في لكم والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط
مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع
كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في ما
وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه
وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد فيكون مضمون الجملة الحالية
مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان
والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان
من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما
فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات ليخرجكم
اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث يهديكم الى سعادة
الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق
المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق
وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض
حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل
في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق
عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها
شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق

من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق
حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات
وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك
اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضمير في الفعلين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين
الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق
والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا
ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى والله
بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من
انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله
في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه
بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم
اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف
اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم
وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم
وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون
نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة
ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو
حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشارتكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك
لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي
الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم
من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل
مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه
تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء
زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار
من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم
في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين

الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله
اي الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي
هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم
او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة
عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية
الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة
من نزول القران اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال لاوامره والانتهاء
عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما
وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف
لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل
وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي
عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول
وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون
اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات التي من جملتها
هذه الايات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات
اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله
قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه
فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي هو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة
من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين
على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على
ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء
بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف
معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة
يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب
التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام
والذين امنوا بالله ورسله كافة قد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي
هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره
الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول

اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة
لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال
على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول
الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف
اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق
الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل
بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم
الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون
بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الاخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها
من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل
كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا
بعدما رايته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك
ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع
على انه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا
عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات والالام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها
الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا ومغفرة
عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها
ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله
فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة
من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان
عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية اعدت للذين
امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة
والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع
والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان
نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي اعطاكم
الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه
بما هو ات وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر
والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال
وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول

فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا
رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي جنس الكتاب ليشمل الكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه
الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل
نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والمنقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء
وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمنه للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والسلاح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره
انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم
وقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا وابرهيم وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم
المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا
وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما
من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف
على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان
من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة
ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم
فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية
والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم
رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل
نكثه لا سيما اذا قصد رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها
ويرعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد رعاية رهبانيتهم لا لمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت واني لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخصهم
من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ
والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم مما عده
المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول
وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون

يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور
رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط
اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة
كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وقوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا
مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى
وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان
لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب
من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمان لا تفرقون بين احد
من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم
فنزلت وقرئ لئلا يعلم بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون
الياء وقرئ ان لا يقدروا ايضا وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب
انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم
علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل بيد الله عطفا على ان لا يعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام
في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف
على تجادلك اي تتضرع الى الله تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي تتضرع اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد
حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي وجهدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام
حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله
تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت
ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى
بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب
استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها
في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما
من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله تعالى ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات
والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع
واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون
منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل
لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب وفي لفظ منكم مزيد توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون

وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم
وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات
وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون
بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند
الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق
وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما
اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما
في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة
كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا
عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر والمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة
وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف
عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب
المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم
للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله
بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها
فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب
فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس في خلال
الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع
على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها
لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود
الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين
كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء
ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل
اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل
الكبت الكبد كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات
حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم
وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات
دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين
او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم
بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد

تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله
من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله
عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل
لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه
وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه وفي قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه
تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي
ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مصدر مضاف الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم
نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما
لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل
ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ
ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض
فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف
بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم
اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم
وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول عطف عليه وداخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وذكره عليه السلام بعنوان
الرسالة بين الخطاب الموجه اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين
ومعصيات الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام
على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان
محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وتناجوا بالبر
والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون
وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم
والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي
ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء
او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره
وضرره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح
وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة
كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا

فطعاً اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضاموا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال
فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر
في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثري
فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى
بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير
تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية
الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف
في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه
ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم
واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب
لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم
الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم
وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام
مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة واطيعوا
الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي ألم تنظر
الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم
منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي
يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده
حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم
انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلم روي انه عليه السلام كان في حجرة
من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها
عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ
على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم
لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية
والجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس
عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين
وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي

من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا
اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون
لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى
يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء
من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية
الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث يجترؤن على الكذب بين يدي علام الغيوب ويزعمون
ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حاذ الابل
اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون
بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق
واظهار المضاف في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله
ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان
موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين
اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله
عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت
في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراهما
ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء
ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد
فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله
والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو
كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اي الموادين
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل مرارا
اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم
في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء
الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله
وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لما انه سبب لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم
بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابد الآبدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة
وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم
ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين
والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر اربع وعشرون اية مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وفي تكرير الموصول
ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة

صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه
وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان
يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام
فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة
فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف
الله في قلوبهم الرعب ايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم
فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة
على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا
لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك كما في
قول رؤبة بن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كانما قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ ففيه اشعار بان الاخراج ج
حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة
العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة
لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع
في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم
من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن
والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم
الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة
افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين
حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم وممتنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناده اليهم لانهم السبب فيه فكانهم كلفوهم
اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب
النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا
مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب وتوكلوا
على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه
الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به
انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بالجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم بسبب انهم
شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال
والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما
نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم
من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد

فان لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة
ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة
كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء ما
وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله
فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم
اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون
حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع
ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى
وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل وما فعل بديارهم ونخيلهم
من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في ايديهم بغير حق
فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى عبادته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم
اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها
وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة
كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية
على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتحموا مضايق
الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء تارة على الوجوه المعهودة
واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه عليه السلام
من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه كما في العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشموله للعقار
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم
الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس
كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به
دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم
ومن الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة اي كي لا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كي لا يكون دولة
جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف
فالمعنى كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى
كي لا يكون ذا تداول بينهم او كي لا يكون امساكه او تداوله لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كي لا
يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفيء او من الامر فخذوه فانه حلال لكم او فتمسكوا
به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه السلام ان الله
شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى
الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا
من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج

من الديار والاموال وقيد ذلك بها بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة
اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة
اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا
والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص ص
الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان
وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه
من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعنى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان
مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم
الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون
من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي
شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون
من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان
كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت اي فرجه والجملة في حيز الحال
وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة
سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة
وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فنزلت هذا اصرح في ان قوله تعالى والذين تبوؤا الدار الى آخره مستأنف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه عليه لكن
فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استينافا مقررا لصدقهم
او حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية
للحرص على المنع الذي هو البخل ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك
اشارة الى من باعتبار معناه العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه
والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوقّ بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي
الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين
واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة
في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملتين لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي
في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل
في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة
وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له
حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار
صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم
وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم
اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونسير في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا
وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال من قبلهم ولا وعدهم لهم على ذلك التقدير

ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم على عدوكم كم
على ان وعدهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها
ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عليه السلام حينئذ قتلهم لا دعوتهم
الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية
لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون ن
معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان
الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن
ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم
الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية
على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا
يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون
على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر
دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجَدر وجُدر وهما الجدار
بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم
شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم
شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون
شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب
تشتت طرقهم وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجز عن السداد وقوله تعالى
كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع
على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الى آخره ذاقوا وبال
امرهم اي سوء عاقبته في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك حالم
في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق به قوله تعالى
كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهو اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم
آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه
بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم
ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه على الكفر
اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء منك وان اريد بالانسان الجنس فهذا
التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى
اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ
بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبران وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين
اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون
وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان
الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس

النواظر فما قدمت لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك • واتقوا الله • تكرير للتأكيد والاول
في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى • ان الله خبير بما تعملون
اي من المعاصي • ولا تكونوا كالذين نسوا الله • اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره
ونواهيه حق رعايتها • فانساهم • بسبب ذلك • انفسهم • اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او
اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم • اولئك هم الفاسقون • الكاملون في الفسوق • لا يستوي اصحاب النار • الذين
نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار • واصحاب الجنة • الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر
للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل
يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الاية الكريمة على ان المسلم
لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير
عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى • اصحاب الجنة هم الفائزون • فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه • لو انزلنا هذا القرآن • العظيم المنطوي على فنون
القوارع • على جبل • من الجبال • لرأيته • مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه • خاشعا متصدعا من خشية الله •
اي متشققا منها وقرئ متصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى
• وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون • اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه
• هو الله الذي لا اله الا هو • وحده • عالم الغيب والشهادة • اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له
من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
• هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو • كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد • الملك القدوس • البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما
وقرئ بالفتح وهي لغة فيه • السلام • ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة • المؤمن • واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار • المهيمن • الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء • العزيز •
الغالب • الجبار • الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها • المتكبر • الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا
او البليغ الكبرياء والعظمة • سبحان الله عما يشركون • تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم اثر تعداد صفات
التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء اصلا • هو الله الخالق • المقدر للاشياء على مقتضى حكمته • البارئ •
الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة • المصور • الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد • له الاسماء الحسنى • لدلالتها على المعاني الحسنة • يسبح له ما في السموات والارض • ينطق بتنزهه عن جميع النقائص
تنزها ظاهرا • وهو العزيز الحكيم • الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صدق رسول الله

سورة الممتحنة ثلاث عشرة آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء • نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة
بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا
فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم يكن لي فيهم من يحمي اهلي

فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره
• تلقون اليهم بالمودة • اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون
اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات
الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف • وقد كفروا بما جاءكم من الحق • حال من فاعل تلقون
وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر • يخرجون الرسول واياكم •
اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى • ان تؤمنوا
بالله ربكم • تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية
والربوبية • ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي • متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله
• تسرون اليهم بالمودة • استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة • وانا اعلم •
اي والحال اني اعلم منكم • بما اخفيتم وما اعلنتم • ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع
والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون • ومن يفعله •
اي الاتخاذ • فقد ضل سواء السبيل • فقد اخطأ طريق الحق والصواب • ان يثقفوكم • اي يظفروا بكم • يكونوا لكم اعداء •
اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها • ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء • بما يسوؤكم من القتل
والاسر والشتم • وودوا لو تكفرون • اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوكم ايضا
• لن تنفعكم ارحامكم • قراباتكم • ولا اولادكم • الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم • يوم القيامة • بجلب نفع
او دفع ضر • يفصل بينكم • استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب
لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من يفر منكم غدا
وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون • والله بما تعملون بصير • فيجازيكم به • قد كانت لكم
اسوة حسنة • اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها • في ابراهيم والذين معه • اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية
لاسوة او خبر لكان ولكم للتبيين او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف • اذ قالوا •
ظرف لخبر كان • لقومهم انا برآء منكم • جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء على الوصف بالمصدر
مبالغة • ومما تعبدون من دون الله • من الاصنام • كفرنا بكم • اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم
• وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا • اي هذا دأبنا معكم لا نتركه • حتى تؤمنوا بالله وحده • وتتركوا ما انتم عليه
من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة • الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك • استثناء من قوله
اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به
النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك
مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه
الكافر مما لا ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فمما لا سداد له لان المراد بالكلام الائتساء على تناول النهي
الاستغفار عليه السلام له واتساع كونه موعودا لو لم ينه عنه وكلاهما بمعزل لان مورد النهي هو الاستغفار للكافر
بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان الموعد ما يجب الائتساء به لا يجوز تعليله
بتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء
الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له على الاستغفار وتخصيص
العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي لوروده على طريق التوكيد والقسم اما جعل الاستغفار
دائرا عليها وترتيب النهي على ذلك الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى • وما املك لك من الله من شيء • من تمام القول

المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لأستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء
نفس الاستغفار لا قيده الذي هو من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله وقوله تعالى • ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام اه من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه
من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع
امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى • ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا • بان تسلطهم علينا فيفتنونا
بعذاب لا نطيقه • واغفر لنا • ما فرط منا من الذنوب • ربنا انك انت العزيز • الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من من
توكل عليه • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار او الجملة الآتية تلقين للمؤمنين
من جهته تعالى وامر لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم
من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم • لقد كان لكم فيهم • اي في ابراهيم ومن معه • اسوة حسنة
تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى • لمن كان يرجو الله واليوم الآخر • بدل
من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه
وقوله تعالى • ومن يتول فان الله هو الغني الحميد • فانه مما يوعد بامثاله الكفرة • عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم • اي من اقاربكم المشركين • مودة • بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين
والتشدد في معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم
حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم • والله قدير • اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب
وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة • والله غفور رحيم • فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط
منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم • لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى • ان تبروهم • بدل من الموصول • وتقسطوا اليهم • اي تفضوا اليهم بالقسط اي العدل
ان الله يحب المقسطين • اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها
وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه • انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم • وهم عتاة اهل مكة • وظاهروا على اخراجكم • وهم سائرهم • ان تولوهم • بدل
اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تتولوهم • ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون • لوضعهم الولاية في موضع العداوة
او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب • يا ايها الذين آمنوا • بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات • من بين الكفار • فامتحنوهن • فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن
في الايمان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله • الله اعلم بايمانهن • لانه المطلع
على ما في قلوبهن والجملة اعتراض • فان علمتموهن • بعد الامتحان • مؤمنات • علما يمكنكم تحصيله وهو ما يبلغه طاقتكم بعد
والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى
العلم في وجوب العمل به • فلا ترجعوهن الى الكفار • اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى • لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح
الجديد • وآتوهم ما انفقوا • اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءكم
رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب
فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون
النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه • ولا جناح

عليكم ان تنكحوهن • فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار • اذا آتيتموهن اجورهن • شرط ايتاء المهر في نكاحهن
ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر • ولا تمسكوا بعصم الكوافر • جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب
اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها
من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن وقرئ تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا • واسألوا ما انفقتم • من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار • وليسألوا ما انفقوا • من مهور ازواجهم المهاجرات • ذلكم • الذي ذكر • حكم الله • وقوله تعالى
يحكم بينكم • كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة • والله عليم حكيم • يشرع
ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون
ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى • وان فاتكم • اي سبقكم وانفلت منكم • شيء من ازواجكم
الى الكفار • اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم
فعاقبتم • اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء
اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره • فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى اي الغنيمة فآتوا بدل الفائت
من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين
المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت ابي امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم
بنت جرول • واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون • فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى • يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك • اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا • اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك • ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
اريد به وأد البنات وقرئ لا يقتّلن بالتشديد • ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن • كانت المرأة تلتقط المولود
فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
ولا يعصينك في معروف • اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه
وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن
مع اختصاص بعضها بهن • فبايعهن • اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر
اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها
واستغفر لهن الله • زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة
من قبلهن • ان الله غفور رحيم • اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته
عليه السلام لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط
عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن
وروي انه عليه السلام بايعهن وبين يده وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله على النساء
قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية
فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن • يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم • هم
عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم • قد يئسوا من الآخرة
لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات • كما يئس الكفار من اصحاب القبور
اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم

والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا منه مع تأتيهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موضع الاضمار
للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة صدق

سورة الصف اربع عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد
كرهوه فنزلت وهل مثل ان انزل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا
يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه الزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا
حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله
صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس لما
كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما
معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهها
الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل
لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه
وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه
واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه
كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده
وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما نقوله المتمدح او المنتحل او ادعاء المنافق ان مناط التعيير
والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم
او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل
ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله
من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين
عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك
وآذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الاذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره
اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم
من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي
فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن
قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية
لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق
وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق نظرا الى ما في قوله تعالى فاسقين

بينا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه
الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه
في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبتهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه
مما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف
على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي
معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول
من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني
مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن ياتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان
ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا
ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء
على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق البحت هذا سحر اي هو اظلم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر
غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى
الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم
بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الافاق
واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال هو الذي
ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزات ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان
المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا
عما نشا مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال
فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم
وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم
اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب
للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان دلكم
يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه واخرى وثم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون
العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر
مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص
او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى امنوا لانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون

وبشرهم يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا
انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق
قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره قال لهم عيسى من
انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثنى عشر رجلا فامنت
طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا
الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه صدق رسول الله

سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع
بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة بالطائف
اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة
عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة
للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة
واحدة كما في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الايات البينة من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام
من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم
اخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم
صفة لاخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك
الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين ساير الافراد فضل الله واحسانه
يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين
حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الايات التي من جملتها الايات
الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل
اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني
بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به
مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان مثل القوم فاعل
بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم
محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي
القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين
هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون
ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم
اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة

ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان
من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون
منهم والاتيان في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل عليه النفي اي يابون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة
لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افعاله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اي بهم واختيار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما ياتون وما يذرون
من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد
كانه عنت قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام
لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ
بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن من يوم الجمعة
بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع
الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم
يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود
ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل
الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل
قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته
صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى
ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا
في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا
بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام
والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون
فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان
مذموما كان ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا
الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان
شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض

مقرر للمنطوق في كلامهم وسط بينه بين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب
من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد
انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها
جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة المتوقعة بوقوع الجنايات واتخاذ الجنة لا بد
ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما افصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول
في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم
على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة وقرئ اعما انهم عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون
دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء
ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة
الشهادة كسائر من دخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل
وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
وبروقة منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم كان ابن ابي
جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم
ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة
في حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين
فيها بالخشب المنصوبة المسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية من العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل جمع
خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون
كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر
الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء
في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم
ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك قوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق
الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم اي عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا
على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان
الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد
اياهم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى
هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف
جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا

مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض
الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا
الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم
فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال
لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي
لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات
المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك
اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا
مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت
بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب
التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ
واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي لن
يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجاز
لكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق صدق رسول الله تعالى

سورة التغابن ثماني عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها
واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم
كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له
حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر
النعم فما فعلتم ذلك مع تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب لمقام التوبيخ وحمله على معنى
فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير
فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق
بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى
والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة
خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او

او اشراكا فاحسنوا اثركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقت له • يعلم ما في السموات والارض • من الامور الكلية
والجزئية والاحوال الجلية والخفية • ويعلم ما تسرون وما تعلنون • اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به
مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى • والله عليم بذات الصدور • اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة
على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء • الم ياتكم
ايها الكفرة • نبؤا الذين كفروا من قبل • كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر • فذاقوا وبال امرهم • عطف على كفروا
والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين
كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا • ولهم • في الاخرة • عذاب اليم • لا يقادر قدره • ذلك
اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة • بانه • بسبب ان الشان • كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات • اي بالمعجزات الظاهرة • فقالوا • عطف على كانت • ابشر يهدوننا • اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم
الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل
في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا • فكفروا • اي بالرسل • وتولوا • عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم • واستغنى الله
اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك • والله غني • عن العالمين
فضلا عن ايمانهم وطاعتهم • حميد • يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد • زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا • الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزه والمراد بالموصول كفار مكة
اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا • قل • ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه • بلى • اي تبعثون وقوله تعالى
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم • اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده
كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين • وذلك • اي ما ذكر من البعث
والجزاء • على الله يسير • لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى • فامنوا • فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة
بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا • بالله ورسوله • محمد صلى الله عليه وسلم • والنور الذي انزلنا
وهو القران فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال
والله بما تعملون • من الامتثال بالامر وعدمه • خبير • فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال
بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة • يوم يجمعكم • ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه
من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ويعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة • ليوم الجمع • ليوم يجمع فيه
الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث
ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة
وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن الحقيقي هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا • ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
اي عملا صالحا • يكفر • اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة • عنه سيئاته • يوم القيمة • ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا • وقرئ ندخله بالنون • ذلك • اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنة • الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه
لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات • والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير • اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن • ما اصاب من مصيبة • من المصائب الدنيوية
الا باذن الله • اي بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى • ومن يؤمن بالله يهد قلبه
عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف

ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدا
قلبه بالهمزة اي يسكن • والله بكل شيء • من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها • عليم • فيعلم ايمان المؤمن
ويهدي قلبه الى ما ذكر • واطيعوا الله واطيعوا الرسول • كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية
وتوضيح مورد التولي في قوله • فان توليتم • اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى • فانما على رسولنا البلاغ المبين • تعليل
للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة
في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي
الله لا اله الا هو • جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة
معروف • وعلى الله • اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا • فليتوكل المؤمنون • واظهار الجلالة
في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم • يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا
فاحذروهم • الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالامر به على الاول
الحذر عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو • وان تعفوا
عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة • وتصفحوا • بترك التثريب والتعيير
وتغفروا • باخفائها وتمهيد عذرها • فان الله غفور رحيم • يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك
وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين
تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة • انما اموالكم واولادكم فتنة • بلاء ومحنة يوقعكم في الاثم من حيث لا تحتسبون
والله عنده اجر عظيم • لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم • فاتقوا الله ما استطعتم
اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم • واسمعوا • مواعظه • واطيعوا • اوامره • وانفقوا • مما رزقكم في الوجوه التي
امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه • خيرا لانفسكم • اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث
على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او
لكان مقدرا جوابا للامر اي يكن خيرا لانفسكم • ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون • الفائزون بكل مرام
ان تقرضوا الله • بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها • قرضا حسنا • مقرونا بالاخلاص وطيب النفس • يضاعفه لكم
بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم • ويغفر لكم • ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب • والله شكور
يعطي الجزيل مقابلة النزر القليل • حليم • لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم • عالم الغيب والشهادة • لا يخفى عليه خافية
العزيز الحكيم • المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي عليه السلام من قرا سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة • صدق رسول الله

سورة الطلاق اثنتا عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء • تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام
واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداءهم
فان ذلك اعتبار لو كان لحصل بخبر الرعاء لكان الخطاب هو الامر به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما
في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة • فطلقوهن لعدتهن • اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت
في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن
وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة • واحصوا العدة • واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل • واتقوا الله ربكم • في تطويل
العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء • لا تخرجوهن من بيوتهن

عنه

معكم

كنهن

عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن
ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا على الخروج
جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل
الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج
ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان
اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها
وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون
الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر
دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي ليكون احتراز الناس
منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي
عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك
بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه
برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة
وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل
منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رحمه الله انه للوجوب
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة
او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد
وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب
ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج
فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنا له سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله
واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بالغ امره بالتنوين
بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان
او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا
اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون
الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن
ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات
او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا

لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت
بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له
من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع لما فصح عنه قوله تعالى امر الله
انزله اليكم لما انها المجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى
كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم
اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا
عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن
من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع
وأتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام
معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله
بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا
اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان
لكونه مترقبا كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لقوله تعالى كاين الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت او بدل منه وفيه ضعف لتعذر حلوله
محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى
رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بذلك الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه
في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى
الله عليه وسلم وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر
المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا والمراد بالآيات القرآن ومبينات
حال منها اي حال كونها مبينات اي مبينا الله تعالى لقوله قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله
اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وجل ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات
الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما
ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل

التداخل وافراد ضمير له قدم وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره
واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طبقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة
كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات
قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا
حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها
وشر من فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن
قال الماوردي وعلى هذا لم تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهم من يعقل من خلق مميز ففي مشاهدتهم
السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني
انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين
متفرقة بالبحار ويظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء
وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على هذا قادر على كل شيء
وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام
بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب
المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في بيت عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل
خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة
قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له
انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين
او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف لما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته
لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك وانما عاتبك محاماة عليك
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد
هنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه
فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية
او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبأت واظهره الله عليه
اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على افشائه عرف اي النبي عليه السلام بعضه بعض الحديث الذي افشته
قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص
الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي عليه السلام
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاء الحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما الى المستعمل كما في قوله
اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد
الظاء وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس
رضي الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة
ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له
عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام
اشد تأثيرا في قلوبهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر
عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي
فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم
على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الاوجه
ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري
من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبر لفضلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عليه السلام بدلكن
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن
فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لم يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد
او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي
وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل
على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين
باتقاء النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله
ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر والتزامه ويفعلون
ما يؤمرون اي يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم يقول لهم القول حذف
ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا
من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
اي بالغة في النصح وصف التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا
بها على طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون
في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز
بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح
اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل
بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا نصحا لانفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة

للجری علی سنن الکبریاء والاشعار بانه تفضل والتوبة غیر موجبة له وان العبد ینبغی ان یکون بین خوف ورجاء وان بالغ فی اقامة
العبادة • یوم لا یخزی الله النبی • ظرف لیدخلکم • والذین امنوا معه • عطف علی النبی وفیه تعریض بمن اخزاهم الله تعالی
من اهل الکفر والفسوق واستحماد الی المؤمنین علی انه عصمهم من مثل حالهم وقیل هو مبتدا خبره قوله تعالی • نورهم یسعی بین ایدیهم
وبایمانهم • ای علی الصراط وهو علی الاول استیناف او حال وکذا قوله تعالی • یقولون • اذ علی الثانی خبر آخر للموصول
ای یقولون اذا طفئ نور المنافقین • ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انک علی کل شیء قدیر • وقیل یدعون تقربا الی الله تعالی
مع تمام نورهم وقیل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فیسالون اتمامه تفضلا وقیل السابقون الی الجنة یمرون مثل البرق علی الصراط
وبعضهم کالریح وبعضهم حبوا وزحفا اولئک الذین یقولون ربنا اتمم لنا نورنا • یا ایها النبی جاهد الکفار • بالسیف
والمنافقین • بالحجة • واغلظ علیهم • واستعمل الخشونة علی الفریقین فیما تجاهدهما به من القتال والمحاجة • وماواهم جهنم • سیرون فیها
عذابا غلیظا • وبئس المصیر • ای جهنم او مصیرهم • ضرب الله مثلا للذین کفروا • ضرب المثل فی امثال هذه المواقع عبارة
عن ایراد حالة غریبة لیعرف بها حالة اخری مشاکلة لها فی الغرابة ای جعل الله مثلا لحال هؤلاء الکفرة حالا ومآلا علی ان مثلا مفعول
ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالی • امرات نوح وامرات لوط • ای حالهما مفعوله الاول اخر عنه لیتصل به ما هو شرح
وتفسیر لحالهما ویتضح بذلک حال هؤلاء فقوله تعالی • کانتا تحت عبدین من عبادنا صالحین • بیان لحالهما الداعیة لهما الی الخیر
والصلاح ای کانتا فی عصمة نبیین عظیمی الشان متمکنین من تحصیل خیر الدنیا والاخرة وحیازة سعادتهما وقوله تعالی • فخانتاهما
بیان لما صدر عنهما من الجنایة العظیمة مع تحقق ما ینفیها من صحبة النبی ای خانتاهما بالکفر والنفاق وهذا تصویر لحالهما المحاکیة لحال هؤلاء
الکفرة فی خیانتهم لرسول الله صلی الله علیه وسلم بالکفر والعصیان مع تمکنهم التام من الایمان والطاعة وقوله تعالی • فلم یغنیا • بیان
لما ادی الیه خیانتهما ای فلم یغن النبیان • عنهما • بحق الزواج • من الله • ای من عذابه تعالی • شیئا • ای شیئا من الاغناء • وقیل
لهما عند موتهما او یوم القیمة • ادخلا النار مع الداخلین • ای مع سائر الداخلین من الکفرة الذین لا وصلة بینهم وبین الانبیاء
وضرب الله مثلا للذین امنوا امرات فرعون • ای جعل حالها مثلا لحال المؤمنین فی ان وصلة الکفرة لا تضرهم حیث کانت فی الدنیا
تحت اعدی اعداء الله وهی فی اعلی غرف الجنة وقوله تعالی • اذ قالت • ظرف للمحذوف اشیر الیه ای ضرب مثلا للمؤمنین حالها
اذ قالت • رب ابن لی عندک بیتا فی الجنة • قریبا من رحمتک او فی اعلی درجات المقربین روی انها لما قالت ذلک اریت
بیتها فی الجنة من درة وانتزع روحها • ونجنی من فرعون وعمله • ای من نفسه الخبیثة وعمله السیئ • ونجنی من القوم الظالمین
من القبط التابعین له فی الظلم • ومریم ابنت عمران • عطف علی امرات فرعون تسلیة للارامل ای ضرب مثلا للذین امنوا
حالها وما اوتیت من کرامة الدنیا والاخرة والاصطفاء علی نساء العالمین مع کون قومها کفارا • التی احصنت فرجها فنفخنا فیه
وقری فیها ای مریم • من روحنا • من روح خلقناه بلا توسط اصل • وصدقت بکلمات ربها • بصحفه المنزلة او بما اوحی الی انبیائه
وکتبه • بجمیع کتبه المنزلة وقری بکلمة الله وکتابه ای بعیسی والکتاب المنزل علیه وهو الانجیل • وکانت من القانتین • ای من عداد
المواظبین علی الطاعة والتذکیر للتغلیب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتی عدت من جملتهم او من نسلهم لانها
من اعقاب هرون اخی موسی علیهما السلم وعن النبی صلی الله علیه وسلم کمل من الرجال کثیر ولم یکمل من النساء الا اربع آسیة بنت مزاحم
ومریم بنت عمران وخدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة علی النساء کفضل الثرید علی سائر الطعام وعن النبی صلی الله
علیه وسلم من قرا سورة التحریم آتاه الله تعالی توبة نصوحا
صدق رسول الله تعالی

سورة الملک وهی ثلثون آیة مکیة
بسم الله الرحمن الرحیم

تبارک الذی بیده الملک • البرکة النماء والزیادة حسیة کانت او عقلیة وکثرة الخیر ودوامه ایضا ونسبتها الی الله عز وجل
علی المعنی الاول وهو الالیق بالمقام باعتبار تعالیه عما سواه فی ذاته وصفاته وافعاله وصیغة التفاعل للمبالغة فی ذلک فان
ما لا یتصور نسبته الیه تعالی من الصیغ کالتکبر ونحوه انما نسب الیه سبحانه باعتبار غایاتها وعلی الثانی باعتبار کثرة ما یفیض منه علی مخلوقاته
من فنون الخیرات والصیغة حینئذ یجوز ان تکون لافادة نماء تلک الخیرات وازدیادها شیئا فشیئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة علی غایة الکمال وانبائها عن نهایة التعظیم لم یجز استعمالها فی غیره سبحانه ولا استعمال غیرها من الصیغ

٦١٧
فی حقه تبارک وتعالی واسنادها الی الموصول للاستشهاد بما فی حیز الصلة علی تحقق مضمونها والید مجاز عن القدرة التامة
والاستیلاء الکامل ای تعالی وتعاظم بالذات عن کل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذی بقبضة قدرته التصرف الکلی فی کل الامور
وهو علی کل شیء • من الاشیاء • قدیر • مبالغ القدرة علیه یتصرف فیه حسبما تقتضیه مشیئته المبنیة علی الحکم والجملة معطوفة علی الصلة
مقررة لمضمونها مفیدة لجریان احکام ملکه تعالی فی جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالی • الذی خلق الموت والحیوة • شروع
فی تفصیل بعض احکام الملک وآثار القدرة وبیان ابتنائهما علی قوانین الحکم والمصالح واستتباعهما لغایات جلیلة والموصول
بدل من الموصول الاول داخل معه فی حکم الشهادة بتعالیه تعالی والموت عند اصحابنا صفة وجودیة مضادة للحیوة واما ما روی
عن ابن عباس رضی الله عنهما من انه تعالی خلق الموت فی صورة کبش املح لا یمر بشیء ولا یجد ریحه شیء الا مات وخلق الحیوة
فی صورة فرس بلقاء لا تمر بشیء ولا یجد ریحها شیء الا حیی فکلام وارد علی منهاج التمثیل والتصویر وقیل هو عدم الحیوة فمعنی خلقه حینئذ
تقدیره او ازالة الحیوة وایا ما کان فالاقرب ان المراد به الموت الطاری وبالحیوة ما قبله وما بعده لظهور مداریتهما لما نطق به قوله تعالی
لیبلوکم ایکم احسن عملا • فان استدعاءه ملاحظتهما لاحسن العمل مما لا ریب فیه مع ان نفس العمل لا یتحقق بدون الحیوة الدنیویة
وتقدیم الموت لکونه ادعی الی احسان العمل واللام متعلقة بخلق ای خلق موتکم وحیاتکم علی ان الالف واللام عوض عن المضاف الیه
لیعاملکم معاملة من یختبرکم ایکم احسن عملا فیجازیکم علی مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومکم واعمالکم فان العمل غیر مختص
بعمل الجوارح ولذلک فسره صلی الله علیه وسلم بقوله ایکم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فی طاعة الله
فان لکل من القلب والقالب عملا خاصا به فکما ان الاول اشرف من الثانی کذلک الحال فی عمله کیف لا ولا عمل بدون معرفة
الله عز وجل الواجبة علی العباد آثر ذی اثیر وانما طریقها النظر والتفکر فی بدائع صنع الله تعالی والتدبر فی آیاته المنصوبة فی الانفس
والآفاق وقد روی عنه صلی الله علیه وسلم انه قال لا تفضلونی علی یونس بن متی فانه کان یرفع له کل یوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما ذلک التفکر فی امر الله عز وجل الذی هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا یقدر علی ان یعمل بجوارحه کل یوم مثل عمل اهل
الارض وتعلیق فعل البلوی ای تعقیبه بحرف الاستفهام لا التعلیق المشهور الذی یقتضی عدم ایراد المفعول اصلا مع اختصاصه
بافعال القلوب لما فیه من معنی العلم باعتبار عاقبته کالنظر ونظایره ولذلک اجری مجراه بطریق التمثیل وقیل بطریق الاستعارة
التبعیة وایراد صیغة التفضیل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الی الحسن والقبیح ایضا لا الی الحسن والاحسن فقط للایذان بان
المراد بالذات والمقصد الاصلی من الابتلاء هو ظهور کمال احسان المحسنین مع تحقق اصل الایمان والطاعة فی الباقین ایضا لکمال تعاظم
الموجبات له واما الاعراض عن ذلک فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فی سلک الغایة لافعال الله تعالی وانما هو عمل
یصدر عن عامله بسوء اختیاره من غیر مصحح له ولا تقریب وفیه من الترغیب فی الترقی الی معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضهما ما لا یخفی • وهو العزیز • الغالب الذی لا یفوته من اساء العمل • الغفور • لمن تاب منهم الذی
خلق سبع سموات • قیل هو نعت للعزیز الغفور او بیان او بدل والاوجه انه نصب او رفع علی المدح متعلق بالموصولین السابقین
معنی وان کان منقطعا عنهما اعرابا کما فی تفصیله قوله تعالی الذین یؤمنون بالغیب من سورة البقرة منتظم معهما فی سلک الشهادة
بتعالیه سبحانه ومع الموصول الثانی فی کونه مدارا للبلوی کما نطق به قوله تعالی وهو الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام وکان عرشه
علی الماء لیبلوکم ایکم احسن عملا وقوله تعالی • طباقا • صفة لسبع سموات ای مطابقة علی انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها
وصف به المفعول او مصدر مؤکد لمحذوف هو صفتها ای طوبقت طباقا وقوله تعالی • ما تری فی خلق الرحمن من تفاوت
صفة اخری لسبع سموات وضع فیها خلق الرحمن موضع الضمیر للتعظیم والاشعار بعلة الحکم وبانه تعالی خلقها بقدرته القاهرة رحمة
وتفضلا وبان فی ابداعها نعما جلیلة او استیناف والخطاب للرسول صلی الله علیه وسلم او لکل احد ممن یصلح للخطاب ومن لتاکید النفی
ای ما تری فیه شیئا من تفاوت ای اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان کلا من المتفاوتین یفوت بعض ما فی الآخر وقری
من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالی • فارجع البصر هل تری من فطور • متعلق به علی معنی التسبیب اخبارا اولا بانه لا تفاوت
فی خلقهن ثم قیل فارجع البصر حتی یتضح لک ذلک بالمعاینة ولا یبقی عندک شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر من قولهم
فطره فانفطر • ثم ارجع البصر کرتین • ای رجعتین اخریین فی ارتیاد الخلل والمراد بالتثنیة التکریر والتکثیر کما فی لبیک وسعدیک

اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمس من العيب والخلل كانه يطرد
عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء
بيان لكون السموات في غاية حسن البهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصديرها بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله
لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت اي كان
كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار
وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض
الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير
اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفته فلما قدمت
صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق
وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير
وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من نار
عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان ذلك من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة حال من فاعل
تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي
القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير
يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح
عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم
من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا
نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا
ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل
الله من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات
تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله
مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد
مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط
بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام اين هم من ذلك وقد حال الجريض دون
هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام
اي اهل نذير او منعوت به للمبالغة والخطاب في الجموع من اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يختلف اعتبارها
بالتقدير الاخر فقد اشتبه عليه الشؤون واختبط الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة
القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل
للكفرة وقد حكوه للخزنة قائلين وكنا على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع
كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك
فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل
متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك

الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال
الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت وعلى هذا من الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى
لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه
كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله
عليه وسلم فيوحى اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم
السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى
بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب
يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله
وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل
انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه
وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله
تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم
عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم
الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو متابع العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم
على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان حق التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل
على كون المؤخر من منافع المخاطبين يبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا
في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير
ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه
أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب
حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها
لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل
اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي تمور اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه
من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع
الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم
للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم
السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب
اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله عليه السلام
وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به

على التحرك وهو السر في إيثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع إلا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير في يقبضن إنه بكل شيء بصير يعلم كيفية إبداع المبدعات وتدبير المصنوعات أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه إلى نفس المانع وتحققه وههنا إلى تعيين الناصر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرته عز وجل إلى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهمزة معها لأن ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وإيثار هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول إما حال من فاعل ينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا مع القول بأن من استفهامية مما لا تقريب له أصلا وقوله تعالى إن الكافرون إلا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك أي الله عز وجل رزقه بإمساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا أن قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أي عناد واستكبار وطغيان ونفور أي شراد عن الحق وقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه إلخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهمزة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا إلخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكبه فكب على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذي يؤمه أمن يمشي سويا أي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية معطوفة على الأولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم إنشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والأبصار لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والأفئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية الشاهدة وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة قليلا ما تشكرون أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلا إما نعت لمصدر محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم وكثركم فيها لا غيره وإليه تحشرون للجزاء لا إلى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد أي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى وإليه تحشرون إن كنتم صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل إنما العلم أي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل إنما علمها عند ربي وإنما أنا نذير مبين أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه إلخ كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده إلا أن المقدر هناك أمر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا

أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه إما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل مبالغة أو ظرف أي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بأن غشيتها الكآبة وعلتها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم وقيل هذا الذي كنتم به تدعون أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أي تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وهذا وقد روي عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل أرأيتم أي أخبروني إن أهلكني الله أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لإحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا يجيركم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به قل هو الرحمن أي الذي أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا أن كل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتية قل أرأيتم أي أخبروني إن أصبح ماؤكم غورا أي غائرا في الأرض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة ن اثنتان وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا بإضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم إن جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي بأحد الطريقين المذكورين في موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وإن جعل مقسما به فهي للعطف عليه وأيا ما كان فإن أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاقه له لما في الناس لم يك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بإدغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطورهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح حينئذ والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه إليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي وإن لك بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة لأجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه تعالى بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هو وعيد بعذاب يوم بدر بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر وقوله تعالى إن ربك هو أعلم

بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اى هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المودى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيوثره والنفع ضررا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اى دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك او نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهى او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير اى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور فيدهنون اى فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتى من ذمهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمنى واما كون المعنى ودوا ادهانهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما فى جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة اليه ودادهم هو اظهار الملاينة فقط واضمار خلافها ليس فى حيز الاعتبار بل هم على غاية الكراهة له وانما اعتبارها بالنسبة اليه عليه السلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى المفهوم من ودوا او انه بعد حكاية لودادهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل وفى تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر مهين حقير الراى والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اى بخيل او مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك اى بعدما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية فى حلقها وقوله تعالى بعد ذلك دال على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ ءان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستانفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى

مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سمى بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا اريناك ههنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا فى بديهة رؤيتهم انا لضالون اى طريق جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون اسم الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ يبدلنا اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة او من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فيوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اى من الكفر والمعاصى عند ربهم اى فى الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اى تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اى تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام

على نوح في العالمين وبحر الشيء واختياره واخذ خيره ● ام لكم ايمان علينا ● اي عهود موكدة بالايمان ● بالغة ● متناهية
في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين ● الى يوم القيمة ● متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين
ان لكم لما تحكمون ● جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم ● سلهم ● تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ● ايهم بذلك ● الحكم الخارج عن العقول ● زعيم ● اي قائم يدعيه
ويصححه ● ام لهم شركاء ● يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم ● فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ● في دعواهم اذ لا اقل
من التقليد وقد نبه في هذه الآية الكريمة على انه ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من يتشبث به وقيل المعنى
ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الاخرة ● يوم يكشف عن ساق ● اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل
في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير
عيانا وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء
المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق
يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ● ويدعون الى السجود ● توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم
على تفريطهم في ذلك ● فلا يستطيعون ● لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود
رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة
خاشعة ابصارهم ● حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها
ترهقهم ذلة ● تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة ● وقد كانوا يدعون الى السجود ● في الدنيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف ● وهم سالمون ● متمكنون منه اقوى تمكن اي
فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره ● فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ● اي كله الي فاني اكفيكه امره
اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء
لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام
منه وقوله تعالى ● سنستدرجهم ● استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد
النعمة ● من حيث لا يعلمون ● انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم
واملي لهم ● وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ● ان كيدي متين ● لا يوقف عليه ولا يدفع وتسميته ذلك
كيدا لكونه في صورة الكيد ● ام تسألهم ● على الابلاغ والارشاد ● اجرا ● دنيويا ● فهم ● لاجل ذلك ● من مغرم ● اي غرامة
مالية ● مثقلون ● مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ● ام عندهم الغيب ● اي اللوح او المغيبات ● فهم يكتبون ● منه
ما يحكمون ويستغنون به عن علمك ● فاصبر لحكم ربك ● وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ● ولا تكن كصاحب الحوت ● اي يونس
عليه السلام ● اذ نادى ● في بطن الحوت ● وهو مكظوم ● مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء
فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلائه ● لولا ان تداركه نعمة من ربه ● وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ
تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه ● لنبذ بالعراء ● بالارض الخالية من الاشجار
وهو مذموم ● مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الاولى
والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى ● فاجتباه ربه ● عطف على مقدر
اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل

هذه الواقعة فجعله من الصالحين ● من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد
حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف ● وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ● وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه وليزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها
والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني
اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن
دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية ● لما سمعوا الذكر ● اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد
بغضهم وحسدهم عند سماعه ● ويقولون ● لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع
العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه ● انه لمجنون ● وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه
عليه السلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ● وما هو الا ذكر للعالمين ● على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية
بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على تفوههم بتلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع
ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف
وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه ذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة وهي خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ● اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي
تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم
وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها
ما الحاقة ● على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة
ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة
امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى
وما ادراك ● اي واي شيء اعلمك ● ما الحاقة ● تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات
على معنى ان عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك
واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه
الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت
جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة
مؤكدة لهولها كما مر ● كذبت ثمود وعاد بالقارعة ● اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها
تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام بها احد كما في قوله
تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا
هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا ● فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية ● اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة ● واما عاد فاهلكوا بريح صرصر ● اي شديدة الصوت لها صرصرة
او شديدة البرد تحرق ببردها ● عاتية ● شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا
على ردها وقوله تعالى ● سخرها عليهم ● استئناف جيء به لبيان كيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة

سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله
المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا
لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر
والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها في مهابها او في الليالي
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله
اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطأ او الفعلة
او الافعال ذات الخطأ التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء
اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام
التي من جملتها احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق
الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم
فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صوري
لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك
والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ
ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم
الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان
عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد
القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضرب الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم
اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة
وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة والملك اي الجنس
المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم
هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي
وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم
اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق اخر
وقيل تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال
والا فشؤونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اي تحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له
بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة
ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع

فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال
من مفعول تعرضون اي تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة
في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ لا يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل
لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه هاء اسم لخذ وفيه لغات ثلاث اجودها ها يا رجل وها
يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين
ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف
وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في الامام اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار
بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية
ذات رضا على النسبة بالصيغة كلابن وتامر او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب
دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية
في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتي كتابه بشماله لما يرى فيه من قبائح
الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت
القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي ليت هذه
الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اي ليت الحيوة الدنيا
كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اي
اي غنى اغنى ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا
او تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه
اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق
لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان تعذيبه وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية
وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم
للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه
او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم هاهنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل
للصواب دون الخطأ المقابل للعمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ الخاطون بطرحها
وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد
واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون
كما في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول
عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون

ايمانا قليلا تؤمنون • ولا بقول كاهن • كما تزعمون ذلك تارة اخرى • قليلا ما تذكرون • اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا
تذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تذكرون اصلا من ذكرا لاثمار مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية
لكنها لما ان عدم مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته لها فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم
ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما
تنزيل من رب العالمين • نزله على لسان جبريل عليه السلام • ولو تقول علينا بعض الاقاويل • سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك • لاخذنا منه باليمين • اى بيمينه • ثم لقطعنا منه
الوتين • اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة • فما منكم • ايها الناس • من احد
عن القتل او المقتول • حاجزين • دافعين وصف لاحد فانه عام • وانه • اى القران • لتذكرة للمتقين • لانهم المنتفعون
وانا لنعلم ان منكم مكذبين • فنجازيهم على تكذيبهم • وانه لحسرة على الكافرين • عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين • وانه لحق
اليقين • الذى لا يحوم حوله ريب • فسبح باسم ربك العظيم • اى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا
على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا صدق رسول الله

سورة السائل اربع واربعون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل • اى دعا داع • بعذاب واقع • اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء
وقيل هو الحارث بن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه
قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته
وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما تقدم او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل اى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر
قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما فى الاخرة فهو عذاب النار • للكافرين • صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة
لواقع او متعلق بسال اى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى • ليس له دافع • صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل او من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استئناف • من الله • متعلق بواقع او بدافع اى ليس له دافع من جهته
ذى المعارج • ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى او هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض • تعرج الملائكة
والروح • اى جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس • اليه
الى عرشه تعالى والى حيث يهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى به • فى يوم
كان مقداره خمسين الف سنة • مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها
من حيث الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح
الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك
وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك فى الحقيقة
او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك فى حق الكافر واما فى حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد
الخدرى رضى الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة
مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى • فاصبر صبرا جميلا • متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى
وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارف
الانتقام • انهم يرونه • اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق فى يوم بواقع • بعيدا • اى يستبعدونه بطريق الاحالة
فلذلك يسالون به • ونراه قريبا • هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان

والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى • يوم تكون السماء كالمهل • متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او بمضمر دل عليه
واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع
هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسالونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما
فى قوله تعالى فاسال به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا مترتب عليه وقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل
عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت • وتكون الجبال كالعهن • كالصوف
المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح • ولا يسال حميم حميما • اى لا يسال قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول
اى لا يطلب من حميم حميمه ولا يسال منه حاله • يبصرونهم • اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم
بحال انفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل فى التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم
والجملة استئناف • يود المجرم • اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى • لو يفتدى من عذاب يومئذ • اى العذاب الذى ابتلوا به
يومئذ • ببنيه وصاحبته واخيه • حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها
ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث
يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن
وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب • وفصيلته • اى عشيرته التى فصل عنهم • التى تؤويه • اى
تضمه فى النسب او عند الشدائد • ومن فى الارض جميعا • من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب • ثم ينجيه • عطف على يفتدى اى يود
لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
كلا • ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير • انها • اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او مبهم يترجم عنه
الخبر الذى هو قوله تعالى • لظى • وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب • نزاعة للشوى • نصب على الاختصاص او حال مؤكدة
والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة
ولظى مبتدا ونزاعة خبره • تدعو • اى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان
فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها • من ادبر • اى عن الحق • وتولى • اعرض عن الطاعة • وجمع فاوعى
اى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتاميلا • ان الانسان
خلق هلوعا • الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى • اذا مسه الشر
اى الفقر او المرض ونحوهما • جزوعا • اى مبالغا فى الجزع مكثرا منه • واذا مسه الخير • اى السعة والصحة • منوعا • مبالغا فى المنع
والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها والاول والاخير ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا
الا المصلين • استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين على القبائح الماضية لتباينهم عن الاستغراق فى طاعة
الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة
من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه • الذين هم على صلوتهم دائمون • لا يشغلهم عنها شاغل • والذين فى اموالهم حق
معلوم • اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة
للسائل • للذى يساله • والمحروم • الذى لا يساله فيظن انه غنى فيحرم • والذين يصدقون بيوم الدين • اى باعمالهم حيث
يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء • والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون • خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل
كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى • ان عذاب ربهم غير مامون • اعتراض مؤذن

بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم
غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى أي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات
فأولئك هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء
من حقوقهما والذين هم بشهاداتهم قائمون أي يقيمونها بالعدل إحياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات
لإبانة فضلها وقرئ لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون أي يراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على
الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال إلى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم إيذانا بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة
حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات أي مستقرون
في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها مكرمون خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال
من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك
مقبلين بأبصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من
تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون
إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان كلا ردع
لهم عن ذلك الطمع الفارغ إنا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن
يتبوأ منازل الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة
مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمتى لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف
قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل
عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية ومبنيا لهم بما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة
على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب والمعنى إذا كان الأمر كما
ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم بالمرة
حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين أي بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية
على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى كما توهم فإن قوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث
بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الإخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون أي مسرعين كأنهم إلى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد أيضا يوفضون يسرعون خاشعة
أبصارهم وصف أبصارهم بالخشوع مع أن وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك
الذي ذكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة سأل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح تسع وعشرون آية مكية

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل
فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعل صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك لما أن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر

وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل
وهي لا يوصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك حيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة
الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه
بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول
فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن
على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
إرساله عليه السلام بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل عليه السلام بالوجه المذكور فقيل قال لهم يا قوم إني لكم نذير مبين منذر موضح
لحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم أي
بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى
لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان
والطاعة صريح في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم
على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه التأخير إلى الأجل
المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فإنه أجل مؤقت حتما وحمله
على الأجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون
المعنى عند مجيء الأجل هو الأجل المدعو به وكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى لو كنتم تعلمون أي لو كنتم تعلمون
شيئا لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل
والقال في تلك المدة الطويلة بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب إني
دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا أي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي إلا فرارا مما دعوتهم إليه
وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم أي إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا
أصابعهم في آذانهم أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم
ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إليه ولئلا يعرفهم فيدعوهم وأصروا أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار
على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت
لهم وأسررت لهم إسرارا أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار
أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو يراد بدعوتهم
جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أي دعوتهم دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدر في موقع الحال أي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن الكفر والمعاصي إنه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا
بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب إليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من المنافع
العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله
الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا أي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها أنهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا إنكار لأن يكون لهم سبب ما
في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم
على أن الإنكار متوجه إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع
حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان والطاعة له
وقد خلقكم أطوارا أي والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا
ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام

مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل ... وقيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون
على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل
فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم
رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف ما لا يخفى وفي جعله بيانا
للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون الوقر صادرا عنه تعالى والوقار وصفا له تعالى
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم
لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج
اى لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اى منورا
لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها
شفافة لا تحجب ورائها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل
ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر
بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون
من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا
ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما
في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوله مع ان حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول
من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده
لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها
لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول
العهد بحكاية مناجاته له تعالى اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اى تموا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك
سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد
لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اى كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ
من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا عبادتها
على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر
مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم
صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل
وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا
للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اى الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا
من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب
انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم والمطلوب هو
الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتي من قوله

عليه السلام مما خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها
جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك
انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه
لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا اى لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم
وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ
اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا
لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشارة الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لانها حكاية لنفس الاغراق والاحراق
على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا ديارا من الاسماء
المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار
اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا
عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى الا من سيفجر ويكفر فوضعهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار
مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه
بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولوالدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اى
منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام
بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء
اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا
لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم
من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك
فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان
باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان
من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام   الحمد لله على الاتمام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية

قل اوحي الي وقرئ احي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن
في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشأن استمع اى القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد
حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم
النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا
قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اى بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به
ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرية بان في احد عشر
موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى ارتفع عظمته

من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او سلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكمه تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيهه تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو عذر منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فيكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على انها الموحى بعين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان

والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل ذلك ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه نجاة المؤمنين واختصاصهم به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اي اوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي عليه السلام وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المسجد الميمي وانه من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعو ربي اي اعبده ولا اشرك به في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد

لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر قل إني لن يجيرني
من الله أحد إن أرادني بسوء ولن أجد من دونه ملتحدا ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه السلام
عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شؤون غيره وقوله تعالى إلا بلاغا من الله استثناء من قوله
لا أملك فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحدا أي لن أجد من دونه
منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا مركبة من إن الشرطية ولا النافية ومعناه إن لا أبلغ بلاغا من الله
والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفة له لا صلة أي لا أملك لكم
إلا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي أرسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه فإن له
نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فحقه أو فجزاؤه أن له نار جهنم خالدين فيها في النار أو في جهنم والجمع باعتبار
المعنى أبدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف
الكفار لأنصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون
العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم
بدر يأباه قوله تعالى قل إن أدري أي ما أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا فإنه رد لما قاله المشركون
عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارا له واستهزاء به فقيل قل إنه كائن لا محالة وأما وقته
فما أدري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى
فلا يظهر على غيبه أحدا إذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال
ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء
لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق أي فلا يطلع على غيبه إطلاعا كاملا ينكشف
جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه إلا من ارتضى من رسول أي إلا رسولا ارتضاه
لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما إما لكونه من
مبادي رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف
الشرعية التي أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه
من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها
من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة
فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل
على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل
لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعي أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل
عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أي فإنه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول
عند إظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته
وقوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث إنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه
إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف
والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا
إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف
والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة
هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث

عليهما والتحذير عن التوسط فيهما وإما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين السابقين
باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما
أبلغها الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى وأحاط بما لديهم أي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك
بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد
على الوجه المذكور أي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من
الأحوال جميعا وأحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى
وفجرنا الأرض عيونا والأصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أي معدودا محصورا أو مصدر بمعنى إحصاء وأيا ما كان
ففائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فإن الإحصاء
قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تقدروا على حصرها إجمالا
فضلا عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدا معينا من عقود الأعداد
كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل
من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط
بما لديهم الخ فمعزول من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدا أو كذب به عتق رقبة تمت السورة الشريفة

سورة المزمل تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المزمل أي المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاي وقد قرئ على الأصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه
من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن
فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة قد جئث فرقا
أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل
فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه
حين غاضبت فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له وإشعارا بأنه غير عاتب عليه
وقيل المعنى يا أيها الذي زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أي حمله والزمل الحمل وازدمله أي احتمله فالتعرض للوصف
حينئذ للإشعار بعليته للقيام أو للأمر به فإن تحمله عليه السلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة
قم الليل أي قم إلى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم
الميم وفتحها إلا قليلا استثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل أي قم نصفه
والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيذان بفضله وكون
القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف
الظاهر أو انقص منه أي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الأولى قليلا أي نقصا قليلا أو مقدارا
قليلا بحيث لا ينحط إلى نصف النصف أو زد عليه أي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام
بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا
فلأن الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الإبدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه
وأما ثانيا فلأن نقص القيام وزيادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه
بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين
مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الأول وقيل نصفه بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف

والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضمير ان للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل غير ذلك والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مأمور بتحملها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض وان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبته تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى فذرني والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان في ما يكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف

النصب

النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشأن لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

تمت السورة الشريفة

سورة المدثر وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله

فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني
الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر
وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها
المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه
وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول
من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك
او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي فافعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك
بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا او قولا وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر
فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء
حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول
ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر عما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة
واولى واجب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها
يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الاخلاق والرجز فاهجر اي اهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الماثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر
والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب
من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن
الاداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف وابدالا من تمنن كانه قيل لا تمنن لا تستكثر
على انه من المن الذي في قوله منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان
مع اعمالها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وقد قرئ
بانبائها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك اي لوجهه تعالى
او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر في الناقور
اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية
كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا
ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله
الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر
اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال
من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره عليهم مشعر بتيسيره على المؤمنين واختلف في ان المراد
يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي
هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور
ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى

الجسد

الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الياء
اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد
المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب
في قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه وصرفه عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد
او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من
النهر ويمده نهرا او قيل كان له الضرع والزرع والتجارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ما كان له بين مكة
والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة
آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم
لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لكونهم مكتفين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل
لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد
وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت
له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو
استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم
ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه
الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف
التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي
ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه
بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت
واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم
يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لايات الله تعالى اي فكر
ما ذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض
الذي كان ينتحيه قريش فاتلهم الله تعالى او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم فقتل
كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قوله قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره
الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش
كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان
محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى
شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو
الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن اهل بابل فارتج النادي
فرحا وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى
وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه
مطعنا ولم يدر ما ذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب

في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير
تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر
بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره
وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها لما مر
من ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي
ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس
بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك
بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا
من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل
عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او نقيبا من الملئكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون
عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما
جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملئكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى ولشدة
باسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم
في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فقال ابو الاشدين اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني
انتم اثنين فنزلت اي جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما جعلنا
عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد
مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر
اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به
حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد
ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع
دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب
يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف وصنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه
ويتولاه واحد وان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف على ما يؤخذ به
بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا
اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا
اي يزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك
الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب
في نفي الارتياب حيث لم يقل لا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من
اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير
عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان
بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا

بالسكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله
من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها
صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين
مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم
مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند
مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك
الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها
الملئكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو
اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الآيات
الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر
والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل
هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب
للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت
فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيره القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او
لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا
للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر
بعد خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان
يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لمن شاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون
في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى
بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن
رهنه باداء الدين وقيل هم الملئكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل
الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات
لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين
وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال
بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه
عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الآخر
لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك
تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه
وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسالونهم قائلين اي شيء
ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك

من المصلين للصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار
الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة وكنا نخوض مع الخائضين
اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان
فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير
جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم
مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت
ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب
انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين
حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء
حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى
كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة
اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن
واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة
ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك
كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم
عن تلك الجرارة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع
عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة
الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشية العبد
وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون
بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد
بمشية الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق
بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عم وكذب

سورة القيمة سبع وثلثون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به
وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل
من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي
ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة
كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه
وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم
النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي

انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون
مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس
وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه
فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها
الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق
وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته
ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي
هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب
اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل
ايان يوم القيمة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي
انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى
من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه
وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع من طلب المفر وتمنيه لا وزر
لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي
اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم وبما اخر من سيئة حسنة
او سيئة اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا
فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته
وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه
شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا
كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي
اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قوله تعالى
ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من
مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو
اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة
الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه

الوحي ثم تقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي
لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه
وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي قرأه عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة
الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك
من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار
معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين
يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة
في قوله الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام
مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها
تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع
الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر
وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي

على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة

اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال
من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها
والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة
فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في الكفن الى ربك يومئذ المساق
اي الى الله والى حكمه سوق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقرآن الذي
نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى
ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب
ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل
لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل
بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليك
ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك
في قبره ولا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الى آخره استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور
فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى
لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته
فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك
العظيم الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في
قياس العقل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام

من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل اتى على الانسان قبل زمان
قريب حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا
غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة
اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله
انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري
وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو
ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون
فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح
وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج
من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة
من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه القوة العاقدة وماء المرأة اصفر
رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم
وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياس وقيل امشاج الوان واطوار
فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف
فيما سياتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه نصرفه في بطن
امه نطفة ثم علقة الى آخره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات
التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه
السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه
واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء

او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليه في حالتيه جميعا م

والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا
على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما
كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار
بان الانسان قلما يخلو من كفران وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان
الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم
وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم
تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في
بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به
ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من بر خالقه
اي يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر
يشربون من كأس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني

تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء الكافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض
الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور
وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين
القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى
يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من
وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس
يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة
صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل
على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون
بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا
في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام
على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على
الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب
لما سياتي من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير
فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال
من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع
المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال
الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه
او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان
يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما
فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار
وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة
هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه
ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم
في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله تعالى عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها وفضة
جارية لهما ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري
ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم
ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله
من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف
يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما
فاقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد
ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه
ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقراه السورة متكئين فيها

على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك
هي السرر في الحجال في قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين
والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة
اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية
بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية
قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية
لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل
اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية
اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب جمع كوب وهو الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا من فضة اي تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا
بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في
انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم
الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها
على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه
العرب والذ ما تستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها
فعينا بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء
والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون
اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق
وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول
ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا و
في الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل
اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف
على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ
وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم
ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدا خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني
وقرئ بالعكس وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب
وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان
حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت
الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم
شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية

فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه
وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اى يقال
لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا
مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اى مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير
الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد
من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى
عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق
والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره
فى جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له
ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون فى لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اى امامهم
لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ
فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم
اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه
كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية
ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن شاء ان يتخذ
اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاءون
الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية
اى وما تشاءون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى لتحصيله لكم
اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاءون بالياء وقرئ الا
ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى
مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل
من يشاء فى رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو
الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اى متناهيا فى الايلام قال
الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه
على الله تعالى جنة وحريرا تمت السورة الشريفة

سورة المرسلات خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام
من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال
بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الاقطار او نشرن
النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين
او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء

حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف
الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر
والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب
فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف
بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين
الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها
وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت
او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى
فى مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فى اكناف العالمين والعرف نقيض
النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام
والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة
ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل ان ما توعدون لواقع
جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب
بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذى
ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشئ اذا اختطفته
وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه
للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه
وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاى يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى
واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم
ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق
وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وادراك خبره اى اى شئ جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم
الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط
الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون
امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل
مصدر منصوب سد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ
ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى
اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين
هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين
اى سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اى يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه
تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اى الم نقدركم من ماء مهين
اى من نطفة قذرة مهينة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى
للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اى فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك
على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اى نحن ويل يومئذ للمكذبين
بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت

الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها
وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام وكفت
وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض
الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المونث في غير العقلاء مطرد كاجن
وواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا
فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى
وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها
ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان
من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل
العرش قيل خصوصية الثلث لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المودي الى
هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة
الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره
لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر
كالقصر اي كل شررة من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين
وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع
قصرة كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان
الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم
وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة
وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لان السوال والجواب
والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت فعبر عن كل وقت بيوم
او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يوذن
لهم فيعتذرون عطف على يوذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل
الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل
جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم
كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمومنين في الدنيا
واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب
في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مما يستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون مقدر بقول هو حال من الضمير للمتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال
الصالحة انا كذلك نجزي العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ
للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل

مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقرير واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه
من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم
القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المواخذة فبأي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط
بديع معجز موسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يومنون اذا لم يومنوا به وقرئ تومنون على الخطاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ
على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة
اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه
انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف
من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح
لكنها قد تطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة
لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد
الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد
منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر
للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما نحن فيه
فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين وربما تجرد عن صدور الفعل
عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى
وقوله تعالى عن النبإ العظيم بيان لشان المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه
وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه
وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل
اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبإ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة
بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السوال هذا هو الحقيق بالجزالة
التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء
الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاول للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبإ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام
مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبإ العظيم والنبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون
قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن
جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك

والمسمى سورة عم يتساءلون
سعد

تعيين البعث بكونه متساءلا دون امر النبوة والقرآن على ما قيل لاقتضاء قوله تعالى الم نجعل الارض الآيات ذلك فانه من ادلة البعث كما قاله المص
سعد

تحقيق صيغة التفاعل في الافعال المتعدية

وجه الدلالة ان ها السكت للوقف وتمام الكلام
سعد

يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد
الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار و
منهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل الفريقين
المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا لغوا وعنادا
يرده قوله تعالى كلا سيعلمون اه فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد
لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصها بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي
تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل
صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على
مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب
الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف
بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس
مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي
والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء
وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير
قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ
استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد
ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات
الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها
بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد
وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة انا جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في
قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش
ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة
وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا
عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل
الذي فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف
ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار
محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت
كما في قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن سترة
عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في
المعاش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر
العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف [illegible] فاذا ورد عليها

تمكن عنها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه
او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام
بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل
واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد
في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم
في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج
من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر
السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان
بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب
وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح
الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع
تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه
اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى
الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف
كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل
دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة
من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية
والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج
الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون
الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه وتستعجلون به قائلين متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين وتنزع تفصيل كيفية وقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا
اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه
من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
ولا ريب في انه بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور
اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان
ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحيوة غير من شاء الله وذلك

قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت
الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من
قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم
او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين
على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة
الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين
خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع
من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات
واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف
على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا مفتحة كقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون منفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح
مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح
سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة
لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه
تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله
الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء
وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل
احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد
اسم للمكان الذي يرصد فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها
للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون
اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا
على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونها معدة لها
وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل

قيام الساعة بانها مرصادا للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى
احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث
يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها
شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل
البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم
او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا
تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا باياتنا الناطقة بذلك كذابا
اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي كذبوا
باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب
فانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا
اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه
وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله
المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب
عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك
الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر
بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع
فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات وكأسا
دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكأس لغوا ولا كذابا
اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر
مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام
عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر
اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد
على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن
صفة له وقيل صفة للاول واياما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى
لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى
بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني
نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون
حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ
بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون
استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع

لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر مبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب به ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد فالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد

محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوا لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى

وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية
تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده
مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع
الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف
منصوب باذكر فيكون الجملة استينافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين
فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب
مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة
من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لقلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات بحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع
لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به
مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل
اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع
بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان تنكير قلوب
يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة
اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى
اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث
المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند
وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة
اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه
وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه
القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه
بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها
ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي
الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان
بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم
حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين
بغاية بعدها من الوقوع تلك اذن كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن اذن خاسرون
لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها
بالكرة فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها وعليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة
بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى
فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا
امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان
سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل
هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها
وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت
المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى كلام مستأنف
وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم
واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له في استماع حديثه
كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص فليس
قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما
طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة
وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون
على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله
ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل لك
رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التاءين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى
بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته
قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى
اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
والفاء في قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى
فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة
وغيرهما من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية
فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها وادعى
سحريتها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة
في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما
بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم
يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع
انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب
في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد
بعدما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين
وقومه مأمورين بعبادته عز وعلا وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني
اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اي يجتهد في معارضة الآية
او ادبر ثم اقبل اي انشأ يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان
فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت

تقول يا موسى قرأتُ بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فعاد عصا وبابه أن
ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر أي فجمع السحرة
لقوله فأرسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل
جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي فقال أنا ربكم الأعلى قيل
قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أي أخذه
أخذ نكال لها وقيل مفعول له أي أخذه لأجل نكال لها وقيل نصب على نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والأولى
وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك
لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما تؤدي إليه لا محالة وقيل
المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة
إضافة المسبب إلى السبب إن في ذلك أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى
أي لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى أأنتم أشد خلقاً خطاب لأهل مكة المنكرين
للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل
بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم
خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله أوليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها إلى آخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد
من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله
تعالى رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما
لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعله مظلماً يقال غطش الليل وأغطشه الله
كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها
أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير
ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان
وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس
أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد ذلك دحاها
أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها بأن فجر منها
عيوناً وأجرى أنهاراً ومرعاها أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف
إما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل
والمشرب حتماً وإما لأنها حال من فاعله بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما في قوله تعالى أو جاؤكم
حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق
للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات
ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض وقرئ والأرض والجبال
بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكراً مع تقدم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو

لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال
وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما روي عن الحسن من أنه تعالى خلق
الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك
الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم
السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء
وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في
سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات
يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل
خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي
أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن
يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل
تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل البعدية
على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر
مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه
على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع
المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روي عن الحسن جماعة
نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي
من الدلالة على الترتيب بمعزل على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها
الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام
في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعاً لكم ولأنعامكم إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر
من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على
استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك
متاعاً أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فإذا جاءت
الطامة الكبرى أي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة والنفخة الثانية
وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان
أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعاً لكم إلخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما قيل
كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الإنسان ما سعى قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسيراً
للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً
لإضافته إلى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد
كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم
عطف على جاءت أي أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد لمن يرى كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها
كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان
بعيد أو على أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فأما من طغى إلى آخره جواب
فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم

الزاوية قسمين فاما من طغى والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم
الشؤون ما لم تشاهده العيون كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز
الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة
الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكرت شانها هي المأوى اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم
بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان
وهي اما ضمير فصل او مبتدا وقيل نزلت الآية في النضر وابيه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف
مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن
الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها
فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت
الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت
فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على
اختلاف الرأيين ولمن يرى متعين العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له
بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله
ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت
من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها
كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك واني لك
ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكراها لا تزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل
فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت
من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن
قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها
وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثك
فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان
فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت
من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها
مما يوهم بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم
بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من
بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك
عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام
وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت
لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت
الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته
واما رد لما ادرجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحى واعتبار كون

اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا
لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كأن لم يلبثوا
الا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك
في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد وكأنه قيل ينذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد
بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري
وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن
هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم
باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام
بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان
عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما
لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة
ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله لعله يزكى استيناف وارد لبيان
ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى
يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن
الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف
اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة
لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه
الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي
التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك
توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف
التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه
وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد
وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك
الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما
استفهامية للانكار اي اي شيء في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك
من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن
معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لها عنه ولهى وتلهى
وقرئ تتلهى وتلهى اي يلهيك شأن الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار
خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه

للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونها روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني
كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن
الكريم مبالغا في الاهتمام بامره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها تذكرة
اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من
تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى
فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن
وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر
والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست
مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة
واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق
المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها
اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة او
مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب
من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين
الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه
وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار
او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق
بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها
وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين
على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه
وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه
في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة
الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه
مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع
في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها
بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اي
من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي
ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف
السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على
وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة
من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة
المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها
وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد
من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى بامره اذ لا يخلو احد عن تقصير
كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان

وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه
احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله فاستقم كما امرت فالوجه ان
يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على المحكوم عليه او المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان
مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشتراك
في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث
هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر
والعصيان مع ان مقتضى فضل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا
فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه
بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء اي
الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى
بالامالة اي كيف صببنا الماء اي صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات
صغرا وكبرا وشكلا وهيأة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه
كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين
انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض
بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه
بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم
مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه
فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها
وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من أبه اذا
امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء وعن الصديق
رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن
عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف
وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات
لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي تمتعكم بذلك
فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون
النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق
اي يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة
الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا
يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم
بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد
من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابرهيم عليه السلام
من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته ليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا
يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم
ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر
المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها
في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ذلك
من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول
ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما شاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي
غبار وكدورة ترهقها اي تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرة هم الكفرة
الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر تمت السورة

سورة التكوير تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها
فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها المنبسط في الآفاق
المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت
عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن
ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل الفعل مضمر
يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض
بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل
انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال الله وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا
العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون
عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها
بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت
ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار
سجرت اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل تلتهب
نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن تذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس
زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة
بالشياطين واذا الموؤدة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن
قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد
حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا
ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ

والتحط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين وقرئ سألت اي خاصمت او سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به
حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ
كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية
واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف
فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء
عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم
سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف
واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر
الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت
نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها
من الخصال مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء
ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي
من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد
بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من
ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن
والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار
وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال
الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال
السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فاسنادا احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل
كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكأنها احضرتها في الموقف
ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت
تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف
ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد
من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله
شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر
مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم
سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وقول من قال كم عسل

عن عدو وشابة رب فارس عندي وعنده المعائب فاحفظ بذلك التمادي في تكثير وشابة واظهار برائة
من التزيد وانه ممن يستقل الكثير مما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من
الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما ارك وفي الثالث كثير من
الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر
من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به الفاضل
وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتامل
ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح
عملها مخافة ان تكون هي تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك
ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به
او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى منه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان
قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما عدا النيرين من الدراري
الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس
والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع
قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها
وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول
النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له
مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو جبرئيل
قاله من جهة الله عز وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى
وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل
عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع ثمة فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه
ثمة امين على الوحي وثمة ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف
وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح
باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل
عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر
افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ
والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع
وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق
الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين
باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من
العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم الا مستتبعة

بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفطار تسع عشرة آية

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله
تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز
وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رحمه الله وقيل
ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل
ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره
بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت
جواب اذا لكن لا انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه
الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه
كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلفت من عمل خير او شر واخرت من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده
قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم
من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة
والوائق الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس
مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل
عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال
على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات
الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها
عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد
اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة
شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك
من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها
بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر
والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع
بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء
والبعث رأسا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا
عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال
ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم
الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون
به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون
ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين

بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب
وفي تنكير النعيم والجحيم من التهويل والتفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال
نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين
طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي
لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية
بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى
وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل
ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي واي
شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة
هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هيهنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة
لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب
كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد
فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه
وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير
متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار
اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل
باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك
بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى
له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره وقيل واد وايا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس
في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها
من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما
ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله
الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى آخره صفة كاشفة للمطففين
شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونها
وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر
في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق
وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل
وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه

لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون
معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا
لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه مبتدأ جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار
كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان
من وعلى يتعقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت
منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة
الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم قصره عليه
بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ
الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع
في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم
او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد
جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن
في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه
عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ
والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل
ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم
للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض
لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار
اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك
الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة
فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه
وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ
مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة
بالرفع والجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه
تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه
من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع
بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين
منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون
اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك
ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا تبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم
من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور
على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود
النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك

في الشهوات المخرجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا
الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين
قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة
وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ءاذا تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول
الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة
اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها
من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب
وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب
الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب
عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة
والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه
بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان
سوء حال الفجار منفصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون
علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو سمي بذلك
اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما
وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون
صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق
الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى
ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف
في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم
من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم
ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه
رائحة المسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب
لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك
خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون
كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله
من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد
ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره
اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به
ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفعه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به
اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب
على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها

صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من قوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش
جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون بفقرائهم كعمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا
من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا
مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة
الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين
اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون
اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو
قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترءوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز
ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن
فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين
يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب
بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا
يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه
من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا
ويضحك المؤمنون منهم واياه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء
لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه
عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة
واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور
المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها
الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا
على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك
بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار
خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف
عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها
واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده
بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
وتخلت وخلت عما فيها غاية التخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء
والتخلي وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد
الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها لما قدمر سره فيما مر يا ايها الانسان

انك كادح الى ربك كدحا اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك
فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق له عقيب ذلك
لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى آخره قيل جواب
اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان
الى آخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل او الايذان بقصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما فى سورة التكوير
والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الى آخره تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه
وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الى آخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة
رضى الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا
بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله فى الجنة من الحور والغلمان واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتاه بشماله
من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء
ظهره فسوف يدعوا سعيرا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تعالى ونصله جهنم
انه كان فى اهله فيما بين اهله وعشيرته فى الدنيا مسرورا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم ولا
يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله وماله كسنة الصلحاء والمتقين
والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره فى الدنيا اى ظن ان لن يرجع
الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او واحدهما على الخلاف المعروف
بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه
كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل
نزلت الآيتان فى ابى سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هى الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب
بعد الغروب او البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق
وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه
من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن
حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو
الادق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من
بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان
باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء
اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن
طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها
من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم
يوم القيامة كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى فاى مانع لهم
حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على
وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنه ليس فى المفصل سجدة وعن ابى هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ان رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضى الله عنه صليت خلف ابى بكر وعمر وعثمان
رضى الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هى غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من

احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما
يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم مع الكفر والحسد والبغى والبغضاء او بما يجمعون فى صحفهم من اعمال السوء
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة
عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او
ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب
العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج اثنتان وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب
للظهور واليوم الموعود اى يوم القيامة وشاهد ومشهود اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه
من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة وقيل
الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الى وقيل
امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى
وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى
الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب
القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما فى قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقيل تقديره لقد قتل واياما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء
انهم اى كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان
وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يتأسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون
مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى الارض وهو الشق ونحوهما بناء
ومعنى الخق والاخقوق روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت
الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال
ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام
فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام
فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد فى افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها
قعى ولا تنافقى ما هى الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واصبعه على صدغه
كما وضعها حين قتل وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله

ثم قام خطيب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا
فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثني
عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه
من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا
بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق وهم على ما
يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون
بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين
من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة
وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين
منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا
منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية
على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه
وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله
تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال
الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه
والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية
والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة
في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع
على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم
في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات
تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة
عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك
اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لانها عبارة عما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون
فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير
الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها
فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف
ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من
فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى
الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار
قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش
الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم
بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو

يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ
البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد
العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف
وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استيناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة
وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود
بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب
والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم
مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد
منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب
فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا
من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة
بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط
تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال
لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى
وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ
محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات م

سورة الطارق سبع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق
ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل
كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج
سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان
رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فالاولى مبتدا وادراك خبره والثانية
خبر والطارق مبتدا حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا
محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشا عما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب
الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل
هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين
يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف
عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى
ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون
الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله

تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عليها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم
لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة
على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس
لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما تبين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما
يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه
من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ
ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل
مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله
تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من
فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه
وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر
وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه
اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء وماذكر على رجعه اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي يتعرف
ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وخبث وهو ظرف
لرجعه فما له اي للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما
ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اواراد وابذلك التفول ليرجع
ولذلك سموه اوبا اولان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع وهو ما يتصدع عنه الارض من النبات
او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية
القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عن المطر
بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه
اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدا حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل
بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض
لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره
واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث
لا يعلمون فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا
وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي
امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنه او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل
تصغير رود وانشد كانها مثل تمشي على رود اي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال
وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويدا زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة التحمل
التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى
وعنه عليه السلام من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه
يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم
وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل
سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل
بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى
والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له
طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال
النباتات لرايت في كل منها ما يحار فيه العقول روي ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى
ان مسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف
مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة
باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له
طائرا قدر غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فياكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره
ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث
الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى
اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريا اسود وقيل احوى حال من المرعى
اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي
هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ
وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما
بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب
وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث
الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا
ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان
نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة
لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية
في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة
قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية او هو المنفي ابدا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم
الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسى ما يشاء انساءه
ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه
الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع
تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف
فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي
نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه
تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه

عليه السلام وتحميل عبئه كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له
بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع
الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على
ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره
كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير
التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب
لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد
ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير
ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فانه اقوال والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى
الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار
الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها اي حتى يستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت
والحيوة افظع من الصلي قد افلح اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه
بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند
الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه
ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل
اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة
فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا
من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك
في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة خير وابقى حال من
فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه
في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات
وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا
لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها
بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل
على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام و
التوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات
بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قد جاءك يا محمد
حديث الغاشية وليس ذلك بل هو استفهام اريد به التعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار
بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان تتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد
والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى
يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق
فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ
خاشعة الى قوله مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته
عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن
اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع
وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة
تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار
ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت
في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل
هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية
في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة
وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها
تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم
اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة
نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك
وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين للآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شانه الاسمان والاشباع
كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا
للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك
ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة
لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما
عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام
النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به
عند الاكل الضريع والتجاؤهم في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفؤها من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به
في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش
فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء عنه
لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام
نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية
حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال
اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم
تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع اي
انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء

للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة
رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح
والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون
بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها
كيف كنتم ونحوه معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه
ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف
خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة
بتاتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها
على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك
مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها
في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت
رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون
بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون
عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا
وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار
الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك
ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق
من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر
تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد
كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم
متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية
والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع
طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى
ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا
ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه
فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كلذاب من كذب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء وادغمت
الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب
الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين
بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الخطاب في الشدة من الانباء عن غاية السخط
الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال عشر هي
عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة

على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال
وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء
والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال
القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلي فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها
على الاطلاق وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من
حرف الاطلاق هل في ذلك قسم لذي حجر تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام
والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الايام
واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من
قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقيا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثر هذه
الطريقة هضما للحق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل
مثله ويؤكد بالمقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى
وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه
محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام
بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا
كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد
اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما
وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى
الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط
ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان
فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم
اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات
الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم
وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم
بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف
والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا
ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة
قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما
تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن
عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه
فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها
في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع

وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق
على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر
ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام
كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال
بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد
وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما
مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى
فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف
عقيب ما فعلت ما فعلت من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة
عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة
الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه
فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته
الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء
المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالتعذيب وبالشدة
ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب
كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه
الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما
الانسان الى آخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما
الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة
من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول
ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه
ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه
قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم
بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة
في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني و
اهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له
فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض
القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله
الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته ان يشافه ثمة بالتوبيخ تشديدا
للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل
على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ
لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي

على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث
واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون
انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره
وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله اذا دكت الارض دكا دكا الخ استئناف جيء به بطريق الوعيد
تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا بعد دك حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت
وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها
شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهر
آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى
وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ
ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم
كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها
حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا يومئذ بدل من اذا
دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله من الحسنات والسيئات بما يشاهدها
من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى
بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات
اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار
التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى
يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول
عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس
في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال
الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الى احد طرفي الفعل بعقد انه مجبور من الطرف
الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور
فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه
احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد
من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف
اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب
الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن
بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب
والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية
وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام
او بلسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى موعده او
الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي
جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس
الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي ومما يؤيده كون الخطاب عند البعث وقرئ

ناوحلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر
العموم عن النبي صلعم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد عشرون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة
المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله به مناطا
لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان
انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن
شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد
بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان
كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء
قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا
فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى
عليهم وما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط راس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون
من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة لترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية
والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة
ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون
الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب
كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد
كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي
فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف
للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه
يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل
النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل
لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى
بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة
او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع
الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب
من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم
للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا

اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان
ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمين
او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال
او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس خمس عشرة آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعها وقيل اذا
تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي
تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها او الافاق
او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما
معا في قولك اقسم بالله حقق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها
وايثارها على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم
وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة
لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي
افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة
الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف
اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم
ايضا به اصالة اي خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى
فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد واما الجواب فحذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه
كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله عليه السلام كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام
وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء
للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به
من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بالضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذا
انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه
لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم
على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم رسول الله اي صالح عليه السلام عبر عنه
بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله
ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضميرهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى
الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب
تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم
بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر كل مذنب فسواها اي

الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تودي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المودية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر ياباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يودي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جملتها وعد ما من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يوتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يوتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يوتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد باتيان ما يوتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يوتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يوذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او

اي بما فيها عنده تعالى كانه مستغن عنه لم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة

امية بن خلف وقد روي عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل وللقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمرتقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتضاعف رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخره من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبا ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه السلام في الجنة الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع نون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسوف اعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود

على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي على ابلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه
ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه
وقرئ فأوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه
الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كأنه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا
عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب
مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع
الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي
تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان
والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق
الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام
فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف
ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيرا
وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم
قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد
لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا
قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء الى باب
احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين واما بنعمة ربك فحدث
بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من
جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك
واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن
اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله
كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام
حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى
فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم تمت السورة

سورة الم نشرح ثمان آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات
والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية
اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق
الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون
الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليهما وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله
ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير
عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه
بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام

ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن
وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك
ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى
تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم
اي حططنا عنك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة
او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم
الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا
لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل
طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف
وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين
كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة
مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين
فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير
لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك
من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت
من دنياك فانصب في صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره
وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح لك فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين وهي ثماني آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص
جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم
ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم سل من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة
الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر
وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله
في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون
فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم
ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية
طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام
لانها منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي
عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب
التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام بناه على الجودي
والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة
وابرهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا
علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء
وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى
وامانتها انها تحفظ من دخلها كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع
المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اي جنس الانسان في
احسن تقويم اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب
الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذج
من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن
وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن
ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف مستعملة كيفما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية
تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم
المجردات القائم روحانيا وهو يلقيه الى ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها
القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه
ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب
العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد
بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤنهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني
الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين
هم اقبح واسفل من كل سافل لعدم جريانه موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين
وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
وايا ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي
رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على
الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى
فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة
على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم
الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شيء
يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة
الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق
الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل
على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان
اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث
استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة مقررة لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار
وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك
من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام
في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق وهي تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل
بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله ما لم يعلم اول ما نزل عليه كما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ متلبسا باسمه تعالى اي مبتديا به لتحقق
مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب
بقوله الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة
وما يتبعها من الكمالات العلية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم
اي الذي له الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر
من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات
بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان
ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى
باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة
الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال
القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل
الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له
من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ
فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من
يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتديا باسمه هو الاكرم الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة
القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال
من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان
عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول
ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى
اي ليتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر
وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى
علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك
قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته
لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد
روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا
نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم
ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى
تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم
الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى
حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها

من الشناعة والغواية بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي أن أبا جهل قال في ملأ من طغاة
قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال إن
بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستقطاع النهي وتأكيد التعجيب
والرؤية ههنا بصرية وأما في قوله تعالى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى وما في قوله تعالى أرأيت إن
كذب وتولى فقلبية معناه أخبرني فإن الرؤية لما كانت سببا للإخبار عن المرئي أجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار
عن متعلقها والخطاب لكل من يصلح للخطاب ونظم الأمر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس
باعتبار نفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس بمحل التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التي
هي كونها أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول الأول لأرأيت
محذوف وهو ضمير يعود إلى الموصول أو اسم إشارة يشار به إليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف
فإن المفعول الثاني لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرني ذلك الناهي إن كان على الهدى
فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب
كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى أي يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وإنما أفرد التكذيب والتولي
بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان
باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط
لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الأول
بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه
وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته إن كان ذلك الناهي على
طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده
وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه
وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر
أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلوته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية بن خلف
كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع للناهي اللعين وخسؤ له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم أي والله
لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء
وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبته في المصحف بالألف على حكم
الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل
من الناصية وإنما جاز إبدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما
على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك
ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون روي
أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه إلى النار والزبانية الشرط
الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير كإمسي وأصله
زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه
لأخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر بعد زجر لا تطعه أي دم على ما أنت عليه من معاصاته واسجد
وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب

ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر خمس آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية
عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم
وقت إنزاله بقوله تعالى وما أدريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية
الخلق لا يدريها ولا يدري بها إلا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر فإنه بيان
إجمالي لشأنها إثر تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدرائها وقد مر بيان كيفية إعراب
الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء
الدنيا كما روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل
عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن
وقول عائشة رضي الله عنها لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن فلا يناسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التي
هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر
الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاء
لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر
الليالي وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روي أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل
إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا
عابدين من أولئك العباد وقيل أري النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا
من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان
ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما
وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ
ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة أي تتنزل الملائكة والروح
في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى سماء الدنيا بإذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله
أي ملتبسين بإذن ربهم أي بأمره من كل أمر أي من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل كقوله تعالى
فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه سلام هي
أي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ما هي إلا سلام
لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر أي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان
على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم
بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ
مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة البينة وهي تسع آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلة ما نسب

اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث
بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه
من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب
مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله
قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به
انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام
وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم
اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا
اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير
عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت
وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين
وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة
من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث
ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون
الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان
ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال
وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة
بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذكرهم فيما سبق بما هو
جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركين باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم
واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا
لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي
آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات الا
بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها
كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل
اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين
دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة
الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان
اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها
وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة
هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام

من

من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه ح ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل
حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه وذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك
مما انا فيه حتى استغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت
على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم
عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد
ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه
القائل فلا فتأمل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة
بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة
شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان
بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان
ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة
الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف خالدين فيها
حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم
في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح
المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر
البرية اي الخليقة اي عملا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار
او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب
بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر
فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد
جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية
وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها
نعيما وتأبيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما تفضل
عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب اقاصيها وملكوا من المآرب
نواصيها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء
والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى عز وجل مناط لجميع
الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة
عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسارا ومقيلا

سورة الزلزال وهي ثماني آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة
الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر

قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاء وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا
في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال
وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفاين
جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايماء الى تبديل الارض غير الارض
او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يبهرهم من الطامة التامة
ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال
استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن
مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ
بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت
الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها
واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي عليه السلام انها تشهد
على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث
اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها
كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها
يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب
طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن
الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا
وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا
وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء واياما كان فمعنى رؤية ما يعادلها
من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة
بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر مغفورة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده
قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فاما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا
عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته
وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن
ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد
حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ
القران كله تمت السورة الربعة

سورة العاديات احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف
الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه
قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار
والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي توري النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا
على الوجوه الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها
وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون
ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف
على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك
الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء
الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد
بمعنى فاظهرن به غبارا لان من جموع الاعداء والغارات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة
على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم
والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل
عليها منذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطا عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم
قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين
في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي
فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك
اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله
تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا
كان مطيقا له ضابطا وقيل لشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه
بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال
لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما
في القبور الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل
من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة
العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ
حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر
والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر
عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب
في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب
بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم ذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ
يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه على موجب
الجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى
بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابن السماك ان ربهم
بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى
ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون
الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار
والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره
قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة

هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو القارعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير
تأكيدًا للتهويل وقوله تعالى وما أدراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم
الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على
الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن
أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له
كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرًا للمبتدأ الأول أي
وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئًا عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته
إلى الفعل وإن كان مضارعًا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة و
الانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار
اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك
ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة
يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف
في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير
هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت
عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا يومئذ يتبعون الداعي
وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل
وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعًا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فأما من ثقلت
موازينه الخ بيان إجمالي لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال
الشاملة للكل والموازين إما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان
قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف
الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهارًا للمعدلة وقطعًا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل
وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلى معرفة مقادير
الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنه أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان
أي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية أي ذات رضى أو مرضية وأما من خفت موازينه
بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته فأمه أي فمأواه هاوية هي من أسماء
النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار تهوي فيها سبعين خريفًا وقيل إنها اسم
للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وعن قتادة
وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسًا والأول هو الموافق لقوله
تعالى وما أدراك ما هيه نار حامية فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة
للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج

لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر وهي ثماني آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر أي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا
وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدًا وأعز عزيزًا
وأعظم نفرًا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغي أفنانا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات
فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم والمعنى ألهاكم التكاثر بالأحياء حتى زرتم المقابر حتى إذا استوعبتم عددهم
صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكمًا بهم وقيل كانوا يزورون
المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد
إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لأخراكم فيكون زيارة القبور
عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون
معظم همه مقصورًا على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما أنتم عليه إذا عاينتم عاقبته
ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما
تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر
أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيمًا ثم لترونها تكرير للتأكيد أو الأولى
إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين
اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ
عن النعيم أي عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف
همه على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب
لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضًا
بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر
لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة العصر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى
أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة إن
الإنسان لفي خسر أي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير
للتفخيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا
الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما أربحها
وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضًا
بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان
بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس
بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي
بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة

التي هي فعلها يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد
بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى له بالجميل والرضى به
ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة تسع آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدا خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر
والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة
على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم
وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزئ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان
ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد ابن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم
القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد
للتكثير وتنكيره للتحقير والتكثير الموافق لقوله وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده
اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له
عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من
يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة
حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح
والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد
وروي ان الاخنس كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع
كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين
لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شانها ان
ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادريك ما الحطمة
لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدا محذوف
والجملة بيان لشان المسؤل عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها
بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها
بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات
الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة انها عليهم موصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته
في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي
تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اي هم في عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقا اي كائنة في عمد ممددة بان
توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ
عمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

سورة الفيل خمس آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام
بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة

والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه
بان يقال الم تر ما فعل ربك الى آخره لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة
على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من
الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت
رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود
وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وكان معه وحده فلما بلغ
المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان
كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى
طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر
من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل
طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره
ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل
ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج عليه في شانها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما
جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل
ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني حيث لا ابدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر
لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه ثم رجع
واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من
نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون
ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان
وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل الخ بيان اجمالي لما
فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم
في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي حزائق
وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط
لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى
من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان
سجينا علم لديوان وهو الاعمال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله
الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حالة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة القريش اربع آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى غير
محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك

اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف اي آخره وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف
مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع
الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين
متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم
وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة
عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين
بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم
وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله
هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم
وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما
بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام
وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف
الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة
واعتكف بها

سورة الماعون سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارأيتك بزيادة حرف
الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول
خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم
دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلية الحكم
والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله
من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن
المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع
اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك
حق غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى فويل للمصلين لربط ما بعدها
بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات
الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اي
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة
باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر
ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك ولذلك رتب الدعاء عليهم بالويل
على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة
العامة وسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها
فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ورد في صفته احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ
من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات
ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر
الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل
هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك
وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم
يعطها ولن يعطها احدا من العالمين مستوجبة للمأمور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض
عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق
شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على
المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية
وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك
اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص
ابن وائل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى
من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يأتي منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة
قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة
فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد
الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا
لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم
من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم تعهد مني عبادة صنم
في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا
على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت
ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى
وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته
وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان
وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي

هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي لي ديني لا دينكم كما في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر ثلاث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه الصلوة والسلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلوة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا لاحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي ما زال في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب ايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد على

على انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل والنصب على الشتم حمالة وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة
للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ موخر
والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير
سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اى ليف كان
وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل او اوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة
من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تاتى كل يوم باباله
من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هى ذات ليلة حاملة حزمة عيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها
الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبى صلعم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص اربع آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان ويدل وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة والنباهة
بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذى اصله القصد اطلق على المفعول
مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير والسر
فى تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم
من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده فضل
تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
وما فى قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وقال مكى اصل احد واحد فابدلت الواو همزة
فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال
احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه
اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ
والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل
هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه
فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل
الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف
بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل
المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة
فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها
وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام
السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملئكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة
الماضى اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد كما نطق به قوله تعالى
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد
اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله
وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد

الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد
اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها
لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك
واما تاخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء
مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات
المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد فى الحديث النبوى انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان
العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات
السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت
بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق خمس آيات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق
والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال
عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف
الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه
والجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى
واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب
للعائذ فى قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم
كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار
البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا للاضافة الرب الى الفلق فقد نأى
عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها
المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله ومن
شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة
وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل معتكر ظلامه
من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان
وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره
لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوثه
فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده
لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى
بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق
فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب
لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان
ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات فى العقد اى ومن شر النفوس او النساء اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن
عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان
بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما انه كان غلام من اليهود

لخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلوة والسلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام
فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النفاثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا
فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان
ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما
قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من
عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت
عائشة رضه ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد
بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد
اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان
ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس ست آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة
ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية
سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى
اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي
حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى
وملكوته والوهيته للارشاد الى مناهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه
اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك
من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك
عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل
المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة
من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان
سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس
في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة
والناس بيان للذي اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس
على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط
الياء كسقوطها كما في قوله يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى
الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره قال
العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد ويا هادي الغواة الى سنن الرشاد ويا بارئ البرية ومالك
الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف اعوذ بحرمك المامون
من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسالك من خزائن برك المخزون في مكامن

سرك المكنون خيرا جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما
الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واغنني بعنايتك
وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق
الجسمانية وهذب نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على
سرائر الانس ويتهيأ للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى
واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واشرف اماني يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين
انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا



